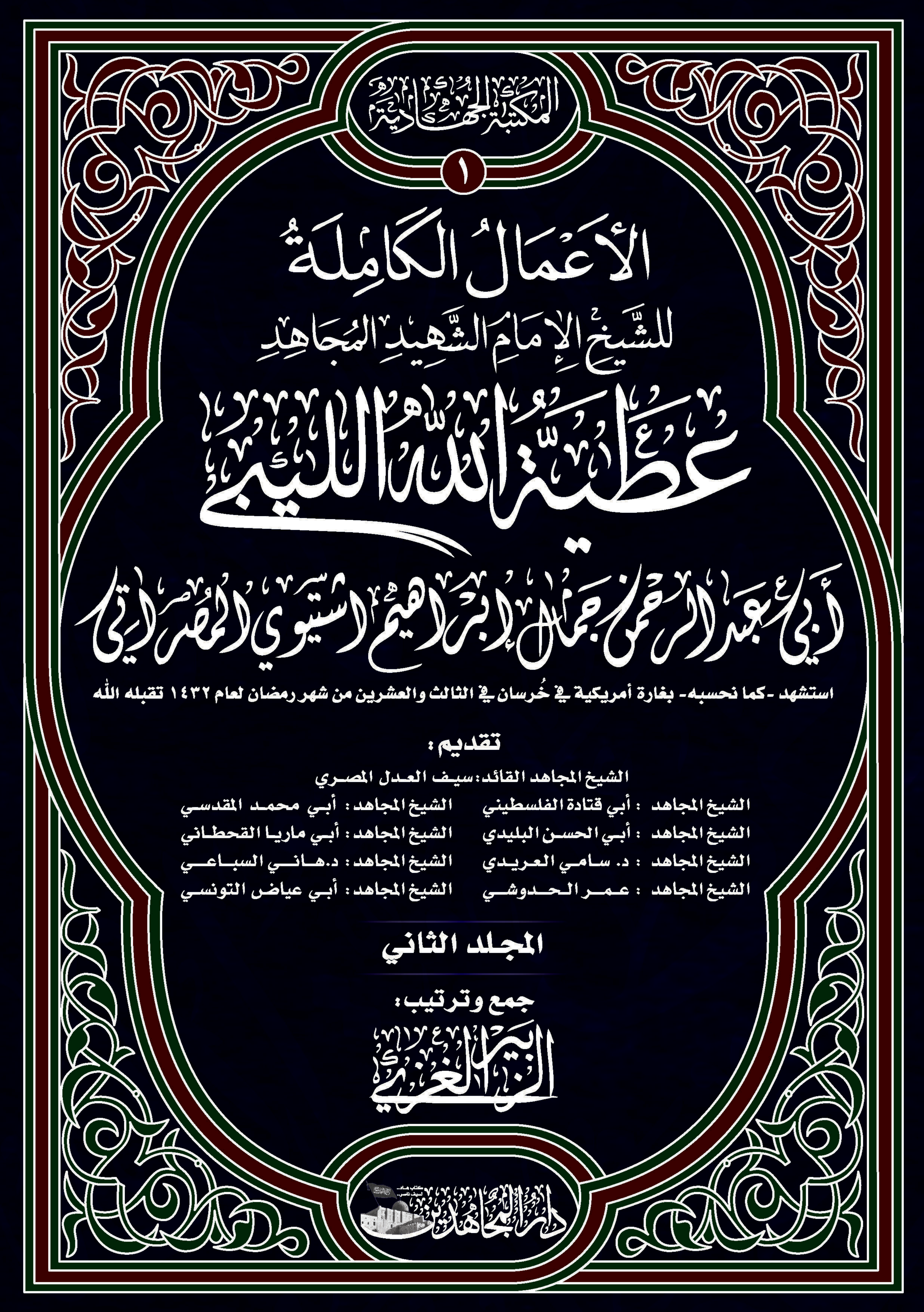

المكتبة الجهادية
١
الأعمال الكاملة
للشيخ الإمام الشهيد المجاهد
عطية الله الليبي
أبي عبد الرحمن جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي
استشهد -كما نحسبه- بغارة أمريكية في خرسان في الثالث والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٣٢ تقبله الله
تقديم:
الشيخ المجاهد القائد: سيف العدل المصري
الشيخ المجاهد : أبي قتادة الفلسطيني
الشيخ المجاهد : أبي محمد المقدسي
الشيخ المجاهد : أبي الحسن البليدي
الشيخ المجاهد : أبي ماريا القحطاني
الشيخ المجاهد : د. سامي العريدي
الشيخ المجاهد : د. هاني السباعي
الشيخ المجاهد : عمر الحدوشي
الشيخ المجاهد : أبي عياض التونسي
المجلد الثاني
جمع وترتيب:
الزبير الغزي
دار المجاهدين



الأَعمالُ الكَامِلَةُ

للشَّيخِ الإِمامِ الشَّهيدِ المُجاهِدِ

عَطيَّةُ اللهِ الليبيُّ

أَبي عبدِ الرَّحمنِ جمالِ إبراهيمَ اشتيوي المصراتي



الطبعة الأولى

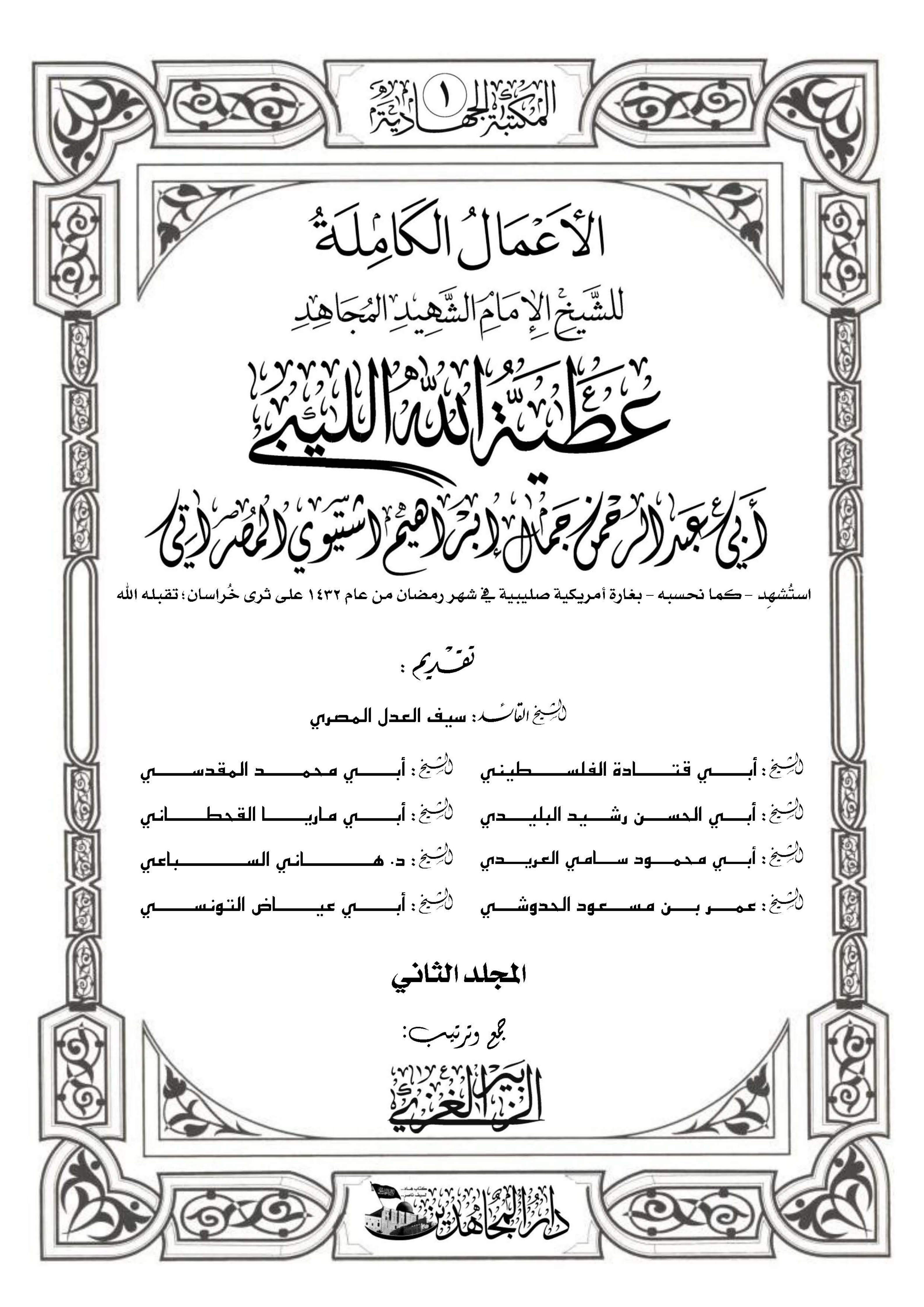
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

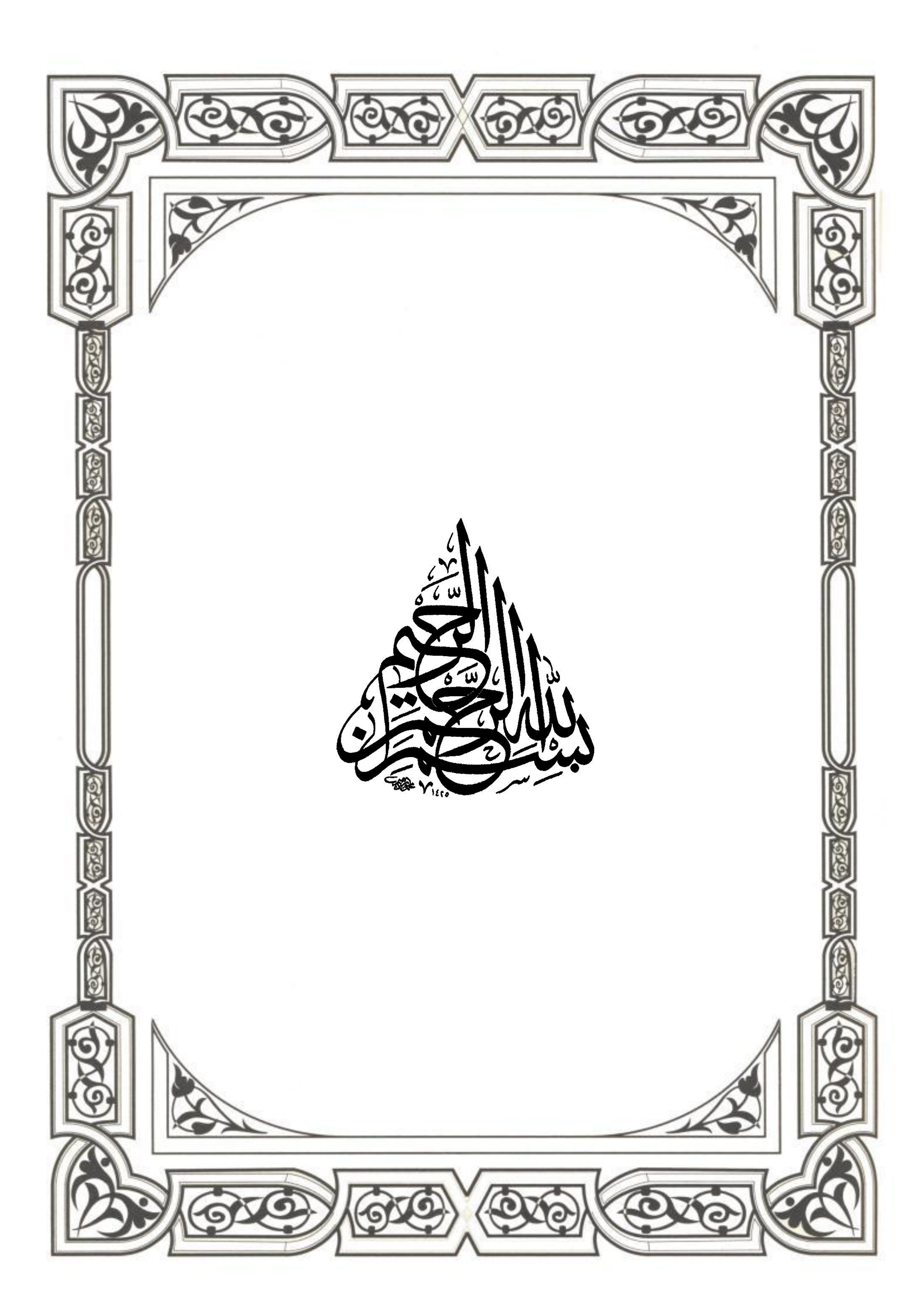
دار المجاهدين

كتاب هاد..
لسيف ناصر..

دار المجاهدين للنشر والتوزيع

كتابٌ هادٍ.. لسيفٍ ناصرٍ


المكتبة الجهادية ١
الأعمال الكاملة
للشيخ الإمام الشهيد المجاهد
عطية الله الليبي
أبي عبد الرحمن جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي
استُشهِد - كما نحسبه - بغارة أمريكية صليبية في شهر رمضان من عام ١٤٣٢ على ثرى خُراسان؛ تقبله الله
تقديم :
الشيخ القائد: سيف العدل المصري
الشيخ: أبي قتادة الفلسطيني
الشيخ: أبي محمد المقدسي
الشيخ: أبي الحسن رشيد البليدي
الشيخ: أبي ماريا القحطاني
الشيخ: أبي محمود سامي العريدي
الشيخ: د. هاني السباعي
الشيخ: عمر بن مسعود الحدوشي
الشيخ: أبي عياض التونسي
المجلد الثاني
جمع وترتيب:
الزبير الغزي
دار المجاهدين

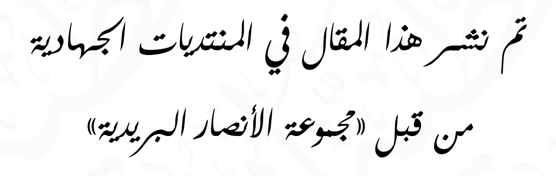

بسم الله الرحمن الرحيم





كلمات.. في نصرة





ذو القعدة

١٤٢٧




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد: فنهنئُ إخواننا المجاهدين في العراق بانتصاراتهم وما منّ الله به عليهم من النكاية العظيمة في جيوش الصليب التي أمست تترنح آيلة للسقوط بحول الله ﷻ وقوته، وما أجرى الله على أيديهم من أسباب سرور أمتنا ونهضتها وإحياء معاني العزة والكرامة فيها؛ فجزاهم الله خيرا.

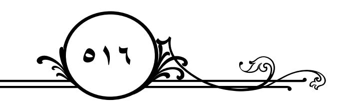
ونجدد التهنئة لهم وللمسلمين جميعا بتأسيس «دولة الإسلام في العراق»، أعزها الله وقواها وحماها وبارك فيها.

ونسأل المولى الكريم ﷻ أن يجعلها عزًا وسندًا لجميع المسلمين، ومأوى للخائفين، وملاذًا للضعفة المعوزين، وأنسًا للثكالى، وثِمالًا لليتامى وعصمةً للأراملِ.. آمين آمين.

ثم أما بعد: فإنه قد كثر تساؤل الإخوة عن بعض المسائل المتعلقة بإعلان الدولة، وأورد بعضُ الناس إيراداتٍ وتشكيكات حولها، وإخواننا المجاهدون في «دولة العراق الإسلامية»(١) -أعزهم الله ونصرهم- في شغل بجهاد أعداء الله وبالعمل في الميدان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ونصيبُ الكثيرين من غيرهم الكلامُ، ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[النساء: ٩٥].

---

(١) أُعلن في الشهر العاشر من عام ٢٠٠٦ م عن قيام «دولة العراق الإسلامية»، وقد أيدها عدد من أهل العلم والجهاد في البداية، وناصروها بلسانهم وبنانهم، وتدفق لهم المهاجرون من كل مكان؛ إحسانًا للظن بقادتها، وتلمسا للأعذار لها في جهادها، حتى قام الجهاد الشامي -الذي محص الله به الصفوف- فأُعلن بعد مدة من قيامه عن «الدولة الإسلامية في العراق والشام» افتئاتا على المجاهدين وتفريقًا لصفهم؛ فبدأ تكشف أوراق هذه الجماعة المسماة بـ«الدولة» يوم حكمت على نفسها بالفناء؛ لقتلها للمجاهدين، وإصداراها البينات في تكفيرهم، وسلبها أموالهم، بل وإفتائها بسبي نسائهم -عياذًا بالله-، وأسوةُ بغيره من المشايخ؛ فقد أحسن الشيخ «عطية الله» ﷺ الظنَّ بهذه الجماعة وتأوّل لها، وبعد مقتله ظهر ما كان مخفيًّا من الرسائل والأخبار عن حال «دولة العراق الإسلامية» وأشهر ذلك رسالة قاضيها العام «أبو سليمان العتيبي» التي أرسلها إلى «الشيخ أسامة بن لادن» ﷺ أمير جماعة «قاعدة الجهاد»، ومما جاء فيها: أن إعلان «الدولة» لم يكن إلا تغييرا لاسم «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» ولم يدخل في البيعة لا العشائر ولا الكتائب التي ذُكرت في إعلانها، وذكر من أخطائهم: «سلب» لأموال المسلمين بلا مبرر شرعي، والتساهل مع الكفار المحاربين والمرتدين لمصالح غير شرعية، والتساهل مع عملاء مقربين من «الإمارة»، والتسرع في اتخاذ القرارات، والتعصب لشعار الدولة وعلمها، والكذب في التشكيلة الوزارية، وعدم انضباطهم في مفهوم «الدولة» فهل هو إعلان أم إقامة للدولة؟ واضطرابهم في هذا الباب كثير، مع ما ذكره من الكذب في دعوى امتلاك الأرض وقصص كثيرة، والعُجب.. مع ما ذكره من أن الإعلان جر عليهم المشكلات والهزائم.. والكلام الذي ذكره كثير؛ هذا مختصره فارجع لرسالته التي نشرتها «مؤسسة التحايا للإعلام».



فاستخرتُ الله ﷻ أن أكتب في هذا الموضوع بعض التوجيهات والوصايا لإخواني المسلمين المحبين، وبعض التوضيحات التي أراها مهمة، نصحا للمسلمين وذبًّا عن إخواننا المجاهدين ودولتهم الفتِيَّة، ومساهمة في إزالة بعض اللبس الذي حصل عند بعض المحبِّين بخصوص هذا الحدث الكبير، وأسأل الله الإعانة والتسديد، وما أكتبه هو رأيي ونظري، استوجبه سؤال الإخوان والحاجة إلى البيان والتوضيح للمحبين ولعموم المسلمين؛ فإن أصبتُ فمن الله ﷻ وبتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأنا راجعٌ عنه متى تبيّن لي خطؤه[1]، نسأل الله أن يقينا الزلل ويعصمنا وإخواننا من مضلات الفتن.

❖ اللقب والعنوان:

فأول ما أود تنبيه إخواني إليه هو أن هذا الاسم «دولة العراق الإسلامية» هو لقبٌ لهذا الكائن السياسي والاجتماعي للمجاهدين والمسلمين أهل السنة في هذا القطر من بلاد الإسلام؛ فينبغي ألا يغيب هذا عنا، فإذا تقرر أنه لقبٌ فهو اسم وضعيّ اصطلاحي، وضعه إخواننا القائمون على هذا الأمر الذين هم أهل الحل والعقد بالنسبة إليه؛ فلا مشاحّة إذن.!

وبناءً عليه؛ فلو قال قائل: لماذا هذا الاسم على الخصوص؟ فنقول: هذا اجتهاد إخواننا واختيارهم، ولكن لماذا هذا اللقب بخصوصه دون «الدولة الإسلامية في العراق» مثلا، أو «الإمارة».. الخ؛ أي لماذا لم يسمّوها «إمارة» واختاروا تسميتها «دولة»؟ فهذا سؤال جيدٌ وغيرُ منكرٍ، لكن لا بد أن نعرف أن هذا كله مقام اجتهادٍ، وأن إخواننا قد اختاروا ما رأوه مناسبًا، بعد الدراسة والمشاورة واستفراغ الوسع في النصح لله ولرسوله ولدينه وللمسلمين، نحسبهم كذلك، فما بقي إلا أن يقول القائل: كان الأولى عندي تسميتها كذا مثلا.. فهذا له، ولا يمنعه أحدٌ من ذلك من حيث هو، إلا أن يصل إلى حدّ المشاغبة والتشويش وإحداث فتنةٍ فيمنَعُ!!

ومع ذلك فمن الحصافة التنبّه إلى أن إخواننا لهم مزية المعرفة ببواطن الأمور وعميق الظروف والمعطيات على الأرض؛ فأصول المعاملة تقتضي التسليم لهم اجتهادهم في هذا ما لم يخالف قطعيًا في

---

(١) وهذا دليل فضل الشيخ ؒ؛ إذ يُلاحظ أن رسالته هذه قد بُنيت كلُّها على نقولات «الدولة» ومصادرها في الكلام، وما ننقله من نقدٍ لهذه الرسالة وتوجيه لمسائلها إنما هو عملٌ بهذا الكلام؛ فنحن في بياننا لانحراف هذه الجماعة نذب عن الشيخ أن لا يقع في مناصرة طائفة مارقة قتلت المسلمين واستحلت دماءهم وأموالهم باسم الإسلام والجهاد وأهله؛ فكفرت وقتلت واستحلت الدماء والأموال.

الدين أو ما قاربه، والحمد لله[(١)].

وإذا كان الأمر كذلك فقد انحصر الاختلاف في الرأي في اللفظ، وهو اختلاف لا يضر إن شاء الله؛ ومع أن لفظ «الإمارة» له ما يرجحه من النظر؛ فللفظ «الدولة» أيضا مرجحاتٌ، ولعل إخواننا لاحظوا أن لفظ «الدولة» أنسب للثقافة السائدة، وأوقع في الظرف السياسي الحاليّ للعراق وللمنطقة، وأقرب لإحداث التأثير السياسي المطلوب، أو غير ذلك، فرجّحوه بمرجحاتٍ خفي بعضها على البعيد.!

فعلى كل حالٍ؛ فإن الذي ينبغي أن نعتقده هو -كما قدمتُ-: أن هذا هو اسمٌ ولقبٌ، وأن النظر إلى المعاني والحقائق هو المتعين دائما، ثم يُصحَحَ اللفظ ليصدُق على المعنى ويناسبه بحسب الإمكان، وفي ذلك مجالٌ للاجتهاد دائمًا.

ومثل لقب الدولة لقبُ «أمير المؤمنين»، وهو لقب أمير هذه الدولة ورئيسها، وهو وليّ الأمر والسلطان في هذا الكيان السياسي «الدولة»؛ فهذا اللقبُ هو اجتهاديّ، وهو اسم رئيس هذه الدولة

(١) ثبت بعد إنشاء «دولة العراق والشام» أن هذه الجماعة قد افتأتت على الأمة وسلبتها حقها في الشورى، ولم تُعلِم حتى أمراءها في قيادة «تنظيم القاعدة»؛ قال الشيخ أيمن الظواهري: «تعديتم على أميركم بأن أنشأتم دولة لم يسمع عنها إلا من الإعلام»، وقال: «قولكم بأنكم أعلنتم الدولة لأنكم أردتم استباق انشقاق الجولاني ومعالجته؛ فجواب عجيب: لأنكم ببساطة كنتم تستطيعون أن ترسلوا لي رسالة أن الجولاني سينشق فلا تعترف بانشقاقه، وانحلت المشكلة.. وهل إعلانكم الدولة سيمنعه من الانشقاق إذا كان يريده؟ ثم هل الإمارة مسابقة أو مباراة من يعلن أولًا يكون الأمير؟ ثم هل هي دولة على جماعة أم دولة على إقليم: إن كانت دولة على جماعة فهي من عجائب الأمور. وإن كانت دولة على إقليم؛ فكيف تتولون إمارة إقليم لم تستشيروا أهله. ثم هل الدولة يبايعها الناس أولًا؟ أم تقام الدولة ثم تجمع لها البيعات من هنا وهناك؟ ثم ألم تقدروا أنكم تضعونا في حرج أمام الإمارة الإسلامية؟ فنحن في بيعة أمير المؤمنين الملا محمد عمر، ثم يخرج في العراق أمير مؤمنين، وأرسلت في رسالة سابقة أعتذر له عن ذلك وأحاول تبريره، ثم يخرج أمير مرة أخرى على العراق والشام؟ وأنتم كل همكم أن تسابقوا الجولاني، ولا تقدرون الحرج الذي تضعوننا فيه. ثم تصوروا المهزلة التي ستنشأ لو اقتدى بكم إخوة المغرب وجزيرة العرب والصومال والشيشان وباكستان وسيناء وفلسطين، ونشأ في كل ناحية أمير للمؤمنين. ثم لماذا لا يقتدي بكم غيركم في الشام؟ فتنشأ ثلاث أو أربع إمارات واحدة في حلب وأخرى في دمشق وثالثة في درعا؟ أم أنكم سبقتم وغيركم خوارج وبغاة؟ ثم هل الانشقاق أو الخوف من الانشقاق مبرر لإنشاء دول؟ وهل كلما همت مجموعة أن تنشق أنشأنا لها دولة؟ فمثلًا إذا كانت لكم مجموعة في الأردن وشككتم في انشقاقها، فهل ستضيفون كلمة جديدة لاسم دولتكم؟ ثم بعدها في تركيا، وبعدها في لبنان، وهكذا تتزايد دولتكم كلما انشق عنها المنشقون!! ثم هل تصرفكم حل المشكلة أم فجرها؟ وجلب أضرارًا سياسية فادحة على الجهاد في الشام.. لقد أشمتم بتصرفكم الأعداء بالمجاهدين، وجعلتم منهم أضحوكة، فأية دولة؟ وأنتم في كر وفر. أنتم تسببتم بتصرفكم في شق الجماعة في الشام والعراق بعد أن كانت واحدة، بغض النظر عن دفاعكم بأنكم أردتم الخير،ولكني أتحدث عن الحكمة التي غابت.ثم وفرتم للنظام السوري ولأمريكا فرصة كانوا يتمنونها».

كما قلنا، وليس المراد منه أنه الإمام الأعظم والخليفة الذي انعقدت له بيعة من عموم المسلمين أو من أهل الحل والعقد منهم، أو تغلب على بلاد الإسلام حتى سُمّي أميرَ المؤمنين، بالمعنى الذي هو للإمام الأعظم والخليفة.. بل هذه التسمية هنا هي لقبٌ لأمير هذه الدولة.

وهنا يقال كما قيل في لفظ «الدولة» و«الإمارة»: لعل إخواننا رجّحوا اختيار هذا اللقب دون غيره، لمرجحات رأوها وخفيت علينا نحن البعداء، وإن كان بادي الرأي عندي أن اختيار غيره أولى وأحسن، وقد قلتُ رأيي هذا حتى في أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ، من قبل.

فلعل الأحسن كان هو تسميته: أميرًا «الأمير»، بدون إضافة «للمؤمنين»؛ حتى يكون المعنى المتبادر الواضح: أنه أمير هذه الدولة، لأن التسمية بـ«أمير المؤمنين» توهِم أنه الإمام الأعظم، وتوهِم أن إخواننا ربما يعتقدون فيه أنه كذلك! لما استقرّ في عُرف المسلمين مِن لدن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذا لقب الإمام الأعظم الذي هو الخليفة؛ فإذا انضاف إلى هذا أنه - حَفِظَهُ اللهُ وسدده- قرشي حسينيّ، فقد قويَ الإيهام.! ومع أن الأمر بحمد الله واضحٌ من أدبيات الإخوة وإصداراتهم لمن صفا وأراد الخير[1]؛ فليتَ الإخوة أيضا يوضحون هذه الأمور أكثر مع الفرص إن شاء الله، والله الموفق.

❖ النواة (نواة دولة الإسلام الكبرى والخلافة الراشدة):

الذي نعتقد أن إخواننا قصدوه وأرادوه -أعزهم الله وسددهم ونصرهم- هو أن تكون هذه الدولة هي نواة وبداية تأسيس لدولة الإسلام الكبرى وللخلافة الراشدة على منهاج النبوة؛ فهذه الدولة إذن هي نواةٌ وبداية، تجمع أهل الإسلام أهل السنة في هذا القطر والإقليم والناحية من بلاد الإسلام، وهي العراق وربما ما جاورها بحسب الإمكان، وتذوب فيها كياناتهم الصغرى وجماعاتهم ويحصل لهم بها القوة والمنعة والعزة، فينطلقون للمراحل القادمة ومواجهة ما فيها من تحديات جسامٍ.

وبلغنا عن إخواننا أنهم استبقوا بهذا الإعلان والإنشاء بعضَ ما يُحذر..! وأنهم كانوا في موقف فرصةٍ مواتية يرونَ أنهم إن لم يستغلوها فاتت وضاعتْ، وأنهم يرون أن الحاجة شديدة جدًا لإيجاد كيانٍ بهذا الشكل، ويرون أن عندهم من الأرض والجمهور ما يمكّنهم من التأسيس والإعلان.

وأنها بكل حالٍ نواةٌ كما قلنا وهيكل وقالبٌ يُرادُ له أن يجمع أكثر الناس أو كلهم بانطلاقةٍ كبرى وقفزة، ثم بالتدريج، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وهم أهل الثقة والأمانة والقوة، نحسبهم

---

(١) هذا هو إحسان الظن بهم، لكن الوقائع والأدلة أثبتت أن أدبيات «جماعة الدولة» تأكد على أنهم خلافة عظمى، وإمامة كبرى، حتى قبل إعلانهم «الخلافة» ولذلك عمدوا إلى قتل كثير من مخالفيهم من الجماعات المجاهدة كـ«أنصار الإسلام»، وغيرهم.

كذلك والله حسيبنا وحسيبهم.

والحاصل: أن «دولة العراق الإسلامية» هي دولة للمسلمين في هذا المِصر من بلاد المسلمين، أعني العراق بمعناه المعروف اليوم وربما ما حوله بحسب الإمكان، وليس المقصود منها الآن أنها دولة الإسلام الكبرى (الإمامة العظمى والخلافة)؛ فإن هذا لا يزال مبكرًا، بحسب ما يعطيه النظرُ والاجتهادُ، والله أعلم، وأن أمير هذه الدولة لقبه «أمير المؤمنين»، وأن هذه الدولة هي نواة -إن شاء الله- لدولة الإسلام الكبرى والخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وأنها خطوة مرحلية، قابلة للتطوير والتعديل والترشيد بحسب الاجتهاد، على وَفق ما يتطلبه النظر السياسي الشرعيّ على قاعدة التقوى والنظر لمصلحة الإسلام والمسلمين.

والله الموفق.. نسأل الله أن يبارك فيها، اللّهم إنه لا غنى لنا عن بركتك يا رب العالمين.. آمين.

❖ ماهية البيعة:

وماهية البيعة لهذه الدولة المباركة إن شاء الله، ولأميرها حَفِظَهُ اللهُ وسدده، أنها بيعة شرعية على أساس أنه أمير للمسلمين في هذا القطر وهذا الإقليم، وحكمها -والله أعلم- على حسب ما بلغنا من معطياتٍ على الأرض: أنها كبيعة الإمام الأعظم في سائر الأحكام، إلا أنه ليس بإمام أعظم، أي ليس إماما لكل المسلمين، بل هو إمام وأميرٌ للمسلمين في قطره وتحت سلطانه.

وخلاصة هذا المبحث أنه يدخل تحت ولاية «أمير المؤمنين» في «دولة العراق الإسلامية» صنفان:

الصنف الأول: مَن كان من المسلمين في تلك البقعة وممن يطوله سلطان هذه الدولة، بالقوة والغلبة، وهذا هل يعمّ كل أحدٍ في تلك البلاد؟

الجواب والله أعلم أن هذا مبنيّ على شيئين:

الشيء الأول: حصول البيعة لهذه الدولة ولأميرها من أهل الحل والعقد في هذا القطر، والمقصود أكثرهم، بحيث يقوم بمثلهم الأمر وتجتمع كلمة الأكثر.

الشيء الثاني: حصول الغلبة بالقوة المادية -العسكرية والسياسية الاجتماعية العصبية- بحيث يخضع لها أكثر الناس في القطر والإقليم، فيلزم الباقين الخضوعُ لها شرعًا والدخول تحت سلطانها ويحرم عليهم الخروج عنها، من جهة أن الخروج حينئذٍ فيه نفس المفاسد التي حرّم من أجلها الخروج على الأئمة، وقد صرح أهل العلم بمثل ذلك ونصوا عليه، وطبقوا حديث: (**من أتاكم وأمركم جميعٌ..**)[(١)]

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٢)وتتمة الحديث: (..على رجلٍ واحدٍ يريدُ أن يشق عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه).

وغيره على مثل هذا الواقع بل على أقل منه بكثير جدًا، كما لو استقام لأهل النواحي والبوادي إمارة واجتمعوا على عالم أو قاضٍ أو سيد قبيلة ونحوه في أزمنة التياث الظُلَم.!

قال الشيخ أبو المنذر الساعدي فرج الله عنه في كتابه «وبل الغمامة في بيان أحكام الإمامة»:

«فإن قيل: كيف تستدل بأحكام الخليفة على الملا محمد عمر وهو ليس خليفة المسلمين جميعًا، وإنما غاية أمره أن يكون أميرًا مسلمًا على بقعة من أرض الإسلام؟

فالجواب: نعم هو ليس خليفة لكل المسلمين، ولكنه في القطر الذي يحكمه يأخذ أحكام الخليفة في شروطه وطريقة تعيينه وغير ذلك من الأحكام التكليفية والوضعية.

قال ابن ضويان الحنبلي رحمه الله في منار السبيل: «قال في الغاية: ويتجه: لا يجوز تعدد الإمام، وأنه لو تغلب كل سلطان على ناحية كزماننا فحكمه كالإمام»[1]، وقال الإمام الصنعاني رحمه الله في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: (**من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، ومات فميتته ميتة جاهلية**)[2] قال: «(**عن الطاعة**): أي طاعة الخليفة الذي وقع الإجماع عليه، وكأن المراد خليفة أي قطر من الأقطار، إذ لم يجمع الناس على خليفة في جميع البلاد الإسلامية من أثناء الدولة العباسية، بل استقل أهل كل إقليم بقائم أمورهم، إذ لو حمل الحديث على خليفة اجتمع عليه أهل الإسلام لقلَّت فائدة الحديث»[3]. وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»[4].

وهذا الجواب تحتاج إليه في كثير من مباحث الإمامة، فكن منه على ذكر وأنت تقرأ هذا الكتاب، والله الهادي إلى صراط مستقيم»[5] اهـ.

وما يقال في إحدى الإمارتين يقال في الأخرى.. فهما أختان، والإمامة العظمى بعد ذلك لعلها

---

(١) منار السبيل (٢ / ٣٥٣). [المؤلف]

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٨).

(٣) سبل السلام (٣ / ١٦٢٧) ط دار الفكر. [المؤلف]

(٤) الدرر السنية (٧ / ٢٣٩). [المؤلف]

(٥) ينظر: (ص ٥٠، ٥١).



تتقرر بشكل أكبر من الفرصة للاختيار، وفرصة أكبر لاجتماع أهل الحل والعقد على مستوى الأمة، أو غلبةٍ يُذعِن لها الناس.. والله أعلم، وهو وليّ التوفيق ﷻ.

والصنف الثاني ممن يدخل تحت ولاية «أمير المؤمنين» في «دولة العراق الإسلامية»: من دخل فيها اختيارًا وبايعَها طوعًا، فإننا إذا قررنا أنها ليست إمامة عظمى، فإنه لا يجب على عموم المسلمين في جميع الأقطار بيعتها كما يجب في حال الإمامة العظمى، وحينئذٍ فلو بايعها مسلمٌ في قطرٍ بعيدٍ مختارًا، فإن البيعة تلزمه، فهذا لزومٌ بالشرط لا بالشرع، والله أعلم.

بقي أن يقال: هل هذا جيدٌ مستحسنٌ؟ فالله أعلم، ولا يبعُد ذلك لمَن لم يكن له إمارة خاصة في إقليمه وناحيته.

❖ موقع التنظيمات:

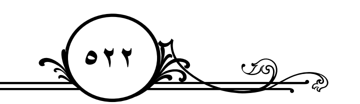
وأما التنظيمات فقد بيَّن الشيخ «أبو حمزة» في خطاب «إعلان البيعة للدولة» أن «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، و«مجلس شورى المجاهدين» بما يضمه من تنظيمات، قد حُلّت وذابت في الدولة؛ فهذا واضحٌ، والحمد لله، وأما التنظيمات الأخرى -الجماعات- العاملة في الساحة العراقية؛ فهي مدعوَّة بقوة الآن للدخول في «دولة العراق الإسلامية»، ونحن نأمل في ذلك ونرجوه وننتظره، فإن هذا الاتحاد قد صار اليوم بعد نشوء الدولة آكد وأشد مطلوبية من كل وقت مضى، وإن كثيرًا من التعللات التي كانت في السابق قد ضعُفت أو زالت.! فالقيادة عراقية، والدولة مستحوذة على أكثر قواعد المجاهدين، واجتمع عليها أكثر أهل التأثير في البلد فيما نرى وفيما بلغنا[1] -أعني من أهل السنة وأنصار الجهاد منهم- وواقع المرحلة لا يسمح بأي تفرّق أو تأخير للاتحاد، والمنهج بحمد الله واضحٌ، وخطابات الشيخ «أبي حمزة» أبانت عن تكامل منهج ورصانة فكر وقوة نظر وسلامة صدور، نحسبهم كذلك.

ولعل من المستحسن أن نذكر أن دخول أي تنظيم أو جماعة في الدولة يحتمل صورتين:

- إما حلّ التنظيم وذوبانه بشكل تامّ في الدولة، وهذه هي الصورة الأكمل.

---

(١) لكن هذا بعد الحقيق لم يثبت؛ فقد قال أبو سليمان العتيبي في رسالته للشيخ أسامة ﷺ: «يظن الناس أن قيام الدولة كان بعد مبايعة جماعات مجلس شورى المجاهدين لتنظيم القاعدة ثم مبايعة شيوخ العشائر لِما أسماه الأخ أبو حمزة المهاجر بـ«حِلْف المُطيبين»، وليس الأمر كذلك ألْبتة، وإنما بايع رؤوس هذه الجماعات كـ«سرايا الجهاد، وسرايا الغرباء، وجيش أهل السنة، وكتائب الأهوال، وجيش الطائفة المنصورة..» وهم أناس لا علاقة لهم بالجهاد الحقيقي في الساحة، بل منهم من لم يحمل السلاح في حياته كلها، ومنهم من ليس له أتباع أصلًا! وإنما هي أسماء مجردة، فبايعوا واشترطوا إما بلسان الحال أو المقال أن يتولوا مناصب في هذه الدولة التي ستُعلَن، ووقع الأمر كما أرادوا، وأنا أشهد بالله العظيم على ذلك».



- وإما دخول التنظيم بشخصيته التنظيمية -الاجتماعية- في الدولة، بحيث يبقى تنظيما داخل الدولة، فهذا محتملٌ، وينظر إخواننا في ذلك، وهل يناسب أو لا، لأنه يختلف من حال إلى حال؛ والله الموفق.. ومثال هذه الصورة الأخيرة «تنظيم القاعدة» -الأصل- في أفغانستان وباكستان، فإنه تنظيم متكامل مستقل وإن كان داخلا تحت إمارة أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ.

وعلى إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» أن يتنازلوا قدر الإمكان ويتواضعوا لإخوانهم إلى أقصى حدّ، ليشملوهم معهم، ويعرفوا للسابقين سابقتهم، ويعرفوا لأهل الفضل والمكانة فضلهم ومكانتهم، وينزلوا الناس منازلهم، ويتألفوهم، فإن الشريف غير عامة الناس، وأهل السابقة والتاريخ والتأسيس يحتاجون إلى أن يطمئنوا إلى أنهم يضعون أيدهم في أيدي إخوانهم على كامل اطمئنان وأنس.

والناس تتفاوت في الدين والتقوى والصدق والإخلاص تفاوتًا عظيمًا أكثر مما تتفاوت في ظواهر الأمور، فأهل الدين الكامل والتجرد الكامل يُوكلون إلى دينهم ويكفيهم، ومَن دون ذلك من المؤمنين قد لا يكفيهم، وفي كلٍ خيرٌ، والفضل لله يؤتيه مَن يشاء.

❖ توصية وتحذير:

ونوصي إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» ومَن أحبها وعاضدها من سائر المسلمين، أن يعذروا مَن أبطأ عن الدخول معهم وتريّث أو كان له رأيٌ حتى يطمئن أكثر وحتى يرى ما لا يمكنه معه الانفراد، فإنكم ستجدون هذا في الناس لا محالة.!

وقاعدة النجاح في مثل هذا هي: أن تصلح نفسك أنت أوّلًا، وتُري الناسَ أنك أنت الأصلح والأفضل، والأحق والأولى شرعًا وسياسةً، وذلك من خلال قوتك في كل المجالات: الدين والتقوى والصلاح، والعلم والاستعداد والكمال المعنوي، وفي القوة المادية عسكرية وغيرها، والقوة الاجتماعية ومحبة الناس واجتماعهم، وغير ذلك.. فإذا كنت أنت الأقوى والأفضل؛ فإن المستقبل لك، ولا يضرك بعضُ مَن تخلف، ولو كثروا.

وأما الفتوى فهي هنا تتبع الحال والواقع كما أشرنا: فإن كان قد تحقق اجتماع أكثر أهل التأثير والقوة لهذه الدولة حتى يُعدّ الخارج عنها المنفرد المفارق لها مفسدًا شاقا للعصا مضعفا للمسلمين فاتًّا في عضدهم مضيّعًا لهم.. أمكن أن نقول بوجوب البيعة لها والدخول تحت سلطانها وتحريم الانفراد عنها، وعليه.. فنحذر شبابنا المحبّين -سددهم الله ورعاهم- من التسرع في الأحكام على الناس في هذا الأمر، والتسرع في تطبيق الأحاديث الواردة في الخروج على جماعة المسلمين وأحاديث عدم البيعة

ونحوها[١]؛فإن هذه مسائل يقع فيها الالتباس، ويختلف فيها الاجتهاد بحسب الوقائع والأحوال، ويحتاج تنزيلها على الوقائع إلى نظر أهل الشأن وأهل العلم.

والله وليّ التوفيق، نسأله ﷻ أن يهدينا ويسددنا وجميع إخواننا.

❖ شبهات وردود:

هناك مجموعة من الشبهات والإيرادات سمعناها وقرأناها على تأسيس وإعلان هذه الدولة، يوردها بعض الإخوة الصالحين عن تساؤل وحسن نية، أو المغرضون ممن «لا يقصرون في ذمي ومنقصتي» ولا يألون المجاهدين خبالًا، أو بعضُ من يقال فيهم: وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضة..!

وأذكر بعض هذه الإيرادات وننظر فيها بما يفتح الله، وهو سبحانه ولي التوفيق:

۞ يقولون: لا يوجد أرضٌ تُقام عليها الدولة:

وجوابها: المنعُ؛ بل الأرض موجودة، أو على الأقل: فإن إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» -وهم قوة كبيرة مؤثرة في الساحة- يرون أنه ثمتَ أرضٌ قابلة لتأسيس دولة، وأن معنى الأرض نسبيّ إضافيّ، وعندنا بالنسبة إلينا وإلى حالنا منه ما يكفي.

الأنبار وما أدراك ما الأنبار، وهي قاعدتها، وأجزاء أخرى حولها وقريبا منها.

ثم هذه غايتها أنها مسألة اجتهادية محتملة، والظاهر إن شاء الله أنها لا تنهض للخلافِ والمشاقةِ.!

وبعضهم يستصغر هذه الأرض، فيقال له: هي أكبر بكثير من الأرض التي أقام عليها رسول الله ﷺ دولته في يثربَ المدينة النبوية.

وغيرُ بعيد عن أهل التوحيد قصة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» ؒ وكيف أقام دولته في «الدرعية» وهي في حجم قرية من قرى الأنبار.!

وبالجملة.. فقد قلنا إن الأمر نسبيّ، ولا يستقل بالحكم، وإنما يقوى اعتباره وتأثيره أو يضعف بضميمة غيره من العوامل أو عدمها.

۞ تقسيم العراق:

فيقولون: إن إعلان هذه الدولة تقسيم للعراق أو «شرعنة» -كذا- لتقسيمه، أو «تكريس» لهذا

---

(١) ومما يُذكر هنا أن «الدولة» قد خالفت كل نصائح الشيخ فيما بعد؛ فكفرت من لم يبايعها، واستحلت دمه وماله، جاء في مجلة «دابق» الرسمية الصادرة عن «الدولة» تكفيرها لكل مجاهدي الشام: «(الصحوات مصطلح سبكته البيادق الأمريكية لتجميل مرتديهم.. تحالف الصحوات يتألف من الجيش السوري الحر والجبهة الشامية وفيلق الشام وجيش الإسلام وجبهة الجولاني» [العدد ١، ١٠].

التقسيم..!! وهذه شبهة ساقطة، لولا أن بعض المنتسبين إلى الإسلام والدين ذكرها، وإنا لله وإنا إليه راجعون، لما خطر بالبال إيرادها والرد عليها، وحسبنا الله ونعم الوكيل.!

وقد أشار الشيخ «أبو حمزة» حَفِظَهُ اللهُ إلى الردّ عليها في خطاب «إعلان البيعة للدولة» بما حاصله السؤال: وهل كان تأسيس النبيّ ﷺ دولته في المدينة تقسيما (بالمعنى المذموم في نظر قائلي هذه المقالة) لجزيرة العرب وللمجتمع العربيّ؟!

ويمكن أن يضاف إليه استدلالاتٌ أخرى نسجًا على منواله، يُستأنَس بها، وتفيد أن ما فعله إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» ليس بدعًا في أفعال أهل التوحيد والعلم والفضل والجهاد، كما أشرنا إلى دولة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» رحمه الله، مع أن الدولة الإسلامية الجامعة كانت يومها في زمنه قائمة، على قول الأكثرين، أو بحسب الظاهر والرسوم على الأقلّ، فكيف بنا اليوم ولا دولة للإسلام جامعة على الحقيقة ولا حتى في الظاهر والصورة، وإنما يحكم بلادَ المسلمين دولُ الزنادقة والمرتدين الذين مزقوها بكل معاني التمزيق، وهذه العراق والشام كلها تحت أيدي الكفرة.؟! وذلك فصلٌ يطول..!

ثم ما ميزان التقسيم في ديننا وأمرنا نحن المسلمين؟ فليقسّم العراق وتقسّم الدنيا كلها إذا كان لا بد من التقسيم، حتى نقيم لنا دولة ننطلق منها لتوحيد العالَم تحت راية التوحيد..!

وأي وحدةٍ للأرض يرجوها ويفرح بها هذا القائلُ لهذه المقالة تحت راية الردّة والرفض وهيمنة الصليبِ؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم.!

ومن العجائب، والعجائبُ جمة في زماننا.. أن بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الله يقول للناس: إنه يرفض تقسيم العراق ولو كان إسلاميًا!! وهذا خطأ فاحشٌ، ربما حمل عليه هوىً وتعصّبٌ خفيّ لقومٍ أو منافرةٌ لآخرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.!

ألم يعلم أن محمدًا فرقٌ بين الناس؛ فرّق بين الحق والباطل وفرّق بدين الله الذي جاء به بين المرء وأخيه وبين الابن وأمه وأبيه وبين أهل الوطن الواحد؟!! والحاصل أن هذه الشبهة ما هي إلا لوثة من لوثات الفكر الجاهلي المعاصر، فكر الوطنية الضيقة، التي هي في الحقيقة «وثنية» جديدة، وفكر القطرية والقومية، ونتيجة للائتسار لصنائع الغرب الكافر الذي أملى علينا حدودًا وتقسيماتٍ، وأسس لنا مشارع ووضع لنا شرائع، قاتله الله وأخزاه.! وأما نحن فقد كفرنا به وبما جاء به، وآمنا بالله وحده واتبعنا رسوله ﷺ، فالحمد لله رب العالمين.



۞ الافتئات:

وهي من أقوى ما يورده بعض الطيبين من إخواننا، فيقولون: إن إعلان الإخوة الذين أسسوا هذه الدولة وأعلنوها، وهم جماعة «مجلس شورى المجاهدين» وعلى رأسهم «القاعدة»، ثم مَن دخل معهم في «حلف المطيِّبين»، ثم بعض مَن وافقهم ودخل معهم بعد ذلك من قواعد وأجنحة بعض الجماعات الأخرى، هم ليسوا كل أهل الأمر، ولا يمثلون الجميع، وليس لهم الحق في هذا الإعلان دون موافقة بقية الفصائل والجماعات العاملة في الساحة.

والجواب على هذا أننا علمنا من إخواننا أن الأكثرين معهم، مع قواعد المجاهدين، ومن رجال العشائر، ومن عامة الشعب من أهل السنة في الأنبار وما جاورها من معاقل أهل السنة وعقر دارهم، بالإضافة إلى كونهم هم (أعني إخواننا في مجلس شورى المجاهدين ومَن دخل معهم) أكبر وأقوى الجماعات والفصائل[1].

فإذا كان هذا أو ما قاربه صحيحًا، فلا افتئاتَ..! والواقع سيبيّن ذلك ويوضّحه مع الأيام إن شاء الله، ثم ما العمل؟ وماذا يعمل السياسي والقائد في ميدان الصراع؟! أيترك استغلال الفرص المتاحة لاجتماع القوى والطاقات الفاعلة أكثرها أو كثير منها، ويبني عليها ويسعى في تطويرها وتكميلها؟ أو يركن للقعود والانتظار حتى يجتمع كلُّ الناسِ؟ ومتى كان الناسُ كلهم (أو ما يقاربُ كلَّهم) يجتمعون على مثل هذه الأمور؟! وهذا عندكم المثال أمام ناظريكم قرابة أربعة سنين، ولو أرادوا أن يجتمعوا في تنظيم واحدٍ حتى قبل إعلان الدولة لفعلوا..!

إن الغالب في سنة الله في خلقه في مثل هذا أن الناس لا يمكن أن يجتمعوا على اختيار، بل لا بد أن تقوم طائفة منهم قوية ذات جلد وتتهيأ لها أسبابٌ؛ فتتقدم لإبرام هذا الشأن وتأسيسه، ثم ينقسم الناس آنيًّا؛ فمنهم من يسارع إلى متابعتهم ومبايعتهم، ومنهم من يتأخر ينتظر ويستأني، ومنهم من يجادل ويماحل ويحاول أن يكون له شركٌ في الأمر وينازع فيه، ومنهم ومنهم...! حتى تستقر الأمور على ما يقدره الله ﷻ. والتوفيق بيد الله وحده ﷻ، والموفق المسدد مَن أعانه الله؛ نسأل الله ﷻ أن يبرم لأهل الإسلام والجهاد الصالحين الصادقين أمر رشدٍ وأن يعليَ كلمة الحق.. آمين.

---

(١) قدمنا أن الشيخ ﷀ أحسن الظن بهذه الجماعة، وهذا من أجلة ما ذكرنا، وقد أثبت الواقع أن ما ذكره الشيخ لا نصيب له في الواقع، إلا واقع المدلسين، وتزوير المحدثين؛ فإن عامة أهل السنة قد تركوا «الدولة» بل وحاربوها لما رأوا من ظلمها، والله المستعان.

۞ أهل مكة أدرى بشعابها:

وهي كلمة حق في الغالبِ، لكن لطالما استُعملت في باطلٍ، وتعاورتها أطراف الجدل ولاكتها ألسنة أهل الحيدة وقلة الإنصاف..! ومقصود مَن يقولها هنا الإشارة إلى أن هذه الدولة هي بمنزلة «دولة تنظيم القاعدة»، وأنها ليست عراقية خالصة، وهذه شبهة خائرة متهالكة تشبه ما تقدم من شبهة تقسيم العراق، بل هي أختها وبنت لبانها!! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والذي جاء به ديننا الحقُ هو: نصر الحق حيثما وأينما كان، وقبوله من أيٍ كان، وتحقيق المصالح وتكثيرها وإزالة المضارّ والمفاسد أو تقليلها بحسب الإمكان.

ثم تفاصيل ذلك تعرف في كل شيء بحسبه، وما أشكل منه يُرد إلى موارد الاجتهاد على قاعدة التقوى.. فكون أهل مكة أدرى بشعابها مع كونه أغلبيًا، بمعنى أن غير أهل مكة قد يعرفها أكثر من أهلها أحيانًا لكونه سكنها مدة واستوطنها فأتقن معرفتها مثلا، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك أنه سبق له دراستها ومعرفة نظرية بها وتواصلٌ ما، أو أنها تشبه أرضه وأصل موطنه وأنها قريبة منه قربًا مكانيًا واجتماعيًا، ونحو ذلك من العوامل، أقول: فهو (أي كون أهل مكة أدرى بشعابها) على كل حالٍ ميزة من المزايا، لها قدرها وحدّها، ولا نتجاوز بها منزلتها، وليست هي كل المزيّة، ولا هي أكبر المزايا وأعلاها درجة.

فإذا تقرر هذا.. فإذا عارض هذه المزية (بعد التسليم بها في حال صدقها) مزايا أخرى، فإنه يُنظر في مجموع المزايا ويُوازَن بين الحسنات والسيئات، وأنا على يقينٍ أن من فعل ذلك واتقى الله أنه يصل إلى الحق ويعينه الله ويسدده.! فإذا انضاف إلى كل ما تقدم أن «أمير المؤمنين» وهو رأس الدولة وأميرها هو من «أهل مكة» أعني من صلب أهل البلد ومن أوسط أهلها نسبًا، فهو من أدرى الناس بـ«شعاب مكة»، وأن جمهرة من معه من العاملين والقوى الضاربة، ومن أهل الرفد هم كذلك من أهل البلد، فكيف يليق بعاقل رزين أن يورد هذا الإيراد.؟!

۞ الجهالة:

ومما يورَد أيضًا أن أمير المؤمنين، وهو أمير هذه الدولة «أبو عمر البغدادي» سدده الله وأعانه، مجهول غير معروف، كذا قال بعضهم.

فإن كان المقصود أنه مجهول للجميع فهذا باطل قطعا، بل هو معروفٌ ولله الحمد، يعرفه أهل بغداد والأنبار وكثير من أهل المناطق المجاورة، يعرفه أهل الفضل وأهل العلم والدعوة، ويعرفه أهل

الجهاد، وله سابقة في العلم والدعوة والجهاد، وشرف نسبٍ، وحكى عنه إخواننا فضائل وميزاتٍ تجعله أهلًا لهذا الأمرِ ومحلًا للثقة ولله الحمد.

وإن كان المقصود أنه غير معروف لهذا القائل لهذه المقالة، فهذا لا يضره وقد عرفه غيره الذين هم معظم أهل التأثير والقوة واطمأنوا إليه ووثقوا في قدرته وفضله وأهليته واختاروه أميرًا، ومَن كان من أهل السنة في العراق لا يعرفه فلا يصعُب عليه معرفته والتأكد منه والاطمئنان إلى حاله والتوثق منه؛ فلمَ المجادلة؟!

وإن كان المقصود أنه غير مشهور في العراق وفي العالَم الإسلاميّ، فهذا صحيح، ولا يضر، فإن الشهرة لها أسبابها المتعددة والمتنوعة، وتكون بحق وتكون بباطل، ولا تلازم الصلاحَ..!

ثم الحروبُ تحدث في الاجتماع البشريّ تغييرات كبيرة جوهرية وجذرية، ويرفع الله بها (بالجهاد) أقوامًا ويضع آخرين.

والحاصل.. أن الأميرَ معروفٌ بحمد الله ﷻ عند أهل الحل والعقد لهذا الشأن، وعند وجهاء أهل البلد وكثير من عامة أهلها، ومعروفٌ عند قيادات المجاهدين وأهل العلم والدعوة، فليس مجهولًا كما قال هذا القائل لهذه المقالة، والحمد لله رب العالمين..

والله ﷻ أعلم وأحكم، وهو سبحانه وليّ التوفيق.

❖ توصيات للمسلمين:

▪ **الصبرُ والانتظار وعدم العجلة:** فإن العجلة من الشيطان، والتأني من الله ﷻ، فعلينا جميعا بالتثبّت والتبيّن وحسن الانتظار والصبر، والتمهل، وأن نعرف كيف نأتي كل شيء من بابه بالطريق الصحيح المحمود الذي يعطيه الفقهُ في الدين، ولذا: (**مَن يردِ الله به خيرًا يفقهّه في الدين**)[1].

▪ **الثقة وحسن الظن:** فإن من محاسن أهل الإسلام تآلف قلوبهم واجتماعهم على الأمانة، والثقة في أهل التقوى والصدق والبذل والجهاد في سبيل الله، وحسن الظن بهم وبأهل العلم والفضل والإحسان.. فلنتذكر هذا جيدا، ولنحسن الظن بإخواننا، ولنعلم أنهم حينما يقدمون على أمر ويختارون اختيارًا فإنهم لا يفعلون إلا عن دراسة وحسن فكر ونظر ومشورة ونصح للمسلمين، ثم قد يخطئون، فيؤجَرون أجرًا واحدًا، ويغفر الله لهم، وقد يصيبون ويُوَفّقون فيتمّ لهم الأجرُ والثواب؛ فلنسلّم لإخواننا اختيارهم واجتهادهم، ونحن البُعداء على مسافة آلاف الأميال علينا أن نجتهد في المعونة لهم

---

(١) صحيح البخاري (٧١، ٣١٦٦، ٧٣١٢)، صحيح مسلم (١٠٣٧).

بالثقة وحسن الظن وفي توحيد كلمة الجميع لا أن نفرّق! والخيرُ والبركة في الاجتماع.

▪ **والكلمة الطيبة:** وعلينا أن نقول دائما الكلمة الطيبة التي تحبب المؤمنين بعضهم إلى بعض، والتي تجمع ولا تفرّق، والتي تُعين على الخير ولا تثبّط عنه، ولا تعين على باطل، ولا تُحدث فتنة ولا تخذيلا ولا إرجافًا، قال رسول الله ﷺ: (**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمتْ**)[1] وقال: (**الكلمة الطيبة صدقة**)[2]، قال الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴿٥٣﴾﴾[الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب].

▪ **الإكثار من الدعاء:** وهذا أقل الواجب علينا جميعا تجاه إخواننا المجاهدين وأهل السنة في العراق عامة، فلنجتهد يا إخواني -بارك الله فيكم- في الدعاء، ولا نستهِن به، فوالله إنه لسلاح عظيم جدًا نملكه ولا يملكه غيرنا، فسبحان الله كيف نذهل عنه!!.

▪ **جهاد القاعدين:** فما تقدم هو من جملة جهاد القاعدين ممن يصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾﴾[التوبة]، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾[البقرة: ٢٠٣]، والذين استجابوا لأمر الله ورسوله وفعلوا ما يقدرون عليه وما استطاعوا، ونصحوا لله ورسوله وفعلوا الخيرَ ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج]: ديدنهم كلمة طيبة ودعوة مباركة صالحة خالصة، وأملٌ ورجاء في الخير، وتبشيرٌ ورفع للمعنويات، ومحبة وإجلال لأهل الجهاد والبذل والسبق إلى الخيرات، ورحمة للجميع.

والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم..

اللّٰهم أبرم لنا أمرَ رشدٍ وهدىً وسداد، وأصلح لنا برحمتك ولطفك شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ، أنت مولانا، نعم المولى ونعم النصير.

اللّٰهم بارك لنا في «دولة العراق الإسلامية».

اللّٰهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك، وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم واجمع كلمتهم،

---

(١) صحيح البخاري (٦٠١٨، ٦٠١٩، ٦١٣٥، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٥٧)، صحيح مسلم (٤٧، ٤٨).

(٢) ساقه البخاري معلقا مجزوما به في: صحيحه (قبل حديث ٦٠٢٣)، مسند أحمد (٨١٨٣) وصحح إسناده الأرنؤوط.

واعطف قلوب العبادِ عليهم يا مَن قلوب العباد بين أصابعك يا رحمن يا رحيم.

اللّهم وانصر أهل السنة وانتصر لهم وفرج كربهم واكشف عنهم الغمة برحمتك ولطفك يا رحيم يا ودود يا مَن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

اللّهم واكبتْ أعداءك أعداء الدين، وشتت شملهم، وسلط عليهم الآفات والمعايب والمشكلات، واشغلهم بأنفسهم، واجعل بأسهم بينهم شديدًا، واجعل تدبيرهم تدميرهم يا قويّ يا عزيز.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا..

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

وكتبه: **عطية الله**

الأربعاء ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٧هـ

الموافق: ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



«حزب الله اللبناني»

والقضية الفلسطينية ..

رؤية كاشفة



تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»

صفر

١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان والسنة وجعلنا من أهل دعوته والمجاهدين في سبيله لإعلاء كلمته، نسأله ﷻ أن يمن علينا بحسن الخاتمة شهادةً في سبيله يرضى بها عنا ويرفع بها درجاتنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ، الذين أقاموا الدين في أنفسهم وعلى العالَمين، أهل التوحيد واجتنابِ الطاغوت والإنابة إلى الله ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر].

وبعد: فقد كان الإخوة في مجلة «طلائع خراسان» طلبوا مني أن أكتب مقالًا يتناول موضوع «حزب الله وعلاقته بالقضية الفلسطينية» لكي ينشر في المجلة، على أن يكون جاهزًا قبل نهاية شهر صفر من سنة ١٤٢٨هـ؛ فاستعنتُ بالله وكتبته وأرسلته إلى المجلة في الموعد المحدد، فلما طالعه بعض الإخوة الأفاضل ورأوه طالَ قليلًا أشاروا عليّ بأن يُنشر في كتاب، لأن نشره في المجلة بطوله غير ممكن، وتفريقه على حلقات يضعف فائدته للقراء من خلال فقْدِ الترابط، ولا سيما أن المجلة قد تتأخر عن الصدور في بعض الأشهر بسبب ظروف الحرب، فاستحسنتُ الفكرةَ، وركنتُه مدة لأعود إليه وأراجعه في وقت فراغ، وأرسلتُ نسخًا إلى بعض الأفاضل للمراجعة والتعليق، فحظيتُ فعلا بفوائد منهم جزاهم الله خيرًا، وهذا أوان تقديمه للنشر بفضل الله ﷻ، نسأل الله ﷻ أن يجعله نافعًا لقارئه وكاتبه مكتوبًا في ميزان حسناتنا، وأن يفتح لما فيه من الخير والحق القلوبَ، وأن يعفو عما يمكن أن يكون وقع فيه من زلل، ويرزقنا السداد والتوفيق، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[هود].

عطية الله

جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ / يونيو ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

الكتابة عن التنظيم الرافضي المسمى بـ«حزب الله» ليس بالأمر السهل، وهي تجربة مختلفة بالنسبة لكثير من الكتاب والباحثين؛ فلو أن الإنسان أراد أن يكتب مثلًا عن بعض الأحزاب والحركات الانفصالية أو التحررية في العالم قديمها وحديثها، أو عن التنافس الأمريكي الفرنسي الصيني على السوق الأفريقية لكان ذلك أسهل بكثير، والسبب أن «حزب الله» اللبناني هو حزب رافضي فيه حظ وافر من «الباطنية»، فهناك إذن ظاهرٌ وباطن، وهناك قدر كبير من الغموض والخداع والتمويه والكذب والدجل..!

قد يقول القارئ إن هذا حكمٌ مسبق، ومعلومٌ أن الكاتب إذا كان عنده حكم مسبق فإن بحثه لن يحالفه التحقيق العلمي والدقة والإنصاف.

وهنا أسارع إلى القول: إنني لست بصدد البحث عن حقيقة هذا الحزب وملته، فهي عندنا معلومة مستيقنة لا تخفى، واضحة وضوح الشمس، فأنا لا أقف موقف الباحث عن شيء لا أعرفه وأريد استنكاهه والوقوف على حقيقته والتعرف عليه، فنحن نعرفه جيدا وفارغون من ذلك، فليكن هذا معلومًا من أول الأمر، وإنما المقصود من الكتابة هو تجلية حقيقة هذا الحزب للناس بالطرق المنطقية والدلائل العقلية، التي تقنع المسلمين بخطره وفساده العظيم، فأنا هنا داعٍ إلى الله ﷻ أسعى في دعوة الناس إلى الخير والحق على بصيرة إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والداعي إلى ذكر هذه المقدمة هو تنبيه القارئ ألا ينخدع بشعارات «شرط الحيادية» في التحقيق العلمي والبحث الأكاديمي، وإنما الشرط الحقُّ هو العدلُ والإنصافُ والقيامُ بالقسط، ونسأل الله التوفيق.

الكتابة عن حزب الله اللبناني، لا يمكن أن تكون منفصلة عن الكتابة عن طائفته التي هي الطائفة الشيعية الرافضية، وعن الدولة الكبيرة التي هي كالعماد لهذه النحلة، وهي دولة إيران، وبالتالي فلا بد من التكلم عن ثورة الخميني الشيعية، وامتدادها وحقيقة أهدافها، إذ لا بد من وضع هذا الحزب في سياقه الحقيقي الواقعي ليتصوره القارئ كما هو، فحزب الله اللبناني ليس إلا صنيعة من صنائع الرافضة بقيادة دولتهم إيران، لا مرية في ذلك، وسيأتي توضيحه.

❖ للقوم ظاهر وباطن:

فلو أن الشيعة الرافضة قالوا: نحن ديننا ومذهبنا هو كذا وكذا بشكل واضح بيّن، وأعلنوه بدون خداع ولا تقية، وتحمّلوا ما يكون من نتائج بشجاعة، فيعلنون مثلًا أنهم يعتقدون كفر أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، ماعدا فلانًا وفلانًا، نفرًا معدودين على أصابع اليدين، ويستعلنون بالطعن في أم المؤمنين عائشة ﵂ ورميها بما برأها الله منه وغيره، ويعلنون بقولهم: إن القرآن هذا الموجود عندنا اليوم في مصاحف المسلمين هو محرّف لا يوثق به لأنه من رواية الصحابة وإن الصحابة زوروه وحرفوه، وإن القرآن الحقيقي الذي أنزله الله على محمد ﷺ غير موجود اليوم إلا عند إمامهم المعصوم الغائب «المهدي السردابيّ»[(١)]، وهكذا في سائر عقائدهم يعلنونها بصراحة وصدق وشجاعة.. لو أن الرافضة فعلوا ذلك، لكنا نحن المسلمين نتعامل معهم كما نتعامل مع سائر أهل الملل والنحل المنحرفة بما يستحقون من حكم نظري اعتقاديّ ومن تصرف عمليّ سياسي يوجبه حكم الله في أمثالهم.

لكن المشكلة مع هؤلاء الرافضة أنهم لا يعلنون شيئًا، ولا يمكن أن تخرج بسؤالهم أو التحاور معهم بشيء يملأ يدك أبدًا، والطامع في ذلك واهمٌ والمعتمد على ظاهرِ جوابهم مغفَّل لا يصلح أن يكون للناس إمامًا..! فالقوم عندهم ظاهرٌ يعلنونه للناس بأشكال مختلفة تتناسب مع كل نوع من أنواع مخاطبيهم، وباطنٌ هو حقيقة أمرهم، فلم يكن بدٌّ من الوصول إلى معرفة باطنهم بأنواع الدلائل التي يُستدَل بها على بواطن الأمور وحقائقها، عندما يختلف الظاهر والباطن.

معلومٌ أن الأصل في الإنسان أنه يؤخذ بظاهره ويحكم عليه به، إذ الظاهر هو المشاهَد لنا والمعلوم، والباطن لا يمكن معرفته، هذا في الجملة هو الأصل، لكن حين تدل الدلائل على باطنٍ يخالِف الظاهر فإن المعوَّل عليه والمعتمد هو الباطن لأنه حقيقة الشيء وحقيقة الإنسان، وحينئذ يكون الظاهر كذبًا وتصنْعنًا[(٢)]، ويسمى في الشريعة نفاقا وزندقةً.

هؤلاء القوم عندهم قدر كبير جدا من «الباطنية» بهذا المعنى، لأن **الباطنية لها معنيان:**

---

(١) فإن جادلوا بأنَّ هذا قول متروك لبعض علمائهم، وأن ما عليه الشيعة منذ ألف سنة هو أن القرآن الموجود بأيدينا غير محرف.. إلخ؛ فيقال لهم: فما قولكم في أولئك البعض من علمائكم (وهم من أكابر علماء الطائفة عبر القرون) الذين قالوا هذا القول وسطروه في بعض أهم كتب مذهبكم؟ هل تعتقدون كفرَهم؟ أو على الأقل أن هذا القولَ الذي صدر منهم كفرٌ مخرجٌ من الملة، أو هو عندكم قولٌ معتبرٌ له وجهٌ وإن لم يكن الراجحَ عندكم؟ أو لعله الراجح لكن تركتموه لملحظٍ سياسي اعتمادًا على «العنوان الثاني» (المصلحة)؟ أو غير ذلك؟ فبذلك يظهر تناقضهم وتهافتهم.. وهكذا يقال في سائر المسائل. [المؤلف]

(٢) كذا في «الأصل»، ولعل الصواب: تصنُّعًا.

المعنى الأول: الاعتقاد بأن للشريعة ظاهرًا وباطنًا مختلفين؛ الظاهر للعامة والباطن لهذا الشخص المعتقِد لذلك مثلًا أو لغيره.

والمعنى الثاني: هو استبطان خلاف الظاهر، وهو من جنس النفاق، وهو المقصود هنا.

إنهم يتسترون بمبدأ كبير من مبادئهم، جعلوه (جعله أوائل زنادقتهم؛ من الأجيال الأولى لنحلتهم) من أهم وأعظم مبادئ دينهم وهو: التقية، وهذه التقية التي عندهم اسمها في شريعة الإسلام شيء واحد معروف هو: الكذب المبين والنفاق، لا غير، وفرقٌ عظيمٌ بينها وبين التقية الجائزة في شريعة الإسلام المذكورة في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[آل عمران] وهي أن يتقي المؤمن الضعيفُ -في موضعٍ لا يقدر فيه على إظهار دينه- الكافرَ الظاهر الذي يخاف سطوته؛ فيظهر له موافقته أو يسكت أو يداري ويظهر الولاء، حتى يخرج من تلك الحال إلى حال القوة، فهي إذن حالة إكراهٍ أو ما يقاربه.. فهذه شريعة مختلفة تمامًا عن تقية الرافضة، الفرق بينهما كالفرق بين الإيمان والنفاق، نسأل الله العافية.

ومن أجل ذلك فإن هؤلاء الشيعة الإمامية الرافضة هم في الحقيقة الآن باطنية..!! فهؤلاء القوم يستبطنون اعتقاداتٍ وأفهامًا وأهدافًا وأحاسيس ومشاعر ومحابّ ومباغض غير التي يظهرونها؛ والمقصود هنا بالأساس طبقاتُهم الناطقة باسم المذهب ومَن قارَبهم، فتشمل رجالَ الدين منهم ورجال الدولة والسياسة والفكر والدعوة والثقافة والكثير من متديّنيهم.

هذا شيء مقطوع به عندنا نحن أهل الإسلام أهل السنة النبوية أتباع محمد ﷺ وأصحابه، ولا سيما عند مَن عرفهم ووقف على جلية أمرهم، ومَن شك في هذا الأصل وظن أن القوم صادقون فيما يقولون ويظهرون، فإنه واهم مخدوع، والكلام معه له نمط آخر، فينبغي أن يُوقَف على حقيقتهم من خلال الاطلاع على كتبهم الأصلية المعتمدة ومنها فتاوى معتمديهم وأئمتهم، ثم واقعهم الحقيقيّ في بلادهم وحيث تمكّنوا، وتاريخهم القديم والحديث، وما في ضِمن ذلك كله من تناقضاتهم ومثالبهم وفسادهم العلمي والعملي مما يبصره كل صاحب بصر[١].

---

(١) وليس من غرضي في هذا الكتيّب شرحُ كل ذلك من كتبهم وغيرها، فهذا له مجالٌ آخر وقد أشبعه تحريرًا وتوضيحا كثيرون جزاهم الله خيرا ممن تصدّوا لبيان زيف دين الرافضة وبيان خطرهم، وإنما الغرض هنا الإشارة الإجمالية إلى أسس فهم حقيقة الرافضة. [المؤلف]



ومن أجل ذلك فإن ما يمارسه بعض المتسبين إلى الإسلام والسنة من علماء ومفكرين من دعوة إلى التقريب، والقول بأن السنة والشيعة مذهبان في الإسلام ونحو ذلك.. لهو تلبيس عظيم وإفساد في دين الله وإضلال لخلق الله، وهي شهادة سيسأل أصحابها يوم الدين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ١٩﴾ [الزخرف]، وهؤلاء ليس أنفع لهم من أن يوقفوا على واقع الرافضة وفظائعهم في أهل السنة، وليس أفيد للمسلمين ولا سيما المجاهدين في سبيل الله من الإعراض عنهم.!

❖ طريق الوقوف على أحوال الباطنية:

وإذا تقرر أن لهؤلاء الرافضة ظاهرا وباطنا، وكان معلومًا عند جميع العقلاء أن العبرة إنما هي بالباطن وحقيقة الأمر لا بظاهرٍ يخالفه في غير حال الإكراه ونحوها؛ **فما هي طرق معرفة بواطن هؤلاء القوم والوقوف على حقيقتهم؟**

فالجواب: أن طرق معرفة بواطن الناس وحقيقة أحوالهم كثيرة:

منها: معاشرتهم والعيش معهم والوقوف زمنا طويلا في العادة على أحوالهم العادية الاختيارية وسيرهم ومعايشهم، فيعرف المعاشر لهم محابهم ومباغضهم ومسارّهم وأحزانهم وما يعظمونه وما يكرهونه، وما يميلون إليه من اختيارات، وما ينطلقون منه من منطلقات في أحكامهم وتصرفاتهم، وما عندهم من تصورات ومعتقدات تتوالى على إثباتها الكلمات والأفعال والتصرفات مع تعدد المناسبات واختلاف المقامات.

فهذا أول طريق، وهو لشخصين:

إما شخص من أهل الإسلام والسنة عاش بينهم وخالطهم لسبب من الأسباب كما في حال الكثير من البلاد التي وقع فيها اختلاط بين السنة والشيعة في أزمنة العافية والفساد.

وإما شخص منهم وعلى نفس نحلتهم أدركته رحمة الله ﷻ فمنّ عليه الله ﷻ بالهداية والتوفيق إلى الإسلام واتباع السنة؛ فتاب من نحلتهم الباطلة والتزم دين الإسلام الحق كما جاء به محمد ﷺ وبلغه عنه أصحابه رضوان الله عليهم.

وهذان السبيلان حاصلان في الواقع، وكلاهما له أمثلة كثيرة، والثاني منهما إن كان صاحبه من العلماء ممن درس علوم القوم وكتبهم وعرف دينهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وأفكارهم حق المعرفة ثم هداه الله إلى الحق، فهذا من أندره وأعزّه وهو أهمه وأقواه، ومن أمثلته في العصر الحديث: «البرقعي الشيرازي» رحمه الله، صاحب كتاب «كسر الصنم»، فإنه كان من علمائهم، و«حسين الموسوي» صاحب

كتاب «لله ثم للتاريخ»، وجماعة آخرون غيرهما.

ومن الطرق كذلك لمعرفة حقيقة أمر الرافضة والباطنية والوقوف على بواطن أحوالهم: ما يقع بأسبابٍ خاصة من التحفظ على بعض كتبهم ووثائقهم التي لا يذيعونها ولا يملكها سواهم، كما في بعض أحوال الحروب والغلبة للمسلمين عليهم، وقد وقع ذلك كثيرًا.

ومن أمثلته -وإن كان ذلك لعله في بعض فرق الباطنية الذين هم أشد فرق الشيعة ضلالًا- ما ذكره الإمام «ابن الوزير» ﷺ في كتابه العظيم «إيثار الحق على الخلق»: «وأما الأمر الثاني وهو: النقص في الدين برد النصوص والظواهر، ورد حقائقها إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل، إلا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام في قواعد لم يتفقوا عليها أيضا، وأفحش ذلك وأشهره: مذهب «القرامطة الباطنية» في تأويل الأسماء الحسنى كلها أو نفيها عن الله على سبيل التنزيه له عنها، وتحقيق التوحيد بذلك، ودعوى أن إطلاقها عليه يقتضي التشبيه، وقد غلوا في ذلك وبالغوا حتى قالوا: إنه لا يقال إنه موجود ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى: الله والمراد بلا إله إلا الله، **وقد تواتر هذا عنهم وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم وخزائنهم ومعاقلهم التي دخلت عليهم عنوة أو فتحت بعد طول محاصرة وأخذ بعضها عليهم من بعض الطرقات وقد هربوا به ووجد بعضها في مواضع خفية قد أخفوه فيها**»[1] اهـ.

وما ذكره شيخ الإسلام «ابن تيمية» ﷺ من ضمن رسالته في تهنئة الملك الناصر بفتح «جبل كسروان»، وهو في «مجموع الفتاوى» مجلد ٢٨: «من الداعي أحمد بن تيمية، إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله في دولته الدين، وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين.. -إلى قوله- ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ظهر فيهم[2] من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم، ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء، كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج «جنكسخان» إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء «هولاكو» على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله؛ لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد، ومن

---

(١) إيثار الحق على الخلق (١ / ١٢٣).

(٢) أي في أهل الجبل المتكلم عنهم. [المؤلف]

استحل الفقاع فهو كافر، ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر، ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر، ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر، وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث أو خمس، يزعمون أنه دخل السرداب بسامرا من أكثر من أربعمائة سنة، وهو يعلم كل شيء، وهو حجة الله على أهل الأرض؛ فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له ولم يكن هذا في الوجود قط، وعندهم من قال: إن الله يرى في الآخرة فهو كافر، ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وإن الله يقلب قلوب عباده وإن الله خالق كل شيء فهو عندهم كافر، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر؛ **هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم، مثل بني العود؛ فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين ويفتونهم بهذه الأمور، وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق**، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية؛ فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ويبذلونه من البرطيل لمن يقصدهم»[(١)] اهـ.

ومن الطرق كذلك لمعرفة حقيقة أمر الرافضة والوقوف على بواطن أحوالهم أيضًا -وهي أهم الطرق على الإطلاق وأبينها لعامة المسلمين- وهي: نفس معرفة أقوالهم في كتبهم المعتمدة، ومعرفة مذهبهم ومنهجهم في مسائل الاعتقاد والتلقي والأحكام وغيرها، والوقوف على ما في ذلك من التبديل للدين والكذب الصريح ومناقضة التوحيد ومصادمة أحكام العقول السليمة والفطر المستقيمة، ومعرفة مواقفهم من المسائل الكبيرة الدينية والسياسية وما فيها من تناقضات وما لهم في ذلك من الدوافع والمقاصد، وسأذكر من ذلك أمثلة بسيطة يفهمها كل أحدٍ، وهي تُنبِّه على ما سواها:

فأول شيء من ذلك هو التوحيد الذي هو أساس دين الإسلام، فكل مسلم يعلم أن الله ﷻ بعث محمدًا بالتوحيد الخالص، وهو عبادة الله ﷻ وحده لا يُشرك به شيء، ونهى عن الشرك كله دقه وجله، وسدّ الذرائع المفضية إليه، حفظا لجناب التوحيد وتعظيما له وصيانة.

فانظر إلى الشيعة الرافضة في كل بلدٍ اليوم، هل تجد هذا التوحيد؟ في الواقع لن يجد الناظر إليهم إلا

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٩٨ - ٤٠٢).

بعض الشعارات والعناوين، ككونهم يقولون: «لا إله إلا الله»، ولكن الشرك ضاربٌ أطنابه فيهم؛ من دعاء غير الله والاستغاثة في الشدائد والكربات بالأئمة من آل البيت وغيرهم، وغير ذلك من الشرك المستبين.. جاء محمد ﷺ بالنهي عن تعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها أعيادًا والصلاة عندها وإليها، وهم يفعلون كل هذه المنهيات وأكثر منها.!.. جاء محمد ﷺ بالنهي عن الصور والتماثيل وتعظيمها ورفعها، وهم يفعلون كل ذلك، بل ويعظمون التماثيل والصور وثقافتها وطقوسها.!

ومن ذلك: أن ينظر المسلم إلى مجمل عقائدهم؛ فإن أي مسلم عادي ولو كان أميًّا لم يدرس العلمَ، سيعرف أن عقائد هؤلاء القوم هي مجموعة من الخرافات والأكاذيب ومناقضة العقول والغلوّ المبين في أئمتهم، وتعظيم أنفسهم وبني نحلتهم لا على أساس تقوى الله ﷻ وتوحيده، بل على أساس مجرد النسبة والانتماء..! وكل مسلم بسيط يعرف أن هذا شيء غير الذي جاء به محمدٌ ﷺ.

ومن ذلك: أن كل مسلم يعرف أن النبي ﷺ جاء بالنهي عن النياحة على الأموات وعظم هذا النهي تعظيما بالغًا وسماه جاهلية ومن أعمال الجاهلية تنفيرًا منه وتنكيلا به، وهؤلاء القوم دينهم النياحة وإقامة الأعزية وتعظيمها أبد الدهر، لهم مناسبات ومناسبات وأعياد دائرة على أيام السنة، ينوحون فيها ويظهرون الحزن -زعموا- ويتباكون ويتلفعون بالسواد، ويجعلون ذلك من أفضل أعمالهم، ويقولون ويفعلون فيها من المنكرات ما يعلمُ كل مسلم بسيط من غيرهم أن محمدًا ﷺ جاء بضدّه، وبالنهي عنه.!

ومن ذلك: أن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالولاء والبراء على هذا الدين، وهو التوحيد لله رب العالمين، فالولاء والبراء هو مقتضى كلمة لا إله إلا الله ولازمها لا ينفك عنها، وهؤلاء القوم يوالون ويعادون لا على توحيد الله بل على أهوائهم وعلى مجرد الانتساب والنسبة إليهم، أو المقاربة لهم، لا غير، وهذا شيء يعرفه من سبر سيرهم وأحوالهم.

وانظر إلى تعظيمهم للزنادقة من الحلولية والاتحادية أو الفلاسفة الكافرين بدين الله المنحلين من شرائعه، ممن ينتسب إلى الإسلام وإلى أهل السنة، فإنهم يعظمون مثلًا: الحلاج، وابن عربي، وابن سينا والفارابي وأمثالهم، فالخميني مثلًا يعظم ابن عربي ويعتبره إمامًا وقد ذكر هذا في أكثر من موضع من كتبه وخطبه، ومعلومٌ أن ابن عربي ليس شيعيًا وإنما هو منتسب إلى السنة يوالي أبا بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، ولكنه لما كان حلوليا زنديقا نال تعظيم الخميني وأحبار نحلته.! والآن في واقعهم هم لا يفرقون بين زنديق منتسبٍ إلى السنة معروفٍ زندقتُهُ، وبين مسلم صالح مستقيم على دين الله، بل هم في الغالب يفضلون الزنديق ويوالونه ويحبونه؛ فحيثما كان الزنادقة فإن الرافضة تحبهم وتواليهم،

وهذا معروفٌ مشاهدٌ.! وأما علاقاتهم بالزنادقة الطواغيت المرتدين من الحكام وغيرهم فشيء مشتهر عند الناس، معروف عند كل أحدٍ، فانظر على سبيل المثال إلى ولائهم لبشار الأسد حاكم سوريا الآن، ولغيره من طواغيت الردة، وصداقاتهم ومودتهم لمن يكون في صداقته مصلحة عاجلة لهم من دون اعتبار ولا نظر إلى دين وتوحيد.!

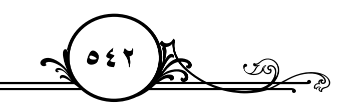
ومن ذلك: ما يراه ويسمعه ويعلمه كل المسلمين من بغض هؤلاء الرافضة لصحابة رسول الله ﷺ، وظنهم السيء بهم وسبهم إياهم وطعنهم فيهم إما بالكفر والنفاق أو الفسوق والخيانة، إلا نفرًا قليلا جدا من الصحابة واختلفوا فيهم: قيل أربعة وقيل غير ذلك إلى ثلاثة عشر صحابيًا فقط..!

ومعلومٌ لكل مسلم عرف الصحابة وقرأ سيرهم وتراجمهم المبثوثة في كتب السير والتاريخ والتراجم وفي كتب تفسر القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي وغيرها أنهم من خيار خلق الله، كاملون في الصلاح والتقوى والعلم والفقه والجهاد في سبيل الله، وفي سائر الفضائل، فتحوا البلدان بلا إله إلا الله ونشروا دين الله وضحوا في سبيل الله وهاجروا وجاهدوا، وهم حملوا هذا الدين إلى سائر البشرية، وهم تربية رسول الله ﷺ، معه عاشوا وهاجروا وجاهدوا وبين ظهرانيهم نزل الوحي، فكيف يقبل عقل عاقل أن يقال إنهم كلهم عن آخرهم إلا نفرًا قليلا يُعدون على أصابع اليد الواحدة أو اليدين ارتدوا وخانوا وبدّلوا وغيروا بمجرد وفاة رسول الله ﷺ، وهل هذا إلا طعن صريح في النبيّ ﷺ وفي الدين والقرآن الذي حملوه؟!

من أجل ذلك.. فالرافضة لا تثق بالقرآن ولا تؤمن به حقا، بل التحقيق عند جماعة كبيرة من أكابر علمائهم على مدى التاريخ أن القرآن محرّف مبدّل حرّفه الصحابة وبدّلوه وكتموه..! نبرأ إلى الله من هذا الاعتقاد الباطل، وحاشَ لله.

وهم اليوم مهما حاولوا التَّنصُّل من تبعة هذا الاعتقاد المقرر عند علمائهم الكبار.. فلن يستطيعوا، وسيظهر لكل مسلم عاقل بسيط مدى تخبّطهم وكذبهم وتمويههم، وأنهم على الحقيقة لا يؤمنون بالقرآن وليس عندهم به وثوق..! ومن أجل ذلك فليس عندهم اهتمامٌ يذكر بالقرآن، وإن حاولوا إظهار الاهتمام به في عقودهم الأخيرة وصاروا يضعون البرامج والمسابقات لحفظ القرآن الكريم ونحو ذلك، فكل ذلك ناتج -عند من تتبع أمرهم- عن محاولة التنصّل من التهم التي يرميهم بها ويشنّع عليهم بها أهل السنة من أنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا يهتمون به.!

وهكذا أيضا، بل قد يكون أشد: طعنهم في «عائشة» أم المؤمنين ﵂ وبقية أمهات المؤمنين، فإن كل مسلم بسيط لا يعرف من القراءة والكتابة والعلم شيئًا، يدرك بسذاجة فطرته وسلامة نفسه وصحة



عقله أن هذا ما هو إلا طعن عظيم في النبي ﷺ وعِرضه الشريف الطاهر، فضلا عن كونه تكذيبًا للقرآن، ومناقضةً للمعلوم المستيقن من التاريخ والسير.

ومن ذلك: أن يتأمل المسلم في العلاقة بين عليٍّ وآل البيت وبين باقي الصحابة وعلى رأسهم الشيخان: أبو بكر وعمر رضي الله عن الجميع؛ فإنه يجدها مسطورة في كتب التاريخ والسير والتراجم مشهورة على الألسنة متناقلة بين أجيال الأمة أنها كانت علاقة الأخوة الكاملة والمحبة والولاء الإيمانيّ، ويجدُ المسلم أن عليًّا سَمَّى أبناءه بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، وهكذا فعل الحسين ابنه رضي الله عنهم جميعا، ويجد ما بين آل البيت وبين سائر الصحابة ولا سيما أبي بكر وعمر من المصاهرة والمراحمة، ثم يجد هؤلاء الرافضة يفرّقون بينهم ويزعمون أنهم يوالون عليا وآل بيته، ويلعنون ويبغضون سائر أصحاب النبي ﷺ، ويكذبون على عليّ وآل بيته زاعمين أن عليّا كان مضطهدا مكرها مقهورًا من الصحابة منزوع الحق مغتصب المكانةِ، غافلين في غمرة هواهم وسكرة ضلالتهم عن أنه الأسدُ شجاعةً وأنه عنوان الرجولة والشرف والكمال.!

وهكذا يقال في مبايعة عليٍّ لأبي بكر ثم عمر رضي الله عنهم جميعا، ثم رضاه بحكم الشورى من المسلمين في اختيار عثمان رضي الله عنه إمامًا عليه وعلى المسلمين، وهكذا أيضا في تزويج عليّ رضي الله عنه ابنته من عمر رضي الله عنه، الذي يعدّه هؤلاء الرافضة أكفرَ الكافرين، نعوذ بالله من مقالة السوء! فهل كان عليٌّ في كل ذلك مكرها مقهورًا خائفا مغلوبًا؟! أليس ادعاءُ ذلك من السفهِ ومن الطعن في فضلِ عليّ بل في رجولتِهِ لو كانوا يعقلون.! نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من الخذلان.

وكذا الأمرُ فيما يتعلق باختيار الحسن رضي الله عنه الصلحَ بين المسلمين ومبايعته لمعاوية رضي الله عنه، والحسنُ هو ثاني الأئمة المعصومين عندهم.

فهذه أمثلة لوقائع تاريخية لا تقبل الشك، وإنكارها سفسطةٌ، والقولُ بأن عليًّا وابنه وأهلَ بيته كانوا فيها مكرَهين مغلوبين قولٌ تمجّه عقولُ أولي الألباب وينادي على قائليه بالخذلان، ودون إثباته خرقُ الأرض ورقيّ السماء، وكل من قرأ التاريخ عرف أن تفاصيل تلك الوقائع وملابساتها وسياقها تنفي الإكراه المزعوم أشد النفي.

ومن ذلك: أن يتساءل المسلم البسيط العادي: أين السيرة النبوية؟ وأين سنة رسول الله ﷺ وبيانه وتعليمه لنا وتفسيره للقرآن وأحاديثه التي هي كلها علم وحكمة وتشريع ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾؟ [النجم] لا يكاد يجد لها عند الشيعة ذكرًا، وأين غزوات النبي ﷺ وجهاده وهجرته وأسفاره في سبيل الله؟ أين بدرٌ وأحدٌ والخندقُ والحديبة وخيبرُ وفتح مكة وحنينٌ وتبوك ومؤتة

وغيرها؟ لا يكاد يوجد لها ذكرٌ عند الرافضة، وهذا تعليله واضحٌ لا يخفى على عاقلٍ سليم الفطرة يريد الحق، فإنهم إذا كان الصحابة عندهم كلهم خونة كفرة أو منافقون أو فسقة إلا نفرًا قليلا، فكيف يمكنهم أن يذكروا الغزوات والسيرة النبوية، وهل سيرة النبي ﷺ وغزواته إلا سيرته هو وأصحابه رضي الله عنهم؟! وهل هذه الغزوات والسيرة العطرة إلا سبائك من الفخر والشرف والعز والكمال البشري للصحابة رضي الله عنهم؟!

ومن ذلك: أن ينظر المسلم إلى تناقضاتهم الواضحة على مستوى السياسة، ففي حين هم يرفعون شعارات الإسلام، والوحدة الإسلامية وعدم التفريق بين سنيّ وشيعي، تجدهم ينصرون الطواغيت المرتدين على أبناء الإسلام أهل التوحيد، إذا كان ذلك الطاغوت حليفا لهم أو كانوا يرون في قوته مصلحة لهم، ومثال ذلك: سوريا وما حصل أيام «حافظ الأسد» من تنكيل بالمسلمين في «حماة»، وقد اشتهر خبرُ مشاركة جنود «الخميني» في أحداث «حماة» المفظعة، وكذا في «لبنان»، ونصرهم لحكومة أوليائهم روافض العراق، وسكوتهم المطبق على ما يجري على أهل السنة من المحن والمجازر في العراق على أيدي أوليائهم من «جيش المهدي» وغيره الآن، ومثل ذلك موقفهم من مجازر «حركة أمل» وحتى «حزب الله اللبناني» في لبنان ضد الفلسطينيين وأهل السنة في لبنان في أواسط وأواخر الثمانينات من القرن الميلادي الماضي وبعدها أيضا، والأمثلة كثيرة.

وما شذ عن ذلك مما ظاهره أنهم يؤيدون حركاتٍ إسلامية فتفسيره يكمن في معادلات سياسية معينة وفي أغراضهم السياسية التي سيأتي توضيحها.

ومن أعظم تناقضاتهم على المستوى السياسي: فضيحتُهم العظمى في هذا العصر بتواطئهم مع الأمريكان على غزو أفغانستان والعراق بوجهٍ من الوجوه، وأنهم لم يفتِ مرجعٌ واحدٌ من مراجعهم بوجوب الجهاد ضد الأمريكان في أفغانستان أو العراق، واعترفوا بالحكومتين العميلتين فيهما، بل ولما وصف حكمتيار حكومة كرزاي بالعميلة طردوه من إيران، وتناقضُهم بين تأييدهم للجهاد في فلسطين ولبنان وإنكارهم له في أفغانستان والعراق، وكونُهم في العراق هم يد الأمريكان ومخلبهم بما شكلوه من أجهزة الأمن والشرطة والجيش والحرس الوطني.

ومن ذلك: أن ينظر المسلم إلى دولة الشيعة إيران وهي نموذج للرافضة إذا حكموا وكانت بيدهم مقاليد الأمور، فيرى ما عندهم من التحلل من الشرائع وفساد الدين؛ على مستوى العبادات والمعاملات، فالربا فاشٍ ضاربٌ أطنابه وفتاوى كبارهم متظافرة على تحليله والمسامحة فيه بأنواع الحيل، وأنواع البيوع والشركات والمعاملات التجارية والمكاسب، والجوائز والمسابقات والمقامرات،

والرياضات رجالية ونسائية، والموسيقى والتمثيل والسينما وصناعة الأفلام، والصور والتماثيل التي هي عنصر محوريّ في ثقافتهم وحضارتهم يقدّسونها تقديسًا عظيما، وغير ذلك كثير، فلا تجد أثرًا للشريعة الإسلامية إلا فيما ندر من المناحي، فأين دين الله وأين الإسلام؟ وأين إرادة أن تكون كلمة الله هي العليا؟ يكاد يكون الدين انحصر عندهم في العزاءات والمناحات الموسمية والسواد والبكاء.!

والمقصود: أن هذه نماذج وأمثلة من الأشياء التي يدركها عامة المسلمين ويفهمونها بسهولة؛ فمهما حاول الرافضة الخداع والتزويق والتلاعب فإن فساد دينهم وفساد أعمالهم المبنية عليه لا يمكن أن يغطيها الكلامُ.! وهذا يذكرني بالغباء الأمريكي حين تريد أمريكا أن تحسّن صورتها عند المسلمين وفي «الشرق الأوسط» كما يسمونه، فتصرف ملايين الدولارات من أجل ذلك وتعقد مؤتمرات وتفتتح محطات تلفزيون فضائية لهذا الغرض وتشتري بعض الذمم من أهل الخسة ليساعدوها في ذلك ويكونوا لها أبواقا... في حين هي مستمرّة في الواقع وعلى الأرض وفي ميدان العمل؛ مستمرة في غطرستها وظلمها، وفي اضطهاد المسلمين ومحاربتهم ودعم عدوّهم الأساسي وهم اليهود في فلسطين ودعم كل أعدائهم من الهند في كشمير إلى نصارى جنوب السودان مرورا بدعم كل أنظمة الاستبداد والفساد والطغيان في سائر بلاد المسلمين...!

فهل يظنون أن تحسين الصورة يحصل بمجرد الكلام..؟! إن كان ذلك فهو من أشد أنواع الغباء.! وكذلك الروافض فيهم شبه من هذا.

❖ ظاهر القوم وباطنهم:

إذا تقرر أن للقوم ظاهرًا وباطنًا، فما هو ظاهرهم وما هو باطنهم:

أما ظاهرهم فهو المتحصل من دعاويهم وظواهر تعاملهم مع باقي المسلمين وأكثريتهم في الأمة وهم أهل السنة، ويمكن إجمال ذلك في خطوط عريضة:

(١) الادعاء بأننا جميعا مسلمون (سنة وشيعة) ولا فرق بيننا إلا كما توجد الفروق بين مذاهب المسلمين ومدارسهم الفقهية، ولذلك فإنهم يركزون على جعل أنفسهم عند عوامِّ المسلمين من أهل السنة مذهبا خامسًا، وهو المذهب «الجعفري» زعموا، والمقصود بذلك خداع عوامّ المسلمين في أنحاء العالم ممن لا يعرف حقيقتهم بأنهم مذهبٌ كسائر المذاهب المعتبرة، وهو نوعٌ من الغش والكذب والتمويه جارٍ على أصولهم وأخلاقهم ودينهم الباطل المبني على الكذب.!

ولهذا تجدهم مثلًا عندما يعبّرون عن «البلوش» في إيران، يركزون على وصفهم بأنهم على المذهب



الحنفي، وهكذا مع الأكراد في شمال غرب إيران إذا تحدثوا عنهم يحرصون على وصفهم أو وصف العالم من علمائهم مثلًا بأنه شافعيّ، وانظر إلى هذا المثال البسيط:

«سقز المنفى الأخير: في ظروف جوية صعبة وبرد شتوي قارص لتلك المنطقة، أمضى آية الله العظمى «المنتظري» أيام نفيه الأخير، **وعلى الرغم من أن أهالي هذه المدينة كانوا علي غير مذهب سماحته (الشافعي)** إلا أن محل إقامته أصبح مركزا للقائه بمختلف أبناء هذه المدينة، ومن جهة أخرى وإثر اعتقال العشرات من أصدقاء وتلامذة سماحته جراء مشاركتهم في مراسم تخليد ذكرى انتفاضة الخامس عشر من خرداد في المدرسة الفيضية، كشف السافاك الصلات التي تربط هؤلاء بسماحة الشيخ المنتظري، ولذلك قرر اعتقال سماحته ونقله إلى طهران» اهـ[1].

فانظر إلى قولهم: إن مذهب أهالي المدينة المذكورة هو المذهب الشافعي، في مقابل مذهب المنتظري، وما هو مذهب المنتظري؟ إن مذهب «المنتظري» الذي يجب أن يُذكر في مقابل مذهب أهل تلك المدينة هو المذهب «الشيعي الاثنا عشري الإماميّ»، وعليه فيجب أن يذكر أن أهل المدينة مذهبهم (أهل سنة – شافعية) فتكون كلمة شافعي فرعًا عن كونهم أهل السنة، وهذا واضح لا يخفى، لكن هي طريقة القوم، وما هذا إلا مجرد مثال وحيد فقط مما وقع بين يدي الآن وأنا أكتب هذا المقال، وإلا فهذه سياستهم لا يحيدون عنها مكرا وكيدا وتلبيسًا وخداعًا.!

ومن أجل خدمة هذا الغرض الاستراتيجي في سياستهم (الادعاء بأنه لا فرق بين سني وشيعي، وأننا جميعا مسلمون): أسسوا العديد من البرامج الدعوية والدعائية من مواسم ومناسبات ومؤتمرات وغيرها، واصطنعوا العديد من الشعارات وسخّروا لذلك العديد من القوى والوسائل الإعلامية والثقافية؛ فقد أسسوا في عهد «الخميني» وبعد نجاح ثورته بقليل، وباقتراح من «آية الله المنتظري» – على ما يقول أصحابه في ترجمته– إعلان الأسبوع الواقع في شهر ربيع الأول بين تاريخي ولادة النبي ﷺ على حسب تقويمي أهل السنة والشيعة أسبوعًا للوحدة الإسلامية، هكذا أسموه: «أسبوع الوحدة الإسلامية»، ويحتفلون بإحيائه بالمؤتمرات الدعائية والثقافية كل عام في مناطق السنة على وجه الخصوص، وفي عموم إيران أيضا، ويركزون فيه على دعوة التقريب بين المذاهب ويستدعون فيه علماء ومفكرين وكتابا ودعاة من أنحاء العالم الإسلامي يحيون أيامه.

جاء في موقع آية الله «منتظري» على الانترنت في سياق ذكر أعمال ومبادرات وإنجازات

---

(١) من ترجمة آية الله منتظري، على موقعه على الانترنت باللغة العربية. [المؤلف]

«المنتظري»: «الإعلان عن أسبوع الوحدة من أجل رص صفوف المسلمين واتحاد كلمتهم بعيدًا عن كل ما يشتت جمعهم ويفرقهم، ويقع هذا الأسبوع من اليوم الثاني عشر من ربيع الأول حيث يري مورخو أهل السنة بأنه يصادف ميلاد النبي الأعظم (ص) واليوم السابع عشر من هذا الشهر حيث يعتبر علماء ومؤرخو الشيعة أن هذا اليوم هو يوم ميلاده (ص). وقد لقيت هذه المبادرة ترحيبًا واسعا من قبل كبار العلماء والشخصيات العلمية منهم مراجع التقليد والإمام «الخميني» ومؤسسات الثورة الإسلامية ورجال الدولة» اهـ.

وأسسوا أيضا «مؤتمر التقريب بين المذاهب»، بالتعاون مع جهات سنية معروفة في العالم الإسلامي، وغير ذلك من المساعي الكبيرة لخدمة هذا الغرض من أغراضهم الذي هو عمودٌ من أعمدة سياستهم.. أعني التظاهر بأنه لا فرق بين سني وشيعي وأن الجميع مسلمون وإخوة، وأن الخلاف هو مجرد خلاف بين المذاهب والمدارس الإسلامية؛ كالفرق مثلًا بين الحنفيّ والمالكي والشافعي والحنبلي.!

(٢) احتضان وتبنّي قضايا المسلمين الكبرى والتي لها التأثير البالغ في أمة الإسلام جمعاء، والتي تكون محلّ اتفاق بين جميع الأمة، وهذه مثالها الواضح ويكاد يكون الوحيد هو: «القضية الفلسطينية»، وسيأتي مزيد كلام عليها إن شاء الله، لأنها في الأصل موضوع كلامنا، ومعلومٌ أن قضية فلسطين واحتلال المسجد الأقصى، ووجوب تحريرها وتخليصها من اليهود الغاصبين لعنهم الله، هذه مسألة لا خلاف عليها بين جميع طوائف الملة الإسلامية وأهل القبلة المنتسبين إلى الإسلام، حتى العلمانيين والزنادقة، وجميعُ النحل مشتركون مع عموم المسلمين في ذلك، فهي قضية إذن ليست محكًا من حيث هي، وإنما النظر في معتقد الإنسان ومنطلقاته وصحة منهجه... إلخ.

(٣) التظاهر عمومًا بحمل راية الإسلام، ومحاولة ملء الفراغ الحاصل في أمة الإسلام حيث لا دولة للإسلام على الحقيقة، والسعي لقيادة العالم الإسلامي بدعوى أنهم دولة إسلامية محضة (جمهورية إسلامية) و(ثورة إسلامية)، وهذا الغرض يستدعي تحقيقه استعمال لفظ «الإسلام» فقط والتظاهر الذكيّ بما مرّ في الفقرة رقم واحد، وعدم ذكر لفظ «شيعة» ومشتقاته.

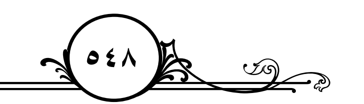
ومن أجل خدمة هذا الغرض من أغراض سياستهم أيضا عملوا على تبنّي العديد من قضايا المسلمين، ودعم الكثير من شعوبهم الضعيفة وملء الفراغ الثقافي والإنساني في كثير من جهات العالم الإسلامي الممتحنة في أفريقيا وآسيا وغيرها، فأنشأوا العديد من المؤسسات الثقافية الدعوية التي تنشر الكتب والرسائل الدعوية وتبذل بسخاء، وتوزِّع ما لعله ملايين النسخ من الكتب والرسائل بالبريد

وغيره في أنحاء العالم، ويتبعون في رسائلهم الدعوية (كتب صغيرة الحجم يسهل اقتناؤها وقراءتها) سياسة في غاية الذكاء والمكر تعتمد على ما ذكرته في الفقرتين رقم واحد واثنين أعلاه، وتركز على التاريخ برواياتهم هم المشوّهة طبعا، وعلى نقد الفكر والعقل الإسلامي، وشيء من الفلسفة الإنسانية والمنطقية، وإثارة التساؤلات والتنبيهات التي يريدون بها التوصل بالقارئ العادي العامّيّ إلى الميل إلى طريقهم ودينهم الباطل، ويجتنبون التصريح بشيء منفّر كسب الصحابة ونحوها من مسائل، غير أنهم يطعّمونها بشيء مما يقتضيه التدرّج في الاستقطاب من خلال الطعن في معاوية ﷺ، ويزيد ابنه، وبني أمية عمومًا ثم بني العباس، وذكرهم بالظلم وإبراز «مظلومية آل البيت» على أيديهم، كما يزعمون وينمّقون، ويُظهرون كتاباتهم في صورة الفكر الإسلامي المتحرر المستنير الناقد للذات، وفي ثناياه التوجيه إلى «روايات آل البيت» و«المفاخر والمبادئ العاشورائية والحُسينية» زعموا، وهكذا...!

وكانت فكرة «تصدير الثورة» وخاصة بُعيد نجاح ثورتهم الخمينية في إيران التي هي إحدى الفتن والمحن الكبرى لأهل الإسلام في العصر الحديث، وكانوا حينها واقعين تحت طائلة نشوة الانتصار.. كانت هي العنوان البارز لمعظم تلك المحاولات والمساعي، فحاولوا على المستوى السياسي تبني الكثير من القضايا، لكن أكثر ذلك فشل واصطدم بصخرة اكتشاف حقيقتهم من قِبَل الناس، ووقعوا ضحية طبيعية لحتميّة محدودية دينهم الوضعيّ المليّ الطائفيّ.! فإن الدين الذي عندهم والذي يحاولون الانطلاق منه دينٌ وضعيّ مبدل عن دين الله ﷻ (الإسلام) ذو طبيعة مليّة (أي قومية) وهي الفارسية بالأساس (بالنسبة للإيرانيين) مخلوطة بدعاوى الانتساب لآل بيت النبي ﷺ، وطبيعة دين كهذا لا يناسبها العالمية مهما حاولوا، وهذا ما قصدته بالحتمية هنا.

وأما باطنهم الذي هو حقيقتهم بناء على ما تقدم ذكره من طرائق معرفة البواطن والحقائق حين يختلف الظاهر والباطن فيمكن أيضا إجماله في النقاط المختصرة الآتية:

(١) **أنهم فرقة منتسبة إلى الإسلام**، وهم ينسبون أنفسهم إلى الإسلام حقيقةً، بمعنى أنهم لا ينتسبون إلى الإسلام تمويهًا على الخلق وهم في الباطن كفرة عند أنفسهم يدينون في الباطن بدين آخر كالمجوسية أو اليهودية أو النصرانية أو البوذية مثلًا، بل انتسابهم إلى الإسلام عند أنفسهم هو انتساب صادق من هذه الجهة وبهذا المعنى، إلا أنهم يريدون الإسلام كما يريدونه هم، أي على وَفق ما تهواه أنفسهم، لا كما أنزله الله ﷻ على محمّد ﷺ.! وهذه نقطة هامة تحتاج إلى مزيد شرح.. ويُستثنى من ذلك كبارُ زنادقتهم من «مطوّري المذهب» الذين يعلمون علم اليقين أن ما هم عليه ليس هو دين الإسلام كما جاء به محمدٌ ﷺ، ولكنهم ارتضوا السير في طريق الضلالة لأسبابٍ هي في أغلبها كأسباب كفرِ



الرؤساء وأشراف الأقوام ونحوهم ممن حصلت لهم امتيازات دنيوية ومادية وشرفٌ وجاه اختاروه على الهدى، والعياذ بالله، وهؤلاء الزنادقة كثيرون فيهم، في طبقة علمائهم ومثقفيهم ومفكريهم وأهل الرياسة فيهم، قد نعرف بعضهم عيناً بالأدلة القوية الظاهرة.!

(٢) وبالتالي فهم فرقة منتسبة إلى ملة الإسلام بحسب الدعوى وبحسب التظاهر، وبحسب الانتساب للاسم والعنوان (اسم الإسلام) لا بحسب الحقيقة ونفس الأمر، بل هم في الحقيقة مارقون من الإسلام مروقًا عظيمًا، متلبّسون بأنواع يشق حصرها من المبادئ المخالفة لدين الإسلام من أساسه، من أنواع الشرك والكفر المبين، وغيرها من الضلالات الاعتقادية والعملية والبدع والأهواء والفساد العريض..!

(٣) فهم إذن على «دينٍ مبدّل» عن دين الإسلام، دينٍ وضعيّ، بمعنى أنهم وضعوه وصاغوه وأسسوه لأنفسهم وصار -مع الزمن والتطوير!!- نحلة لهم متوارثًا مخدومًا بأنواع الخدمة الإنسانية: مذاهب ومدارس علمية وتراث عملي وثقافة وأدب وفنون وكتب وكتّاب وتآليف... إلخ، وصار له تاريخ ونشأت عليه دولٌ، ومرت عليه أجيال وأجيال وأجيال، فصار عند أهله ووارثيه شيئًا لا يمكن التنصّل عنه إلا لمن تداركته رحمة الله ﷻ..!

(٤) وهم (كلامنا هنا عن الإيرانيين بالأساس كمثال واضح) ينطلقون -في الجملة- من هذا الدين المذكور ومبادئه، فهو من أهم المبادئ والأسس التي ينطلقون منها، مضافًا إليها أساساتٌ ومبادئ ومنطلقات أخرى مثل الدوافع القومية المليّة الفارسية والحضارية والتاريخية، والسياسية التوسّعية، وغيرها.

(٥) وبالتالي فإنهم في الحقيقة لا يعتبرون أنفسهم جزءًا من أمة الإسلام بمعناها عندنا نحن أهل السنة، بل هم -عند أنفسهم- المسلمون الحقيقيون فقط، وهم بديل لأمة الإسلام، وشيء آخر غيرها، لأنهم يرون أن «الأمة الإسلامية» هي أمة سنّيّة (أمة أهل السنة) يسيطر عليها على مستوى القيادة وعلى مستوى القاعدة أهلُ السنة، وهم (الشيعة) يناضلون من أجل أن يصلوا إلى قيادة الأمة، فتكون لهم القيادة والريادة.!

ومعلومٌ أنهم يعتقدون كفرَ أهل السنة على العموم، وعندهم تفاصيل يُظهرونها والله أعلم ببواطنها تتعلق بعوامّ أهل السنة وجهلتهم، أما علماءُ أهل السنة وأهل التوحيد والتمسك بالسنة وما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهؤلاء عندهم كفارٌ قولا واحدًا..!

وهم يحبّون أن يطلقوا عليهم اليوم في عصرنا هذا أسماء مموّهة كعادتهم مثل: «الوهابيين»

و«التكفيريين» ونحوها، فضلا عن الاسم القديم المستعمل منذ القدم وهو «النواصب»، ومرادهم من ذلك واضح لجميع أهل العلم والفهم من أهل السنة لا يخفى..!

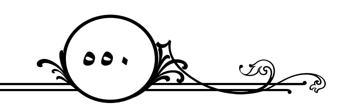
وهم يعتقدون أنهم لم يزالوا أقليَّة مضطهدة في أمة الإسلام من قِبَل جمهور المسلمين الذين هم أهل السنة، وقيادات المسلمين عبر التاريخ التي هي دولُ أهل السنة، من لدن دولة «الخلفاء الراشدين» إلى دولة «بني أمية» إلى دولة «بني العباس» وما بعدها أو في أثنائها من دويلات إلى دولة «العثمانيين» وإلى اليوم أيضا، باعتبار الدعوى والانتساب على الأقل بالنسبة لأكثر الدول المعاصرة، وإنما قامت لهم هم دويلات صغيرة محدودة في بقاع قليلة من رقعة بلاد الإسلام، وآخرها دولتهم اليوم في إيران.

(٦) وبالتالي فمن أجل تحقيق أغراضهم وغرضهم الأساسي والأصيل وهو الغلبة على أهل السنة والإمساك بقيادة الأمة الإسلامية فإنهم أنشأوا العديد من الوسائل لذلك من أهمها: إنشاء أحزاب ومنظمات شيعية من أهل نحلتهم في كثير من بلاد المسلمين، ولا سيما من البلدان التي لأهل نحلتهم فيها وجود كبلدان الجزيرة العربية والخليج ومعظم بلاد العجم الشرقية وغيرها، والغالب أنهم يسمّونها «حزب الله»، فما الحزب المسمى حزب الله في لبنان إلا أحدها، ولكنه أكبرها وأهمّها بسبب الظروف والفرص «الجيوسياسية» وغيرها.

وبالتالي أيضا فإن أي سياسات وأعمال جليلة يتظاهرون بها من مثل دعم وتبني القضية الفلسطينية وغيرها، فإنها منزّلة على هذا الأساس وعلى ما تقرر في النقاط السابقة، وما يتباهون به من ذكر قضية فلسطين والتركيز عليها في فكر وأعمال ومقالات إمامهم «الخميني»، كله لا يخرج عن كونه مثالا لسياستهم التي تحدثنا عنها، والخميني هو من أهم واضعي ومقرري هذه السياسة ومن أكبر أئمتها في العصر الحديث.!

❖ ضرورة ووجوب الإنصاف والقيام بالقسط مع كل أحد عدوّ أو صديق:

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾[المائدة]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾[النساء]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في سورة الأنعام [٢١، ١٣٥] ويوسف [٢٣] وغيرهما [القصص: ٣٧]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في سورتي البقرة [٢٥٨] وآل عمران [٦٨] وفي التوبة [١٩، ١٠٩] وغيرها [الصف: ٧،



الجمعة: ٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[يونس]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معروفة.

وأحاديث النبي ﷺ في هذا الباب كثيرة جدا، ومن أعظمها حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: (**يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا**..) الحديث رواه مسلم[1].

وعليه.. فإن الواجب هو الصدق في القول والإنصاف والعدل في الأحكام وفي كل تصرف، والقيام بالقسط، لا ظلم ولا وكس ولا شطط، بل نعطي كل شيء حقه ونضع كل شيء في موضعه على حسب ميزان العلم والعدل والحكمة كما علّمنا الله ﷻ وفتح علينا من فقه دينه، وله ﷻ المنة والفضل وحده.

وهؤلاء الرافضة من جملة من ابتليتْ بهم الأمة الإسلامية من فرق الضلالة والمروق من الدين وإفساد الملة المحمّدية.. فالواجب فيهم هو كالواجب في التعامل مع سائر خلق الله من مسلم وكافر من العدل والقيام بالقسط، فلا نظلمهم ولا نكذب عليهم ولا نعتمد في مواجهتهم أسلوبَهم وأسلوب غيرهم من الكذب والبهتان والافتراء والإفك، معاذ الله وحاشَ لله، وحسبنا الله ونعم الوكيل..!

فإن الكاذب والمفتري والظالم لا يهديه الله ﷻ ولا يوفّقه ولا يعطيه النجاح في عمله الدنيوي ولا يبارك له في سعيه، وإن ظهر في بعض الأوقات أنه نجحَ، لكنه يكون نجاحًا ظاهريًا أبترَ مقطوعَ البركة. ثم لا يهديه في الآخرة بل يكون عند الله من الممقوتين المستحقين للعذاب، والعياذ بالله.

فما نقوله فيهم هو ما أرانا الله فيهم، ملتزمين الصدق والعدل والتحقيق والتدقيق، لا نبغي غير الحق والحقيقة، ونصر الحق وأن نكون أنصارًا لله كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴿١٤﴾﴾وقال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج] وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة] ومن هنا حسُن في هذا المقام توضيح بعض المسائل ستأتي تحت العنوان التالي:

❖ حقائق وأوهام وتصحيحات:

▪ **الرافضة إذن لهم دين كما تقدّم، ولكنه دينٌ مبدّلٌ عن دين الله**، ومعنى كونه مبدّلا أنه ليس هو الدين الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ، فهم قد بدّلوه وغيّروه وطوّروه عبر الأزمنة والعصور، وأدخلوا فيه من البدع العظيمة الاعتقادية والعملية الكثير، فالتبديل واقع على مستوى الدين وهو

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).



التوحيد ومجمل الاعتقاد، وعلى مستوى الشريعة وهي الأحكام العملية، فإنك إذا نظرت فيما عندهم من الدين اليوم وجدتَ شيئًا مختلفا اختلافا كبيرًا -في كليات كثيرة وفي جزئيات غير منحصرة كثرةً- عن دين محمد ﷺ وأصحابه.

وهم ينطلقون من هذا الدين في وضع أجنداتهم السياسية واستراتيجياتهم كلها، بالإضافة إلى دوافع أخرى قومية وتاريخية حضارية وتوسعية، كما ذكرنا. ونحن عندما نتحدث عن الرافضة هنا ونقول إن لهم دينا صفته كذا وكذا، نعني بطبيعة الحال الرافضة المتديّنين، الذين يملكون زمام الحكم في إيران، وفي حزب الله اللبناني وغيرهما، ولا نعني الرافضة العلمانيين والمنسلخين عن الأديان أصلا، وهم كثُر عندهم كما هو الشأن في المنتسبين لأهل السنة.

- **البعد المليّ (القومي) الجاهلي التاريخي الفارسي** عند شيعة إيران على وجه الخصوص -وعند غيرهم من شيعة العجم بنسبة أقل وعند بعض شيعة العرب بنسبة أقل تأثرًا بالثقل الشيعي الفارسي- شيءٌ موجودٌ عليه دلائل لا تخفى على المتوسّمين.

فانظر إلى إحيائهم لتاريخهم الفارسي وعظيم اهتمامهم به، في مقابل انحصار تاريخ الإسلام عندهم في قصة الحسين وكربلاء وأمثالها، مع ما فيها عندهم من الكذب العظيم والافتراء والشطح والبهتان.!

وخذ هذه الأمثلة:

- يحترم الرافضة الإيرانيون ويعظمون عددا من الشعراء الفرس الإسلاميين وهم من أهل السنة انتسابًا، من أمثال «مولوي»، و«حافظ»، و«خيام» وغيرهم، لا لشيء إلا لأنهم فرسٌ، من دون ذكر شيء عن مذاهبهم؟

- تحرص دولة إيران على تسمية «الخليج العربي» بـ«خليج فارس»، وعندهم قانون يجرّم تسميته بغير ذلك، ويعاقب من يسميه الخليج فقط، بدون نسبة، فضلا عمن يسميه الخليج العربي، وعندما يريدون التعبير عن «دول الخليج العربية» يقولون: «دول خليج فارس العربية.!» ويعقدون المؤتمرات سنويا بعنوان: «الخليج فارسي أبدًا».! وهذه عندهم مسألة عظيمة ولها شأن كبير، وهي لا تعدو في الحقيقة أن تكون تسمية، فسمّه ما شئتَ، والأسماء تتغير عبر العصور والأزمان، ولها مناسبات تخصّ أحيانا وتعمّ أخرى؛ فأي ضيرٍ في تسمية لها مناسبة ووجاهة، ولا مانع منها لا شرعا ولا عقلا ولا أدبًا ولا حتى بالجغرافيا والتاريخ؟! وهل تستحق مثل هذه المسألة كل هذا التعنّت، لولا قوة القومية الجاهلية وعقلية الشعارات التافهة، وهم يظنونها من السياسات الحكيمة.!! سمّه ما شئتَ ما دمت

ترى أن التسمية الفلانية أنسب وأصدق، ودع غيرك يسمّيه بحسب ما يرى أيضًا، وقل لا مشاحّة، وإنما أنت إذا كنت تريد أن تكون قويًا ناجحا في ميدان الواقع، فالعمل هو المحك.

- ومن ذلك أيضا لو نظرت إلى شيعة إيران وهم دولة الشيعة في هذا الزمان، فانظر إلى قلة اعتنائهم باللغة العربية تعليمًا واحترامًا، وهذا شيء مشاهد معروفٌ عند من عرفهم، وقد كان لهم فرصٌ في التاريخ أن يجعلوا العربية لغة رسمية أو شبه رسمية، لكن أنى لهم ذلك ونار القوة القومية تحرق أفئدتهم.! وقد لوحظ أنهم في لغتهم يعبّرون عن العرب أحيانا على قلةٍ بلفظ «أعراب»، وظني والله أعلم أن ذلك من دسائسهم الخبيثة، فلعل بعض أحبارهم دسّها لهم في بعض مراحل تاريخهم، يغمزون بها في العرب ويتوصلون بها إلى رميهم بأنهم مجردُ أعرابٍ، ومعلوم الفرق في لغة العرب بين عربٍ وأعرابٍ، وأن الأعراب هم بادية العرب أهل الجفاء وقلة التمدّن، ولا أظنها من أصل لسانهم، فهي كلمة عربية فصيحة قديمة هم أخذوها من اللسان العربي، فهذا ظني فيما يتعلق باستعمالهم لهذه اللفظة في التعبير عن العرب، وإن كان الأمر يحتاج إلى مزيد تحقيق.

- وقد تحدث عددٌ من الدارسين للشأن الشيعيّ عن مسألة كراهية الرافضة للعرب، وإطرائهم «سلمانَ الفارسي» رضي الله عنه لأصله الفارسي، وميلهم إلى تعظيم «الحسين» أكثر من غيره كذلك لمصاهرته الفرسَ، وأشياء من هذا القبيل، أضف إليها ما في العديد من رواياتهم -عن أئمة آل البيت زعموا- في كتبهم المعتمدة كـ«الكافي» للكليني وغيره من الكلام الجافي عن العرب، يمكن مراجعتها في مواضعها، ولا ريبَ أن كل ذلك موضوع مكذوبٌ على آل البيت رضي الله عنهم وأنه من دسائس زنادقتهم الكبار مطوّري المذهب ومبدّلي الدين قاتلهم الله.!

- **العداء بين الرافضة وبين أمريكا وإسرائيل هو عداءٌ حقيقيّ،** مبناه من جهة الرافضة على أشياء: منها الدين أي دينهم المبدل الذي هم عليه وما فيه من بقايا دين الحق، ومنها لزوم ذلك بطبيعة الأشياء حيث إن الرافضة يريدون أن يجعلوا أنفسهم أمة الإسلام الحقيقية ويريدون أن يمسكوا بزمام القيادة في الأمة الإسلامية، وهذا لا بد وأن يلزم منه الاصطدام مع اليهود والنصارى، كما أشرنا في أول المقال، ومنها التاريخ والأطماع التوسعية والسيادية الإقليمية.

فمن ظنّ أنه لا عداء بين الرافضة وبين اليهود في دويلة إسرائيل، ولا بينهم وبين أمريكا، فقد أخطأ، ويرجع جزء من ذلك عند بعض الناس إلى تأثير ما يُسمى عند المثقفين بـ«نظرية المؤامرة» على العقل العربي والإسلامي والشرقي عمومًا، وهي من معاقد الخلل في ثقافتنا للأسف.! والله أعلم،

ولماذا يذهب الإنسان المسلم العاقل بعيدًا عن آيات الله في الكون، وهو يرى العداء بين ملل الكفر أمام ناظريه وعلى مدار التاريخ، فالصراع والعداء يكون بين الحق والباطل، ويكون بين أهل الباطل المختلفين: أهل باطل يصارعون أهل باطل، فأين الإشكالُ؟ والباطل أشكال وأنواع وسبُلٌ.

وقد يستشكل بعض المسلمين هنا أشياء نضربُ لها أمثلة:

فمن ذلك: ما صدر عن بعض كبار قياداتهم ومسؤوليهم السياسيين من تصريحات بأنهم أعانوا أمريكا في احتلال أفغانستان والقضاء على طالبان وكذا في العراق، كما قال «محمد أبطحي» وكان ساعتها معاونًا لـ«محمد خاتمي» رئيس الجمهورية في إيران حيث وقف -بفخر يحسده عليه العلمانيون العرب المتأمركون- في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سنويا بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء ١٥/١/٢٠٠٤م ليعلن أن بلاده «قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق»، ومؤكدا أنه «لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة»[(١)] اهـ[(٢)].

وهذا القول نفسه قاله قبله «رافسنجاني» الرئيس السابق ورئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام حاليًا حين صرح في خطبة الجمعة في جامعة طهران يوم ٠٨/٠٢/٢٠٠٢ بالقول: «إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها وإنه لو لم تساعد قوّاتهم في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني، ويجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أمريكا أن تسقط طالبان»[(٣)] اهـ.

وكرره «علي لاريجاني» مسؤول الأمن القومي في مؤتمر عقد بمدينة بيرن السويسرية في النصف الأول من شهر فبراير من هذا العام الإفرنجي ٢٠٠٧م، ونقلته وسائل إعلام متعددة.

وكرره «علي أكبر ولايتي»، وهو وزير خارجية سابق، ومستشار دبلوماسي لمرشد الثورة «علي خامينائي» حاليًا في فرنسا بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠٠٧م، كما نقلته «إذاعة البي بي سي» في تقرير مراسلها «محمد منير سراج» من باريس في برنامج عالم الصباح لليوم التالي ٢٢ فبراير.

---

(١) نقلا عن موقع مفكرة الإسلام، والخبر مشهور نقلته العديد من وسائل الإعلام. [المؤلف]

(٢) انظر تصريحات مماثلة له مصورة في شريط «مؤسسة السحاب الإعلامية»: «قراءة للأحداث»، وهو اللقاء الثاني للسحاب مع الشيخ الدكتور «أيمن الظواهري»، عند الزمن (١: ١٥: ٤٦) وما بعده، وراجع كلام «د. أيمن» في الموضوع في نفس الشريط. [المؤلف]

(٣) نقلا عن جريدة الشرق الأوسط بتاريخ اليوم التالي لتلك الجمعة، نقلته بواسطة عدة أبحاث ومقالات نقلت عن الجريدة المذكورة. [المؤلف]

فإذا أردنا تحليل هذه التصريحات، فيحسُن طرح بعض الأسئلة:

هل إيران فعلا ساعدت أمريكا في احتلال أفغانستان والعراق؟

ولماذا وعلى أي أساس فعلت إيرانُ ذلك؟

هل هو دليل على أنهم أولياء أصدقاء متحابّون، وأنه لا عداء بينهما في الحقيقة؟ أي هل هذا دليل على انتفاء العداء بين الطرفين؟

فالجواب عن السؤال الأول أن إيران أعلنت ظاهريًا أنها لا ولن تساعد أمريكا في غزوها لأفغانستان وللعراق، وبالفعل لا يُعرَف أنها ساعدت بشيء ظاهرٍ كبير، وما يُقال من أنها غضت الطرف عن استخدام الأمريكان لمجالها الجويّ في غزوهم لأفغانستان، فلا أعرفُ صحته، وهو إن حصل فيمكن تأويله بأنه واقعٌ من الأمريكان بدون إذنهم (الإيرانيين) وهذا غيرُ مستغرب، وأما شيء آخر من المساعدة والمعونة **فإيران ساعدت الأمريكان مساعدة أخفى قليلا وهي من نوعين:**

من النوع السلبيّ، وهو عدم المدافعة، فإيران التي تزعم أنها دولة إسلامية وتزاحم وتنافس على قيادة العالم الإسلامي لم تبدِ أي مدافعة من أي نوعٍ للأمريكان النصارى الغازين لبلاد المسلمين في أفغانستان والعراق، بل قد أبدت الفرحَ بذلك بناءً على أن الأمريكان سيخلّصونها من عدوّيها اللدودين وهما: نظام طالبان (إمارة أفغانستان الإسلامية) ونظام صدام حسين.

ومن النوع الإيجابي، وهي أنها ساعدت الأمريكان -في حالة أفغانستان على الأقل- بإغلاق الحدود والتضييق على طالبان، كما أن محاربة إيران السابقة لنظام «طالبان» وكيدها لهم واعتبارها إياهم عدوّا استراتيجيًّا، وتحالفها مع تحالف الشمال الأفغاني المخالف والمعادي لطالبان، ومساعدتها المستمرة لهذا التحالف وهو تحالف البنشيريين والطاجيك ومَن معهم بقيادة «أحمد شاه مسعود» عمليا، وبقيادة «برهان الدين رباني» نظريا، وهذا الأخير ذو علاقة جيدة مع الإيرانيين إلى حد اليوم، وقد كان يقيم لفترة طويلة في إيران كل ذلك يمكن أن يُعتَبر بمعنىً من المعاني من المساعدة للأمريكان على غزو أفغانستان، وهو أوضح منه في شأن العراق، لأنهم فيما يتعلق بالعراق بإمكانهم أن يقولوا إن صدام ونظامه عدوّ لنا حاربنا سنينَ طويلة وأضرَّ بنا كثيرًا وفعل وفعل، أما «طالبان» فليس لهم حجة في حربهم إلا عداوة الدين لا غير، وهو مثال ينضاف إلى أمثلة تناقضات الرافضة، ودلالة مضافة إلى الدلالات الكثيرة على أجندتهم الطائفية الشيعية، كما سبق الحديث عنها.

كما جهزت إيران قوات «محمد إسماعيل» التي هاجمت «هيرات» ثم سلمتها للصليبيين..

وفي العراق ساعدت إيران أمريكا من خلال دعمها للأحزاب الشيعية الحليفة لها، التي دخلت إلى

العراق على ظهور الدبابات الأمريكية.

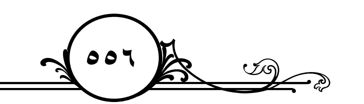
فهذه بعض أنواع المساعدة التي قدمتها إيران لأمريكا في هذين الحربين الصليبيّتين، مما عرفناه؛ فإن كان أولئك المتحدثون الشيعة يشيرون إلى مساعدات أخرى قدّموها في الخفاء، فهذا شيء آخر.!

وأما جواب السؤال الثاني.. فإن إيران ساعدت أمريكا المساعدة المشار إليها، أو غيرها مما يمكن أن يكون في الخفاء، لظنها أن في ذلك مصلحة لها؛ فإنها كانت ترجو أن أمريكا ستخلّصها من عدوّيها المَخوفيْن: نظام طالبان، ونظام صدام، وقد تمَّ ذلك إلى حد ما، ولكنها بطبيعة الحال ليست نهاية المطاف.. وهذا في الحقيقة مثالٌ للطبيعة الأنانية والانتهازية والظرفية في السياسة الرافضية، والأمثلة كثيرة جدا؛ ثم هو مثال أيضا لما يفعله البغض والحقد بصاحبه من العمى والسكرة والزيغ عن الصواب في تحقيق مصالحه، وإلا فحتى الكافر العاقل لو أنصف لعرفَ أن بقاء نظام طالبان (إمارة أفغانستان الإسلامية) في أفغانستان خيرٌ لإيران من احتلال أميركا لها، سواء بمعيار الشرع أو السنن الكونية، فبمعيار الشرع فإن المسلم خيرٌ وجوارُه خيرٌ والإسلام رحمة للعالمين، وبمعيار السنن فإن التاريخ شاهدٌ برحمة أهل السنة للرافضة.

لكن هذا التصرف من الرافضة مبني على أصل أصيل عند الروافض لا يتزعزع مهما حاولوا إخفاءه، وهو أن العدوّ الأول والأعظم لهم على مدار وجودهم وتاريخهم هو: أهل السنة، وأما النصارى واليهود فإنهم عدوٌّ سهلٌ وأهل كتابٍ يمكن موادعتهم والتعايش معهم، وأمرهم أهون من ذلك، هذا أصل عند الشيعة الرافضة، انبنت عليه مثل هذه التصرفات، فهم بكل بساطة يرون الآتي:

نظام «طالبان» لو تمكن وقويَ فإنه سيكون دعما لأهل السنة في إيران ولا سيما في الإقليمين المجاورين له وهما: بلوشستان وخراسان، وسيكون ذلك خطرا دائما وكبيرًا على دولتهم ونظامهم، لأنه سيجمع بين عناصر قوة متعددة: قوة العداء الديني والعقدي، وقوة الانطلاق من الداخل، وقوة العمق الاستراتيجي من خلال الجوار الأفغاني، أي دولة أفغانستان المجاورة المستقرة في يد أهل السنة المتدينين أهل التوحيد والتقوى؛ فمن أجل كل ذلك فإن الشيعة في دولة إيران يفضّلون بلا تردد أن يكونوا في صف أمريكا على أفغانستان، هذا لا يترددون فيه، لكنهم مع ذلك عندهم زوايا أخرى للنظر، فلا يمكنهم أن يظهروا في الصورة أمام الأمة الإسلامية بأنهم أولياء وأعوان لأمريكا، كما لا يمكنهم أن يقفوا مع أمريكا وقوفا كاملا لما تقدم من العداء بينهما للأسباب التي ذكرناها، فالموقف الإيراني إذن كان مبنيا على موازنة بين كل هذه التجاذبات.

والخلاصة.. أن الرافضة ينطلقون من مصالحهم الشخصية الطائفية، مصالحهم كشيعة وآمالهم



وطموحاتهم، فهم في الحقيقة شيء، وأمة الإسلام (أهل السنة) شيء آخر، ومهما حاولوا التمويه على ذلك؛ فإن تناقضاتهم تفضحهم والأحداث الكبرى في الوجود تكشفهم بسرعة.

وأيضًا فمن الجدير بالملاحظة أن من طرائق الدبلوماسية الإيرانية التلوُّن في المجادلة بالباطل وكثرة الدعاوى، وإظهار المنة على الخصوم، فهم يقولون للأمريكان من باب المحاجة لهم وإظهار أنهم لهم منة عليهم: لولانا نحن لما استطعتم كذا، ولما قدرتم على كذا، وهو سبيل فاشل على كل حال أشبه بأحوال أهل الخسة والضعة.! وبالتالي فإن السؤال الثالث يكون قد اتضحت الإجابة عليه.

ومما قد يستشكل أيضا: تصريحات لصبحي الطفيلي الزعيم السابق لحزب الله (١٩٨٩ إلى ١٩٩١) بأن «إيران خطر على التشيع في العالم ورأس حربة المشروع الأميركي، والمقاومة في لبنان خطفت وأصبحت حرس حدود لإسرائيل» اهـ يعني بالمقاومة منظمة حزب الله[(١)].

ومثلها تصريحات لـ«محمد حسين فضل الله» المرجع الشيعي اللبناني قال فيها: «إن الحوار لم ينقطع بين إيران وأمريكا في بعض القضايا التفصيلية هنا وهناك ما يوحي أن الحوار في التفاصيل قد يجعل فكرة الحوار في المبادئ أكثر واقعية»[(٢)] اهـ.

ومثلها تصريحات مشابهة أخرى لمسؤولين إيرانيين أيضا، وهذه مجرد أمثلة حاضرة؛ فكل هذا يجب أن يفهم في سياقه الصحيح، ومن الخطأ الاستدلال به على أن منظمة حزب الله عميلة لإسرائيل رأسًا وأنها حبيبٌ ووليّ لليهود، ولا أن إيران صديق لأمريكا وولي حميم، وأنه لا عداء بينهما، كما قد يستدل بذلك بعض الإخوة، هذا خطأ ينبغي أن يُصحّح.!

«صبحي الطفيلي» أولا هو الآن عدوّ لمنظمة «حزب الله» اللبناني، عداء شخصيا وطبيعيًا، بسبب الانقلاب عليه وإبعاده عن قيادة الحزب سنة ١٩٩١م، فهو خصم لهم وعدوّ وبإمكانه أن يقول عنهم أي شيء مما تسمح العوائد بمثله، ثم كلامه يمكن فهمه على المبالغة وأن المقصود أن هذه المنظمة صارت بسبب أفعالها وسياساتها (تفاهمات يوليو «تموز» ١٩٩٤ وتفاهم أبريل «نيسان» ١٩٩٦) وغيرها من التصرفات صارت كأنها حارسة لحدود إسرائيل، بالإضافة إلى كونها حارسة لإسرائيل من جهة أن محاولتها الانفراد بتلك الجبهة وبالتالي سعيها للقضاء على كل فصيل مقاوم هناك من أهل السنة من الفلسطينيين أو اللبنانيين، يؤول إلى ذلك، أي إلى حراسة إسرائيل، فهذا استدلال باللازم، ولا

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط/ العدد٩٠٦٧ الخميس٢٥ سبتمبر٢٠٠٣. [المؤلف]

(٢) حوار له مع صحيفة الخليج الإماراتية بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢١، نقلًا عن موقعه على الانترنت. [المؤلف]

يخفى أن مثل هذه الآراء والانتقادات يقولها حتى الوليّ لوليّه، وأما جريانها بين الخصوم فكثير جدًا، فلا يُفرَح بها كثيرًا.! ثم هل هو مصيبٌ محق في هذا أو لا، هذا نحن نقرر الجواب عليه بأدلتنا المستقلة.

وأما الأقوال الصادرة عن أقطاب الرافضة سواء من السياسيين الإيرانيين أو غيرهم المصرحة بوجود تحاور بين إيران وأمريكا، وحتى إسرائيل ربما، وأنها لم تنقطع، ونحو ذلك، فهي كذلك مما لا ينبغي للباحث أو للمناظر أن يعوّل عليه كثيرًا، ولا حاجة بنا إليه، فنحن متقررٌ عندنا بكل وضوح معالم وطبيعة السياسة الإيرانية والرافضية عمومًا من حيث: العقلانية المفرطة والبراغماتية والميكافيلية أحيانا، والأنانية والطائفية...! وبالتالي فوجود حوارات ولقاءات، ومحاولات من الطرفين لتحقيق بعض المصالح -وغالبها مصالح آنية- من ذلك، هذا شيء عادي جدًا، والطرفان (أمريكا والرافضة) يفعلانه بنفس مستوى النشاط أو الفتور.

وكل ذلك لا ينافي ثبوت العداء بينهما، ولا ينقض ما قررناه أعلاه، والعدوّ يحاور عدوَّه سرا أو جهرًا ويفاوضه، ويستغله ويمارس معه السياسة الانتهازية وغيرها، هذا غير مستغربٍ، لكن علينا أن نفهم ترتيب العداوات عند الإيرانيين والرافضة عمومًا، كما أشرتُ إليه قبل قليل.

❖ «البراغماتية» عند الرافضة:

لفظ «البراغماتية» لفظ مستعمل في الاصطلاح السياسي المعاصر، ومعناه على وجه التقريب: العقلانية المفرطة التي تراعي مصالحها ولو المؤقتة والعاجلة السريعة، وتتخلى في سبيل ذلك عن المبادئ والقيم والشعارات المعلنة، مع أن هذا المصطلح أيضا أحيانا يُستعمل استعمالا أكثر قربًا من معنى «الميكافيلية» والتي هي الإباحية السياسية ومبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، والرافضة عمومًا سواء تمثلوا في دولتهم إيران، أو في تنظيماتهم المعروفة كحزب الله، أو غيرها هم برغماتيون لدرجة شديدة.

فالإيرانيون شيعة رافضة اثنا عشرية إمامية، ومذهبهم معروف لنا جميعًا بكامل الوضوح، ومعتقدهم فينا معروف؛ معتقدهم في أهل السنة وخصوصًا فينا نحن السلفيين، واضح معروف، وطموحهم للسيطرة على العالم الإسلامي وتوقانهم إلى تولّي زمام القيادة للعالم الإسلامي، معروف كذلك، وكونهم أصحاب دينٍ طائفي قوميّ موضوع مخترع مصنوع بأهوائهم، كل ذلك معروف تمام المعرفة لدينا جميعا، وشعاراتهم التي يرفعونها معروفة...! ومع ذلك فإنهم مثلًا على أتم الاستعداد للتعاون مع أي عدوّ أو مخالفٍ لهم حتى مع أكثر الناس سلفية و«وهّابيّة» كما يسمّونهم، حيثما رأوا أن هذا التعاون والتعامل يحقق لهم مصلحة ولو مؤقتة، ثم ينبذونه في الوقت المناسب ويتنصّلون منه،

ويدفعون بمختلف أنواع الجدل.

والرافضة دينهم مبنيّ على التقية والكذب، فالتمثيل والتلاعب وإظهار خلاف ما يبطنون، والبشاشة في وجوه ألدّ الأعداء والخصوم، والاستعداد للتعامل معهم بلطف وبكل إظهار للودّ، هو من أيسر الأمور عليهم، هم متعوّدون ومربّوْن عليه، وهو متوارث فيهم، عميق في طباعهم.!

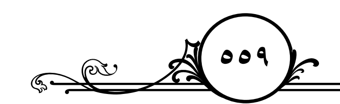
❖ سمة التناقض والغموض، والتقية والكذب والتمويه والتلاعب بالكلام والتصريحات:

هذه أيضًا من أظهر صفاتهم على المستوى السياسي والدبلوماسي؛ فهم متعوّدون على العيش في تناقض، ولا يكترثون كثيرا لظهور أبشع التناقضات في مواقفهم وسياساتهم وسائر أفكارهم وتصرفاتهم، فالواحدُ منا ربما تلوّن وجهه واحمرّ واخضر، إذا اضطرّ في بعض مواقف حياته لأن يكذب ولو كان مأذونًا له شرعا في الكذب، لكن لا تتوقع ذلك من الرافضة المتمرّسين بمذهبهم وسياستهم.! والرافضي بإمكانه أن يجيبك على أي سؤال لكنه لا يعطيك شيئًا، وطبيعة الغموض وعدم قدرة الآخرين على فهمهم هذه اشترك في إدراكها الشرق والغرب والكافر والمسلم.

ولا أظنني في حاجة إلى سرد الكثير من الأمثلة، فيكفي مثالا مواقفهم ما بين التحالف مع العدو الصليبي الأمريكي الغازي في العراق، وبين العداء له ومحاربته في لبنان، هذا عندهم شيء عاديّ جدا..!! وابحث أنت أيها القارئ الكريم عن أجوبتهم لحل هذا الإشكال، وانظر بمَ تخرجُ.!

وأما ما يتعلق بمواقف أقطاب الرافضة في إيران وفي لبنان وفي سائر البلدان من فرق الموت وما تمارسه من مجازر في حق أهل السنة في العراق، فهذا من أوسط الأمثلة، فهل سمعتَ ولو مرةً عالمًا كبيرًا شيعيًّا يستنكرها وينكرُ على فاعليها ويقول كلمة حق في شأنها وشأن أمثالها مما يتعلق بمعاملة أهل السنة في أي مكان في العالم؟ لن تجد إلا الإطباق على السكوت أو تكذيب الدعوى والإصرار على أن شيئًا لم يكن، أو تأويل الوقائع المستيقنة..!

أنت تجد عند أهل السنة عندما يخطئ أي تنظيم من التنظيمات الجهادية مثلًا فيرتكب أخطاءً من قتل دماء محرّمة أو نحو ذلك، ولو كان ذلك صادرا عن اجتهاد أو تأويل معيّن أخطأ فيه الفاعلُ، تجد أن علماء وقيادات متعددين من أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها ينكرون على المخطئ ويتبرّؤون من الخطأِ إحقاقا للحق وقيامًا بالقسط كما أمر الله ومحافظة على صفاء المنهج وسلامته من التحريف والدخيل، واقتداء بقول نبيهم وحبيبهم ومقتدَاهم الأمين رسول الله ﷺ حين قال: (**اللّٰهم إني أبرأ إليك**



مما صنع خالد)[(١)]، وهذا لما عندهم من الدين والتوحيد والتقوى لله ﷻ، جزاهم الله خيرًا.

لكن هل تجد هذا عند الروافض؟ ستتعب كثيرًا قبل أن تجد لهم مثالا يمكن بتكلف وتعسّف أن تدخله تحت هذا الباب.!

❖ دولة إيران نموذج للشيعة إذا حكموا:

ومن النماذج الأخرى حكومتهم في المنطقة الخضراء في بغداد اليوم، والنفوذ القوي لتنظيم حزب الله في أجزاء من لبنان.. وقد ظهر لكل من قاربهم أو ابتُلِيَ بهم وعرفهم، بل ولكل متابعٍ، كيف يعاملون أهل السنة على وجه الخصوص، وتذكر ما قلناه أن عدوّهم الطبيعي والحتمي هم أهل السنة، فهم يمكنهم أن يلاينوا وربما ينصفون أهل الأديان الأخرى من يهود ونصارى وغيرهم، لكنهم لا ينصفون أهل السنة.

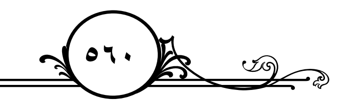
وهذه بعض الأمثلة على سبيل الإشارة:

- معاملتهم لأهل السنة في إيران؛ فإن هذه المعاملة تتراوح بين صفات: الظلم والعدوان والقهر والإفقار والتجويع والإهمال والتهميش، بالإضافة إلى التجهيل والقضاء على كوادرهم وعلمائهم بالقتل والسجون والنفي وغيرها، وقتل العلماء على وجه الخصوص لم ينقطع أبدًا ولا يزال مستمرًا، لكنه كان على أشده في السنين الأولى لانتصار ثورة «الخميني» وذلك في أثناء هيجان الثورة وفورتها وشرتها، وفي نشوة انتصارهم، وقد عملوا أيام الثورة وبعدها بقليل مجازر مفظعة في أبناء أهل السنة من البلوش والكرد والعرب وغيرهم، وقد آلوا بعدها في السنين الأخيرة إلى شيء أكثر من الواقعية!! وأدركتهم السنن، ولله والأمر من قبل ومن بعد.

وبالجملة.. فالنظام الرافضي الحاكم في إيران نظام مملوء بالظلم والفساد، ولا يريد وجه الله ﷻ ولا أن تكون كلمة الله هي العليا، بل يريدون أن تكون كلمتهم هم هي العليا، هذا لا يشك فيه من عرفهم، ومن عرفَ تعسّفهم وتحيّزهم ونصرهم لأهل ملتهم وإن كانوا من أفسق الناس، على أهل السنة وإن كانوا من خيار الناس، أدرك ذلك، وما أكثر الأمثلة والقصص في هذا لمن اطلع.! وانظر في ذلك أخبار أهل السنة في إيران في عدة مصادر، منها: «موقع رابطة أهل السنة في إيران» على الانترنت، وعدة مواقع للمعارضة السنية البلوشية والأهوازية وغيرها، كما قد كُتِبَ في ذلك عدة كتابات.

- معاملة تنظيم «حزب الله» للسنة في لبنان وبالأخص في ضاحية بيروت الجنوبية حيث معقلهم

(١) صحيح البخاري، معلقا (بعد حديث ٣١٧٢، ٦٣٤٠)، مسند أحمد (٦٣٨٢) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.



في العاصمة وفي جنوب لبنان حيث معقلهم الوطني، وهي لا تختلف كثيرا عن الصفات المذكورة في الفقرة السابقة إلا بحسب ما تختلف أحوال القدرة والتمكن، ومن صفات معاملتهم لأهل السنة: التهجير والتقتيل والتصفية حيث واتتهم الفرص التاريخية للقيام بذلك، كما حصل في أواسط الثمانينيات من القرن الإفرنجي الماضي، لأهل السنة من اللبنانيين والفلسطينيين، سواء على أيدي عناصر حركة أمل الشيعية أو على أيدي أفراد تنظيم حزب الله.

- وأما في العراق فالرافضة لم يتمكنوا التمكن الكامل ولا حتى ما يقاربه؛ ففعلوا الأفاعيل في أهل السنة مما هو صادر عن صفات الانتقام والغل والحقد وحب الثأر، فلم يستطيعوا التحكم في أنفسهم حتى يتمكنوا ويسيطروا، ولن يمكنهم ذلك، لأن نار الحقد والغل وطلب الثأر الذي تربّوا عليه أجيالا ضاربة في التاريخ، لا يمكن أن تسمح لهم بالاتزان ومِلك النفس، وقد انضاف إليها الغرور والتوهّمُ بأنهم قد واتتهم فرصتهم التاريخية، وأن أهل السنة ضعفاء ممزقون منهكون ولا بواكي لهم، فرأينا ماذا فعلوا..!

- ومن الأمثلة أيضا: عامة سياساتهم على مستوى حكوماتهم المؤقتة والثابتة، من زمن مجلس الحكم إلى حكومة نوري المالكي مرورا بحكومتي «علاوي» و«الجعفري»، بدءًا بتحالفهم (أكثرهم) مع الأمريكان، إلى وشايتهم بأهل السنة لديهم، والعمل مع الأمريكان لتدمير دولة السنة بحجة أنها نظام صدام حسين، فهم شركاء أساسيون للأمريكان في كل الأخطاء التاريخية التي ارتكبها الأمريكان بعد دخولهم بغداد، كخطأ حل وزارتي الدفاع والداخلية، أي الجيش والشرطة، وتدمير الدولة بصفة عامة ونهبها، ثم عملهم لتدمير مناطق أهل السنة وبناهم التحتية، ومحاصرتهم والتضييق عليهم وإهمالهم، تحت دعاوى محاربة الإرهاب.

- الإسراع بالسيطرة على جملة كبيرة من مساجد أهل السنة وأوقافهم.. يا قوم، انتظروا حتى تتمكنوا.! لم يستطيعوا الانتظار.!

- الاستعلان بكثير مما كانوا يستخفون به من الاعتقادات والأقوال، وقد صدرت عن كثير من أناس شبه رسميين منهم أقوال تعبّر عن كوامن ما يعتقدون، كذاك الذي قال: «أهل السنة يحكموننا منذ ألف وثلاثمائة سنة وقد جاءت فرصتنا لنحكم»، وهي مقولة كررها أكثر من ممثل لهم من شبه الرسميين.

- التقتيل والتنكيل والتهجير والتشريد الذي مارسوه على الفلسطينيين المستوطنين في العراق، ولا سيما بغداد، والدوافع لهذا التقتيل والتنكيل هي دينية بالأساس، ومعلومٌ أن الفلسطينيين كلهم من أهل

السنة، والرافضة ينظرون إليهم كأولياء لأهل السنة العراقيين وللدولة العراقية السنية.

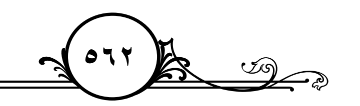
– فرق الموت، وما فعلته من تقتيل وإجرام وتهجير لأهل السنة الضعفاء، وهذه حكاياتها تحتاج إلى مجلدات لتأريخها، وحسبنا الله ونعم الوكيل..

– تصفية كوادر أهل السنة بشكل منظّم مدروس، من قبل قوات مليشيات جيش المهدي وفيلق بدر، وهذا بدأ مع بدايات انهيار نظام صدام وهو مستمر إلى الآن، وهذا ثابتٌ شائعٌ العلمُ به عند أهل السنة بكافة اتجاهاتهم.

– ومن آخر ما يمكن أن يذكر من الأمثلة في ذلك: تصرفهم المشين والطائش الدال على سيطرة القوة الغضبية الانتقامية وقوة الحقد الدفين والغل العظيم على أهل السنة، وطلب الثأر المزعوم منهم، وهو إعدامهم لصدّام حسين بتلك الطريقة التي تسربت بمكر الله بهم، ورآها العالم، وشاهدها أهل السنة في كل مكان، في يوم عيد المسلمين الكبير عيد الأضحى المبارك..! وبغضّ النظر عن الكلام في صدام حسين والموقف منه؛ فإن ما جرى من الرافضة في ذلك هو أنموذج ناطق بما ذكرنا من الحقد والغل والطيش وقلة مِلك النفس، وسرعة استجابتها لدواعي الغضب، وأيضا لسيطرة الغرور عليهم، وقد ظنوا أنهم ملكوا، وأيضا هو مؤشر لما يمكن أن يفعلوه في أهل السنة لو ملكوا زمام الأمر، مع دلالته على ضيق عطنهم وصغر نفوسهم وحقارتها حيث كان بإمكانهم في مثل هذه المقامات أن يظهروا العدل الكامل والنزاهة، فإن لم يغلّبوا العفوَ فلا أقل من التجرد في تحقيق الحق، ويجتنبوا أي إشارة تفهمها نفوس الخلق إلى معاني الثأر والانتقام والسخرية والتحقير والإهانة لأهل السنة، وبإمكانهم أن يعطوا نموذجا أكثر رجولية وعقلانية وكمالَ أخلاق وفضائل، من خلال تعاملهم مع مثل قضية «صدام» ومحاكمته والحكم عليه وتطبيق الحكم.. لكن كل ذلك ما كان ليحصل، لأنهم بعيدون كل البُعد عن أخلاق الملوك، إنما الأخلاق اللائقة بهم هي أخلاق السوقة وأهل الضعة والحقارة، من الجياع الذين يُخافُ منهم البطرُ والفساد إذا شبِعوا، والأنذال الذين يُخاف منهم الويلُ إذا مَلكوا..!! نسأل الله ﷻ العافية والسلامة.

❖ جمهورية إيران الشيعية، والمقاومة الشيعية في لبنان:

نعم هكذا ينبغي أن تُسمى، فليست هذه جمهورية إسلام، ولا تلك مقاومة إسلامية.! لكن هذا كله من مكر الرافضة ومن فنّ سياسة الكلمة والشعار التي يتقنونها وتمرّسوا فيها، والهدف دائما إظهار أنهم أهل الإسلام، وأنهم يمثلون دين الإسلام وأمة الإسلام، ليجدوا القبول من جماهير المسلمين الذين هم



أهل السنة، وإلا فلو قالوا إنهم شيعة لوجدوا التوجّس والتحفظ على الأقل، وهذا يتماشى أيضا مع اعتقادهم بأنهم هم المسلمون الحقيقيّون أهل الحق، خابوا وخسروا..!

وقد كانت لهم بعض التجارب أيضا تعلّموا منها أنهم يجب أن يستعملوا اسم الإسلام دون اسم الشيعة، فكان اسم «حركة أمل الشيعية» في لبنان مثلًا خطأ، عملوا هم فيما بعد على تفاديه بإنشاء «حزب الله»، ولهم تجارب أخرى مشابهة.

وهكذا ينبغي أن تسمّى ثورة الخميني: «الثورة الشيعية في إيران»، فإنها ثورة شيعية خالصة، لا تمثل الإسلام دينَ الله الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، كيف وهي ثورة جاءت لتنصر الشرك ودعاء الأئمة والاستغاثة بهم وتعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها مساجد وأعيادًا، والنواح الدائم على الموتى في جملة عظيمة من الابتداع في الدين، وسبّ أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم الذين حملوا إلى البشرية الدين والقرآن، وتكذيبهم وتخوينهم وتفسيقهم أو تكفيرهم، والطعن في عرض النبي ﷺ ورمي أزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات بالبهتان المبين، والإيمان بجملة الاعتقادات الباطلة المصادمة لدين محمد ﷺمن عصمة أئمتهم وعلمهم بالغيوب وإحيائهم للموتى وتدخلهم متى شاءوا في شؤون العالَم وتدبيره، وغير ذلك مما يعلم جميع أهل الأرض من مسلم وكافر أنه مناقض لدين الإسلام، وأن محمدًا ﷺ بُعِثَ بخلافه.!

❖ حزب الله اللبناني:

وهنا نكون قد وصلنا إلى الكلام عن تنظيم «حزب الله» اللبناني ووضعناه في سياقه الطبيعي، واختصرنا الطريق أيضا بالاستغناء عن كثير من التطويل في جمع الأبحاث والمقالات والوثائق والتصريحات وغيرها؛ فإن هذا الحزب ما هو إلا منظمة شيعية هي وسيلة وأداة لخدمة أجندة واستراتيجية الرافضة، وهي إيرانية خمينية قبل أن تكون لبنانية؛ ولذلك كان الناطق باسم الحزب «إبراهيم الأمين» صادقا حينما قال في إحدى المناسبات اللبنانية في شهر مارس من سنة١٩٨٧: «نحن لا نقول إننا جزء من إيران، نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران»[1] اهـ. ومثل هذه العبارة التي قالها «إبراهيم أمين» تصدر منهم أحيانا في مواقف معينة تحت طائلة مشاعر من التحدّي والتعزز.!

ويقول «حسن نصر الله»: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام والدولة التي تناصر المسلمين والعرب! وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن

(١) صحيفة النهار اللبنانية، بواسطة مصادر متعددة. [المؤلف]

المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»، ويقول أيضا: «وفي وقت الاجتياح الاسرائيلي كادت الحرب تتسع وتطول سوريا وتصبح إقليمية، إذ أتت قوات إيرانية إلى سوريا ولبنان للمساعدة، وهذه القوات هي التي تولت تدريب مقاتلينا»(١) اهـ.

وقد جاء في بيانٍ تعريفيّ صادر عن الحزب سنة ١٩٨٥م بعنوان «مَن نحن وما هويتنا» ما يلي: «إننا أبناء أمة «حزب الله» التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة، تتمثل بالوليّ الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضرا بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله «الموسوي الخميني» دام ظله، مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة»(٢).

ومعلومٌ أن «حسن نصر الله» هو وكيل آية الله العظمى مرشد الثورة الإيرانية «علي خامنائي»، كما هو منصوص عليه عندهم.. وقد كان التدخّل الإيراني حسيًا وظاهرًا في نشوء الحزب وتأسيسه وإلى زمنٍ غير بعيد من تاريخه، من خلال وجود أفراد من الحرس الثوري الإيراني أعضاء في مجلس شورى الحزب، إلى أن تغيّرت فكرة القوم ورأوا إبعاد اليد الإيرانية الظاهرة، بسبب ضغوط الرأي العام اللبناني والعربي والحرج الذي يلاقونه حين يُنعتون بعدم الوطنية، وبأنهم حزبُ إيران في لبنان وما شابه ذلك.. وعندي أنه لا يُستبعدُ أن يكون من الدوافع أيضًا نوعٌ من الرغبة في الاستقلالية الشخصية عند «حسن نصر الله» وشيعة لبنان، لا سيما وأنه مع مرور الوقت وقسوة الواقع فترت عند القوم جذوة حماسة الثورة الإيرانية ووهج شعاراتها، وصاروا أقرب إلى التفكير العقلاني والواقعية، إن صحّ التعبير.! والمصادر التي تدوّن لتاريخ نشوء الحزب على أيدٍ إيرانية، والوثائق في ذلك كثيرة معروفة.

يُراجع كتاب: «حزب الله.. رؤية مغايرة» لعبد المنعم شفيق، الجزء الرابع تحت عنوان: «الغزو الإسرائيلي للبنان والتحالف»، ومما جاء فيه: «كان لغزو ١٩٨٢م تأثير عميق على وجود إيران في لبنان عن طريق توسيع دورها في الصراع العربي الإسرائيلي؛ فإن الغزو قد وفر الفرصة للمساهمة الإيرانية المباشرة الأولى في المجهود الحربي الداعم للحركة الشيعية في لبنان على شكل وحدة عسكرية صغيرة نسبيًا مكونة من ١٥٠٠ عنصر من «الباسداران» (الحرس الثوري الإيراني) الذين سُمح لهم بالدخول عن طريق سورية إلى البيئة الصديقة في وادي البقاع، وقبل ذلك الوقت كانت الجهود الإيرانية لإقامة

---

(١) مجلة المقاومة: العدين٢٧و٣١، بواسطة: «رؤية مغايرة» للأستاذ عبد المنعم شفيق. [المؤلف]

(٢) نقلا عن مصادر متعددة، منها كتاب: «ماذا تعرف عن حزب الله» تأليف: علي الصادق، وموقع قناة الجزيرة. [المؤلف]

وجود عسكري مستقل في لبنان قد صُدَّت من قِبَلِ الأسد نفسه، لكن الموقف السوري بعد الغزو الإسرائيلي ربما أضحى أقل مقاومة لعروض المساعدة الإيرانية من ذي قبل.

من وجهة نظر إيران فإن وجودها الجديد في لبنان أنتج نقطة التَّماسِّ المباشر الأول بين النظام الثوري وطائفة شيعية كبرى في العالم العربي، ومنذ ذلك الحين غدت إيران لاعبًا قياديًا في شؤون هذه الطائفة التي تمثِّل قاعدة ممكنة لمدّ نفوذها إلى قلب الصراع العربي الإسرائيلي.

في ذلك الوقت بدأ تقاطع المصالح والتوجهات بين سورية وإيران بالاتساع؛ ففي حملتها لإخراج الإسرائيليين من لبنان كانت الدوافع المباشرة لسورية دوافع استراتيجية؛ فالوجود العسكري الإسرائيلي في النصف الجنوبي من لبنان -وعلى الأخص في وادي البقاع- قد وضع العمق السوري تحت تهديد مزدوج؛ فلأول مرة كانت دمشق معرضة لخطر مزدوج محتمل من الجولان والمواقع الإسرائيلية الأمامية في لبنان، إضافة إلى ذلك؛ فقد كان هناك التهديد الجيوسياسي النابع من وجود نظام موالٍ لـ «إسرائيل» وموال للغرب في لبنان.

إن القلق السوري حول إمكانية العزلة الإقليمية ومخاطر الصفقات الثنائية العربية الإسرائيلية المستقلة كان آنذاك المحدد الأساس لسياستها الخارجية؛ فوجود لبنان في الفلك الإسرائيلي الأمريكي سوف يزيد من ترجيح كفة التوازن الإقليمي المائل أصلًا بشكل غير مرغوب فيه عن طريق إكمال التهديدات العراقية والإسرائيلية بتطويق محتمل من الغرب.

كما أن ارتداد لبنان سوف يضيف ثقله إلى خسارة مصر، ومع الأخذ بعين الاعتبار الموقف المشكوك فيه للأردن، وفي ظل هذه الظروف فإن رغبة سورية في تقوية روابطها مع إيران ليست مفاجئة. استطاعت سورية الاعتماد على إيران لتأمين المساعدة المادية على شكل معونة اقتصادية، وقوة بشرية على شكل جماهير محلية مهيأة، وتحريض يمثل وجهة نظر «راديكالية» معادية لـ«إسرائيل» وللغرب، ومصدر جديد للضغط والتهديد المحتمل لإلهاء كل خصوم سورية الإقليميين والدوليين تقريبًا، مع الحفاظ في الوقت ذاته على مسافة مادية وتاريخية كافية لتفادي أن تصبح قوية أكثر مما يجب أو مستقلة أكثر مما يجب على الحلبة الداخلية لسورية.

وبين أغسطس ١٩٨٨، وأغسطس ١٩٩٠م كان هناك عدد من التطورات التي أثرت على العلاقة السورية – الإيرانية؛ فمع انتهاء الحرب الإيرانية – العراقية بدت قوة العراق بشكل ملحوظ في وجه كل من سورية وإيران؛ فالعراق لم ينجح فقط في فرض نهاية مذلة للحرب، بل كان في موقع جيد جدًا لجني أفضل فائدة من التأييد الدولي والعربي الواسع للقيام بدور القوة العربية الكبرى المتربعة على

الخليج والمشرق، لذلك فقد قويت دوافع إيران للتمسك بالتحالف مع سورية بفعل تضافر عدة عوامل، والتي منها: ضعفها مقابل القوة العراقية والانتشار العسكري الأمريكي في الخليج والعزلة الإقليمية والدولية.. وبالمثل فقد كانت سورية مدفوعة بمصلحتها التقليدية في احتواء العراق والحفاظ على دورها الفريد في لبنان، بيد أن عوامل أخرى كانت تفعل فعلها، أولها وأهمها: التغيرات في علاقات الشرق بالغرب، وإبعاد التنافس الأمريكي السوفييتي من المنطقة؛ فقد بدأت علاقات سورية السياسية والاستراتيجية الطويلة الأمد مع الاتحاد السوفييتي بالتآكل مع مجيء الرئيس «غورباتشوف» في منتصف الثمانينيات والامتناع السوفييتي المتزايد عن إمداد المجهود الحربي لسورية أو تدعيم اقتصادها المتوعك.. هذا الحلف الإيراني السوري كان له مركز هام لإظهار نتائجه، فكان لبنان هو مطبخ هذا الحلف الذي تشتم منه رائحة الصفقات والاتفاقيات، وبهذا فقد تم ربط لبنان بهذا الحلف شاء أم أبى» اهـ.

وكتب «ناجح عليّ» الذي كان مراسلا لعدة وسائل إعلامية في إيران، في مقال نشرته «وكالة الأنباء السويسرية» وغيرها بعنوان: «حزب الله بين حسابات لبنانية وأجندة إيرانية»: «فقد مرَّ حزب الله بمرحلة مهمة من حياته التأسيسية، كان ممثل الولي الفقيه الإمام «الخميني» جزءا فاعلا وقويا من مجلس شورى الحزب، الذي كان يحضر اجتماعاته مسؤولون إيرانيون، إلا أن آية الله «علي خامنئي» وافق على طلب من شورى الحزب بتأثير مباشر من نصر الله بالتخلي عن ممثله وإلغاء هذا الدور الإيراني، ليرتدي حزب الله خصوصيته اللبنانية بعيدًا عن وصاية ممثل الولي الفقيه وعباءته، وعن تدخّل الحرس الثوري الذي كان أرسل في السابق وبُعيد الاجتياح الإسرائيلي إلى لبنان عددا من قيادييه ورجالاته لدعم مقاومة حزب الله وتنظيم دورات تدريبية لعناصره» اهـ.

❁ النشأة والظهور للوجود؛ ولادة «حزب الله» من رحم «حركة أمل» الشيعية:

أشير أولا إلى أن تسمية هذا التنظيم بـ«حزب الله» هي من الباطل، وأنه كان ينبغي أن ينسبوا ويضافوا إلى الشرك والضلال لا إلى الله تبارك وتعالى وتقدس ﷻ عن الشرك واتخاذ الشركاء.

الأسباب المعلنة لنشأة الحزب: نستطيع العثور على كلام كثير لهم ولغيرهم في هذا.

وهذا مثال يُجمل قولهم في المسألة: «... في عام ١٩٨٢، انسحب[(١)] مع مجموعة كبيرة من المسؤولين والكوادر من حركة أمل اثر خلافات جوهرية مع القيادة السياسية للحركة آنذاك حول سبل مواجهة

(١) أي حسن نصر الله. [المؤلف]

التطورات السياسية والعسكرية الناتجة عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان» اهـ[١].

مثال آخر:[٢] «ظروف النشأة: سبق الوجود التنظيمي لحزب الله في لبنان والذي يؤرخ له بعام ١٩٨٢ وجود فكري وعقائدي يسبق هذا التاريخ، هذه البيئة الفكرية كان للشيخ حسين فضل الله دور في تكوينها من خلال نشاطه العلمي في الجنوب. وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ بقيادة آية الله الخميني دافعا قويا لنمو حزب الله، وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين. وقد جاء في بيان صادر عن الحزب -في ١٦ فبراير «شباط» ١٩٨٥- أن الحزب «ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله «الموسوي الخميني» مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة».

معظم أفراد الحزب هم من اللبنانيين الشيعة المرتبطين مذهبيًا بإيران، حيث يعتبرون آية الله «علي خامنئي» مرشد الثورة الإيرانية واحدًا من أكبر المراجع الدينية العليا لهم، ويعتبر الشيخ «حسن نصر الله» الأمين العام لحزب الله الوكيل الشرعي لآية الله «علي خامنئي» في لبنان.. هذا الارتباط الأيدولوجي والفقهي بإيران سرعان ما وجد ترجمته المباشرة في الدعم السريع والمباشر من الجمهورية الإسلامية وعبر حرسها الثوري للحزب الناشئ.

تشكل الحزب في ظروف يغلب عليها طابع المقاومة العسكرية للاحتلال الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان عام ١٩٨٢، ولذلك فالحزب يبني أيدولوجيته السياسية على أساس مقاومة الاحتلال؛ وكانت أولى العمليات الناجحة التي قام بها الحزب وأكسبته شهرة مبكرة في العالم العربي، قيامه بنسف مقر القوات الأميركية والفرنسية في أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٨٣، وقد أسفرت تلك العملية عن مقتل ٣٠٠ جندي أميركي وفرنسي» اهـ.

الأسباب الباطنة لنشأة الحزب، والتي يمكن أن نفهمها بدلائل كثيرة من أنواع الدلالات المشار إليها، وهو ما يقوله محققو كتّاب ومفكري المسلمين (أهل السنة): وهي تتمثل باختصار في تصدير الثورة الشيعية، وخدمة الاستراتيجية الشيعية الكبرى التي تحدثنا عنها، بحيث يكون «حزب الله» أداة للحركة الشيعية الكبرى في لبنان وعلى مقربة من القدس أهم قضية إسلامية، وللتغلغل الشيعي في جسد الأمة الإسلامية، وبعبارة أخرى: حرص إيران على أن يكون جنوب لبنان منطقة نفوذ لها

---

(١) عن موقع «مقاومة» على الانترنت، وهو موقع شبه رسمي لـ«حزب الله»، تحت تبويب «السيرة الذاتية للأمين العام»: «نبذة عن حياة سماحة الأمين العام السيد حسن نصر الله». [المؤلف]

(٢) عن موقع «الجزيرة نت»، المعرفة: «حزب الله النشأة والتطور». [المؤلف]



وللشيعة، وهو ما أكدته سياسيا تفاهمات يوليو (تموز) ١٩٩٤ وتفاهم أبريل (نيسان) ١٩٩٦، والاستعاضة عن تنظيم حركة أمل الشيعية لأنها غير نافعة، لأسباب كثيرة:

منها: أنها شُوّهت صورتها بالجرائم الفظيعة التي ساهمت في ارتكابها بالتواطؤ مع حزب الكتائب اللبناني النصراني ومع اليهود في حق أهل السنة من الفلسطينيين في المخيمات، وفي حق بعض أهل السنة اللبنانيين أيضا.

ومنها: أن حركة «أمل» علمانية الطابع إلى حد كبير منذ نشأتها أو هي خليط بين العلماني والديني الشيعيّ، فكان هذا خللا يوجب استبدالها بعد انتصار الثورة الشيعية في إيران وانتصار مبدأ ولاية الفقيه والتيار الديني الشيعي عمومًا.

ومنها: أن حركة «أمل» كان عندها نوعُ استقلالية، والمراد الآن إيجاد حزبٍ يكون تابعا وواليا بشكل مطلق لإيران وثورتها، بالإضافة إلى أن انتصار «الثورة الشيعية الخمينية» في إيران قد ألهب مشاعر الشيعة في كل مكان، واستثار طموحاتهم بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث، فكانت أفكار جماعة كبيرة مؤثرة من رجالات الشيعة ممن كانوا في حركة أمل أو خارجها تتجه إلى الكون مع الثورة الإيرانية والتجنّد تحت رايتها والإيمان بنظرية «ولاية الفقيه» التي تقتضي فيما تقتضي مبايعة الوليّ الفقيه (وهو الخميني ساعتها) والصدور عن قوله وأمره، والعمل في نطاق مشروعيته لا غير، ومعروفٌ الجدل الفقهي والفكري الكبير الذي ثار حول هذه النظرية بعد نجاح ثورة «الخميني»، والانقسامات التي حدثت في الوسط الشيعي بسببها وحولها.

فهذه إذن هي حقيقة الحزب الرافضي المسمّى بـ «حزب الله».

ولا يخفى أن التسمّي بهذا الاسم «حزب الله» دليل على قلة الفقه في الدين، وأنى لهم الفقه في الدين وهم أهل الشرك ودعاء غير الله والاعتقاد بالباطل المبين وتكذيب القرآن.! وإلا فكيف يسوغ لمسلم أن يسمّي تنظيمه الخاصّ الذي يؤسسه هو وينشئه؛ يسمّيه «حزب الله»، وهو يعلم أن «حزبَ الله» هو اسمٌ شرعيّ قرآنيّ للمؤمنين جميع المؤمنين أهل التوحيد والتقوى وطاعة الله ﷻ والعمل الصالح في مقابل اسم «حزب الشيطان» الذي هو اسمُ الكفار أهل الشرك والتنديد والإلحاد والإفساد في الأرض بالكفر والعصيان.! كما قال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المجادلة]، وقال ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ [المائدة]

فتسمية تنظيم بشريّ خاصّ وتشكيل سياسي خاص ومرحلي من وضع الإنسان وصياغته.. تسميتُهُ باسم «حزب الله»، تسميةٌ أقلُ أحوالها الكراهة الشديدة، لما فيها من التحجير والتزوير والتغيير لمعاني الأسماء التي وضعها الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولما فيها من تعريض الدين للإفساد والتشويه حين تنسحِبُ أخطاء البشر وفسادهم هم على الأسماء الشرعية، هذا إذا كان صاحبها مسددًا من أهل الصلاح، فأما إذا كان صاحبها من أهل الشرك والابتداع والضلال والمروق من الدين، كما هو الحال هنا في موضوعنا، فوالله إن هذه التسمية لمن أبطل الباطل وأعظم شهادة الزور، نسأل الله العافية والسلامة.!

وإذا تقرر لدينا كل ما تقدم.. فإنه يسهل علينا معرفة لماذا يهتم هذا الحزب بالقضية الفلسطينية وبقضية مقاومة العدوّ الإسرائيلي، ويكون كل ذلك قد وُضِع في مكانه الصحيح من الفهم؛ فلا يمكن لحزب الله اللبناني إلا أن يجعل القضية الفلسطينية وقضية مقاومة المحتل اليهودي من أولى اهتماماته، لأنها هي المدخل لخدمة استراتيجية الرافضة التي تحدثنا عنها، فهو يبني مجدًا، وينشر دينه، ويتوسّع على مستوى الأمة الإسلامية، ويؤسس للقيادة الرافضية المأمولة عندهم وزعامة الأمة الإسلامية التي هي حُلُمهم الأبديّ.! ولا بد إذن من دعم المقاومة في فلسطين..! لكن من شرط ذلك أن تكون هذه المقاومة قابلة لذلك، وهو الذي كان.

فقد صادف -والأمر لله ﷻ من قبل ومن بعد- أن المقاومة في فلسطين في العقدين الأخيرين من الزمان كانت في جزئها الأكبر مقاومة إسلامية من النوع الذي يسهل على الرافضة التعامل معه، وهم «الإخوان المسلمون» المتمثلون في «حركة حماس»، وأشباهٌ لهم وإن اختلفت أسماؤهم وهم حركة «الجهاد الإسلامي»؛ فسهل على الرافضة في دولة إيران وذراعها القريبة «حزب الله اللبناني» أن يشرعوا في برنامج قويّ للتعاون والتدخل والتغلغل عبر هاتين الحركتين، حتى صاروا بفضل هذا التعاون والتحالف، وفي ظل غياب دولة حقيقية للإسلام والسنة، وخيانة دول العرب والمسلمين الموجودة وتخلّيها عن فلسطين وجريانها وراء المشاريع الأمريكية والغربية ولهثها وراء التطبيع مع العدوّ اليهودي، صاروا (أعني الرافضة) هم الداعم «الإسلامي» الأول والراعي للقضية الفلسطينية،

فهي إذن في جزء لا بأس به منها عملية ملء فراغ تاريخي.!

فمدخل «حزب الله اللبناني» إذن إلى فلسطين هو هاتان الحركتان: «حماس»، و«الجهاد الإسلامي»، وهما يتحمّلان وزر إدخال التشيع ومذهب الرفض إلى فلسطين إن دخل، وهما يتحمّلان وزر دعم استراتيجية الرافضة التي تحدثنا عنها، ويتحمّلان وزر نصرة الرافضة ومعاونتهم ورفع رايتهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا ينفع الاعتذار بالحاجة الشديدة أو الضرورة؛ فلا ضرورة تلجئ إلى أمثال هؤلاء، بل البدائل المشروعة متوافرة لمن صدق واتقى، ولله الحمد، ثم إن هناك فرقًا شاسعًا بين أن تتلقى دعمًا ماليا أو عسكريا من أمثال هؤلاء في حال الشدة والإضرار، وبين أن يتنازل المرءُ عن ثوابت عقيدته ويسمح لأهل الشرك والضلال أن ينفذوا من خلاله إلى المسلمين وأجيالهم، فهذا ضلالٌ مبينٌ وتفريطٌ في الدين، مع أنه لو تمسك التنظيمان المذكوران بعقيدتهم لاضطرّ الشيعة الإيرانيون لمساعدتهم لحاجتهم لدخول الميدان الفلسطيني، ولكن يبدو أن التسابق بين التنظيمين على الاستحواذ على المساعدة كان هو المصيبة.!.. معلوم أن لحزب الله أجندتين: محلية، وعالمية، وكلاهما يندرجان تحت الاستراتيجية الشيعية التي تحدثنا عنها، أما الأجندة المحلية فتطورت عبر السنين وبمساعدة عوامل الزمن من السعي إلى تقوية الوجود الطائفي الشيعي في لبنان، إلى المشاركة السياسية في الدولة اللبنانية إلى محاولة الاستيلاء على السلطة ربما، كما يجري الآن في هذه الأثناء ومنذ حوالي شهرين من اعتصامات ومظاهرات للمعارضة اللبنانية التي يقودها حزب الله وحلفاؤه: «حركة أمل»، و«التيار العوني النصراني» وآخرون.

وقد جاء في النبذة عن «الحزب» في موقع «الجزيرة نت»: «يميز حزبُ الله في تحركاته السياسية على الساحة اللبنانية بين الفكر والبرنامج السياسي، فيرى أن الفكرة السياسية لا تسقط إذا كان الواقع السياسي غير مواتٍ لتطبيقها، كما هو الحال بالنسبة لفكرة إقامة دولة إسلامية في لبنان، يقول «حسن نصر الله»: نحن لا نطرح فكرة الدولة الإسلامية في لبنان على طريقة الطالبان في أفغانستان؛ ففكرة الدولة الإسلامية في لبنان حاضرة على مستوى الفكر السياسي، أما على مستوى البرنامج السياسي فإن خصوصيات الواقع اللبناني لا يساعد على تحقيق هذه الفكرة، فالدولة الإسلامية المنشودة ينبغي أن تكون نابعة من إرادة شعبية عارمة، ونحن لا نستطيع إقامتها الآن لحاجتها إلى حماية» اهـ.

وأما الأجندة الإقليمية أو العالمية للحزب.. فهي ما تحدثنا عنه مرارًا من الاستراتيجية الرافضية الخمينية لنشر التشيع والوصول إلى الغلبة على أهل السنة والإمساك بقيادة الأمة الإسلامية.!

وكلا الأجندتين المحلية والعالمية بحاجة شديدة إلى تبني خيار مقاومة العدو الإسرائيلي ودعم المقاومة الفلسطينية وتبني قضية فلسطين والسعي لتحريرها، لأنه السبيل إلى بناء مجد للشيعة في الأمة وكسب ثقة جماهير المسلمين (غالبهم أهل سنة)، ولأنه يعطي فرصة للتكوين الاجتماعي والسياسي والعسكري، ويسمح باستمرار تسلّح الرافضة وسيطرتهم على مقاطع مهمة من لبنان، واستمرار عملهم الدعوي (نشر التشيع) لأنهم بدون قضية المقاومة وتحرير فلسطين سيفقدون الكثير من الفرصة.!

هناك دافع آخر خاصّ عند الرافضة أو عند بعضهم على الأقل وقد تحدث عنه جماعة من المطلعين وذكروا أن «حسن نصر الله» زعيم الحزب، و«أحمدي نجاد» الرئيس الإيراني الحالي ممن يؤمنون به، وهو الاعتقاد بأن تحرير فلسطين من أيدي اليهود الغاصبين هو مقدمة لازمة لخروج المهدي السردابي المنتظر الذي تؤمن به الرافضة، فالسعي إذن لتحرير فلسطين هو أيضا من أجل التعجيل بفرَجِ مهدّيهم كما يعتقدون.!

❁ محاور ووسائل سياسة حزب الله اللبناني تجاه القضية الفلسطينية:

ومن أهم وسائل حزب الله اللبناني لتجسيد سياسته تجاه فلسطين النقاط التالية:

- تبني القضية والاهتمام بها ودعمها وجعلها -بحسب الدعوى والتظاهر على الأقل- من أهم أولوياتهم.

- العمل على احتواء حركتي «حماس» و«الجهاد».. في لبنان، ثم في إيران، وفي سوريا، وتقوية العلاقات بهم إلى درجة عالية جدا، والتأثير عليهم، وملء الفرغ العربي والإسلامي.

- السعي لربط الحركتين المذكورتين بدولة الرافضة (إيران) ومراجعها الدينية والسياسية والفكرية.

- وعن طريقهما: محاولة التغلغل الديني المذهبي والفكري الشيعي إلى فلسطين، وقد يكون حصل لهم من ذلك بعضُ الغرض من خلال تشيع بعض الأفراد من حركة الجهاد الإسلامي، على ما نُقل، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- اصطناع الأولياء وشراء الذمم، سواء في فلسطين أو في الشتات الفلسطيني في لبنان وسوريا وإيران على وجه الخصوص، وفي غيرها أيضا، ومسألة شراء الذمم واصطناع الأولياء هذه بارزة جدا في سياسة «حزب الله اللبناني» حتى فيما يتعلق بأهل السنة في لبنان، ومن أمثلتها المشهورة: «ماهر حمود» في صيدا بالجنوب اللبناني، وهو كان من مؤسسي «حركة التوحيد»، اصطنعه حزب الله اللبناني



ويغدق عليه الأموال ويوفر له الحراسة والحماية وكل أنواع الدعم، ويستفيدون منه جدا في نشر مذهب التقارب والوحدة كما يسمونه وتحسين صورتهم والدعاية لهم.!

– تقديم المساعدات السخية للفلسطينيين الذين يرجون منهم خدمة سياستهم واستراتيجيتهم، كبعض قيادات «حماس» و«الجهاد الإسلامي» في لبنان وسوريا، وأما في إيران فإيران هي أستاذتهم في ذلك، وأعمالها في هذا معروفة مشهورة، مع أن دعمها في أغلبه لا يعدو الفتات والوعود غير المنجزة والدعاية.!

– مجموعة من الدعاوى والتمويه والكذب على عادتهم، والممارسات الإعلامية والدعائية عبر منابرهم الإعلامية كـ«قناة المنار» وغيرها، التي تجعل منهم الداعم الأساسي والحاضن للمقاومة الفلسطينية في لبنان وفي سوريا وإيران، لكن تفاهمات تموز ونيسان وغيرها وقبول الحزب بالقرار «١٧٠١» تزيّف كل تلك الدعاوي.!

والسؤال المطروح هنا هو: على أي أساس يتعاون مسؤولو حركتي حماس والجهاد الإسلامي مع الرافضة سواء في حزب الله اللبناني أو في دولة إيران، ويتخذون منهم أولياء وأعوانًا لهم في نضالهم السياسي ومقاومتهم للعدو اليهودي؟ والمعروف أن جهاتٍ متعددة من المرجعيات الدينية والفكرية من أهل السنة؛ علماء ومفكرين وزعماء حركات إسلامية وغيرها، قد قدموا النصح لحركة «حماس» مرارًا وتكرارًا بالابتعاد عن الرافضة والحذر منهم وعدم إعطائهم فرصة للتقوّي على حساب أهل السنة على مستوى الأمة، وعدم إيجاد سبيل لهم للتغلغل إلى فلسطين، ونهوهم عن التعامل معهم والميل إليهم؛ فكان غالبًا جواب المسؤولين في «حماس» و«الجهاد الإسلامي» أو مَن يجادل عنهم هو الدفع بأنهم في حاجة شديدة لمن يساندهم ويدعمهم، وأن الدول العربية والإسلامية قد تخلت عنهم وحاربتهم فلم يجدوا مَن يساعدهم إلا إيران، كما يدفعون بالقول إن مساعدة إيران و«حزب الله» لهم هي في ظاهرها مساعدات بريئة لا يراد بها إلا وجه الله، وليست مشروطة بأي شرط مذهبي أو سياسي أو غيره!!

لكن من يعرف مناهج الحركتين وأفكارهما يدرك أن القناعة بخطر الرافضة وبحقيقة انحرافهم وضلالهم ضعيفة عند الحركتين، تبعا لأفكار «الإخوان المسلمين» الرسمية وأفكار الكثير من مرجعياتهم الفكرية مثل «يوسف القرضاوي» وغيره، وهذا هو السبب الرئيسي لعدم اكتراثهم

بالتحذيرات من خطر الرافضة، ويكفي أن نتذكر أن «خالد مشعل»[1] في العام الماضي ٢٠٠٦م زار إيران وقدّم طقوس العزاء عند ضريح «الخميني» ثم قال في تصريح للإعلام: «إن حركة حماس تعتبر نفسها الابن الروحي للإمام الخميني».! وأما حركة «الجهاد الإسلامي» فهي أكثر قربا وميلا إلى الرافضة منذ أيام مؤسسها «فتحي الشقاقي»، فهو كان من المعجبين إعجابًا شديدا بـ«الخميني» وثورته وأفكاره، وشديد المدح له والإكبار، ولازال بعض قيادات الحركة سائرين على نفس النهج..!

فالمشكلة إذن هي مشكلة منهجية فكرية دينية قبل كل شيء، وليست مسألة ضرورة وحاجة سياسية.. نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين.

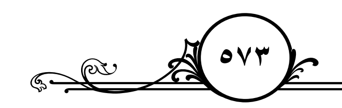
❖ خاتمة:

وإذا كنا قد اقتنعنا بأن حزب الله اللبناني ما هو إلا حزب شيعي طائفي متعصب يخدم الاستراتيجية الشيعية الخمينية الكبرى، فلا داعي للتطويل في مسائل من قبيل: هل بالفعل حزب الله اللبناني يقاوم المحتل الإسرائيلي؟ وهل فعلا سعى ويسعى حزب الله اللبناني لمنع وجود أي قوة سنية مقاومة لليهود في لبنان وعلى الحدود الشمالية لدولة اليهود؟ وهل كان ذلك ناتجا عن اتفاقات دولية أمريكية سورية، وبندًا من بنود اتفاق الطائف غير المعلنة؟ وما شابه ذلك من المسائل والأسئلة الكثيرة، فسواء كان ذلك أو لم يكن، فنحن لا نحتاج إليه كثيرا، إنما يُحتاج إلى مثل هذا على أقصى حدٍ لشيء من الاستئناس فقط، ثم -وهي الحاجة الأمسّ- قد يُحتاج إليه لإقناع بعض ضعفاء الدين والفهم الديني ممن لا يقتنعون إلا بالماديات والوثائق الرسمية وبادعاءات اكتشاف الأسرار ونحو ذلك مما يخدع الضعفاء، فهؤلاء قد يحسُن أن تذكر لهم تناقضات حزب الله اللبناني ومفاسده السياسية المحسوسة الظاهرة.

❁ فمن تناقضات هذا الحزب ومفاسده السياسية الظاهرة المحسوسة:

- موقف الحزب من مجازر «صبرا وشاتيلا» و«برج البراجنة» في أواسط الثمانينيات حين تولت حركة «أمل» الشيعية -بالتعاون مع «حزب الكتائب الماروني»، وبرعاية يهودية- كبر المجازر في حق المهاجرين الفلسطينيين اللاجئين، وأكثرهم كانوا من الضعفة أطفالًا ونساءً وشيوخًا، إذ إن معظم المقاتلين كانوا قد خرجوا من المخيمات أو قتلوا دفاعًا عنها، ووقف «حزب الله اللبناني» الذي كان يومها حديث النشأة منفصلًا عن حركة «أمل» ومنافرًا لها، وقف متفرجًا على الأقل إن لم يكن قد شارك

(١) كان «خالد مشعل» في هذه الفترة يشغل منصب: رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس».



فعلًا، كما هي عادة الرافضة حين يتعلق الأمر بقتل أهل السنة، متعللًا بأن ظروفًا سياسية كانت تحول دون أن يفعل شيئًا، وهو مثال من الأمثلة غير المحصورة لقلة دين هؤلاء القوم وعدم غيرتهم على محارم الله وعدم تمعّر وجوههم في الله وحين تنتهك حرمات الله، بل إنما يغضبون للطائفة والعصبة لا غير.!

- ترشيح حزب الله للمجرم «إيلي احبيقة» النصراني الماروني أكثر من مرة على قوائمه للانتخابات البرلمانية، رغم أنه هو من أكابر مجرمي المجازر المذكورة أخزاه الله وأمثاله.!

- وكذلك تحالفهم مع «نبيه برّي» وهو من رؤوس مجرمي تلك المجازر أيضا، بالإضافة إلى كفره وعلمانيته وإجرامه الكثير، فهم لا يبالون بدين ولا كفر ولا إيمان، ما دام الشخص منتميًا إلى طائفتهم أو حليفًا لهم أو كانوا يرون في قربه مصلحة لطائفتهم وأجندتها.

- كون الحزب كالآلة للدولتين الإيرانية والسورية، وتبعيته لهما، وخدمته لمصالحهما وسياساتهما، وهذا في غاية الوضوح، ومَن لا يبصر ذلك فلن يبصر شيئًا.! والمعلومات المنشورة والمعلنة عن تلقي الحزب للأموال الطائلة من إيران وللتسليح وغيره من الدعم، لا تخفى على أحد.

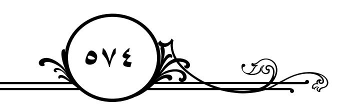
- الوثائق والأخبار والشهادات الكثيرة المفيدة لحقيقة منع الحزب أي وجود مقاوم ومجاهد، ولا سيما الوجود السنّي، على الحدود الشمالية لإسرائيل، أي في مناطق جنوب لبنان، وأن ذلك كله إنما هو نتيجة لاتفاقات معقودة مع سوريا ومع أمريكا وحتى إسرائيل، ترافقت مع مصلحة الحزب نفسه، لينفرد بالساحة وبلقب المقاومة وصناعة المجد وكسب الشعبية في الأمة.!

- ومن هنا إلقاؤهم القبض على كل مَن يحاول من أهل السنة الفلسطينيين أو اللبنانيين أن يجاهد العدو اليهودي من جهة جنوب لبنان، وقد قبضوا بالفعل على كثيرين وسلموهم إما لسوريا أو للأمن اللبناني، وممن ذكر ذلك صبحي الطفيلي[1] وغيره، بالإضافة إلى شهادات خاصة عندنا في ذلك.

- قبول الحزب بالقرار الصادر عن الأمم المتحدة رقم (١٧٠١) وتعهده بالحفاظ على سلامة القوات الدولية واستنكاره لمهاجمتهم.! وهذا يكذب دعاويه بالحرص على تحرير فلسطين، إذ كيف يقبل بوجود قوة تَحُول بين المجاهدين في لبنان وفلسطين؟ وقد كان أشرف لهذا الحزب أن يتحول إلى حركة مقاومة سرية لو كان صادقًا، بدلًا من أن يقبل بهذا القرار ليحافظ على وجوده كقوة سياسية معترف بها رسميًا أو فعليًا.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط: العدد ٩٠٦٧، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٣. [المؤلف]



- ما في تاريخ الحزب من نقاط سوداء وفظائع ولا سيما فيما يتعلق بعمليات التهجير للسنة من ضاحية بيروت الجنوبية في النصف الثاني من الثمانينات، وعمليات التقتيل والاغتيالات وغيرها.

- أما موقف الحزب من القضية العراقية فهي من الأمور الواضحة الدلالة التي ينبغي ألا تفوت على متأمل.

- وكذا مساعدته للمليشيات الشيعية في العراق مثل جيش المهدي وفيلق بدر وتدريبه لعناصرهما التي تتولى قتل أهل السنة وكوادرهم، وهما المنظمتان اللتان انبثقت منهما فرق الموت التي ارتكبت ما لا يحصى من المجازر في أهل السنة.!

- وفي مقابل ذلك موقف الحزب وزعيمه «حسن نصر الله» من المجاهدين والمقاومة من أهل السنة في العراق، وقد وصفهم في بعض المناسبات قريبًا بأنهم وهّابية تكفيريّون، وبغير ذلك من الأوصاف التي يستعملها الشيعة في وصف أبطال وصناديد مجاهدي أهل السنة أهل الاستقامة وأهل المعرفة بضلال الشيعة وشركهم ومروقهم.!

- ثم ليسأل الإنسان نفسه: هل حزب الله اللبناني يريد وجه الله بحروبه ومقاومته ومساعيه؟! وليتأمل في الجواب ويبحث عنه.

- وليتأمل أيضا في «حسن نصر الله» وخطاباته الطويلة التي تستمر ما بين الساعة والساعتين وأكثر، لا يذكر الله فيها إلا قليلا، ما خلا الافتتاح بالبسملة التي تعوّدوا عليها ويجعلونها كالعنوان على انتمائهم الإسلاميّ زعموا، ونحوها من الكلمات، ولا يذكر آية من كتاب الله ولا حديثًا لرسول الله ﷺ، ولا يذكر الجهاد في سبيل الله كما شرعه الله وأحبه، رغم عشرات بل مئات الآيات في القرآن الواردة في الأمر بالجهاد في سبيل الله والترغيب فيه وبيان فضله، وفضل الشهادة في سبيل الله.! وأما أحاديث النبي ﷺ فمن ذلك شيء لا يكاد يُحصى..! فهل هذا زعيم إسلاميّ؟ أم أنه زعيم المنافقين الذين لا يذكرون الله إلا قليلا؟!

- وانظر إلى تحالفهم الآن مع ميشيل عون وغيره من الكفرة والفاسدين في معارضتهم للحكومة اللبنانية، وانظر ما في أثناء اعتصاماتهم في الساحات وتظاهراتهم من الفساد واختلاط الرجال بالنساء والشباب بالفتيات ليل نهار وما في ضمن ذلك من مخازي يندى لها الجبين ويُستحيى من ذكرها، وكيف أن «حزب الله اللبناني» جزء من رعاتها والقائمين عليها والساكتين عنها، في سبيل مصلحتهم المتوهّمة، فهل ترى دينا عند هؤلاء ومراقبة لله ﷻ ونظرًا لليوم الآخر؟ كلا والله.!

والأمثلة كثيرة جدا لمن أراد أن يركز على فساد هذا الحزب وطائفته بالدلالات المحسوسة

الظاهرة، ومَن لم يقنع بكل ذلك فلن يقنع بشيء.!

❁ فتنة وابتلاء:

ولا بد أن يعلم المسلم أن هذا الحزب (حزب الله اللبناني) ومقاومته وأعماله التي ظاهرها البطولة ومقاومة المحتل الغاصب والدفاع عن الأرض والدين والعرض.. أنها كلها فتنة وابتلاء عظيم يختبر الله به العباد، لينظر الله ﷻ -وهو عالمُ الغيبِ والشهادة- كيف نعمل ومَن الذي يختارُ الله ﷻ وما عنده ويكون مع الحق ويدور معه حيث دار، وينصر الله ودينه والتوحيد وسنة رسول الله ﷺ، ومَن الذي تستهويه البطولات الجوفاء، بطولات «عنترة بن شداد» و«كليب» و«المهلهل» و«ماوتسي تونج» و«جيفارا» و«كاسترو» وأمثالهم.

وهكذا الفتنة بثورة «الخميني»؛ فإنها من أعظم الفتن على المسلمين في التاريخ الحديث، لعلها -بالنسبة إلى كثير من الناس- أشد من فتنة الاستعمار الغربي الذي احتل بلاد المسلمين في القرنين الماضيين.. فإن ذلك كان عدوًّا صليبيًا كافرا أصليا معلوما كفره لدى عموم جمهور المسلمين، لكن هؤلاء الخمينية منافقون زنادقة اشتبه أمرهم على جمهور الأمة وتلبّسوا بالإسلام وتزيّوا بزي الصلاح والإصلاح، ولبسوا مسوح النهضة الإسلامية وجهاد العدو الكافر...!

وانظر ما كتبه الكثيرون من أهل السنة ممن انخدعوا بثورة «الخميني» في بادئ الأمر ثم بانت لهم حقيقتها فيما بعد، ومن أمثلتهم الشيخ «أسعد بيوض التميمي الفلسطيني»، وقد كتب عنه ابنه محمد، وغيره كثير: «عندما انتصرت الثورة الإيرانية في نهاية عقد السبعينيات من القرن المنصرم استبشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها خيرًا، وظنوا أن فجر الإسلام قد بزغ من جديد، وأن تحرير فلسطين أصبح قاب قوسين أو أدنى، فالتفوا حولها يحفونها بعقولهم وأفئدتهم ومشاعرهم، حيث إن هذه الثورة كانت ترفع شعارات هي ضمير كل مسلم:

الأول: الإسلام.

الثاني: عرفت نفسها بأنها ثورة المسلمين المستضعفين في الأرض ضد الشيطان الأكبر «أمريكا».

الثالث: تحرير فلسطين من اليهود.

حتى إن كثيرًا من علماء أهل السنة وقفوا إلى جانبها وبعضهم من السلفيين أصحاب العقيدة الصحيحة التي تتطابق مع القرآن والسنة أي مع عقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ظانين بها

خيرًا»[1] اهـ.

ولا بد للمسلم أن يتفطن اليوم لخطر هؤلاء جميعا، ويعرف ما عندهم من الحقد على أهل الإسلام، لأنهم تربّوا على الحقد والبغض لأهل السنة، فهم يحقدون عليهم أكثر مما يحقدون على اليهود والنصارى، فاليهود والنصارى شأنهم سهل عندهم، هم كفارٌ معروفون، ويمكن موادعتهم ومصالحتهم والتعايش معهم، لكن أهل السنة هم العدوّ الأساسي والحقيقيّ للرافضة، والرافضة يتوارثون ذلك جيلا عن جيل ويتربّون عليه، بواسطة مجموعة كبيرة من الشعارات ومنظومة ثقافية فكرية وأدبية دينية متكاملة تدور حول محاور: أن أهل السنة هم قتلة الحسين وأنهم غاصبوا أهل البيت حقهم، وأنهم ظالمو أهل البيت وشيعتهم، وأن شيعة آل البيت كما يسمون أنفسهم سيثأرون منهم يومًا ما، وأنهم في انتظار مهديّهم الغائب في السرداب ليظهر وليقتلوا معه أهل السنة وينتقموا منهم شر انتقام.!! وعندما يردد الشيعة: يا ثار الله، ويا ثار الحسين، ونحو ذلك من الشعارات، إنما يقصدون بها في الحقيقة أهل السنة، لا غير، مهما حاولوا أن يموّهوا ويكذبوا ويستعملوا التقية، فليس اليهود ولا النصارى هم الذين قتلوا الحسين، بل إنما قتله -عندهم وبحسب اعتقادهم أو بحسب تزويرهم وتخييلهم- أهلُ السنة، فهم ينتظرون اليوم الذي ينتقمون فيه منهم ويثأرون.!

وحاشَ لله أن يُحسَبَ قتل الحسين على أهل السنة، نبرأ إلى الله من ذلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.. وما الحسين ﷺ إلا صحابيّ جليل وإمام من أئمة المسلمين أهل السنة كسائر الصحابة وأئمة السلف الصالح، مع ما اختصّ به من البشارة بالجنة والبنوّة لرسول الله ﷺ، وإنما كان مقتله فتنة أراد الله بها تمحيص العباد، وفي ضمنها حكمٌ لله ﷻ بالغة؛ فالحسين من أئمة المسلمين أهل السنة ومقتلُهُ جرى في حوادث سياسية واقتتال بين المسلمين، كان فيه الحسينُ ﷺ هو المحق المصيب المتقي لله ﷻ، وقاتِلوه هم المبطلون الفجرة الطغاة الظلمة، وباؤوا بالخسران، فما شأن الشيعة الرافضة؟ فهم لا وجود لهم أصلا إلا فيما ابتدعه الزنادقةُ من الدين والانتساب إلى آل البيت زورًا وبهتانًا، والحمد لله على كل حال، له الأمرُ وحده.

❁ الشيعة في لبنان والعراق: فرصة تاريخية وتقدم، أم بداية النهاية؟

يظن الشيعة أن هذه الفرصة التاريخية المتاحة لهم اليوم في العراق وإلى حدٍّ ما في لبنان وفي بعض البلاد الأخرى، أنها فرصتهم التاريخية لتحقيق حلمهم الكبير بتولي قيادة الأمة وتحقيق الغلبة على أهل

---

(١)مقال: «هل الثورة الإيرانية إسلامية أم مذهبية قومية؟» لمحمد أسعد بيوض التميمي. [المؤلف]



السنة، ولكنهم غفلوا في غمرة غرورهم وسكرتهم ببعض الانتصارات الجزئية المؤقتة أنهم في نفس الوقت هم ينكشفون للأمة، ويظهرون أمامها على حقيقتهم التي طالما اجتهدوا في سترها والتكتم عليها؛ فالأمة اليوم -بفضل الله ﷻ وحسن كيده ﷻ للمسلمين ومكره بالكافرين والمنافقين، ثم بما أتاحته تقنيات العصر من فضائيات وإنترنت ووسائل معلومات- صارت تعرفهم جيدًا وتتفطن لهم، وقد رأتَ ما عندهم من الدين المبدّل والنواح السرمديّ والشرك بالله ﷻ، والمحادة لدين محمد ﷺ وأصحابه ﷺ.!

❁ عندما ينادي «حسن نصر الله» الأمة الإسلامية:

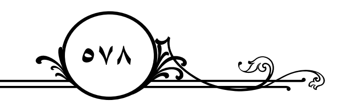
عندما كان «حسن نصر الله» ينادي في خطاباته الملتهبةِ المسلمين والأمة الإسلامية قبل سنين، كان يخدع بندائه جماهير المسلمين من أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها، الذين ظنوا به الظن الحسن، وحسبوه مجاهدًا يقاتل اليهود..! ولكن ذلك لم يعدْ يجدي يا «حسن نصر الله».. فقد انتهى زمن الخداع والتلبيس، وبانت الحقائق وظهرت المكنونات، فلو صدقتَ اللهجةَ فلا يسعك اليوم إلا أن تنادي شيعتك وأهل ملتك الاثني عشرية، فقد فطنت الأمة لك بحمد الله.!

وإنني أظن -والله أعلم- أن مرحلة الغفلة السنية قد بدأت تتلاشى، وأعقبتها بفضل الله ﷻ ومنته مرحلة اليقظة والتفطن والنهوض.

وعلى وجه التقريب يمكن ترتيب المراحل التي مرت وستمرّ بها أمة الإسلام مع الشأن الرافضي في عصورها الأخيرة كالآتي:

- مرحلة الغفلة السنية، وإن شئت فقل السُّبات، أو حتى الموت..!
- مرحلة التلبيس والغش والخداع والانخداع..
- مرحلة الاتضاح والافتضاح الرافضي..
- مرحلة الانتفاش والغرور الرافضي، ولا سيما بعد سقوط نظام «صدام حسين»، وأيضا بسبب نجاحات حزب الله اللبناني الظاهرية المؤقتة.
- مرحلة المفاصلة الكاملة والبيان الواضح.
- مرحلة المواجهة، أو المتاركة والمعايشة على مفاصلةٍ في أحسن الأحوال.
- مرحلة الغلبة للحق والتوحيد والسنة، بإذن الله ﷻ.

وإن من خير البشرية جمعاء أن يكون الحق والتوحيد والسنة هو الغالب والظاهر، ففيه الرحمة والعدل والإحسان، ولا والله لن يكون حالٌ أحسن منه، وإن أهل التوحيد والسنة لهم أرحم بالرافضة



وسائر أهل البدع والأهواء المنتسبين إلى القبلة من بعض هؤلاء لبعضٍ، وهذا كما شهدت به دلائل الشرع شهدت به أيضا دلائل الواقع والتاريخ.

وسأضرب هنا مثالا واحدًا فقط خشية التطويل -وأختم به هذا المقال- واخترت هذا المثال لأن صاحبه من أشد الناس على الرافضة وأعظم من فضحهم ونكّل بهم بالحجة والبرهان على مدار التاريخ الإسلامي، وهو من أبغض الناس عند الرافضة، وذلك هو شيخ الإسلام الإمام «أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانيّ» رحمه الله؛ قال رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» بعد كلامٍ عن مخازي الرافضة في التاريخ ووقوفهم دائما مع أعداء الله الغزاة من اليهود والنصارى والتتار وغيرهم ومعاونتهم لهم على المسلمين، قال: «ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقا كما تقدم، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خيرٌ من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خيرٌ وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به ويقولون أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا، وهذا لأن الأصل الذي اشتركوا فيه أصلٌ فاسد مبني على جهل وظلم، وهم مشتركون في ظلم سائر المسلمين، فصاروا بمنزلة قطاع الطريق المشتركين في ظلم الناس، ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض، والخوارج تكفر أهل الجماعة وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم وكذلك أكثر الرافضة ومن لم يكفر فسّق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيا ويكفرون من خالفهم فيه، وأهلُ السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يكفرون مَن خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كنتم خير الناس للناس»[(١)]، وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس، وقد علم أنه كان بـ«ساحل الشام» جبلٌ كبير فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء الناس ويأخذون أموالهم وقتلوا خلقا عظيما وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون «سَنَة غازان» أخذوا الخيلَ والسلاح والأسرى، وباعوهم للكفار النصارى بـ«قبرص»، وأخذوا من مرّ بهم من الجند، وكانوا أضر على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعضُ أمرائهم راية النصارى وقالوا له: أيما خيرٌ المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى، فقالوا له: مع مَن تحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى، وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين، **ومع هذا فلما استشار بعضُ ولاة الأمر في غزوهم وكتبت جوابا مبسوطا في غزوهم وذهبنا إلى ناحيتهم وحضر عندي جماعة منهم وجرت بيني وبينهم**

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٥٧).

مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم وتمكن المسلمون منهم نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا»(١) اهـ.

والجبل الكبير الذي كان لهم في الشام هو على ما أظن «جبل كسروان»، وقد تقدم ذكره في أول مقالنا هذا، ووليّ الأمر الذي أشار إليه لعله هو الملك «الناصر بن قالوون»، السلطان المملوكيّ المعروف، ولـ«شيخ الإسلام» رسالة كتبها له يهنئه فيها بفتح هذا الجبل ويذكر فيها قصتهم وشيئا من أحكامهم، مثبتة في «مجموع فتاويه»(٢).

وقوله «سَنَةَ غازان»، السنة هي سنة ستمائة وتسعة وتسعين للهجرة. و«غازان أو قازان»، هو أحد ملوك التتار من ذرية «جنكيزخان»، وهو الذي قابله شيخ الإسلام ابن تيمية في سفارة مع وفد من أهل العلم وأعيان الشام وخاطبه تلك المخاطبة المشهورة، قال عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» في حوادث سنة أربع وتسعين وستمائة: «وفيها ملكَ التَّترَ قازانُ بنُ أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير توزون ﷺ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السبح والهياكل مع التتار والحمد لله وحده»(٣) اهـ، وذكر وفاته في حوادث سنة ثلاثٍ وسبعمائة(٤).

والحمد لله رب العالمين، ونسأله ﷻ أن يفتح على المسلمين ويأخذ بأيديهم إلى كل خيرٍ، وينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان، إنه وليّ المؤمنين، نعم المولى ونعم النصير.

كتبه: **أبو عبد الرحمن عطية الله**

صفر ١٤٢٨هـ

✲ ✲ ✲

(١) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٩٨) وما بعدها.

(٣) البداية والنهاية (١٧ / ٦٧٦).

(٤) البداية والنهاية (١٧ / ٥٧٨).

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



لقاء

«مركز اليقين الإعلامي»







مع الشيخ «عطية الله» رحمه الله

تم نشر هذا اللقاء في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز اليقين الإعلامي»

جمادى الأولى

١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة مركز اليقين الإعلامي

الحمد لله رب العالمين، المتفضل علينا بالآلاء والمنن، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الهادي إلى سبيل الرشاد والمحذر لنا من شرور الفتن، وبعد:

لا يخفى على ذي لب ما يعانيه العالم اليوم من احتكار مصادر الأخبار في الأيدي الصهيونية ثم الاستخباراتية الغربية، والإعلام هو أحد أهم مصادر الحروب في تاريخ البشرية، إذ به يُشاع ما يفرِّق جمعَ الأمة ويضعف عزيمة أبنائها ويفرق الناس من حول المدافعين عنها، بعد أن يؤيّسهم من حصول أي نصر، ويدفعهم إلى رفض مبادئ الحق التي يشوهها الإعلام ويظهرها في أبشع صورة، ويغرّهم بوعود العدو بأنه ما يريد إلا نشر العدالة والسلام والحضارة وحماية أبناء تلك الأمة عمن يدافعون عنهم، فيصورهم الإعلام بكل نقيصة تُنَفر أبناء أمتهم من حولهم، وفوق كل هذا تقوم مصادر الأخبار هذه بتزيين العملاء، وإضفاء الشرعية عليهم وجعلهم أبطال الأمة الحقيقيين، فأصبحنا نعيش فعلا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ حيث قال: (**سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين..**)[1].

فأصبحنا نرى الكاذب اللص الذي سرق أموال الأمة ورهن الدولة التي يترأسُها لعدوِّها بعد أن أخذ حصة عمولته على شكل مساعدات دولية، وما هي إلا رشوة وأجر على عمالته، ودفع بأبناء الأمة للعبودية وبيع أعراض بناتهم في الفنادق والمشاريع السياحية التنموية، كالعبيد يشتغلون مُرَفهين عن أسيادهم الرومان الجدد، أصبحنا نرى هؤلاء اللصوص العملاء هم قادة الأمة الذين يمجدهم الإعلام ليل نهار هم وبطانته.

أما الصادق الأمين، فهو الظلامي الرجعي المتخلف الإرهابي الذي يريد نسف مظاهر الحضارة

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٠٣٦)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٣٦٥٠).

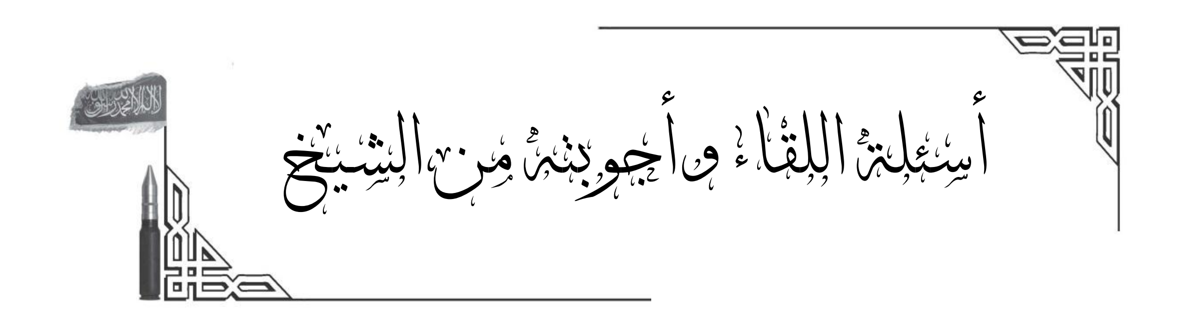
والمدنية المعاصرة ويريد استعباد المرأة وجعلها متاعه ولذته في البيت، ويريد قمع حرية الكفر والاستهزاء بالدين وبالأنبياء وبخيرة البشر بل وحتى برب البشر، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وهذا الإعلام هو الذي يقدم لنا في نشراته وتحليلاته طائفة من الرويبضات التوافه الذين يتكلمون في أمور العامة وهم من أقل الناس شأنا وأَهْلِيَة لتسيير شؤون الأمة، فلا هم يعرفون سنن تدافع الأمم الشرسة فراحوا يروجون لبرامجهم الاستسلامية بدعوى الخيار السلمي، ولا هم اتصفوا بصفة القائد الحقيقي الذي يتقدم أمته ويكون أول المضحين بنفسه وماله، في حين أننا نجد هؤلاء الرويبضات متخفين في مكاتبهم ويدفعون بأبناء الأمة في مواجهات شرسة مع الحكومات والعساكر القمعية في إضرابات واحتجاجات، فتدفع الأمة الثمن من دمائها وحريتها، ويَقبضون هم الأجر عبارة عن مناصبَ ووزارات واتفاقيات مع الأنظمة المستبدة.

و في ظل هذا التعتيم الإعلامي على صوت الحقيقة، رغم ادعاء بعض أكبر المنابر الإعلامية العربية والغربية دعوى «الرأي والرأي الآخر»، وما هو إلا الرأي ولا رأي آخر، فأصبحت كالمافيات تُقصي من ينتقدها وتُقرب من يُداهنها، وأصبحت تخدم أجندتها وأجندة الغرب السياسية والاستعمارية، غاضين طرفهم عن الكوارث التاريخية التي يسببونها لأمتنا، حيث يقربون العدو الغادر بدعوى تغطية مؤتمرات التقريب الطائفي أو المذهبي والحوار الحضاري، ويسكتون عن جرائم هؤلاء فيخدعون الأمة ولا يُعَرِّفونهم عدوهم على حقيقته.

في ظل كل هذا، ارتأينا إطلاق خدمة «**مركز اليقين الإعلامي**»، حيث نأتي الأمة المسلمة بالخبر اليقين من مصادره إن شاء الله، لا يحمل صبغة غربية ولا أجندة استعمارية، بل نحمل لهم الرأي الأمين والخبر الصافي من منابعه ونُغذيه بالتحليل المنهجي، الذي يَبني مجد أمة الإسلام ولا يَهدمها، وينصرها ولا يَخذلها، ويستحث عزيمتها ولا يوهنها، هدفنا إزالة الغشاوة عن الأعين والأفهام، وطرح الحقيقة بأنصع صورها وأعذب كلماتها وأصدق تفاعلاتها، ومن الله نرجو التوفيق والإعانة.

ويسرنا أن نفتتح أولى خدمات مركزنا الجديد، بحوار مع الشيخ «عطية الله»، لنعطي للأمة وجهة نظر مغيبة بشكل كلي أو جزئيّ عن الإعلام الإسلامي والعربي والعالمي، لنكسر الطوق عن أصوات فاعلة في الساحة، وتخوض معركة مصيرية نيابة عن الأمة أو طليعة لها بالأصح، نعرف رأيهم في الأحداث، ودوافعهم في الأفعال، وحلولهم للأزمات، متوكلين على الله، راجين منه التوفيق والسداد والمعونة، والإخلاص في القول والعمل، والقبول منه سبحانه.



〚**افتتاحية اللقاء**〛

❁ **مركز اليقين**: الشيخ عطية الله؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونشكر لك قبولك لإجراء هذا الحوار معنا، فجزاك الله خيرا.

الشيخ عطية الله: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإياكم جزى الله خيرًا، وبارك الله فيكم، ونسأل الله أن يجعل لقاءنا وحديثنا لنا لا علينا، وأن يجعله بركة وهدىً وصلاحًا، لا فتنة ولا شقاءً.. آمين.

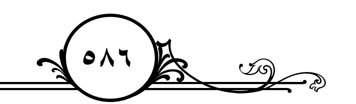
〚**تقييم الحركة الإسلامية عامة، والجهادية خاصة، وهل تقدمت أم تعثرت؟، والبشرى بقربها من بيت المقدس، وبيان أن الحروب الحالية صارت «دينية عقدية»**〛

❁ **مركز اليقين**: في البدء، سنحاول الإحاطة بحصيلة وثمرات العمل الإسلامي باعتباركم من دعاته وحاملي همومه، وطالما أن جزءًا منه أو طائفة منه وهي الطائفة المجاهدة هي العنصر الأساسي الفاعل في الساحة في مواجهة الهجمة الأمريكية، ونكرر السؤال الذي لا بد أن يطرح دائما: كيف تقييمكم للحركة الإسلامية عموما وللحركة الجهادية بشكل خاص، هل هناك تقدم أم هناك تعثر؟ هل حققت نجاحات أم فشلت في مخططاتها؟

الشيخ عطية الله: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وآله وصحابته أجمعين ومَن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين..

وبعد: أخي الكريم، إن الإحاطة بما ذكرتم شيء غير ممكن لأحدٍ من الناس، ولكن مقصودكم الإلمام والتعرّف الجيد الإجماليّ والمعتمد على جملة وجمهرة من التفاصيل المهمة، على حال الحركة الإسلامية وإنجازاتها وثمرات عملها خلال السنوات الأخيرة.

فأقول على وجه الإجمال حامدًا الله ﷻ: إن تقويمي الشخصي للحركة الإسلامية وعموما



والجهادية خصوصا، والتي هي طليعة الحركة الإسلامية اليوم، والعنصر الأساسي والفاعل فيها كما أشرتم، والرقم الصعب كما يعبّرون.. هو تقويم إيجابي، ولله الفضل والمنة.

الدعوة الإسلامية في تقدم على أكثر المستويات: إن كان على مستوى انتشار الإسلام في العالم، في المجتمعات الغربية والشرقية الكافرة، وأنتم كإعلاميين إسلاميين مطالعون ومتابعون بلا ريب لحركة الدخول في الإسلام واعتناق دين الله دين الحق دين التوحيد، وتلاحظون ازدياد معدلاته بحسب ما تعطيه كل الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية من أمريكا إلى روسيا إلى ألمانيا واسكندنافيا، إلى استراليا، إلى البرازيل وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وإن كان على مستوى العالم الإسلامي نفسه (الحركة الداخلية إذا شئنا أن نسمّيها) فهي في نظري كذلك في تقدّم واستداد ونضوج ولله الحمد، بخلاف ما يتصوّره بعض إخواننا، ممن تصوّر في بادئ الأمر أن الدخول في حرب مع الغرب الكافر بقيادة أمريكا بدءًا بشكل رئيسي بأحداث «الحادي عشر من سبتمبر».. أن الدعوة الإسلامية تتعرض للانكسار والانحسار والتقهقر، وتحدثوا عن فشل مشاريع دعوية وإغلاق مؤسسات خيرية من قبل الدول والحكومات الكافرة والظالمة، وبعض الناس أحيانا قد يحصل عنده استغراق في فكرته أو مشاريعه، هو أشبه ما يكون بـ«الفناء» الصوفي، ويتصور أن تلك المشاريع الخيرية والدعوية هي أهم شيء وأعظم منجزات الحركة الإسلامية وأعظم أدواتها ووسائلها، وأنها الكل في الكل كما نقول.! وهذا نوع من القصور في الحقيقة، ومن النقص للإنسان المسلم الكامل أن يحصر نفسه في مثل هذا القفص، بل عليه أن ينتقل إلى فضاء أوسع وأرحب من العمل لله ﷻ ولدينه، وأن يكون واسع الأفق منصفا عند التقويم والجرد لثمرات العمل الإسلامي الجمعي.

الدعوة على مستوى العالم الإسلامي نفسه وبالأخص العالم العربي منه الذي هو مادة الإسلام وأصله، هي في تقدم بالجملة، رغم التضييق من الطواغيت والدول المحاربة للإسلام، رغم إغلاق ما أغلقوه من أبواب الخير المتمثلة في جمعيات خيرية أو مؤسسات ومشاريع دعوية، رغم سجن العلماء في كل مكان، وسجن الناشطين من الدعاة، رغم كل هذه الحرب عليها فهي في تقدم بالجملة وفي خطها البياني العام.. وعندما أقول «بالجملة» فإنني أعني أنه قد يكون هناك تعثّر وركود دعوي وحركي إسلامي في منطقة أو أخرى (بلد أو آخر) لكن عند النظر الكامل والتأمل والإنصاف تجد أن بإزاء ذلك تقدمًا كبيرا ونجاحات كبيرة في أماكن أخرى.

والدخول في التفاصيل الدقيقة يطوّل المقام والمقالَ جدا، فأظنه لا يناسب لقاءنا هذا، لكن هذه



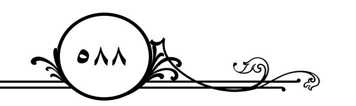
الجملة العامة إذا تأملها المنصف نفعته بإذن الله ﷻ.

وعلى مستوى الحركة الجهادية، فهي بحمد الله في تقدم بلا شك، شهد به الأعداء، وما زالت شهاداتهم تترى.! والحمد لله على توفيقه..

الحركة الجهادية تحقق تقدما على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي؛ الحركة الجهادية وصلت إلى قلب العالم الإسلامي تقريبا أو قريبا من قلبه (العراق)، ورغم كل الصعاب والآلام فهي ناجحة بفضل الله ﷻ وبكل المقاييس في العراق، وهي تقترب من بيت المقدس بالمعنى الذي نريده نحن ونرى أنه الواجب، حتى لا يسارع أحدٌ هنا للاعتراض بأن الجهاد كائنٌ ومستقرٌّ في بيت المقدس منذ عقود، ونحو ذلك من الكلام، فهذا إن لم أوضّحه هنا وفاتني، فربما أزيده توضيحا في موضع آخر إن شاء الله، لأن الكلام يتزاحم على الإنسان، ونحاول أن نرتب الأفكار قدر المستطاع، وعلى الله الاعتماد.

الحقيقة أنا والله، أكره تشقيق العبارات وكثرة التصنيفات والأوصاف، لكن أحيانا نجد أنفسنا مضطرين لشيء من ذلك لتوضيح فكرة لا بد من توضيحها.

والمقصود: أن الحركة الجهادية العالمية والناصعة المنهج، التي أعبّر عنها كثيرا بـ«حركة الجهاد والتوحيد والسنة» ويعبّرون عنها بـ«الحركة السلفية الجهادية»، الحركة الجهادية المحققة للولاء والبراء، والتي يمكن ائتمانها فعلا على راية الجهادِ، هي اليوم بإذن الله ﷻ على مشارف بيت المقدس، هذه الحركة الربانية الانتساب، التي لا توالي أو تعادي أو تقيم علاقاتها على اعتبارات الوطنية أو الجنسية الأرضية، بل على الدين والتوحيد والتقوى والعمل الصالح لا غير، هذه الحركة هي التي قصدت أنها وصلت إلى قلب العالم الإسلامي وإلى بيت المقدس، فلا يهمّ كونها من داخله (بيت المقدس) أو من خارجه، المهم هو المنهج ذاته، هو الدين الحق الذي صارت تعلو رايته وتكون له الغلبة والظهور بإذن الله، الواجب ألا يكون عندنا اعتبار لداخل وخارج إلا بالمقدار المطلوب فنيًّا إذا صح التعبير، فقط، يعني مثلا: أن القيادة في بلد ما الأحسن أن تكون في يد رجل من أهل نفس البلد، هذا له اعتباره عندنا بلا شك، وهو اعتبارٌ شرعيّ من جهة النظر إلى الصلاح الكامن في ذلك، لأسباب ظاهرة راجعة إلى التأهل عند ابن البلد لكونه عارفا ببلده أرضا وناسًا وطبيعة وأخلاقا وعاداتٍ وعقليةً، وغير ذلك، ولكونه أدعى للقبول من قبل الناس في بلده، فإن هذه طبيعة بشرية مدلولٌ عليها في القرآن بنحو قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[إبراهيم: ٤]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[الجمعة: ٢] ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[المؤمنون: ٣٢] وغيرها.. فهذا فقه صحيح، لا يخالف فيه عالم أو عاقل.. من هذا الوجه تقيم الحركة الإسلامية الجهادية اعتبارًا لهذه الأشياء، فهو إذن اعتبارٌ راجعٌ إلى



الدين ومبنيّ على النظر للإسلام والمسلمين، فإذا تقرر هذا فإنه قد يكون في غير ابن البلد مزية أو مجموعة مزايا تقتضي تفضيله على ابن البلد في تولي الشأن، ولا سيما حيث يكون الفارق بينه وبين ابن البلد في الاعتبارات المذكورة قليلا ليس بذاك الكبير، ويكون الحال يساعدُ، فهذه إذن مسألة لها فقهها، وقد شرحتُ هذا في بعض كتاباتي سابقا، والحركة الجهادية على بصيرة بهذا، بحسب معرفتي، والحمد لله.. والحاصل أن الحركة الجهادية هي الآن تقود الحركة الإسلامية، وهذا هو الوضع الطبيعي في مثل حال الأمة اليوم، القيادة (قيادة الأمة) هي لأهل الجهاد، وفيهم ومعهم مَن معهم من أهل العلم طبعا، أهل العلم المجاهدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الصادعين بالحق أهل الولاء والبراء في دين الله ﷻ، اختلفوا قليلا أو كثيرا، وقع التقصير قليلا أو كثيرا، هذا لا يهم.!

نقول هذا حتى لا يُعتَرَض بافتعال اختلافات أشبه باللفظية الجدلية: مَن الذي له التقدم: المجاهدون أو العلماء؟! فإن الحق أن التقدم للعالم المجاهد، وهم موجودون بفضل الله ﷻ داخل منظومة الحركة الجهادية التي نتكلم عنها.

والحركة الجهادية صارت هي صانعة الأحداث في العالم وفرضت نفسها، وهي تمضي رويدًا إلى مستقرها بإذن الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض، وهذه أمانة عظيمة، والحمد لله أنها بفضل الله ونعمته في أيدٍ أمينة، ونسأل الله أن يزيدها قوة ومتانة وحكمة وصوابًا وتوفيقا.. آمين.

اليوم انتخاب «سركوزي» في فرنسا، والتحولات الحاصلة والمنتظرة في أمريكا (الولايات المتحدة) وفي بريطانيا وغيرها، والتحولات على المستوى الإقليمي (الشرق الأوسط كما يسمونه) ومنه ما يُتوقع له من حروب وتحولات كبيرة جدا، كل ذلك للحركة الجهادية تأثيرٌ كبيرٌ فيه، يختلف ظهوره وخفاؤه من حال إلى أخرى.

وهذا ليس مهما في ذاته ولا نتعلق به، فليس من منهجنا التعلق بمجرد الألفاظ والشعارات والظواهر والتزويقات، لكن المقصود الإشارة إلى واقع قوة الحركة الإسلامية الجهادية وتأثيرها وحضورها.

وأنا ذكرت أعلاه كلمة «استداد» حين قلت إن الحركة الإسلامية في نضج واستداد والحمد لله، ومن جملة ذلك ما تقدم قريبا الكلام فيه، ومنه أيضا ما تكلمنا فيه في مناسبات سابقة أيضا من أن الحركة الجهادية نجحت بتوفيق الله ﷻ وفضله في إحداث تحوّل جذري في العلاقة بين المسلمين والكفار، وفي تصوير دين الإسلام للناس كما بعث الله به محمدا ﷺ.

رجعت العلاقة بين المسلمين والكفار إلى العلاقة إلى أساس الدين، محورُها الأساس هو الدين

والتوحيد، نحن مسلمون وأنتم كفارٌ، لنا معكم أحكام بيّنها الله ﷻ لنا في دينه وشريعته تفاصيلها كذا وكذا وكذا، أساسها إذن هو: الدين، التوحيد، الولاء والبراء، الحب في الله والبغض في الله.

وحتى معنى الحرب صارَ يرجعُ رويدًا رويدًا إلى المعنى الدينيّ، الحرب الدينية، الحرب التي مبناها على الدين، وبالأمس استمعنا إلى تصريحات النصراني «أمين الجميل» في لبنان، وكيف ظهر وفاجأ المراقبين بخطاب جديد وغير مألوف منذ زمن طويل، حين طالب الدولة اللبنانية وجيشها بضرب الحركة الأصولية كما سمّاها يعني إخواننا في «فتح الإسلام» وغيرهم من أهل التوحيد والجهاد، وتكلم عن «أن مسيحيي لبنان لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا ما تعرض وجودهم للخطر»[1].

نحن كحركة إسلامية وجهادية، هذا كله في صالحنا.. عندما تتحول الحرب إلى حرب دينية، مبناها على الدين، حرب بين الإسلام وأهله وبين الكفر وأهله، هذا هو الذي نريده، لأن هذا هو المعنى الحقيقي للحرب في الإسلام، ولأنه عندما تكون الحرب هكذا فإن النصر فيها لنا بلا ريب، إنما المسألة مسألة وقت فقط، فدين الإسلام (التوحيد الحق) يعلو ولا يُعلى، وعندما تواجهه الأديان المزيفة المحرفة المنحرفة الضالة، أديان الشرك والهوى وعبادة الدنيا والشهوات مهما زخرفها أصحابها وزوّقوها، عندها تكون الجولة للإسلام الذي هو دين الفطرة، وهو دين جميع الأنبياء الذين بعثهم الله ﷻ إلى الخلق من لدن أبينا آدم إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ، وعندما يتصاول الحق والباطل في معركة حقيقية فالغلبة للحق بلا شك، ولا يقوى الباطل على مقارعة الحق، لأنه زهوقٌ وباطل زائل، سريع الاضمحلال، لا ثبات له، وعندها تعلو حجج الحق وبراهينه وآياته وبيّناته وتسطع أنواره على الوجود وتبلغ أشعته الآفاق ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾[المجادلة]، والحمد لله رب العالمين.

وصورة الإسلام رجعت بفضل الله رجوعًا واضحًا -وما زالت بحاجة أكثر لبذل جهود لإتمام عملية الإرجاع هذه- رجعت إلى الصورة الحقيقية كما قلنا: صورة الإسلام الذي هو دين الله والذي هو دين التوحيد الذي بعث الله به رسله كافة وختمهم بمحمد ﷺ بالرسالة الخاتمة والشريعة الناسخة لكل ما سبقها.

وأنت لا تحتاج إلى كبير عناء لتعرف هذه الحقائق وتلمسها على الأرض، ولا تحتاج أيضا إلى طول

(١) كان هذا التصريح بتاريخ: ٢٣/ ٥/ ١٤٢٨، الموافق ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧م كما في موقع «الجزيرة نت»، حيث نقله عن «جريدة الدستور».

تفكير لتعرف أن «أحداث سبتمبر» هي -بامتياز- الهزة والصدمة العنيفة التي كان الاجتماع البشري ومنظومة العلاقات البشرية (بين الكفار والمسلمين) بحاجة إليها، لإحداث هذا الإرجاع والتصحيح.! وهذا من فضل الله ﷻ وحده.

ولهذا عندما يذهب «برويز مشرف» متجوّلا في بلاد الغرب (أوروبا) ويقول إنه يريد تحسين صورة الإسلام لدى الغرب، وعندما يعقد «القذافي» مؤتمرات «إسلامية» أممية عالمية أيضا ليحسّن صورة الإسلام لدى الغرب والشرق، زعمَ، وعندما تمارس أمريكا راعية الصليب أشد الضغوط على الدول الحاكمة في بلاد العرب والمسلمين ليغيّروا المناهج ويحذفوا منها كل ما يتعلق ببغض الكافر وعداوته والبراءة منه وجهاده، وليدخلوا فيها «الأخوة الإنسانية» وأن الإسلام «دين الرحمة والتسامح والسلام» كما يقولون، وهو كذلك والله، لكن لا على المعنى الذي يقصدونه هم ويريدون أن يشرحوه للأجيال وينشؤوهم عليه، بل على المعنى الحق الذي جاء مشروحا مفصلا أدق وأوضح تفصيل في ديننا نفسه، والذي عرفه وقرره وزاده شرحًا وتوضيحًا علماءُ المسلمين وأئمته على مدار التاريخ.!!

أقول: عندما تحصل هذه الأشياء فهي من الأدلة الواضحة على مدى ما حققته وتحققه الحركة الجهادية من نجاح.

والمفارقة العجيبة التي لم يفهمها العدوّ الكافر، وأتباعه المرتدون من بني جلدتنا، وللأسف يعمى عنها كثيرٌ من المسلمين أيضا هي: أن كل هذه الحرب على الإسلام هي في صالح الإسلام والمسلمين على المدى الطويل.! لأن ميزة الأديان والأفكار والأيدلوجيات عمومًا ولو كانت أرضية بشرية سخيفة، أنها حين تُحارَب وتتعرض للضغوط والهجوم فإنها تنمو وتزداد اتساعًا، فيكف بدين الله الحق الذي هو فطرة الله التي فطر الناسَ عليها.؟!

أخي الكريم خذ أمثلة بسيطة وتأملها: تونس والجزائر وتركيا مثلا، وغيرها الكثير، لكن يكفي أن تتأمل هذه الأمثلة الثلاثة تأملا جيدا، وتنظر كم تعرّضت للتغريب والإفساد والمحاربة لدين الله ﷻ، وكيف أن الإسلام يصمد والحركة الإسلامية تزداد وتنمو وتقوى، انظر مسألة «الحجاب» على سبيل المثال البسيط.!

وأما على مستوى استداد ونضج الحركة الجهادية بصفة خاصة فهذا شيء يعرفه كل من اهتم بالشأن وتابعه.. الحركة الجهادية تراكمت لديها خبرات وتجارب وصارت لها مكتبة عامرة بالفقه والحكمة، وصارت أسدّ وأعدل وأجمع بين اللين والشدة والرفق والعنف، وأوفق -بحمد الله وتوفيقه- في وضع كلٍ في موضعه اللائق...! والكلام يطول في هذا.. لكن المتابع المنصف يكفيه الإشارة ويبلغ المقصودَ

بمختصر العبارة. والله الموفق.

❋ ❋ ❋

〚تقييم العمل الجهادي في «العراق»، وكلمة في الفرقة الحاصلة بين الجماعات هناك، وكيف يفعل العبد عند حصول هذا الخلاف〛

❁ **مركز اليقين**: إذا انتقلنا إلى العراق على الخصوص حيث هو الخط الأول الذي ستحدد نتيجة المعركة فيه مصير المنطقة والأمة بل وحتى الهيمنة الأمريكية العالمية.. كيف تقييمكم للعمل الجهادي في الساحة العراقية؟ وماذا عن الفرقة الحاصلة بين الجماعات التي حملت راية الجهاد هناك؟ فقد طفت إلى السطح خلافات أفزعت الكثير وأنعشت أيضا الكثير، أعني ربما أنعشت العدوّ إلى حدّ ما، هل تعتقد أن ثمّتَ صراع مناهج هناك؟

الشيخ عطية الله: أخي الكريم، صراع المناهج واردٌ وواقع بلا شك، ولا يمكن أن ننكره..! لكن دعنا نتحدث عن المحصلة النهائية، وإجماليّ الربح أو الخسارة لا قدّرها الله على المسلمين:

فكما قلت لك إن المحصّلة النهائية هي ربحٌ ونجاحٌ وانتصار كبير للحركة الجهادية خصوصًا، وللحركة الإسلامية عامةً، ولأمة الإسلام بشكل أعمّ.

أخي الكريم، هب أنه في أسوأ الأحوال، وعلى أساس أكثر الاحتمالات تشاؤمًا أنه وقع انكسار للحركة الجهادية في العراق، وحصل خلاف ونزاع وفُرقة شديدة وذهاب ريح وفشل، فوالله حتى مع ذلك كله فإنني لا أشك أبدًا أن الحركة الجهادية بالجملة قد ربحت وانتصرتْ.!!

ونسأل الله ﷻ السلامة، ونعوذ بالله من الخذلان، ونسأل الله ألا يكون ذلك، وإنا والله لنطمع في عافية الله ﷻ وواسع فضله ومنته وفتحه القريب، إنه هو مولانا نعمَ المولى ونعم النصير.

لكن بالمقابل علينا أن نكون واقعيين، وننصف.. «العراق» هو في فلسفة الحركة الجهادية العالمية مرحلة، وحبة في عِقدٍ، وحلقة في سلسلة متكاملة، وهذا فارق جوهري بين عدة مناهج، ربما نتكلم عليه أكثر إن شئتم.. والحاصل أن الحركة الجهادية، وعلاقة الإسلام بالكفر، والمسلمين بالكفار، هي في تقدم نحو الأفضل، وفي نجاح مستمر بفضل الله، وعلى أسوأ الاحتمالات في العراق فنحن منتصرون وفائزون بإذن الله، والحمد لله، فأبشروا وبشروا وأمّلوا الخيرَ.

بالمعنى الأعم والأصل الراسخ الذي نرجع إليه دائما ولا نغفل عن ميزانه: نحن بين إحدى

الحسنيين: نصر أو شهادة، وبالمقاييس الأرضية: يكفي الحركة الجهادية في العراق ما حققته من إنجازات على جميع المستويات والأصعدة: على مستوى العالم بأسره أهانت أمريكا ومرغتها في وحل الذل والهزيمة وأذاقتها الويلات والكروب وأرقت ليلها وأظلمت نهارها وجعلتها مسخرة للأمم، وأطاحت بهيبتها الزائفة، وأظهرت بشاعة حضارتها المادية العنصرية الشهوانية الخسيسة جليّة أمام شعوب العالم، واستنزفتها اقتصاديا وعسكريا، وجرّأت عليها الأمم.... إلخ ما يمكن أن تقوله في هذا الصدد، وهو واضح جدا.

وساهمت الحركة الجهادية في العراق -باعتبارها دُرّة في العِقد كما قلنا- في إحداث التغييرات الجذرية و«الإرجاعات» والتصحيحات اللازمة للعلاقات الدولية وانبنائها على أساس الدين، وساهمت بشكل فعّال جدا ويكاد يكون غير مسبوق -بعد الجهاد الأفغاني الأول ضد الروس والشيوعيين- في إحياء فريضة الجهاد في الأمة وبعث معاني العزة والكرامة والنجدة والغيرة والحمية الدينية ومعاني الشهامة والرجولة والإباء في شباب ورجال الأمة وأجيالها من شرقها إلى غربها.. وغير ذلك الكثير الكثير، مما ساهمت فيه بجدارة ونالت فيه وسام شرف عن استحقاق.!

وعلى المستوى الوطني (العراق) فقد تحدث الأمير «أبو عمر البغدادي» أمير المؤمنين في «دولة العراق الإسلامية» حَفِظَهُ اللهُ وسدده في خطابه في غرّة ربيع الآخر من هذه السنة ١٤٢٨هـ (الذي كان بعنوان: «حصاد السنين بدولة الموحدين») عن لمحات مشرقة من إنجازات الحركة الجهادية العظيمة وحسن بلائها على الإسلام والمسلمين في البلد: من إرجاع الناس إلى الدين والتوحيد الصافي، ومن إحياء الله ﷻ للأجيال بالجهاد وانتشار الأحكام الشرعية والعمل بها وتطبيقها، وغير ذلك الكثير، وتحدث الأمير «أبو عمر» أيضا عن كثير مما أجملته آنفًا من مساهمات الحركة الجهادية في العراق ومما قال: «وأما من الناحية العسكرية، فصدق أحد شياطينهم إذ قال: إذا كانت أفغانستان مدرسة الإرهاب فإن العراق جامعة الإرهاب» اهـ.

وستستمر العراق إلى ما شاء الله نقطة جذب وميدان تربية للأمة وأجيالها ومصنعا للرجولة ومدرسة تتخرج منها دفعات تلو الدفعات من الأبطال بعون الله ﷻ.

فهذا على أسوأ الاحتمالات وأكثرها تشاؤمًا..! فكيف ونحن نرجو رغم كل ما هنالك من صعوبات ومن دخن وقصور ومشاكل نرجو الظفر على الأعداء والنصر والفتح، وننتظره قريبا بإذن الله ﷻ.. فالعدوّ الأمريكي الصليبي يتلقى كل يوم ضربات لم يكن يتصورها أخصب الكتاب خيالا، ولا أكثر المخرجين السنمائيين مغامرة..!

ورغم كل التعتيم الذي يمارسونه، فلا يصل إلى العالم (ومنه العالم الإسلامي) إلا القليل من الحقيقة، رغم كل ذلك فإن القدر الطافح من الإناء ينبئ عن الامتلاء.!

وأما المتابعون والمطلعون على الحقيقة فهم بحمد الله على يقين أن أمريكا انهزمت فعلا، وأنها يمكن أن تنهار وتفرّ هاربة من العراق في أية لحظة مفاجئة، بأي معنىً من معاني وصور الفرار.! إنما هي تصابر وتتجلّد، لأنهم يعلمون جيدا أن هزيمتهم لو أقروا بالهزيمة وهربوا هي كارثة تاريخية بالنسبة لأمريكا، لن تساوي عندها هزيمة فيتنام شيئا ولن تذكر معها، ويعلمون أن الهزيمة سترجعهم خمسة قرون إلى الوراء كما قال بعض دهاقنتهم، وأن المعركة في العراق هي مصيرية بالنسبة لهم، مسألة حياة أو موت، وأنهم لو انهزموا فإن الإرهاب كما يسمونه قد انتصر انتصارًا عظيما.

لكن مع كل ذلك نحن ننصحهم بأن يبادروا إلى الفرار خيرًا لهم.. والحركة الجهادية والأمة الإسلامية مستعدة فيما بعد لأن تنصفهم حربًا أو سلمًا، المهم أن يذهبوا ويتركونا نحن نحل مشاكلنا مع الخونة من قومنا، وستكون الغلبة للإسلام وأهله بإذن الله، والخير للبشرية كلها، إن شاء الله.

وأما الخلافات بين الفصائل والجماعات فهو واقع، وهو من المصائب والبلاء، وله أسبابه التي منها صراع المناهج فعلا.. هناك صراع بين منهج التوحيد والجهاد والسنة والولاء والبراء، أو ما يسميه البعض بالسلفية الجهادية، وبين مناهج أخرى متفاوتة في بُعدها واختلافها مع المنهج المذكور.

لكن الغلبة والعاقبة ستكون للحق إن شاء الله، والحق معروف وواضح، لكن هي مسألة: «لا يُمكّن حتى يُبتلى»..! الاختلاف والتنازع وارد وواقع في كل ميادين العمل، ومنها ميدان العمل السياسي والحربي بطبيعة الحال.

وهو من أقدار الله ﷻ التي لا مردّ لها، مع أننا في الجملة مأمورون بدفع القدر بالقدر، لكننا أيضا نؤمن بأننا لا يمكن أن نقضي على الخلاف بالكامل، ولا يمكن منع وقوعه بالكامل مهما بذلنا من جهود واتخذنا من أسباب.

إنما المسألة المهمة التي يتعلق بها التكليف (تتعلق بفعل العبد المكلَّف) هي: **ماذا يفعل عند الخلاف، وكيف يتصرف، ومع مَن يكون إذا كان لا بد أن يكون مع أحدٍ؟ هذه هي المسألة المهمة جدًا.**

وأنتم تلاحظون أن حظ بعض الناس للأسف من معالجة هذه القضايا وتناولها هو البكاء والعويل أحيانًا، والتحزّن والاستغراق في الحزن، ويصل الحال بآخرين إلى أحوال من اليأس والقنوط أو الإحباط والكسل المُقعِد عن العمل والبذل والعطاء والإنجاز، وكل هؤلاء على خطأ..!

نعم يحزننا التفرق بلا شك.. لكن لا يُقعِدنا هذا الحزن عن العمل والبذل، ولا يدفعنا إلى اليأس

والقنوط، ولا حتى الإحباط والكسل، نعوذ بالله من ذلك كله.

الحزن الذي هو فعل القلب عند رؤية وملاحظة هذه الأشياء، هذا إما أنه خارج عن التكليف أصلا، كقول النبي ﷺ: (**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**)(١)، فهذا لا يؤاخَذ به العبد.

أو هو مما كُلف العبدُ بمجاهدته ما أمكن، ويُنهى عن الإفراط فيه، ويؤمر بالتسلّي بملاحظة قدر الله ﷻ السابق النافذ، وتذكّر الأمثال.

والشيء الأهم الذي هو مناط التكليف (الشيء الذي كُلف به العبد) هو ألا يكون هذا الحزن مانعًا له من عمل الخير، ومقعِدًا له عن الجهاد في سبيل الله بمعناه الخاص والعامّ.

وهذا كله من معنى نهي الله ﷻ رسولَه محمدا ﷺ عن الحزن في آيات كثيرة مثل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل] وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[المائدة] وقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر: ٨]، وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾[الكهف] وقول الله ﷻ للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران].

فهو نهي عن الحزن المقعد المفسد على الإنسان عمله ودينه، المهلِك له.. وإن شئت فقل هو نهي عن الشيء بالنظر إلى لازمه الذي جرت به العادة؛ لأن عادة بني آدم هي أن الحزن يقعدهم ويفسد عليهم عملهم وهممهم وعزائمهم، وربما لو أفرط فيه أهلكه، ولهذا كان النبي ﷺ مما يكثر أن يستعيذ منه: «الحزن»(٢)، نعوذ بالله من الحزن.

قال ابن عاشور ؒ: «والنهي عن الحزن نهي عن سببه، وهو اشتغال بالِ الرسول بإعراضهم عن قبول الدين الحق، وهو يستلزم الأمر بالأسباب الصارفة للحزن عن نفسه من التسلّي بعناية الله ﷻ وعقابه من ناوأوه وعادوه»(٣) اهـ.

وقال الشنقيطي ؒ عند قوله ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام] في «سورة الأنعام»:

---

(١) صحيح البخاري (١٣٠٣) بلفظ: (إن العين تدمع، والقلب يحزن..)، صحيح مسلم (٢٣١٥) بلفظ: (تدمع العين، ويحزن القلب..) الحديث.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٩٣، ٥٤٢٥، ٦٣٦٣، ٦٣٦٩) بلفظ: (اللّهم إني أعوذ بك من الهم والحزن..) الحديث.

(٣) التحرير والتنوير (٢٣ / ٧٢).

«صرح ﷻ في هذه الآية الكريمة بأنه يعلم أن رسوله ﷺ يحزنه ما يقوله الكفار من تكذيبه ﷺ، وقد نهاه ﷻ عن هذا الحزن المفرط في مواضع أخر..»(١) اهـ.

فيبقى السؤال: حسنًا، لن نتوقف عن العمل والبذل والمجاهدة، ولن نجعل الحزن يُقعدنا، ويُفسد علينا عزيمتنا وإرادتنا، ولكن ما هو العمل المطلوب منا؟ فالجواب هو على الإجمال في قول الله ﷻ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾[الحج]، ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾[البقرة]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[النحل] ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾[المائدة]، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١﴾[التوبة]، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[الحج] الآية، وغيرها من الآيات وما في معناها من الأحاديث النبوية، كما قال النبي ﷺ: (**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خيرٌ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**)(٢) الحديث..

ودفع القدر بالقدر، كما قال سيدنا عمر ﷺ كما في قصة طاعون الشام: «نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله»(٣)؛ فأولا لا بد من دفع أقدار الفُرقة والتنازع والاختلاف بأضدادها، وهي المحاولات والسعي الجاد والمستمر الدائم إلى إيجاد الاتحاد والاجتماع والائتلاف والولاء الإيماني والتعاصم والتعاون والتحابب والتوادد والتعاطف، (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمّى**)(٤)، (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)(٥)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[الصف]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾[آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾[الأنفال: ٤٦].

ومن ضمن ذلك، أعني دفع القدر بالقدر في هذا الباب، التنازل من بعض المسلمين لبعض، والذلة للمؤمنين، وتقديم الاجتماع ولو على المفضول على الفُرقة في طلب الاجتماع على الفاضل، قال الله ﷻ في وصف الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤] الآية.

---

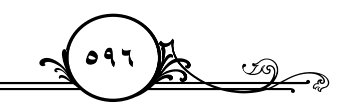
(١) أضواء البيان (١ / ٤٧٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٧٢٩).

(٤) صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(٥) صحيح البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، صحيح مسلم (٢٥٨٥).



ومنه السعي للإصلاح بين المؤمنين متى ما وجد خلاف؛ فإن الإصلاح بين المؤمنين واجب كفائي وعمل صالح من خيار الأعمال الصالحة، قال الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[الأنفال]، وقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[النساء]، وقال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: ١٢٨].

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي في الترمذي وأبي داود وغيرهما: (**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة؟**) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (**إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**)(١).

وغير ذلك الكثير من الفقه الذي يجب أن ننشره بين المسلمين ويتفقه عليه شباب الإسلام؛ فعليك يا أخي المسلم أن تنظر وتبحث: ما هو الخير وأين هو وماذا يحب الله منا وبمَ يأمرُ ربنا ﷻ في هذه الحال وهذا الوقت.. وافعله.

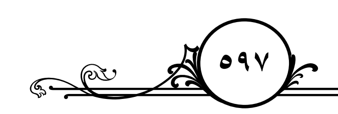
كيف تعرف ذلك؟ بالعلم النافع، والفقه في الدين، وكلُّ إنسانٍ بحسبه وبحسب درجته في العلم والتكليف، إن كان عالمًا فتكليفه الاجتهاد في معرفة الحق وفي إصابة الصواب والعمل به ودعوة الناس إليه، وإن كان عاميا فتكليفه هو أن يجتهد في البحث عن الحق والصواب بحسبه، وأرجح ضابط لذلك عند العلماء هو: أن يسأل أوثق من يعرف من العلماء دينا وعلمًا، ويأخذ بقولهم، وله أن يسأل أكثر من واحدٍ عند الاشتباه والشك والتردد، ويجتهد في معرفة أهل الحق فيتبعهم، فإذا فعل ذلك فقد أحسن وأدى الذي عليه، أصاب أو أخطأ، وهو حينئذ كالعالِم؛ دائرٌ بين الأجر والأجرين.

وهناك مرتبة متوسطة بين مرتبة العالم المجتهد المستقل بالنظر والاستدلال، وبين مرتبة العاميّ الخالص، وهي مرتبة طالب العلم الذي لم يصل إلى درجة المجتهد المستقل استقلالا كاملا بالنظر والاستدلال، ولكنه ليس كالعاميّ، بل له قدرةٌ متوسطة على النظر تقترب من درجة العالم المجتهد أحيانا، وتقل أحيانا، ويستطيع الترجيح في كثير من المسائل، وهذه المرتبة هي التي يسميها مَن أثبتها من أهل العلم بمرتبة المتّبع، فهذا تكليفه أن يجتهد في تحري الصواب بحسب قدرته على النظر والاستدلال والترجيح كذلك، فإن عجزَ، رجعَ كالعاميّ المذكور في الدرجة السابقة.

هذا ضبط المسألة من حيث الأصول، وأما التفاصيل، فلا يمكن الخوض فيها، لأن كل حالة لها

---

(١) سنن الترمذي (٢٥٠٩) وقال: «حديث حسن صحيح»، سنن أبي داود (٤٩١٩) وصححه الألباني.



نظرٌ مستقل.. لكن نحن لا بد أن نعرف الأنواع، هذا مهم جدا:

فهناك من المسائل ما يسع فيه الخلاف، ويعمل فيها كل واحدٍ من الناس بما توصّل إليه من رأي واختيار من الأقوال والمذاهب، ولا يعنّف واحدٌ على الآخر، ولا ينكر أحدٌ على أحد، مع بقاء التناصح والتباحث والندب إلى الأفضل.

ومن المسائل ما لا يسع فيه خلافٌ، ويُنكر فيه على المخالِف، بحسب مرتبته وما يستحقه من إنكارٍ شدة أو لينًا قوة وضعفًا، وغير ذلك من شروط وفقه وآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا أظنه بالجملة واضحا، وتفاصيله وأمثلته معروفة عند عامة شباب الإسلام المتفقهين، مع أنه يحتاج دائما أيضا شروح وتفهيم من قِبل الدعاة والعلماء.

لكن هناك مسألة يحسُن التنبيه عليها، وهذه المسألة مما يبتلي الله ﷻ به الناس في باب الحرب والسياسة والولاية، والخلاف والنزاع حول هذه الأشياء، وما يحصل فيها من فتن.

هذه المسألة هي: أنه بعد أخذنا بكل الأسباب المتقدمة ودفعنا بالتي هي أحسن، وسعينا الجاد بحزم وقوة، وقيامنا بما في وسعنا من دفع القدر بالقدر، فإننا قد نصل أحيانا إلى حالةٍ لا بد فيها من وقفة حقٍ ننصر الحق ونكون معه، ولا نكون مع الباطل أبدا، يمكن أن تسمّيها نقطة مفاصلة.

وشرح هذه المسألة على وجه الاختصار: أنه ليس الصواب هو دائمًا اجتناب «الفتنة» حتى وإن سمّيناها فتنة.. بل قد يكون الصواب هو الوقوف مع إحدى الطائفتين ونصرها.

فالمجتنب لكل خلاف وتقاتُلٍ بين المسلمين بدعوى أنه فتنة يجب اجتنابها، وأن الله قد أمرنا باجتناب الفتن، هذا مخطئ قد ضل الطريق، ولبّس عليه الشيطان..!!

إنما الفتنة المأمور باجتنابها هي شيئان:

- إما ما كان نزاعا على الدنيا والملك والرئاسة لا على الدين، فهذا يجب اجتنابه وجوبًا لا شك فيه ولا إشكال، ويجب نهي المتقاتلين عنه والإنكار عليهم بحسب الإمكان، والأدلة على ذلك معروفة لا نطيل بها.

- أو: ما التبس على الإنسان، ولم يعرف وجه الحق فيه، ولا ظهر له الصواب مع أي طائفة من الطوائف المتنازعة المتقاتلة، ورأى أنهما (الطرفين) كلاهما متأول مثلا، أو له حق من وجهٍ، ومعه حق وباطل، ولم يتمحض أو يترجّح الحق مع أحدهما بيّنا واضحًا.. فهذا كذلك الواجب أو المندوب فيه اجتناب الفتنة.

وأما في حال اتضح صاحب الحق، وعُرفت الفئة المحقّة من المبطلة، وتمحّض الحق أو ظهر

وترجّح جليًّا في جانبٍ، فهذا يجب فيه نصر الحق والكون مع أهل الحق، وأدلة هذا أيضا معروفة مبسوطة في مواضعها.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾[الحجرات]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨]، والله المستعان، نسأل الله ﷻ أن يصلح ذات بين المسلمين ويؤلف بين قلوبهم، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. آمين.

✵ ✵ ✵

[هل يؤدي هذا الاختلاف في مناهج مجاهدي «العراق» إلى التصادم للوصول للقيادة، وذكر الصفات التي ينبغي أن تكون في الحركة الجهادية]

مركز اليقين: لكن هل تتصور أن هذا التعارض أو الاختلاف في خطط ومناهج الجماعات المختلفة لانتشال العالم الإسلامي من وضعه الحالي قد يدفع إخوة الأمس للتصادم من أجل الإمساك بزمام القيادة وفرض كل لرؤيته ومخططه؟

الشيخ عطية الله: كل شيء متصوَّرٌ وممكن الوقوع، لا نكذب على أنفسنا ولا على الناس، نحن بشر، وإخواننا المجاهدون على الأرض بشر، وهم درجات لا يعلمها إلا الذي خلقها ﷻ، أعني: في الدين والتقوى واختيار الله واليوم الآخر ومحابّ الله ﷻ عند تزاحم المحابّ والإرادات وعند ورود الفتن والأهواء والشهوات، وفي العقل والفهم ورجاحة البصيرة والفطنة، وفي الفقه في الدين والعلم النافع، وقبل ذلك كله: التوفيق بيد الله ﷻ وحده لا شريك له.

ولكن مربط الفرس كما يقال هو: أن يجتهد الإنسان في البحث عن الحق، ويعمل به، وينصره ويكون مع أهله.. إذا فعل ذلك، فقد ربح، ولا خوف عليه إن شاء الله.

اجمع هذا الكلام المختصر مع ما كنا نقوله قبل قليل من وجوب السعي لدرء أسباب الاختلاف والتنازع والتفرّق المذموم بين المؤمنين ووجوب إصلاح ذات البين والسعي لتحقيق الاجتماع والائتلاف، قدر المستطاع.

وأنت ذكرتَ مسألة صراع مناهج وأفكار، وسألت الآن: هل يمكن أن يجر هذا الصراع إلى تصادم؟ وقلت لك إن صراع المناهج والأفكار والمشاريع موجود.



ولكن علينا أن نجتهد في ألا ننجر بسبب ذلك إلى اقتتال بين المسلمين، لكن في حال حصل التنازع والاقتتال؛ فلينظر الإنسان في الواجب عليه فعله، وهو ما حاولت التعبير عنه في كلامي السابق.

أخي الكريم: حتى نكون صرحاء وصادقين، ولا أرى ضررًا في الصراحة هنا، لأن الأمور على الأرض بدأت منذ فترة تسير في اتجاه تمايز الصفوف وانقسامات واستقطابات، فلا نستطيع أن نغمض أعيننا أو نتعامى، بل علينا أن نواجه الواقع بما أرانا الله.

التصالح بين المؤمنين مطلوب، والتعافي والتغاضي والتنازل والذلة للمؤمنين.. ولكن دائما هناك حدود وخطوط حمراء، وهذا في كل شيء من أمر المخلوق، فكل شيء له حدوده، وقد قيل أيضا: «إن الشيء إذا زاد عن حد انقلب إلى ضده»، وهو كلام صحيح على وجه الأغلبية والإجمال، بمعنى أن الزيادة على الحد المطلوب غالبا ما تصير إلى فساد ولا يتحقق معها صلاح بل يقع بها الضرر.

أخي الكريم، إن راية الجهاد لا بد أن تكون في أيدي أمينة، يمكن ائتمانها على الجهاد، أناس من أهل الصدق ومتانة الديانة والتقوى وأهل العزائم والصبر، والحركة الإسلامية جرَّبت وعانت وتراكمت عندها خبرات وتجارب، فهي ليست في مرحلة طفولة، بل هي بحمد الله بالغة راشدة سديدة شديدة، قد بلغت أشدها واستوت، وآتاها الله حظا من الحكمة طيبا والحمد لله رب العالمين.

فأنا شخصيا بحسب معرفتي أستبعد أن الحركة الجهادية اليوم تفرط بسهولة في رايتها وتضعها في أيدٍ غير أمينة.!! ما هي الأيدي غير الأمينة هذه؟ يوجَد -يا أخي العزيز- أناسٌ يريدون أن يقودوا الجهاد والحركة الجهادية، وأن يمسكوا بزمام الأمور وتكون بأيديهم الراية، لكن ليس عندهم المؤهلات لذلك، ونحن نعرف ذلك، والحركة الجهادية تعرف ذلك جيدا، وهي واعية بحمد الله وعيًا كاملا بهذا الشأن كما قلت لك، فلا يمكن أن تجاهد الحركة الجهادية وتبلي وتناضل وتكافح وتعاني وتقدّم التضحيات الجليلة ثم تسلّم الراية بسهولة لمن لا يُؤتمن عليها، هذه نقطة في نظري في غاية الأهمية، حتى يفهم الإنسانُ مبنى من مباني الصراع وتكون عنده خلفية.

لا أتوقع أن الحركة الجهادية بعد هذا النضج والوعي والرقيّ والإنجاز تسلم زمامها إلى مَن يمكن ويُتوَقّعُ منه -بحسب ما يعطيه النظر في الأسباب والمسببات وما تعطيه التجارب والامتحانات- أن يرضى غدًا أو بعد غدٍ بشيء من الفتات يُلقى له من العدوّ، ويرضى بأنصاف الحلول والتسويات.!

الحركة الجهادية طريقها واضح وهي على بصيرة من أمرها وستصبر، وهي ماضية على مهلٍ وتؤدة،

ونافذة على رِسلها، لا تلتفت، ويحدوها حديث النبي ﷺ: **(لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)**(١) وقول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[المائدة: ٥٤]، تعرفُ هدفها، ومتصوّرة لمراحل مسيرتها تصوّرًا إجماليا مع كثير من التفاصيل، وتستكمل التفاصيل في الأثناء، وتتراكم عندها التجارب، وهي في ازدياد كل يوم وليست في نقص والحمد لله.

هناك أناس من داخل إطار ما يسمى «المقاومة» أو حتى إن سمّي جهادًا، طارئون وجُدد على الجهاد وعلى طريق الجهاد، وعلى فقه الجهاد وعلى منهج الجهاد يفتقدون إلى الرسوخ، ومتقلبون، ولم يوضعوا على المحك الحقيقي ولم تنجبهم الأيام الصِعاب، بل أنجبتهم ظروف وأحوال أشبه ما تكون بـ«الاتفاقية»، وكل شيء بقدر الله ﷻ، وُجِدوا فيها ووجدوا أنفسهم فيها قيادات، هؤلاء كيف يمكن للحركة الجهادية أن تأتمنهم على الراية.! حق للجميع أن يجاهد ويساهم، لكن حق أيضا لأمثال هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم.

وهناك أناس من خارج المنظومة الجهادية أصلا (خارج عن كل ما يسمى جهاد وحتى مقاومة) ويريدون أيضا أن يقودوا الأمة ويقودوا الحركة الجهادية عن بُعدٍ ويفرضوا أنفسهم كقيادة لا يمكن تجاوزها، هذا أيضا غير مقبول ولا أتوقع أبدًا أن تنخدع فيهم الحركة الجهادية بعد هذا الرُشد والحمد لله..! أخي؛ لنكن أكثر صراحةً ووضوحًا: حسب معرفتي المتواضعة؛ لن تقبل الحركة الجهادية اليوم بعد هذا الوعي والنضج وهذه التجارب وهذه المعاناة، أن تسلّم القيادة لـ«الإخوان المسلمين» أو مَن قاربهم وشابههم، هذا واضح، وأرجو أن تكون عبارتي واضحة لا تحتاج إلى كبير شرح وتحرير.!

ولن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم القيادة لأناس أخلاط من الفكر الإخواني والبعثي والوطني والقومي وغيره، لم يُمحّصوا جيدا، ولم يحصل الوثوق بهم جيدًا، بل عند بعض الامتحانات الصغيرة ظهر منهم الضعف والركاكة بل سقط بعضهم في امتحانات شهرية ونصفية..! نسأل الله ﷻ أن يربط على قلوبنا ويثبتنا وإياكم على الحق ويرزقنا اليقين وأن يعافينا قبل ذلك وبعده.. آمين.

ولن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم الراية لأناس يعيشون متنقلين بين أفخم الفنادق في دول الردّة مرضيًّا عنهم من حكومات تلك الدول، يعقدون المؤتمرات علنا عندهم، ويشاركون في اللقاءات والاجتماعات الطاغوتية ويُعانقون الطواغيت وأئمة المرتدين بالأحضان، ويقبّلونهم ويبشون في وجوههم بشاشة الأخ الودود، ويظهرون لهم المودة، ويُثنون عليهم وعلى جهودهم ويرجون فيهم

(١) صحيح البخاري (٣٦٤١).

الخيرَ، ويستنجدون بهم ويرونهم جزءًا من الحل، ويعتبرونهم إخوة...!

هذا غير ممكن، والله أعلم، والله غالبٌ على أمره، نسأله ﷻ أن يحفظ الجهاد والمجاهدين ويقيهم شر كل ذي شر.

ولهذا لما قال الأمير «أبو عمر البغدادي» أمير المؤمنين في «دولة العراق الإسلامية» في أحد خطاباته: «أمة الإسلام، لقد عزمنا ألا نكرر المأساة وأن لا تضيع الثمرة، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(١) اهـ، كان ينطلق من فهم ووعي الحركة الجهادية الأصيل.

ولنكون واضحين أيضا مرة أخرى أخي الكريم، فعندما أقول «الحركة الجهادية» فإنني أعني بها: الحركة الجهادية العالمية التي هي مشروع أمة الإسلام الكامل المتكامل المترابط، وهي حركة: التوحيد والجهاد والسنة والولاء والبراء، ونصاعة العقيدة وصفاء المنهج ووضوحه، والصدق والصدع بالحق، التي لا ترضى بأنصاف الحلول والتسويات، ولا تلتقي مع عدوّها الكافر في منتصف الطريق، ولا ترضى بالفتات!! حركة أخذت على عاتقها الإحاطة بهذا الدين من كل جوانبه بحسب الوسع والطاقة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، حركة من مبادئها: ليس عندنا ما نخسره: نحن بين إحدى الحسنيين: نصر أو شهادة، ومن مبادئها: المنيّة ولا الدنية، ولضربة بسيف في عزّ خير من ضربة سوط في ذل.. حركةٌ الوشيجة التي تربط بين أبنائها وأعضائها وأفرادها هي الإسلام: التوحيد والسنة والسير على منهج وطريق السلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، لا تعترف بـ«سايكس بيكو» والحدود التي صنعها ووضعها أعداء الأمة ومزقوها بها، إلا بقدر ذلك الاعتبار «الفني» إذا صح التعبير الذي تكلمنا عنه فيما سبق متى ما تمحّص واتضحت فيه المصلحة الراجحة، وذلك من مسائل السياسة الشرعية، حركة لا تفرّق بين كافر محليّ وأجنبيّ، إلا -مرة أخرى- بالقدر والاعتبار «الفني» إذا صح التعبير وإنما نستعمله لتقريب الفهم، كتقديم قتال هذا على ذاك أو ذاك على هذا، أو تحييد هذا والسكوت عنه إلى حين، أو نحو ذلك، مما تسعه السياسة الشرعية ولله الحمد والمنة، حركة لا تعترف إلا بشرعية ديننا وشريعتنا المطهرة شريعة رب العالمين كمرجعية مطلقة، لا بما يُسمّى اليوم بـ«الشرعية الدولية» وغيرها، حركة غاية الجهاد عندها ودافعه هي: أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدينُ كله لله، هذا هو المبدأ الأساسي والأكبر والمقصد الأعظم، فما اندرج تحت هذا المبدأ وخدمه، من أغراض ومقاصد أخرى، ولم يرجع عليه بالبطلان، كتحرير الأوطان من قبضة الأعداء

---

(١) في الكلمة الصوتية: «حصاد السنين بدولة الموحدين».

الظلمة، ونصر المستضعفين وحفظ الأعراض ونحوها، فهو تابع له في الشرعية، حركة عرفت عدوّها جيدا وعرفت أعداء الأمة ولم تعد منخدعة فيهم أو مغترّة بنفاقهم وألاعيبهم، حركة لا تسلم قيادتها إلا للأمناء على الدين فعلا، ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ نحسبهم كذلك، بحسب وسعها وطاقتها، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

والكلام على صفات هذه الحركة يطول، ولكنه بحمد الله صارَ واضحًا في جملته وفي أكثر تفاصيله لشباب الإسلام، وهي بالجملة صفات «الطائفة المنصورة»، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم منها.

نعم.. **من صفاتها أيضا**: التواضع والذلة للمؤمنين وخفض الجناح لهم، وتتنازل الحركة الجهادية لإخوانها حتى أضعف الضعفاء منهم قدر المستطاع، وترحّب وتفرح وتسر بكل جهد وكل معونة، ولا تستغني عن أحد من الأمة، وتدعو الجميع للكون معها، وتتألف قلوب الناس، وتسعى في كسب محبتهم وودهم بالمعروف وبالحق، وبالعفو والإغضاء والستر، وتشكر للجميع إسهاماتهم مهما صغرت ولا تستغني عنها ولا تترفّع، وتدعوهم للمشاركة الفاعلة وتثمّنها منهم، وهي تفهم وتعي جيدا قول النبي ﷺ: **(وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم)**[1]، ونصب أعينها دائما قولُ الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص]، كل هذا حق، ولكن الراية أمانة عظيمة، لا يمكن أبدًا بحالٍ من الأحوال أن تُعطى بسهولة لأي أحدٍ.

القيادة أخي الكريم؛ **قيادة الأمة وقيادة الجهاد** إنما تكون في يد أهلها الذين عُرفوا بالصدق والصبر واليقين، والأمر لله من قبلُ ومن بعد، والله يؤتي ملكه مَن يشاء، لكن هذه هي قناعة الحركة الجهادية الشرعية وفكرتها، وهو مبدأ صحيح بلا شك، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة]، والله أعلم.

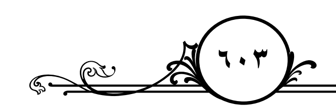
❋ ❋ ❋

〚الرد على من زعم أنّ المنهج الجهادي لا يستجلب إلا المغرر بهم، الذين يفرقون الأمة〛

❁ **مركز اليقين**: لكن هناك من يقول بأن هذا الفكر الذي يجعل من المسلم الذي ينصر المسلمين والذي لا يقترب من الأمريكيين ولا يساعدهم ولا يعاونهم ولا يشير

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٩٦).



عليهم هو المسلم الصادق، وأن من يدخل في الحلول الأمريكية والغربية سواء أكانت تحالفات محاربة الإرهاب أو قبول حلولهم السياسية الديمقراطية والتحررية، بأنه ليس بمسلم وأنه خائن لأمته ودينه ووطنه، هناك من يقول أن هذا الفكر لا يؤثر إلا على المتحمسين ولا يستقطب إلا المُغرر بهم كما يصفهم الإعلام، الذين لم يجدوا فرصا في اندماج اقتصادي أفضل في مجتمعاتهم أو حرية أوسع في المشاركة السياسية، وأنه لا ينتج نتيجة واضحة ولا يثمر في النهاية سوى المزيد من التفتت في البلاد والمجتمعات الإسلامية ويؤول إلى التمزق والصراع الداخلي بين هؤلاء الأبناء أنفسهم وفيما بينهم وبين حكوماتهم؟

الشيخ عطية الله: هذا كلام يطول.. ويحتاج إلى مقام أرحب، لكن على كل حال، القول بأن هذا الفكر الذي قلنا إنه فكر ومنهج الحركة الجهادية إنه فكر لا يؤثر إلا في المتحمّسين العاطفيين ولا يستقطب إلا كذا وكذا، هذه تقريبا هي مقولة كل أعداء الرسل في كل زمان على مر التاريخ، ومعلومٌ أن أتباع الرسل هم الضعفاء «قال: أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال بل ضعفاؤهم، قال: وهم أتباع الرسل»[1] وهذا مدلولٌ عليه في القرآن والسنة في قصص الأنبياء وسيرة نبينا محمد ﷺ.

فنعم، هذا المنهج أتباعه في الغالب هم الضعفاء البسطاء والفقراء، وهم أتباع الرسل؛ لأنهم بحسب سنة الله التي أجراها في خلقه، هم أصفى فطرًا وأقرب إلى قبول الهدى وأقل موانعَ، بخلاف المترفين المذمومين في القرآن الذين هم أعداء الرسل غالبًا، وبخلاف الأشراف، والمقصود بهم الزعماء وسادات الأقوام وأهل الملك وأصحاب الرياسات.. اللّهم إنا نسألك حبَّ المساكين.

وأما تزويقات بعض المزوّقين ممن يريد أن يخرج عن المحاصرة السابقة، ويقول: لا، أنا أقصد أنه فكر عاطفي يجمّع المتحمّسين أعني تحمّسًا زائدًا مذمومًا، بدون عقل للأمور وحسن فهم وتدبر وتفكر وتأمل، وأنه فكر لا ثباتَ له ولا رسوخ، ولا يستهوي إلا الفئات التي هي قليلة عقل وفهم وعلم.. إلخ.

ففي الحقيقة، عند التدقيق والتحقيق.. فإن هذا هو من جنس ذاك، ولهذا نقول لَمن يقولون مثل هذا الكلام: اتقوا الله وخافوا غضبه وسخطه، وإياكم أن تشابهوا الكفرة المشركين في حججهم في رد الحق ومعارضة طريق الأنبياء، والصد عنها، وإياكم ومشابهة المنافقين في أقوالهم ولمزهم للمؤمنين، فإن الله ﷻ لم يقص علينا قصص الأقوام المعاندين للأنبياء والرسل وما قالوه ودفعوا به في وجوههم من

(١) صحيح البخاري (٤٥٥٣)، صحيح مسلم (١٧٧٣) وساق الشيح جزءا منه فقط.

الحجج الباطلة الداحضة وما تعللوا به لرد دعوتهم، وما بيّن لنا صفات المنافقين ونبّأنا من أخبارهم إلا لكي نحذرَ صفتهم والوقوع فيما وقعوا فيه ونحذر من التشبه بهم والكون مثلهم؛ فإن مثلهم مثل السوء الذي يبغضه الله ﷻ ويسخط على صاحبه، والعياذ بالله.!

فكيف يليق بمؤمن يدّعي اتباع النبي ﷺ أن يقول هذه الأقوال ويلقيها على الناس ويلبّس به على الخلق ويصدّ بها عن سبيل الله؟ أما يخشى أمثال هؤلاء أن ينالهم قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص] وقوله ﷻ: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾[النحل] ونحوها من آيات الوعيد لمن يصدّ عن سبيل الله.؟! حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يصف سعي الحركة الإسلامية الجهادية إلى إقامة حكم الله في الأرض، وإقامة دولة الإسلام بأنه «أحلام» و«خيال»..!

فبالله عليك.. أليس هذا مضاهيا لقول المنافقين عن النبي ﷺ وأتباعه وأصحابه: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾[الأنفال: ٤٩]؟! نعوذ بالله من سبل الضلالة.

لكن لو تجاوزنا هذا.. فإن أول رد لهذا الكلام هو أنه دعوى، مجرد دعوى، للمخالف أن يدّعي عكسها، ويقلبها على صاحبها حرفا بحرفٍ.! ثم يقال له: كلامك باطل بلا ريب، ودليل هذا: تفضّل وادخل في التفاصيل، وأرنا برهانك إن كنت صادقا، وسيتبيّن عند تصاول الفرسان في حلبة الميدان: ميدان الحجج والبحث العلمي، كيف تعلو براهين الحق ويُزهق الباطل، لأن الباطل زهوقٌ، لا يثبت أمام قذائف الحق التي هي البراهين والأدلة والحجج الباهرات والبيّنات الساطعات.!

وكذلك قوله: «لا ينتج نتيجة ولا ثمرة».. إلخ، فهذا كله من الدعاوى الباطلة والمحاجة بالباطل لا غير! وإلا فثمرات هذا المنهج وهذه الحركة التي تتبنى هذا المنهج ظاهرة لأولي الأبصار، وهي بركة على الأمة، كما تكلمنا في شيء من ذلك في أول هذا اللقاء.

والكلام عن صراعات بين أبناء هذا الفكر، هو كذلك من المحاجة بالباطل، فأين الصراع بين أبناء هذا الفكر والمنهج في الواقع؟! بل الصراع في غيرهم وبين صفوف مخالفيهم أصحاب السبل المتفرّقة، والواقع شاهد ذلك، فالمنكر له مكابر أو جاهل بالتاريخ والحال.. ثم لو وقع صراعٌ بين المؤمنين بهذا المنهج أحيانًا فهل هذا دليل على بطلانه؟ الجواب بالنفي طبعا، فإن الصراع قد يقع بين الصالحين الأخيار، وله أسبابه الكثيرة، من أهمها: الهوى، والتأويل، التأويل أكثر في أهل الصلاح، والهوى ألصق بأهل الدنيا وقليلي الدين.

وأما الكلام عن صراع بين أبناء هذا المنهج وبين حكوماتهم، والمقصود بها الحكومات المرتدة الحاكمة في بلداننا الإسلامية اليوم، فهذا لعل صاحبه أرد أن يجعله من باب المدح بما يشبه الذم.!

〚لماذا لم تحظ «دولة العراق الإسلامية» بالحاضنة الشعبية، والدعم الشرعي اللازم〛

❁ **مركز اليقين**: الآن مثلا في العراق، «دولة العراق الإسلامية» بُنيت على هذه المبادئ والقناعات التي تحدَّثتَ عنها، من ضرورة إرجاع الحكم بالشريعة وإرجاع العلاقة بين المسلمين والكفار إلى صورتها الصحيحة دينا وشرعا كما أشرتم، يعني الولاء والبراء، خاصة المناصرة العسكرية الجهادية للمسلمين، والتبرؤ من كل ما قد يعين الكفار اليوم في حربهم للإسلام، فهل صحيح أن هذه الدولة لم تحظ بالدعم الشرعي والشعبي اللازم؟

الشيخ عطية الله: لا، أبدًا، غير صحيح أنها لم تحظ بالدعم الشرعي والشعبي اللازم..! هذا الكلام بهذا الإطلاق غير صحيح ولا منصف، بل إن «دولة العراق الإسلامية» تحظى بالشرعية المستندة إلى الحق الثابت المتقرر في الشريعة الإسلامية وفقهها، وتحظى بقدر طيب وكافٍ من الشعبية.

وإلا فأنا أسألك: ما هو معيار الشرعية؟ إذا كنت تقصد أنها إمارة شرعية غير خارجة عن الشرع، بل هي إمارة وولاية أقامها مسلمون مجاهدون في سبيل الله ﷻ حصلت لهم شوكة وقوة في بعض بقاع الأرض؛ فأقاموا إمارة واختاروا رجلا منهم بايعوه عليهم، وأقاموا ما قدروا عليه من الدين وأحكام الشريعة، وهم باذلون جهدهم في ذلك، وهم بحمد الله موثوقون أهل دين وصدق وجهادٍ في سبيل الله... فهذا والله كائن وحق، وهذا لا شكّ أنه معيارُ الشرعية الأساسي، وهذه الإمارة (الدولة) تثبت وجودها في الميدان وعلى الأرض، وتزداد قوة بحمد الله وتتطور رغم كيد أعدائها الكبّار العظيم جدا.! وأما الشعبية، وهي مما يدخل أيضا في اعتبار الشرعية، بوجهٍ من الوجوه، لأنها لو كانت مجرد حبر على ورق، لم تكن لها «شرعية»، لأنها لا وجود لها على الأرض، يعني لا قوة ولا سلطة ولا نفوذ ولا قدرة على إنفاذ كثير مما تريد من إقامة الأحكام، حينئذ تكون عبثا، ولا اعتبار لها.

أقول: أما الشعبية فـ«دولة العراق الإسلامية» لها شعبية كبيرة في مناطقها، ومعها جماهير عريضة: مبايعة أو مؤيدة ومتعاطفة، أو حتى داخلة تحت سلطانها بالرغبة والرهبة، درجات.

هي ولاية لها وجود على الأرض فعلي وواقعي، يفرض نفسه، وينفذ الأحكام، سلطتها وأمرها وكلمتها نافذة وعالية في مناطق واسعة وشاسعة من الأرض، ودعك من كلمة واسعة، اعتبرها حتى

مناطق ضيقة، إن شئتَ..!

ولولا الشرعية والشعبية التي تتمتع بها «دولة العراق الإسلامية»، لما ثبتت كل هذه المدة مع عظيم الكيد وكبير المكر الذي تتعرض له، وقد رماها الأعداء عن قوس واحدةٍ، وقد خذلها الكثيرون ممن كان يُرجي منه نصرها.! وهي صامدة وتزداد قوة بفضل الله وينضم إليها الناس والكتائب، وذلك بفضل الله أولا ثم بفضل التأييد من الشعب وعشائره وأكثر الطيبين الخيّرين منه، كيف ورجال الدولة هم في أغلبيتهم الساحقة من هذا الشعب وعشائره.

الشعب العراقي في العراق الآن على ما يقال في الإحصاءات: حوالي أربعة وعشرين مليونًا، لو نحّيتَ نصفه اثني عشر مليونا، شيعة، لا نتوقع أن يؤيد «دولة العراق» منها شيء، بقي اثنا عشر مليونًا، على الأقل لو أيدها ربُع هذا المقدار، فيكون لدى الدولة شعب من ثلاثة ملايين، موزّعين على محافظات خمس تقريبا، يشكلون أكثرية في بعضها، وأقليات متفاوتة في بعضها الآخر.. لكان كافيًا في مثل هذه الأحوال لأي كيان سياسي أن يستمر ولا يسقط بسهولة، فكيف ونحن نكاد نجزم بأن أكثر من نصف أهل السنة مع الدولة، ومؤيدون لها محبون داعمون.! والحمد لله رب العالمين.

وجماعة بشرية وكيان سياسي واجتماعي يتمتع بهذا القدر من التأييد من المسلمين لا يمكن بإذن الله أن يقضي عليها عدوّ ما دامت على الحق وصابرة.

ونحن أيضا علينا بالصبر؛ الصبر والانتظار جيد، ونصر الحق وأهله، والاستمرار في ترشيد المسيرة بنصح صادق، هو هذا المطلوب، والله هو الفتاح العليم.

❋ ❋ ❋

〚القول في فتوى الشيخ «حامد العلي» بخصوص «دولة العراق الإسلامية»〛

❁ **مركز اليقين**: لكن نعرف على سبيل المثال فتوى الشيخ «حامد العليّ»، وهو من العلماء المؤيدين للمشروع الجهادي للأمة.

الشيخ عطية الله: الشيخ «حامد العليّ» عالمٌ، من أهل الصدع بالحق نحسبه كذلك، وهذا رأيُهُ واجتهاده، ولكن هو معارَضٌ باجتهاد غيره من العلماء، ونحن نعرف علماء هم في درجة الشيخ «حامد» ونعرف علماء هم أعلى طبقة في العلم من الشيخ «حامد» مؤيدون للدولة، وكل الناس سمعت بمحاولات ومساعي بعض القوى والفصائل المنتسبة إلى الجهاد والمقاومة في العراق في الحجاز ونجد لاستصدار فتوى من العلماء بعدم شرعية الدولة فلم ينجحوا، وللإنصاف وإحقاق الحق: ليس السبب



الوحيد لإحجام العلماء عن إصدار فتوى تدين الدولة وترفضها هو الخوف من الفتنة وازدياد المفاسد، لا والله، بل هذا سببٌ ثانويّ، بل السبب الرئيسي أن جماعة من العلماء ومنهم بعض الكبار مقتنعون بأن هذه المسألة مسألة اجتهادية، لا يمكن إصدار فتوى بعدم شرعيتها، لأنها مسألة اجتهادية وإن تردد نظر بعض المفتين في: هل كانت هي الخيار الأفضل أو كان الأحسن التريّث فيها، أعني الإعلان عن تشكيل دولة وإمارة على النحو الذي أعلنه الإخوة في العراق، وكذلك نحن نعرف أن قيادات الجهاد الكبار من الشيخ «أسامة» مرورا بالشيخ «الظواهري» إلى الشيخ «أبي يحيى الليبي» وغيرهم أيّدوا الدولة ودعوا الفصائل الأخرى إلى الانضمام إليها، و«القاعدة» عندها لجنة شرعية فيها علماء ومشايخ، وعلى رأسها الشيخ «أبو يحيى» حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وهم على صلة بجماعة من المشايخ في العالم الإسلامي وتشاور معهم.

فالمقصود أن فتوى الشيخ «حامد» هي فتواه ورأيه واجتهاده، وهو معارَضٌ بمثله بل بما هو أقوى منه، ولا بد أن تلاحظ أخي الكريم أن العالِم الذي يرى عدم شرعية الدولة بإمكانه التصريح بذلك، أعني أنه لا ضرر عليه في التصريح بمثل هذا، لكن الذي يرى شرعيتها ويؤيدها وينصرها لا يمكنه التصريح بذلك، فإن هذا من الخطر العظيم اليوم، بل المؤيد يكتم ذلك ويخشى أن يظهر عنه، وربما ورّى..! نسأل الله أن يحفظ الجميع.

لكنني سأسجّل تعليقا صغيرا هنا، وهو أني أنا نفسي كنت ممن لا يؤيد إعلان إمارة إسلامية في العراق في هذه المرحلة، وكان رأيي أن ذلك مبكر وربما كان سابقا لأوانه، وأشرتُ إلى رأيي هذا في لقائي مع منتدى الحسبة، العامَ الماضي، فيمكن مراجعته، لأن الإخوة سألوني ثمّت هل تؤيد إقامة إمارة إسلامية الآن في العراق كما كان الشيخ الشهيد أبو مصعب الزرقاوي ﷺ أشار إليها في شريطه المرئي، وذكر أنها مشروع يمكن أن ينطلق في الأشهر القادمة.

لكني أعرف أنها مسألة اجتهادية قابلة للنظر والاختلاف، ولما أعلن الإخوة عن الإمارة (الدولة) فعلا، تريّثتُ حتى تجمّع عندي من المعطيات والنظر ما جعلني أؤيدها وأراها تستحق التأييد فعلا، ورأيت لدى الإخوة وجهة نظر واعتبارات وجيهة جدا، وأن نصرها ودعمها هو الأفضل إن لم يكن الواجب؛ فقد كان الإعلان حركة سياسية استباقية، وقد توفرت عند الإخوة معلومات مؤكدة جدا بأن هناك جهات غير مرضيّة منتسبة إلى أهل السنة كانت بصدد الإعداد لإعلان تشكيل سياسي قريب من الدولة وفي معنى الدولة ويُراد له احتواء أهل السنة وتحقيق السبق الذي هو أيضا يدخل بوجهٍ من الوجوه في معنى «الشرعية».

وكان تشكيل الدولة والإعلان عنها حركة سياسية استباقية لاحتمال هروب مفاجئ للعدو الصليبي في أية لحظة.. وكان فيه فوائد أخرى وإيجابيات ستتبيّن للمتلبّثين إن شاء الله.

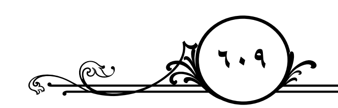
والحاصلُ أن الإخوة في الأرض وعلى الميدان لهم وجهٌ وجيه في إعلان هذه الإمارة، والله أعلم، وهم عندنا ثقات مؤتمنون والحمد لله، وما يوجد من ملاحظات وقصور نرجو أنه ينصلح مع الوقت وتظافر الجهود إن شاء الله.

ولهذا فكما قلتُ لك: الشيخ «حامد» هو عالم وله اجتهاده وهو أدرى بما يقول، وكذا غيره من العلماء لو أدلى أيُّ أحدٍ برأيه، لكني وددتُ لو أن الشيخ حَفِظَهُ اللهُ ووفقه اكتفى بنهي الإخوة عن محاولة إجبار الناس على البيعة واعتبار مَن لم يبايع خارجًا عن الجماعة مثلا وباغيا، لو صح هذا أصلا، لأن هذا ليس صحيحا عن إخوة «الدولة» بهذا الإطلاق، ويحتاج إلى شيء من التفصيل والتوضيح، ولا داعي لدعوة «الدولة» إلى أن تحلّ نفسها وترجعَ كما كانت تنظيما مثل سائر التنظيمات.! لأن هذا والله أعلم ليس سديدًا من عدة جهات:

منها: أن الدولة لم تكن تنظيمًا معينًا، بل هذه فكرة يروّجها الأعداء بالأساس، ثم الخصوم على درجاتهم المتفاوتة، لأهداف خبيثة معروفة، وأهواء، وسوء فهم في أحسن الأحوال، بل الحق والإنصاف يقضي بالإقرار بأن الدولة تشكلت من مجلس شورى المجاهدين وهو كان مكونًا من عدة تنظيمات صغيرة مع تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين»، ثم كل هؤلاء مع جماعة من شيوخ العشائر ووجهائها، وكتائب أخرى من فصائل أخرى شكلوا حلفا سمّوه حلفَ المطيبين ثم شكلوا الدولة، وهذا في الحقيقة، سواء وافقه الإنسان أو خالفه، هو عمل سياسي ذكيّ وقويّ.! والله أعلم.

ومنها: أن المتقرر في فن السياسة والحرب وتدبير المُلك أن التراجُعَ عن مثل هذه الأمور الاجتهادية المحتملة بعد إبرامها ليس من الحكمة، وأن القادة السياسيين إذا عقدوا أمرًا واتخذوا قرارا لا ينبغي لهم -ما دام اجتهاديا محتملا، له وجهٌ- أن يرجعوا عنه إلى غيره من الاجتهاد، حتى ينتهي أمده، ويبلغ الكتابُ فيه أجله.! وفي ذلك حكمٌ معروفة، وهذا أصل قد تقرر شرعا وعقلا، ومن دلائله: «أن الاجتهاد لا ينقض باجتهادٍ» في باب القضاء، والحُكمُ المُلكي شبيه به، وقول النبي ﷺ: **(إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)** لفظ أحمد في المسند، وصححه لغيره محقق المسند[1]، أو

(١) مسند أحمد (١٤٧٨٨)، سنن الدارمي (٢٢٠٥) وقال محققه حسين سليم أسد: «إسناده صحيح على شرط مسلم».



(**حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه**) كما في مصادر السيرة[(١)]، وغيرها، ومنها وجوه أخرى غير هذه.

والحقيقة أن المسألة كما قلتُ لك محل اجتهاد، وأنا أحبذ الاكتفاء بهذا القدر من التعليق، معرفةً بقدر نفسي، واحترامًا للعلماء، وتركًا للأمر لأهله، رجاء أن يكفينا الله ﷻ بأهل العلم، ولعل أهل العلم يكتبون ويبيّنون مع الوقت؛ فلا ينبغي الاستعجال.

❋ ❋ ❋

〚هل كل من لم يبايع «دولة العراق الإسلامية» خارجٌ عن الجماعة؟!〛

❁ مركز اليقين: ما هو التفصيل والشرح الذي أشرتَ إليه في مسألة اعتبار مَن لم يبايع الدولة خارجا عن الجماعة؟

الشيخ عطية الله: أنا قصدتُ أنه قد قيل: إن الدولة تجبر الناس على البيعة، وأنها ترى أن الذي لا يبايع ولا يلتحق بالدولة أنه مفارق لجماعة المسلمين، ويطبقون عليه حديث: (**مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**)[(٢)] ونحوه من الأحاديث، وهذا القول روّجه الخصوم كثيرا، وبخاصة «الحزب الإسلامي» ومَن نحا نحوه وقاربه، وبثّوه عبر شبكة معقدة من المشيخة والعلاقات يتمتع بها «الإخوان» كما هو معروف.!

وأعداء «الدولة» و«القاعدة» كثر، ولا ينقصهم الهمة في عداوتها، للأسف الشديد، نسأل الله العافية والسلامة!. ولكن المتثبّت المتأني، والذي يطلع على الأمور بشكل أكمل وأدق وأكثر اعتمادًا، يعرف أن هذا ليس صحيحا، أو على الأقل ليس دقيقا، وقيادات «الدولة» نفت هذا، وبيّنت أنها تدعو الناس إلى الالتحاق بـ«الدولة» ومبايعتها، ولكنها لا تجبرهم بالقوة على ذلك، ولا تمنعهم حقهم إن لم يبايعوا، ولا تعتدي عليهم، ولا تقطع ولاءها لهم، بل تراهم إخوة يجب نصرتهم وموالاتهم، حتى مع الاعتقاد بأنهم مقصرون في أمر الوحدة والاجتماع والبيعة لـ«الدولة» لأنها صارت الآن هي الجهة التي لا يدانيها جهة أخرى يمكن أن يجتمع عليها المسلمون وأهل الجهاد في العراق، وليس هناك جهة أحق منها لأسباب كثيرة، أقول: حتى مع الاعتقاد بأنهم مقصرون في ذلك، بل وأنهم واقعون في معصية لعدم قيامهم بهذا الواجب، فإنهم يبقون إخوة يجب لهم حق الولاء والنصرة والأخوة التامة... إلخ.

---

(١) صحيح البخاري (بعد حديث ٧٣٦٨) معلقا مجزوما به بلفظ قريب، المستدرك (٢٥٨٨) وصححه الحاكم والذهبي، البداية والنهاية (٥ / ٣٤٤)، وصححه السقاف في تخريجه «الظلال» (١ / ٨٠، ٨١).

(٢) صحيح مسلم (١٨٥١).

قيادات الدولة بيّنوا هذا ووضحوه جدا.

وقالوا: لا نقول إن مَن لم يبايع الدولة فإنه ينطبق عليه الحديث: **(مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)** بإطلاق وعلى كل أحدٍ لم يبايع، ولكن قد يكون هناك فصيلٌ ينبغي عدمُ إهماله، ونعلم أن البيعة لهذه الإمارة (الدولة) ليس بمنزلة البيعة للإمام الأعظم للمسلمين الذي اجتمعت عليه الكلمة، من كل وجهٍ وإن شاركتها في الكثير من الأحكام، ونعرف قول الإمام أحمد ﷺ لما سئل عن قول النبي ﷺ: **(من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)** قال: «أتدري من الإمام؟ هو مَن اجتمعت عليه كلمة الناس وكلهم يقول هذا إمام»[1].

لكن قد يستخدم الإخوة هذا الحديث وما كان نحوه في الوعظ والحث والحضّ على المبايعة وعلى الالتحاق بالدولة، ففرقٌ بين استعمال الحديث في تقرير حكم غير المبايع، وبين إيراده في الدعوة والتحريض والوعظ، على أساس أنه دالٌ في الجملة على وجوب كون المسلمين جماعة واحدة لهم إمامٌ (أمير) ما أمكن، وعلى أساس القول: نخشى أن مَن لم يبايع قد يقع تحت طائلة الوعيد الوارد في هذا الحديث.. فهم قد يُوردونه مورد الزاجر المنفّر عن الانفراد والافتراق.

أما الاعتقاد بأن مَن لم يبايع «دولة العراق الإسلامية» أنه مفارق لجماعة المسلمين يُشرع قتاله وقتله، وأنه إن مات فميتتُه جاهلية، بمعنى أنه مرتكبٌ كبيرة من الكبائر فهذا لا يعتقده الإخوة في كل مَن لم يبايع كما وضّحوه، وكما هو مفهوم لمن عرف رأيهم وتابع إصداراتهم ومنشوراتهم، وذلك مراعاة للاختلافات الاجتهادية ولصعوبة الظروف في أحوال الحرب والاختلاط، ولعدم وضوح الصورة بجلاء جدا عن الكثيرين، ولذلك فإن التركيز الآن هو على تقوية الدولة الناشئة وتثبيتها وتسديدها، فإذا فتح الله عليها ونصرها وأعلى رايتها، فاء الناسُ إليها وحصل لها المقصود إن شاء الله، وأغناها الله عن كثير من تلك المباحث أصلا.! مع أنه أيضا للحقيقة؛ عند نشوء الدولة وإعلانها، كان ذلك الرأي هو رأي بعض الإخوة فعلا، من طلبة العلم وبعض الإخوة المسؤولين من المجاهدين، أعني أنه يجب على الجميع في مناطق أهل السنة في العراق بيعتها والدخول في سلطانها، وأن مَن لم يدخل هو في حكم الخارج على جماعة المسلمين الشاق لعصاهم، أقول: كان هذا رأي بعض الإخوة ولم يكن هو الرأي الرسمي للدولة، لكن مع المراجعة والتدارس ومراسلات العلماء ومباحثاتهم استقرّ الأمرُ على عدم القول بذلك، وأنه لا زال مبكرًا، ولا يمكن أن نقول ذلك حتى يحصل للدولة تمكينٌ أظهر، واجتماعٌ

---

(١) السنة للخلال (١٠) من طريق محمد بن أبي هارون، أن إسحاق حدثهم، وإسناده صحيح.



للكلمة أوضح وأعلى، قاطعٌ لعذر المخالف.!

وأنا شخصيا عبّرت عن تفصيل ما زلتُ أعتقده صحيحا في مقال لي بعنوان «كلمات في نصرة دولة العراق الإسلامية» وقلت: «وأما الفتوى فهي هنا تتبع الحال والواقع كما أشرنا: فإن كان قد تحقق اجتماع أكثر أهل التأثير والقوة لهذه الدولة حتى يُعدّ الخارج عنها المنفرد المفارق لها مفسدًا شاقا للعصا مضعفا للمسلمين فاتّا في عضدهم مضيّعًا لهم.. أمكن أن نقول بوجوب البيعة لها والدخول تحت سلطانها وتحريم الانفراد عنها» اهـ، والله أعلم.

أخي الكريم: **نحن قد نوجب مبايعة تنظيم معيّن على أهل منطقة أو ناحية معيّنة**، حتى لو لم يسمّ نفسه دولة ولا سلطانًا ولا حكومةً ولا إمارة ولا شيئا مما يقارب هذه الألقاب، بل يسمي نفسه تنظيما وجماعة، إذا توفّرت أسباب الإيجاب، وهذا قد قال به العلماء، وأفتوا بأنه عند شغور الزمان عن سلطان للمسلمين لو اجتمع أهل كل ناحية على مَن يقوم بأمرهم ويقودهم ويكون أميرا عليهم، فإنه لو جاء آخر ينازعه فإنه يدخل في قول النبي ﷺ: (**من أتاكم وأمركم جميع على رجلٍ واحدٍ يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه**)[١] ونحوه، وهذا ذكره الشيخ «ميارة» رحمه الله من المالكية، وذكره غيره، وأشار إمام الحرمين في «الغياثي»[٢] إلى قريبٍ من هذا الرأي.

وبالتالي فنحن لا نمنع اعتبار الخارج عن الدولة خارجًا عن جماعة المسلمين ومفارقا للجماعة مستحقا لعقوبة المفارق للجماعة، حيث وجدت الظروف من القوة واستتباب الأمر للدولة ولا سيما مع وقوع الفساد من هذا المنفرد الخارج المفارق.. إلخ كما أشرنا إليه، وهذا متروك لرجال الدولة وقياداتها وأهل الحل والعقد فيها، هم يقدّرونه، والفتوى تنبني عليه.. وهذا حق وشرعٌ نعتقده، فلم الخوف من مثل هذه الأحكام وإبرازها، حتى صار البعض يهرب منها، ويحاول إنكارها أو التنصّل منها بأنواع التأويلات، ويظن أنه يريد أن ينزه الشريعة عن مثلها، سبحان الله..!

❊ ❊ ❊

〚القول في من ذكر أن: الهدف هو طرد المحتل؛ لا إقامة حكومة مركزية في ظل المحتل〛

❁ **مركز اليقين**: لكن ثمتَ مَن يرى أن الهدف الأول الآن والأولوية المطلقة هي لإخراج المحتلّ، وليس لإقامة حكومة مركزية شرعية في ظل الاحتلال؟

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٢) وساقه الشيخ مختصرًا.

(٢) غياث الأمم (ص ١٧٧).

الشيخ عطية الله: لا شك أنَّ مطلب خروج المحتل الصليبي الغازي من ديار المسلمين مطلبٌ شرعيّ، كل المسلمين والمجاهدين يطلبونه ويسعون إليه، ولا شك أن انسحاب هذا العدو وهروبه حين يحصل بحول الله وقوته سيكون نصرا مؤزرًا وفتحا مبينًا، للحركة الجهادية بصفة خاصة، وللحركة الإسلامية بصفةٍ عامّة، ولأمة الإسلام بصفة أعمّ، سيكون حدثا وتحولا تاريخيا عظيما وفتحًا يصعب التعبير عنه في هذا الوقت، لكن لا بد من التفطّن إلى أن المقصود الأعظم من الجهاد هو إقامة حكم الله في الأرض، هذا هو المقصود الأعظم للجهاد، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾[الأنفال: ٣٩] وقال النبي ﷺ: **(مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**(١)، هذا هو القتال في سبيل الله: القتال لتكون كلمة الله هي العليا، هذا هو القتال في سبيل الله الممدوح والممدوح أهلُهُ في الكتاب والسنة مدحًا بالغًا؛ فنحن المسلمون عندما نقاتل في أفغانستان أو في العراق أو غيرها، هدفنا الأساسي والأكبر، الهدف النهائي، الأعلى والأسمى هو: أن يكون الدين كله لله، وهذا المعنى نعبر عنه كثيرا بنحو قولنا: إقامة حكم الله في الأرض، وإقامة دولة الإسلام التي تحكم بدين الله وتقيم شرع الله في أرض الله وعلى عباد الله.

وبعض الناس يركز على قضية خروج المحتل، ويكثر من الدندنة حولها حتى يكاد يجعلها هدف الأهداف وغاية الغايات!! لكن هناك قول آخر يقول: نعم، خروج المحتل مطلوب كما قدمنا، ولكن لماذا نستعجل خروج المحتل وننزل هذا المطلب منزلة أعلى من منزلته؟! لماذا لا نحاول أن نرتب الأهداف والغايات ترتيبا شرعيا مبنيا على حقائق ديننا وشريعتنا وفقهها المتقرر؟! ونجوّد أداءنا السياسي ونعطي كل حرفٍ حقه ومستحقه؟!

إذا كان خروج المحتل سوف يعقبه تمكُّن طوائف من الكفرة المرتدين العلمانيين وغيرهم وخلائط من الزنادقة المنتسبين إلى السنة والشيعة، فهذا لا يفيدنا كثيرًا الاستعجال به، وقد يكون التريث في طلبه أفضل ما دامت تتاح لنا فرصة النكاية فيه والإثخان فيه والنيل البالغ منه على طول الطريق واستنزافه وإهلاكه رويدًا وعلى مهَلَ وفي صبر وثبات، فلا يخرجُ إلا وهو هاربٌ لا يلوي على شيء، مهزومًا حقيرا ذليلا كسيرًا، ويدنُا نحن هي العليا بإذن الله، وتكون عاقبة خروجه وفائدتها في صالحنا نحن المسلمين أهل الإسلام والتوحيد والسنة والجهاد في سبيل الله.

خروج المحتل -بحسب فهمي- في نظرة الحركة الجهادية هو مرحلة وهو هدفٌ جزئيّ، يخدمنا

---

(١) صحيح البخاري (٢٨١٠)، صحيح مسلم (١٩٠٤).

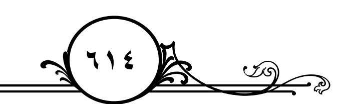
نحن كحركة جهادية وكحركة إسلامية وأمة إسلامية، يخدمنا في مشروعنا النهضوي الجهاديّ المتكامل، لأنها ستكون هزيمة مدوّية وتاريخية لأمريكا، ونصرًا عظيما للمجاهدين ولأمة الإسلام، وسيكون فيها دفعة قوية للحركة الجهادية وإحياء للأمة وأجيالها؛ ودفعة قوية لشباب الإسلام ورجاله ونسائهم ترفع معنوياتهم وتشحذ هممهم ويبطل الكثير من الباطل ويخرس النفاق وينقمع، وترتفع بإذن الله أعلام الحق وتخفِقُ في السماء راياته، ودفعة قوية للمسلمين للعودة إلى دينهم وتنسّم أمجادهم الضائعة، ويعظم عندهم الأمل والرجاء، وتنبض عروق النخوة والشهامة والنجدة فيهم أشدّ ما كانت، ولا شك أن هذا سيكون تحولا تاريخيًا حقا، وأنا أستصعب حقيقة التعبير عنه، لكن يبقى هو كما قلنا هدفا جزئيًا، وإنما الهدف الأساسي والأعلى هو إقامة حكم الله في الأرض ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴿٣٩﴾﴾[الأنفال] والتمكين لهذا الدين بأن يكون هو الأعلى وهو الحاكم في أرض الله وعلى عباد الله.

فالحركة الجهادية تسعى لإخراج المحتل، ولكنها تعرف بحمد الله كيف تسعى إلى إخراجه وتستثمر إخراجه ليكون نصرا للإسلام وأهله، وهذه الضربات القاصمة كل يوم، من قبَل «القاعدة في بلاد الرافدين» و«مجلس شورى المجاهدين» وسائر إخوانهم المجاهدين ممن هم على منهج الحق، و«دولة العراق الإسلامية» الآن، وسائر إخوانهم المجاهدين ممن على المنهج الحق، أقول هذه الضربات هي لماذا؟ إلا لإخراج المحتل مهزومًا مدحورًا ذليلا هاربا حقيرًا، لكن بحيث يكون خروجه لصالح الإسلام وأهله.

فهذه النقطة أظن أنها مهمة جدا، وهي كما لا يخفى تعبّر عن جانب من الفوارق بين عقلية وتفكير ومفاهيم الحركة الجهادية التي تكلمنا عنها، وغيرها ممن ركب حصان المقاومة والتحرير وإخراج المحتل، لكنه لا يبالي كثيرا بأن يكون الدين كله لله أو يكون لغير الله.!!

والذي تابع خطابات ومقابلات الشيخ «الظواهري» يلاحظ هذا المعنى الذي ذكرناه في كلامه، وكذا في خطابات الشيخ الشهيد «أبي مصعب الزرقاوي» ﷺ، وهكذا هذا المعنى بارز وواضح ومفهوم في خطاب الإخوة في «دولة العراق الإسلامية».. فبعض الناس يركز على خروج المحتل ولا يفتأ يقرعُ الآذان بالكلام عن خروج المحتل، حسنًا، خرج المحتل..! ثم ماذا بعد؟

إذا خرج المحتل واستطاع أن يرتب أمره جيدا ويطمئن على مَن سيخلفه، وتمكّن من بعده بالفعل طوائف من المرتدين والزنادقة هم أشد كفرًا من المحتل نفسه، تحت مسميات خبيثة؛ حكومة وحدة وطنية وغيرها، مكونة من أخلاط من علمانيي وزنادقة الشيعة والسنة والعرب والأكراد وغيرهم،



يتقاسمونها.. فما الفائدة؟!

ليس هذا هو الهدف الذي نقاتل من أجله وضحَّى من أجله خيرُة شبابنا ورجالنا بأرواحهم ودمائهم..! هذا والله هدفٌ لا يستحق أن يقاتل الإنسان ويريق دمه من أجله، أعني مجرد خروج المحتل وتحرر الأرض منه، بغضّ النظر عمّن يحكم ويؤول إليه الأمر، وبغضّ النظر عن صيرورة الدين كله لله أو لا.! هو الكافر موجود على الأرض موجود، سواء كان كافرًا أجنبيًّا أو محليًّا، ونحن مكتوبٌ علينا من قِبَل ربنا ﷻ جهادُ هؤلاء الكفار حتى يفتح الله بيننا وبينهم بالحق وهو الفتاح العليم، هذه هي طريق الجهاد؛ هي طريق طويلة، طريق صبر ومصابرة وثبات، وإنما يتنزل النصر مع الصبر، فمن غلبَ بالصبر حالفه النصر، واعلم **(أن النصر مع الصبر)**[1]، مع باقي شرائط وأسباب النصر المبيّنة في الكتاب والسنة؛ والمجاهد ليس عنده ما يخسره، لأنه بين إحدى الحسنيين نصر أو شهادة.

والمحتل خارجٌ خارجٌ لا محالة، فلتستمرّ الحركة الجهادية إذن في ضربه والإثخان فيه واستنزافه وإهلاكه، مستعينة بالله ﷻ متوكلة عليه، ساعية لأن يكون خروجه حين يخرج هروبًا وانهزامًا مدوّيًا كما قلنا، وتكون نتيجة خروجه وثمرته آيلة إلى أهل الإسلام أهل التوحيد..! لا يهم مَن، «القاعدة» أو غير «القاعدة»، فلان أو علان، غبيٌّ ومغبون من يحصر الحق أو استحقاق الثمرة الطيبة في أسماء وأناسٍ بأعيانهم..! المهم أن تكون الثمرة والنتيجة لأهل الإسلام ويكون الدين كله لله، هذا هو المهم وهو الهدف والغاية التي نحن مأمورون بالجهاد حتى تتحقق وحتى نصل إليها، وما دام الدينُ بعضُه لله وبعضه لغير الله فإن القتال واجبٌ حتى يكون الدين كله لله، والله أعلم، ونسأل الله من فضله.

❋ ❋ ❋

〚مسألة اختراق الجماعات الجهادية، والرد على من زعم اختراق «دولة العراق الإسلامية»〛

❁ **مركز اليقين**: البعض يتحدث عن خطر الاختراقات على الجماعات الجهادية؛ فهل هناك فعلا اختراق حاصل لهم حسب تصورك، وهل الأعمال التي تنسبها بعض الفصائل العراقية لدولة العراق الإسلامية أو كما يرغبون أن يسموها «تنظيم القاعدة» هل هي برأيك نتيجة اختراقات مثلا، ولو في جزء منها على الأقل؟

الشيخ عطية الله: الاختراق أخي الكريم محتمل وجوده لأي تنظيم أو دولة، لكن النقطة الفارقة هي: على أي مستوى حصل الاختراق؟ فالمشكلة الكبيرة المدمّرة هي أن يتمكن العدو من

(١) مسند أحمد (٢٨٠٣) وقال: حديث صحيح.

اختراقك على مستوى القيادة، ونعني بالقيادة ما هو أعمّ من الأمير الأعلى للتنظيم أو الدولة، يعني على مستوى قيادي فعّال مشارك في اتخاذ القرار وفي التوجيه وفي الاطلاع على المعلومات والاستراتيجيات وغيرها، هذا الاختراق المدمّر، وتدميره بحسب قوته وكثرته، فقد يقضي على الجماعة بالكامل ويدمّرها فعلا، والعياذ بالله، وأما الاختراقات التي تقع على مستويات دنيا، فهي تدخل في سياق الجوسسة اصطلاحًا، وهذه لا يكاد ينجو منها تنظيم أو جماعة أو دولة مهما كانت محترسة، فأنت في حرب مع العدوّ وهذه الحرب سجال، ينجح في اختراقك مرة ويفشل مرارًا، لكن المهم ألا يصل العدو في اختراقنا إلى مستوى يتحكم فينا.. فهذا على وجه الإجمال.

فكل تنظيم قد يتعرض لبعض الاختراقات، من العدو أو من جهات أخرى صديقة في ظاهرها، هذا محتمل، وأما السؤال عن «دولة العراق الإسلامية» بخصوصها، فاعتقادي أنها إن شاء الله في أيدٍ أمينة موثوقة، وأن قوة العقيدة وحساسية الإخوة لصحة المنهج وسلامته، وطريق الأخذ بالعزائم، والقناعات والوعي المتراكم الذي مفاده أن: إمامنا أمامنا، وقادتنا قدوتنا، وأن القيادة تنبع من الميدان وأعني به ميدان العمل الصالح بمعناه الأشمل الذي من أبرز مكوناته هنا الجهاد بالنفس وثبوت صدق وصحة سيرة الإنسان مع الزمن، وتجاوزه للعديد من الاختبارات الصعبة، وخروجه من المحكات نقيًا مهذبًا، وعدم التعويل على مجرد «القول» و«الكلام»، وغير هذه الأشياء من المبادئ والقناعات ومكونات الوعي لدى «القاعدة» ومَن شاكلها وقاربها وسار على نفس النهج من الجماعات، هذه كلها تجعل من اختراقها شيئا كالمستحيل على مستوى القيادة والتأثير.!

وأنت يكفيك أن العدو على حرده وقوته وجبروته الفتاكة، وقدراته المادية الهائلة، واتحاده وتعاونه واجتماعه كله شرقيّه وغربية على «القاعدة»، ومع كل ذلك هي صامدة صابرة ثابتة متألقة، لا تبرز فيها القيادات إلا بعد طول عناء شديد، هذا يكفي دليلا للمتأملين.

نسأل الله أن يحفظ كل المجاهدين ويبارك فيهم.

وأما ما قلت إن بعض الجماعات ينسب أشياء من الأخطاء إلى «دولة العراق الإسلامية»، وهل يقال: إن هذه الأشياء لو صحت جزئيا هي واقعة نتيجة اختراقات؟ فهذا لا يمكن الكلام في تفاصيله لعدم اطلاعنا على التفاصيل اطلاعا يؤهلنا للحكم، لكن إن وُجِد شيء من ذلك فهذا لا ينافي ما قدمته، ويكون من الدخن الذي قد يحصل في أي جماعة بشرية على مستويات دنيا.

نسأل الله أن يكفينا والمسلمين شر كل ذي شر.. آمين.



〚طريق الجهاد محتاج إلى كل الأمة؛ برها وفاجرها〛

❁ مركز اليقين: مع كل الاختلافات وتعدد المناهج والأيديولوجيات في ساحة الأمة المسلمة اليوم، لكن طريق الجهاد ينبغي أن يستوعب الناس بكل فئاتهم، والمشروع الجهادي محتاج إلى الكلّ، كل الطاقات، بل حتى إلى البر والفاجر، أليس هذا صحيحاً؟

الشيخ عطية الله: نعم هذا صحيح وحق، على الجملة، فالجهاد مشروع الأمة كلها، وهو محتاج إلى جهود الجميع ويستوعب الجميع من المسلمين، لكن انتبه إلى أن هذا الكلام وإن كان ظاهره سليمًا، لكن فيه نوع من الإجمال، وقد يتضمّن شيئًا من التلبيس والغلط..!

بيان ذلك: أن القول بأن المشروع الجهادي هو مشروع الأمة كلها والكل مساهم فيه، هذا صحيحٌ على ظاهره، لكن هذا لا يتنافى مع تفاضل طبقات الأمة وطبقات المجاهدين، وتفاوت ما بين السابقين منهم واللاحقين، والتفاوت ما بين قيادات الناس وكبرائهم ومَن لهم الأمر ومَن بيدهم أزمّة الشأن، وبين غيرهم ممن لحق بهم وساهم معهم، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

فمن يريد أن يجعل الجميع سواء فهو مخطئ، مخالف للمنهج القرآنيّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد]، ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء]، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة].

وجه الدلالة في الآية الأولى (آية الحديد) واضح، وفي آيتي «التوبة» و«النساء» أن القاعد عن الجهاد بالنفس غير المتعيّن عليه (الكفائي) وفاعل الأعمال الصالحات الكبيرة كسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ونحوها، قد يكونون مشاركين في المشروع الجهادي الكبير للأمة بأنواع من المشاركة والمساهمة، وهذا هو الفرض، وهذا هو الذي كان عليه حال المسلمين في عهد النبي ﷺ عندما نزلت هذه الآيات الكريمات، كما قال ﷻ: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]، كالمساهمة ببعض المال، وبالكلمة والخطابة والتحريض والدعاء، والمشورة وغيرها، مما يقتضيه قوله ﷻ ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ومع ذلك فقد بيّن الله ﷻ بالنص الصريح أنهم لا يساوون المجاهدين وأن المجاهدين بأنفسهم خيرٌ وأعلى درجة!.



ولما اختصم خالد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، قال النبي ﷺ: (**دعوا لي أصحابي، فوالله لو أنفق أحدكم ملء أحدٍ ذهبا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**)[١]، مع أن خالدًا من أصحاب النبي ﷺ، لكن صحبة عبد الرحمن بن عوف صحبةٌ خاصة وأعلى درجة ولا يستويان، فانظر في هذا وتأمله.

وقد قدمت في الجواب على سؤال سابق بعض الكلام الذي له علاقة بهذا الموضع، حينما تكلمت عن قيادة الجهاد وحملة رايته، ففرق بين مَن سبقوا وقام الجهاد على أكتافهم وكانوا هم عماد هذا المشروع، وبهم قام بإذن الله، وإليهم فاء الناس، وحول رايتهم التي رفعوها اجتمعوا، وبين مَن لحق بهم بعد ذلك ولمّا يلحق درجتهم في الصبر والثبات والبلاء، أو بينهم وبين مَن ساهم مساهمة طيبة نشكره عليها، لكنها لا تبرئ ذمته، من حيث إنه مطلوب منه ما هو أكثر منها، مما يقدر عليه ويتعين عليه.. ولهذا عندما يقول قائل: الكل مساهم في الجهاد، الشخص المجاهد في الميدان بنفسه وماله، والشخص الداعم بماله وهو جالس في بيته وبين عياله، والعالم الذي يدعو الناس إلى الخير ويعلمهم الدين، وكذا وكذا...!

نقول له: نعم لا شك أن كل هذه مساهمات مشكورة في الجهاد والعمل الصالح، لكن ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[السجدة: ١٨]، ثم لو كان الشخص مثلا مطلوبًا منه النفيرُ إلى الجهاد بعينه، لسببٍ من أسباب التعيّن، فجلس في بيته وقال: أنا أعلم الناس أحكام الشرع وأدعوهم إلى الخير عن طريق الكتابة في «الانترنت» والدروس في «البالتوك» مثلا، فهذا مساهم من وجهٍ، لكنه مقصر من وجهٍ أظهر وأعظم، ونحن نشكر مساهمته، لكننا أيضا نلومه على تقصيره ونحاول أن نأخذ على يديه وننكر عليه تقصيره الذي هو هنا تركُ واجبٍ متعيّن عليه (لأننا افترضنا هنا في مثالنا أنه تعيّن عليه النفير)، فهذا لا ينبغي أن يقال: إنه مساهم في الجهاد؛ هكذا بإطلاق، وأن الجميع مشارك في هذا المشروع، على معنى إلغاء الفوارق..! هذا خطير جدا، ولا يمكن أن يقبل وسيصطدم قائله بحواجز الشرع والقدر.!!

كل هذا طبعا على فرض أن هذا العالم أو طالب العلم الذي مثلنا به وقلنا: إن النفير إلى الجهاد تعيّن عليه بحسب النظر الفقهي، ثم لم ينفر وقال: أنا أجلس في بلدي وبيتي وبين أهلي وعيالي، ويكفي أن أساهم في نشر العلم والكتب وإعطاء الدروس والكتابة في «الانترنت»، أقول: هذا كله على فرض أنه معاونٌ على الجهاد ناصر للمجاهدين، مؤيّد لهم واقفٌ معهم، يعني أنه: (ناصِحٌ لله ورسوله)، أما إذا كان من النوع المعارض للمجاهدين ومشروعهم، ويراه ضياعًا ويصدّ عنه بما يملك من قوة في الدعوة

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣).

والعلم والدروس والكتابة، وينفّر الناس عن المجاهدين... إلخ، فكيف يقال إنه مساهمٌ في مشروع الجهاد الذي هو مشروع الأمة؟ بل هذا والله معارض لهذا المشروع خصمٌ وحربٌ له.! نسأل الله السلامة، ونعوذ بالله من الخذلان.

أرجو أن أكون قد ساهمتُ في توضيح الفكرة نوع توضيح، والله الموفق.

❃ ❃ ❃

〚الرد على من زعم انغلاق التيار الجهادي على نفسه، واستعداء المخالفين لمنهجهم أو أيدلوجياتهم، وعدم مراعاة المصالح والمفاسد〛

❃ مركز اليقين: لكن في هذا الإطار هناك مَن يتهم المجاهدين -ولا سيما تيار «السلفية الجهادية»، أو لنقل تيار «القاعدة»- بأنهم منحصرون على معتنقي منهجهم، ويستعدون عليهم أهل المناهج والإيديولوجيات الأخرى، فيكثرون من فتح الجبهات عليهم ولا يجيدون تحييد الخصوم، ولا يحققون النظر جيداً في مسألة المصالح والمفاسد وموازينها، ما تعليقكم على هذه الاتهامات؟!

الشيخ عطية الله: والله يا أخي أعتقد أن هذا الكلام فيه ظلم وبغي على الإخوة المجاهدين من «القاعدة» ومَن سار على نفس خطهم من أهل الجهاد، بل أنا والله أؤكد لك أن الإخوة المجاهدين هم أساتذة تحييد الخصوم، وهم من أفهم الناس لهذه المسائل: محاولة تحييد ما استطاعوا من الخصوم والأعداء، والتحكم في المقدار المناسب من الجبهات المفتوحة، وإغلاق ما يلزم إغلاقه، وتحقيق النظر في موازين المصالح والمفاسد، هذه الأشياء هي من صميم فقه الإخوة المجاهدين وهم من أعرف الناس بها وأفقههم فيها، وإنما يجهل هذا من يجهلهم، والله خلق الناس أطوارًا.!

ولكن هي غالبا طبيعة المتفرج على الشخص العامل في الميدان، ونشبهها دائما بحال المتفرج على لاعبين مهرة يلعبون الكرة مثلا، فهو يرى أخطاءهم وفشلهم في تسجيل الأهداف، فيظل ينكر عليهم وربما سبّهم كما هو مشاهد كثيرا من أهلها فعلا، عافنا الله وإياكم، لكن لو هو دخل الميدان لما استطاع أن يفعل عشر معشار ما فعلوا هم.!

وقد سمعتُ في كلمة أخينا القائد «أبي حمزة المهاجر» -وزير الحرب في «دولة العراق الإسلامية» الآن- سمعتُ في خطابه الأخير الذي صدر في شهر ربيع الآخر من هذه السنة ١٤٢٨هـ بعنوان: «قل موتوا بغيظكم» عبارة يقول فيها: «.. وليس كما يظن البعض أننا لا نفقه تحييد الخصوم» اهـ، فوالله لقد شعرت بالمرارة والحزن يقطر من هذه العبارة..! لأن هذه الكلمة قيلت وتقال دائما من كثير من الناس،



وهي محزنة ومؤذية جدا، لكن أكثر الناس لا يعلمون.

لو كان المجاهدون لا يحسنون تحييد الخصوم ولا يعرفون فن التحكم في فتح وإغلاق الجبهات لرأيت شيئا من الفوضى والانفلات لم يستطع معه أحد جهادًا..!

إذا كان المجاهدون لا يعرفون هذه الأشياء ولا يبالون بموازين المصالح والمفاسد ولا يفقهونها لماذا لم يشعلوا الحرب في الشام، وفي بلدان الخليج، وفي كثير من البلدان، ولماذا لم يضربوا الصين والهند ولم يعلنوا الحرب على باكستان، وانظر كيف يحيّدون الجيش الباكستاني في «وزيرستان»، وانظر كيف حيدوا إيران وسكتوا عنها طويلا وصبروا على هذا السكوت ولاقوا فيه الأذى..!

وانظر كيف يسكتون على كثير ممن يؤذيهم ممن ينسَبُ إلى العلم والدعوة والكتابة والقلم، ولم يشاؤوا أن يردّوا عليه أو يفتحوا جبهات معه ومع غيره، محافظة على طاقاتهم واستثمارًا لها في أوجه الخير.! وغير هذا الكثير الكثير من مناحي النظر التي توسّع أفق الإنسانَ، فينبغي له أن يتأملها، وكما قيل: المتشائم ينظر إلى نصف الكأس الفارغة، ويقول: «الكأس نصفه فارغ»، والمتفائل يقول: «ملآنٌ إلى النصف»، وهما في المعنى واحد، لكن انظر إلى تركيز كل واحدٍ أين؛ فالمجاهدون هذه طريقهم: طريق الابتلاء باللوم وكثرة اللائمين، وبالخاذلين والمخالفين والناهين عن الجهاد رأسًا.! ولهذا تجد هذا مشارًا إليه في القرآن بوضوح: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

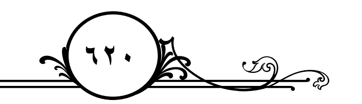
وفي الحديث الصحيح بل المتواتر، حديث الطائفة المنصورة: **(لا يضرهم من خالفهم)** و**(لا يضرهم مَن خذلهم)**[1]، هذه يا أخي الكريم هي من أبرز صفات وسمات هذا الطريق، وأبرز صفات وسمات أهله المفلحين الفائزين أنهم ماضون في عزم وثبات لا يلتفتون إلى لوم اللائمين وعذل العاذلين، والأمثلة لا تحصى كثرة لمن أراد التأمل.

وأنت تقول: إن المجاهدين يستَعْدُون أهل المناهج الأخرى ويفتحون جبهات..!

أنا أقول لك شيئا بسيطا سهلا حاضرا: في العراق، هل سمعت يومًا من الأيام من الإخوة في «القاعدة» أو في «مجلس شورى المجاهدين» أو من «دولة العراق الإسلامية» أنهم نهوا أي إنسان أراد أن يجاهد عن الجهاد، ولو كان بعثيا أو قوميًا منطلقا من منهج وطني قوميّ أرضيّ، أو غيرهم؟

---

(١) تقدم تخريجه.



هؤلاء البعثيون ينشطون في تشكيلات مقاومة وعمل مسلح، هل أحدٌ منعهم أو أنكر عليهم مقاومتهم أو وقف في طريقهم واشتغل بهم وفتح معهم جبهاتٍ؟ يا رجل اتقوا الله، هل يفعل هذا عاقل فضلا عن أهل الفقه في الجهاد والخبرات الطويلة المتراكمة الذين محصتهم المحن وصهرتهم التجارب..؟!

وهؤلاء الصوفية وأهل الطرق يجاهدون ويقاومون، هل منعهم أحدٌ وجعلهم شغله الشاغل؟

كل مَن يريد أن يضرب العدو وينكي فيه، فليتفضل مشكورًا، بل نحن نشجعه.

لكن كل ذلك أيضا هو خاضع لقانون المصالح والمفاسد الذي يحبّ كثير من الناس الدندنة حوله ويُولَع به، ومتغيرٌ الحكم فيه من مرحلة إلى مرحلة، ومن حالة إلى حالة، والمجاهدون هم من أعرف الناس بذلك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.!

وانظر كيف عامل المجاهدون الشيخ «عبد الله الجنابي» وأمثاله الكثير.

والمفارقة.. أن الخصوم يتهمون المجاهدين بأنهم لا يبالون بموازين المصالح والمفاسد ولا يفقهونها، وينسبونهم إلى «الحَرْفية» وقلة الفقه وعدم المعرفة بالأقسام والأنواع وما إلى ذلك، وعندما يأتي المجاهدون ويقولون في مرحلة ما: إن النظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين تقتضي أن نمنع أمثال هؤلاء البعثيين والمتسلّقين من أن يحصدوا ثمرة الجهاد، وأنه يجب أن نتصدّى لهم، يقولون (أولئك الخصوم): انظروا كيف يُشعلون فتنة.!!

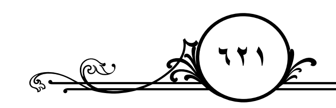
فالله المستعان، والمجاهدون لهم الله ﷻ، وهذه طريقهم كما قلت لك، طريق الصبر على الأذى ولوم اللائمين، ولولا ذلك لما قام جهادٌ أصلا ولا رُفِعتْ راية، ولا كان الزرقاوي ولا غيرُه، ولكن هو نصر الله وتأييده لأهل الحق والصبر، والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

[القول في تزكية الشيخ الجنابي مِن الشيخ أبي مصعب الزرقاوي وأبي أنس الشامي رحمهما الله، وذكر فوائد في مسألة التزكية عمومًا]

❁ مركز اليقين: نعم، على ذكر الشيخ «الجنابي»، فهناك من ذكر أن الشيخ «أبا مصعب الزرقاوي» رحمه الله قد زكى «الجنابي» وأن «أبا أنس الشامي» رحمه الله قد قبل رأسه.!

الشيخ عطية الله: أخي الكريم، قضية التزكية هذه من أعوص القضايا في العمل السياسي والجهادي والدعوي، وفيها تجارب قاسية.



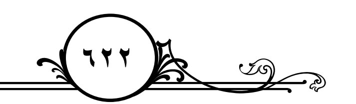
المشكلة أنك أنت حينما تريد أحيانا أن تتألف بعض الناس وتكسبهم بشيء من الكلمة الطيبة، وبعض الثناء المقتصد، وتسمعهم شيئا من الفخر الذي يحبّونه، وتتلطف معهم وتطيب خواطرهم، وتستشيرهم، وتكبّر بهم.. حينما تفعل ذلك أحيانا مع بعض الناس، يُقال: ها قد زكاه، ومدحه وأثنى عليه، وأحيانا يصير هذا التعامل نفسه فتنة على ذلك الشخص المعمول به، فيظن نفسه شيئا فعلا، ويظن أنه ما شاوروه (المجاهدون) إلا لأنه مستحق لذلك لذاته، ولأنه رقمٌ صعبٌ لا يمكنهم تجاوزه، وأنه وأنه..! فهذا مورد فتنة، ومجرّب والتجارب فيه كثيرة، ونفوس البشر وألوانها لا يحيط بها إلا الذي خلقها ﷻ، وفيها عجائب.

فأنت في حالة تستدعي توازنًا واحتياطا وحسابات دقيقة جدا، يعني أنت بتعبير صحفي: تمشي في حقل ألغام، بالفعل.. وأنت في وسط قوم يحبّون اللوم، ويلومون على كل شيء..!

إذا فعلت شيئا قالوا: لم فعله، وإن لم تفعله قالوا: هلا فعله، لمَ لم يفعله.!!

الشيخ «الجنابي»، أنا لا أعرفه ولا أستطيع تقويم الرجل بشكل كامل، ولا أريد أن أتكلم عليه، وإن كان لقاؤه الشهر الماضي مع «قناة الجزيرة» كان فيه دلالات سلبية..! مما عرفناه عن الشيخ الجنابي أنه شيخ متصوّف منتسبٌ إلى إحدى الطرق الصوفية، وأنه من أهل الفلوجة، وأنه شارك في الجهاد جزاه الله خيرا، وجاهد مع أهل الفلوجة ومع عموم المجاهدين في معركتي الفلوجة.

وكان الشيخ «أبو مصعب» يتألفه ويبعث له الإخوة وهو ﷺ تعالى كما كتب في بعض رسائله لبعض إخوانه هو الذي اقترح على الإخوة إدخال الشيخ في «مجلس شورى المجاهدين» ساعتها، ثم توليته إدارة المجلس، لما رأى ﷺ من الخير في ذلك والتألف له وللناس واجتماع الناس على الجهاد، وهذا من السياسة الحكيمة، وكان الشيخ «أبو أنس» يحسن إلى الشيخ «الجنابي» ويحترمه ويكبر به، أيضا كل ذلك تألفا له، وقبّل رأسه في بعض المرات، توقيرا لشيبته في الإسلام، ولجهاده على هذه السن، وهذا الانتساب إلى المشيخة والعلم، كل ذلك مع علم الإخوة: الشيخ «أبو مصعب» ﷺ والشيخ «أبو أنس» وإخوانهم بأن «الجنابي» صوفيّ وعنده من ضلال الصوفية بحسب ما عنده، هم يعرفون هذا جيدا، ويعرفون ما فيه من نقص، لكن اقتضى فقه المرحلة السكوت عن هذا والإغضاء عن إثارته، وعدم جعله سبيلا للافتراق والتنازع، وأن مبتدعا مجاهدا خيرٌ من رجل سليم الاعتقاد نظريًا لكنه تاركٌ للجهاد الواجبِ المتعيّن بالإجماع ساعتها على أهل الفلوجة وما حولها ومن حضر القتالَ وأمكنه الغوثُ، فهذا التارك للجهاد المتعين عليه فاسقٌ، بخلاف الأول، فإنه قد يكون معذورًا أصلا، ويمكن تأخير الكلام معه إن ظَن أن الكلام مفسدة الآن، وهكذا. فهذا هو الذي حصل.



وهذا يدلك على جوانب من فقه الإخوة المجاهدين، ومثال يُساق للذين يكثرون من اللوم والقول بأن المجاهدين لا يحسنون تحييد الخصوم ويكثرون من فتح الجبهات ولا يعرفون كيف يستوعبون الناسَ. والله المستعان.

وعلى كل حال فإن هذا الحق والمنهج الإسلامي الشامل المتكامل الذي عليه المجاهدون هو منهج الإسلام والفطرة، وهو أحق ما اجتمع عليه أهل الإسلام، الذين فيهم الخير ولم تفسد فطرهم، وهو يجمع الطيّبين الخيّرين لأن البلد الطيب يخرُج نباتُه بإذن ربه أي طيّبًا، والخير يأتي بالخيّرين ويأتي إليه الخيّرون أهل الخير، وهكذا المناهج الضالة يأتي إليها أشباهها، والبلد الذي خبث لا يخرُج نباته إن خرج إلا نكدًا، والمزوّق يأتيه أهل التزويق والزخرف..! قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾[الصافات].

فكيف يقال: إن هذا المنهج الذي عليه المجاهدون لا يستوعب الناس ولا يجمعهم، بل هو أحق ما جمع الناس واستوعبهم على علاتهم وعلى قصورهم ونقصهم، على حد التوجيه القرآني العظيم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف]، لكن لكل شيء حدودٌ، فما دام الإنسان مسلمًا فهو أخ يجب له حق الولاء والنصرة وإن كان مقصرا أو فاسقا عمليا أو اعتقاديا، لكن كما قلنا من قبل: هذا لونٌ والسماح له بسهولة أن يتولى القيادة إذا جاء يزاحِم عليها، لونٌ آخر..!

أيضا بمناسبة الكلام على التزكية وفقهها وتجاربها، لا بد من التذكير دائما بأن المدار في تزكية أي إنسان أو جماعة هو العمل وليس مجرد القول فقط، نعم القول مطلوب، وهو المعبّرُ الأول والسريع عن الإنسان أو الجماعة، لكن عندما نسمع القول الحسن، لا بد أن نقف وننتظر قليلا ونقول: قد سمعنا قولكم وهو قول حسنٌ، فسنرى فعلكم..!

هذه قاعدة مهمة جدا، والخطأ فيها مكلّف ولا سيما للكبراء الذين يسمع الناس تزكياتهم من علماء أو قيادات وزعامات سياسية واجتماعية؛ وهذه القاعدة مدلول عليها في الكتاب والسنة، ودلت عليها التجارب واتفق عليها العقلاء كافرهم ومسلمهم.

ففي كتاب الله من أدلتها الكثير وفي السنة والسيرة النبوية وسير أهل العلم والجهاد من الأئمة في الدين والقدوات والقادات الصالحين على مر التاريخ، وحتى عند أهل العقل والتجارب من الكفار.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[العنكبوت] الآية، وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ

﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾[محمد]، وقال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩] الآية.

وفي الحديث الذي في الترمذي -إن صحّ-: (**قد قالها الناسُ ثم كفر أكثرهم**)، لكنه ضعيف الإسناد، وقد أشار الترمذي نفسه إلى تضعيفه[١]، والله أعلم.

وقال الصحابة والتابعون: «إذا أعجبك كلامُ أحدٍ؛ فتأن حتى تنظر في عمله فإن وافق فعله قوله فذاك وإلا فدعه».

كما قال ابن مسعود: «إن الناسَ قد أحسنوا القولَ كلهم، فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه، ومَن خالفَ قوله فعله فإنما يوبّخ نفسَه»[٢]، وكلامهم في هذا كثير جدا لو تتبعناه.

ومعلومٌ كلام سيدنا عمر ﷺ في مسألة تزكية الشاهد حين قال لمن زكى شاهدًا: «أهو جارُك الأدنى الذي تعرف مدخله ومخرجه، أو سافرتَ معه فعرفته[٣]، أو عاملته بالدرهم والدينار»[٤]، يعني الابتلاء والاختبارات من خلال العمل والمعاملة وطول العشرة والصحبة.

والمقصود أن التزكية لا يقتصر فيها على القول، بل لا بد من النظر في العمل وانتظار التجارب ووضع الإنسان على المحكات، والمعاشرة للإنسان والخبرة به، وعندما نعبّر بالخبرة فإنك لا بد أن تلاحظ أن معنى الخبرة يدور حول المعرفة ببواطن الأمور، وبواطن أمور الإنسان إنما تبينُ للمخالط له المجرب المعاشر القريب الذي بلاه وعرفه ليلا ونهارًا وفي السراء والضراء وسائر الأحوال.

ولهذا عندما نرى مناهج الجماعات المكتوبة مثلا، فكثيرٌ منها حسنٌ طيبٌ في ظاهره، قد يعجبك بل قد يسحرُك وتجد فيه إتقانا وحسن تقسيم وتنويع، وضربًا على أوتار حسّاسة ونفوذًا من خلال مسام الوعي واللاوعي، وذكاء وألمعيّة وأدبًا جمًّا، فهذا جيد، لكن لا تتسرع في تزكيتهم والثناء عليهم والشهادة لهم، حتى ترى العملَ وتخبُرَ الحقيقة وراء هذا القول الجميل.

هذا من الأهمية بمكانٍ الانتباه له، والله وليّ التوفيق.

❋ ❋ ❋

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٥٠) قال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من هذا الوجه»، وضعف إسناده الألباني.

(٢) الزهد لوكيع (٢٦٦)، وجماعات من طريقه.

(٣) لأن السفر يظهر حقيقة الإنسان غالبا. [المؤلف]

(٤) سنن البيهقي (٢٠٤٠٠) وصححه الألباني في: إرواء الغليل (٢٦٧٣).

〚الخيارات المتاحة أمام «أمريكا» بعد فشل مشروعهم في العراق وأفغانستان〛

❁ **مركز اليقين**: حسنًا، الآن بعد أن منّ الله على المجاهدين بإفشال المشروع الأمريكي في العراق وأفغانستان، وبعد أن تحولت جبال أفغانستان وصحارى العراق الى مقابر للغزاة، ما هي الخيارات المتاحة أمام أمريكا الآن؟

الشيخ عطية الله: نسأل الله العليّ الكبير أن يخيّبهم وأن يجعل كيدهم في تضليل، وأن يجعل تدبيرهم تدميرَهم.

أولا: لا بد أن نعرف أن الغزاة الصليبيين يتجلّدون ويصابرون، ويحاولون بكل سبيل، وهم يُعانون في ذلك معاناة كبيرة وقاسية، ويألمون جدا، ويصابرون ويتجلّدون أيضا، وقد أمرنا ربنا ﷻ أن نصابرَهم ونغلبهم بالصبر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران] لاحظ الفرق بيننا وبينهم تقريبا هو كله في كلمة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، هذا هو الفرق.. فهم يصبرون ويصابرون، وعلينا أن نتحداهم بالصبر ونغلبهم، وهو معنى المصابَرَة، يقال: صابَرَه فصبَرَه أي غلبه بالصبر، وكذا المرابطة وهي المداومة على لزوم العمل وهي هنا القتال والجهاد، هم كذلك يرابطون في سبيل أهوائهم وفي سبيل الطاغوت، فلم يبقَ فرق إلا أننا نحن أهل التقوى لله ﷻ، أهل التوحيد والعبادة الخالصة للباري ﷻ الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، نحبه ونخافه ونرجوه، ونتذلل له ونعبده وحده لا شريك له، ونتبع رسله ونعمل بشرعه ونقاتل في سبيله وابتغاء مرضاته وفضله، أما هم فخليّون من هذا كله، هم عبدة الطاغوت والأهواء والشهوات والشيطان، وكما قال الله ﷻ في الآية الأخرى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴿١٠٤﴾ ﴾[النساء].

فهذا هو الفرق؛ نحن نغلبهم بالتقوى والعمل الصالح، ورجاء ما عند الله ﷻ من الثواب والأجر العظيم وحسن العاقبة، هذا هو أساس الفرق بيننا وبينهم.

والنصر هو مع الصبر ومع الحق، فإن اجتمعا (الحقُ والصبرُ) تم النصر وحسنت العاقبة، وان افترقا كانت الغلبة للصبر غالبًا، لكن تكون العاقبة للحق.

هذا المفهوم مهمٌّ جدا التأمل فيه، ونسأل الله أن ييسر موضعا آخر لشرحه جيدا.

فالآن الأمريكان وأولياؤهم بعد أن أيقنوا بفشلهم في العراق خصوصا، وأفغانستان على الطريق إن شاء الله، هم الآن في تدارس وتفكير وتخطيط ومكر منصبّ على كيفية الخروج بأقل خسائر لهم،

وأن لا يبدوا أمام الدنيا في صورة المنهزمين الفاشلين الخائبين، وأن يعلقوا فشلهم على شماعة مناسبة، وأن لا يكون فشلهم نجاحًا لأعدائهم وعلى رأسهم المجاهدون، ثم القوى الأخرى الإقليمية التي هي عدوّ لهم ولو مؤقتًا، والمقصود هنا إيران، وهم مشغولون جدا بضمان أن من يعقبهم يكون وليًّا لهم مرضيّا عندهم، أو على الأقل لا يكون خطرًا عليهم كما أشرنا.

وهم في هذا السبيل يُتَوقّع منهم أي شيء..!

وبالأمس قرأنا تقارير في الصحف عن إمكانية تسليح الأمريكان لطوائف من سنة العراق، وإمكانية أن يكون خيار زيادة إشعال الحرب الأهلية في العراق جزءًا من الحل بالنسبة لهم، وغير ذلك، والله ﷻ لهم بالمرصاد، وهم يحاولون ويجرّبون ولكنهم -من مكر الله بهم- يتخبّطون ولا يدرون ما يفعلون.! وضربة أمريكية إسرائيلية لإيران، مع إمكان التحالف مع قوى أخرى كثيرة بما فيها الدول العربية المجاورة، كل هذا وارد وبقوة، ومن أكبر دواعيه مع الملف النووي: الخوف من تحوّل الفشل الأمريكي في العراق إلى هدية على طبق من ذهب للإيرانيين.!!

ومن أهم عناصر المكر الخبيث الذي يمكرونه: هو السعي بشتى الطرق إلى إشعال الخلافات وإحداث الشقاقات بين صفوف المجاهدين والمقاومين، وبينهم وبين الشعب، وعندهم في ذلك وسائل قذرة للغاية لا يتصورها الكثير من الناس، لكن علينا ألا نغفل عن تاريخ هؤلاء الكفرة الفجرة العنصريين أهل الفرعنة والطغيان والعلوّ في الأرض، تاريخهم في «فيتنام» وغيرها وفي ساحات كثيرة دخلوها: العمليات القذرة من قتل للشعب الأعزل، والتركيز على قتل النساء والأطفال على الخصوص، وببشاعة، هذه من أهم وأكثر وسائلهم قذارة، حتى ييأس الناس ويظلوا يقولون: عيينا وتعبنا، لا نريد إلا الأمن والسلام فقط، ولو تحت حكم اليهود..!!

وبشكل عام انتهاجهم سياسة أشبه بسياسة «الأرض المحروقة»، سياسة التدمير العشوائي للبنية التحتية ولكل مصالح الناس، وحتى للمساجد وغيرها، والإفساد في الأرض، والعمليات القذرة عمومًا المقصود بها إحداث أكبر قدر من الإحباط واليأس والقنوط والفوضى.! وشراء الذمم واصطناع الأولياء والعملاء، وبذل الأموال الطائلة في ذلك.

هذا غير الطرق الخفية والمكر الدقيق في إيقاع الفتنة بين أهل الحق، المؤمنين أهل التوحيد، بإغراءات وتفضيلات وحتى دعم خفيّ، وغير ذلك، فمكرُهم كبّار، وقد قرئَ: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ۝٤٦﴾[إبراهيم] بفتح اللام ورفع الفعل ﴿لَتَزُولُ﴾، وهي قراءة الكسائيّ

رحمه الله.

ولكن نحن نقول كما علمنا الله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنفال]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[آل عمران]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل].

***

〚القول في الشباب المتحمس، غير المنضبط بالأخلاق المحمودة في التعامل مع المخالف؛ خاصة العلماء الذين وقفوا مع الحكام في بعض المسائل〛

مركز اليقين: إذا تحدثنا عن شيء آخر: عن أنصار الجهاد، وخاصة من الشباب الذين هم وقود أي حركة إنسانية، ولو أخذنا المنتديات على الانترنت نموذجاً، فإننا نشاهد بعض السلوكيات والأخلاقيات التي يصفها البعض بالمنفرة، كالشدة والحدة في الخطاب وتكفير أو تبديع وتفسيق المخالف في كثير من الأحيان بدون وجه حق، بل حتى وصل البعض إلى رمي بعض الرموز الفقهية بالعظائم كالشيخ «ابن باز» لعدم مفاصلته لما يعتقدون أنه طاغوت بلاد الحرمين ووقوفه ضد المجاهدين مع الدولة التي لا تحكم بشرع الله كاملا وتوالي الصليبيين؟

الشيخ عطية الله: للأسف هذا شيء موجود، وهو من جملة البلاء والنقص والقصور والخلل الموجود فينا نحن المسلمين عمومًا، وهذا ليس محصورا في شباب الجهاد أو أنصار الجهاد كما نسميهم، بل هو موجود في كل الطوائف والبيئات الدعوية والسياسية والاجتماعية، مقلّ ومستكثر، وأنت ترى على سبيل المثال بعض ساحات الدعوة والانتساب للمشايخ، وتعرف أحوالهم وبعضها أسوأ بكثير مما تذكر عن الشباب المناصر للجهاد في المنتديات.. لكن على كل حال الخطأ لا بد أن ينكر ممن كان ويُعالج ويؤخذ على أيدي أصحابه، ولا بد من بذل الجهود المستمرة والدائمة للتربية والتعليم والتفقيه في الدين والتقويم للسلوك ونشر الآداب والقدوات الصالحة وإبرازها، وقمع المفسدين.!

المشكلة أخي الكريم في المنتديات وعالم الانترنت أنك لا تعرف أكثر الناس الذي يكتبون، أنت بالفعل في عالم افتراضي كما يقول بعض الإخوة وفي دنيا أشباح، أعني أنها مليئة بالأشباح، فالمشكلة هي في المندسين الذين لا تعرفهم أنت ولا أنا ولا أحد، ويصعب القضاء عليهم في أي منتدى أو ساحة حوار وكتابة، المنتديات أحيانا أنا أشبهها بالأسواق، أسواق العرب ونحوها مما كان عندهم منبرًا



للكلام والخطابة، وكساحة الطرف الأغر اليوم في «لندن» مثلا، أي شخص يستطيع أن يدخل ويتكلم، الناس تقرأ أو لا تقرأ، ترد أو لا ترد بحسب عوامل متعددة، الطيب يتميز وينعرف مع طول الوقت ولا يمكن أن يخفى في العادة، والشرير أيضا يتبين، وهكذا مع طول الوقت تعرف منازل الناس الكتاب والمتحدثين، لكن مَن يريد أن ينافق ويعمل عملا منظما بإمكانه.

وقد كشف الإخوة في بعض الساحات الإعلامية شبكات من المندسين الذين يشتغلون شغلا مبرمجًا على وَفق أجندة مدروسة متكاملة.

هناك مؤسسات طاغوتية متفرغة وراصدة لأموال ورجال ومكاتب مجهزة وإمكانات عالية وظيفتها فقط الحرب الإعلامية والنفسية والتشويش والإفساد وبث الأخلاق الرذيلة والدعوة إلى الشر وإيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، والتشكيك في الدين وأهله ومحاربة المجاهدين وجهادهم والطعن فيهم وفي العلماء بطرق متعددة بارزة وخفية وتشويههم وتشويه جهادهم...!

فأنت عندما تقول لي: «المنتديات» فيها كذا، أقول: نعم فيها، ولكن مَن هؤلاء؟ المقصود أنه في كثير من الحالات يصعب معرفة الطيب الذي أخطأ وفيه سوء خلق مثلا يحتاج إلى تقويم وينفع معه التأديب، وبين الخبيث النجس أصلا الذي لا ينفع فيه تطهير..! فهذه نقطة مهمة.

والحقيقة.. عالم النت اليوم أنا أتوقع أنه يحتاج إلى أن تنضج الكثير من أحكامه وفقهه مع الوقت، إذا بقي هناك وقت أصلا، ولعل الأمرَ أعجلُ من ذلك، والله أعلم وإليه المآب.

لكن المقصود أنه عالم جديد علينا بالعموم..

وأنا كنت أتأمل في بعض الوقت في مسألة الأسماء التي يستعملها كتاب النت، فرأيتُ التسمية بالجملة الفعلية والاسمية وبشبه الجملة، وأنماط مختلفة من المعاني والاختيارات، فقلت في نفسي: سبحان الله، عندما كنا ندرس النحو أيام الطلب كان الشراح يقولون: إن النحاة وإن أجازوا التسمية بالجملة الاسمية، إلا أن هذا مبناه على القياس (أي على التسمي بالفعلية) وهو غير مسموع، أي أنه لم ينقل عن العرب التسمي بالاسمية وكل ما نقل في استعمال الجملة عَلَمًا على شخص أمثلته كلها من الجملة الفعلية كـ«تأبطَ شرًّا»، وشاب قرناها، ونحوها، لكن اليوم في عالم النت رأينا كل شيء.! هذه فقط لطيفة للتأمل.

ونرجع إلى أصل الكلام؛ فالحاصل أن هناك بلا شك الكثير من الأخطاء والخلل والنقص في شباب المسلمين من الجهة التربوية، يحتاج إلى أن تتظافر الجهود لإصلاحه وتقويمه، والخيّر الصالح الذي يقبل الخيرَ ينصلح مع الوقت، والله الموفق.

الأسباب لكثير من تلك المشكلات هي أسباب متعددة، منها تفاوت درجات الناس، ففيهم العالم وطالب العلم وفيهم الجاهل، والجهّال أنواعٌ، وفيهم الحسن الخلق وفيهم ضدّه، وفيهم الصغير وفيهم الكبير المجرب، والعاقل والقليل العقل، كل هذا موجود وغيره، ومنها الخلل الفقهي والعلمي والفوضى العلمية والفكرية، والاختلافات المذهبية وما يصاحبها عادة من أدواء التعصّب للجماعات وللمشايخ والمدارس، بل وللبلاد والأجناس والأقوام، وكل الأمراض موجودة لا تستغرب، وما هذه المنتديات على النت إلا انعكاس لحالنا نحن كأمة بصفة عامة.

والتعامل مع هذا العالم المختلط يحتاج إلى حكمة وبصيرة وقوة شخصية، وسعة أفق، ومَن يطلب الخير يجده، ومَن يبحث عن الشر لن يعدمه.

وأما أن هذه الأخطاء تحسب على أهل الجهاد أو غيرهم فهذا من الظلم والحكم بالباطل، ولا تحسب على العلماء ولا الدعاة، بمجرد أن المتعصبين لهم قالوا وفعلوا وأساؤوا، بل إنما يحاسب الإنسان ويؤاخذ على فعله وكسبه، وكيف يؤاخذ عالم أو قائد أو المجاهدون عمومًا كجماعة وطائفة في الأمة من خيار طوائفها وهي تنكر كل ذلك وتفصّل في أحكامه وتبيّن حيث عنّت المناسبة، ومبادي أخلاقهم وفقههم ودينهم معروفة مبذولة للباحثين والناظرين.؟! والله أعلم.

ونصيحتي لكل أخ طيب يريد أن يستفيد من مطالعة النت والمشاركة في المنتديات الحوارية، أن يبحث عن الخير وأهله ويبحث عن المفيد له المناسب لمستواه وتخصصه وإمكاناته، وإن أشكل عليه شيء استشار إخوانه ومَن حوله من العقلاء الناصحين، ولن يعدم الإنسان الباحث عن الخير مَن يعينه ويشاور عليه، ويبتعد عن مواطن تضييع الوقت، وليعلم أن كلًا ميسر لما خلق له، وليهوّن عليه، ولا يحزن لكثرة ما يراه من الشر، فإن بإزائه خيرا كثيرا لمن أراد الخير.

وأذكر أنني مرة كنت مع أحد الإخوة الطيبين من أصحابي وقد ذهب بعدها إلى أرض الجهاد واستشهد رحمه الله، كان حديث عهد بالانترنت فجاء يتصفح أحد المنتديات الإسلامية الحوارية، فوقع على بعض المواضيع السيئة التي تطعن في الجهاد والمجاهدين ومواضيع أخرى فيها عراكات تافهة وسب وشتم، فقال لي: «هذه منتديات فاسدة لا خير فيها أو كلمة نحوها»، فقلت له: إنك كالذي دخل بيت قوم فوقع في زبالتهم..!

❋ ❋ ❋



﴿ذكر إيجابيات «المنتديات الجهادية» الحوارية﴾

❁ مركز اليقين: طبعاً يا شيخ.. لن نبخس الناس أشياءهم، ولن نكون كالتي لما رأت سوءاً قالت: لم أر منك خيرا قط؟ فأكيد أن رواد هذه المنتديات لهم إيجابيات أيضا؟ ونفع للأمة؟

الشيخ عطية الله: بلا شك.. الخير كثير كما قلنا، والعمل الدعوي والإعلامي الإسلامي، الجهادي وغيره، أبلى بلاء حسنا على النت بشهادة الأعداء، وهذا أمرٌ لم يعد خافيا، فالنت صارت ساحة حرب حقيقية بين شباب الإسلام وبين أعداء الله، وكم لشباب الإسلام فيها من صولات وجولات وانتصارات وإنجازات وكم فتح الله عليهم من فتوحات، وكم أغاظوا العدا وفكوا حصاره وأذهبوا عقله وأطالوا ليله واستنزفوه وأرعبوه وأمرضوه، وكم نشروا من الخير بالكتابة والصوت والصورة وغيرها، من العلم النافع والخبر الصادق والكلمة الطيبة الهادية إلى سبيل الله، فجزاهم الله خيرا وبارك الله فيهم وأعلى الله درجتهم في الصالحين.

❁ ❁ ❁

﴿نصائح إلى شباب «الإعلام الجهادي» ورواد «المنتديات» الحوارية﴾

❁ مركز اليقين: يعني ما الأعمال التي تنصحهم بالاستمرار في فعلها؟ وماذا تنصحهم أن يزيدوه ويركزوا عليه إن كان ثمت أفكار مثلا؟

الشيخ عطية الله: ليس عندي أفكار محددة، وهي ساحة إبداع على كل حال، وأظن أن مجال الدعوة ونصر الجهاد والمجاهدين والذب عنهم، ونشر العلم النافع والخبر الصادق، كلها مجالات واسعة، وهناك أعمال فردية وأعمال جماعية تحتاج إلى تعاون وتكامل، فكل ذلك من الخير والعمل الصالح.

مثلا: تنزيل الصوتيات الدعوية والمرئيات التحريضية الجهادية من النت ونشرها على أقراص وغيرها وبثها في مَن حولك من قومك وأهلك وناسك، هذا عمل يستطيع الكثيرون القيام به، في كثير من بلاد العالم، نعم في بعضها قد يكون هناك خطر، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وعلى العاقل أن يحتاط ويجتنب الشر ويطلب السلامة والعافية، ولا يجازف ولا يتهاون، ونشر الكتب والرسائل النافعة التي زكاها العلماء الموثوقون والقيادات الإسلامية الموثوقة في الأمة، هذا كله من المتاح للكثيرين، والتركيز على المنتديات الحوارية العامية ببث المقالات الدعوية المناسبة ونشرها فيهم، ومجادلتهم بالتي

هي أحسن، وغير ذلك.

المشاركة بالدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن في الحوارات وغيرها، وعلى الإنسان أن يقدّم الكلمة الطيبة النافعة دائما، ويجرّب نفسه في كل مرحلة ويقوّمها مع كل تجربة خاضها، وعليه أن يحرص أنه يكون اليومَ خيرًا من أمسٍ، وغدا خيرًا من اليوم، فإن استعان بالله ﷻ وفعل ذلك نجح بلا شك.!

❃ ❃ ❃

〚قبل الختام: نظرة على الواقع، وهل يُشعر بالتفاؤل والاستبشار؟〛

❃ **مركز اليقين**: شيخ عطية؛ قبل ختام هذا اللقاء القصير بكم، وعلى عادة الإعلاميين نسألك: هل أنتَ متفائل ومستبشر؟

الشيخ عطية الله: الحمد لله، أنا والله مستبشر ومؤملٌ الخيرَ، ورغم كل الجراح والقراح والآلام التي تصيب أمتنا في بقاع الأرض، فإنني مستبشر ومتفائل فعلا، وما ازددتُ بفضل الله ﷻ مع الأيام وطول الطريق وصعوباتها إلا يقينا وبصيرة بفضل الله ﷻ، وإلا تفاؤلا ورجاءً، والحمد لله رب العالمين.

أخي الكريم: إن أمة الإسلام اليوم في حالة صحوٍ ونهوض وقيام، فلا خوفَ عليها إن شاء الله.

قبل قرنين أو قرن ونصف من الآن جاء الاستعمار الغربي الإسباني والبرتغالي والهولندي وغيره، ثم الانجليزي والفرنسي والإيطالي، جاءوا إلى أمة الإسلام ونزلوا أرضها وحلوا ديارها فصادفوها أمة قد ماتت تقريبا، يعني هي كانت في حالة تشبه حالة الموت فعلا، وكانت في حالة انحطاط لا يعلم مداه إلا الله ﷻ، حتى مهما قرأ الإنسان وبحث وحاول أن يستوعب تصوّر ذلك الانحطاط صعُب عليه تصوّرهُ!! لقد صادف الاستعمار الغربي الأمة وهي متقهقرة متراجعة في حالة هبوط وسفول وانحطاط على جميع الصُعُد، ومع كل ذلك عانى الاستعمار الويلات منها، لأنه بمجرد أن دخل ثارت في الأمة الحمية الدينية ونخوة الحرية، واستثار الاستعمار فيها مكامن الوعي المغيب، وبدل أن يقضي عليها صارَ كالموقظ لها الحاثّ لها على الثورة والنهضة، فقامت حركات الجهاد والمقاومة للاستعمار في كل بلدٍ، على ما فيها، وأحيا الله بالجهاد ما أحيا، والحمد لله، وما أكثر بركات ذلك الجهاد، وإننا نرى الكثير من بركاته عيانا اليوم، في أجيال الأمة ونسلها الحديث.!

وأما اليوم -أخي الكريم- فإن الاستعمار الجديد والهجمة الصليبية الجديدة وإن كانت أقوى هجمة صليبية في التاريخ بالنظر إلى إمكانات العدو المادية والتقنية؛ فإنه -لسوء حظه، ولحسن بلاء الله

ﷺ على أمة الإسلام- صادفَ أمة الإسلام وهي صاحية تتأهب للنهوض، بل هي قد قامت بالفعل واستوت قائمة، تنفض عن نفسها غبار السنين، وقد دبّت فيها روح الجهاد وأحياها الله ﷻ بعد موات ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام]، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤].

وهي اليوم تزداد كل يوم قوة وصلابة وتكتسب تجربة وخبرة، وهي اليوم قادرة على التصدي للعدو الغازي وقهره ودحره، ولا يستطيع عدوّها أن ينال منها جرحًا إلا وقد نالته من سيوفها جراحٌ، ولا يتمكن من غِرّة فيها إلا وقد تفاجأ بما يسوؤه ويقلب فرحه وبطره عليه ترحًا وكربًا وحزنًا دائما وتنغيصا، حتى والله لقد تمنّى العدوّ الصليبي الغازي أنه ما فكر ولا قدّر ولا دبّر ولا وطئ أرض المسلمين..! فالحمد لله رب العالمين، والله أكبر والعاقبة للمتقين.

وإن أمة الإسلام اليوم في مرحلة إحداث التوازن مع العدوّ الكافر الصليبي وغيره، والكفر كله ملة واحدةٍ في هذا المعنى، أي في عداوتهم للإسلام وأهله وولاء بعضهم لبعض: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأنفال]، وتتهيأ (أمة الإسلام) للانتقال إلى مرحلة أخرى متقدمة وهي أن تكون يدُها هي العليا، هي التي تغزو وتضرب، وهي التي تنال من العدوّ، مرحلة: «اليوم نغزوهم ولا يغزونا».

بالتأكيد لن تستعجل أمتنا المراحل، وهناك عقبات وصعوبات ومشاكل، ولكن الخير غالب، والأمة تتقدم وتنضج، كما تحدثنا عن الحركة الجهادية التي هي طليعة الأمة وجيشها الضارب، وإنما كلُ إنسان يبصر على حسب ما آتاه الله من قوة البصر..

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل اليقين، وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. آمين

❋ ❋ ❋

[القول في تنزيل أحاديث «الفتن» على الواقع، وكذا أحاديث المهدي والرايات السود]

❁ **مركز اليقين**: وبمناسبة الكلام عن التفاؤل والبشائر، نلاحظ على بعض الشباب في الحركة الإسلامية بعض الأفكار التي تحتاج إلى وقفة من العلماء والدعاة، مثلا مسألة: تنزيل أحاديث الفتن والملاحم على الواقع، وأحاديث المهدي والرايات السود وغير ذلك؛ فهل يجوز إسقاط هذه الأحاديث على الأحداث الراهنة، رغم أنه يظهر أحيانا أن هناك تطابقًا بين ما ورد في بعض الأحاديث وبين بعض الأحداث والوقائع الجارية؟

الشيخ عطية الله: بارك الله فيك، هذا سؤال جيد، وهذه مسألة ينبغي التفقه فيها والاطلاع على كلام العلماء فيها، وكلامهم رحم الله أحياءهم وأمواتهم مبثوث فيها في كتبهم، ولا سيما كتب شروح الحديث في أبواب الفتن والملاحم وأخبار آخر الزمان وأشراط الساعة، والكتب المؤلفة في هذا الباب خصوصًا.

ومن أهم ما ينبّه عليه في هذه المسألة: التحذير من خطورة تنزيل ما ورد من ذلك في الكتاب العزيز أو في الأخبار الصحيحة على الوقائع والحوادث إلا ببيّنة تكون حجة للإنسان عند ربه، يستطيع أن يتحمل المؤمن مسؤولية أن يلقى الله بها، وإلا فإن تنزيل الأخبار الغيبية الواردة في الكتاب والسنة على الوقائع والحوادث والأزمنة والأمكنة هو من التأويل والتفسير لكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، ومن الفتوى والتوقيع عن رب العالمين جل وعلا.

فلا ينبغي للمسلم أن يقول: هذا الحادث أو الواقعة الفلانية في الزمان أو المكان الفلانيين، هي المقصودة بقول الله ﷻ كذا وقول النبي ﷺ كذا، إلا بدليل وحجة.

وإذا كانت الدلالات والأمارات قوية ومطمئنة والتطابق ظاهرًا بين الغيب المخبَر عنه في الكتاب والسنة وبين الواقع والحادثة، فللإنسان إن ظهر له هذا أن يقول: لعل هذا هو المراد بقول الله ورسوله كذا وكذا، ويقول: يحتمل ويمكن وأظن، وليحذر من الجزم، إلا بدليل كالشمسِ في رابعة النهار.!

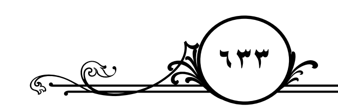
فإن اعتصم الإنسان بهذا الأصل والفقه، سلم إن شاء الله من القول على الله بغير علم، وسلم من الافتتان بسبب العجلة والطيش وبناء أحكام واعتقادات واتخاذ قرارات على أساس موهوم.!

ومما ينبّه عليه أيضا أن الحكم والمقاصد الشريفة من ورود عامة هذه الأخبار في الكتاب والسنة مركبة من أشياء:

منها: التبشير بالخير والنصر للإسلام والمسلمين، فيظل المؤمن مستبشرا راجيا مستيقنا بوعد الله ﷻ.

ومنها: الاختبار والامتحان للمكلفين، فمنهم من يؤمن (يصدق بخبر الله ﷻ ويستيقن) ومنهم من يكفر ويردّ خبر الله ﷻ ورسوله ﷺ أو يشك فيه، والناس في ذلك درجات لا يحصيها إلا علام الغيوب ﷻ.

ومنها: الرحمة واللطف الإلهي بالمؤمنين في الأزمنة المتأخرة وهم في أحوال الضعف؛ فإنهم حين تحل بهم تلك النوازل المخبَر عنها، يعرفون كيف يتصرفون ويختارون الطريق الصحيح الذي يرضاه رب العالمين.



ومن ضمن الحكم والمقاصد أيضا: الفوائدُ الحاضرة من لدن ورود هذا الخبر من الأخبار في الكتاب والسنة، الموجودة ضمنًا، والتي تتمثل في أحكام شرعية مستفادة، كما استفاد الفقهاء من حديث (**يومٌ كسنة ويومٌ كشهر ويومٌ كجمعة وسائر إيامه كأيامكم**)[(١)] كيفية صلاة الإنسان في القطبين الشمالي والجنوبي ونحوها، وكما استفادوا مشروعية أن يتصالح المسلمون مع عدوّ كافر ويقاتلوا معًا عدوًا كافرًا آخر، من حديث: (**تصالحون الروم صلحًا آمنًا وتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم..**)[(٢)]، وهذا كثير جدا؛ أعني استفادة الأحكام.

والأكثر منه: استفادة العبر والمواعظ الهادية، فمن يتأمل قصة «الدجال» مثلا وما فيها من الفتن والبلاء العظيم للناس، وكيف أن الناس ينقسمون منهم من يختار آخرته ويعتصم بدينه، ومنهم من يختار العاجلة ويبيع دينه، رغم وضوح الدجال جدا، لدرجة أنه مكتوب على جبهته كافر، ورغم قوة بيان النبي ﷺ بل جميع الأنبياء قبله لصفاته وتحذيرهم منه، أقول من يتأمل هذا فلا يستغرب إذا دخل «الدجال» الأمريكي اليومَ إلى بلاد المسلمين (أفغانستان والعراق نموذجان حيّان) وعاث فيها ومضى يعدُ الناسَ ويمنّيهم ومعه جنة ونارٌ، كيف تتسارع الناس إلى متابعته واللحاق بركبه والافتتان بما يسمّيه جنة، ويبيعون دينهم وينسون الآخرة ولا ينظرون إليها.

لا يستغرب الإنسان ذلك، فإن أكثر الخلق يسقطون عند الفتن ويفشلون في الامتحان..! ولا يقول: هذا بسبب التقصير في الدعوة ونشر العلم!!

فإن كون أمريكا كفارًا صليبين فجرة فسقة من أخبث خلق الله وأظلمهم، غازين لبلاد المسلمين، يجب التصدي لهم وَفق إجماع الأمة، والتصدّي لهم ممدوحٌ بكل المقاييس الطبيعية (الفطرية) والسماوية والأرضية، هذا شيء من العلم الضروري الذي لا يحتاج إلى فقهاء يبيّنونه ويشرحونه، ولا يُقال فيه: الدعوة مقصرة ونحن مقصرون في نشر العلم، وها هي قصة الدجال أمامك ماثلة تأمّلها، هل يخفى الدجال؟! لكن هي مسألة حب العاجلة وترك الآخرة، واستحباب الحياة الدنيا على الآخرة. نسأل الله العافية والسلامة.

ويستفيد المؤمن: أنه عليه أن يصبر كما صبر المؤمنون على فتنة «الدجال» وعقوباته حين يأمر القرية التي لم تؤمن به فيتبعه كنوزها، ويصيبهم -بإذن الله ومشيئته امتحانًا واختبارًا- الجدبُ والقحط

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٧).

(٢) مسند أحمد (١٦٨٦٢) وصححه الأرنؤوط، سنن أبي داود (٢٧٦٧، ٤٢٩٢)، سنن ابن ماجه (٤٠٨٩) وصححه الألباني.

والشدة، ويثبت المؤمن وإن قتل وإن نالته الجراح والقراح والحرمان، كما عذب ذلك الشاب المؤمن الذي يقسمه الدجال قسمين أمام الناس ويأمره بالعودة كما كان فيعود.!

لكنَّ المؤمنين صبروا وثبتوا واستيقنوا بصدق خبر الله ورسوله ﷺ.

فهذه من أهم الحكم والمقاصد لهذه الأخبار الشريفة، ومعظمها حاصلٌ ولو لم يرَ المؤمنُ الشيء المخبرَ عنه بعينه، فإن عاش وكان ممن يراه، فإنه يزداد إيمانا وتسليمًا، ويهديه الله بإيمانه.

ومما يحذّر منه في هذا الباب: أن بعض الناس يتعلق بأخبار هذا الباب تعلقا زائدا عن الحدّ خارجًا عن الفقه الصحيح، كمن يقول: لا خلاص لأمتنا اليوم إلا بالمهدي المنتظر، فنجلس وننتظر خروج المهديّ الموعود، فإذا خرج التحقنا به..!

وهذا نوعٌ من الضلال والفتنة، والعياذ بالله، لأن الله ﷻ لم يأمرك أيها العبدُ بالقعود عن العمل وانتظار «المهدي» أو غيره، بل أمرَك بالعمل والجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله ﷻ والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التكاليف الشرعية وأداء الأمانات الربّانية، وهذا كله مبيّن لك في شريعة الله ﷻ المطهرة، في الكتاب والسنة وما في معناهما، وبيّنه لك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وشرحوه ووضحوه، فأي عذر لك في ترك كل هذا، وتقعدُ وتقول أنتظر المهدي أو كذا؟! هذا ضلال مبين، عافانا الله وإياكم منه.

ولعل قائل ذلك إذا حضر خروجَ «المهديّ» فعلا، لا يوفّقه الله ويكون ممن يعاديه ويحاربه..!

ومما يحذر منه أيضًا: أن بعض الناس يستهين بهذا الباب وفقهه وما ورد فيه من الأحاديث النبوية الشريفة؛ فيظن أنه كلأ مستباحٌ، فيتسوّر عليه بغير علم ولا تأهّل ويظل يفسر ويؤول ويشرح، وهذا قد شاهدناه كثيرا، والمتابع لما كتب في هذا الباب من كتابات للمعاصرين يلاحظ ذلك أيضا، وهو خلل وفساد علميّ، وينبغي أن يؤخذ على أيدي هؤلاء ويُحتَسَبَ عليهم، وقد ذكرت في أول الجواب أن الكلام في هذا الباب تفسيرًا وتأويلا وتنزيلا هو من باب الفتوى والتوقيع عن الله ﷻ.! والله أعلم.

❋ ❋ ❋

〚القول في حديث (تصالحون الروم صلحا آمنا)، وما المقصود به؟〛

❁ مركز اليقين: على ذكر حديث (**تصالحون الروم صلحاً آمنًا**)، بعضُ الناس أيضا يقولون إن هذا قد يكون المقصود به أن المسلمين يصالحون أمريكا والغرب وهم الروم، ويقاتلون معًا عدوًا واحدًا هو الرافضة ومجوس إيران؟

الشيخ عطية الله: هذا أخي الكريم مما كنا نتكلم فيه، وقلنا: إنه لا ينبغي الجزم بشيء من هذه التأويلات ومثل هذا التنزيل للأخبار الغيبية على الوقائع، ويجب الحذر في ذلك، وألا يتكلم الإنسان فيه إلا بدليل وحجة وبرهان، وأن هذا من التأويل والتفسير لكلام الله ورسوله، ومن الفتوى والتوقيع عن رب العالمين.

فهنا لو أبدى بعضُ أهل العلم ذلك على وجه الاحتمال كان ممكنًا، لكن الجزم بشيء من ذلك، ثم التعويل على هذا الاحتمال وبناء أفكار واستراتيجيات عليه، أخشى أن يكون من البناء على الأوهام، فهو بناء على شفا جُرُف هار، فعلى المسلم أن يتقي الله ويكون على بصيرة، ويحذر الفتن، نعوذ بالله من الفتن.

إذا كان المقصود مشروعية أن يتصالح المسلمون مع النصارى ويقاتلوا معًا عدوًا واحدًا من ورائهم، فهذا صحيح وهو ظاهر الحديث، وقال به العلماء أخذًا بظاهر هذا الحديث.

لكن أن نقول هذه القصة المخبَر عنها في حديث النبي ﷺ هي ما نحن فيه الآن من أحداث وتوقعات حرب بين الرافضة وأمريكا وأننا علينا بناء عليه أن نصالح الروم (الأمريكان والغرب) وأن نقاتل نحن وهم هذا العدو الذي هو الرافضة ومجوس إيران.. فهذا رجمٌ بالغيب وتخرّص وليس علما ولا فقهًا.! قد يكون المقصود بها في الحديث أمة من الأمم غير المنتسبة للإسلام أصلًا، كالأمم الوثنية المتوقع لها أن تنموَ وتكبر ويزداد شرها على البشرية في المستقبل كالصين والهند ونحوها، والله أعلم.

النصارى الصليبيون -أمريكا والغرب- عدوّ، والرافضة ومجوس إيران عدوّ.

ونحن المسلمون.

والحركة الجهادية التي هي طليعة أمة الإسلام اليوم؛ تعرف بحمد الله ﷻ وتفقه كيف تتصدى لأعدائها وتجاهدهم على بصيرة وعن وعي وعلم وفقه وحكمة، ومن ذلك المعرفة بمَن تقدّم ومَن تؤخّر، ومَن تحارب ومن توادع، والمعرفة بخطر كل عدوّ وحجمه، وسائر ما يتعلق بهذا الشأن.

وأحكام الجهاد قتالا وصلحًا وهدنة، وأحكام العلاقات مع الأعداء على اختلاف طبقاتهم سلمًا وحربًا، وكل ما يتعلق بأفعال المكلفين من أحكام، متضمَّنٌ في الشريعة الإسلامية، وهي أعم من أن تؤخذ من هذا الحديث الفرد أو غيره من آحاد الأحاديث، هي شريعة متكاملة، والحمد لله.

نسأل الله أن يكفينا بقدرته ولطفه شر الأعادي جميعهم.

ومما ينبغي التفطن له: أن ذينكَ العدوّيْنِ بينهما خلافٌ وصراعٌ، وكلاهما في حال خوفٍ وفي أوضاع صعبة، وكلاهما يسعى لكسب أعداء أعدائه ما استطاع أو تحييدهم، والوضع معقد أشد التعقيد،

والمنطقة على حافة انفجار محتمل في أية لحظة، والفتن عظيمة، والأعداء ليسوا هيّنين بل هم متمرسون بالمكر والخديعة، كفانا الله شرهم، والأمريكان في العراق الآن من أخطر فتنتهم أنهم ساعون في كسب طوائف وجماعات من أهل السنة إلى صفهم بذريعة مواجهة عدوّ مشترك هو إيران والرافضة، وتحت طائلة التخويف من الرافضة وإيران يسعون حثيثا إلى تحييد بعض الطوائف السنية واكتسابها وربما حتى التحالف معها، وهذا موردُ فتنة كبير.!

وهم يجنّدون في ذلك من الأولياء ومن فنون المكر والدهاء والإغراء ما لا يعلمه إلا الله.

ولهذا تلاحظ عند بعض الناس تضخيما كبيرا للخطر الرافضي، وإي والله إنه لخطرٌ عظيم، لكني أشعر أن هناك مبالغة بالفعل عند بعض الناس في تصوير هذا الخطر وتصوير أولويته.

في نظري -والله أعلم بالصواب- أن على الحركة الإسلامية الجهادية أن تثبت وتحافظ على استقلالها ونقائها، ولا تُستفَزّ لا تُستَجر إلى الكون مع أحد الطرفين أصلا مهما استطاعت، ولا سيما مع العدو الأكبر والأقوى وهو العدو الأمريكي الصليبي وأولياؤه وحلفاؤه.!

الفتن عظيمة، والتوفيق بيد الله وحده فلنطلبه منه ﷻ، وليس بكثرة شطارة ولا ذكاء..!

ووالله لولا أنها معركة الإسلام والحق والتوحيد والسنة النبوية المطهرة مع أعداء الله أهل الشرك والكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والفجور والظلم والطغيان، ولولا اليقين أن الله ﷻ هو الذي يدبّر الأمر، وإنما على المؤمنين أن يأخذوا بالأسباب ويتوكلوا عليه سبحانه ويدخلوا عليهم الباب، والباقي على الله وحده.

ولولا اليقين بمعنى قوله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧] وقول النبي ﷺ: **(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)**[(١)].

لولا ذلك لما كان هنالك بصيصُ أمل للإنسان، لو أننا اعتمدنا فقط على الحسابات المادية..!

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران]، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[هود: ٤٣]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

〚كلمة للمخالفين للمجاهدين، تقنعهم بصواب منهجهم، وصحة طريقهم〛

۞ **مركز اليقين**: في الختام، شيخنا عطية الله..

إن طُلب منك أن تُدلي بكلمة قصيرة توجهها للأمة، وللمخالفين للمنهج الجهادي أو المتقاعسين عنه، لتقنعهم بصواب منهجكم، فما تقول لهم؟

الشيخ عطية الله: أما الكلمة للأمة بعامة والمقصود جمهورها من المسلمين..

فإذا كان كلامي يبلغُ لعموم المسلمين فإني أبشرهم بأن الخير قادم..

فاستعينوا بالله واصبروا واثبتوا يا عباد الله وتمسكوا بدينكم واعتصموا بحبل الله، واعلموا أن الله خلقنا ليبتلينا ويمتحننا في هذه الدنيا وبها، فالدنيا دار امتحان وهي دار الغرور، زائلة فانية عن قريب، وليس بين الإنسان وبين انتهاء مدة الامتحان إلا أن يفاجئه الموت، فليستعد الإنسان للموت، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران].

وأما المخالفون للخط الجهادي والمتقاعسون عن الجهاد؛ فهم طبعا ليسوا درجة واحدة:

فهناك مَن يُوعَظ ويُذكّر وتتلى عليه آيات الجهاد وأحاديثه وفقهه، ترغيبا وترهيبًا، وتُوضَّح له مسائله وتزال عنه الشبهات، وهذا كثير مبذول ولله الحمد والمنة، وكل من طلب الحق وحرَص عليه وجده غالبًا، فإن لم يجده فقد أعذر ونجا إن شاء الله.

ومنهم من يقال له: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾[هود]، و﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤﴾[الإسراء]، و﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ٥٧﴾[الأنعام]، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ ٤١﴾[المائدة].

و**(كل ميسر لما خلق له)**[1].

والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

ومنهم مَن يقال له: لا عليك في العداوة والخصومة وشدة الصدود والصد، ولمَ الاستعجال؟ انتظر وتلبّث حتى يفتح الله بالحق.!

۞ ۞ ۞

---

(١) صحيح البخاري (٧٥٥١).

〚شكراً لكم لإتاحة هذه الفرصة〛

۞ **مركز اليقين**: شيخ عطية الله.. نشكر لكم إتاحة هذه الفرصة الطيبة، وجزاكم الله خيراً.

الشيخ عطية الله: وجزاكم الله خيرًا، وبارك الله في جهودكم، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب، وسبحانك اللّهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



جواب سؤال في:

«جهاد الدفع»

تم نشر هذه الفتوى في المنتديات الجهادية

من قبل «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»



١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

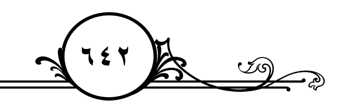
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين، وبعد..

فقد وردني هذا السؤال مكررا من الإخوة في «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»، وأهملت الإجابة عليه قائلا لهم: إن هذا سؤال متعنت من أهل الزيغ والضلال والفتنة، لا سؤال من يريد الحق ويطلب الهدى، وذلك لمعرفتي بأن هذا السؤال بل هذه الشبهات متلقاةٌ عن قوم مخصوصين ضالين خوارج مارقين من ربقة الإسلام، وهم جماعة المخلف المكنى «أبا مريم»، كما حدثني عنهم مَن سمع كلامهم أو قرأ لهم أو ناقشهم على الانترنت، غير أن الإخوة ألحوا في كتابة جواب، لأن الأمر أشكل على بعض الإخوان الطيبين من أهل الخير.

فاستعنتُ بالله ﷻ في كتابة هذا الجواب، سائلا المولى ﷻ الهدى والسداد والتوفيق للصواب:

السؤال: جهاد الدفع إنما شـــرع للدفاع عن دار الإسلام التي يصول عليها الكفار؛ فكيف يمكن تأدية جهاد الدفع اليوم وجميع ديار المسلمين تحولت لديار كفر لغلبة الكفار عليها، وكيف يمكن الرد على هذه الشبهة، ثم أليس الحكم العام للمقيمين في ديار الكفر أنهم كفار مشـــركون.. فكيف نحكم على عامة بلاد الإسلام بأنهم مسلمون؟

وقبل الجــواب، متوكلين على رب الأرباب الملك الوهاب، نذكر لإخواننا مقدمة نافعة إن شاء الله، فيها عِبَرٌ وتنبيه على سوء حال هؤلاء المارقين وأمثالهم، وفيها بيانٌ مختصر لمجمل أصول ضلالهم، ووصايا لإخواننا المسلمين في كل مكان ليحذروهم، وبالله المستعان:



فصلٌ

اعلموا إخواني بارك الله فيكم يا أهل الخير يا مَن تبحثون على الحق وتطلبون الفضل وترجون رحمة الله وتبتغون مرضاته ﷻ، أن هذا السؤال وإن ورد من جهتكم وورود المستفهم المستشكل الطالب لدفع الإشكال وتحصيل الثلج واليقين في الرد على زيغ الزائغين وفتون المفتونين، إلا أنه في أصله سؤالٌ صادرٌ عن أولئك المفتونين الخوارج الضالين المارقين من دين الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أتباع المفتون «المخلف»، كفى الله المسلمين شره وشر كل ذي شر، فالسؤال سؤالهم، وهو منهم ليس سؤالًا بل هو حجة كما يزعمون، يسوقونها معارضين بها الحق المبين والصراط المستقيم والعلم والهدى المتقرر عند علماء المسلمين أجمعين، وهو مبنيّ على أصولهم الفاسدة الضالة التي أصّلها لهم هذا المخلف الضال، ومنطلق من أساس فكره المنحرف ونهجه المعوج؛ هذا لا بد أن تعرفوه..

واعلموا أن هذه النابتة «المخلفية» الخبيثة التي نبتت في هذه الأيام ليست هي بأول نبتة من جنسها، فإنها من ضئضئ قوم معروفين في تاريخ الإسلام والمسلمين، وهم الخوارج المارقون، الذين أخبرنا عنهم النبي ﷺ، وأمر بقتالهم وقتلهم، ورغّب في ذلك، وحذر منهم تحذيرا شديدا، وأخبر أنهم كلاب النار[1]، واختلف العلماء في الحكم عليهم بالكفر، إلى آخر ما تعلمون من شأنهم ومما ورد فيهم من الأحاديث النبوية الكريمة.

وهؤلاء المارقون «المخلف» وأتباعه لا شك أنهم خوارج، ولا يرتاب في هذا عالمٌ أو طالبُ علم أبدا.. فإنهم كفروا جميع المسلمين، من أهل الأرض اليوم، وعليه استحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم، بل ويعتقد بعضُهم أن القرون الماضية من عهود المسلمين وطبقاتهم كلهم كفارٌ إلى ما يقارب الثلاثة أو الأربعة قرون الأولى المفضلة، ماعدا استثناءات قليلة، بالإضافة إلى غير ذلك من أفكارهم واعتقاداتهم الخبيثة.!

وليسوا هم بأول نابتة في هذا العصر، ولن يكونوا الأخيرة أيضا، لأنه قد جاءَ في بعض الأحاديث النبوية أنهم لا تزال تنبت لهم نابتة إلى آخر الأزمان، وقد جربناهم وجربهم الناسُ في بلدان كثيرة، في

---

(١) عن أبي سعيد وأنس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: (**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ**) رواه أبو اود (٤٧٦٥) وصححه الألباني، وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (**الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ**) رواه ابن ماجه (١٣٧) وصححه الألباني.

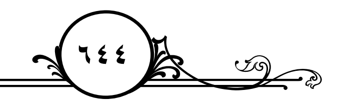


مصر وفي ليبيا والجزائر وفي أفغانستان وباكستان وغيرها.

وسنة الله ﷻ فيهم معلومة مسطورة معروفة لأهل العلم والعقل والعبرة: يكفرون العلماءَ وطلبة العلم والمجاهدين والناس أجمعين، ثم يكفر بعضهم بعضًا، ويؤول بهم الأمرُ إلى أحوال مستقبحةٍ جدا حتى إنهم قد يستحلون الكثير من المحرمات القطعية التحريم، كالخمر والمخدرات والزنا الصريح، وغير ذلك؛ فقد رأيناهم في باكستان استحلوا الحشيشة والمواد المخدرة وتدرجوا باعتقاد حل المتاجرة فيها أولا، ثم تعاطيها والزعم بأنها ليست حراما، أو القول بأننا الآن في زمن يشبه الزمن المكي، وهو زمن الدعوة إلى التوحيد فقط ولا تشريع بعدُ يحرم هذه الأشياء، وإلى ما شابه ذلك من التأويلات السخيفة غير المعتبرة عند جميع أهل العلم، وبنفس هذه الشبهات استحلوا الكثير من الحرام، ويمارس بعضهم الزنا الصريح في أوروبا وغيرها وسائر البلاد، تحت ادعاءات باطلة مقطوع ببطلانها كالقول بأنّ المزنيّ بهنّ في حكم السبايا، ويكثر خلافهم واختلافهم وتناقضهم ويصل إلى حد فاحش جدا تستبشعه الفطرُ، ويتنافرون ويتدابرون ويتقاطعون، وينشطرون، بل وسرعان ما يتقاتلون إن كان بيدهم سلاح وكانوا في أرض سلاح، وينقسمون فرقا يزيد بعضهم على بعض في الغلو والعتوّ، دعك عن فساد الأخلاق وفقدان المروءة وموت الضمائر، ومناقضة أبسط مبادئ الأخلاق الكريمة التي اجتمع عليها الملل والنحل كلها كافرها ومسلمها، كاستحلال الكذب الصريح والخيانة وجميع أنواع الغدر والخديعة المحرمة وذهاب الرحمة من قلوبهم وتحوّلها إلى أنواع من القسوة غريب جدا وأنواع من الأخلاق السَّبُعية يصعب على مَن لم يعرف نماذج منهم أن يصدق ما نقوله له عنهم..!!

وعادة الله ﷻ فيهم حسبما رصدها أهل العبرة أنهم تكون لهم زوبعة وضجة ويحصل لهم في فتنتهم أتباع قليلون أو كثيرون، ثم ما يلبث أن يرجع جزء كبيرٌ منهم ويؤوبون إلى الحق ويكتشفون الضلالة بعد اكتواءٍ وشَوْبٍ من فسادٍ، نسأل الله العافية، ثم يؤول أمرُهم إلى اضمحلال وزوال.

وقد حكى لنا مرة بعض التائبين منهم ممن منّ الله عليهم بالهداية بعد أن قطع شوطا طويلا معهم، وهذا شيء قليلٌ في العادة، حكى لنا أنهم وصلوا إلى حالات من الشك في الله ﷻ وفي محمد رسول الله ﷺ ورسالته وفي القرآن.!! نعم والله، فإنهم من شدّة التنطع والتشدد في الدين والغلوّ لا يرضون برحمة الله الواسعة ولا يقبلون منة الله ولطفه، بل يظلون يشددون على أنفسهم ويتنطعون فيهلكون بأن يتسلّط عليهم الشيطان والوسواس، فيظلون يشكون في أنفسهم كل لحظة، ويصبح الرجل منهم ويقول: أنا كنت بالأمس كافرًا، واليوم أسلمتُ من جديد، ويكفر الرجل منهم أخاه في المجلس ثم يعود فيحكم عليه بالإسلام، ثم يكفره عدة مراتٍ، والآخر يقول: نعم أنا كفرت قبل قليل والآن أنا



أرجع إلى الإسلام، ويكفر الرجل أهله وزوجه وولده كل يوم، وتحصل عندهم من المفاسد الاجتماعية والإنسانية ما لا يقدرون -مع طول الوقت- على الصبر عليه؛ لأنهم أوقعوا أنفسهم في التشديد والحرج والضيق وما لا تقوى نفوس البشر في العادة على تحمّله على دوام الأزمان، ولم يقبلوا منّة الله عليهم بالتوسعة والتيسير، بل شددوا فشدد الله عليهم.

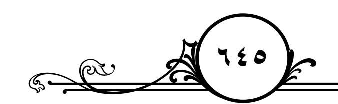
فيحصل أن يصل بعضهم إلى حالات الكفر الصريح بالله ﷻ وبالأنبياء ورسالات الله ﷻ.. ويصل إلى سب الله ﷻ رأسًا..! والعياذ بالله ﷻ من هذه الأحوال الرديّة.. ويصل بعضهم إلى حالات يأس وقنوط، وإلى الانتحار..!

والسبب الظاهر المباشر لذلك -والله ﷻ أعلم-؛ هو كثرة وقوة مناقضة الفطرة ودين الفطرة -الإسلام دينُ الفطرة-.. وكثرة وقوة التضييق على النفس حتى تملّ وتعيى وتتعب وتصير تتفلت وتنفر ولا تقوى على حمل تكاليف الدين، ثم تصير إلى أنواع من الحيل الشريرة والتأويلات الفاسدة غير المستساغة.. وكثرة وقوة مناقضة ظواهر الشريعة ودلالاتها المتنوعة على الحقائق؛ فيحصل عندهم في البداية نوعٌ من المكابرة ثم يكتشفون أدلة أخرى وتعترضهم إشكالات تتكاثر عليهم وتغلبهم ويحيرون في الجواب ويزدادون في المكابرة ولا سيما إن كان الواحدُ منهم رأسًا في فرقته وجماعته متبوعا قد تصدّر وصار له أتباع وأقوال ومذهبٌ، فيصعب عليه الرجوع إلى الحق، وهذا من معنى قوله ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[الأنفال: ٢٤]، وهكذا يحصل عند الواحدِ منهم تأنيبُ ضمير ويشعر بقوة التناقض في نفسه، فقد يصل إلى حالات قصوى من المرض النفسي والخبلِ أو يصيرُ إلى الزندقة المحضة والكفر بالله العظيم، والعياذ بالله.

ومن أمثلة التناقضات التي تعترضهم باستمرار:

۞ **تكفيرهم لعموم المسلمين** بما فيهم خيارُهم من العُبَّاد والزهاد والمجاهدين والاستشهاديين وأهل العلم والدعوة والبذل في سبيل الله ﷻ، يكفرونهم كلهم، ولا يحكمون إلا بإسلام نفرٍ قليل هم جماعتهم ومَن كان مثلهم فقط، بل ويحكمون بكفر سائر الأمة في قرونها المتأخرة، وهم يجدون في الأحاديث النبوية وظواهر الشريعة أن أمة الإسلام لا يزال نسلها مستمرا باقيًا إلى قربِ قيام الساعة حين يأذن الله ﷻ بأخذ أرواح كل أهل الإيمان، ويجدون في الأحاديث مدحًا لبعض أعصُر[1] الأمة وأزمنتهم وأمكنتها والإخبار ببقاء الإسلام والإيمان والصلاح فيها وفي أهلها، وأحاديث الطائفة

(١) «أعصر» جمع «عصر»؛ ينظر: المصباح المنير (٢ / ٤١٣).



المنصورة الظاهرة على أعدائها وأنها لن تزال قائمة موجودة إلى قيام الساعة، وغير ذلك كثير جدا، فيحصل عندهم تناقض كبيرٌ وتأنيبٌ للضمير مُمرِضٌ مهلكٌ.!

۞ **ومنها**: ما يرون من علامات الصلاح وحسن الإيمان كما أخبر عنه الله ورسوله ﷺ في الأحاديث الكثيرة وعلامات حسن الخاتمة لكثير من المسلمين، ولا سيما المجاهدين والشهداء، ويرون صبر الصابرين وقوة إيمان ويقين المؤمنين الموقنين، والحال أنهم يحكمون عليهم جميعا بالكفر وعدم الإسلام، فيظلون في تناقض كبير لا يعلمه إلا الله، ولا يمكنهم -في قرارة أنفسهم- دفعُه لكثرته وقوة دلالته وفطريته.!

۞ **ومنها**: تكفيرهم لعموم علماء الأمة وفيهم العلماء الكبار أهل الصلاح والصدق والفهم والتحقيق، في حين أنهم ينظرون إلى أنفسهم عند المقايسة فيجدون أنفسهم جهلة عالة على هؤلاء العلماء.!

۞ **ومنها**: التناقض من جهة أنهم حين يكفرون عامة قرون الأمة المتأخرة إلا نفرًا قليلا، يحصل عندهم وسواسٌ وشكٌّ في صحة نقل الدين ووصوله إليهم؛ فإن الدين -القرآن والسنة وشروحهما، وما في معناهما من الإجماعات والأقيسة الصحيحة، وكذا أدوات فهمهما كاللغة العربية وعامة علوم الآلة- إنما وصلت إليهم بواسطة هذه القرون لا محالة، فإذا كانوا كفارا فكيف يؤتمنون على نقل الدين وشروحه، فيحصل عندهم تناقضٌ كالذي يحصل عند الروافض المارقين، فإما أن يهتدي الواحدُ منهم أو يتزندق، والعياذ بالله.!

۞ **ومنها**: أنهم يكتشفون كل يومٍ أدلة جديدة تناقض مذهبهم فيتعسّفون في ردها، لكن تغلبهم مع كثرتها وقوتها وتظافرها..! ولا يكون منهم إلا المكابرة تلوَ المكابرة حتى يستيقنوا في قرارة أنفسهم أنهم مكابرون، ولكن يطبع الله على قلوب كثير منهم فهم لا يرجعون، ومن ذلك ما يطلعون عليه مثلا من أقوال لبعض علماء «الدعوة النجدية» الذين يعظمونهم في أول الأمر، ثم يكفرونهم (لا يبعُد أن يكفرهم المخلف فيما بعدُ إن استمر على هذا الطريق ولم يتداركه الله برحمته) تخالف ما ذهبوا إليه، بل وأقوالٍ للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» نفسه، بل وشيخ الإسلام «ابن تيمية»، وغيره من العلماء والأئمة، ومن ذلك ما يرونه منهم إما من نصوص كلامهم أو من مسطور سيرهم من سماحةٍ وإعذارٍ للمخالفِ ورحمة بالجاهلين، فيظلون زمنًا يتعسّفون في ليّ أعناق أقوالهم ومواقفهم المحكمة، لكن يضعف في قلوبهم احترامُهم ومحبتهم، ثم ينتقلون إلى التشكيك فيهم، ويهابون تكفيرهم زمنًا؛ لأن عامة ضلالتهم انبنت على فهمٍ سيءٍ لأقوال هؤلاء الأئمة، ويخافون من ظهور تناقضهم والافتضاح

أمام الناس، ثم قد يصلون إلى درجة لا يبالون بشيء ويكفرونهم كما ذكرنا.

۞ **ومنها**: أنهم مع مرور الوقت أيضا يكتشفون كثرة وقوة مناقضتهم لمقاصد الشرع ومبانيه وأصول الدين المتقررة بأنواع الدلالات غير النصية؛ فإنهم يجدون أن الشرع يميل إلى العذر ويتشوّف إليه، ويكثر من مدحه والحث عليه، كما قال النبي ﷺ: (**وليس أحدٌ أحبَّ إليه العذرُ من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**) متفق عليه وهذا لفظ مسلم[1]، كما يتشوّف إلى التيسير والسهولة والتخفيف، وهم بعكس ذلك كله، فيوجب لهم ذلك تأنيبَ ضمير مضافا ومكررًا، حتى ليصل الحالُ ببعضهم إلى أن يكره أن يسمع أو يقرأ من القرآن والحديث آيات وأحاديث التيسير والعذر والتخفيف ونحو ذلك..! وهذا هو شأن صاحب البدعة والفسوق (وهو الخروج عن طاعة الله ﷻ وصراطه المستقيم) أنه يصير عنده حرجٌ من الآيات والأحاديث التي تخالف بدعته وفسقه، فيدخل بذلك تحت طائلة قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء]، وقد ذكر هذه الفائدة «ابنُ القيم» في بعض كتبه، ونقل في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» عن ابن أبي حاتم وعبد الله بن الإمام أحمد في كتابيهما «السنة»، أنهما رويا عن الجهم بن صفوان أنه تلا قوله ﷻ ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه]، فقال: «لو وجدتُ السبيلَ إلى أن أحكها من المصحف لفعلتُ»[2]، نسأل الله العافية والسلامة والتثبيت على الحق.. آمين.

قال ابن القيم ﵀ في كتابه «الفوائد»، عند كلامه على أنواع هجر القرآن: «وكذلك الحرجُ الذي في الصدور منه؛ فإنه تارة يكون حرجا من إنزاله وكونه حقا من عند الله، وتارة يكون من جهة التكلم به أو كونه مخلوقا من بعض مخلوقاته ألهم غيرَهُ أن تكلم به، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات، وتارة يكون من جهة دلالته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة فهي ثابتة في نفس الأمر أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة، فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدونه في صدورهم، ولا تجد مبتدعا في دينه قط إلا وفي قلبه حرجٌ من

---

(١) صحيح البخاري (٧٤١٦)، صحيح مسلم (٢٧٦٠).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢ / ٢٢٥).

الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالما فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء»[(١)] اهـ.

فصلٌ

وكل ذلك -أيها الإخوة- مصداقٌ لحديث النبي ﷺ: **(هلك المتنطعون)** قالها ثلاثا ﷺ، رواه مسلم وأحمد وأبو داود[(٢)]، قال في «النهاية في غريب الحديث»: «هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا»[(٣)] اهـ، قال العلماء: وهذا إما أن يكون دعاءً أو خبرًا؛ فإن كان دعاء فدعاؤه ﷺ مستجاب، وإن كان خبرًا فخبره صدق وحق لا يتخلف، فقد أخبر أنهم هالكون لامحالة.! والعياذ بالله.

وقال ﷺ: **(إن هذا الدينَ يسر ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه)** رواه البخاري والنسائي[(٤)]، أي إلا غلبه الدينُ؛ فيصير الإنسان مغلوبا، لا يقدر على حمل هذا الدين والقيام به، لماذا؟ لأنه شادَّ الدين أي أخذه وتناوله وتعاطاه بالشدة وحاول أن يغلبَ الدينَ ويكون شديدا فيه ومعه، مع أنه دينٌ يسر سهلٌ سمحٌ.

وقال ﷺ: **(إياكم والغلوّ في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)** رواه أحمد والنسائي وغيرهما[(٥)]؛ فانظر كيف أخبر النبي ﷺ أن سبب هلاك من قبلنا من الأمم غلوهم في دينهم.

وقال ﷺ: **(بعثتُ بالحنيفية السَّمحة)** رواه أحمد والطبراني[(٦)]؛ فهو دينٌ سمحٌ سهل يسير، ليس فيه مشقة خارجة عن المعتادِ بحيث توقع المسلم في حرج وضيق وتعنّتٍ؛ كما قال الله ﷻ وتبارك وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج]، وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ

---

(١) الفوائد (١ / ٨٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٧٠)، مسند أحمد (٣٦٥٥)، سنن أبي داود (٤٦٨٠).

(٣) النهاية (٥ / ٧٤).

(٤) صحيح البخاري (٣٩)، سنن النسائي (٥٠٣٤).

(٥) مسند أحمد (٣٢٤٨) وصحح إسناده الأرنؤوط وأحمد شاكر، سنن النسائي (٣٠٧٥)، سنن ابن ماجه (٣٠٢٩) وصححه الألباني.

(٦) مسند أحمد (٢٢٢٩١)، المعجم الكبير (٧٨٦٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٩٢٤).

بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٠﴾[البقرة] أي لأوقعكم في العنت وهو الضيق والشدة والمشقة العظيمة القاهرة، أي ولكنه لم يفعل بل كان بكم رحيما لطيفا يسر عليكم ولم يكلفكم إلا ما تطيقون من الأعمال في معتاد أحوال البشر، والحمد لله رب العالمين.

وقال ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾أي لوقعتم في العنت وهو الضيق والشدة الشديدة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾[الحجرات]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة معروفة والحمد لله.

والمقصود: التحذير من حال هؤلاء بضرب الأمثال، وتعريف إخواننا الطيبين سوءَ أحوالهم ووخامة مآلهم، وما يحتوون عليه من تناقضات تؤدي بهم إلى الكفر الصريح في كثير من الأحيان، وإلى المروق الصريح من الدين بالفسوق والعصيان الواضح.. لهذا عنون الشيخ «أبو محمد المقدسي» - فرج الله عنه، وهو الخبير بهم العارف بطرق ضلالاتهم- كتابه «الرسالة الثلاثينية» بـ«رسالة الجفر في أن الغلو في التكفير يودي إلى الكفر»[(١)].

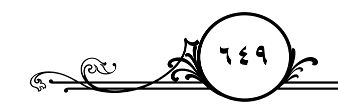
ولا شك أن هذا الذي عليه هؤلاء القوم ليس هو حال «المسلم» الذي وصفه القرآن والسنة، ولا هذا الدين هو دين الإسلام كما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه.

لا والله.. إنما هؤلاء مارقون، مرقوا من الدين من باب الغلوّ والتشدد والإفراط والزيادة في الدين، كما أن العلمانيين والمتزندقة الملحدين العصريين وأمثالهم مرقوا من الدين من باب النقصان منه والتفريط فيه والترك له اتباعا لشهواتهم، وهذان هما سبيلا الشيطان؛ لإخراج الناس من النور إلى الظلمات؛ كما قال بعض السلف: «ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيها ظفر؛ إما غلو فيه، وإما تقصير عنه»[(٢)]، وانتظروا وسوف ترون بأم أعينكم كيف يؤول إليه حال هؤلاء المفتونين المارقين المخلف وأتباعه، إن استمروا في هذا الطريق ولم يتداركهم الله برحمته، ووالله لقد رأيناهم وجربناهم في أكثر من بلدٍ يتركهم الطواغيت المرتدون يرتعون ويسرحون ويمرحون في البلاد لا يمسونهم بسوء، رأينا ذلك بأم أعيننا وجربناه في ليبيا في أواخر الثمانينات من القرن الإفرنجي الماضي، حين كانت الحملات على الإخوة الملتزمين على أشدها من قبل الطاغوت القذافي وزبانيته

---

(١) هي «الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير» وقد سماها الشيخ بـ«الجفر» لأنه فرغ من تبييضها في معتقل«الجفر».

(٢) قاله مخلد بن الحسين، ينظر: سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٣٦).



واستخباراته، ومع ذلك كانوا يتركون الخوارج «التكفيريين» ولا يقربونهم بل يفسحون لهم كل مجال، لماذا؟ لأنهم يدركون أنهم يقدمون لهم خدمة مهمّة، وأنهم لا يشكلون أي خطر عليهم، بل هم أعوانٌ لهم في الحقيقة على المسلمين المستضعفين.!! كيف لا وصفتُهم التي وصفهم بها الصادق المصدوق أنهم (**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**)[1].

وهكذا سمعنا عنهم في أماكن وبلدان أخرى، والقصص متشابهة في كل مكان، وسترون ذلك في هؤلاء أيضا؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار، وهذا لعمر الله برهانٌ لمن كان له قلبٌ وتدبّرٌ وإرادة للحق، إذ كيف يرضى الطاغوتُ عنهم ويتركهم يسرحون ويمرحون في البلاد، لو كانوا على الحق وجادّة التوحيد وطريق محمدٍ ﷺ.! لكن الطاغوت يدرك أنهم بذرة فساد في «الجماعة المسلمة» أي في وسط المسلمين، فيتركهم يفسدون وربما دعمهم وفسح لهم وأمدّهم في طغيانهم ليضرب بهم المسلمين.! وحسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنفال].

وهذه كانت مقدمة نصحا لإخواننا وتذكيرا وتنبيها لمن أراد أن يتعظ ويعتبر، فإن العاقل من اعتبر بغيره، واتعظ، ولا يجرب كل شيء بنفسه، إذن لهلك الناسُ كلهم لو أراد كل أحدٍ أن يجرب كل شيء..! والسعيد من وقيَ الفتن، فاجتنبوا الفتن، وابتعدوا عنها وعن أهلها، واعتصموا بالله ﷻ وأكثروا من الدعاء والإلحاح على المولى ﷻ أن يمن عليكم بالهداية والسداد، فإن التوفيق كله بيد الله ﷻ وحده لا شريك له.

وأنبه إلى أن المقصود مما تقدم هو الكلام على صفات وأحوال ومآلات أمثال هؤلاء وجنسهم وضئضئهم، ولا يلزم منه أني أحكي عن هؤلاء المفتونين الحاليين الآن كل ما ذكرته من تفاصيل؛ فقد يكون فيهم الآن قليلٌ أو كثير مما ذكرنا، وهم على خطرٍ عظيم، فليعتبر المعتبرون وليتفكرْ أولو الألباب، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٤، ٧٤٣٢)، صحيح مسلم (١٠٦٤).

فصلٌ

والعصمة من فتنة هؤلاء المفتونين المارقين تكمن في أمورٍ مهمة منها بعون الله ﷻ ما يلي:

الأول: التمسك بالإيمان الجُملِيّ، ولْيَقُل الإنسان في التفاصيل والفروع التي لا يعلمها ولم يقف على علم فصلٍ فيها، ولا حررها ولا حققها: لا أعلم، ولا أدري، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها؛ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «يا أيها الناس مَن علم شيئًا فليقل به، ومَن لم يعلم فليقُل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)﴾[ص]» متفق عليه[١].

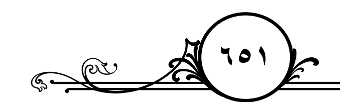
واعلموا أن هذا أصل عظيم من أصول منهج الإسلام والصراط المستقيم.. فإن المطلوب من العبد ابتداءً هو الإيمان الجُملي، وهو الاستجابة المبدئية لله والرسول، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لأن معناها: التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، وخلع كل معبود سواه والكفر به، واتباع نبيه ورسوله محمد ﷺ في كل ما جاء به، وتصديقه في كل ما أخبر؛ هذا هو الإيمان والتوحيد والإسلام الجملي.

ثم التفاصيل تأتي تباعًا بحسب العلم، وهي درجات، وليست كل الفروع وتفاصيل الإيمان وشعبه في درجة واحدة كما دل عليه حديث: (**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة فأعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**)[٢] وغيره من الأدلة، وهذه مسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم؛ فالإيمان التفصيلي يختلف من شخص إلى آخر بحسب العلم، أي بحسب بلوغ العلم للشخص، واجتهاده وتعلمه ومعرفته بما جاء به النبي ﷺ، وبما دلت عليه شريعته، فالعالم غير العامي الجاهل، والمتخصص في علوم الدين والشريعة غير الفلاح الأمي في مزرعته، والعجوز الفانية في قريتها.. وهكذا؛ فمن وصله العلم بمسألة وتحققها وحررها وعرف أنها صحيحة النسبة إلى دين الله ﷻ بأن عرف دليها من الكتاب والسنة إن كان هو من أهل العلم والنظر والفهم للكتاب والسنة ومعرفة الدلالات، أو بأن سأل عالما موثوقا في دينه وعلمه فدله عليها وشرحها له فتلقاها منه وأخذها عنه، فهذا يجب عليه أن يؤمن بهذا العلم الذي دل «الدليل» على أنه من دين الله، تحليلا أو تحريما، خبرا

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٠٩)، صحيح مسلم (٢٧٩٨).

(٢) صحيح مسلم (٣٥) بالشك: (بضع وسبعون أو بضع وستون).



وقضاء، ووعدا ووعيدا.

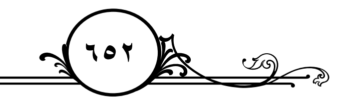
وأما مَن لم يصله العلم (لم يبلغه) فإنه لا يجب عليه، وقد يجب عليه البحثُ والتعلم والطلب والسؤالُ، ويُؤاخَذُ على التقصير، وقد لا يجبُ؛ فالعلم منه الواجب العيني ومنه الكفائيّ والمستحبّ، وهكذا، والمقصود أن الوصية الكبرى للإخوة أن يتمسكوا بالإيمان الجملي، إيمان العجائز إن شئتم..! ويتركوا ما لا يستطيعون فهمه وتحقيقه من المسائل إلى أهلها المتخصصين من أهل العلم، ويقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧] ويكلوا ما لم يفهموه وما لم يقفوا على تحقيقه إلى الله ﷻ، والله سبحانه يفتح عليهم بالتوكل والصبر والصدق في البحث والطلب، وبإتيان الأمور من أبوابها، وعدم الاستعجال المذموم.

فأوصي إخواني بالحذر من هؤلاء المفتونين والبُعد عنهم والمتاركة لهم، ولا يسمعوا لهم ولا يجادلوهم ولا يماروهم إلا مراءً ظاهرًا إن كان لا بدّ، وليصبروا وليثبتوا على دين الله ﷻ، ولا يستعجلوا في السعي في مناظرتهم أو تحصيل الجواب على كل إيراداتهم، وليتمسّكوا بالمحكمات الواضحات البيّنات في دين الإسلام، وليقتدوا بالأئمة الراسخين في العلم وما عليه عمومهم وليحذروا من الشذوذ والتفرد، وليكلوا علمَ ما لم يعلموه إلى الله ﷻ، والله يفتح عليهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه وقد جعلت أُورد عليه إيرادًا بعد إيرادٍ: «لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرًّا للشبهات» أو كما قال؛ فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها؛ فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر؛ فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين؛ فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها».. إلخ كلامه فانظره بتمامه في «مفتاح دار السعادة»[١] وتأمّله فإنه حكمةٌ.

الثاني: تدبروا أحاديث الإيمان وانظروا فيها وتأملوها، وانظروا كيف كان الرجل يأتي إلى النبي ﷺ فيقول له: «ما الإيمان؟» فيقول مثلا: (**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**

(١) مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٤٠، ١٤١).



وتؤمن بالقدر خيره وشره)(١)، وقال النبي ﷺ لرجلٍ: «(**أسلم تسلم**)، قال: وما الإسلام؟ قال: (**أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**)، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: (**الإيمان**)، قال: وما الإيمان؟ قال: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت**)، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: (**الهجرة**)، قال: وما الهجرة؟ قال: (**أن تهجر السوء**)، قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: (**الجهاد**)، قال: وما الجهاد؟ قال: (**أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن**)، ثم قال رسول الله ﷺ: (**عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما قالها ثلاثا: حجة مبرورة أو عمرة**)»(٢).

وفي حديث آخر: «قيل لرسول الله ﷺ: ما الإسلام؟ قال: (**إطعام الطعام وطيب الكلام**) قيل: فما الإيمان؟ قال: (**السماحة والصبر**)، قيل: فمن أفضل المسلمين إسلاما؟ قال: (**من سلم المسلمون من لسانه ويده**)، قيل: فمن أفضل المؤمنين إيمانا؟ قال: (**أحسنهم خلقا**)، قيل: فما أفضل الهجرة؟ قال: (**من هجر ما حرم الله عليه**)، قيل: أي الصلاة أفضل؟ قال: (**طول القنوت**)، قيل: أي الصدقة أفضل؟ قال: (**جهد مقل**)، قيل: أي الجهاد أفضل؟ قال: (**أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك**)، قيل: أي الساعات أفضل؟ قال: (**جوف الليل الغابر**)»(٣)، وكلها أحاديث صحيحة، ونحوها كثير معروف..

فانظروا إلى هذا الدين ما أسهله وما أكمله وما أحكمه، وما أبعده عن وسوسة المُوَسوِسِين وهرطقة المهرطقين وسفسطتهم، وإنه دين الأميين ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[الجمعة: ٢]، ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[الأعراف: ١٥٨]، (**نحن أمة أمية لا نحسب؛ الشهر هكذا وهكذا وهكذا**)(٤).

وقارنوا بما ترونه من تنطع هؤلاء المفتونين وتشديدهم وتصييرهم الدينَ كأنه قانون وضعيّ وضعوا له من عند أنفسهم حدوده ورسموا له سطوره، فمن خالف شيئا مما رسموه اعتقدوه خارجا عن الدين، قاتلهم الله أنى يؤفكون.! فهؤلاء المفتونون يقعّدون قواعد من عند أنفسهم ويضعون حدودا لدين الله ﷻ ويصوغونها بعبارات مستحدثة، يحاكمون الخلق إليها فمن دخل فيها دخلوا فيه

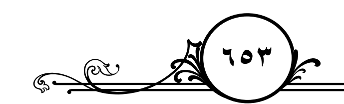
---

(١) صحيح البخاري (٥٠)، صحيح مسلم (٨).

(٢) مسند الحارث (١٣)، شعب الإيمان (٢٢)، وقال الألباني في: تحقيق الإيمان (ص ٥): «صحيح بشواهده».

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٦٤٣)، وصححه الألباني في: تحقيق الإيمان (ص ٧).

(٤) صحيح البخاري (١٩١٣)، صحيح مسلم (١٠٨٠) كلاهما بلفظ: (إنا أمة لا نكتب ولا نحسب..) الحديث.



فهو المسلم وما لا فهو كافرٌ..!

وهذا شأن أهل الأهواء والبدع دائما، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة في الدين؛ بل يجعلونها من الإيمان الذي لا بد منه، ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم، وأهل السنة لا يبتدعون قولًا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفا لهم مستحلا لدمائهم»(١) اهـ.

الثالث: المعرفة بالشر لِتتَّقوه، والاتعاظ والاعتبار بالأشباه والنظائر؛ كما شرحتُ لكم شيئا من ذلك في أول هذا الجواب، فمن لم يتعظ ولم يعتبر، فلا يلومنَّ إلا نفسه؛ ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾[النساء].! فمعرفة حال هؤلاء موجِبٌ للعاقل أن ينفر منهم، ويعرف العاقل اللبيب المريد للخير والحق والهدى أن هؤلاء مجانبون لدين النبي ﷺ وهديه وطريقته وسنته، وليسوا منها في شيء.. فينفر منهم ويجانبهم ويجانب طريقتهم، ولا يجعل لهم على نفسه سبيلا بالوسوسة والتشكيك.

الرابع: التمسك بالمحكمات الواضحات البينات القطعيات المعلومات من الدين، ثم ما أشكل من مسائل وما يَرِدُ على الإنسان من «استشكالات» -أي مسائل يستشكلها ويحار فيها ولا يعرف كيف الجواب عليها-؛ فعليه ألا يتسرع في الجواب عليها أو قبول جواب من القوم الضالين المفتونين، بل يصبر وينتظر حتى يتثبت ويسأل أهل العلم والثقة؛ فإن فتح الله عليه بعلم ما لم يكن يعلم، وبزوال الإشكال واتضاح الأمر، فليحمد الله، وإلا فليحمد الله أيضا، فإن الله ﷻ هو المحمود على كل حال، وهو المتفرد بالحمد كله، وليصبر وليكل علم المسألة إلى الله ﷻ وليقل: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ولا يضره، وليقل: يا ربِّ لو أعلم أين الحق وأين الصواب وأين ما تأمر به وتحبه لاستجبت له واعتقدته وعملتُ به جهدي وطاقتي؛ فهذا هو الدين وهذا هو التوحيد، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران].

الخامس: المعرفة بأن هؤلاء القوم الخوارج المارقين المفتونين أعاذنا الله وإياكم من حالهم وسبيلهم، مبنى طريقهم الضال على: التشدد في الدين والتعمق الذي ذمته الشريعة وحذرت منه ونهى عنه الله ورسوله ﷺ، وعلى التنطع، والتنطع معناه ما تقدم: التشدد والتعمق المذموم والتكلف وعدم

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢١٢).

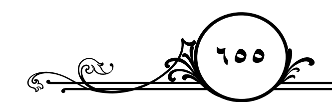
الاكتفاء بما سهله الله ويسره ومنَّ به من اللطف والتيسير، بل أن يطلب الإنسان الأشد والأقسى والأوعر، ظانا في نفسه القدرة على ما لا يستطيعه سائرُ الناس، وغالبا ما تكون وراءه شهوة خفية في طلب التميُّز على الناس والغلبة للأقران.. وكل هذا خلاف سنة النبي ﷺ وهديه وسيرته وخلقه، قال البخاري رحمه الله في صحيحه في «كتاب الأنبياء»: «باب صفة النبي ﷺ»، ثم ساق أحاديث منها حديثُ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله؛ فينتقم لله بها»[(١)].

السادس: معرفة أن من أصول ضلال هؤلاء القوم المارقين أنهم لا يفرقون بين درجات المسائل ومراتب الأدلة وإن زعموا خلاف ذلك فالواقع يكذبهم تكذيبا صريحا، وينزّلون الظنيات منزلة القطعيات كما ذكره علماؤنا رحمهم الله عن «الخوارج»، وأنتم ترون كيف يسمّون استدلالاتهم المتهافتة «قواطع» و«الأدلة القاطعة» ونحو ذلك.! وترون كيف يسارع «المخلف» المفتون إلى حكاية الإجماع كذبا وزورا في كثير من المسائل، وترون كيف هم بعيدون جدا عن طريقة أهل العلم من السلف الذين يقولون: نظن كذا ونرى كذا، ونحسب، ونخشى، ويعجبنا كذا ولا يعجبنا كذا، حتى تمثّل بعضُهم (منهم الإمام مالك) بهذه الآية حين سئل عن بعض المسائل: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية]، وسيجيبكم هؤلاء المفتونون الزائغون بالقول: إن هذا إنما هو في مسائل الفروع الفقهية وفروع الأحكام الشرعية الاجتهادية، وهذا حق، ولكن من الحق أيضا أن كثيرا من المسائل التي يتبناها هذا «المخلف» وأتباعه الزائغون إنما هي مسائل فقهية فرعية اجتهادية، وعلى رأسها أمُّ مسائلهم (كسابقيهم من جماعات «التكفير والهجرة» و«الخوارج المعاصرين» يبدؤون الانطلاق من هذه المسألة) وهي مسألة «العذر بالجهل»، فهذه مسألة فقهية ينظر فيها الفقيه، وهم يجعلونها من مسائل «أصول الدين والاعتقاد» ومن قواطع مسائل التوحيد.

وكذا مسألة «مَن لم يكفر الكافر أو شك في كفره»، أعني تطبيقاتها وفروع تفاصيلها في الواقع، وكذا مسألة «هل الكفر والشرك شيءٌ واحدٌ، أو بينهما فرقٌ وما هو الفرق؟»، وغيرها من المسائل عامتها مسائل فقهية من مسائل الأحكام الشرعية، علمها مَن علمها وجهلها من جهلها، ويتفاوت الناس في تحقيقها والعلم بها، وسائرها مسائل اجتهاد لا يزال العلماء قديما وحديثا يختلفون فيها أو في

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٦٠).



تنزيلها على الوقائع والأعيان، ولا يوجب ذلك تفرقا ولا تنازعًا ولا مشاحنة، بل قلوبهم سليمة متوادة متحابة، يعذر بعضهم بعضًا، وإنما الجهالُ الضلال الذين يضيقون ذرعا بمن يخالفهم في «قطعياتهم المزعومة» هم الذين يوالون ويعادون ويضللون ويكفرون وَفق ما أملته عليهم أهواؤهم الزائغة وعقولهم المنحرفة:

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم[(١)]

وإذا تأمل مريدُ الخير وطالب الحق ورضى الرحمن ﷻ ضلال هؤلاء القوم يجده مبنيًا على مجموعة مسائل من أهمها هذه المسائل الثلاث المشار إليها أعلاه.

وبالجملة هي المسائل الآتية:

۞ مسألة العذر بالجهل

فهم يقولون: لا عذر بالجهل في أصل التوحيد، ويجعلون نفس اعتقاد ذلك من أصل التوحيد؛ فمن لم يعتقد ذلك كان كافرًا عندهم، يعني أن من خالفهم في مسألة العذر بالجهل فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام، فجعلوا هذه المسألة نفسها من أصل الدين الذي يكفر مخالفه ولا يُعذر فيه باجتهاد ولا جهل ولا أي شيء، فيقولون مثلا: الشيخ «أبو قتادة الفلسطيني» كافرٌ لأنه يعذر المشركين بالجهل.!! كذا يقولون، مع أن هذا ليس تقريرا صحيحا لمذهب «أبي قتادة»، بل تقريرهم هذا تزويرٌ وتهويلٌ خادِعٌ، والصحيح أن نقول: أبو قتادة (وغيره من العلماء وهم كثيرٌ من علماء الأمة) يرون أن المسلم الذي ثبت له عندنا عقدُ الإسلام، إذا ارتكب شيئا من الشرك الأكبر جاهلا، وصحَّ الجهلُ، أنه لا يكفر (أي لا نحكم عليه بالكفر والخروج من الملة) بمجرد ذلك، بل حتى تقام عليه الحجة فيخالفها، هذا قولهم، وهو أحدُ الأقوال في المسألة وأقواها، على تفاصيل وقيود لا بد منها تعرَف في محلها.. فهذا تقرير كلام علمائنا، وليس مقصودنا هنا تقرير المسألة وذكر تفاصيل أدلتها والخوض في الترجيح بين أقوال المتنازعين فيها، فهذا صعبٌ ويطول جدا وله محله، وإنما المقصود بيان أصل من أصول ضلال هذه الفرقة المارقة، وأنهم حينما أقحموا مسألة لم يزل الخلاف قائما فيها بين العلماء فيما أسموه أصول الدين وقواعده واعتقدوا قطعيتها، ولم يفرقوا بين ارتكاب الشرك والتلبس به وبين الكلام على مرتكبه وإعذاره أو عدم إعذاره، وجعلوا التفريق بين الكفر والشرك في هذا أصلا من أصول الدين كذلك واعتقدوا قطعيته، ارتطموا بهذه البلية ووقعوا في هذا الورطة فسهل عليهم تكفير الأمة والأئمة.!

(١) قاله ابن الرومي، كما في: ديوانه (١ / ٩٣) ولفظه: خفافيش أعشاها نهار بضوئه... ولاءمها قطع من الليل غيهبُ.

وقد يجعلُ بعضُهم هذه المسألة من «المسائل الخفية» حسب تصنيفاتهم، ولكنهم لا يلبثون طويلًا حتى يكفروا العلماء الذين خالفوهم فيها بدعوى أنه قد قامت عليهم الحجة، ولذا يكفرون مَن يوافقهم في مسألة العذر بالجهل، كالشيخ «أبي محمد المقدسي» والشيخ «عليّ الخضير» والشيخ «الفهد» والشيخ «حمود العقلاء» وأمثالهم، وكالشيخ «حامد العلي» والشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» وغيرهم كثير، مع أن هؤلاء كلهم يقولون بعدم العذر بالجهل في مسائل أصل الدين (الشرك الأكبر)، لكن المخلف وأتباعه يكفرونهم لأنهم -عندهم- وإن كانوا يقولون بعدم العذر بالجهل في أصل التوحيد لكنهم عذروا المخالف في هذه المسألة واعتبروها مسألة اجتهادية، ولم يكفّروهم.! فيقولون: هم كفارٌ لأنهم لم يكفروا الكفار، وقد قامت عليهم الحجة زعموا..!

۞ مسألة التفريق بين الكفر والشرك

(على النحو الذي يقوله المخلف)، لأن المسألة فيها تفصيل لعل الله ﷻ ييسر توضيحه في موضع آخر بحوله وقوته.

۞ مسألة «من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر»

وهي مسألة صحيحة، لكن على معناها الذي قصده العلماء الذين قالوها وسطروها، وهي مشروحة في مواضع كثيرة من كتب أهل العلم وشرحتها في بعض ما كتبتُ من كتابات منشورة والحمد لله، وللشيخ «ناصر الفهد» شرح ميسر لها في رسالة[1]، وكذا للشيخ «أبي محمد المقدسي»[2]، ولغيرهما كثير جدا[3]، فيبحث عنه الأخ الطالب للعلم.. وهم (هؤلاء الزائغون: المخلف وأصحابه) ما أسرعَ ما يكفرون مَن خالفهم في تكفير شخص أو طائفة، احتجاجا بهذه العبارة، هذا هو مذهبهم وطريقتهم، وإن جادلوا نظريا بأنهم يعرفون معناها.

وما أبعدَ هذا عن منهج أهل العلم من السلف والخلف ﷭، أهل الاحتياط والتثبت وقوة الورع وطلب السلامة في الدين، مع علو كعوبهم في الفقه والعلم والبصيرة والقيام بأمر الدين.

---

(١) بعنوان: «حول قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر» في ورقتين.

(٢) الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (ص ٢٠٥) وما بعدها.

(٣) هذه القاعدة هي الثالثة من «نواقض الإسلام العشرة» التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ؒ، وعامة من شرح هذه النواقض -وهم كُثر- فَصَّل فيها، ومن هذه الشروح: مذكرة في شرح النواقض لعلي الخضير (ص ٤)، التبيان للعلوان (ص ٢١)، الإعلام للطريفي (ص ١٧)، شرح النواقض للعنزي (ص ١٢، ١٣).

ولنشر هنا إلى مثالين نكتفي بهما إلى أن ييسر الله موضعا لمزيد البسط، وهما: ابن عربي الصوفي الملحد الزنديق، والعلامة ابن حجر الهيتمي الفقيه الشافعي.

فهذا ابن عربي صاحب عقيدة الحلول والاتحاد الذي لا تخفى شطحاته وشناعاته على بداءة العقول؛ حتى ليستبشعها ويستعظمها العامة قبل الخاصة، وكتبه تنضح بها، وهو يؤصل لمذهبه الإلحادي تأصيلًا مستمرًا، ويكفي منها قوله:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف[1]

تعالى الله عما يقول هذا الظالم علوًّا كبيرا..

وهو يكتب ما يكتبه من كفرٍ وزندقة بوعي وإدراك وتفنن، وليس ما سطره عباراتٍ عابرةً أو سبق قلم أو زلة عالم أو اجتهاد خاطئ، ومع ذلك اختلف العلماءُ في تكفيره، وتجد بعض الأئمة الراسخين في العلم الذين لهم قدم صدق في الأمة حينما يذكرون اسم هذا الملحد يبجلونه ويعظمونه فيلحقون باسمه عبارات «قدس الله روحه» ونحوها ويصفونه بالعارف بالله وبالشيخ الأكبر، كما يفعل الإمام «الألوسي» في تفسيره[2].

وهؤلاء الأئمة مع رسوخ علمهم ودقة فهمهم إلا أنهم يجعلون عقولهم أقصر وأقل من أن تدرك معاني عبارات هؤلاء الملاحدة؛ فيقفون أمامها موقف العاجز المستسلم الذي يجعل صحة كلامهم هي الأصل المقطوع ولو كان غاية في البهتان والشناعة؛ فإن وجد له تخريجا وتأويلًا فبها وإلا قال القوم أدرى بما يقولون، فانظر مثلًا إلى هذه القصة التي يذكرها الإمام «الألوسي» عن رأس الإلحاد «ابن عربي»: «وقد سمعت من بعضهم -والعهدة عليه- أن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره وقع يومًا عن حماره، فرضت رجله فجاؤوا ليحملوه فقال: أمهلوني فأمهلوه يسيرًا ثم أذن لهم فحملوه فقيل له في ذلك فقال: راجعت كتاب الله ﷻ فوجدت خبر هذه الحادثة قد ذكر في الفاتحة، وهذا أمر لا تصله عقولنا!»[3] انتهى كلام «الألوسي».. فهل رأيتم العلماء المكفرين لابن عربي -وما أكثرهم- يكفرون أعيانَ مَن لم يكفره من إخوانهم العلماء، وما أكثرهم أيضًا؟ بل هل كفروا حتى مَن لم

(١) عزاهما له في «الفتوحات المكية» شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في: مجموع الفتاوى (٢ / ٢٤٢)، وجماعات كُثر.

(٢) ينظر: تفسيره (١/ ٤٦٨)، (٤ / ٣٣٧)، (٨ / ٤٨) وقال: «الإمام الأكبر، قُدس سره»!.

(٣) روح المعاني (٤ / ١٣٧).

يرَ ضلال شخص «ابن عربي»، وهل استعملوا معهم قاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر» أو شهروها سيفًا مصلتًا وسلاحًا فاتكًا في وجه كل من خالفهم ونازعهم في تكفيره وردته؟! وما ذاك إلا لقوّة بصيرتهم وتثبّتهم في العلم واحتياطهم في الدين ومعرفتهم بالأعذار، وقد كان بعض مشايخنا يقول: «كلما رسخَ علمُ العالم كان أبصر بالأعذار وأوسع عذرًا للناس»، وهذا صحيحٌ لمن اعتبره، ولا يخفى أنه مقيّد بقيد الشرع الصحيح والفقه الرجيح على قاعدة تقوى الله ﷻ.

والحاصل.. أن العلماء كانوا يتناظرون في شأن هذا الزنديق «ابن عربي» ويكتبون الكتب في فضح خبثه وإماطة اللثام عن زندقته، وربما وصل الأمر إلى المباهلة في شأن ضلاله، ولكنهم لا يتجاوزون ذلك إلى تكفير مخالفهم في هذا الأمر، كما في القصة المروية عن الحافظ «ابن حجر» ؒ مع مَن ناظره من محبي «ابن عربي» في شأنه[1].

وهكذا بقيتْ جلالةُ أولئك العلماء المخالفين في شأن زندقة «ابن عربي» على حالها؛ يؤخذ من علمهم، وينتفع بكتبهم، ويُرد عليهم بالعلم والتأصيل فيما حاولوه من التوسع الشنيع في الاعتذار لهؤلاء الزنادقة، ولم يكن ذلك سببا في تكفيرهم ولا داعيًا إلى تضليلهم، إلا عند سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان المارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية.!

وأما ابن حجر الهيتمي؛ فإنه كان متصوفًا كذلك معظما لـ«ابن عربي» المذكور، وكان مناضلا عن أهل شرك القبور؛ جوّز في بعض كتبه الاستغاثة بغير الله ﷻ ودافع عن المشركين المستغيثين بغير الله من الأولياء وأضرحتهم، وشنّع على شيخ الإسلام «ابن تيمية» وحط عليه ووقع فيه وقوعًا شديدًا، ولعله كفره أيضًا أو قاربَ، وطامّاته في هذا الباب معروفة، ومع ذلك لم يكفره العلماءُ واعتذروا عنه بما له من تأويل وعظيم فضلٍ ورسوخ قدم في العلم والفقه، ومنهم علماء «الدعوة النجدية» كما في «الدرر السنية» في رسالة الشيخ «عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب» ؒ، التي مطلعها:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد: فإنا معاشر غزو الموحدين، لما منَّ الله علينا -وله الحمد- بدخول مكة المشرفة نصف النهار يومَ السبت، في ثامن شهر محرم الحرام، سنة ١٢١٨ هـ، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو «سعود» الأمان.. -إلى أن قال:- فإن قال قائل منفرٌ عن قبول الحق والإذعان له: يلزم من تقريركم، وقطعكم في أن من قال: «يا رسول الله أسألك الشفاعة» أنه مشرك مهدر الدم؛ أن

---

(١) مصرع التصوف (ص ١٤٩، ١٥٠).

يقال بكفر غالب الأمة، ولا سيما المتأخرين، **لتصريح علمائهم المعتبرين: أن ذلك مندوبٌ، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك!** قلت: لا يلزم، لأن لازم المذهب ليس بمذهب، كما هو مقرر، ومثل ذلك: لا يلزم أن نكون مجسمة، وإن قلنا بجهة العلو، كما ورد الحديث بذلك. ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت؛ ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبرًا معاندًا، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات؛ وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته مَن هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر، والتأليب معه، فله حينئذ حكمُهُ في قتاله، ونعتذر عمن مضى: بأنهم مخطئون معذورون، لعدم عصمتهم من الخطأ، والإجماع في ذلك ممنوع قطعًا؛ ومن شن الغارة فقد غلط؛ ولا بدع أن يغلط، فقد غلط من هو خير منه، كمثل عمر بن الخطاب ﷺ، فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر، وفي غير ذلك يعرف ذلك في سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع، ونبينا ﷺ بين أظهرهم، سارٍ فيهم نوره، فقالوا: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط».

فإن قلت: هذا فيمن ذهل، فلما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة، واستمر مصرًا على ذلك حتى مات؟! قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول: إنه كافر، ولا لما تقدم أنه مخطئ، وإن استمر على خطئه، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته، بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤُ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأسًا، ومن اطلع عليه أعرض عنه، قبل أن يتمكن في قلبه، ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك، وصولةُ الملوك قاهرةٌ لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم.

هذا: وقد رأى معاوية وأصحابه ﷺ منابذة أمير المؤمنين علي أبي طالب ﷺ، وقتاله ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في ذلك الخطأ، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفيرُ أحد منهم إجماعًا، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد، وان كانوا مخطئين، كما أن ذلك مشهور عند أهل السنة.

ونحن كذلك: لا نكفّر من صحت ديانته وشهر صلاحه وعلم ورعه وزهده وحسنت سيرته وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها، كـ«ابن حجر الهيتمي» فإنا نعرف كلامه في «الدر المنظم»، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كـ«شرح الأربعين» و«الزواجر» وغيرهما، ونعتمد على نقله لأنه من جملة علماء المسلمين» اهـ.

وأكتفي بهذين المثالين، خشية التطويل، والأمثلة كثيرة جدا على هذا المنهج المستقيم لعلماء الملة وأئمة الدين. والحمد لله رب العالمين.

۞ مسألة الأسماء والأحكام

التي كثيرا ما يتشدقون بها، ولا يفقهون حقيقتها كما سأبيّنه في موضع آخر إن شاء الله ﷻ، فلا يستعجل الإخوة وليصبروا، إن الله مع الصابرين.

۞ ادعاء الإجماعات والقطع واليقين

كما أشرنا إلى ذلك.

۞ وقبل ذلك كله فتنة الله ﷻ لهم وإضلاله سبحانه لهم ومنعه إياهم عن الهدى

إلا أن يشاء سبحانه، وهو مالكُ الملك جل وعلا، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا إله غيره ولا رب سواه، نسأله ﷻ أن يهدينا وإياهم إلى الحق والصواب والخير والفلاح.. آمين.

السابع: معرفة أن هؤلاء القوم جهلة وكذبة أيضا، وأصحاب أخلاق سيئة فاسدة، وأنهم ما أتوا - في الغالب- إلا من فساد في نياتهم وقلوبهم وأمراض دفينة، من العجب والغرور وطلب العلوّ على الخلق والترفع والكبر، والعياذ بالله.. قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنفال]، وقال ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾[إبراهيم: ٢٧]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾[المائدة].

فأما جهلهم فظاهرٌ جدا معروفٌ؛ فأكثرهم لا يعرف من العلم وفنونه وأدواته شيئا، ولم يطلبوا علما يسمّون به طلبة علم أصلا، ولا أخذوا العلم بطريق صحيح معتبرٍ، ورئيسهم وكبيرهم «المخلف» وإن كان قد عُرف بطلب العلم والتكلم في العلم منذ مدة، إلا أن العلماء وطلبة العلم يعرفون نقصه وعجبه وغروره ومجازفاته وتنطعاته وتحكّمه وخروجه عن أصول العلم، وضعفه في عربيته وفهمه للغة القرآن، ويعرفون أن لم يتلقَ العلم على مشايخ معروفين متقنين، وإنما عمدته على قراءة الكتب، دون أن يكون له تأسيس جيد يمنعه عن الشطط، أو تاريخ حسنٌ في الاعتدال والاستداد وكثرة الإصابة في العلم، واسألوا عنه أهل المعرفة ممن عرفوه وسمعوا له أو قرأوا.. وأما العامة والجهلة من المسلمين فلا يعرفون مقامات الناس في العلم.!

فهذا كبيرهم ورئيسهم ومفتيهم ومعلمهم الضلال، فكيف بالصغار الأتباع، إنهم عبارة عن ظلمات بعضها فوق بعض من الجهالات والعمايات وقلة المعرفة وفقد البصيرة، فضلا عن سائر

الأمراض الظاهرة فيهم لمن عرف حالهم؛ ثم على فرض أن هذا «المخلف» قد طلب العلم ونبغ فيه وحفظ المتون وأتقن الشروح وتفنن، على فرض أن ذلك صحيح، فليس هو بأعلم من «عمران بن حطان» و«قطريّ بن الفجاءة» و«نافع الأزرق» و«نجدة الحروريّ» وأضرابهم من الخوارج الذين ظهروا في أواخر زمان الصحابة ﷺ، والذين قاتلهم عليّ بن أبي طالب ثم الأئمة من بعده، ولا بأعلم حتى من «شكري مصطفى» وبعض أصحابه، بل على أقصى تقدير هو من طبقة الدكتور «أحمد الجزائري» الذي عرفناه في أفغانستان وبيشاور.!

وعمدتهم في كل علمهم: حفظ نصوص علماء الدعوة النجدية والاستغراق فيها، وفي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في أبواب معينة، مع ضعفٍ واضحٍ في سائر أبواب العلم وآلاته، وتشوّه في تلقّيه.!

واعلموا إخواني أن هذا «المخلف» يتبجّح بأنه يفهم القرآن والسنة حُسنَ الفهم، وأنه يعوّل عليهما مباشرة، ويكثر في كلامه النعي على أهل العلم البُعدَ عن القرآن والسنة والاستدلال بأقوال الرجال، فلا يهولنكم ذلك فإنما هي دعاوى الكلُ يحسِنُها، وإنما مجالُ السبق: التحقيق في العلم وظهورُ حسن الفهم فيه عند أهله وكثرةُ إصابة الحق والاستدادُ في الجملة.

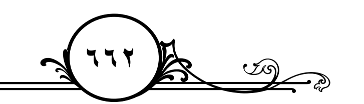
مع أنكم لو تأمّلتم لوجدتم أنه في كثير من هذه المسائل التي اشتهر بها وضلّ فيها دائرٌ بين أمرين:

- إما مقلّد لغيره جارٍ مجراهم بدون تحقيق ولا كبير تمييز..!
- أو مدّعٍ فهمًا مستقلا في الكتاب والسنة (كما يدعيه في مسألة الفرق بين الكفر والشرك، وفي الاستدلال بآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[النساء: ٤٨] على عدم العذر بالجهل، ونحو ذلك مما سننقضه بإذن الله في موضعه المناسب)، وهو عند التحقيق متعالمٌ مغرورٌ، أتيَ من سوء فهمه وربما من عُجبه وغروره، ويظن أنه قد استولى على الفهم وإدراك الحقائق..!

وأما الكذب فـ«المخلف» يكذب كثيرا لينصر دينه الضالّ الموضوع، فإنه يكذب في ادعاء أن العلماء مجمعون على عدم «العذر بالجهل» في أصل الدين أو يقول: «في باب الشرك الأكبر»، مع أنه ليس هناك إجماعٌ صحيح عند التحقيق، وهاكم أمهلوا «المخلف» عامًا إن قدر على أن يأتي بحكاية إجماع صريح سالم من القدح في هذا الباب يجبُ التسليم له عند أهل العلم.!

وليتأمل العاقلُ: لو كانت المسألة بهذا القطع والإجماعُ فيها معلومًا فما بال هذه الكتب والأبحاث والدراسات التي تتدفق على المكتبة الإسلامية يوما بعد يوم في هذه المسألة؟! وما بالُ هذا الاختلاف فيها بين العلماء الكبار المعروفين بالتحقيق؟!

بل لو قال قائل إن الإجماع محكيّ على خلافه لكان أقربَ، مع أننا لم نجرؤ على حكاية إجماع في



المسألة.! فقد حكى الإمامُ «ابن حزم الظاهريُّ» (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) وهو من أوائل من تكلم في هذه المسألة بتفصيل وتحرير في كتابه «الفِصَل» بعد أن بسط الكلام في المسألة وساق جملة من الأدلة: «قال أبو محمد: وبرهان ضروري لا خلاف فيه وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم، وهو أن كل من بدَّل آية من القرآن عامدًا وهو يدري أنها في المصاحف بخلاف ذلك، وأسقط كلمة عمدًا كذلك، أو زاد فيها كلمة عامدًا، فإنه كافر بإجماع الأمة كلها، ثم أن المرء يخطئ في التلاوة فيزيد كلمة وينقص أخرى ويبدل كلامه جاهلًا مقدرًا أنه مصيب، ويكابر في ذلك ويناظر قبل أن يتبين له الحق، ولا يكون بذلك عند أحد من الأمة كافرًا ولا فاسقًا ولا آثمًا، فإذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فإن تمادى على خطئه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محالة، **وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة**»[1] اهـ.

وللفائدة: فإن «المخلف» وأفراخه سيجيبون بأن هذا في غير الشرك، ويذكرون ما أشرنا إليه من أصلهم الفاسد في التفريق بين الكفر والشرك، وأن الشرك لا يُعذَر فيه بالجهل بخلاف الكفر، وهذا جواب فاسدٌ، لأن «أبا محمد ابن حزم» ﷺ لم يفرق بين الكفر والشرك، وعنده أن الجميع بابٌ واحد هنا، ولو كان يفرق لذكر الفرق، بل آخر عبارته صريحٌ في العموم وعدم الفرق فإنه قال: «وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة».. فتبيّن أن عبارة «ابن حزم» هذه قاصمة لظهر المخالفة (المخلف وأتباعه) فإنها كالصريحة في حكاية الإجماع، وهو من أقدم ما يمكن أن يُوجَد من كلام العلماء في المسألة بشكل دقيق مفصل محرر، ولأنه لم يفرق بين الكفر والشرك كما يدعي المخلف، بل صريحُ كلامه عدم التفريق، بل إنه عقد فصلًا في نفس كتابه «الفِصَل» لإثبات أن الكفر والشرك شيءٌ واحدٌ في الدين أي في المعنى الشرعيّ، وردّ على المفرّق بينهما[2]؛ ففيها ردّ لدعوى المخلف الإجماع على التفريق.!

وإن شاء الله سنعود إلى شرح هذا المقام والتعليق على عبارة «ابن حزم» هذه في فرصة أخرى إذا يسر الله ﷻ بمنه وفضله، أعلق فيها على بعض كلام هذا «المخلف» وأنسف أصوله المنحرفة، وأبيّن زيف استدلالاته وعظيمَ تنطعاته وتزويرَه، وبالله وحده التوفيق.

ويكذب المخلفُ في ادعائه أن العلماء مجمعون على أن الشرك غير الكفر على النحو الذي يشرحه

---

(١) الفِصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٣/ ١٤١).

(٢) الفِصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٣/ ١٢٤) قال: «فصحَّ أنَّ الشّرك وَالْكفْر اسمان لِمَعْنى وَاحِد».

هو للناس، وكلامه في ذلك منقوضٌ باطل، كما قدمتُ قبل قليل، وبسط ذلك في الموضع الذي أشرتُ إليه إن شاء الله ﷻ.

ويكذب في أمور كثيرة في العلم والعمل، ومن كذبه في العمل والواقع أنه يقول لأتباعه ويشيعون في الناس أنهم حاججوا الإخوة المجاهدين ومشايخهم وعلماءهم وأنهم أوصلوا إليهم أدلتهم زعموا، وأن المجاهدين لم يجيبوا عليها لأنهم ليس عندهم حجة، وهذا من الكذب المبين؛ فإن المجاهدين أعني قاداتهم وعلماءهم ومشايخهم لا يعرف أكثرهم عن وجود «المخلف» وأتباعه في هذه الدنيا، ولا سمعوا بفتنتهم، ولا عندهم من خبرهم شيء، إلا أن يكون خبرا عابرا مرَّ عليهم من خلال بعض الإخوة أن هناك نفرا ضالين في المكان الفلاني يعتقدون تكفير المسلمين ويعتقدون أن لا جهاد الآن، وكذا وكذا.. ولا أظن أنه وصلهم ما يكتب «المخلف» ولا أتباعه، ولو وصلهم لم ينظروا فيها ولا لهم حاجة في النظر فيها وتضييع الوقت في الاشتغال بها، بل مقامهم أعلى وعندهم ما يشغلهم من فضائل الأعمال وعظائم الفِعال، نصرهم الله وأيدهم، وهم يعلمون أنها فتنة وضلالة إنما هي زوبعة تأخذ قليلا من الوقت ثم تنتهي وتتلاشى، وليست بأشد مما خبَروه وعرفوه قبلها.

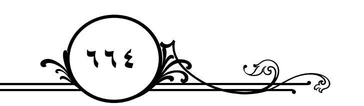
فيأتي هذا الكذاب الأشر وأتباعه الجهلة المفتونون ويكذبون على الناس من الجهلة والعجم المساكين ونحوهم فيقولون لهم: هذه حججنا وكتبناها وقلناها للمجاهدين ولم يستطيعوا الرد، فيحتجون بعدم ردّ المجاهدين عليهم، ويكذبون على البسطاء الضعفاء، وما علموا أن المجاهدين لا يردون على أمثالهم -في الغالب- إلا بمثل قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[الإسراء].. فقاتل الله الكذابين.

ومنهج المجاهدين وعلمائهم ومشايخهم وأنصارهم وسائر علماء الأمة المعروفين بالعلم والصلاح والدعوة إلى الله ﷻ وتوحيده، معروف مشهور مسطور في هذه المسائل وغيرها، فأي حاجة إلى كتابة ردٍّ أو اشتغال بمحاجّة دعيّ كاذب متهوّك، بل هذا مجرد تصور مذهبه والمعرفة به كافية في تيقن بطلانه وأنه ضلالٌ مبين ومروق من الدين.! فليتفطن الأخ المسلم لهذا؛ فليس كل أحدٍ يُرَد عليه ولا كل سائل يُجاب، وهكذا علمنا القرآن والسنة، وقد قيل:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوتُ[1]

وقيل:

(١) نُسبت للشافعي، كما في: الجوهر النفيس من شعر الإمام محمد بن إدريس (ص ٣٨).



لـو كـل كلـبٍ عـوى ألقمتـه حجـرًا لأصـبحَ الصـخرُ مثقـالا بـدينارِ[1]

وهذا فقه معروف يعرفه أهله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[المائدة: ٤١]، والنبي ﷺ قد قال له ربُّه: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾[ق].

الثامن: لا بد أن يعلم الإخوة الطيبون المريدون للحق والراجون لرحمة الله ﷻ والمبتغون لمرضاته أن العلمَ يؤخَذ عن أهله ومَن عُرفوا به وحصلت لهم التزكية فيه، وعُرفوا بالاستقامة والسداد في الجملة، وصلاح الحال والعدالة والثقة، والبُعد عن الشطط والإفراط والتفريط، والبُعد عن الولوع بالإغراب والتفرّد والشذوذ.

فكيف يسمح مسلمٌ -بل إنسانٌ عاقلٌ أصلًا- لنفسه أن يأخذ دقيق المسائل التي لا يفهمها جيدا، وإنما هو فيها مقلد محضٌ، أو كالمقلد المحض، من شخصٍ لا يعرف مرتبته في العلم ولا تزكية أهل العلم والصلاح والخيرية في الدين له، ولم يبلُه في جهادٍ وعمل صالحٍ، ولا عاشره ولا عرفه بحيث تحصل له الثقة الكاملة في دينه وتقواه وورعه، والحالُ أنه قد خالف سائر العلماء وأهل الخير والصلاح والزعامة والإمامة في المسلمين، وتفرّد وشذ وشطّ..! فأدنى ما يوجبُ ذلك للعاقل أن يتريّث ولا يتسرع في قبول ما يقوله مثل هذا (كالمخلف ونحوه) ولا يتبنى قولا قد ظهرت عليه علامات الشذوذ والغرابة..!

ولهذا كثر تحذيرُ السلف ﷺ من غرائب العلم والمسائل، ودلت دلائل الشرع على فضل الكون مع «الجماعة» ومع «السواد الأعظم» مهما أمكن، أي في غير المحل الذي اتضح فيه الحقُّ للإنسان اتضاحًا بتًّا؛ فإنه حينئذ يتبع ما تبيّن له من الحق بدليله وبرهانه، وإن خالف الناسَ كلهم وخالفوه، وحينئذ فإن الحق هو الجماعة ولو كنت وحدك كما قال ابن مسعود ﷺ.

ولهذا أيضا فإن الصحيح عند جماعة من أهل العلم أن «رأي الجمهور» وهم أكثر أهل العلم من المرجّحات عند تكافؤ الأدلة لدى الناظر، والغرابة علامة و«مؤشر» كما نقول في لغة اليوم، على فساد القول وعدم صحته، وهي توجب التريّث والتثبت ومزيد الحزم في النظر والبحث، وترك العجلة، ولا سيما إذا جاءت من مغمور جاهل متشبع بما لم يعط.

ولهذا فكيف يصح للإنسان العاقل المريد للنجاة والفلاح أن يأخذ دينه من «المخلف» مِن على

---

(١) قاله: يوسف بن علي الفارسكوري الشافعي البلان، كما في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠ / ٣٢٥).

«الانترنت» و«البالتوك» وهو لا يعرفه المعرفة التي ذكرنا صورتها، وهو يرى فيه كل هذا الشذوذ والإغراب، ويرى عنده هذا الكم الهائل من التفرّد، فكيف إذا انضاف إلى ذلك علامات أخرى على سوء خلقه وفساد نفسه؟! وكيف يسمح الإنسانُ العاقلُ لنفسه أن يغترّ بفصاحة متحدث أو ما يبدو من قوة في استدلالاته بالقرآن والأحاديث وكلام العلماء، وهو لا يُحسِن فهم تلك الاستدلالات ولا تحقيقها، ولا يعرف ما وراء ألفاظها الحسنة وظواهرها الجذابة، ولو جاءه رجلٌ آخر أفصح منه وأقوى مجادلة لقلبَ عليه دينه ولاتَّبعه، كما قال الإمام مالكٌ ﵀: «كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل نترك ما نزل به جبريلُ على محمد ﷺ لجدله؟!»[1]، وهكذا يجعل دينه عرضة للمتفاصحين والمتفيهقين الذين حذرنا رسول الله ﷺ من خطرهم وذمهم لنا.

كيف يسمح الإنسانُ العاقل لنفسه بهذا وهو يرى ما أشرنا إليه من الإغراب والتفرد والشذوذ والقسوة والشطط والمناقضة للبديهيات..؟! هذا والله عجيبٌ، ومَن هلك فلا يلومنّ إلا نفسه.! نسأل الله العافية والسلامة لنا ولجميع المسلمين.

قال ابن الوزير ﵀ في «إيثار الحق على الخلق»:

وإن مقاما حار فيه كليمه ... ولم يستطع صبرا لخير العوالم

جديرٌ بتحقيق عظيم وريبة ... من الوهم عند الجزم من كل عالم[2]

وفي البيت الثاني تنبيه للمتكلمين وغيرهم على ما لم يزل الأكابر يقعون فيه من دعوى القطع واعتقاده من غير تحقيق؛ فإن «موسى» ﵇ لولا اعتقاد القطع بخطإِ «الخضر» ما أنكر عليه، وكذلك قطع كثير من علماء الكلام على صحة أدلتهم الموجبة لتأويل كلام علام الغيوب، بل هم دون «الكليم» المقرب الوجيه المعصوم بمسافات لا تدركها الخواطر، ونسبة علم الله ﷻ إلى علم جميع العالمين كما جاء في الصحيح مثل ما أخذه الطائر من البحر الزاخر اهـ.

ومن التزم ما ذكرناه من ضوابط وتوصيات نافعة، مع سائر أسباب الهداية، ثم استعان بالله ﷻ وصدق في الطلب والدعاء وألحّ على الكريم المنان، فإن الله ﷻ يفتح عليه ويهديه لا محالة.! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) ينظر: الإبانة لابن بطة (٥٨٢)، وصحح أبو عبد الله الداني إسنادها إليه في: سلسلة الآثار الصحيحة (٣٠٦).

(٢) إيثار الحق (ص ١٣٨، ٢٠٣).

فصلٌ

وههنا تنبيه آخر: وهو أن بعض ما يعتمد عليه «المخلف» من المسائل والتقريرات قد سبقه إليها علماءُ فضلاء من الأموات والأحياء، كالشيخ «علي الخضير» وغيره من المعاصرين، وكبعض علماء «الدعوة النجدية» المباركة، وهم اجتهدوا فيها وقالوا بما أراهم الله، وبعضُها لا أشكّ أنه من الزلل والخطأ الداخل في حيّز «زلة العالم» كبعض تقريرات الشيخ «علي الخضير»، فرج الله عنه وغفر الله له.. آمين.

ومعلومٌ ما تقرر في الشريعة وفي فقه الصحابة والسلف الصالح وما دوّنه العلماء رحمهم الله في التحذير من زلة العالم وبيان خطرها والواجب نحوها، فليراجع لها «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر و«الموافقات للشاطبي»[1]، وغيرهما.

ولكن الفرق بين أولئك المشايخ الفضلاء وبين هؤلاء المفتونين المارقين كـ«المخلف» وأمثاله، أن أولئك العلماء الفضلاء قرروا المسائل على طريقة أهل العلم، وعذروا من خالفهم باجتهاد وتأويل، وكان لهم -بعد توفيق الله ﷻ- من التأسيس العلمي وفقه النفس وسلامة المنهج -بسبب تلقي العلم بطرق صحيحة- ما يعصمُهم عن الوقوع في تكفير عموم العلماء الذين خالفوهم فيما قرروه، أو تكفير عموم المسلمين.!

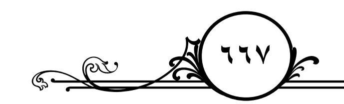
وأنت ترى أن الشيخ «علي بن خضير» مثلا يقول: إن مسألة عدم «العذر بالجهل» في الشرك الأكبر وفاقية إجماعية، وهو ينقل ذلك عن بعض علماء الدعوة المتأخرين، ويتابعهم في ذلك، ويقرر الفرق بين الكفر والشرك على نحو ما يفعل «المخلف» أو قريبٍ منه، ويذكر أشياء فيها نظرٌ، ومع ذلك فهو عالم فاضل من أهل الخير والصلاح نحسبه كذلك، وقد عصمه الله عن مثل فتنة هؤلاء الجهلة، بصحة العلم في الجملة، وحسن القصد فيما نحسب، والله حسيبه.

وانظر إلى الشيخ «أبي محمد المقدسي» -فرج الله كربه كذلك- فإن مذهبه في المسألة كمذهب الشيخ «الخضير» أو قريب منه، ولكنه لا يكفر مَن خالفه، ولم يجرّه ذلك إلى تكفير عموم المسلمين ولا إنكار الجهاد، ونحو ذلك..!

والحاصل.. أنه يجب على طالب الحق أن يتفطن لهذا الموضع، ولا يغترّ بزلة أحدٍ من العلماء،

---

(١) جامع بيان العلم (٢ / ٩٠٩، ٩٧٨ وما بعدها)، الموافقات (٥ / ١٣٢ - ١٣٩).



وليسلك سُبُل الهداية وليُدِم قرع باب الفتاح العليم، والله يفتح عليه.

في «سنن أبي داود» وغيره عن معاذ بن جبل ﷺ: «وأحذركم زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق»، قال[١]: قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: «بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه، ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلقَّ الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا»[٢] اهـ.

واستحضر ما أشرنا إليه فيما سبق من تحذير السلف من الغرائب، وهي التي سماها معاذٌ هنا «المشتهرات» وجاء في بعض روايات هذا الأثر «المشتبهات»، وفي لفظ: «ما تشابه عليكم من قول الحكيم، حتى تقول ما أراد بهذه الكلمة» كذا في «جامع الأصول»[٣].

وليحذر طالبُ الحق من تعظيم العظماء فوق تعظيم الحق، بسبب غلبة محبة الأشياخ والطوائفِ ونحوهم؛ فإنها مزلة خطرة وسبب من أسباب الهلاك، قال ابن الجوزي ﷺ في صيد الخاطر: «والمقصود أن تعلم أن الشرع تام كامل، فإن رزقت فهمًا له فأنت تتبع الرسول ﷺ وأصحابه، وتترك بنيات الطريق، ولا تقلد في دينك الرجال، فإن فعلت فإنك لا تحتاج إلى وصية أخرى، واحذر جمود النقلة، وانبساط المتكلمين، وجموع المتزهدين، وشرهَ أهل الهوى، ووقوفَ العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم. ومن أيده الله ﷻ بلطفه رزقه الفهم وأخرجه عن ربقة التقليد، وجعله أمة وحده في زمانه، لا يبالي بمن عبث ولا يلتفت إلى من لامَ، قد سلم زمامه إلى دليل واضح السبيل، عصمنا الله وإياكم من تقليد المعظمين، وألهمنا اتباع الرسول ﷺ»[٤] اهـ.

واعلم أن هذا من جملة ما يبتلي الله ﷻ به الناسَ، أعني زلات العلماء، لينظر اللهُ ﷻ مَن يُطيعه ويُخلِصُ له ويصدُق في طلب الحق ويتحرى ويجتهد وسعَه في إصابته، ومَن لا يرفع بطلب الحق والفضل رأسًا، وهذا فيه من الحكم الجليلة بالإضافة إلى حكمة ابتلاء المكلفين: تمييزُ درجاتهم، والإعذار إليهم في سبق مَن يسبِق وقعود مَن يقعُد، وعند الصباح يحمَد القومُ السرى، ولله المحامد كلها.. ثم اعلم أن العالِم المجتهد في إرادة الخير وطلب الحق؛ فإن خطأه مغفورٌ وهو مأجورٌ أجرًا

(١) القائل هو يزيد بن عميرة من أصحاب معاذ. [المؤلف]

(٢) سنن أبي داود (٤٦١١) قال الألباني: صحيح الإسناد موقوفٌ.

(٣) سنن أبي داود (٤٦١١)، جامع الأصول (٧٥٠٨).

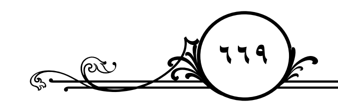
(٤) صيد الخاطر (ص ١٣٦).

واحدًا (وهو أجر الاجتهاد وبذل الوسع في إصابة الحق والخير) كما جاء منصوصا في الحديث المتفق عليه[١]، لكن مقلِّده ومتابعه على قوله الخطأ قد لا يكون مأجورا ولا معذورا مغفورا له، وذلك إذا كان صادرًا في تقليده عن مجرد تعظيم شيخه ومتبوعه والتعصب له، لا عن إرادة الخير وتحرّي الحق بإخلاص وصدق.

قال ابن رجب الحنبلي ﵀: «وههنا أمر خفي ينبغي التفطن له، وهو أن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولًا مرجوحًا ويكون فيه مجتهدًا مأجورًا على اجتهاده فيه موضوعًا عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة، لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصد الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده، وأما هذا التابع فقد شاب انتصارَهُ لما يظن أنه الحق إرادةُ علو متبوعه وظهور كلمته وأنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصده الانتصار للحق، فافهم هذا فإنه مهم عظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٢] اهـ.

(١) يعني قوله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، كما في: صحيح البخاري (٧٣٥٢)، صحيح مسلم (١٧١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٦٧، ٢٦٨).



فصلٌ

واعلم أن هؤلاء المفتونين يقولون للناس حسبَ ما بلغنا ممن سمع كلامهم في البالتوك: «إذا كنا نحن مخطئين فبينوا لنا بالأدلة، ولكن إذا كنتم أنتم مخطئين فأنتم في النار».

وهذا من الأدلة الخَطابية التي يُقصَد بها هنا التهويل على الخصم والتمويه عليه، لا سيما وهم يخاطبون أناسًا يقل فيهم العلم والمعرفة، وقد قيل لي: إن الكثير منهم عجمٌ أيضًا فيصعُبُ عليهم فهم دقائق هذه المسائل بسبب مسألة اللغة.

فأقول لإخواني في جواب هذه الشبهة المخلفية: قولوا لهم: إذا كنتم أنتم مخطئين فأنتم لستم ناجين، بل أنتم خوارجُ مارقون من الدين تكونون كلابَ النار يوم القيامة، والعياذ بالله، وقد اختلف العلماءُ في تكفير أمثالكم، وكفى بهذا خطرا عظيمًا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا..! وليس يلزم أن نعرَف الردّ على شبهاتكم ومخاصمتكم؛ فإن هذا من اختصاص أهل العلم، ونحن نتمسّك بالإسلام والتوحيد والإيمان الجُمليّ، وما علمناه -بتثبّتٍ ومن طريق علميّ صحيح- من التفاصيل قلنا به وعملنا به، وما لم نعلمه فلا نتكلم به، بل نقول: الله أعلم.

وما نستمسك به -بفضل الله- هو الحقُّ المبين والصراط المستقيم والمنهج الواضح الجلي، أما زوبعات شبهاتكم التي أعمتكم عن نور الحق فلا يلزم علماءَ المسلمين الاشتغالُ بردها كلها فضلًا عن أن يلزمنا اعتقادها ومعرفتها، وإن هوَّلتم الأمر وعظمتموه وفخّمتموه وأظهرتموه على أنه من قواطع الشرع وضروريات الإسلام، كما قال الإمام ابن القيم ﵀ في «شفاء العليل» في كلامه على منازعة بعض أهل البدَع بشبهاتهم للآيات الواضحات: «.. وهذا في القرآن أكثر من أن يذكر، والحسُّ شاهدٌ به، فلا تقبل شبهة تقام على خلافه، ويكون حكمُ تلك الشبهة حكمَ القدح في الضروريات فلا يلتفت إليه، ولا يجب على العالم حلُّ كل شبهة تعرض لكل أحدٍ، فإن هذا لا آخر له»[1] اهـ.

ولا يضرنا إن أخطأنا في مسألة عذرِ أحدٍ أو حكمٍ عليه بناءً على اجتهاد واحتياطٍ واتباع لعامة أهل العلم والصلاح والخيرية في الأمة، ولا يضرنا إن جهلنا هذه المسائلَ أيضا ولم نعرف التحقيق فيها، فهي مما يعرفه أهل العلم الذين هم أهله واختصوا به، فلا والله لا يكون من أهل النار من جهِلَ «هل هناك عذرٌ بالجهل في التوحيد أو لا؟» أو جهل أو أخطأ في «هل الكفرُ والشرك شيء واحدٌ أو هما متغايران؟» أو كيف الحكم على فلان من الناس من أهل القبلة هل خرج من الملة أو لا بعدُ؟ أو أن

---

(١) شفاء العليل (ص ١٥١).

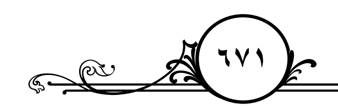
الطائفة الفلانية والجماعة الفلانية من أهل القبلة كافرةٌ كذلك أو لا؟ اللّهم إلا الكفرَ الواضح المستبين الذي لا يختلفُ فيه العلماءُ أجمعون، ولا يختلفُ فيه المسلمون: ككفر اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين الذين لم يدخلوا في الإسلام أصلا، أو ككفر مسيلمة الكذابِ ونحوه من مدعي النبوة أو التصريح بعبادة غير الله واتخاذ آلهةٍ مع الله أو غيرَ الله رأسًا، أو ككفر من صرح واستعلنَ بالانتقال من دين الإسلام والخروج منه، وككفر من يسب الله ورسوله ويستهزئ بالدين صريحا بيّنا معلنًا، ونحو ذلك.!

وهنا نرجع إلى التفريق بين درجات المسائل ومراتبها في الثبوت ووضوح نسبتها إلى الله ﷻ ودينه، بين اليقين والقطع، والظن والتردد؛ فرجع الأمرُ إلى مسألة المعلوم من الدين بالضرورة وما لا يُجهَل مثلُه، وما ليس كذلك، ومعلومٌ أن هذه مسألة نسبية إضافية، كما قال شيخ الإسلام ؒ: «وأيضا فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمرٌ إضافي بحسب حال المعتقدين ليس هو وصفًا للقول في نفسه؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقُهُ عنده وغيره لا يعرف ذلك لا قطعا ولا ظنا، وقد يكون الإنسان ذكيا قويَّ الذهن سريعَ الإدراك فيعرف من الحق ويقطع به مالا يتصوره غيرُهُ ولا يعرفه لا علما ولا ظنا، فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة وبحسب قدرته على الاستدلال، والناسُ يختلفون في هذا وهذا، فكونُ المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه حتى يقال: كل من خالفه قد خالف القطعي، بل هو صفةٌ لحالِ الناظر المستدلّ المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس»[1] اهـ.

وقولوا لهم: نحن نكون إن شاء الله على ما كان عليه محمدٌ ﷺ وأصحابُهُ ﭫ، وعلى سيرة سلفنا الصالح: لا غلوّ ولا جفاء، ومع السواد الأعظم من المسلمين، ومع أهل العلم والخير والصلاح والجهاد، ممن ثبتت خيريتهم وصلاحهم، وظهر فضلهم وحَسُنَ بلاؤُهم في الإسلام، علمًا ودعوةً إلى الخير وجهادًا في سبيل الله وتضحية من أجله ﷻ.. نكون مع «الطائفة المنصورة» إن شاء الله التي لن تزال قائمة وظاهرة على الحق تقاتل في سبيل الله إلى قيام الساعة.

وعامّة أولئك معروفون مشخَّصون لكل العقلاء، وطريقهم واضحٌ بيّن والحمد لله رب العالمين، وأما شنشنة «المخلف» الضالّ وأتباعه وتمويههم ودجلهم وافتراؤهم على الله ورسوله، وتشكيكهم وخزعبلاتهم؛ فهذا ليس من سبيل أولئك، بل هو فتنة وبدعةٌ ومروق وفسوق والعياذ بالله، فنحن منه

(١) منهاج السنة (٥ / ٩١).



بُرآء وله مجانبون وعنه حائدون، ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود]، (**قل آمنتُ بالله ثم استقم**) رواه مسلم وأحمد وغيرهما(١)، (**ثلاثٌ مَن كن فيه وجدَ بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبّه إلا لله، وأن يكرَهَ أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللهُ منه كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار**) متفق عليه(٢).

واعلموا أن أهل الضلال والبدع لا تكاد تنقطع فتنتهم واعتراضاتهم وتشكيكاتهم، لأنهم أهل بدعةٍ وهوىً، فلا يكاد يقمعهم شيء حتى يصطدموا بصخرة الواقع ويرون العذابَ الأليمَ أو يفجأهم الموت ولات حينَ مرجع ولا ندم..! نسأل الله أن يقينا وإياكم مضلات الفتن؛ فمثلا سيقول لكم المخلف: إن ما يدعو إليه هو من الدين ومما يلزم المسلمَ الاستقامةُ عليه، ولا يكون مستقيما حتى يستقيم عليه، ولا يكون كذا إلا بكذا وكذا.. هكذا مما تعرفونه وجرّبتموه من تهويلاتهم وافتراءاتهم على الله ودينه.

ولكن أنتم يكفيكم ما هو بيّن واضحٌ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلفنا الصالح ومن سارَ على نهجهم كما ذكرنا، وقولوا له: إن الله ﷻ قال: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ فأين أمرنا اللهُ ﷻ بما تأمُرُ به أنت أيها المخلف، فلن يجدَ جوابًا إلا التخريف والادّعاء والتلفيق المتهافت.!

وقولوا له: إن الله ﷻ زادنا فقال: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ أي لا تجاوزا ما حدّ الله لكم وبيّن لكم من الدين، والطغيان يكون عادة بالزيادة ومجاوزة الحد، وقد يكون بالنقصان والتفريط لأنهما مخالفةٌ وخروجٌ عن الحد، أو يكون دلالة ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ على النهي عن النقصان والتفريط أيضا من جهة بلاغية أخرى كالاكتفاء، والمقصود أن الله ﷻ أمرَنا أن نستقيم على ما أمرَ به ﷻ، ونهانا عن الخروج عنه ومجاوزته، وما أمرَ الله ﷻ به، هو بيّن واضحٌ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما يحتاج إلى توضيحٍ قد شرحه العلماءُ وبيّنوه ووضحوه في كتبهم، قال الله ﷻ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾[الأنعام: ١١٩]، فما لم يكن كذلك فليس هو مما أمرَ الله به، إلا أن يقول الفقيهُ: أرجو أنه كذا، وأخشى أنه كذا.. أما ما أمرَ الله به مما يصحُّ أن نقول فيه بإطلاق إن الله قد أمرَ به، فهذا بيّن لا يخفى، كما قال النبي ﷺ: (**الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات**) الحديث متفق عليه(٣)، وقال: (**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا**

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٦٨) لكن بلفظ: (فاستقم)، مسند أحمد (١٥٤١٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١)، صحيح مسلم (٤٣).

(٣) صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) رواه مسلم[(١)].

و«**المخلف» المفتونُ لا يقول**: أرجو ولا أخشى، بل يقول: أجزم وأوقِنُ وأقطعُ، ويقول: هذا حكمُ الله ودينُهُ.. وذلك في مسائل يعلم جميعُ العلماء أنها مسائل نظر واجتهاد محتملة ومبناها على الاستدلال، ويقع فيها اختلافُ الناظرين، وأن الجزمَ والقطعَ فيها مزلّةٌ، وأنه يبعُد في العادة أن يصل الإنسانُ إلى اليقين في جميعها أو أكثرها، إنما مدركُها الظنُّ، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[النحل: ١١٦] الآية، وتدبّروا أيها الإخوة هذه الآية الكريمة الأخرى من سورة «الشورى» واقرؤوا تفسيرها واعرفوا ما فيها من المعاني العظيمة: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[الشورى]، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

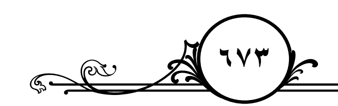
فهذه مقدمات ووصايا رأيت أن أضعها بين يدي الجواب على السؤال، تنبيها للغافلين وتحذيرا للصادقين الطالبين الحق والخير، ولم أقصد بها الاستيعاب ميلًا إلى الاختصار، وإنما هي كلمات نصحٍ نرجو الله ﷻ أن ينفع بها من تأملها من الإخوة شباب الإسلام، وأما الرد على ضلالات «المخلف» وما يسميه «قواطع» الأدلة على ضلاله.. فلعل الله ييسر له فرصة أخرى، أو يكفينا الله ﷻ بمن هو خيرٌ مني من طلبة العلم والمشايخ مَن يصبر عليه ويحتسب فيه فيوفيه الكيلَ دحضا وتبيينا لكذبه ودجله، وبالله التوفيق.

ونشرع الآن بعون الله ﷻ في الإجابة على سؤالهم الضالّ ودحض حجتهم الشيطانية الوضيعة بحول الله ﷻ وقوته وتوفيقه، فأقول:

الجواب من عدة وجوه:

الأول: أن نقول: إن السؤال غلط؛ لأنه مبني على اعتقادهم تكفير جميع المسمين الساكنين في بلدان المسلمين اليوم التي يحكمها الكفار والمرتدون، والتي هي عندنا على الأصح من أقوال أهل العلم ديارُ كفرٍ باعتبار غلبة أحكام الكفار والمرتدين عليها، وسبب ذلك اعتقادهم التلازم بين حكم الدار وحكم أهلها الساكنين بها، وهو ما صرحوا به في آخر السؤال، وهذا هو معقد الغلط الفاحش

(١) صحيح مسلم (١٣٣٧).



والضلال المبين، ويصرح به أو يكاد يصرح به «المخلفُ» في بعض ما رأيته مما كتب.. وهذا قولٌ لا يُعرَفُ إلا لبعض الخوارج المتقدمين.

والحق الذي لا ريبَ فيه ولا نعلم فيه خلافا بين علماء المسلمين أنه لا تلازم بين حكم الدار وحكم ساكنيها؛ فإن الدار تسمى دار إسلام أو دار كفر بحسب ما يعلوها من أحكام الإسلام أو الكفر، وهي الأحكام التي تحكم بها وتُعليها السلطة السياسية الحاكمة المسيطرة، فنجد دارَ إسلام كلُّ أو أغلبُ سكانها مسلمون، ونجد دارَ إسلام كل أو أغلب أهلها كفارٌ، كما لو نزل أهلها على عهدنا وعقدنا لهم الذمة وخضعوا لأحكام شريعتنا فيهم، وهكذا قد توجَد دارُ كفرٍ وأكثرُ سكانها مسلمون، ودارُ كفرٍ كل أو أكثر سكانها كفارٌ.

وهذه المسألة معروفة عند أهل العلم مشروحة في كتبهم، وقد أشبعها بحثًا الشيخ «أبو محمد المقدسي» من المعاصرين في الرسالة الثلاثينية عند ذكر الخطأ الثاني من أخطاء التكفير، وهو: **التكفير بناء على قاعدة «الأصل في الناس الكفر» لأن الدار دار كفر**[1].

وكذلك نبّه على هذه المسألة الشيخ «حسن قايد أبو يحيى الليبي» حَفِظَهُ اللهُ في كتابه «مِنّة الخبير في حكم إقامة الحدود في دار الحرب والتعزير» في أول الكتاب حين بحث مسألة: انقسام العالم إلى دار إسلام ودار كفرٍ وحقق القول في حدّ الدارين وأحكامهما، ثم نبّه على المسألة المذكورة ونقل فيها جملة من أقوال العلماء[2]..

فليراجعها الأخُ طالبُ الحق، فإنه مبحث مهم، وبه يُعلَم الجواب على الشق الثاني من السؤال، وأنا هنا أتوخى الاختصار وأكتفي بالإحالات والإشارات، وبالله التوفيق.

وليُعلَم أن هذا الخطأ الفاحش الذي وقع فيه المخلف وأتباعه هو من دلائل ضعف المعرفة والبُعد عن التحقيق في العلم، وأنهم ليسوا من أهل العلم بسبيل، فإنهم يغترّون بالاصطلاحات والألفاظ والعبارات دون تحقيق ولا تمييز لمعانيها.!

الثاني: قوله «جهاد الدفع إنما شرع للدفاع عن دار الإسلام» هذه هي عبارة «المخلف» نفسه، مما يدل على أن السؤال صادرٌ عنه متلقىً منهم.

وهذا الحصر غير مسلّم، بل هو غلط وباطل؛ بل الجهاد الذي يسميه الفقهاء جهاد الدفع شرع

---

(١) الرسالة الثلاثينية (ص ٨٧) وما بعدها.

(٢) منة الخبير في حكم إقامة الحدود في دار الحرب والتعزير (ص ١٧).

للدفاع عن المسلمين قبل الدار، وإنما الدار هي تبع للمسلمين، والأرض لا تقدس أحدا، ولا حكم لها في ذاتها من هذا الوجه، إنما الحكم لأهلها وبأهلها وبما يعلوها من أحكام أهلها، فجهاد الدفع إذن مشروع للدفاع عن المسلمين قبل أرض المسلمين، وهو جهاد دفع الصائل على الدين والعرض والأرض والمال؛ فلا تأثير لكون الدار صارت دارَ كفر وحرب، أو هي باقية دارَ إسلام.

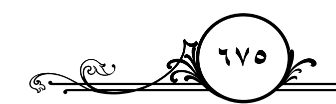
وهب أننا اخترنا أحد الأقوال الأخرى في مسألة الدار، كقول بعض الفقهاء مثلا: إن دار الإسلام لا تنقلب دارَ كفر بحالٍ، أو قول أبي حنيفة إنها لا تنقلبُ دارَ كفر إلا بشروطٍ ثلاثة ذكروها، فقد انقطعت حجتكم حينها، وضلّ سعيكم، ونرجع إلى مناقشة مسألة الدار، ولن تستطيعوا حسمها بشكل قاطع، لأنها مسألة خلافية اجتهادية معروفة وكل قول من الأقوال فيها قد قال به أئمة كبار من علماء المسلمين.

والمقصود: أن جهاد الدفع ليس معناه الدفاع عن دار الإسلام فحسب، بل هذا غايته أن يُقال: إنه أحدُ معانيه وأحد مقاصده، وليس هو كل معناه ولا كل مقصده؛ فجهاد الدفع هو قتال الكفار الصائلين المعتدين على الدين أولا ثم على باقي الحرمة من نفس ومال وعرض وأرضٍ...! فهذا دفع الصائل الذي قال فيه شيخ الإسلام: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء، أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده»[1] اهـ.

الثالث: أن يقال ما هي الحدود الجغرافية للدار التي هي دار كفرٍ والدار التي هي دارُ إسلام في الواقع اليوم، فأنت ترى اليوم كثيرا من الدور مختلطة، فمنطقة «وزيرستان» مثلا ما هي؟ إن اعتبرتَ الخريطة السياسية بحسب الأوضاع القانونية البشرية للدول اليوم، فهي جزء من أرض دولة الباكستان، وهذا لا اعتبار له في الحكم بمجرده، وإنما الاعتبار بحقيقة ما يعلوها من أحكامٍ وظهور الأحكام عليها بالقوة والسلطان، وأهلُها مظهرون للدين يحكمون بشرع الله بعزتهم واختيارهم في عدة مناطقَ منها والحمد لله، ولا يقال: إنهم يحكمون بالشرع بإذن الكافر لأن دولة الباكستان هناك غير كاملة التسلط إنما هي كالمكتفي بتبعية الإقليم الاسمية لها، ولا تقدر على إنفاذ أو منع كثير مما تريد، والمسلمون -حيث يحكمون بالشريعة هناك- يحكمون بها استقلالا وهي لا تستطيع منعهم،

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٨).



وإنما هي تستضعفهم وتستتبعهم من أبوابٍ أخرى سياسية واقتصادية، وهو وضعٌ سياسي واجتماعيّ خاص له ظروفه.. وإن اعتبرتَ استقلال الإقليم وأهله القبائل نوعَ استقلال، وحكمهم فيما بينهم بحكم الشرع وإقامتهم لأكثر شعائر وشرائع الإسلام أي ما قدروا عليه منها، ورفعهم راية الجهاد، وعدم اعترافهم بالدولة الباكستانية المرتدة كما أشرنا، ولكنهم أيضا لم يصلوا إلى الاستقلال التام لضعفهم، فما زالوا ساكتين عن إعلان الاستقلال عن الدولة الباكستانية والسعي في ذلك عسكريا بشكل صريح، لاعتبارات القوة والضعف والقدرة والمصالح والمفاسد، فقد يظهر أن هذه المناطق دار إسلامٍ بحسب تقسيم الفقهاء.

وهكذا أجزاء كبيرة من بلاد «أفغانستان»، حيث يتمكن المجاهدون ويَدُهُم هي العليا، ويقارعون أعداء الله وهم معه في كر وفرّ، لكنه غيرُ مسيطر عليهم، ولا هم أيضا استطاعوا دفعه بالكلية، ومن أظهر أمثلتها «هلمند»؛ فإن المجاهدين يسيطرون عليها سيطرة شبه كاملة، وفيها محاكم شرعية، وعوامُّ الناس يتحاكمون إليها والحمد لله، ومع ذلك فهم مع حكومة «كرزاي» والصليبيين فيها في كرّ وفرّ، وهكذا الأمرُ في «دولة العراق الإسلامية» في بلاد العراق، وهكذا مناطق من أرض الشيشان، والصومال وغيرها كثير.

فيُقال للسائل المعترض: فهذه مناطق لا يبعُد أن تسمّى دارَ إسلام، بل هذا هو الظاهر القويّ، قال السادة الشافعية: «وإن قدر على الامتناع في دار الحرب والاعتزال وجب عليه المقامُ بها، **لأن موضعه دارُ إسلام**، فلو هاجر لصار دارَ حرب فيحرم ذلك، **ثم إن قدر على قتال الكفار ودعائهم إلى الإسلام لزمه** وإلا فلا» اهـ؛ هذا كلام النووي في «روضة الطالبين» ناقلا عن «الماوردي» مقرًّا له[١]، وكذا عند غيره من شراح كتب المذهب، رحم الله الجميع.

وظاهرٌ على مذهب بعض الفقهاء أنها دورُ إسلامٍ، كمن قال: لا تعود دارُ الإسلام دارَ كفرٍ ألبته، وكمن وضع لصيرورتها دارَ كفر شروطًا ليست متوافرة الآن في هذه البلدان، أو كما قال «الدسوقي» في حاشيته على شرح الدردير لـ«مختصر خليل» المالكيّ: «لأن بلاد الإسلام لا تصير دارَ حربٍ بأخذ الكفار لها بالقهر ما دامت شعائرُ الإسلام قائمة فيها»[٢] اهـ.

ولسنا الآن في مبحث أحكام الدور والترجيح بين الأقوال فيها، ولكن بكل حالٍ: ليس لك أيها

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠ / ٢٨٢).

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (٢ / ١٨٨).

المعترضُ سبيلٌ قاطعٌ إلى تسميتها دارَ كفرٍ..! وإذا أثبتّ قسمًا وسطًا بين الدارين وهي الدار المختلطة، كما هي طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية «فتواه في ماردين»[1]، فيمكن جعلها من هذا القسم أيضا.. فإذا قلنا إنها دورُ إسلام أو قلنا إنها دورٌ مختلطة بطل اعتراضُك.

وبالجملة.. كيف يصحّ من مسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يمنع من الجهاد في سبيل الله ﷻ الذي هو من أعظم الواجبات المتأكدات المتقررات بقواطع الشرع، من أجل مسألة ظنية بل متوهَّمة؟! وهل هذا إلا من الضلال المبين والمجازفة بل اللعب بالدين، ودليلٌ على الخذلان من رب العالمين..؟! أوليس هذا حقيقا بأن يدخل في نحو قول الإمام ابن حزم ؒ: «ولا إثمَ بعد الكفر أعظمُ من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمرَ بإسلام حريم المسلمين إليهم من أجل فسق رجلٍ مسلم لا يحاسب غيره بفسقه»[2] اهـ، فإن هذا نهى عن جهاد الكفار وأمرَ بإسلام حريم المسلمين إليهم (يعني أنه لازمُ قوله، وإن لم يصرح به) من أجل توهّم أن جهادَ الدفع يُشتَرَط له وجود دار إسلام أي دولة إسلام ممكنة ينطلق منها الجهاد ويمكن الدفاعُ عنها وعن أهلها، ومن أجل توهّم أنه لا توجَد أي بقعة اليوم في الأرض تسمّى دارَ إسلام...؟!! وكلُّ هذا على التنزّل وإلا فلا تلازم بين حكم الدار وحكم جهاد الدفع، والقولُ بأن شرط جهاد الدفع وجودُ دارٍ للإسلام (بمعناها الاصطلاحيّ) شرطٌ باطلٌ لا دليل عليه من كتابٍ ولا سنةٍ ولا إجماعٍ ولا قياسٍ صحيح..!

وهؤلاء المارقون الذين يتبجّحون باستمساكهم بالكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة، ويدعون وقوفهم عند معانيهما، نقول لهم: هذا شرط اشترطتموه من عند أنفسكم، وأوجبته عقولكم المريضة الفاسدة بالتباس الشبهات عليها، وإلا فأين وجدتم في كتابٍ أو سنة أو إجماع أو قياس أو قول صاحب أو عالم من العلماء مَن يقول بسقوط الجهاد في مثل هذه الحال لأنه لا يجب إلا دفاعًا عن دار الإسلام؟ مَن مِن العلماء فَهم هذا الفهمَ وذهب هذا المذهب؟ وهذا من أعظم الأدلة على أن هؤلاء المارقين لا يبالون بالشذوذ والتفرد في صغار المسائل وكبارها، وهو مما يبين للمنصف أنهم إنما يعتمدون في فهم كلام العلماء على مجرد نظرهم وما يقع عليه خاطرُهم ويوافق أهواءهم من غير بحث ولا تدقيق ولا جريٍ على سبيل أهل العلم ولا تأمل فيما كتبه العلماء مما يكشف حقيقة الأمر ويقيد مطلقه ويخصص عامه.!

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٤٠).

(٢) المحلى بالآثار (٥ / ٣٥٢).

الرابعُ: على التسليم بأن هذا النوع من الجهاد المسمى عند الفقهاء «جهاد الدفع» هو للدفاع عن الأرض «ديار الإسلام» فالمعنى هنا: الدفاع عنها والقتال والجهاد من أجل استردادها من أيدي الكفار وإعادتها إلى حوزة الإسلام فترجع دارًا للإسلام كما كانت.! وتسميتها دارَ إسلام حينئذٍ هو باعتبار ما كانَ.. وهذا المعنى هو الذي لاحظه من قال من الفقهاء إن دار الإسلام لا تنقلبُ دارَ كفرٍ أبدًا، وهو قولٌ للشافعية، مع أن هذا القول ضعيفٌ.! وهذا الذي ذكرناه من وجوب القتال والجهاد لاسترداد أي شبر من ديار المسلمين أخذه الكفار، أمرٌ مجمع عليه عند الفقهاء ونصوص العلماء من كل المذاهب فيه معروفة مشهورة، فلتراجع في محلها من كتب الفقهاء، حتى لا يطول بنا المقام.

ولكن لا بأس بسياق شيء قليل منها منتقىً من المذاهب المشتهرة للتذكير:

فمن الحنفية: قال الجصاص ﷺ في أحكام القرآن: «ومعلومٌ في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرضَ على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلافَ فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحدٍ من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبيَ ذراريّهم»[1] اهـ.

وقال الكاساني ﷺ: «فأما إذا عمّ النفير بأن هجم العدوّ على بلدٍ فهو فرضُ عين يفترض على كل أحدٍ من آحاد المسلمين»[2] اهـ.

وقال زين الدين ابن نجيم في «البحر الرائق»: «قوله: «وفرض عين إن هجم العدو فتخرج المرأة والعبد بلا إذن زوجها وسيده»؛ لأن المقصود عند ذلك لا يحصل إلا بإقامة الكل فيفترضُ على الكل، كما في الصلاة والصوم بخلاف ما قبل ذلك، لأن بغيرهما مقنعا، ولا ضرورة إلى إبطال حق المولى والزوج، وأفاد خروج الولد بغير إذن والديه بالأولى، وكذا الغريم يخرج إذا صار فرض عين بغير إذن دائنه وأن الزوج والمولى إذا منعا أثما، كذا في الذخيرة، ولا بد من قيد آخر وهو الاستطاعة في كونه فرض عين فخرج المريض المُدْنَفُ، أما الذي يقدر على الخروج دون الدفع ينبغي أن يخرج لتكثير السواد لأن فيه إرهابًا، كذا في «فتح القدير»، والهجومُ الإتيان بغتة والدخول من غير استئذان، كذا في المغرب، المراد هجومه على بلدة معينة من بلاد المسلمين فيجب على جميع أهل تلك البلدة وكذا مَن يقربُ منهم إن لم يكن بأهلها كفاية، وكذا من يقرب ممن يقرب منهم إن لم يكن ممن يقرب منهم كفاية،

---

(١) أحكام القرآن (٤ / ٣١٢).

(٢) بدائع الصنائع (٧ / ٨٩).

أو تكاسلوا أو عصوا، وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا»[١] اهـ.

وفي حاشية ابن عابدين ﷺ: «وفرض عين إن هجموا على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرضَ عين على من قرب منهم وهم يقدرون على الجهاد، ونقل صاحب «النهاية» عن «الذخيرة»: أن الجهاد إذا جاء النفير إنما يصير فرض عين على مَن يقرب من العدو، فأما من وراءهم بعيد من العدوّ فهو فرض كفاية عليهم حتى يسعهم تركه إذا لم يُحتج إليهم، فإن احتيجَ إليهم بأن عجز من كان بقرب من العدو عن المقاومة أو لم يعجزوا عنها لكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا.. فإنه يفترض على من يليهم فرضَ عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه ثُم وثُمَّ إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج»[٢] اهـ.

ومن المالكية: قال الإمام ابن عبد البر ﷺ في كتابه «الكافي»: «فرض عام متعين على كل أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار، وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محاربًا لهم؛ فإذا كان ذلك وَجَب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالًا شبابًا وشيوخًا، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج مقل أو مكثر، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم وكان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا قلوا أو كثروا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كلُ من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضًا الخروجُ إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرضُ عن الآخرين، ولو قارب العدو دارَ الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضًا الخروج» اهـ[٣].

قال القاضي أبو بكر بن العربي ﷺ: «إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر فيجب على كافة الخلق الجهادُ والخروجُ إليه فإن قصروا عصَوْا»[٤] اهـ.

قال القرطبي ﷺ جامعا كلامهم: «إذا تعين الجهاد **بغلبة** العدو على قطر من الأقطار **أو بحلوله بالعقر** فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالًا شبابا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٥ / ٧٨).

(٢) رد المحتار على الدر المختار (٤ / ١٢٤).

(٣) الكافي في فقه أهل المدينة (١ / ٤٦٢).

(٤) أحكام القرآن (٢ / ٥١٧).

وشيوخا، كل على قدر طاقته، من كان له أبٌ بغير إذنه، ومن لا أب له، ولا يتخلف أحدٌ يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوّهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل مَن علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم فالمسلمون كلهم يدٌ على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهلُ الناحية التي نزل العدو عليها واحتلّ بها، سقط الفرض عن الآخرين، ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدوّ، ولا خلافَ في هذا» اهـ(١).

ومن الشافعية: قال الإمام النووي ﷺ في «شرح مسلم»: «قال أصحابنا: الجهاد اليوم فرض كفاية إلا أن ينزل الكفار ببلد المسلمين فيتعين عليهم الجهاد، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية وجب على من يليهم تتميم الكفاية»(٢) اهـ.

ومن الحنابلة: قال الإمام موفق الدين بن قدامة ﷺ عند ذكره للأحوال التي يتعيّن فيها الجهاد: «الثاني: إذا نزل الكفار ببلد المسلمين تعيّن على أهله قتالهم والنفير إليهم ولم يجز لأحدٍ التخلف إلا مَن يحتاج إلى تخلفه..»(٣) اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في «الفتاوى الكبرى»: «وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريبَ أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والدٍ ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا»(٤) اهـ، وقال فيها أيضا: «فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجهٌ، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجبٌ إجماعًا»(٥) اهـ.

تنبيه: لاحظ أن الفقهاء ﷺ يتحدثون عن حالة كثيرة الوقوع، وهي هجوم العدو الغازي على ثغور دار الإسلام وحلوله بها، ولأنها هي الحالة المتصورة في العادة ولا سيما في أزمانهم، فلا يُفهم من ذلك ما فهمه الجهلة من أن الدفاع إنما هو عن «دار الإسلام» فقط أو عن المسلمين بشرط وجودهم في هذه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٥١، ١٥٢).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٣ / ٩).

(٣) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤ / ١١٨).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٩).

(٥) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٧).

الدار (دار الإسلام بمعناها الاصطلاحي)، فإن الدفع قبل ذلك هو عن الدين والنفس ثم المال وسائر الحرمة.. ولذلك فعبارة شيخ الإسلام أوضحها: «**فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجبٌ إجماعًا**».

وليعلم أن هذا التقسيم للجهاد إلى جهاد دفعٍ وجهاد طلبٍ إنما هو تقسيم اصطلاحي وضعه الفقهاء لتيسير ضبط بعض الفروع، ودرسها وحفظها، وإنما العبرة بالمعاني والحقائق لا بمجرد الألفاظ ومباني الاصطلاح والمواضعة، وهذا هو بعض السر في فساد أفهام هؤلاء القوم؛ «المخلف» وأتباعه.. فإنهم اغتروا باصطلاحات كما سبق الإشارة إليه، ولم يحققوا الحقائق ويمحصوا المعاني ويعطوا كل شيء حقه بحسب الدليل الشرعي.

وإلا فنحن نسأل هذا السائل: ما هو جهاد الدفع وأين يوجد ومتى؟ فلو أن بلدة أهلها مسلمون يحكمهم حاكم مسلمٌ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (دار إسلام) في نواحي الدنيا بعيدة عن ديار المسلمين الأخرى، وقع فيها انقلاب عسكري وسياسي، وسيطر على الحكم فيها رجالٌ زنادقة أظهروا الكفر والردة عن الإسلام وعطلوا إقامة الصلاة، وساندهم قادة الجيش فسيطروا على البلاد في أيام، وشرعوا في تبديل قانون البلد من شريعة الإسلام إلى قوانين وضعية وضعوها وأخذوا يحملون الناس عليها.. إلخ؛ فما الواجب على الناس المسلمين سكان هذه البلدة الآن؟

الجواب الذي لا جوابَ غيرُه عند كل علماء المسلمين: أنه يجب عليهم جهاد هذا الحاكم الكافر والخروج عليه ومنابذته بالسلاح والقتال، ليخلعوه وينحّوه عن الحكم ويقيموا في مكانه مَن يحكمهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. هذا واجبٌ عليهم اتفاقًا، وإنما يسقط عنهم هذا الواجب بالعجز، فقط، فإن عجزوا ورأوا أنهم لا يستطيعون وأنهم ضعفاء جدا عن مقاومة هذا الحاكم الكافر ودولته وجنده وأنهم مقتولون مهزومون لو دخلوا في حرب معه، وبالجملة ظنوا أو أيقنوا العجز، فإنهم يجب عليهم حينئذ الإعداد للجهاد حتى يصلوا إلى مرحلة القوة والقدرة على مجاهدة هذا الحكم الكافر، وفي غضون ذلك يجب عليهم الدفع بما يقدرون من الدعوة والأمر والنهي وكلِّ سعي مشروعٍ في تحصيل المقصود من إقامة شرع الله ﷻ وإزالة حكم الكفار.

هل يسلّم «المخلف» وأتباعه بهذا؟! إن لم يسلّموا به فقد خرجوا عن إجماع كل أهل العلم، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وخالفوا نصوص الكتاب والسنة، وضلوا ضلالا بعيدا.

وإن سلموا فقد قامت عليهم الحجة واندحض باطلهم؛ لأن أهل هذه البلدة التي تحوّلت –على

الأصح من أقوال أهل العلم- إلى دار كفر وحربٍ بمجرد سيطرة الكفار عليها وغلبة أحكامهم الكفرية عليها، يجب عليهم الجهاد، أو على الأقل هو مشروعٌ بإجماع العلماء، لا يخالف في ذلك أحدٌ من العلماء، كما أوضحناه، فإذا قاموا وجاهدوا فما هو هذا الجهاد إلا جهاد الدفع؟! بحسب التقسيم الفقهي الاصطلاحي، لأنه دفع لهذا الكافر الصائل على الدين والمال والعرض والأرض.. وإن شئت أن تسميه جهاد طلبٍ فافعل، لا يضرك..!! ولكن لا ترتب عليه إلا أحكامه الخاصة بجهاد الدفع، وأعظمها أنه متعينٌ على أصحاب تلك الناحية بخلاف جهاد الطلب المعروف في اصطلاح الفقهاء، فهذه في النهاية مجرد اصطلاحات أيها الإنسان..!! المهم أنه جهادٌ مشروع بل واجبٌ مع القدرة والمتخلف عنه بغير عذرٍ فاسقٌ مستحقٌ للعقوبة ساقط العدالة.

فتدبر هذا المثال لكي تدرك مدى اغترار القوم بالألفاظ والاصطلاحات، وبُعدهم عن التحقيق والعلم النافع.. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

واعلم أن حقيقة قولهم -كما يصرح به «المخلف»- أنه لا بد لمشروعية الجهاد من وجود دار للإسلام ينطلق منها الجهاد والمجاهدون.. هذا قولهم، يعني: أن شرط مشروعية الجهاد هو: وجود دولة إسلامية ممكنة منها ينطلق الجهاد.. وهذا كله من الباطل والكذب على الله ورسوله ودينه، لأنه لا دليل عليه ولا برهان، وما أنزل الله به من سلطان، ولم يقل به أحد من أهل العلم من أهل السنة على مدار تاريخ الإسلام فيما نعلم، وإنما هو نفس قول الرافضة أخزاهم الله إنه لا جهاد إلا بإمام ويعنون به الإمام المعصوم، حتى جاء «الخميني» الهالك ووضع لهم نظرية «ولاية الفقيه النائب عن الإمام الغائب»؛ ليخرجهم من هذه الضائقة الفقهية التاريخية.!!

وصورة أخرى شبيهة بما ذكرناه تبين فساد هذا القول وضلاله: فلو فرض أن بلدًا للمسلمين كانت تحكم بالإسلام وتعلوها شرائعُهُ ويهيمن عليها سلطانه؛ فتوجه نحوها عدوٌ بقوته وجيشه يريدُ مداهمتها والغلبة على أهلها، فإن جهاد أهلها عند أول جزء من أرض الإسلام وطأته أقدام العدو يُعَدّ جهادَ دفعٍ، حتى على قول هذا المخلف المفتون، فإذا تغلب هذا العدو على البلدِ وبسط سلطانه، فمقتضى قول هذا المفتون وشيعته أن الحال قد انقلب فورًا وتبدل الحكمُ في طرفة عين وصار الجهادُ عند أول لحظة تسلط الكفارِ وغلبتهم على البلدِ ليس مشروعًا، لأنه لم يعد هناك دارُ إسلام يجب الدفاع عنها بعدما صارت القوة والسلطة في يد العدو الكافر المتغلب، فهل يذهب لهذا عاقل يدري ما يقول؟! أم هو نفثة شيطانية وشبهة إبليسية يراد منها إسقاط واجب الجهاد الذي بدأت معانيه وحقائقه تسري في أمة الإسلام.!! فليتدبّر العاقلُ ذلك، وبالله التوفيق.

الخامس: أن مِن موجبات الجهاد، ومن المواضع التي يجب فيها على المسلمين حتى تحصل الكفاية، فإن قام به من يكفي فقد كفى ونال الأجر، وإن لم يقم به مَن يكفي أثم الجميع حتى يقوموا به أو يقومَ به من يكفي منهم: تخليصَ أسرى المسلمين من أيدي الكفار، ومعلومٌ كم للمسلمين من أسرى عند الكفار اليوم؛ فلو قام المجاهدون يقاتلون أعداء الله وينكون فيهم ويتحيّنون فيهم الفرص لتخليص أسرى المسلمين فهذا مشروع ولا شك، وعملٌ صالح، كيف وهو فرضٌ عند جميع العلماء.!

قال القاضي ابن العربي المالكي رحمه الله: «إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهمٌ، **كذلك قال مالكٌ وجميعُ العلماء**، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد والقوة والجلد»[1] اهـ.

ولا شك أن أحد أسباب وجوب الجهاد على المسلمين اليوم، بل وتعيّنه على جميعهم، هو هذا السبب الذي ذكرناه وهو تخليص الأسرى، ولا شك أن المجاهدين من «القاعدة» وسائر إخوانهم أهل التوحيد والسنة والعقائد السلفية السليمة يجاهدون من أجل ذلك مع باقي المقاصد المرعية، والحمد لله رب العالمين.

السادس: أنه على التنزّل يقال لهذا المعترض الجاهل: هب أن المجاهدين اليوم أعزهم الله قاموا يجاهدون من أجل تخليص قومهم «الكفار» -على زعمكم الباطل- أو أي كفارٍ مستضعفين، يبتغون تخليصهم من ظلم الظلمة الفراعنة وتحريرهم من قهر الجبارين الطاغين.. فما حكمُ ذلك عندك؟! وهل يصحّ أن يقال: هذا قتال في سبيل الطاغوتِ؟ أو يقال: هذا كفرٌ بالله سبحانه وتعالى وموالاة للكفار المشركين؟ أو يقال: هذا ليس قتالا لإعلاء كلمة الله؟ أو ماذا؟ بيّنوا لنا..!!

وأما نحن فنقول بحمد الله: لو قدر المجاهدون أن ذلك فيه مصلحة للإسلام والمسلمين، بتخليص القوم من القهر وتحريرهم من الجبابرة المستولين عليهم، رحمةً بهم وإحسانًا، وليكونوا قادرين على حسن الاختيار، ولأن المرجوَّ منهم أنهم إذا تحرروا يكونون أدعى وأدنى إلى قبول دعوتنا وأقربَ إلى قبول الإسلام والدخول فيه أو الرجوع إليه، ولنتوصّل بذلك إلى إقامة الدين ورفع رايات دعوة التوحيد يفيء إليها الناسُ، والحالُ أنه لم يوجَد طريقٌ إلى جهاد أعداء الله وتحقيق مقاصد الجهاد

---

(١) أحكام القرآن (٢ / ٤٤٠).

غير هذا الطريق في ظرفٍ معيّن وأحوالٍ معيّنة.. فإن هذا جائزٌ إن شاء الله ﷻ، كما هو اختيار بعضِ العلماء، ويكون حينئذٍ جهادا في سبيل الله مرادًا به إعلاءُ كلمة الله.

وانظر في هذا ما جمعه الشيخ «أبو قتادة» من أقوال العلماء في رسالته «جؤنة المطيبين» في فصل: «تحقيق حديث قتال الزبير ﵁ مع النجاشي»؛ فإنه ساق أقوالًا مهمة وفتاوى للعلماء في المسألة..

وهذا جزء يسيرٌ مما نقله أبو قتادة فرّج الله عنه: «وفي «المدونة» لسحنون المالكي: «قال مالك في الأسارى يكونون في بلاد المشركين يستعين بهم الملك على أن يقاتلوا عدوًا له ويجاء بهم إلى بلاد المسلمين. قال: لا أرى أن يقاتلوا على هذا، ولا يحل لهم أن يسفكوا دماءهم على مثل ذلك؛ وإنما يقاتَلَ الناس ليدخلوا في الإسلام من الشرك، فأما أن يقاتلوا الكفار ليدخلوهم من الكفر إلى الكفر ويسفكوا في ذلك دماءهم في ذلك فهذا مما لا ينبغي ولا ينبغي لمسلم أن يسفك دمًا على هذا» [١/ ٣٩١].

وفي «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود: «قال الإمام أحمد: لو قال مِلِكُ الكفار للأسرى المسلمين: اخرجوا فقاتلوا أعطيكم كذا وكذا، فلا يحل أن يقاتلوا معه، وإن قال: أخلي عنكم، فلا بأس بذلك رجاء أن ينجوا، وسئل: إن قال لهم ملك الكفار: أعطيكم وأحسِنُ إليكم، هل يقاتلون معه؟ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**)[1]، لا أدري» [ص ٢٤٨- ٢٤٩].

يقول أبو قتادة: رحم الله أهل العلم والتقوى كيف كانوا على بصيرة من دينهم، وكيف كانت تقواهم، فهذا الإمام أحمد يقول في مسألة: «لا أدري»، ولو عرضت اليوم على غِرّ صغير جاهل لما حك ذقنه قليلا قبل أن يخوض فيها ويقول فيها ما يرى، ثم لن يتردد في تبديع مخالفه ولعنه»[2] اهـ.

وانظر للفائدة: كيف فرّق الإمام أحمد بين قتالهم معهم رجاءَ أن ينجوا، وبين قتالهم معهم من أجل نيلِ ما وعدهم الملِكُ الكافر به بقوله: «أعطيكم وأحسِنُ إليكم»؛ فأجاز الأول، وتردد في الثاني خشية أن يكون قتالا لا في سبيل الله بل لمجرد الدنيا.

فهذا بعضُ كلام الأئمة في هذه المسألة، فأين الكفرُ وموالاةُ الكافرين من ذلك؟!! وإنما الكلامُ في الجواز من عدمه، وقد تردد بعضُ الأئمة في بعض الصور.!

فالله المستعان، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، صحيح مسلم (١٩٠٤).

(٢) جؤنة المطيبين (ص ٥٦).

وهذا ما تيسر كتابته حول هذا السؤال، وأسأل الله ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه والساعي فيه بخيرٍ، وأن يجعله في ميزان حسناتهم..

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه: **عطية الله**

رجب ١٤٢٨هـ

❋ ❋ ❋





انفذ على رسلك



تم نشر هذه السلسلة من المقالات الماتعة النافعة في مجلة «طلائع خراسان» الجهادية..

وذلك في تسع حلقات من العدد الحادي عشر وحتى التاسع عشر

وقد استشهد الشيخ قبل أن يتمها؛ فتقبله الله في عليين

ذو الحجة - رمضان

١٤٢٩ - ١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحلقة الأولى - مجلة طلائع خراسان، العدد الحادي عشـر، ذو الحجة ١٤٢٨]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه وجنده.. وبعد:

فإنني منذ زمن كنت مأخوذًا بسِحْر هذه الكلمة النبوية البليغة التي جعلتها عنوانا لهذه المقالات، كثيرَ التدبر في معناها والتأمل لفحواها، والتمثل بها، وكنت أزداد كل يوم مع التجارب تأثرا وانفعالا بها.. ونبينا ﷺ أوتيَ جوامع الكلم، واختُصر له الكلامُ اختصارًا؛ يقول الكلمة القصيرة الجامعة، التي تجمع المعاني الكثيرة جدا، وأمثلة هذا كثيرة مشهورة في أحاديثه ﷺ لا تكاد تنحصر؛ فليضف إليها هذا المثال أيضا.

وهو ﷺ يحب الإيجاز، وأَمَر به كما جاء في «السنن»، والإيجازُ من فنون البيان، وهو: التعبير عن المعنى كاملًا بأوجز لفظ وأقصره، وفيه من المناحي الجمالية ما يُعرَف في محله من كتب «البلاغة»، واختياري هذه الجملة المباركة عنوانًا لهذه المقالات هو للتنويه بها، وبما فيها من المعاني الجليلة، ولتُحْفَظ، وإن كانت المقالات ستستطرد كثيرا إن شاء الله بحسب الحاجة إلى معالجة القضايا والتذكير بالعلم والحكمة.

وسنبدأ بذكر الحديث الشريف الذي وردت فيه هذه الكلمة النبوية العظيمة، ونتدبر في بعض معانيه، ثم ننطلق إلى مسائل متنوعة بحسب ما يفتح الله تعالى، وعليه ﷻ توكلي واعتمادي.

۞ تدبر في حديث (لأعطين الراية غدا..):

الحديث متفق عليه، رواه البخاري ومسلم رحمهما الله[1]، كلاهما من عدة طرق عن سهل بن سعدٍ وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما، وسأقتصر على إيراد أكمل ألفاظه، وأشير إلى ما يهمّ من زياداتِ الألفاظ الأخرى:

قال البخاري في «صحيحه»، في «كتاب المغازي: باب غزوة خيبر»: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم

(١) صحيح البخاري (٤٢١٠)، صحيح مسلم (٢٤٠٧).

خيبر: (**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**)، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: (**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**) فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: (**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**)؛ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟» فَقَالَ: (**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**) اهـ.

❖ تاريخ القصة ومعنى اليوم:

القصة إذن وقعت في يوم خيبر، المقصود باليوم في مثل هذا التعبير: «أيام حادثة أو واقعة غزوة خيبر وفتحها»، فلا يلزم أن يكون يومًا واحدًا بالمعنى اللغوي لليوم، وإنما هو استعمال عرفي لكلمة «يوم»، كما يقال: «أيام العرب: يوم ذي قار، ويوم بُعاث»، وما شابه.. وكذا في الإسلام: يوم بدرٍ، ويوم أحدٍ، ويوم الخندق، ويوم القادسية، ويوم اليرموك، وهكذا.. ومنه: أيام الله؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وأنت ترى أن الصحابيَّ في حديثنا هذا قال: إن النبي ﷺ قال «يوم خيبر»: (لأعطين الراية **غدًا**).. فالقصة حصلت في اليوم السابق ليوم الانطلاق للغزو الذي وقع فيه الفتح على يد عليّ، ومع ذلك قال: «يوم خيبر»، وهذا واضح، وأيضًا قد حاصر النبي ﷺ خيبر قريبا من الشهر، حتى فتح حصونها واحدًا تلو الآخر، وقد جاء في روايات أخرى أن الصحابة رضي الله عنهم ظلوا أياما يحاولون فتح حصن خيبر الكبير ثم ينصرفون ولا يتمكنون منه، حتى قال النبي ﷺ (**لأعطين**..) الخ.

وكانت غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة النبوية الشريفة، بعد صلح الحديبية، العدو فيها هم اليهود المغضوب عليهم؛ لعنهم الله، واليهود في خيبر منهم قسم سكنوها منذ أزمان طويلة عبر هجرات من أرض الشام وغيرها، وقسم آخر هم ممن لجأ إليها بعد أن أخرجهم النبي ﷺ من المدينة المنورة وأجلاهم عنه وهم بقايا بني النضير وقريظة وبني قينقاع وكانوا أهل تجارة وفلاحة، وكعادتهم كانوا يسكنون حصونا محصنة، وكانت حصونهم كثيرة وكبيرة لها أسماء معروفة، أكبرها حصن «القَموص» -بفتح القاف-؛ وهو الذي فتحه علي رضي الله عنه ووقعت فيه قصة هذا الحديث.

ولما فتح النبي ﷺ خيبر سأله أهلها من اليهود أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن

أعلم بها نكم وأعمر لها ففعل، على أنه إذا شاء أن يجليهم أجلاهم، فكانوا على ذلك إلى أن أجلاهم عمر ﷺ في خلافته.

❖ الراية؛ معناها وأهميتُها ورمزِيّتُها:

قال: (**لأعطين الراية**) في الحرب من قدم الزمان منذ أن بدأت تتميز الجماعات البشرية الكبيرة والأمم، ودخلت في حروب وصراعات كان للناس في حروبهم رايات؛ وهي الأعلام التي يرفعونها ليتميزوا بها، ويراها القاصي منهم والشارد، فيأوي إليها، ويجتمعون حولها، وترتفع معنوياتهم وتشحذ هممهم وعزائمهم بارتفاعها وعلوها ورفرفتها في السماء.!

وربما كان لها وقع في نفوس الأعداء بالإخافة وإنزال الرعب والرهبة، وغير ذلك من الفوائد التي لا تخفى، ولذلك كانت الأمم كلها عربها وعجمها تتغنى في أشعارها وآدابها بارتفاع راياتها وعلوها وانتصابها، وخفقها ورفرفتها مع الرياح، وانتشارها في الهواء، وفوق سواد الجيوش، ويتغنون بألوانها وما فيها من الرمز والمعنى ولمعانها ودلالتها.. إلخ.

وجرى عمل نبينا ﷺ على اتخاذ الراية كذلك؛ لما في ذلك من المنفعة الظاهرة التي أشرنا إلى جملة منها، وهكذا كان ﷺ، وهكذا شريعته.

كل شيء فيه مصلحة ومنفعة دنيوية أو أخروية خالصة أو راجحة، مما كان الناس يفعله قبل الإسلام، ومما تفعله الأمم، أقره أو أمر به وحث عليه، وما زاده إلا قوة، وربما أدخل عليه ما يصلحه ونفى عنه ما داخله من فساد، بحسبه، كما هو مبسوط في موضعه، فالراية هي ما يسميه الناس اليوم العَلَم، وكانت تسمى أيضًا البند، وجمعه بنود، وتسمى أيضا اللواء، وجمعه ألوية.

لكن في تصرف النبي ﷺ في غزواته وسراياه وبعوثه، اختلف علماؤنا؛ **هل الراية واللواء كانا مترادفين، أي هما شيء واحدٌ، مرة يسمّونه الراية، ومرةً يسمّونه اللواء؟ أو هما متغايران؟ وإذا كانا متغايرين؛ فما الفرق بينهما؟**

والأظهر -والله أعلم- أنهما يجتمعان ويفترقان؛ فإن كانت واحدة فتسمى راية أو لواءً، سواء، وقد جاء في الحديث عند «أحمد» وغيره من رواية بُرَيدة الأسلمي ﷺ: (**إني دافع اللواء غدًا**)[1]، وإن كان أحدها للقيادة ولإمارة الجيش، والأخريات للفروع ولكل قوم أو مجموعة أو قطعة من الجيش، فالذي

---

(١) مسند أحمد (٢٢٩٩٣) وقال الأرنؤوط: صحيح.

للقيادة يسمى اللواء، والذي للفروع يسمى الرايات، والله أعلم.

وتتبع أمثلة ذلك وأدلته يطول، وإنما نشير هنا إشارة، وهو مبحث جزء منه تاريخي أدبي، وفيه أحكام أيضًا من جهة الاقتداء بفعله ﷺ في راياته وألويته، وأشكالها وألوانها وما يكتب فيها ومعرفة ما كان يراعيه من الحكمة فيها، وغير ذلك..

وللراية معنىً آخر: وهو الجانب المعنوي لها وهو المعنى الذي جاء في بعض الأحاديث؛ كحديث (**من قاتل تحت راية عمية**..) الخ، سمي راية والله أعلم من باب تسمية الشيء باسم ما له ملابسة ظاهرةٌ به؛ فهو تجوّز إذن، إن شئتَ، ولا مشاحة.!

وذلك أن الراية كما وصفناها هي تعبير عن القوم والأمة الذين يتخذونها ويرفعونها، وتعبير عن هذه القوة البشرية والجهة القومية أو الدينية أو غيرها التي تتخذ هذه الراية، وهذه الجهة إنما تتخذ هذه الراية المخصوصة وتصنعها وتجعلها معبرة عنها مميِّزة لها، منادية بدعوتها وعصبيتها، ناطقة بفكرتها وفلسفتها، ولذلك تجتهد كل جهة أن تجعل رايتها تعبر أصدق تعبير عنها، وهي كذلك دائمًا بلا شك، فوجه الارتباط (العلاقة) بين الراية التي هي العلم، وهي قطعة القماش، وبين الراية بالمعنى الذي نتحدث عنه هنا واضح جلي.

فالمسلم يقاتل تحت راية الإسلام دين الله الذي بعث به محمدًا ﷺ، والكافر يقاتل تحت راية قومه الكفار، تحت راية الكفر والشرك، يهودية أو نصرانيةٍ، أو وثنيةٍ أو مجوسيةٍ أو غيرها، سواء كان يرفع علمه الخاص (قطعة قماش) في ساحة المعركة أو لم يكن يرفع..!

الجندي الأمريكي: يقاتل اليوم تحت راية «الولايات المتحدة الأمريكية» بكل ما تعبر عنه هذه التسمية من عِرقٍ وقوميةٍ ودين ومعتقدات وفلسفات وما يسمونه بالقيم الأمريكية والحضارة والمدنية والثقافة الأمريكية والكبرياء والقوة والعصبية الأمريكية..!!

وبالجملة: الانتماء الأمريكي، أي الانتماء والولاء لهذه الدولة، فهو يقاتل تحت راية أمريكا.

والمسلم المجاهد: يقاتل تحت راية الإسلام، يقاتلهم تحت راية هذا الدين لا غير، ومن أجله لا غير، وبأحكامه لا غير..! فهو يقاتل تحت راية الإسلام؛ فإن كانت للإسلام دولةٌ فهي ترفع راية الإسلام، فهو تحت راية هذه الدولة الإسلامية، وإن لم تكن فالإسلام هو الراية على كل حال، وسواء رُفِعتْ (قطعة القماش) أو لم ترفع، فالراية هي ذلك المعنى الذي وصفناه.

❖ أخطاء شاعت في مسألة الراية:

شاع في هذا الباب بعض الأخطاء..

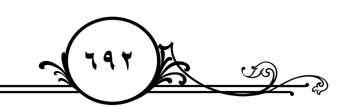
منها: أن الراية لا بد أن تكون موحدة تحت أمير عام أعظم للمسلمين حتى يكون الجهاد مشروعًا، وذلك لا شك في أنه خطأٌ لا صواب، بل الجهاد مشروع تحت راية الإمام الأعظم الممكن (الخليفة وما يقابله) أو بغيره، على تفاصيل تُذكَر في موضعها.

نعم.. يجب على المسلمين والمجاهدين خصوصًا أن يتحدوا ويكونوا صفًا واحدًا ويعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، وإنما الكلام في جعل ذلك شرطًا لمشروعية الجهاد على كل حال، فذلك خطأ.

وظن البعض أن الراية لا بد أن تكون سلفية تقية نقية مهذبة..! حتى يكون الجهاد مشروعًا تحتها، وذلك أيضًا خطأ؛ **فإن منهجنا نحن أهل السنة والجماعة أهل الحق الذين هم على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه أن الجهاد مشروع مع كل بر وفاجر من الأمراء والأجناد، ولله الحمد**، وهذا مبسوط في كتب عقائد أهل السنة وفي كتب الفقه أيضًا، وذلك لا ينافي وجوب استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح والدعوة إلى الخير، وإلى تكميل النقص بحسبه وعلى ضوء فقه هذا الباب وآدابه.

وذكر بعض أهل الخير في المسألة العراقية اليوم (أعوام بضع وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة) أنه لا توجد راية، فلا جهاد مشروع.!! وأخطأ القائل في ذلك خطًأ فاحشًا، أصلح الله شأننا وشأنه، وهو قول خارج عن أصول العلم والفقه..! عجيب من قائله..! ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولله ﷻ الحجة البالغة على خلقه، بل الراية كائنة موجودة ولله الحمد، فهناك جماعات وتنظيمات سنية سلفية مجاهدة، ولله الحمد والمنة والفضل، ومن كان له انتقاد على البعض أو لم يعرفهم، فله مندوحة في الكثيرين، ومن لم يعرِف فلا يحلّ له أن يتكلم عن جهل؛ فإن العبد يقول الكلمة لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا، وإن من أعظم الآثام رجلٌ صدَّ عن جهاد العدو الكافر الصائل بمثل هذه الحجج الواهية والداحضة..!

ثم على التسليم بعدم الراية.. فالجهاد مشروع بكل حال، لأنه جهاد دفع للعدو النَّصراني الصليبي الصائل الذي يفسد الدين والدنيا؛ وهذا واجب دفعه على المسلمين بالإجماع الأقرب فالأقرب إلى أن تحصل الكفاية في تحقيق المقصود، لا خلاف في ذلك، ولا يُشترط لمشروعية ذلك شرط..! وكلام العلماء في ذلك من كل المذاهب قديمًا وحديثًا في أروع ما يكون من القوة والوضوح، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



❖ معنى قوله ﷺ: (من قاتل تحت راية عمية):

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصر عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضربُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)[1] اهـ.

قال علماؤنا رحمهم الله: الراية العمية «هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه؛ كذا قال أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق ابن راهويه: هذا كتقاتل القوم للعصبية» قاله النووي في شرح مسلم[2]، وهي مأخوذة من العمى وهو الضلال وعدم البصيرة، فصاحبها يقاتل لا على الحق ولا على بصيرة من الله تعالى، بل يقاتل لهوى نفسه ونصرًا لقومه أو بلده ووطنه ودولته وما شابه، ذلك وبغضّ النظر عن كونه مع الحق أو لا، وبغض النظر عن كون ذلك محبوبًا لله عز وجل مأمورًا به في شريعته سبحانه أو لا.

فإذا عرفت أن من هذا حاله في قتاله قد أخبر النبي ﷺ أنه يموت ميتة جاهلية؛ أي يموت عاصيا لله تعالى، شبه ميتته بميتات أهل الجاهلية، يموتون على الباطل! فكيف بمن يقاتل على الباطل رأسًا وهو يعلم أنه على الباطل الواضح البين: يقاتل على الكفر والشرك ومحاربة الدين وينصر قوى الكفر والطغيان والضلالة والعهر والمجون والإفساد في الأرض؟! نسأل الله العافية والسلامة.. آمين.

وقوله ﷺ: (**يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة**) هو تفسير لقوله: (**من قاتل تحت راية عمية**).. بيانه أن جملة (**يغضب**) هي إما جملة مفسرة لا محلّ لها من الإعراب على قول أكثر النحاة، أو موضعها موضعُ ما تفسِّره على قول بعضهم، وهي كاسمها تفسيرٌ لما جرتْ عليه، أو هي جملة حالية فموضعها نصبٌ، وجملة الحال قيدٌ لعامِلها، أو هي على أضعف الاحتمالات جملة مستأنفة مبتدأة، فلا محل لها من الإعراب أيضا وهي حينئذٍ خارجة مخرج البيان لما قبلها، وعلى كل التقديرات: فإن جملة (**يغضبُ لعصبةٍ**) وما عطف عليها، هي تفسير وبيان ووصف وتقييد لقوله: (**من قاتل تحت راية عمية**) وهذا واضح إن شاء الله.

إذا تبين ذلك؛ فإن الذي يقاتل تحت راية عمية هو من يقاتل من أجل العصبة ويغضب للعصبة ويدعو إلى العصبة وينصر العصبة، أي لا على أساس الدين، **ومعنى العصبة**: ما يتعصب له الإنسان أي

---

(١) صحيح مسلم (١٨٤٨).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢ / ٢٣٨).

ينصره وينحاز له ويكون معه من القوم والوطن ونحوه، فهذا هو الذي يقاتل تحت راية عمية.

وها هنا مسألة: وهي من قاتل تحت راية (علم أو بيرَقٍ أو لواء أو بنْدٍ) لدولة أو جماعة هي على غير الحق، لكنه لا يقاتل لهذه العصبة ولا ينصر هذه العصبة ولا يدعو إليها، وإنما اتفق أنه قاتل معهم لغرض صحيح في نفسه، ويُتَصَوَّرُ ذلك في بعض الأحوال؛ كمن قاتل في وقت من الأوقات تحت راية بعض الحكومات الكافرة كمن قاتل في أول غزو أمريكا للعراق تحت راية «صدام» لدفع العدو الصليبي الصائل الأكثر فسادا للدين والدنيا، لأنه لم يكن يمكنه في وقت من الأوقات إلا ذلك لعدم وجدانه جماعة الحق وراية الحق، أو لعجزه عن الالتحاق بها.

وكمن قاتل مع بعض جيوش الكفار ضد كفّار آخرين لغرض تحصيل مصلحة راجحة للإسلام والمسلمين كنصر أحدهما على الآخر مما يؤول إلى نصر الإسلام، أو لتحصيل مصلحة التدريب والتعلم لفنون الحرب والعسكرية ونحو ذلك، وهذا قد أفتى به بعض الفقهاء قديما وحديثا.

لكن هذا يقدّر بقدره ويرجع فيه إلى مشاورة الفقهاء وقيادات المسلمين الموثوقة؛ فهذا بلا شك لا يدخل تحت قوله ﷺ: **(من قاتل تحت راية عمية**.. -إلى قوله- **ميتة جاهلية)**؛ لعدم وجود القيد والصفة التي بيناها، فمعنى الحديث إذن: من قاتل تحت راية عمية بهذا الوصف وهذا الشكل (المبين في نص الحديث)، فمات في تلك الحال فإنه عاصٍ مرتكبٌ كبيرةً.. والله أعلم.

❖ قتال المسلم تحت راية قومه في جيش المسلمين:

كان النبي ﷺ يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه، كذا جاء في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما في «المسند» وغيره، وإن كان الحديث في إسناده ضعف إلا أن له شواهد، فالمعنى ثابت إن شاء الله، ولهذا حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة»[(١)].

ومن شواهده: ما ثبت في «صحيح البخاري» من حديث مروان والمسور في قصة الفتح وقصة أبي سفيان قال: ثم مرت كتيبة لم يُرَ مثلها فقال: **(من هؤلاء؟)** قيل له: الأنصار عليهم سعد بن عبادة ومعه الراية، وفيه: وجاءت كتيبة النبي ﷺ ورايته مع الزبير.. الحديث[(٢)].

وهذا هو الذي كان يجري عليه عمله ﷺ مع أجناده؛ ولهذا أطلق علماؤنا القول بأن السنة أن يقاتل

(١) مسند أحمد (١٨٣١٦)، السلسلة الصحيحة (٣١١٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٢٨٠).

الرجل تحت راية قومه، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية؛ نقله عنه ابن كثير في «البداية والنهاية»[(١)]، وذكره غيره من العلماء أيضا.

وهذه جملة مما وقفت عليه الآن من السنة وعمل الصحابة:

- **أبو لبابة** رضي الله عنه: كان أحد النقباء وشهد أحدًا، ويقال: شهد بدرًا، واستعمله النبي ﷺ على المدينة وكانت معه راية قومه (وهم بنو عمرو بن عوف، من الخزرج) يوم الفتح، ومات في أول خلافة عثمان على الصحيح[(٢)].

- **وائل بن حجر** رضي الله عنه: كان على راية قومه يوم صفين مع علي[(٣)].

- **عوف بن مالك الأشجعي** رضي الله عنه: حمل راية قومه يوم الفتح[(٤)].

- **جابر بن عتيك** رضي الله عنه: كان معه راية قومه يوم الفتح[(٥)].

- **عبد الله بن الحارث** بن كثير أبو ظبيان الأعرج الغامدي رضي الله عنه: كان صاحب راية قومه يوم القادسية[(٦)].

- **خزيمة بن ثابت** رضي الله عنه: ذو الشهادتين، كانت معه راية قومه بني خطمة يوم الفتح[(٧)].

- **قتادة بن النعمان** رضي الله عنه: كانت معه راية قومه بني ظفر في غزوة الفتح[(٨)].

- **عبد الله بن زيد** بن عبد ربه الأنصاري صاحب الأذان رضي الله عنه: كانت معه راية بني الحارث بن الخزرج في غزوة الفتح[(٩)].

---

(١) في ذكره وقعة شقحب (١٨ / ٢٧).

(٢) فتح الباري (٣٤٨/٦)، تهذيب التهذيب (١٢ / ٢١٤). [المؤلف، عدا عزو التهذيب]

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٧٢/٢). [المؤلف]

(٤) الكاشف للذهبي (٢ / ١٠١)، مستدرك الحاكم (٦٣٢٣)، البداية والنهاية: حوادث سنة ثلاث وسبعين للهجرة (١٢ / ٢٢٢). [المؤلف عدا العزو]

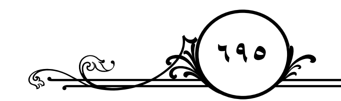
(٥) الإصابة (١ / ٥٦١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٤٣). [المؤلف، عدا العزو]

(٦) الإصابة (٤ / ٤٤). [المؤلف، عدا العزو]

(٧) صفة الصفوة لا بن الجوزي (٢ / ٢٣٩). [المؤلف، عدا العزو]

(٨) المستدرك للحاكم: باب ذكر مناقب قتادة بن النعمان الظفري (٥٢٨١). [المؤلف، عدا العزو]

(٩) المستدرك: باب ذكر مناقب عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري (٥٤٤٧)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٢٨٦٨). [المؤلف، عدا العزو]



- **مِخْنف بن سليم الأزدي** رضي الله عنه: وكان ممن خرج مع سليمان بن صرد في وقعة عين الوردة وقتل بها سنة أربع وستين، وكانت معه راية الأزد يوم صفين(١).

- **عمارة بن حزم** رضي الله عنه: كانت معه راية قومه مالك بن النجار في غزوة الفتح(٢).

- **قطبة بن عامر** رضي الله عنه: كانت معه راية بني سلمة يوم الفتح(٣).

قال العلماء رحمهم الله: «إنما كان ذلك مشروعا لما يتكلفه الإنسان من إظهاره القوة والجلادة إذا كان بمرأى من قومه ومسمع، بخلاف ما إذا كان في غير قومه فإنه لا يفعل كفعله بين قومه لما جبلت عليه النفوس من محبة ظهور المحاسن بين العشيرة وكراهة ظهور المساوي بينهم، ولهذا أفرد صلى الله عليه وسلم كل قبيلة من القبائل التي غزت معه غزوة الفتح بأميرها ورايتها؛ كما يحكي ذلك كتب الحديث والسير»(٤).

❖ فائدة؛ وهذا معنى من المعاني الشرعية الصحيحة للقومية:

وحاصله جعل الانتساب إلى القوم خادمًا للدين ومعينا عليه؛ فلا عيب أن ينتسب الإنسان إلى قومه يكون معهم، فهذا في الأصل شيء جبلي وعادي مباح ولله الحمد، وفيه خيرٌ وصلاح للجنس الإنساني، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات]، ثم يرقى لدرجة أن يكون مطلوبًا مأمورًا به استحبابًا أو وجوبًا حين يكون معينا على الدين خادمًا له وناصرًا، كما في قتال الرجل تحت راية قومه في حروب المسلمين مع الكفار كما تقدم، وقومُ الإنسان وأهله الأدنون أولى بمعروفه وصلته وإحسانه.. كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[الشعراء]، ومن لم ينفع نفسه وأهله وقومه أولًا فقلَّ أن ينفع الناس.!

ولعلي إن شاء الله أزيد هذه القضية توضيحا في حلقات أخرى إن شاء الله، ونتكلم عن دعوى القومية الجاهلية الفاسدة المصادمة للدين، وما شابهها من معاني الوطنية التي هي اليوم إحدى الضلالات العظيمة التي ابتلى به الناس وطال شررها حتى بعض المنتسبين إلى الدين والشريعة يا للأسف..!

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠ / ٧٨). [المؤلف، عدا العزو]

(٢) الإكمال -في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال- (ص ٣٠٣). [المؤلف، عدا العزو وتتمة الاسم]

(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٣٥)، الاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ١٢٨٢)، الإصابة لابن حجر (٥ / ٣٣٨). [المؤلف، عدا العزو]

(٤) نيل الأوطار: باب ترتيب الصفوف وجعل سيما وشعار يعرف وكراهة رفع الصوت (٧ / ٢٨٦). [المؤلف، عدا العزو]

رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.. آمين.

[الحلقة الثانية – مجلة طلائع خراسان، العدد الثاني عشـــر، شعبان ١٤٢٩]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمدٍ وآله وصحبه وجنده.. وبعد، فتتابع حديثنا، وهذه هي الحلقة الثانية:

❖ منقبة لعليّ رضي الله عنه:

(رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) أخبر أن الله تعالى سيفتح على يديه، وقد كان، ولله الحمد، وأخبر أنه يحبُّ اللهَ ورسوله، وأن الله يحبُّه ورسولُه ﷺ.. وهذه منقبة عظيمة يتمنّاها ويرجوها كل مسلمٍ صادق، ومن أجل ذلك: «بات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها».

❖ تنافس الصحابة رضي الله عنهم وتسابقهم إلى الخير والفضل والدرجات العالية:

قوله: «فبات الناس» أي أصحاب النبي ﷺ، حينما سمعوا منه تلك الكلمة التي فيها منقبة لمن يكون صاحبها، «باتوا يدوكون» أي يخوضون ويتحدثون في هذا الأمر يا ترى من يكون صاحب هذه المنقبة العالية؟، ومن هو صاحب الحظ الطيب الوافر من الفضل الذي أخبر النبي ﷺ أنه يحب اللهَ ورسوله ويحبُّه اللهُ ورسوله؟.

قال علماؤنا: ومما يبيّن لك فضيلة الصحابة رضي الله عنهم أنهم باتوا منشغلين في معرفة صاحب هذه الفضيلة يرجو كلٌ منهم أن ينالها، حتى إذا أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ كل واحدٍ منهم يرجو أن ينالها، وتطاولوا لها واستشرفوا –رغم بُعدهم عن الحرص على الإمارة– حتى غفلوا عن البشارة بالفتح (فتح خيبر) انشغالًا منهم واهتماما بفضيلة محبة الله ورسوله!.

فقوله: «**يدوكون**»؛ أي يخوضون ويتحدثون ويختلفون في هذا الأمر، وقوله: «ليلَتَهم»؛ بالنصبِ على الظرفية، فهو ظرفٌ للدّوكِ؛ المعنى: باتوا يدوكونَ طَوالَ ليلتهم، وقوله: «**أيُّهم يُعطاها**» جملةٌ حاليّة؛ فموضعُها نصبٌ، كأنه قال: باتوا يتحدثون طوال ليلتهم يتساءلون ويحزرون ويستظهرون: مَنْ يُعطى الراية؟.

قوله: «**فلما أصبح الناسُ غدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها**»؛ غدوا: أي ذهبوا إليه

صباحًا، وفيه إشارة إلى المبادرة والتبكير، وفيه دلالة على قوة الحرص على الخير والمسابقة إليه وقوة الاهتمام به كما تقدم، وكذا قوله: «**كلهم يرجو أن يُعطاها**» أي كل الصحابة، ولعله من العموم المراد به الخصوص، والمقصود والله أعلم: كل من تأهل في الجملة لنيل هذه المرتبة، وهم جماعة مقدمي الصحابة المقربين، والسادة السابقون من المهاجرين والأنصار ﭬ وأرضاهم، ومنهم عمر ﭬ، قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ؛ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها» رواه مسلم وغيره[١]، ومنهم بريدة بن الحصيب الأسلمي ﭬ، قال: «وأنا فيمن تطاول لها» رواه أحمد وغيره[٢].

وفيه كما تقدم حرص الصحابة على الفضيلة ومحبتهم للخير، رغم عدم حرصهم على الإمارة إلا أنهم هنا كان دافعهم الحرص على هذه الفضيلة والمنقبة العظيمة.

❖ فضل الله يؤتيه من يشاء:

قوله: فقال: (**أين علي بن أبي طالب؟**) فقيل: «هو يا رسول الله يشتكي عينيه»؛ لم يكن حاضرا ولعله حتى لم يسمع بالبشارة المجملة أمسِ، وهذا يبين لك أنه فضل الله يؤتيه من يشاء، وأنت ترى أن من حضر وحَرَصَ وغدا وتعرَّض لم ينلها، ومن لم يكن في وارد ذلك كله أتت إليه تسعى! لكن فضل الله تعالى له أسباب يجريها الله لمن شاء أن يكرمه من خلقه.. فما نال عَلِيٌّ هذه المنقبة إلا لما هيأه الله لها وقواه على تبوئها؛ بأسباب العمل الصالح والشكر والصبر والذكر والسبق إلى الخير.

جاء في لفظ آخر: «أنه كان به رمدٌ شديد»[٣].

قوله: «قال-أي الراوي-: فأرسَلُوا إليه، فأُتي به، فبصَقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية» فيه معجزة للنبي ﷺ، وهي من جملة معجزاته الكثيرة في إبراء المرضى وغير ذلك.

قوله: «**فبَرَأَ**» أي شفي من مرضه، وتعافى، وهو بفتح الراء أفصح، وفيه لغة أخرى: برِئ بكسر الراء، وهذه أكثر ما تستعمل في البراءة التي هي ضد الوَلاء.

❖ استلام الراية والتثبت من المهمة:

قوله: «فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟» لما تحققت فيه ﭬ الفضيلة والبشارة

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٥).

(٢) مسند أحمد (٢٢٩٩٣) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري (٣٧٠٢) ولم يذكر «شديد».

بالفتح، واستلم الراية، أخذها بحقها فسأل متثبتًا متحققًا مسترشدًا مستفهمًا عن الهدف والغاية من المهمة، وكان السؤال هو: «أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟» أي يكونوا مسلمين مثلنا؛ فالمراد بالمثلية هنا المثلية في صفة الإسلام، والظاهر والله أعلم أن مراده السؤال عما يقبل منهم وما لا يقبل، وعن الغاية التي ينتهي إليها قتالهم، أي نستمر في قتالهم حتى يدخلوا في الإسلام، ولا نقبل منهم شيئًا آخر غيره، أو يمكن أن نقبل منهم الجزية مثلًا أو غيرها؟

لماذا هذا السؤال دون غيره؟ الله أعلم..! وإنما قد نستظهر بعض الاحتمال؛ فيظهر أنه لم يسأل غير هذا السؤال لأن عامة الأحكام والأوامر العسكرية والسياسية كانت واضحة لا سيما وأن المسلمين استمروا أيامًا محاصرين للحصن يحاولون كل يوم فلم يفتح لهم، حتى جاءت البشارة من النبي ﷺ بالفتح على يده رضي الله عنه، فكأنه رضي الله عنه لما استيقن بالفتح بالبشارة النبوية رأى أن يستثبت من هذا الأمر وهو: نقاتلهم (وفي ضمن ذلك قتلهم) إلى أي غاية وَحَدٍّ؟ بعد أن يظهرنا الله عليهم، والله أعلم.

وفي لفظ آخر في صحيح مسلم وغيره: قال: «يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟، قال: (**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى**)»[1]، وظاهره الأمر بقتالهم حتى يسلموا، ولا يقبل منهم غير الإسلام، لكن الذي وقع بعد ذلك أنهم بعد أن كُسِروا، وأيقنوا الهزيمة.. نزلوا على حكمه ﷺ، وصالحهم على عمارة الأرض ما شاء الله.

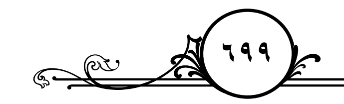
❖ جواب القائد المعلم القدوة ﷺ الذي يبهر القلوب:

فقال: (**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) اهـ.

وفي رواية مسلم التي ذكرناها قبل قليل: (**امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله تعالى عليك**)، قال (أي الصحابي راوي الحديث): فسار عليٌّ شيئًا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟ قال: (**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**).

وفي لفظ آخر -عند ابن أبي شيبة- قال: (**قم اذهب فقاتل ولا تلْفِت حتى يفتح الله عليك**)، فلما

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٥).



ففى كره أن يلتفت، فقال: «يا رسول الله، علام أقاتلهم؟» قال: (**حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها**)[1].

أكثر الروايات في الصحيحين هي: (**انفذ على رسلك**..) الخ، وأشرنا إلى بعض الألفاظ الأخرى، والقصة واحدة بلا شك، فلا يمكن الحمل على تعدد الواقعة.. وإنما الواقع أن الصحابة رووا بالمعنى وحفظ بعضهم أكثر من بعض.

وهاهنا فائدة من كتاب «حجة الله البالغة» للشيخ العلامة ولي الله الدهلوي رحمه الله

قال: «وكان اهتمام جمهور الرواة -عند الرواية بالمعنى- برؤوس المعاني دون الاعتبارات التي يعرفها المتعمقون من أهل العربية؛ فاستدلالهم بنحو الفاء والواو وتقديم كلمة وتأخيرها ونحو ذلك من التعمق، وكثيرًا ما يعبر الراوي الآخر عن تلك القصة فيأتي مكان ذلك الحرف بحرف آخر، والحق أن كل ما يأتي به الراوي فظاهره أنه كلام النبي ﷺ، فإن ظهر حديث آخر أو دليل آخر وجب المصير إليه»[2] اهـ، وهذا المبحث موضعه كتب أصول الحديث وهو متناثر في كتب أهل العلم، وشروح الحديث.

نرجع إلى الموضوع: فتحصل من مجموع روايات القصة وألفاظ الحديث فوائد وحكم بالغة، نذكر منها ما تيسر منها بفضل الله تعالى ومنه وكرمه:

باكورة الحِكَم: قوله (**انفذ**) مع قوله (**على رسلك**).

حكمة ثانية: قوله (**ولا تلتفت**).

حكمة ثالثة: قوله (**حتى تنزل بساحتهم**).

حكمة رابعة: قوله (**ثم ادعهم إلى الإسلام**).

حكمة خامسة: قوله (**وأخبرهم بما يجب عليهم**..).

حكمة سادسة: قوله (**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا**..).

فنسأل الله أن يعيننا على تدبر هذه الحكم وإبدائها للإخوان في أوضح صورة، وعلى الله الاتكال وبه المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به ﷻ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٨٨٢).

(٢) حجة الله البالغة (١ / ٢٦٦).

۞ الحكمة الأولى: قوله ﷺ: (انفذ على رسلك):

في الروايتين الأخيرتين: (**اذهب**) و(**امش**) وفي رواية ثالثة أيضًا: (**سِرْ**)[١] أمر من سار يسير، ومعنى (**انفذ**) هو هذا في الأصل، أعني معنى الألفاظ الثلاثة المذكورة، مع إضافة أخرى تتضمّنُها هذه اللفظة البليغة وهي: السرعة، والاستقامة، والمضاءُ في تصميم إلى بلوغ الغاية.

فكأنه قال: انطلق وسر في سرعة واستقامة ومضاء وتصميم إلى أن تبلغ هدفك، فكل هذه المعاني تضمنتها كلمة (**انفذ**)؛ فكلمة انفذ فيها إيحاء بالسرعة والنفوذ والمضاء والتصميم والاستقامة، ولعل ذلك ناشئ من كثرة استعمالها للسهم والحربة.

مختار الصحاح: «نفذ السهم من الرمية، ونفذ الكتاب إلى فلان، وبابهما دخل، [أي فالمصدر: نفوذًا، ولهذا عطف عليه فقال:] ونفاذًا أيضًا، وأنفذه هو، ونفَّذه أيضًا بالتشديد، وأمرٌ نافذٌ أي مطاع»[٢] اهـ.

وفي «مفردات القرآن» للراغب: «نفذ السهم في الرمية نفوذًا ونفاذًا، والمثقب في الخشب: إذا خرق إلى الجهة الأخرى، ونفذ فلان في الأمر نفاذًا، وأنفذته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾[الرحمن]، ونفذت الأمر تنفيذًا، والجيش في غزوه، وفي الحديث: (**أنفذوا جيش أسامة**)»[٣] اهـ، وانظر «النهاية في غريب الحديث»[٤] وغيره في معاني (**نفذ**).

لكنه ﷺ قال له: (**على رسلِك**) بكسر الراء على المشهور، ويجوز فتحها وكسر السين، أي على مهلك، وبرفق وتأن وتؤدة، والمقصود أنه ﷺ يقول له: انفذ إليهم على مهل وبرفق واتَّئِد في أمرك، وذلك يتضمن النهي عن العجلة والطيش والحركة الخارجة عن الرفق والتثبت، وهو لا ينافي الإسراع والسير بجد! كما قال الله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣]، وجاء في صفة النبي ﷺ أنه كان يسرع المشي، حتى كأنه ينحطّ من صببٍ[٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩]؛ أي فامضوا إليه مبادرين، أي على وجه لا يخل بالسكينة والوقار كما بينته صحاح الآثار.

---

(١) المستدرك (٤٣٤٢).

(٢) مختار الصحاح (ص ٣١٥).

(٣) مفردات القرآن (ص ٨١٧).

(٤) النهاية (٥ / ٩١).

(٥) سنن الترمذي (٣٦٣٧) وصححه الألباني، مسند أحمد (٧٤٦) وصحح إسناده أحمد شاكر، لكن حسنه الأرنؤوط لغيره.

فتحصل من ذلك مجموعة من الحكم النافعة مما ترشد إليه هذه الكلمات النبوية البليغة: النفاذ في الأمر، وهو السير والمضاء في جد واستقامة وسرعة، لكن هذه السرعة ليست بالعجلة ولا بالطيش، وإنما هي جدّ ونشاط في رفق وتمهّلٍ وتأنّ في الأمر وتثبّت، وبصيرة كاملة بمواضع القدم!

وهاهنا فوائد:

الإسراع والعجلة: هذه ألفاظ تتقارب أحيانًا أو تجتمع أحيانًا وتفترق أخرى؛ فالإسراع والسرعة في الاستجابة لأمر الله تعالى، والمسارعة والتعجيل والمبادرة أي التوجه إلى العمل دون إبطاء أو تأخير أو توان.. خُلُقٌ محمود أمر الله ﷻ به ورسوله ﷺ في مواضع، ومثلها المسابقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ..﴾[آل عمران: ١٣٣] الآية، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ..﴾[الحديد: ٢١] الآية، وقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٩٠]، وقال: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩] على معنى بادروا؛ على أحد الأوجه في تفسيرها.

وقال ﷺ: (**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**) رواه مسلم[١]، وقال: (**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال والدخان ودابة الأرض طلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم**) رواه مسلم أيضًا[٢]، ومعنى (**خويصة** -بالتصغير، أو خاصة بالتكبير- **أحدكم**): الموت، ومعنى (**أمر العامة**): القيامة.. كذا فسروها والله أعلم.

وقال ﷺ: (**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**)[٣]، ومعنى تعجيل الفطر: المبادرة إليه بدون تأخير بعد تحقق دخول وقت المغرب.

وأما الإسراع في أداء نفس العمل، بمعنى أن نؤديه بحركة سريعة لا بطيئة.. فهذا بحسبه، والغالب أن السرعة ليست محمودة فيه، بل يطلب فيه الرفق والتؤدة والمهل كما مرَّت الإشارة إليه، مثاله: الإسراع في حركات الصلاة ونقلاتها، والإسراع في المشي ونقل الخُطى، وفي الكلام وسرد الحديث، والإسراع في سائر حركات الإنسان الاعتيادية.. فهذه جميعها يُطلب فيها الاعتدال والتوسط والرفق، إلا أن يوجد موجب للإسراع فبحسبه، والله أعلم.. وأما العجلة والاستعجال فهي مذمومة.!

---

(١) صحيح مسلم (١١٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٤٧).

(٣) صحيح البخاري (١٩٥٧)، صحيح مسلم (١٠٩٨).

قال العلماء: العجلة هي تطلب الشيء قبل أوانه، قال الراغب في «مفرداته»: «العجلة: طلب الشيء وتحرِّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة؛ فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل: «العجلة من الشيطان» وقال تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه: ١١٤]، وقال ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه]، وقال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾[طه]، فذكر أن عجلته -وإن كانت مذمومة- فالذي دعا إليها أمر محمود، وهو طلب رضا الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل: ١]، وقال ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾[النمل: ٤٦]، وقال ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾[الحج: ٧٤]، وقال ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾[يونس: ١١]، وقال ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، قال بعضهم: من حمإ، وليس بشيء!! بل تنبيه على أنه لا يتعرى من ذلك، وأن ذلك أحد الأخلاق التي ركب عليها، وعلى ذلك قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾[الإسراء]»[1] اهـ، وقوله: «حتى قيل: العجلة من الشيطان» اهـ، هذا لفظ حديث كما سيأتي.

قال القرطبي عند قوله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٥٠]: «والعجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة، والسرعة عمل الشيء في أول أوقاته، وهي ممدوحة»[2] اهـ.

واعلم أن العجلة مركبة في الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾، ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ **ابتلاه الله ﷻ بها، وكلفه بالتثبت في أمره**؛ فالموفق من وفقه الله تعالى وسدده وأعانه على نفسه.

لكن قد يستعمل لفظ «التعجيل» وما يشتق منه مكان لفظ الإسراع ونحوه، من باب التقايض بين الألفاظ وهو من سعة اللغة وتسامحها؛ فليتنبه لهذا، كقول أبي بكرة رضي الله عنه: «كنا عند النبي ﷺ، فانكسفت الشمس، فقام إلى المسجد يجر رداءه من العجلة، فقام إليه الناس، فصلى ركعتين كما يصلون، فلما انحلت خطبنا».. الحديث، رواه النسائي[3]؛ فقوله «من العجلة» أي من الإسراع.

ومثله حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة، والعصر والشمسُ

---

(١) مفردات القرآن (ص ٥٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (٧ / ٢٨٨).

(٣) سنن النسائي (١٥٠٢) وصححه الألباني.

نقية والمغربَ إذا وجبتْ[١] والعشاء أحيانًا يؤخرها وأحيانًا يُعجّلُ؛ كان إذا رآهم قد اجتمعوا عجل، وإذا رآهم قد أبطأوا أخر، والصبح كانوا -أو قال: كان- النبي ﷺ يصليها بغلس» متفق عليه[٢]؛ فمعنى التعجيل هنا المبادرة بها وتقديمها في أول وقتها.

ومن ذلك حديث: «**إذا وضع عشاء أحدكم، وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه**»، وكان ابن عمر يوضع له الطعام، وتقام الصلاة، فلا يأتيها حتى يفرغ، وإنه ليسمع قراءة الإمام» متفق عليه، وهذا لفظ البخاري[٣]، وفي لفظ آخر له: (**إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه، وإن أقيمت الصلاة**)[٤].

ولذلك قد تجد في كلام العلماء ما تحتاج في فهمه إلى التفصيل المذكور؛ كقول الصنعاني في «سبل السلام»: «العجلة هي السرعة في الشيء وهي المذمومة فيما كان المطلوب فيه الأناة، محمودة فيما يطلب تعجيله من المسارعة إلى الخيرات ونحوها، وقد يقال: لا منافاة بين الأناة والمسارعة، فإن سارع بتؤدة وتأنٍّ فيتم له الأمران والضابط أن خيار الأمور أوسطها» اهـ[٥]، ونقل المباركفوري في «تحفة الأحوذي» عن القاري: «بونٌ بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات وبين العجلة في نفس العبادات؛ فالأول محمود والثاني مذموم»[٦] اهـ.

ومما سبق بيانه تعرف أن ما كان من الإسراع والسبق والمبادرة والتقدم مذمومًا اختصّ في اللغة بلفظ العجلة؛ فلفظ العجلة -في عُرف اللغة- هو لما كان مذمومًا من ذلك، هذا هو الغالب، ولذا ولم يجئ لفظ الاستعجال في القرآن إلا في سياق النهي والذم والعيب والنعي على المشركين.

قال العلماء: «ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، وعدوها قاعدة[٧]، وقالوا: دلت عليها دلائل من الشرع والقدر، وذكروا لها أمثلة في محلها، وهي بكل حال أغلبية، والله أعلم.

وقد جاء الحديث عن رسول الله ﷺ في ذم العجلة وأنها من الشيطان: عن أنس بن مالك ﷺ أن

---

(١) أي غربتْ أي الشمس. [المؤلف]

(٢) صحيح البخاري (٥٦٠)، صحيح مسلم (٦٤٦).

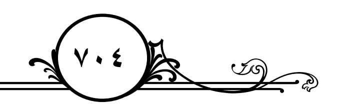
(٣) صحيح البخاري (٦٧٣)، صحيح مسلم (٥٥٩).

(٤) صحيح البخاري (٦٧٤).

(٥) سبل السلام (٢ / ٦٨١).

(٦) تحفة الأحوذي (٦ / ١٢٩).

(٧) نظمها الشيخ السعدي في «منظومة القواعد الفقهية» بقوله: مُعاجل الشيء قبل أوانه... قد باء بالخسران مع حرمانه.



النبي ﷺ قال: (**الأناة** -وفي لفظ: **التأني**- **من الله، والعجلة من الشيطان**) رواه الترمذي وابن أبي شيبة وأبو يعلى وغيره، وفيه بعض مقال معروف، وجود ابن القيم إسناده في إعلام الموقعين وصححه الألباني في «الصحيحة»: ١٧٩٥[١]، فالله أعلم.

ومن المواضع التي جاء النصُّ فيها على ذم العجلة ما ثبت في الصحيحين عن النبيّ ﷺ قال: (**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول دعوت فلم يستجب لي**)[٢]؛ فمعنى العجلة هنا: استبطاء الإجابة وعدم الصبرِ، فينشأ عنها ما أشار إليه من الظن السيء.

وفي رواية لمسلم وغيره: «(**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعةِ رحم، ما لم يستعجل**)، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال يقول: (**قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدعُ الدعاء**)»[٣]، قال العلماء: معنى (**يستحسر**) يَمَلُّ ويسأم ويعيى؛ فيترك الدعاءَ وينقطعُ، ويكون كالمانّ بدعائه، أو يظنّ أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، ومع هذا لم يُستَجَبْ له فيصير كالمبخل لربه سبحانه..!

وقد عقد الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» فصولًا للفرق بين أشياء، حري بكل مسلم أن يقرأها لأنها من صريح العلم النافع والفقه في الدين، وذكر منها فصلًا في الفرق بين المبادرة المحمودة التي يحبها الله، وبين العجلة المذمومة، فقال: «فصل: **والفرق بين المبادرة والعجلة**: أن **المبادرة** انتهاز الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها، **والعجلة**: طلبُ أخذ الشيء قبل وقته، فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها كلها؛ فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين: أحدهما التفريط والإضاعة، والثاني الاستعجال قبل الوقت، ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وَحِدَّة في العبد تمنعه من التثبّت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من

---

(١) سنن الترمذي (٢٠١٢) وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في «عبد المهيمن» وضعفه من قِبل حفظه، مسند أبي يعلى الموصلي (٤٢٥٦) وضعف إسناده محققه حسين سليم أسد، وقال ابن القيم في: إعلام الموقعين (٢ / ١٢٨): إسناده جيد، وحسنه الألباني في: الصحيحة (١٧٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٣٤٠)، صحيح مسلم (٢٧٣٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٣٥).

الشرور وتمنعه أنواعًا من الخير، وهي قرين الندامة فقلّ من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة»[١] اهـ.

❖ الحلم والأناة والتأني في الأمر كله، والسكينة والوقار:

في صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: **(إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة)**[٢].

قال النووي: «أما **الحلم** فهو العقل، وأما **الأناة** فهي التثبت وترك العجلة، وهي مقصورة[٣]، وسبب قول النبي ﷺ له ما جاء في حديث الوفد: «أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن الثياب ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبيّ ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: **(تبايعون على أنفسكم وقومكم؟)** فقال القوم: نعم، فقال الأشج: «يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه»، قال: **(صدقت، إن فيك خصلتين..)** الحديث».
قال القاضي عياض: فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدالُّ على صحة عقله وجودة نظره للعواقب» اهـ[٤].

وفي سنن أبي داود عن رجل كان في وفد عبد القيس قال: «لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته -أي حقيبته- فلبس ثوبيه، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال له: **(إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة)** قال: يا رسول الله**!** أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: **(بل الله جبلك عليهما)** قال: الحمد لله الذي جبلني خلتين يحبهما الله ورسوله»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة**

---

(١) الروح (ص ٢٥٨).

(٢) صحيح مسلم (١٧).

(٣) يعني أن لفظ الأناة مقصور أي بدون همز. [المؤلف]

(٤) المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج (١ / ١٨٩).

(٥) سنن أبي داود (٥٢٢٥).

والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) متفق عليه[(١)].

وعن أبي قتادة ﷺ قال: «بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: **(ما شأنكم؟)** قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: **(فلا تفعلوا؛ إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)** متفق عليه[(٢)].

وكان ﷺ في الحج يقول للناس: **(السكينة السكينة)** رواه مسلم[(٣)].

وسمع يوم عرفة وراءه زجرًا شديدًا وضربًا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: **(أيها الناس؛ عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع)** رواه البخاري[(٤)]، والإيضاع نوع من المشي سريعٌ، قال النووي ﷺ: «هذا إرشاد إلى الأدب والسنة في السير تلك الليلة ويلحق بها سائر مواضع الزحام»[(٥)] اهـ.

وكان ﷺ في حجته «يسير العنق وهو سير -متوسط-؛ فإذا وجد فجوة نص» متفق عليه[(٦)]، قال السندي: ««يسير العنق» أي السير الوسط المائل إلى السرعة، «فجوة» بفتح فاء وسكون جيم: الموضع المتسع بين الشيئين، «نص»: أي حرك الناقة ليستخرج أقصى سيرها»[(٧)] اهـ.

ومنه نعرف أن السكينة لا تنافي الإسراع في موضعه، والخير والحكمة: وضع كل شيء في موضعه الذي هو أليق به، والسَّكينة: بوزن «فعيلة» من السكون وهي الطمأنينة والوقار.

والسكينة يحبها الله تعالى، وهي جند من جنوده ﷻ ينصر بها من يشاء وينزلها على عباده المؤمنين ينصرهم ويكرمهم بها ويثبتهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح]، وذكر الله ﷻ السكينة في القرآن في ستة مواضع، وراجع للفائدة ما ذكره ابن القيم ﷺ في «مدارج السالكين» في «منزلة السكينة»[(٨)].

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٦) وهذا لفظه، صحيح مسلم (٦٠٢) بمعناه.

(٢) صحيح البخاري (٦٣٥) بنحوه بدون لفظ (فامشوا)، صحيح مسلم (٦٠٣) بمعناه لا بلفظه.

(٣) صحيح مسلم (١٢١٨).

(٤) صحيح البخاري (١٦٧١).

(٥) المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج (٩ / ٢٧).

(٦) صحيح البخاري (١٦٦٦، ٢٩٩٩، ٤٤١٣)، صحيح مسلم (١٢٨٦).

(٧) حاشية السندي على سنن النسائي (٥ / ٢٥٩).

(٨) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٠، ٤٧١)، وذكر هذه الآيات هي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]، الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ

ومما قال: «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها؛ من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: «اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قلبة»، وقد جربت أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته، وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقارُ والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات»[1] اهـ.

في الحديث الذي في صحيح مسلم: (.. **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ﷻ ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**)[2].

❖ معنى الجد والحزم:

يتضمن قوله ﷺ **(انفذ)** معنى الجد في الأمر، أي الجد في المضي لتحصيل المطلوب، كما سبق الإشارة إليه.

والجد ضد الهزل واللهو والتراخي والتواني والتفريط والتضييع، وقريبٌ منه معنى الحزم، وهو بضديّة التضييع والتفريط أخص، ومجموع الجدّ والحزم وصفٌ فاضلٌ ينفي الوهْنَ والعجزَ والضعفَ والتخاذل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾[آل عمران]، ومن الأخلاق المذمومة فينا التي يجب أن نتخلص منها ونتخلى، وبضدها نتحلى: ما نسميه بـ«اللامبالاة»، ومنها التضييع وقلة الحزم وضعف المحاسبة..!

يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، الرَّابِعَة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾الْخَامِسة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، السَّادِسة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]. الْآيَةَ.

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

فـ«**اللامبالاة**»: هي الاستهانة بالأمور وعدم الاحتياط، وترك الاستعداد والأخذ بالأسباب الممكنة، وبالجملة هي ضد قول النبي ﷺ: **(احرص على ما ينفعك)**[1].!

ومن التضييع وقلة الحزم: أنك ترى ولي الأمر (مهما كان الأمر والولاية: أبًا في أسرته أو معلمًا مع تلاميذه، أو أميرًا مع رعيته، أو غيره) لا يأخذ بأسباب تعليمهم وتفهيمهم وتحذيرهم وتدريبهم، ولا يحاسبهم إذا أخطأوا، ولا يتدرج معهم في الأمور فيبدأهم بصغارها حتى لا يخطئوا في كبارها..! ودليل ذلك أنك ترى الأخطاء تتكرر، ولا أحد يستفيد من التجارب، وتموت التجارب وتنسى وكأنها لم تكن..!!

وضعف المحاسبة: هو من أهم أسباب كل ذلك وهو في حد ذاته مرض خطير وسبب لأمراض أخطر، نسأل الله العافية السلامة، والذي يكرر الأخطاء ولا يستفيد من التجارب فهو بعيد جدًا عن النجاح، وقمينٌ بالفشل والسقوط.! والذي لا يحاسب نفسه -فردًا كان أو جماعة- هو كذلك.

ولعلنا نزيد هذه المعاني توضيحًا وبسطًا في حلقات أخرى بعون الله.

[الحلقة الثالثة - مجلة طلائع خراسان، العدد الثالث عشـر، محرم ١٤٣٠]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمدٍ وآله وصحبه وجنده، وبعد.. فنتابع حديثنا، وهذه هي الحلقة الثالثة، وما زلنا نتحدث عن العجلة والإسراع وما قاربهما من معاني:

❖ **فائدةٌ في قوله تعالى**: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]:

قال المفسرون ما حاصله: هذا سؤال لومٍ من الله تعالى لموسى في تعجّله وتقدّمه قومه مع أنه مأمور باستصحابهم وإحضارهم معه، وقصتها أن موسى لما واعده ربه ﷻ ثلاثين يوما جاء مع السبعين الذين اختارهم للقاء ربه ﷻ في الموعد في جانب الطور، ورأى موسى ﵇ على وجه الاجتهاد منه أن يتقدم قومه مبادرًا إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته وشوقا إليه ﷻ، فوقع العتاب من الله تعالى له في تقدّمه ذلك. والله أعلم.

في القرطبي: «قال ابن عباس ﵄: كان الله عالما ولكن قال ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾ رحمة لموسى

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

وإكراما له بهذا القول وتسكينا لقلبه ورقة عليه، فقال مجيبا لربه ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني، يقال: رجل عَجِلٌ وعَجُلٌ وعَجُولُ وعَجْلانُ بيّنُ العجلة، والعجلة خلاف البطء»[١] اهـ.

وفي البيضاوي: «﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ سؤالٌ عن سبب العجلة يتضمّن إنكارَها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهامُ التعاظم عليهم؛ فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدّم جواب الإنكار لأنه أهم؛ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ أي ما تقدَّمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتدّ بها عادةً، وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدَّم بها الرفقة بعضهم بعضا، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجِبُ مرضاتك»[٢] اهـ.

ونقل الألوسي عن بعض العلماء «أن المراد من سؤال موسى ﷺ عن سبب العجلة –وهو سبحانه أعلم– أن يعلّمه أدب السفر، وهو أنه ينبغي تأخر رئيس القوم عنهم؛ ليكون بصره بهم ومهيمنًا عليهم، وهذا المعنى لا يحصل مع التقدم، ألا ترى كيف علم الله تعالى هذا الأدب لوطًا فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾[الحجر: ٦٥] فأمره ﷺ أن يكون آخرهم» اهـ، ونقل عن بعضهم أيضا واستحسنه أن: «المعنى: أي شيء أعجلك منفردا عن قومك، والإنكار بالذات للانفراد عنهم؛ فهو منصبٌّ على القيدِ كما عُرف في أمثاله، وإنكار العجلة ليس إلا لكونها وسيلة، فاعتذر موسى ﷺ عنه بأني أخطأتُ في الاجتهاد، وحسبتُ أن القدر اليسيرَ من التقدّم لا يخلُّ بالمعيّةِ، ولا يُعدّ انفرادًا ولا يقدح بالاستصحاب، والحامل عليه طلب استدامة مرضاتك بالمبادرة إلى امتثال أمرك؛ فالجواب هو قوله: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ وقوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ هو كالتتميم له»[٣] اهـ.

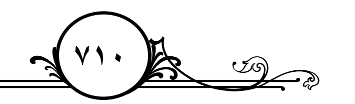
وإنما اعتنيتُ ببيان معنى هذه الآية الكريمة لإخواني؛ لما فيها من بيان كراهية العجلة على المعنى الذي وضحناه فيما سبق، ولأني رأيت بعض الناس يجعلون من قول موسى ﷺ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ شعارًا في بعض المناسبات، كضرورة خوض العمليات الفدائية (الاستشهادية)، وهي عندي جائزة ولله الحمد بشروطها، لكن لا يناسبها أن تجعل هذه العبارة شعارًا لها؛ فإن هذا إنما هو مقام الاعتذار عن الخطأ؛ فكيف يحسُنُ أن يجعَل شعارًا؟! والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١١ / ٢٣٣).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٤ / ٣٥).

(٣) روح المعاني للألوسي (٨ / ٥٥٢).



كيف وقد قال تعالى في الحديث القدسي: (**بادرني عبدي بنفسه؛ حرَّمتُ عليه الجنة**)[١]، وهذا من المبادرة المذمومة قطعًا ويقينًا بهذا النص وغيره، وهي من العجلة التي بيّنّاها، والتي هي من الشيطان، وهو من أدلة تحريم الانتحار تحريما شديدا جدًا.

وإنما جوّزنا الاستشهاد لأنه ليس بانتحارٍ (فرَّقنا بينه وبين الانتحار) وهو موضع ضرورة أو ما يقاربها لنصر الدين لا غير، وقد دلَّتْ عليه الأدلة كما هو مبسوط في موضعه؛ فهل يقول إنسانٌ إنه يصلح أن نجعل من عبارة هذا الحديث القدسي شعارا للقيام بالعمليات الاستشهادية فنقول مثلا: بادرتُك يا رب بنفسي؟! لا شك أن هذا خارج عن معاني البلاغة والذوق والأدب!! وبالله التوفيق.

وقد راجعتُ أكثر التفاسير المعتبرة لعلمائنا لأقف على معنى الفاء في قوله: ﴿**فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ**﴾[طه: ٨٥] فلم أرَ أكثرهم تعرّض له، حتى وقفتُ عليها في كلام الطاهر بن عاشور ﵀ في سفره الثمين «التحرير والتنوير»، قال: «والإعجال: جعْل الشيء عاجلًا، ولا استفهام مستعمل في اللّوْم. والذي يؤخذ من كلام المفسرين وتشير إليه الآية: أنّ موسى تعجَّل مفارقة قَومه ليحضر إلى المناجاة قبل الإبّان الذي عيّنه الله له اجتهادًا منه ورغبةً في تلقي الشريعة حسبما وعده الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور، ولم يراعِ في ذلك إلا السبقَ إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه، فلامه اللهُ على أن غفل عن مراعاة ما يحفّ بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذّرهم مكر من يتوسّمون فيه مكرًا، فكان في ذلك بمنزلة أبي بكرة حين دخل المسجد فوجد النبي ﷺ راكعًا فركع ودَبّ إلى الصف فقال له النبي ﷺ: (**زادك الله حرصًا ولا تَعُدْ**)[٢]، وقريبٌ من تصرّف موسى ﵇ أخذُ المجتهد بالدليل الذي له معارضٌ دون علم بمعارِضِه. **وكان ذلك سبب افتتان قومه بصنع صنم يعبدونه**.. وقوله هنا ﴿**هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي**﴾ يدل على أنّهم كانوا سائرين خلفه وأنه سبقهم إلى المناجاة، واعتذر عن تعجّله بأنه عجل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه، فقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ**﴾ فيه ضربٌ من المَلام على التعجل بأنّه تسبب عليه حدوث فتنة في قومه ليعلّمه أن لا يتجاوز ما وُقت له ولو كان لرغبة في ازدياد من الخير»[٣] اهـ.

وعليه.. ففي الآية بيانُ أن العجلة قد تتسبّب في نوعِ بلاءٍ وفتنةٍ، وإن وقعتْ عن اجتهادٍ أحيانًا، وفيه

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٣).

(٢) صحيح البخاري (٧٨٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٦ / ٢٧٧).

بيان أن الجزاءات القدرية لا تلازمُ الذنبَ.. وفي ذلك كله تمام التحذير من العجلة المذمومة، والله ﷻ أعلم وأجل وأحكم، وأستغفر الله من كل ذنبٍ.

ولعل «الفخر الرازي» أشار إلى هذا المعنى بقوله: «عرَّفه الله تعالى ما حدث من القوم بعد أن افرقهم مما كان يَبْعُدُ أن يحدث لو كان معهم فقال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾»(١) اهـ.

وأبدى الألوسي ﷺ في «روح المعاني» وجهًا آخر للفاء؛ فقال: «والفاء لتعليل ما يفهمه الكلام السابق، كأنه قيل: لا ينبغي عجلتك على قومك وتقدمك عليهم وإهمال أمرهم لوجه من الوجوه فإنهم لحداثة عهدهم باتباعك ومزيد بلاهتهم وحماقتهم بمكانٍ يحيق فيه مكر الشيطان ويتمكن من إضلالهم، فإن القوم الذين خلّفتهم مع أخيك قد فتنوا وأضلهم السامريّ بخروجك من بينهم فكيف تأمن على هؤلاء الذين أغفلتهم وأهملت أمرهم» اهـ(٢)، فالله أعلم.

(فائدة): في الآية استعمالُ لفظ العجلة في المعنيين: الممدوح والمذموم؛ فأما المذموم فظاهر في قول الله تعالى له: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾ كما سبق توضيحه.. وأما الممدوح (بمعنى المسارعة إلى الخيرِ) ففي قول موسى ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ﴾ وذلك أنه أخبر بما كان على حسبِ ظنه واجتهاده.. فيضاف هذا إلى ما قلناه سابقا.

❖ لكلِّ شـيءٍ إبّان:

هذه الكلمة من الحكمة التي ينبغي أن يحفظها شبابنا ويتشبّعوا بإدراك معناها، وهي في رأيي قاعدة دلَّت عليها سنة الله في خلقه، كما دلَّ عليها الشرعُ أيضا؛ فإن الله تعالى جعل لكل شيء وقتًا معلومًا، وجعل من أسباب نجاح العمل أن يصادفَ وقته المناسب الذي دلت عليه الدلائل التي نصبها الله تعالى عليه، من الشرع أو العقل والحسّ والتجربة ونحو ذلك، كما أن من أسباب ذلك أن يصادف محلّه القابل له، فمن طلب الشيء في غير محله وقبل وقته وقبل تهيؤ أسبابه وبلوغ أجله؛ فإنما يتعِبُ نفسه، ولن يجني إلا الشقاء دنيويًا أو أخرويا أو كليهما بحسبه!!

ويدخل في ذلك الثوراتُ والتغييراتُ الاجتماعية والسياسية؛ فإن أهلها إن لم يراعوا إبّانها وسائر أسباب نجاحها؛ فإن الفشل -بحسب سنة الله تعالى في خلقه- هو مصيرها؛ فلكل شيء إبّانُ..

ولكن هٰهنا تنبيه: وهو أنّ كلامنا هذا إنما هو في حال الاختيار، لا في حال الاضطرار.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٢ / ٨٦).

(٢) روح المعاني (٨ / ٥٥٣، ٥٥٤).

بيانه: أنّ القائمين بالثورة والخارجين على الدولة حيث وجدت الأسباب الشرعية للخروج والثورة، إن كان لهم مجالٌ للاختيار وسعةٌ في التأخير شرعًا؛ فعليهم أن يختاروا الوقت المناسب الذي تنضج فيه سائر أسباب النجاح وتكتمل وتتمّ، ويسعون في ذلك في تكميل الأسباب، وهو المعبَّر عنه في الفقه بوجوب الإعداد عند سقوط الجهاد للعجز.

أما إذا اضطروا وضاق عليهم الاختيار ولم يجدوا بُدًا من الخروج؛ لكون العدوّ فرض عليهم ذلك بحيث إن لم يخرجوا ويتحرّكوا الآن وقع عليهم ضرر كبير وفسادٌ عريض.. في حين أنهم إن خرجوا كان الضرر الواقع أقلّ بحسب توقّعهم الناتج عن دراسة ونظر جيد منصف في الأمور فإنا لا نمنعهم من الخروج -ما دام أصل الجواز والإذن موجودا شرعا-، بل نقول: توكلوا على الله وانطلقوا، لكن قد لا تصيبون كل الهدف ولا تحققون كل المراد، لأن الإبّان لم يحلّ، فوطّنوا أنفسكم على الاكتفاء بتحصيل ما يمكن من الأهداف الجزئية حيث لم يمكن الكمال، وأجركم على الله، فأنتم تشتغلون هنا تحت مبدأ «ارتكاب أخف الضررين».

وبالجملة.. فإن الخروج والثورة حيث قلنا بجوازها شرعا -لوجود أسبابها الشرعية كوجود الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان من السلطان- فهي جائزة لا نمنعها بحال، ولو خرج الرجل وحده، وقاتل حتى قُتِل..! ما لم نعلم أو نظن ظنا غالبًا أنّ خروجه يؤدي إلى منكر -فساد- أكبر مما هو موجود أصلا؛ لأن قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شريعتنا قاضية بذلك.

ولكن لأن المنكر -الفساد- الموجود أصلا هو الكفر المتمكّن، ثم سائر ما ينشأ عن سيطرة الكفر وتمكّنه في الأرض من فساد عريض؛ فإنه لا يكاد يُتصوَّر فساد أكبر منه، إلا في حالة واحدة قليلة الوجود وهي: أن يزداد الكفر قوة وتمكّنًا من البلاد وتحكما في العباد.

هذا هو الأساس، مع ما يضاف إليه من مفسدة مقتل هذا الخارج -أو الخارجين- وفنائهم، وتعطّل مصالح كانت متاحة أو فشل مشاريع جهادية ودعوية كانت ناشبةً وفي أطوار معينة، ومفاسد سفك الكثير من الدماء بغير حق من قبل الكافر، بسبب استثارتنا له.. وما شابه ذلك.. فهذا موضع اجتهاد.

فمن ظن أنّ الكفر لن يزول بخروجه بل سيقوى ويزيد تمكّنه، مع بقية المفاسد المشار إليها؛ فكفّ يده وترك الخروج، إلى أن يتهيّأ حالٌ يُظَنّ فيه تحقق النجاح، فهذا محتمل.

وحينئذ يبقى عليه واجب الإعداد بكل معانيه.

ومن قال: هذه مفاسد ظنية، وهذا الاحتمال -احتمال وقوع مفسدة أكبر على النحو الذي وضحناه-

احتمال ضعيف قليل الوجود، جوّز الخروج.

وصاحب هذا القول الأخير يقول: لا نسلِّمُ أنّ الكفر يقوى ويزداد فإن هذا شيء متوهّم، ولا يكاد يوجد في الواقع، بل هو إما أن يزول ولو طال عمر الثورة، وإما أن يضعف ويقل حرده وشره.. فإن زال وأقمنا حكم الله مكانه؛ فذاك غاية المطلوب ولله الحمد.

وإن لم يزُل فإنه يضعف ويقل شره، ويحصل في غضون ذلك مصالح عامة كثيرة دينية من قبيل تجريءِ قلوب المسلمين وتشجيعهم على منابذة هذا الكافر والسعي في التخلص منه، وإحياء مواتهم: موت الإرادة والعزائم، والموت الاجتماعي والنفسي، ونفض غبار الذل عنهم واستثارتهم لمرحلة قادمة وجولة آتية يكونون فيها إن شاء الله أقوى وأقدر، وينشأ فيهم جيل يعشق الحرية ويسعى في تحصيلها، ويقتدي بالأبطال الذين تقدموهم وضربوا لهم الأمثال:

وفي القتلى لأقوامٍ حياةٌ ... وفي الأسرى فدىً لهُمُ وعتقُ[1]

فإن الأمة إن لم يوجد فيها ذلك ماتت لا محالة، وبالجملة: فإن خروجنا وإن لم يكن يحقق الهدف الكامل المطلوب لكنه خطوة في الطريق الصحيح إن شاء الله، ونحن يكفينا ذلك، مع سلامة أدياننا -نحن في أنفسنا- من فتنة تسلط الكفار والنظام الكافر علينا، ومع ما نرجوه -وهو المطلوب بالقصد الأول- من فضل الشهادة والقيام بنصرة الدين بالمهجة والدم ونيل رضوان الله تعالى وأعلى الدرجات في دار كرامته.

وهذا القول الأخير هو الأرجح عندي، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وأستغفر الله تعالى من كل زلل.

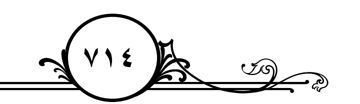
وهذا على كل حال موضع ينبغي الاعتناء بتحريره من قبل أهل العلم والرأي، نسأل الله أن يلهمنا وسائر أحبابنا الهدى والسداد... آمين.

[الحلقة الرابعة - مجلة طلائع خراسان، العدد الرابع عشـر، جمادى الآخر ١٤٣٠]

❖ توضيح معنى قوله ﷺ: (ولكنكم تستعجلون):

في صحيح البخاري: عن خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: (**قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له**

(١) قاله: أحمد شوقي، قصيدة «نكبة دمشق» انظر: الشوقيات (٢/ ٤٥٦)، وصوابه: «ففي القتلى لأجيال حياة .. وفي الأسرى فدىً..».



في الأرض فيجعل فيها، فيُجاءُ بالمنشار فيُوضَعُ على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[1] اهـ.

وهذا الحديث النبويّ الشريف قد كثر استدلال الدعاة والطوائف المختلفة في ساحة العمل الإسلامي به، كلٌ يستدل به على صحة طريقه واختياره من بين أفكار التغيير والإصلاح، والكلّ يذمّ الاستعجال ويحذّر منه وينهى عنه، وكثيرٌ منهم يصف مخالفيه بأنهم يستعجلون!!

والحاصلُ أن الجميعَ متفقون على ذم الاستعجال، وإنما الخلاف في الصور الواقعة في عمل الناس هل هي من الاستعجال أو لا؟.

ونحن نرجو التوفيق من الله تعالى في توضيح معنى هذا الحديث الشريف على الوجه الصحيح.

فاعلم يا أخي وفقنا الله وإياك إلى كل خيرٍ ورزقنا وإياك الهدى والسداد أن الاتفاق واقعٌ على ذمّ الاستعجال كما سبق بيانه بحمد الله، فهذا لا اختلاف فيه.

لكن ما معنى الاستعجال المذموم وما حدوده؟ وهل هذا التصرّفُ المعيَّن أو ذاك هو من الاستعجال المذموم؟ أو لا؟ هذا هو محلّ البحث والتحقيق، وهو الجدير بالتحرير والتدقيق، وهو المجال الذي يختلف فيه المختلفون، ويتنازع فيه الناس، والموفَّق من وفّقه الله تعالى ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾[هود]، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ١٠].

فلنستعن بالله تعالى ولنجبْ على هذا السؤال على وجه الإجمال أولًا، ثم نعرج على بعض التفاصيل ونوضّح بعض المعاني المستفادة من هذا الحديث الشريف، فنقول:

تقدّم توضيح معنى العجلة والاستعجال المذموم، وأنه: تطلّب الشيء قبل أوانه، ومعناه محاولة تحصيل الشيء قبل أن يحلّ وقته.! وهذا يتضمّنُ محاولة تحصيله قبل اكتمال أسبابه التي جعلها الله تعالى أسبابًا موصلةً له؛ لكن ما هو وقته؟ وكيف نعرفه؟ وما هي طرقُ معرفة وقتِ الشيء الذي نريد تحصيله، حتى لا نكون مستعجلين مذمومين بتطلّبه قبل وقته وإبّانه؟

والجواب: أن الوقتَ المناسبَ للشيء هو ما دلّ عليه الدليل الشرعيُّ من الكتاب والسنة وما في معناهما وما دلّا على اعتباره دليلا عند عدم النصّ أو الدلالة اللفظية منهما.

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٤٣).

وبالجملة فذلك منحصر في طريقين: إما طريق النص، أو طريق الاجتهاد؛ فإن وُجِدَ النصُّ فلا اجتهاد حينئذٍ، وإنما هو التسليم والإذعان والمبادرة إلى الفعل متوكلين على الله الحيّ القيوم.. فإن لم نستطعْ ووُجِدَ العجزُ، فحينئذٍ ننظر في المطلوب في تلك الحالة نظرًا جديدًا.

وأما إذا لم يُوجدِ النصُّ فالموضِع موضع اجتهادٍ؛ فلنجتهد على أصول العلم والفقه المضبوطة المعروفة عند أهل العلم، مستعملين تقوى الله تعالى والإخلاص له ﷻ، ولنقايس الأمورَ وننظر الأشباه والنظائر، ونستعمل الأدلة المتوافرة على حسب ترتيبها ودرجاتها، ونبحث عما نظنّ أنه الأقرب إلى مراد الله تعالى ومرضاته، مما يحصِّل المصلحةَ الدينية الأخروية أولًا، ثم المصلحة الدنيوية مهما أمكن أيضا.

ولا شك أن المقام الأول (النص) يجبُ ألا يكون فيه اختلاف بين أهل الحق، والمخالفُ فيه ملومٌ مؤاخذٌ، يُنكَرُ عليه ويعنَّفُ بحسبه وبشرطه.

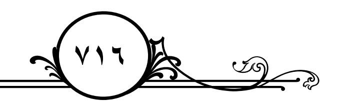
وأما الثاني (الاجتهاد) فهو موضع اختلاف الأفهام وتفاوتِ العقول والأذهان، ومجال جولة الفرسان وتصاول الأقران.! وهو ككل موضع اجتهاد في مسائل الدين والدنيا؛ مبناه على التوفيق أولا، بعد الأخذ بأسبابه والتوكل على الله تعالى وحده، كما قال نبينا ﷺ: (**احرصْ على ما ينفعُك واستعن بالله ولا تعجز**)[(١)]، وحينئذٍ إذا اختلف المختلفون: فواجبٌ عليهم أن يتأدبوا بآداب الاختلاف المعروفة، وأن يتحلّوا بفقه الخلاف المبيّنة في مواضعها من كتبِ أهل العلم.

ومن زاوية أخرى، فعندما قلنا في تعريف الاستعجال إنه: تطلّب الشيء قبل أوانه، ومعناه محاولة تحصيل الشيء قبل أن يحلَّ وقته، وإن ذلك يتضمّنُ محاولة تحصيله قبل اكتمال أسبابه التي جعلها الله تعالى أسبابًا موصلةً له؛ فإننا نلمِحُ إلى أن كون هذه الأسباب هي بالفعل أسبابٌ موصلة إلى ذلك الشيء المقصود يُعرَف أيضًا إما بدلالة الشرع -بأن يدلّ الشرعُ على أن كذا هو سببٌ لكذا- أو بدلالة الحسّ والواقع والتجربة -بأن يدل الحسّ والتجربة بأن كذا هو سببٌ لكذا-، وفي كلا طريقي الاستدلال مزلّات وأخطاء محتملة في النظر؛ فعلى المستدلّ التيقظُ وتكميل التحرّز والاحتياط في النظر، وتكميل آلات وأسباب النجاح وأن يستعين بالله تعالى ويقومَ مقامَ العبودية حتى يوفقه الله.. والله وليّ التوفيق.

فهذا جوابٌ إجماليٌّ ينبغي أن يكون لمريد الحق والخير قاعدةً وأصلًا لا يحيدُ عنه، وسندرُجُ بعون الله

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٦٩).



إلى أمثلةٍ من الواقع نبيّن فيها نماذج من الاستعجال المذموم، ونمحّص وننقد فيها دعاوى الاستعجال في أمثلة أخرى، وعلى الله الاتكال.

ونرجع إلى الحديث الشريف وما فيه من المعاني:

قصةُ الحديث أن الصحابة ﭫ شكوا إلى رسول الله ﷺ ما كانوا يلاقونه يومئذٍ من الأذى والشدة والتعذيب من كفار قريش، وطلبوا منه ﷺ أن يدعوَ اللهَ لهم ويطلب لهم من الله تعالى النصر.

والسؤال: هل في الحديث دلالةٌ على أن تصرُّفَ الصحابة هذا مذمومٌ يُنهَى عنه؟

والجواب -والله الموفق للصواب-: أن هذا يحتاج إلى شيء من التحرير: فالظاهر من قوله لهم (**ولكنكم تستعجلون**) أنه عدَّ تصرُّفهم هذا من الاستعجال، والاستعجالُ مذمومٌ.

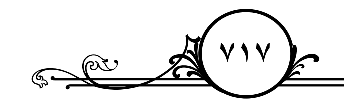
لكن ما هو تصرُّفهم الذي تصرّفوه ﭫ؟ هل هو مجردُ طلب الدعاء منه؟ أو أكثر من ذلك؟ الذي يظهر والله أعلم أن تصرّفهم الذي عدّه النبي ﷺ من الاستعجال ليسَ هو مجرد أنهم طلبوا الدعاء، بل يُحتَمَلُ أنهم وقعَ منهم نوعُ تضجّرٍ من الحال التي كانوا فيها، وهي حال الشدة التي يلقونها، وأنهم استعجلوا النصر على عدوّهم استعجالًا فطرياً طبيعيًا.

فأما كون استعجال النصر على العدوّ شيئا جبليًّا طبيعيًا مركبًا في الإنسان، فواضح معروفٌ لا إشكال فيه، وهو بمعنى محبة النصر عليهم عاجلًا والميل القويّ إلى ذلك، وعليه فهو مما لا يُلامُ العبدُ عليه، وحينئذٍ فقوله ﷺ لهم (**ولكنكم تستعجلون**) إنما هو لبيان الواقع، هذا بخصوص هذا الوجه.

وأما احتمال أنه قد وقع منهم (أي من بعضهم) بعضُ الضجر في بعض المرات من حال الشدة والكرب التي هم فيها ﭫ وأرضاهم؛ فغير مستنكر أيضا أن يقع ذلك من خيار الناس، فنبّههم النبيّ ﷺ إلى اجتناب ذلك وعلاجه، وعلّمهم وعلّم أمته من ورائهم علمًا نافعًا وحكمةً في هذا الموضع كما هي عادته الشريفة ودأبه ﷺ، بأبي هو وأمي، وجزاه الله عنا وعن سائر أمته خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمته، فكان من الحكمة الإضافية في ذلك: التشريعُ والتعليم للأمة.

يؤيّد ما قلناه خطابهم له بلفظ (**ألا**) وهي هنا للتحضيض، وهو حثٌّ بنوعِ إزعاج إلى المقصود، وتكاد روايات الحديث تجمع على هذا اللفظ، فهو محفوظ إن شاء الله

ضُمَّ إليه قوله (**شكونا**)، وقوله في بعض الروايات: «أتينا النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا، فجلس مغضبًا محمرًا وجهُهُ، فقال: (**إن من كان قبلكم ليُسألُ الكلمة فما يعطيها، فيوضع عليه المنشار فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه وإن**



كان أحدهم ليمشط ما دون عظامه من لحم أو عصب بأمشاط الحديد وما يصرفه ذاك عن دينه)» رواه أحمد وأبو داود وغيرهم، وهذا لفظ ابن حبان في «صحيحه»[(١)].

والغالب على الظن بل المتيقَّنُ أنه ﷺ لا يغضبُ ويحمرُّ وجهه من مجرد طلبهم أن يدعوَ لهم بالنصر، وإنما لشيء أكثر من ذلك اقتضاه.

وقولهم: «ألا تستنصر لنا»، أي تطلبُ لنا النصرة من الله على عدوِّنا، فيه إجمالٌ من جهة اشتراك لفظ النصر بين عدة معانٍ وصور، فيحتمل مما يحتمل أنهم تصوّروا النصرة على طريقة نصر الله تعالى أنبياءَه السابقين على عدوّهم بإهلاكهم.

ثم قوله لهم في الجواب (**قد كان الرجل فيمن قبلكم..**) الخ؛ أيضا مشعِرٌ بذلك؛ فإنه أحالهم على الأسوة والقدوة، وضربَ لهم المثل بمن قبلهم من الصالحين أتباع الأنبياء أنهم أوذوا وعُذّبوا أكثر مما تلاقون أنتم اليوم؛ فتمسّكوا بدينهم وثبتوا وصبروا، واختاروا دينهم وآخرتهم على إعطاء ما أراده الكفّار منهم، فاصبروا أنتم مثلهم وليكن لكم فيهم أسوة، ولا شك أن الحال كان يقتضي مزيد الصبرِ والمصابرة والتضحية من الصحابة رضي الله عنهم كما قد بيّنه علماؤنا رحمهم الله حينما تكلموا عن الحِكم الظاهرة في الأمر بالصبر والعفو والصفح ونحو ذلك، في تلك المرحلة.

وعلى هذا الوجه، فالاستعجال هو التضجّر واستبطاء النصر، مع أنه ينبغي أن يكون معلومًا أنهم الطبقة الأولى التي يقوم عليها الدين والتي يتعيّن عليها أن تصبِر على البلاء وتصابرَ وتضحّي وتبذلَ أكثر من غيرها، لما في ذلك من الحِكم العظيمة الظاهرة، ولما هيّأهم الله تعالى له من المراتب العالية الجليلة.! والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحاصل أن الدعاء على العدوّ، وطلب ذلك من الصالحين، ليس مذمومًا ولا يُنهى عنه، وليس في الحديث ما يقتضي أنه مذموم، وليس قوله (**تستعجلون**) راجعًا إليه بمجرّده، والنبيُّ ﷺ قد دعا على الكفار في مثلِ تلك الأحوال وفي غيرها كثيرًا، وهذا معروف في موضعه، والحمد لله رب العالمين، وكذلك سؤالُ الله النصر على العدوّ ليس مذمومًا في حالٍ من الأحوال، بل هو ممدوح محمودٌ مطلقًا، والنصر معناه الإعانة على العدوّ والظالمِ.

وهل دعا النبيُّ ﷺ لهم أو لا؟ وإذا لم يدعُ لهم فما تعليل ذلك؟

---

(١) مسند أحمد (٢١٠٦٩، ٢١٠٧٣) قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، سنن أبي داود (٢٦٤٩) وقال الألباني: صحيح، صحيح ابن حبان (٢٨٩٧).

الجواب: «قال ابن بطال: إنما لم يجب النبيُ ﷺ سؤالَ خباب ومن معه بالدعاء على الكفار مع قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] وقوله ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[الأنعام: ٤٣] لأنه علم أنه قد سبق القدرُ بما جرى عليهم من البلوى ليؤجروا عليها، كما جرت به عادة الله تعالى في من اتبع الأنبياء فصبروا على الشدة في ذات الله ثم كانت لهم العاقبة بالنصر وجزيل الأجر، قال: فأما غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلةٍ لأنهم لم يطلعوا على ما اطلع عليه النبيُ ﷺ» نقله الحافظ في «الفتح» وتعقّبه بقوله: «وليس في الحديث تصريحٌ بأنه ﷺ لم يدعُ لهم، بل يحتمل أنه دعا، وإنما قال: (**قد كان من قبلكم يؤخذ**) إلخ، تسلية لهم وإشارة إلى الصبر حتى تنقضي المدة المقدرة، وإلى ذلك الإشارة بقوله في آخر الحديث: (**ولكنكم تستعجلون**)»[1] اهـ.

وقول ابن بطال: «فأما غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلةٍ لأنهم لم يطلعوا على ما اطلع عليه النبيُ ﷺ» هو ﵀ اختار أن النبيَّ ﷺ لم يدعُ لهم هنا في هذه القصة، ثم علل ذلك بما ذكره من أن النبيَّ اطلعَ.. إلخ، ثم فرَّق بأن غير النبيّ لا يطلع على ذلك، فعليه أن يدعو.

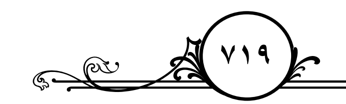
فيقال: صحيحٌ أن غيرَ النبيّ ﷺ لا يطّلع على ما يطّلع عليه النبيّ، إذا كان طريق هذا الاطلاع هو الوحي، ولكن قد يحصُلُ لغيرِ النبيّ من قادة الناس من عقلائهم وعلمائهم علمٌ مما يُعمَل به في الشرع (اليقين أو الظن الغالب) بطريقٍ من طرق حصول العلم الكسبيّ الاجتهادي الاستدلاليّ، فيعرِفُ أن الحكمة في موضعٍ ما تقتضي الصبرَ أكثرَ ومزيد التضحية وعدم الردّ على العدو وترك مقاومته بمثل فعله (بالحرب والقوة)، وترك استعجال النصر الذي هو بمعنى الغلبة والظهور على العدوّ، وترك طلب ذلك من الله تأدبًا وخضوعًا، فهذا إن شاء الله لا مانع منه.. والله أعلم.

[الحلقة الخامسة - مجلة طلائع خراسان، العدد الخامس عشـر، شعبان ١٤٣٠]

❖ تنبيه:

اعلم أن الكثير من طوائف العمل الإسلامي تلومُ المجاهدين أو مَنْ اشتهرت تسميتهم بالجماعات الجهادية أو التيار الجهاديّ في الحركة الإسلامية (إما عمومًا، أو طوائفَ منهم)؛ يلومونهم على الخروج على أئمة الردة ومنابذتهم بالسلاح، والسعي في تغييرهم بالقوة والحرب والعمل العسكريّ الجهاديّ، ويجعلون ذلك من الاستعجال المذموم، ويسوقون لهم حديث النبيّ ﷺ المذكور هنا وقوله في آخره:

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٣١٦، ٣١٧).



(ولكنكم تستعجلون)!!

وعند التأمل.. يظهر للباحث المنصف أن المجاهدين هم أسعدُ الناس بهذا الحديث، ولله الحمد والمنة، وأنه وإن توجّه إليهم أو إلى طوائفَ منهم اللومُ على الاستعجال في بعض الأوقات أو الأحوال، كما قد يقع الخطأ من غيرهم من سائر الناس؛ فإنهم في الجملة من أكثر المسلمين توفيقًا وتسديدًا، ومن أسعدهم بهذا الحديث وغيره.

بيان ذلك على وجه الإجمال: أن المجاهدين قائمون بفريضة الله تعالى في قتال هؤلاء الحكام المرتدين والسعي في إزالتهم وإقامة حكم الله تعالى مكان كياناتهم الجاهلية الكافرة، وأدلة الكتاب والسنة معهم في ذلك بشكل لا أوضح ولا أجلى منه، والحمد لله.

ومَن يستدل بهذا الحديث (ولكنكم تستعجلون) على المجاهدين ويخطئهم زاعمًا أن خروجهم على أئمة الردة استعجالٌ فهو مخطئ محجوجٌ، وذلك من وجوه:

أحدها: أن كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ كلها حقّ ووحيٌ ولا يعارض بعضها بعضًا، ونحن لا نضرب بعضها ببعض، بل نجمع بينها ونعمل بها كلها ونفهمها على الوجه الذي علمنا اللهُ ﷻ من رد المتشابه إلى المحكم، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب منابذة وقتال هذه الحكومات المرتدة، فإذا ثبتت الأدلة على ذلك -وهي ثابتة وفي غاية الوضوح- فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعارضها بنصوص مجملة مثل هذا الحديث الذي له معنى واضحٌ، ولكنه مجملٌ، وليس هو واردًا في خصوص هذه المسألة.!

وقد بيّنا أن الحديثَ دالّ على ذمّ الاستعجال، وعمومُ هذا المعنى مسلّمٌ (أنّ الاستعجالَ مذمومٌ)، إنما الإجمالُ في: ما هي الصورة التي هي استعجالٌ؟! مع ضميمةِ أننا لا بد أن نعتقد أن ما علمنا أنه حكمٌ شرعيٌّ ثابتٌ فلا يجوز أن يوصَف بأنه استعجالٌ.

الوجه الثاني: أن معنى الحديث: أنكم تستعجلون؛ فتريدون تحصيل النصر واكتمال الأمر وزوال كل شدة وكربٍ بغير الطريق المعتادة شرعًا وقدرًا، فنبههم ﷺ إلى سنة الله تعالى في خلقه من ضرورة حصول الابتلاء لأهل الحق، وضرورة الصبر على الأذى، والثبات حتى يأذن الله ويأمر بأمره ﷻ، وقد جاء أمرُ الله فعلًا فأمرنا ﷻ بأن نخرج على الحاكم الكافر وننابذه ونقاتله حتى نخلعه ونزيله ونقيم حكم الله مكانه، وأما حين قال النبي ﷺ تلك الكلمة لخباب بن الأرت والصحابة فإن أمر الله بالجهاد لم يكن قد جاء بعد، وهذا واضحٌ جدًا لمن تأمّله.! وقد بيّنا معنى الاستعجال المتوجه إليه الذم في قصة الحديث.

الوجه الثالث: ولو قال قائل: حالنا اليوم أشبه بحالهم ساعتئذٍ حينَ أمرهم النبيُّ ﷺ بالصبر وحذرهم من الاستعجال؛ فالجواب عدمُ التسليم بذلك، بل الفارق كائنٌ وكبيرٌ، فنحن قادرون اليوم على الجهاد، والجهاد قد شرع ووجب حيث كنا قادرين، ولسنا نخافُ اليومَ على الدعوة أن تستأصل حتى لو قُتِل منا الكثير، ونحن حين ظننا أن لنا قدرةً وطاقة وقررنا الانطلاق في العمل العسكري (الجهاد) فمعنى ذلك أننا قررنا أنه لا مفسدة في ذلك تربو على مفسدة وجود واستمرار الحكومة الكافرة المرتدة واستمرار السكوت عليها، فانتهى الإشكال.!

الوجه الرابع: أنه إذا تقررت الأدلة على وجوب الجهاد -في مثل أحوالنا اليوم- واضحةً بيّنة كثيرة متضافرة؛ فلا ينبغي للمسلم أن يعارضها بمثل هذه الأقيسة التي في ضمنها تعطيلُ أدلة الشريعة وتعطيل حكم جليل من أحكامها، بل ذلك هو فعل المفتونين وصفة الزائغين الذين ذكر اللهُ ﷻ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[آل عمران: ٧]، على أن هذه الأقيسة محتمِلةٌ للمقابلة بمثلها بل بما هو أقوى وأولى منها، وهو:

الوجه الخامس: أنه لو عكس خصمكم الدليل فقلبه عليكم، فقال: أنتم المستعجلون المذمومون في فعلكم، لأنكم تركتم طريق الجهاد والقوة وذات الشوكة التي أمر الله بها، وقامت عليها البراهين من كتابه ﷻ وسنة نبيه ﷺ وإجماع أهل العلم بهما، وهي طريقٌ طويلة وشاقة صعبة محتوية على عظيم الابتلاءات والتمحيص بالجراح والقراح والحرمان والبُعد عن الأوطان ومفارقة الخلان.. واخترتم طرقًا أخرى استسهلتموها (رأيتموها وظننتموها سهلة) استعجالا للتغيير (النصر والظفر في ظنكم) وطلبًا للراحة والسلامة وإشفاقًا على العيش الهنيّ أن ينخرم قانونه ويذويَ كانونه لم يكن مُبعِدًا، بل هو مستقربٌ جدًا، والله المستعان.!!

وتوضيحُهُ: أن الاستعجال الذي لاحظه الرسولُ ﷺ في حال خباب وصحبه ﷺ ساعتها، كان وجهه كذا وكذا، والاستعجال الآن في حالنا هذه هو كذا وكذا؛ فتأمل.!

نعم قد يُتصَوَّرُ أن يكون خروج بعض الخارجين على أئمة الكفر والردة استعجالًا في بعض الصورِ، وذلك إذا كان قبل استكمال الاستعداد والتهيؤ والأخذ بالأسباب الممكنة المتاحة، يعني أنه كان بإمكانه استكمالُ العدة والأخذُ ببعض الأسباب فترك ذلك وخرج بدونه، أو كان بإمكانه انتظارُ فرصته الجيّدة القريبة السانحة التي لاحتْ بوادرها وظهرت علاماتها وإرهاصاتها مثلا، فترك ذلك واستعجل الخروج ضجرًا..!

لا مجرد الخروج على أئمة الردة في حدّ ذاته، مع بذل الوسع في الأخذ بالأسباب الشرعية الممكنة المتاحة؛ فهذا واجبٌ شرعيّ ثابتٌ بالأدلة القوية البيّنة التي تقترب في قوتها من القطع، فكيف يكون استعجالًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.. وقد سبق شيءٌ من شرح ذلك عند قولنا: «لكل شيءٍ إبّان».

وقولي «ضجرًا» هو في قوة الصفة الكاشفة؛ فإن الخروج في مثل هذه الصورة التي وصفتُها لا ينفك عن الضجر، ولا يكاد يكون إلا عن تبرّمٍ وقلة صبرٍ وربما انضاف إليها قلة الفقه والبصيرة.

وهنا ألمِحُ إلى أسباب الاستعجال (المذموم): فأولها قلةُ الصبر.

ومنها -وهو فرعُهُ-: التضجّرُ والتبرّمُ من الحال والواقع، بدون النظر والتفكّرِ والتبيّن؛ هل التحوّلُ إلى الحالِ الآخرِ خيرٌ أو لا؟، وممكنٌ أو لا؟، بل طلبًا للتغيير مهما كان وعلى أي وجهٍ، حتى كأن التغييرَ مطلوبٌ لذاته، وإن إلى أسوأ.. فبان بذلك أن الأسباب إما راجعة إلى ضعفِ الإرادة أو ضعفِ العلمِ، أو إلى كليهما.

والله الموفق، وهو أعلم وأحكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأله تعالى أن يرزقنا الهدى والسداد.

ومن الفوائد في هذا الحديث، بالإضافة إلى ذم الاستعجال:

- قوله: (**والله ليتمّن الله هذا الأمر**) يعني الدين الذي بُعِث به ﷺ وهو الإسلام.

- قوله (**لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه**) فيه ذكرُ الخوف الطبيعي الذي لا يؤاخذ العبدُ عليه، والمعنى: لا يخافُ لصًّا ولا ظالمًا باغيًا، لتمام حصول الأمن، بانتشار الإسلام وحكمه وسلطانه.

- في الحديث حكمةُ التصبير للأتباع والتبشير في أوقات الأزماتِ والشدائد، وله أمثلة كثيرة في سيرة النبي ﷺ، كما بشرهم في أشد أيام الخوف في غزوة الخندق «الأحزاب» بفتح بصرى واليمن ومدائن كسرى، وغيرها، وهكذا على القيادات في أوقات اشتداد الكرب أن يستعملوا التبشير ورفع المعنويات وتثبيت الأتباع، بالحق والعدل.

- وفيه ذكرُ الأسوة بالصالحين السابقين في موكب الإيمان، والتذكير بالاقتداء بهم في الصبر واليقين.

- فيه من الفقه: فضلُ من صبر على القتل ولم ينطق بكلمة الكفر، حيث جاز النطقُ بها للمكرَهِ المعذَّبِ، ففيه الترغيبُ في هذا المقامِ لمن تعرّض له، نسأل الله من واسع فضله وعافيته.

❖ فائدة في معنى الرفق، وحث الشريعة عليه، وذم ضده وهو العنف:

الرفق هو: اللطفُ واللينُ واليسر والسهولة في معالجة الأمر، والعنف ضده وهو الشدة في معالجة

الأمر وتعاطيه، وقد جاء في الشرع المطهر مدح الرفق كثيرا، وذم العنف، ونذكر هنا طرفا مما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية، ثم نتكلم في فروع للمسألة:

- قال النبي ﷺ: (**إن الله رفيق يحب الرفق**) رواه البخاري ومسلم، وأحمد وأبو داود وابن ماجه، ولفظ البخاري وابن ماجه: (**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**)، ولفظ مسلم وأكثر الباقين: (**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**)[١].

- وقال ﷺ: (**من يُحْرَمِ الرفقَ يُحرم الخيرَ**) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم، ولفظ أبي داود: (.. **يُحرَم الخيرَ كله**)[٢].

- وقال ﷺ: (**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**) رواه الترمذي، وعند أحمد نحوه[٣].

- وقال ﷺ: (**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**) رواه مسلمٌ وأبو داود وأحمد وغيرهم[٤].

فهذه أصول الأحاديث في هذا الباب، ولها ألفاظ متقاربة، ولها موارد (قصص وردت فيها) تتّضح بها معانيها ويتبيّن بها فقهها وحدودها، كما سنشير إلى بعضها إن شاء الله تعالى.

ومن مجموع ما ورد في الكتاب والسنة في شأن الرفق واللين والرحمة والتلطف والتيسير، وأضدادها من العنف والشدة وما قاربها من معاني، نستطيع أن نخرج بالتوجيهات الآتية:

ألف: أن العدل والحكمة يقتضيان وضع كلٍ من الوصفين في محله اللائق به؛ فالرفق في موضعه والعنف في موضعه.

باء: ولذلك فإن خير الأخلاق أعدلها، و«العدل في الأخلاق» أصل من أصول التزكية، وراجع ما كتبه ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفوائد» في فصلٍ في ذلك[٥]؛ قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

(١) صحيح البخاري (٦٩٢٧)، صحيح مسلم (٢٥٩٣)، مسند أحمد (١٦٨٠٢)، سنن أبي داود (٤٨٠٧)، سنن ابن ماجه (٣٦٨٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٩٢)، مسند أحمد (١٩٢٠٨)، سنن أبي داود (٤٨٠٩)، سنن ابن ماجه (٣٦٨٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٠١٣) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٥٢٥٩، ٢٧٥٥٣).

(٤) صحيح مسلم (٢٥٩٤)، سنن أبي داود (٢٤٧٨، ٤٨٠٨)، مسند أحمد (٢٤٩٣٨).

(٥) الفوائد (ص ١٤٣، ١٤٤).

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[النور].

جيم: وأن المقصود بالرفق والرحمة والسماحة واللطف والتيسير المحمود والممدوح في الكتاب العزيز والسنة المطهرة؛ هو ما كان في محله اللائق به ولأهله.

دال: وكذلك العنف المذموم والشدة، المقصود بها ما كان في غير محله ولغير مستحقه وأهله، وإلا فإن العنفَ والشدة في محلها محمودةٌ مطلوبة بلا ريبٍ، كما تدل عليه الآيات المتقدمة مثلا، وغيرُها.

هاء: أنه ينبغي أن يكون الرفق هو الأصلَ وهو الغالب على الإنسان، ويكون العنف هو الاستثناء وهو الأقل وهو الذي يقدّر بقدره.

واو: وأن يكون الرفق هو الأسبق وبه تكون المبادرة، إلا أن يستوجب الحالُ عكسَه؛ جاء في الحديث في الصحيحين: (**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتي سبقت غضبي؛ فهو مكتوب عنده فوق العرش**) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلمٍ: (**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**)[(١)].

ولا يقال: هذا مبنيّ على التشبه بأفعال الله تعالى وصفاته، أو ما يسميه بعض أهل العلم الاقتداء بفعل الله، فإن هذا محل فيه تفصيل ويحتاج إلى مزيد تحرير، وليس الاعتماد هنا على مجرد ذلك، وإنما العمدة هنا أننا عرفنا أن الله ﷻ يحب من عبده ذلك، كما تدل عليه الدلائلُ الكثيرة.

قال الغزالي ﷺ في «الإحياء»: «اعلم أن الرفقَ محمود، ويضاده العنفُ والحدة، والعنفُ نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت؛ فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسنُ الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه.. -ثم ذكر طرفًا من الأحاديث والآثار، وقال:- وقال سفيان لأصحابه: «تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمورَ في مواضعها؛ الشدة في مواضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

(١) صحيح البخاري (٣١٩٤)، صحيح مسلم (٢٧٥١).

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى[1]

فالمحمودُ وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباعُ إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنًا كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحقُ الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا.

وقال عمر بن عبد العزيز ﵀: «روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإن الفهم في الخير زيادة رشدٍ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائبَ من خاب عن الأناة، وإن المتثبّت مصيبٌ أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العجِل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئًا، وإن من لا ينفعه الرفقُ يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي». وعن أبي عون الأنصاري قال: «ما تكلم الناس بكلمة صعبةٍ إلا وإلى جانبها كلمة ألينُ منها تجري مجراها». وقال أبو حمزة الكوفي: «لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه، فإن مع كل إنسان شيطانًا، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئًا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه». وقال الحسن: «المؤمنُ وقاف متأنٍ وليس كحاطب ليل».. فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنفِ قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعةٍ من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر»[2]، انتهى كلامه ﵀.

زاي: أن العنف المذموم والفحش قرينان، ولهذا جاء في أحد ألفاظ البخاري في حديث عائشة ﵂ المتقدم: (.. **يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**)، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟، قال: (**أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ**)، وفي لفظٍ لمسلمٍ: (**يا عائشة لا تكوني فاحشة**)، فقالت: أما سمعت ما قالوا؟، فقال: (**أو ليس قد رددتُ عليهم الذي قالوا؟ قلت: وعليكم**)، وفي لفظ آخر له: ففطنت بهم عائشة ﵂، فسبتهم، فقال رسول الله ﷺ: (**مهْ يا عائشة، فإن الله لا يحب الفُحْشَ ولا التفحش**)[3]، وفي لفظ ابن حبان في الحديث المتقدم: (.. **ولا كان الفحشُ في**

---

(١) قاله: أبو الطيب المتنبي، كما في: التمثيل والمحاضرة (ص ١١١).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٤ – ١٨٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٣٠، ٦٤٠١)، صحيح مسلم (٢١٦٥).

شيء إلا شانه).

وهذا محمول على أنه لفظُ النبي ﷺ، هذا هو الأصل، ويُحتَمل أنه ﷺ تكلم بهذه الألفاظ مجتمعة فذكر في كلامه لفظ (الفحش) ولفظ (العنف) فروى بعض الرواة هذا وبعضهم هذا، كما يحتَمل أنه تكلم بإحداها، فحفظ بعضهم نفس اللفظ، وروى بعضهم بالمعنى، وأكرم بهم من علماءَ بالمعاني ﷺ، والله أعلم.

والفحش عنفٌ لأنه شدة في القول في غير محلّها! فلو كان الكلام الفاحش -بحسب ما تعطيه اللغة- في موضعه المناسب -وهو قليلٌ جدًا- فإنه حينئذٍ لا يكون عنفًا ولا فحشًا شرعًا، كما جاء في الحديث: (**من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنّ أبيه ولا تكنوا**)[١]، وكما في قول أبي بكر رضي الله عنه لعروة بن مسعود الثقفي في الحديبية: «امْصُصْ بظرَ اللاتِ»[٢] وكان ذلك بحضرة النبيّ ﷺ؛ فهذا مما وافقَ محلَّه المناسبَ واللائق به، فكان حكمة ورشادًا وصلاحًا، وخرج عن كونه فحشًا أو عنفًا مذمومًا شرعًا، لكن لا بد أن يُعرَف أن هذا قليل جدًا، ويقدّر بقدره، ويُحتاط فيه ويُتثبَّتُ، والله أعلم.

حاء: الرفق في كل شيء ومع كل شيء حتى مع الدوابّ؛ عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**إن الله كتب الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليُرِحْ ذبيحته**) رواه السبعة إلا البخاريّ[٣]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا سافرتم في الخِصْب فأعطوا الإبلَ حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنَة فبادروا بها نِقيها، وإذا عرّستم فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدوابِّ ومأوى الهوام بالليل**)[٤]، وفي موطأ الإمام مالك مرسلًا: (**إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ويرضى به ويعين عليه ما لا يعين على العنف فإذا ركبتم هذه الدوابَّ العُجْمَ فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها وعليكم بسير الليل فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وإياكم والتعريس على الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الحيات**)[٥]، اهـ، وقصة البغي من بني إسرائيل التي سقتِ الكلبَ معروفة مشهورة[١]، وهديه

---

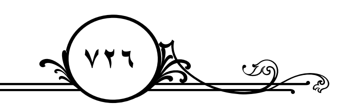
(١) مسند أحمد (٢١٢٣٤) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني في: الصحيحة (٢٦٩): هذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) صحيح البخاري (٢٧٣١) بلفظ: «ببُظرِ اللات»، مسند أحمد (٢١٢٣٤).

(٣) صحيح مسلم (١٩٥٥)، سنن أبي داود (٢٨١٥)، سنن الترمذي (١٤٠٧)، سنن النسائي (٤٤٠٥)، سنن ابن ماجه (٣١٧٠)، مسند أحمد (١٧١١٣).

(٤) صحيح مسلم (١٩٧٢).

(٥) موطأ مالك (٢٠٦٢)، وخرجه الطبراني متصلا في: المعجم الكبير (٨٥٢)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (١٧٧٠).



ﷺ وإرشادُهُ في حسن معاملة الحيوان معروفٌ.

واليومَ يتفاخر أهل العصر بمبدأ الرفق بالحيوان، وظنّ كثيرٌ من الغربيين أنهم أصحابه ومخترعوه وأنهم جذيله المحكك!! وما دروا أن ما نالوه من ذلك من الخير والصوابِ إنما هو وبيصٌ من أنوار النبوة وأثرٌ من أشعة الإسلام! فالحمد لله رب العالمين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

طاء: الرفق بالرعية: ومن الرفق رفق الأمراء والأولياء برعاياهم ومَن تحت ولايتهم بالتيسير عليهم وخدمتهم ورحمتهم والعطف عليهم والسعي في راحتهم ومصلحتهم؛ جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دعا: (**اللّهم مَن ولي من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**)(٢).

ياء: التيسير من معنى الرفق، وهذا مبدأ يحتاجه المجاهد أكثر من غيره، يدلُّ عليه كثرة وصاياه ﷺ لمبعوثيه وأمراء سراياه ودعاته الذين يبعثهم إلى الناس بنحو قوله: (**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفّروا**)(٣)، ولأن المجاهد خصيصةُ عملِهِ ولبُّه: الدعوةُ إلى الله تعالى وهدايةُ الناس والإتيان بهم إلى دين الله وتألفهم واكتسابهم؛ فهو محتاج إلى ذلك جدًا، وبقدر حظه من ذلك يكون حظه من الخير والنجاح.! وقد جاء في الحديث: (**بعثتُ بالحنيفية السمحة**) رواه أحمد والطبراني(٤).

قال العلماء رحمهم الله: حنيفية في التوحيد، سمحةٌ في الشرائع، والسماحة معناها قريبٌ من التيسير واللطف والتوسعة، وهي ضدّ التكلّفِ والعنف والتعسير والتضييق. وفي الحديث: (**رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**) رواه البخاري(٥).

وأهلُ الزيغ اليومَ يُكثرون من ترديد لفظ السماحة ويصفون الإسلامَ بأنه دينُ التسامح، وهم يريدون بذلك معنى فاسدًا مخالفًا لدين الإسلام؛ لأنهم يريدون به ما يلغي الولاءَ والبراء وبغضَ الكافرين ومعاداتهم والكفر بهم ومجاهدتهم، قاتلهم الله، وأما نحن أهل الإسلام والسنة والجهاد فنعرف السماحة والتسامح الحق الذي جاء به محمدٌ ﷺ، ونعرف حدوده وفقهه، والحمد لله رب

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٧)، صحيح مسلم (٢٢٤٥).

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٨).

(٣) صحيح البخاري (٦٩، ٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا).

(٤) مسند أحمد (٢٢٢٩١)، المعجم الكبير (٧٨٦٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٩٢٤).

(٥) صحيح البخاري (٢٠٧٦).

العالمين، اللّهم إنا نسألك من فضلك وعافيتك، ونسألك دوامَ التوفيق.

وسنضرب إن شاء الله في الحلقة القادمة أمثلةً على سماحة شريعة الإسلام في الجهاد وما يلحق به من أبواب معاملة الكفار.

[الحلقة السادسة - مجلة طلائع خراسان، العدد السادس عشر، محرم ١٤٣١]

❖ أمثلة على سماحة شريعة الإسلام في الجهاد وما يلحق به من أبواب معاملة الكفار:

اعلم أن جناية الكافر بكفرِهِ وتمرده على ربه وخالقه وبارئه الكبير المتعال ﷻ جنايةٌ عظيمة، وأنه بها مستحق لأقصى ما يمكن أن يُتصوَّر من العقوبة، وأن الكفر بالله ورسله ودينه هو أعظم فسادٍ في الأرض، وأعظم إجرامٍ، فإذا زاد الكافرُ على كفرِهِ المجرد كفرًا على كُفرٍ بمحاربة الدين (الإسلام) وأهله (المسلمين) وقتالهم وقتلهم وظلمهم واضطهادهم والسعي لإزالة سلطانهم الذي يُهيمِن فيه دينُ الله، ويُحكم فيه بشريعة الله، ليستبدُل به غيره[1]، وكل ما هو غيرُ الإسلام كفرٌ، ولينشأ عن ذلك ما ينشأ من فشوِّ معصية الله وعلو كلمة الشيطان وأمره؛ فقد بالغ في الإفساد والإجرام، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النحل]، ومن أجل ذلك.. فالكافر مستحق في الدنيا لأقصى العقوبات ومستحق، للإعدام (القتل) وأن يُنفى من هذه الحياة، كما هو مستحق لأقصى عقوبة في الآخرة.

ولذلك.. فالكافر في شريعة الإسلام غيرُ محترَمٍ، وماله غيرُ محترَمٍ، ولذلك يستحق القتل كما ذكرنا ويؤخَذُ مالُه وتُسبَى النساءُ منهم ولهنَّ في الشريعة أحكامٌ تُعرَف في بَابِها، إلا أن يعصمه عهدٌ من المسلمين، والحيوان المحترمُ خيرٌ منه في نظر الشريعة الإسلامية، قال الله تعالى في الكفار: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف]!، ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان]، وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال].

والكافرُ نجسٌ خبيثٌ غيرُ محتَرَمٍ ولا مؤتَمَنٍ، فإن الله ﷻ قد «أهان الشرك وأهلَهُ ووضعَهم

---

(١) في الأصل: «ليستبدله بغيره»، والمثبت هو الصحيح والمناسب للسياق.

وصغَّرهم وقمعَهم وخذَلهم وتبرأ منهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وقال: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التوبة]، وطبع على قلوبهم وخبَّث سرائرَهم وضمائرَهم؛ فنهى عن ائتمانهم والثقة بهم، لعداوتهم للمسلمين وغشّهم وبغضائهم، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[آل عمران]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾[النساء]»(١).

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴿٢٨﴾ ﴾[التوبة]، وقال في المنافقين إخوانهم الأخفياء: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[التوبة]، ومع ذلك فمن كرم الله وسماحة شريعته المطهرة وعلوّها فإن الشريعة الإسلامية تحترمُ إنسانيته بالقدر المناسب، إذ فيها أن الإنسان مكرّمٌ من حيث هو إنسان: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء]، ويظهر ذلك في آداب معاملته في القتل والقتال والأسر، من نحو إحسان القتلة والذِّبحةِ، وعدم ضربِ الوجه اختيارًا في حال القدرة عليه، وترك السب والشتم والتقبيح «الإنساني»، وحُسْنِ معاملة الأسير، وهذا له فقهه وآدابه، وستأتي الإشارة إليه في الأمثلة، وما بعد الموت، من الدفن بمواراة سوأتِه في التراب وستره في الأرض، واحترام جثته وإجلالِها حالِ الموت وعدم التمثيل بها.

ومع عظيم جُرم الكافر.. فإن الله ﷻ كثيرًا ما يستأني بهم حلما منه ﷻ ولطفًا، فإنه ﷻ أرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأخذ على نفسه ألا يعذِّبَ إلا من قامت عليه الحجة منهم ببعثة الرسل فبلغته آياتُ الله السمعية وأخباره وأوامره ونواهيه القولية التي بلَّغها الأنبياءُ المرسَلون عليهم الصلاة والسلام كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء]، وأخَّر أعمارَ الكثيرين منهم، وأعطاهم الفرصةَ بعد الفرصةِ ليؤوبوا إليه، صبرًا منه عليهم ﷻ وإعذارًا إليهم لأنه يحب العذر، وهو مظهَرٌ من مظاهر عظيم كرمه وحِلمه وكمال قدرته، كما قال النبي ﷺ: (**أعذر الله إلى امرئٍ أخَّر أجلَهُ حتى بلَّغه**

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٣/ ٢٣١، ٢٣٢). [المؤلف، دون العزو]

ستين سنة) رواه البخاري[(١)]، وقال: **(ليس أحدٌ أحبُّ إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل)** رواه البخاري ومسلم[(٢)]، وشرع لعباده المؤمنين الذين هم أولياؤه وجندُهُ المطيعون له أن يتركوا قتلَ الكثيرين من الكفار -مع استحقاقهم للقتل- استثناءً بهم؛ رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إليه فيسلموا ويعبدوه وحده لا شريك له، ورجاءَ أن يخرُجَ من أصلابهم من يعبُدُ الله ولا يشركُ به شيئًا، ومن ذلك الأصناف التي نهي عن قتلهم من الحربيين كالنساء والأطفال والشيوخ ونحوهم، وكالأحوال التي يترجَّحُ فيها تركُ قتلِ الكافرِ الحربي المستحق للقتل رجاء إسلامه أو إسلام قومه أو نحو ذلك، ومثلها حالةُ المنِّ على الأسير الكافر بإطلاقه مجّانًا.

فهذا كلُّهُ من سماحة الإسلام ورحمته حتى مع أعدائه المحاربين له، وهو جزءٌ يسير من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء]، وهي مقدمة مجملةٌ في الموضوع.

وسأذكُرُ في نقاطٍ نبذًا من شرائع الإسلام وأحكامه السمحة في معاملة الكافرين؛ ليتأملها أهلُ الإسلامِ ويتأملها مَن شاء الله من الكافرين أيضًا، والله ولي التوفيق.

١) **أوجب الإسلامُ العدلَ والإنصاف والقيام بالقسط مع كل أحد مسلم وكافر؛** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾[المائدة]، فحيث ثبَتَ وبان الحقُّ للكافرِ أقررنا به وأدّيناهُ إليه، والحقُّ هو ما أحقّه الله، وهو ما دلَّتْ عليه شريعتُهُ بأنواع الدلالاتِ المعتبَرَةِ، فاجْمَعْ هذا الكلام مع ما تقدَّم من الكلام على كون الكفر غيرَ محترَمٍ، ولذلك فأثر هذا المبدأِ إنما يتضحُ في الكافر ذي العهد (ذميّ، أو ذي صلح، أو ذي أمان)، وأمّا في الحربيّ (غير المحترَم) فبعض آثار مبدأِ العدل تظهرُ في بعض التفاصيل الآتية، وإلا فالحقُّ أن أعدل العدل في معاملته هو قتلُهُ وإعدامُه، ثم الفضلُ وهو درجةٌ أعلى من العدل -يعني أنها تتضمّنُ العدلَ مع الإحسان- أن يُستأنى به ويُعطى الفرصة للتوبة والإنابة؛ فأكرِم به من عدلٍ وفضلٍ، والله أكبر.!

٢) **شرع الله ﷻ لنا الحرب العادلة:** وهي الجهاد؛ فهي كلها عدلٌ؛ تقوم لسبب ولدوافع كلها عدلٌ وإحسانٌ، وتجري على وَفق العدالة والرحمة والإحسان؛ فإن كانت حرب دفعٍ فذلك ظاهرٌ عند المسلم والكافر، وأمَّا إن كانت حرب هجوم وفتحٍ، وهي التي يسميها أهلُ شريعتنا بجهاد الطلبِ فهي حربٌ

---

(١) صحيح البخاري (٦٤١٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٤١٦)، صحيح مسلم (٢٧٦٠).

من أجلِ إتاحة الفرصة لجميع البشر بأن يختاروا الإسلام إن شاءوا بأن تُوجدَ فيهم قوة الاختيار تامّة؛ لا يتسلط عليهم مَن يُجبِرهُم على اختيارٍ ويفتنهم ويتحكم فيهم ويصدهم عن سبيل الله؛ وذلك بإزالة الفتنة، وهي الطواغيتُ والسلطات الكافرة الحاكمة على الناس المتحكمة فيهم، فيتحرر الناسُ من هيمنتها ويصيرون قادرين على اختيار الإسلام إذا شاؤوا، وهذا الذي قال الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾[الأنفال: ٣٩]، والفتنة هي: القوةُ والسلطةُ الكافرةُ التي تفتن الخلق وتصدهم عن طريق الله؛ فهذا الجهاد كله من أجل الله، وفي سبيل الله؛ أي في طريق الله، وهي طريقُ الدين والشريعة، وجملتُهَا: الإخلاص والصواب، فهو في طريق الله من جهة المقصد والغاية، وفي طريق الله من جهة تفاصيل التصرّفات فيه وما يُفعَلُ وما لا يُفعَل، وهي الأحكام الشرعية الفقهية في الجهاد في الإسلام.

فليست الحربُ في الإسلام لمجرَّد الاستيلاء على خيراتِ الأقوام وأملاكهم أو لمجرد تعبيدهم وتسخيرهم، وإن كان ذلك يحصُلُ ضمنًا كليا أو جزئيا إذا هم رفضوا الإسلام وأبَوْه وقاتلوا المسلمين، إذ أباح الله للمسلمين أموالَ الكافرينَ الحربيين وسبيَهم واسترقاقَهُم كما تقدم؛ لكن هناك فرقٌ كبير بين الأمرين لمن أنصف وتأمل.

وليستِ الحربُ في الإسلام لنصرِ جنسٍ وقومية أو عصبية، ولا لمجرد الاستعلاء على البشر؛ بل هي حربٌ لإزالة الفتنة ودفع الظلم، وتحرير الناس، وإنقاذ المستضعفين ونشر دين الله (الإسلام)، ونصرِهِ وتثبيته وحمايتِهِ بحماية قاعدته على الأرض وهي دولة الإسلام وبلد الإسلام والاجتماع الإسلامي، وجعل كلمته هي العليا، ولذلك فلا اعتداءَ فيها، ولا غدرَ ولا خيانة، ولا فسوقَ ولا فجورَ ولا شيطَنَة -والعياذ بالله- بل نُبلٌ وطهارةٌ وصدقٌ ووفاءٌ والتزامٌ بدين الله وشريعته وحُسنُ خلقٍ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾[البقرة]، فالحمد لله الذي فضَّلنا وأعزَّنا بهذا الدين.

٣) **النهي عن قتل أصناف من الحربيين:** نهتِ الشريعة الإسلامية المطهرة عن قتل أصنافٍ من الكفار الحربيين، والمقصود بالحربيين: الكفار غير ذوي العهد بأنواعه الثلاثة؛ الذمة والصلح والأمان، فنهت عن قتل النساء والأطفال، وهذا ثابتٌ في الشريعة ثبوت القطعيات أو قريبًا منها، متفق عليه بين علماء الإسلام، ونهت عن قتل الشيوخ والرهبان في الأديرة والصوامع والمرضى الزَّمنى والعُمّال العسفاء الأجراء، وما شابههم من أصنافٍ؛ يشبه أن يكون الجامعُ لهم أنهم ليسوا ممَّن شأنهم الحربُ والقتالُ والصدُّ والمصاولة، على خلافات وتفاصيل بين علماء المسلمين في بعضِ الأصناف، وعلى

شرطٍ من الجميع دلت عليه أدلةُ الشريعةِ بأن لا يحصُلَ منهم (من تلك الأصناف) قتالٌ أو معاونةٌ ظاهرةٌ عليه ولو باللسان كالأشعار والغناء والتحريض.

٤) **إحسانُ القتلة والذِّبحة**: وهو من محاسن الشريعة الإسلامية، وترفُّعٌ عن مظاهر الغل والحقد المجرد، وسفاسف التلذذ بالعنفِ والقتلِ والدماءِ، وتربيةً وتأديبًا للمسلمين بأننا إنما نقتل من قتلناه من أجل الله لا من أجل أنفسنا، وإنما قتلناه لأنه ليس له دواءٌ إلا القتل، بمنزلة الكيّ الذي هو آخر الدواء، وفي كل ذلك إيماءٌ إلى تغليب الرحمة وإلى كمال الأدب، قال النبي ﷺ: (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وَلْيُحِدَّ أحدكم شفرتَهُ، وليُرِحْ ذبيحته**) رواه مسلم(١).

٥) **من آداب وفقه معاملة المغلوبين**: وهي كثيرةٌ وفي غاية السماحة وجامعةٌ لمعاني الرحمة والعدل والإحسان، ومنها: أن يترَك لهم ما يكفيهم من طعامٍ؛ قال علماؤنا: «ودُعُوا للإسلام، ثم جزيةٍ بمحَلٍّ يؤمَن وإلا قوتلوا وقتلوا إلا المرأة إلا في مقاتلتها، والصبيَّ والمعتوهَ: كَشيخٍ فَانٍ وَزَمِنٍ وَأَعْمَى وَرَاهِبٍ مُنْعَزِلٍ بِدَيْرٍ أو صومعة بلا رأي، وَتُرِك لهم الكفاية فقط واستغفر قاتلهم: كمن لم تبلغْهُ دعوةٌ وإن حيزوا فقيمتُهُم، والراهبُ والراهبةُ حُرَّان»(٢) اهـ.

الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: «من لا يجوز قتله من الراهب، ومن معه ممن ذكر فإنه يترك له قُوتُه من مالِهِ أو مالِ غيره من الكفار، وإلا وجب على المسلمين مواساتُهُ بما يعيش به، وقدمنا عن «خليل» أنه لا شيءَ على مَنْ قتل منهم أحدًا قبل الحوز إلا التوبةَ، وبعده يلزمه غرمُ القيمةِ إلا الراهب والراهبة فيلزمه ديتُهُما تدفع لأهل دِينهما»(٣) اهـ.

٦) **معاملة الأسرى والسبي**: ومنها شرعية المنِّ على الأسير؛ بإطلاقِ سراحِه بدون مقابل، توسعةً وقصدًا لإمالته إلى الإسلام أو تأليف قومِه على الإسلام أو نحو ذلك من المقاصدِ الحميدة، وعمومُ معاملة الأسير بالإحسانِ إليه بإطعامه وكسوته اللائقين، وعدم تعذيبه أو إهانته أو نحو ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإنسان]، فإن استُرِقَّ (جُعِل واتُّخِذ رقيقًا أي عبدًا مملوكًا، حيث أمكن) أو فودي به فذاك، وإن قُتِل فإحسان القِتلة كما تقدم.

---

(١) صحيح مسلم (١٩٥٥).

(٢) من مختصر خليل بن إسحاق المالكي (ص ٨٨). [المؤلف، عدا العزو]

(٣) الفواكه الدواني (١ / ٣٩٩).

وفي معاملة السبيِ من النساءِ والذُّريّة: حفظُهُم وصونُهُم وإكرامُهم وعدم التعرض للنساء حتى يُقسم السّبيُ، ثم من وقعَ في قسمته (نصيبه من القسمة) شيءٌ من السبي من النساء؛ فإنه يحرُمُ عليه وطؤُها حتى تُستَبْرَأَ بحيضةٍ إن كانت حائلًا، أو يَبِينَ حملُها فلا تُوطأ حتى تضعَ، ويحرُمُ في معاملة السبي من النساء والصبيان التفريقُ بين ذوي الأرحام الأدْنَيْن، كالوالدة وولدها، وما أعطي حكمَه.

٧) **تحريم الغدر**: وذلك أصلٌ عظيمٌ في دين الإسلام ومن محاسنِ شريعته الغراء، وأكرمْ به من أصلٍ في مكارم الأخلاق وكمال الفضائل والرجولة والفحولة.

٨) **باب الموادعة (المهادنة) للكفار**: وعقد الصلح معهم على وقف الحرب والقتال، شرعته الشريعة الإسلامية لما فيه من الحِكَم، وفيه رحمةٌ وفوائدُ للجميع، يعرفها أهل الحرب وغيرُهم.

٩) **باب الأمان**: وهو إعطاءُ الأمان للكافر الحربي الذي له حاجةٌ في دخول حوزةِ المسلمين، فيأمَنُ على نفسه وماله، وإليك هذا الأنموذَجَ فضُمَّه إلى ما تقدم: «ذهب الحنفيةُ إلى أنه إذا دَخل الحربيُّ بمال التجارة إلى دار الإسلام بأمانٍ يؤخذ منه عُشر مالَه إذا بلغ المالُ نصابًا، وهذا إذا لم يُعلَم مقدارُ ما يأخذون منَّا، فإن عُلِمَ مقدارُ ما يأخذون منا أخذ منهم مثلُهُ مجازاةً، إلا إذا عرف أخذهم الكلَّ فلا نأخذُ منهم الكلَّ بل نترك لهم ما يبلغهم مأمنهم إبقاءً للأمان»[1] اهـ.

١٠) **باب الذمة**: وهو أن يعطى الكافرُ عهدًا مؤبَّدًا بالأمان ويكون في ذمة المسلمين وتحت حكم المسلمين، ويكون من رعايا الدولة المسلمة، يدافعُ عنه المسلمون ويحمونه.. في مقابل أن يدفَع الجزية عن يدٍ صاغرًا وذلك بالتزام شروطٍ موضَّحة في بابها، وإن ظهر في بعض تلك الأحكام والشروط قسوةٌ على الكافر الذّميِّ لما فيها من الإذلال الظاهر له، وعدم تكريمه، فإن ذلك لا ينافي العدلَ، بل هو صميم العدلِ وزيادةٌ بالإحسان والرحمة، لمن تأمل وأنصف؛ لأن الكافرَ مستحقّ للإعدام وأقسى العقوبة أصلا كما تقدم لعظيم جرمِه، والجهلة قليلو الإنصاف والحِكمة من الكفار ومَن تأثّر بهم وتلوَّث بثقافتهم اليومَ، تُنكرُ قلوبهم ذلك ويشنّعون على الإسلام وأهله بأن هذه الأحكام منافيةٌ للعدل وحقوق الإنسان زعموا!! ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[النجم: ٣٠]، وما مثلُهُم في أحسنِ الأحوال إلا كما قيل: علمتَ شيئًا وغابت عنك أشياءُ، وإنما أُتُوا من ظنهم أن العدل هو التسوية بين الناس مطلقًا؛ فجعلوا العدل هو مطلق التسوية، وليس كذلك؛ بل هذا من الخطأِ والفسادِ، وإنَّما الحقُّ أن العدل هو التسويةُ

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ١٠٤). [المؤلف، عدا العزو]

بين الأشياء المتماثلة التي لا فرقَ معتبرًا بينها والتفريقُ بين الأشياء المختلفة نوعَ اختلافٍ يوجب الفرقَ بالدليل، وأيُّ تشابهٍ وتساوٍ يثبتُ بين المسلم والكافر؟ سبحان الله! قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[القلم]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[ص]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[السجدة].

على أن مما يظهَرُ فيه سماحة الإسلام وفضلُهُ ومحاسنُهُ في هذا الباب أشياء كثيرةٌ أخرى منها: مقدارُ الجزية إذ هو مقدارٌ يسير جدًّا دينارٌ أو ما يعادِلُه أو تزيدُ قليلًا، إذا كان الحالُ أوسعَ أو تنقص بحسبه، على كل حالمٍ (بالغ) قادرٍ، في السَّنة.. فهو مع صغر حجمه لا يؤخذ من الصبيّ ولا من المرأة، ولا من المُعدَم غير القادر.

على أن من أنصفَ وبحث فإنه لن يجد أحكامًا أعدل ولا أفضلَ وأحسنَ من هذه في معاملة المغلوبين والرعايا للدولة المخالفين لها في الدين، ومن طالع التاريخ قديمه وحديثَه عرف! فإن الدولة إذا قامت على أساسٍ ديني مهما كان؛ فسيتضحُ للباحث بكل سهولة عظمةُ سماحة الإسلام وشرائعه وأنه لا نظيرَ لها أبدًا، وإن قامت الدولةُ لا على أساس الدين بل على الكفر بالدين وتنحيته واستبعادِهِ؛ فذلك شر عظيمٌ مغمورٌ في جنبه كل ما يمكن أن يتخيله الإنسانُ شرًّا.!!

وأنظمة العالَم الغربي اللادينية اليوم وإن تشدَّقَت بشعارات الحرية والحقوق في ظل نظامهم الخادع ودينهم المسمى بالديمقراطية؛ فإن ظلمَهم لأهل الدين الإسلاميّ دينِ التوحيدِ (عبادة الله وحده لا شريك له، واتباع رسوله محمد ﷺ ورسالته الخاتمة الناسخة لما سواها)، هو ظلمٌ واضطهادٌ مستمرٌّ، إنْ على المستوى الرسمي أو الشعبي أو كليهما، وبأشكال «قانونية» وغير قانونية، بالتخويفِ والإرهابِ والتضييق والتمييز والاحتقار والاعتداء والإضرار والإيذاء، ولن يتوقف ذلك إلا إذا أسلموا هم أو كفر من تحت سلطتهم من المسلمين -والعياذ بالله- أو اتخذ سبيل الفسق والفجور أو داهن، ولن يسلَمَ.! نسأل الله العافية والسلامة.

فالكفار إذا غلبوا وكانت لهم الدولة؛ فإن ظلمهم واضطهادهم للمسلمين كبيرٌ، وإن ادّعوا ما ادعوا؛ فإنهم يتلاعبون بالقوانين والمبادئ المعلَنة كيفما شاؤوا، ولن تغني الشعاراتُ شيئًا؛ لأنهم يتصرّفون على وَفق أهوائهم ومحابّ نفوسهم ومصالحهم كما يرونها، وبئسَ ما يرونَ وهم ليس عندهم تقوى لله ولا خوفٌ منه وخشية ولا إيمان حقيقي معتبَر باليوم الآخر، وأما المسلمون عندما يغلبون وتكون لهم الدولة؛ فإن الإسلام يقولها للكفار الذين تحت رعايته وسلطانه صريحةً واضحةً صادقة شفَّافةً: لكم من المعاملة كذا وكذا، وتستحقون كذا وكذا، بلا خداع ولا كذبٍ ولا تجمُّلٍ زائف ولا

«لفٍّ ولا دورانٍ»، وهذا ما تستحقونه من معاملة ويليق بكم، ولن تجدوا خيرًا منه، وأهلُ الإسلام هم أهلُ تقوى وخوفٍ من الله ومراقبةٍ وصدقٍ وطاعة ظاهرةٍ وباطنةٍ، والحمد لله رب العالمين.

وهذا مما يوضح لك معنى «الواقعية» التي يذكرها علماؤنا وأدباؤنا والتي هي من خصائص دين الإسلام، وهي حقٌّ.

١١) **وقد أوصتِ الشريعةُ المطهرةُ خيرًا بأهل الذمة والمعاهَدين والمستأمنين**، وجعلت لهم أحكامًا وحقوقًا، وهي راجعةٌ إلى احترامِ وتعظيمِ «عهد الله» و«ذمةِ الله وذمة رسوله ﷺ»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(من قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا)** رواه البخاري[1]، وأَمَرَت بالإحسان إلى أهل الذمة وحسنِ معاملتهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: «أوصي الخليفةَ من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرًا، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ؛ أن يقبل من محسنِهم، ويُعفى عن مسيئهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يُقَاتَل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم» رواه البخاري[2]، وهم داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[الممتحنة: ٨].

١٢) **ومن أعظم مقاصد الإسلام في هذا الباب مقصِدُ الهداية للخلق**، بحيث يتعرَّض الكافرُ الذميُّ لفرصةٍ كبيرةٍ للتعرف على الإسلام ورؤية محاسنه ورِفعَةِ آدابه وعلوّ شأنه، وما في أحكامِه وفقهه من إتقانٍ شاهدٍ بأنه من عند الله، وما فيه من الرحمة والعدل والإحسان والصلاحِ والطهارةِ والكرامة والكمال والجمال، ومدى تأثيره الطيب الجميل على النفس والاجتماع البشريّ، وأنّه خيرٌ كله وصلاحٌ وبركةٌ.. ويعرف -إن كان يريد أن يعرف- أنه الحق المبين من عند الله رب العالمين؛ فيُسلِمُ، وهذا من معنى قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[3]، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **(عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)** رواهما البخاري[4]، قال العلماء: معناه

---

(١) صحيح البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤).

(٢) صحيح البخاري (١٣٩٢).

(٣) صحيح البخاري (٤٥٥٧).

(٤) تقدم الأول، وأما الثاني ففي: صحيح البخاري (٣٠١٠).

يُؤسرون ويقيَّدون ثم يسلمون فيدخلون الجنة.

١٣) **الإحسان إلى الوالدين الكافرين، وصلة الرحم الكافر**: قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]؛ وهذه معانيها واضحةٌ بينة لمن يريد التأمل ومعرفة الخير والحق والهدى الذي فيها فليراجع التفاسير، والحمد لله رب العالمين.

قال ابن القيم ﵀ على آية الممتحنة هذه: «فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفارَ أولياءَ وقطعَ المودةَ بينهم وبينهم، توهَّم بعضُهم أن بِرَّهم والإحسانَ إليهم من الموالاة والمودة؛ فبين الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه، وكتبه على كل شيء، وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة»[1] اهـ، وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: «قَدِمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم فاستفتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله قدمتْ عليَّ أمي وهي راغبةٌ؛ أفَأَصِلُ أمّي؟ قال: (**نعم صلي أمكِ**)»[2].

فهذا بعضُ ما تيسر ذكره من الأمثلة على سماحة الدين الإسلامي في معاملة الكفار، نسأل الله برحته التي وسعت كل شيءٍ أن يرحمنا.

[الحلقة السابعة – مجلة طلائع خراسان، العدد السابع عشـــر، رمضان ١٤٣١]

❖ فوائد تتعلق بباب الرفق والعنف زيادة على ما سبق:

قوله: (**ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**) قال أهل العلم: «يعني أن نصيب الرجل

---

(١) أحكام أهل الذمة (١ / ٦٠٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٢٠).

من الخير على قدر نصيبه من الرفق وحرمانه منه على قدر حرمانه منه»[1]، وهو صريحُ الحديث المتقدم: (**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**) رواه الترمذي، وعند أحمد نحوه[2].

قوله: (**إن الله رفيق**)، هل هو من أسماء الله تعالى الحسنى أو هو صفةٌ؟ محتمل، والوجهان للعلماء، أعني مَن ذكره في الأسماء الحسنى ومَن لم يذكرْه فيها، والأظهر والله أعلم أنه جارٍ مجرى الصفاتِ، ومحل هذا البحث كتب العقائد، وهو شبيه بقوله: (**إن الله جميلٌ يحب الجمال**)، وقوله: (**إن الله طيّبٌ لا يقبل إلا طيّبًا**) رواهما مسلم في صحيحه[3]، ويراجع شرح النووي في الموضعين[4]، وعند الطبراني وعبد الرزاق في مصنفه: (**إن الله محسنٌ يحب الإحسان**)[5]، وعند الترمذي وضعّفه: (**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا** -أراه قال- **أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**) اهـ، قال الترمذي عقب إيراده الحديث في سننه: «هذا حديث غريب وخالد بن إلياس[6] يضعَّف ويقال ابن إياس»[7] اهـ.

وإنما أردتُ أن أطيلَ في الكلام على العنف والرفق والشدة واللين، لشدة تعلّق فهم هذه الأمور بالجهادِ، وشدة حاجة المجاهدين إلى فقهها والتشبّع بالحكمة فيها، وأرجو أنني أساهِمُ في ترشيد شبابنا وأجيالنا وتسديدهم بإذن الله، أسأل الله تعالى أن يتقبل ويبارك.

ومن النقاط العملية لكي يدرّب الإنسان نفسه على استعمال الرفق والتريّض به: أن نتذكر كلمة أبي عون الأنصاري التي مرَّتْ: «ما تكلم الناسُ بكلمةٍ صعبة إلا وإلى جانبها كلمة أليَنُ منها تجري مجراها»[8] اهـ؛ أي فليتأنّ الإنسانُ قبل النطق وقبل التصرّف، وليفكر في الوسيلة النطقية أو الفعلية التي يؤدي بها المعنى الذي يريد، وهذا يلفتنا إلى أهمية أن نتعلم الكلمات الطيبة التي تؤدى بها المعاني

---

(١) قاله في تحفة الأحوذي (٦ / ١٣٠). [المؤلف، عدا العزو]

(٢) سنن الترمذي (٢٠١٣) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٥٢٥٩، ٢٧٥٥٣).

(٣) أولهما برقم: (٩١)، والثاني برقم: (١٠١٥).

(٤) أولهما في: (٢ / ٨٩)، والثاني في: (٧ / ١٠٠).

(٥) المعجم الكبير (٧١٢١)، المعجم الأوسط (٥٧٥٣)، مصنف عبد الرزاق (٨٦٠٣)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (١٨٢٤).

(٦) أحد رواته. [المؤلف]

(٧) سنن الترمذي (٢٧٩٩)، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع (١٦١٦).

(٨) كذا في إحياء علوم الدين -كما تقدم ذكره-، وبنحوه في: مسند إسحاق بن راهويه (١ / ٣٥٤).

المختلفة ونكثر من الأمثلة ونقتدي بأهل الكمال في الباب.

❖ الموازنة بين الشدة واللين من أصول تربية الخلق:

ولا شكّ أن الموازنة بين الشدة واللين والعنف والرفق والترغيب والترهيب أصلٌ من أهم أصول تربية المكلَّفين، سواء على مستوى النفس أو على مستوى الاجتماع، ومن رام التربية بمجرد الرفق واللين مطلقًا ودائما وأبدًا وأنكر استعمال بعضِ الشدة في محلها، وكذا مَن رام الإصلاح بالرفق واللين وحده مطلقًا ودائما وأبدًا وأنكر عن استعمال الشدة والعنف في محلهما؛ فإنه عَرَف شيئًا وغابتْ عنه أشياءُ، وهو حرِيٌّ بوصف الجهلِ والنقص.!

وأما الزنادقة الواصفون للشريعة بالعنف استهزاءً واحتقارًا وازدراءً، لأنها تأمُرُ بقطع يد السارق بشروطه، وتقتل القاتل قصاصًا، وترجم الزاني المحصَن وتجلد الزاني غير المحصَنِ، ولنحو ذلك من الحدود؛ فإنهم سفلةٌ متمردون على الله تعالى، ولسنا نطيل هنا بالكلام عليهم، فقد تجاوزهم التيار، والحمدُ لله، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء].. وقد قالت الحكماء:

فقسا ليزدجروا ومَن يكُ حازمًا ... فليقْسُ أحيانًا على مَن يرحَمُ[1]

في أضواء البيان عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة: ٥٤] الآية: «أخبر تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضُهم فإن الله يأتي عوضًا عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين والتواضع لهم ولين الجانب، والقسوة والشدة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين، وبهذا أمر الله نبيه ﷺ، فأمره بلين الجانب للمؤمنين بقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر]، وقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[الشعراء]، وأمره بالقسوة على غيرهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[التحريم]، وأثنى تعالى على نبيه باللين للمؤمنين في قوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وصرح بأن ذلك المذكور من اللين للمؤمنين، والشدة على الكافرين، من صفات الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ، بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[الفتح: ٢٩]، ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محل

---

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ١١٢١، حاشية ١).

الشدة ضعفٌ وخوَرٌ، والشدة في محل اللين حمق وخرق، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل حلمٌ قل فللحلمِ موضعٌ وحلمُ الفتى في غيرِ موضعه جهلُ»[١]

انتهى، وفي «التحرير والتنوير»: «ومعنى اتّباع محمدٍ ملّةَ إبراهيم الواقع في كثيرٍ من آيات القرآن أن دينَ الإسلام بُني على أصولِ ملّة إبراهيم، وهي أصول الفطرة والتوسّط بين الشدّة واللّين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۝٧٨﴾[الحج: ٧٨]»[٢] اهـ.

وسورةُ النور في القرآن مثالٌ لمن أراد أن يتأمّل هذا الأصل في التربية: «والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترقى إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التي تصلُ القلبَ بنور الله وبآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة، والهدفُ واحدٌ في الشدة واللين، هو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تشف وترف، وتتصل بنور الله، وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة، بوصفها نابعةً كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله، وهي في صميمها نور وشفافية، وإشراق وطهارة، تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السماوات والأرض، نور الله الذي أشرقت به الظلمات، في السماوات والأرض، والقلوب والضمائر، والنفوس والأرواح»[٣] اهـ، والحمد لله رب العالمين.

❖ العنف والجهاد: هل الجهاد عنفٌ؟ وهل يصحّ تسميته عنفاً؟

الجهادُ شريعةٌ من شرائع الله ﷻ جاء بها دين الإسلام، كما كانت مشروعة في شرائع بعض الأنبياء السابقين كموسى ومَن بعده من أنبياء بني إسرائيل، كيوشع بن نون وداود وسليمان، وغيرهم.

قال بعض العلماء: إن بدءَ تشريع الجهاد كان في شريعة موسى ﵇ بعد هلاك فرعون، واستنبطوه من قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣﴾، وقوله في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ

---

(١) أضواء البيان (١ / ٤١٥، ٤١٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٤ / ٢٠٦).

(٣) في ظلال القرآن (٤ / ٢٤٨٦). [المؤلف، عدا العزو]

﴿يَهۡتَدُونَ ۝٤٩﴾، وذلك بعد ذكر إهلاك الأمم المكذبة في الموضعين.

قال ابن كثيرٍ: «يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين»[(١)] اهـ، قال الشيخ السعدي: «مر عليَّ منذ زمان طويل كلامٌ لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه؛ فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاكُ فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص فهي صريحة جدا؛ فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣﴾ فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدى ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة يونس من قولة: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد نوح ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٧٤ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الآيات، والله أعلم»[(٢)] اهـ.

وقال عند آيات القصص: «﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهو التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام؛ فرعون وجنوده، وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف»[(٣)] اهـ.

وفي «نظم الدرر» للبقاعي: «ولما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمانَ الآتي أدخل الجار فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ﴾ إشارة إلى أن إيتاءها إنما هو في مدة من الزمان ثم ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ أي بعظمتنا ﴿ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي من قوم نوح إلى قوم فرعون، ووقَّتَها بالهلاك إشارةً إلى أنه لا يعم أمةً من الأمم بالهلاك بعد إنزالها تشريفًا لها ولمن أنزلت عليه وأوصلت إليه»[(٤)] اهـ.

وهذا الانتزاع دقيقٌ لطيف، بيد أن الذي شجع عليه وساعدَ أمران:

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٣٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٥٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٦).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤ / ٣٠١).

الأول: أنه معروفٌ وثابتٌ تاريخيًا بشهادة القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة أن الجهاد كان مشروعًا في شرائع بعض أنبياء بني إسرائيل من بعدِ موسى؛ ففي القرآن مثلا قصة ﴿ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٤٦] الآيات، وفي السنة ذكرُ قتالِ يوشع بن نون وداود وسليمان.

والثاني معنويٌّ، وهو: أن الجهادَ لأعداء الله الصادّين عن دعوته المكذبين لرسله؛ هو كالبدَلِ لعذابِ الاستئصال الذي كان يأخذ الله ﷻ به الأمم المكذبة قبل ذلك، وهو الذي إليه الإشارة بقوله ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ كما فهمه العلماءُ، والله أعلم.

ثم المعروف المشهور تاريخيًا أيضًا أنه لم تعذَّبْ أمةٌ بعدَ موسى عذابَ استئصالٍ وبسَنَةٍ عامّةٍ.! كما قال ابن كثير في تفسيره في سورة ياسين: «وقد ذكر أبو سعيد الخدري ﵁ وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة، لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم»[1] اهـ، وإن نَظَرَ فيه القاسميّ في محاسن التأويل فقال: «وما ذكره ابن كثير من وقوف عذاب الاستئصال بعد نزول التوراة يحتاج إلى قاطع، وإلا فقد خربت كثير من البلاد الأثيمة بعدها وتدمرت بتسليط الله من شاء عليها»[2] اهـ، ففي كلامه نظرٌ، والذي ذكره السلف وابن كثير أوجَهُ ولسنا نحتاجُ إلى قاطع بل المقام مقامُ غلبة الظنّ، وخراب كثير من البلاد الأثيمة ودمارها بتسليط الله من شاء من خلقه على مَن شاء ليس مما نحن فيه في الغالب.

وبعض خصوم المجاهدين، وأعداءُ الجهاد من منافقي وزنادقة هذه الأمة وأولياؤهم الكفار الأصليون يسمّون الجهاد عنفًا، وينبزون المجاهدين بالعنف والتشدد كما هو معروف مشهور، وهذا من ظلمهم وجهلهم وعنادهم للحق وطغيانهم؛ فإن الجهاد شريعة شرعها الله وعظّم قدرها، فالله يحبها ويأمر بها ويفرح بها وبأهلها ويرضى عنهم ويرفع درجتهم في أعلى الدرجات، والله هو الرب الرحيم الرؤوف البرّ الكريم الحنّان المنان أرحم الراحمين وخير الراحمين، وهو أيضا العزيز الجبار المتكبر القوي المتين والقهار القاهر فوق عباده المنتقم من الظالمين، له الأسماء الحسنى والصفات العلا سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ﷻ؛ وبالتالي فالجهاد، حيث كان جهادًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٥٧٣).

(٢) محاسن التأويل (٨ / ١٨١).

حقًّا، فهو من جملة الرحمة، وهو خير للخلق، وصلاح وإصلاح في الأرض، وليسَ فسادًا.

هذا لا شك فيه ولا ريب، ومن يرتاب في هذا فإن كان من الكفار فلا غرابة فيه، فإن الكافر عن الفهم لدين الله بمعزلٍ، وإن كان ممن ينتسب إلى الإسلام ففيه نفاق وشكّ، فعليه أن يبادر بالتوبة وتصحيح إيمانه، ومداواة نفسه المريضة بالعلم النافع والهدى والنور الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وليصدق مع الله، وليخلص في طلب الهداية والبحث عن الحق؛ فإن فعل فإن الله يهديه ويوفقه ويشرح صدره؛ فالجهادُ فريضةٌ من فرائض الله تعالى، وفرائض الله تعالى وشرائعه كلها حقٌّ وعدلٌ ورحمةٌ وصلاحٌ وإحسانٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[الأنعام: ١١٥].

ولا شك أن الجهادَ عنفٌ وشدة وغلظةٌ في محلّه للمستحقين من الكفرة وأمثالهم ممن يُجاهَدون، فهو إذن عنفٌ محمودٌ مأمورٌ به من قبل ربنا وخالقنا ﷻ الذي له الحكمة التامة والرحمة التامّة والكمال والجمال والجلال سبحانه، وهو إذنْ مما ذكرنا من وضع الرحمة والرفق واللين في محله، والشدة والغلظة والعنف في محله، وهو مقتضى العدل ومقتضى الحكمة -والحمد لله رب العالمين- وإن شئتَ فقل: هو عنفٌ شرعه الله وأحبّه ورضيه وأمر به، فالعنف والشدّة ليس مذمومًا بإطلاق، في كل حين وفي كل موضع، كما كررنا، بل إنما يذمّ حين يكون في غير محلّه، وحيث يمكن تحصيل المقصود بالرفق واللين.

لكن قد أشرنا فيما مرّ أن لفظ «العنفِ» في عرف اللغة واستعمال الشرع خُصّ بما كان منه مذمومًا وهو الموضوع في غير محلّه أو الزائد على قدر الحاجة والصلاح، فالوصفُ بـ«العنف» يتضمّنُ تلميحًا إلى ذم موصوفه، ولهذا لا يجوز تسمية الجهاد عنفًا إلا على سبيل التبيين والتوضيح للمعاني وأصولها على نحو ما كتبنا في هذه الأسطر مثلا، وأما الذين ينعتون الجهاد الحقَّ المشروعَ بالعنف من أعداء الجهادِ وخصومِه ومن ضُلّال ومنحرفي هذه الأمة والمهزومين ممن يسمّون بالمفكرين والمثقفين أو العلماء.. فهؤلاء في أحسنِ أحوالهم قومٌ لا يعلمون، وفي بعضها هم قومٌ مسرفون، وهم على خطرٍ عظيم.!!

وبالجملة.. فالذين يسمّون الجهاد عنفًا ما أبعدهم عن حقيقة الدين، لكنْ علينا أن نكون حذرين في الحكم على هؤلاء المسمّين للجهاد عنفًا من أهل ملتنا؛ فإن بعضهم قد يتظاهر بذلك أمام الناس من باب السياسة والديبلوماسية، وظروفه تضطره لبعض ذلك، أو بتعبير أدق هو يرى أن ظروفه تضطره إلى بعض ذلك، وبعضهم قد يكون معذورًا فعلًا نتيجةً للخوف الذي يعيشه والاضطهاد في ظل الأنظمة البوليسية التي تحكم بلادنا الإسلامية، ولا نريد أن نظلم أحدًا، فنحن نعرف أعذار الناس في الجملة، وقد نعرف بعض المعذورين على التفصيل ونعرف حالهم.. إنما هنا نحن نتكلم عن الأفكار، وكل امرئ حسيب نفسه، وكل نفس بما كسبت رهينة، والإنسان على نفسه بصيرة، والذي يحاول

خداع الناس قد يخدعهم، ولكنه لا يخدع الله.!

ونكمِلُ الصورةَ: فالجهاد شرع للحاجة الضرورية لحفظ الدين وصلاح الاجتماع البشري وهي سنة التدافع المعبر عنها في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[البقرة: ٢٥١].

وقد يصح أن يقال: إن الجهاد هو مشروع من باب الضرورة، بمعنى أنه لو أسلم الناس فلا حاجة إلى الجهاد، ولو لم يكن هناك من يصد عن الدعوة لما شرع الجهاد.. فنقول: لا بأس، فليكن، لكن لمَّا كانت هذه الضرورة لازمةً دائمةً ولا ينفك عنها الاجتماع الإنساني، كانت فرضية الجهاد بهذه المنزلة في الشريعة: فرضيةً دائمةً مستمرة مرغّبًا في القيام بها أيما ترغيب وممدوحة أيما مدح، فكأنها لم تكن عن ضرورة، وإنما هي تصرّف أصليّ، إذ لا يُتصوّر أن يُسلم الناسُ كلهم ويخضعوا للعلم والهدى والدين، ولا أن تخلو الأرض من أهل الصد عن سبيل الله، ولله الحجة البالغة؛ ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾[البقرة].

توضيحه: أن الجهاد حقيقته القتال والقتل، وقتل النفوس ليس مقصودًا بالقصد الأول (القصد الأصلي الأساسي) لبعثة الرسل وإنزال الكتب من الله تعالى؛ فإن الله بعث الرسل وأنزل الكتب لهداية الخلق لا لقتلهم؛ نعم هذا صحيح باعتبار القصد الأول، وإنما لما كان في علم اللطيف الخبير أن بعض النفوس لا ينفع معها هذا، ولا ترفع رأسًا بالرسل ولا بالكتب، بل تقف ضدًا لها وحربًا عليها، وأنها لا يمكن صلاحها بالكلمة الهادية وبالدلالةِ لعدم القابلية، وأن في إزالتها صلاحَ النوع البشري وصلاح الأرض، شرع الجهاد (القتال والقتل) وأمر به، وابتلى به خلقه مؤمنهم وكافرهم، وجعله من أعظم دلائل محبته، وفرقانًا بين أوليائه وأعدائه، ومن أعظم ما يجازي عليه الجزاءَ الحسن، لما فيه من المعاني الباهرة التي خلاصتها بذل أغلى ما يملك الإنسان وهو وجودُهُ ومهجتُهُ ودمُه وروحُه في سبيل ربه ﷻ، أي من أجل دينه، فقتل تلك النفوس (مستحقي القتل من الكفار) هو بمنزلة قطع العضو المريضِ التالف الذي لا يرجى بُرْؤه من جسم الإنسان، والذي لو تُرِك ولم يقطع لأفسد بقية الجسم وأتى الفسادُ عليه كله.

وكذلك وقوع القتل في المجاهدين المؤمنين هو -إن شئتَ بالنظر إلى الأصل- من نوعِ «فسادٍ شُرِعَ لمنعِ وقوعِ فسادٍ أعظمَ منه»، فهو إذن من باب: «ارتكاب أدنى المفسدتين» التين لا بد من وقوع

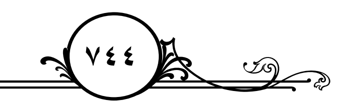
إحداهما (متعارضتان)، وبعبارة أخرى: «ارتكاب أخف الضررين»، فهذه هي قاعدة الجهاد في الإسلام؛ وحينئذٍ فلا يسمّى القتل للنفوس (في الجهاد) فسادًا، معاذَ الله! وإنما عبّرنا عنه بذلك باعتبار الأصل، وللشرح وتقريب المسألة للفهم، فإنه حينما أمر الله به كان صلاحًا وخيرًا، لأن فعل المفسدة حينئذٍ (أي لمنع وقوع المفسدة الكبرى) لا يكون فسادًا بل يصير هو عين الصلاح والإصلاح، والله ﷻ يأمُرُ بالعدل والإحسان والخيرِ والصلاح والإصلاح ولا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد ولا يحب المفسدين، ﷻ وتقدّس، والحمد لله رب العالمين.

❖ تساؤل جريء:

سأل بعضُ الناسِ: نلاحظ أن المجاهدين أو «التيار الجهادي» في الأمة وفي شباب الصحوة وفي الحركة الإسلامية فيهم ميلٌ إلى العنف أكثر من غيرهم من الطوائف الإسلامية والتيارات الأخرى، نلاحظ عندهم قسوة وشدة وتشددًا زائدًا وأكثر مما عند غيرهم! وقد يتمادى بهم هذا الخلق وهذا الوصف إلى أن يفضِّلوا ويختاروا الخيارات القاسية والعنيفة كثيرا، ويتصرفوا تصرفات لا إنسانية أحيانًا وبعيدة عن الرحمة! فما تقولون في هذا؟

والجواب: أما كون أهل الجهاد و«التيار الجهادي» كما سميتَهُ، أميلَ إلى العنف من غيرهم من الطوائف الإسلامية والتيارات الأخرى في الحركة الإسلامية فهذا -إن كان- فينبغي أن يكون عاديًّا مفهومًا و«طبيعيًّا» كما يقالُ؛ فإنهم يمارسون أشياء من جنس العنف والغلظة وهي الحربُ والقتالُ والقتل والذبح وإطارةُ الرؤوس وإراقة الدماء ونثر الأشلاء والتفجيرُ والتدميرُ، ويُعالجون الشدة والقسوةَ في مواجهة الأعداء، فلا عجبَ أن يراهم غيرُهم لا سيما ممّن لم يعرِف الخشونة من أهل الرقّة والنعومةِ وممن نُشّئوا في الحِلية والترف وغلب عليهم حب السلامة وطغى عليهم الوَهْنُ وهو حبُّ الدنيا وكراهية القتال، يراهم عنيفين ذوي غلظةٍ، وهم في الحقيقةِ وفي نفس الأمر ربما كانوا أرقّ قلوبًا منه وأرحمَ وأشفق وأحنَّ على الضعيف..!

والحاصل أن هذا الحكم غيرُ موضوعيّ على الأغلبِ، فإن سُلّم أن فيه شيئًا من الصحة فهو من مضاعفات هذه الممارسة أحيانًا، التي قد تقع لبعض الناسِ وليست للجميع وليستْ غالبة، فإن الجهادَ كلما كان على الشريعة حقًا وصدقًا وكان أهلُهُ منضبطين بالشرع ذوي دينٍ متين وتقوى وفقهٍ، جامعين بين العلم والجهاد، وتقودُهم قيادةٌ رشيدةٌ؛ فإن أخلاقهم وأمزجتهم تكون من أعدل الأخلاق والأمزجة وخيرِها، ولا مقارنة بينهم وبين غيرهم ألبته.!



ولذلك فإن ما ذكره السائلُ من أنه «قد يتمادى بهم هذا الخلق وهذا الوصف إلى أن يفضّلوا ويختاروا الخيارات القاسية والعنيفة كثيرا، ويتصرفوا تصرفات لا إنسانية أحيانًا وبعيدة عن الرحمة!» اهـ؛ فإنه يشير إلى حالاتٍ وقع فيها الخللُ والانحرافُ، فهذه لها أسبابٌ متعددة، ليس منها ممارسةُ الجهادِ، وهذا يحصُل لأهل الجهاد ولغيرهم؛ فإن من طوائف الناس من الحركة الإسلامية وعوامّ أهل القبلة مَن هو عنيفٌ جدًا وقاسٍ وشديدٌ بل وعُتُلٌ جبّار، دون أن يكون من أهل الحرب والقتال ولا انتمى إلى جهادٍ، وقد يقتصر عنفه على اللفظ في مواطن لا يقدر فيها على غيره، وعلى صورٍ من عنف المعاملة والأخلاق وتبلّد الإحساس وقلة الرحمة أو انعدامها وغلبة الأنانية والشحّ، فلمَ تظلم الجهادَ وأهلَهُ يا فتى؟!

وبكل حالٍ.. فالحقُّ يقبَل حيثُ هو، والباطل يُرَدُّ ويُنكر ممن كان، فاللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

[الحلقة الثامنة - مجلة طلائع خراسان، العدد الثامن عشر، ربيع الآخر ١٤٣٢]

۞ الحكمة الثانية: قوله ﷺ: (ولا تلتفت):

قال له: (**انفذ على رسلك ولا تلتفت**)؛ وقد ذكرنا رواية مسلم التي فيها: (**امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**)، قال -أي الصحابي راوي الحديث-: فسار عليٌّ شيئًا ثم وقف ولم يلتفت، فصَرَخَ: «يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟..» الخ وفي لفظ آخر -عند ابن أبي شيبة- قال: (**قم اذهب فقاتل ولا تلفت حتى يفتح الله عليك**)، فلما قفّى -أي عليٌّ ﷺ، أي رجَعَ ليسأله هذا السؤال- كره أن يلتفت، فقال: «يا رسول الله! على ما أقاتلهم؟» قال: (**حتى يقولوا لا إله إلا الله**).. الخ، والمقصود بهذا النهي عن الالتفات تأكيد الأمر السابق بالنفاذ والمضيّ، فهو من باب التأكيد بنفي الضدّ (بالنهي عن الضدّ)، وفيه أيضا تنبيه له على عدم الاشتغال بأي أمرٍ جانبيّ يلهيه عن مقصوده، أو يستهلك شيئًا من طاقته، أو يفسد عليه نشاطه ويُضعِفُ همَّته.

وكذا ينبغي لأهل الجهاد أن ينفذوا ويمضوا لما أُمِروا به ولا يلتفتوا..! يمضوا إلى الأهداف الكبيرة الواضحة المرسومة، ولا ينشغلوا بشيءٍ مما لا يخدمهم في سعيهم، بل يفسد عليهم ويأكل من عزمتهم.! وسنزيد هذا المعنى توضيحًا إن شاء الله تعالى.

❖ فائدة: في فعل عليّ ﵁ حين رجع القهقرى ليسأل النبيَّ ﷺ، ولم يلتفت، وكره أن يلتفت، وإقرار النبيّ ﷺ له على هذا التصرّف:

هذا منه ﵁ مبالغةٌ محمودة في إظهار السمع والطاعة للنبيّ ﷺ، وهو موضعٌ (الحربُ والقتالُ وأوامرُ القيادة فيها) يحتاج إلى مبالغة ودقة في السمع والطاعة، وهو ما يعبّر عنه في لغة العصر بـ«الحَرْفيّة» و«التطبيق الحَرْفيّ» و«الانضباط العسكريّ»، وذلك أن شأن الحرب غير شأن السلم والعافية، وليس فيها مجال واسع لاجتهاد المأمور في تفسير وتطبيق الأمر الصادر إليه من قيادته؛ فالحزم الواجب دائما هو السمع والطاعة بكل دقة وحمل الأوامر على ظاهرها، إلا إذا وجد معارِضٌ متيَقَّنٌ، وهي حالات نادرة ليست هي محلّ كلامنا؛ وإنما محل كلامنا واضح وهي الأوامر المعهودة من القيادة لأفرادها، كما لو قال الأمير لبعض جنوده: أنتم تقعدون هنا ولا تتحركون، أو: لا تذهبوا إلى المكان الفلانيّ؛ فيجلس هؤلاء الجنود قليلًا مثلًا ثم إذا رأوا بعض التغيرات اليسيرة في الواقع يشرعون في التأويلات والتفسيرات قائلين: هو يقصد كذا ولا يقصد كذا، ومراده كيت وكيت!! وما أدراكم ما مراده؟! فيخالفون الأوامر ويتحركون ويذهبون، فربما وقع من ذلك فساد كبير أو صغير، بحسبه.! والله المستعان.

ومن عُرِف منه ذلك وتكرر؛ فإنه لا يصلُحُ للجندية، ولا يفيد أن يكون مع المجاهدين وفي صفّهم، وربما كان ضررًا عليهم ينبغي التوقي منه وإبعادُهُ عن الصفّ؛ ولذلك فإن القيادات العسكرية الواعية في معسكرات التدريب وأيضًا في ميدان الممارسة القتالية تعتمِد التدرّج في تربية أفرادها بالاختبارات وإتاحة الفرصِ المتدرجة في الأعمال والمهامّ ليَعرِفوا المطيع المنضبط الذي يصلح للجندية ثم يقبَلُ الترقّي في درجاتِ المسؤولية، ومن يحتاجُ إلى تقويمٍ، ومن هو صفرٌ من ذلك كله.!

والحاصل أن الواجب هو حمل كلام المتكلم على ظاهره دائما، والاستثناء هو فقط: حيث يوجَدَ دليل واضحٌ بيِّنٌ يُوجِبُ حمله على خلاف ظاهره؛ هذا في سائر كلام المتكلمين وفي سائر الأوقات والأحوال، ويتأكد ذلك في حال الحرب، وفي قصة الرماة ﵃ في غزوةِ أحدٍ خيرُ عبرةٍ، ولعظم موقعها وفائدتها ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم تُتْلى إلى يوم القيامة، والقصص والعبر غيرها كثير جدًا أيضًا، وهذا الخلل كثيرٌ فينا للأسف! فيجب أن نصلحه وندفعه بنور العلم والحكمة، وبوازع الدين وسلطان التقوى والحزم، وأن نربّي القاصرين الجاهلين، ونكمل الناقصين، وأن نأخذ على أيدي المستهترين قليلي الانضباط، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]،

(**ومن يتصبّر يصبّره الله، ومن يستعفف يعفّه الله**)[١]، وبالله التوفيق وعليه وحده الاعتماد، والحمد لله رب العالمين.

قال النووي رحمه الله: «وحمَله عليٌّ رضي الله عنه على ظاهره ولم يلتفت بعينه حين احتاج، وفي هذا حملُ أمره ﷺ على ظاهره» اهـ. قلتُ: ويشبه ذلك من بعض الوجوه قصة أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه حين ناداه النبي ﷺ وهو كان في الصلاة؛ عن أبي سعيد بن المعلّى قال: «كنتُ أصلي في المسجد فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أجبه، فقلت يا رسول الله: إني كنت أصلي، فقال: (**ألم يقل اللهُ:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال لي: (**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**) ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟، قال: (**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**) رواه البخاري[٢].

قال أكثر العلماء: إن ذلك خاصٌّ بالنبيّ ﷺ؛ أعني وجوب إجابته في الصلاة، لكن المقصود أن النبي ﷺ لام أبا سعيد رضي الله عنه على عدم إجابته رغم أنه كان يصلي، واحتج أبو سعيد بأنه كان يصلي فلم يُرد أن يقطع الصلاة ولكنه تجوّز فيها وأسرع؛ ثم جاء، فبيَّن له النبي ﷺ أنه يجب عليه إجابة دعائه فورًا، وتلا عليه قول الله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ ففيه تنبيه إلى تأكّد حمل الكلام على ظاهره أيضًا، وهو القدر المشترك بين القصتين الذي أشرنا إليه.

قال السنديّ في «حاشيته على البخاري»: «مطلقُ الأمر وإن كان لا يفيد الفور، لكن الأمر هٰهنا مقيد بقوله ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ أي الرسولُ؛ فيلزم الاستجابة وقتَ الدعاء بلا تأخير»[٣] اهـ، ونقل الحافظ في «الفتح» عن الخطابي أن الحديث فيه: «استعمال صيغة العموم في الأحوال كلها وإجراء لفظ العموم على جميع مقتضاه»[٤] اهـ، ومرادُه العمومُ المدلولُ عليه بـ﴿إِذَا﴾.

ومنه تعرفُ عظم وسَعَةَ فائدةِ العموم في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليتنبّه إلى هذا طالب العلم.

نسأل الله تعالى أن يزيدنا وإياكم علمًا، ويرزقنا الفقه في الدين.. آمين.

---

(١) صحيح البخاري (١٤٦٩) وقد تقدم.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٧٤).

(٣) لم أقف عليه في: حاشية البخاري، ولعل الشيخ عزاه خطأً إليه فإني وقفت عليه في: حاشية السندي على النسائي (٢ / ١٣٩).

(٤) فتح الباري (٨ / ١٥٨) اختصارًا.

[الحلقة التاسعة والأخيرة التي كتبها الشيخ ﷺ – مجلة طلائع خراسان، العدد الثامن عشـر، ربيع الآخر ١٤٣٢]

ما زلنا في تأمّل قوله ﷺ (**ولا تلتفت..**)

❖ وقفة حول الالتفات:

الالتفات معناه في اللغة معروف، وهو الانصراف بالنظر أو الوجه والبدن إلى جهة ما.. هذا هو معناه في الأصل، أو لنقل: هو معناه في أكثر الاستعمال، وإن شئت فقل: هذه هي حقيقتُهُ، والمعنى الآتي مَجازٌ، وقد يكون الالتفات بالقلب أيضا، وهو التفات القلب والعقل إلى شيء ما من الذوات أو المعاني، سواء كان هذا الالتفات إرادةً وتعلّقًا، أو إدراكًا وتصوُّرًا.

وواضح من ذلك أن الالتفات يكون خيرا، ويكون شرا؛ يكون محمودا ويكون مذمومًا.

وأكثر ما جاء ذكر الالتفات في كلام الله ﷻ وفي كلام رسوله ﷺ مسلَّطًا عليه النهي، أو النفي، وكذا هو في كلام العقلاء والبلغاء، وذلك أن الأصل أن يمضي الإنسان في طريقه (حسيًّا أو معنويًّا) في استقامة واطمئنان حتى يصل إلى مقصوده وغايته، ولا يلتفت؛ فإن الالتفات خروج عن تلك الصفات وناقضٌ لها.

في كتاب الله تعالى.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾ [هود]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾[الحجر].

وفي حديث النبي ﷺ.. الأحاديث الواردة في النهي عن الالتفات في الصلاة لفظا ومعنى وهي كثيرة جدا، منها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: (**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**) رواه البخاري[1]، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يزال اللهُ مقبلا على العبد في صلاته ما لم يلتفت؛ فإذا صرف وجهه انصرف عنه**) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وغيرهم[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث ونهاني عن ثلاث.. نهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفاتٍ كالتفاتِ الثعلب» رواه الإمام

---

(١) صحيح البخاري (٧٥١).

(٢) مسند أحمد (٢١٥٠٨) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، سنن أبي داود (٩٠٩)، سنن النسائي (١١٩٥)، صحيح ابن خزيمة (٤٨٢)، المستدرك (٨٦٢) وصححه هو والذهبي، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع (٦٣٤٥)، لكن أشار إلى تصحيحه في: أصل صفة الصلاة (١ / ٢٣٦).

أحمد وغيره[١]، وفي الحديث المشهور: (**فقال عيسى** ﵇: **إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنّ وآمركم أن تعملوا بهن؛ أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو وَرِقٍ، فقال هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدّ إليّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟! وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهَه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام**..) الحديث رواه أحمد والترمذي[٢]، وروى عبد الرزاق في «مصنفه» عن ابن جريج، عن عطاء قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: «إذا صلى أحدكم فلا يلتفت؛ إنه يناجي ربه، إن ربَّه أمامه، وإنه يناجيه». قال -يعني عطاء-: «وبلغنا أن الرب تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم إلى من تلتفت؟ أنا خير لك ممن تلتفت إليه»[٣].

قال ابن عبد البر في «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: «وقد جاءت في النهي عن الالتفات في الصلاة أحاديث محملها عند أهل العلم على ما وصفتُ لك، وأجمع العلماءُ على أن الالتفات في الصلاة مكروه، وقال رسول الله ﷺ: (**الالتفات في الصلاة خلسة يختلسها الشيطان من صلاة العبد**)[٤]، وجمهور الفقهاء على أن الالتفات لا يفسد الصلاة إذا كان يسيرا»[٥] اهـ، وتفاصيل حُكم الالتفات في الصلاة يُعرف في كتب الفقه.

فائدة عن شرح ابن رجب لصحيح البخاري: «وقد روي عن النبي ﷺ، أنه كان يلتفت في صلاته لمصلحة غير مصلحة الصلاة: فروى سهل بن الحنظلية قال: «ثوِّب بالصلاة؛ يعني صلاة الصبح فجعل رسول الله يصلي وهو يلتفت إلى الشعب» خرجه أبو داود وقال: «كان أرسل فارسًا إلى الشعب من الليل يحرس» وخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» والحاكم وصححه[٦]، وهذا فيه جمع بين الصلاة والجهاد، ومن هذا المعنى قول عمر ﵁: «إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة»[٧] اهـ، وقال عن قول سيدنا عمر المشار إليه: «وليس فكر عمر في تجهيز الجيوش في الصلاة من حديث النفس المذموم، بل

---

(١) مسند أحمد (٨١٠٦) وضعف إسناده الأرنؤوط، ولكن قال شاكر: إسناده صحيح، فالله أعلم.

(٢) مسند أحمد (١٧١٧٠) وصححه الأرنؤوط، سنن الترمذي (٢٨٦٣) وصححه الألباني.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٣٢٧٠).

(٤) لم أقف عليه مرفوعا بهذا اللفظ، وجاء في مصنف ابن أبي شيبة (٤٥٣٧) هكذا موقوفا على عائشة ﵂.

(٥) التمهيد (٢١ / ١٠٣).

(٦) سنن أبي داود (٩١٦) وصححه الألباني، صحيح ابن خزيمة (٤٨٦)، المستدرك (٢٤٣٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٧) صحيح البخاري (بعد حديث ١٢٢٠، معلقا مجزومًا به).

هو من نوع الجهاد في سبيل الله فإنه كانَ عظيم الاهتمام بذلك، فكان يغلب عليه الفكرُ فيه في الصَّلاة وغيرها، ومن شدة اهتمامه بذلك غلب عليه الفكر في جيش سارية بن زنيم بأرض العراق وهو يخطب يوم الجمعة على المنبر؛ فألهمه الله فناداه فأسمعه الله صوته، ففعل سارية ما أمره به عمر، فكان سببَ الفتح والنصر، وقال سفيان الثوري: «بلغني أن عمر قال: إني لأحسِبُ جزيةَ البحرين وأنا في الصلاة» ورواه وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر قاله، وهذا كله من شدة اهتمام عمر بأمر الرعية وما فيه صلاحهم فكان يغلب عليه ذلك في صلاته فتجتمع له صلاة وقيام بأمور الأمة وسياسته لهم في حالة واحدة» قال: «وهذا كله من اجتماع العبادات وتداخلها، وليس هو من باب حديث النفس المذموم»(١) انتهى كلامه رحمه الله.

أحاديث أخرى: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الشهداء عند الله يوم القيامة الذين يلقون في الصف الأول فلا يلفتون وجوهَهم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف من الجنة يضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربُّك إلى قوم فلا حساب عليهم**) رواه الطبراني، قال المنذري: «بإسناد حسن» اهـ. ومعنى (**يتلبَّطون**) هنا: يضطجعون ويتنعّمون، وروى أحمد مثله من حديث نعيم بن عمار(٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة**) رواه الترمذي(٣).

وفي صفة نبينا خيرِ خلق الله تعالى ﷺ ما رواه البخاري في «صحيحه»: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «اتّبَعْتُ النبيَّ ﷺ، وخرج لحاجته، فكان لا يلتفِتُ، فدنوت منه، فقال: (**ابغني أحجارًا أستنفض بها، أو نحوه، ولا تأتني بعظم، ولا روْثٍ**)، فأتيته بأحجارٍ بطرف ثيابي، فوضعتها إلى جنبه، وأعرضت عنه، فلما قضى أتبعه بهن»(٤).

وفي مسند أحمد و«الأدب المفرد» للبخاري وغيرهما وصُحِّحَ في صفته ﷺ أنه «كان إذا التفت التفتَ

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٩ / ٣٧٩).

(٢) المعجم الأوسط (٤١٣١)، مجمع الزوائد (٩٥١٣، ٩٥١٤)، مسند أحمد (٢٢٤٧٦) وقال الأرنؤوط: حديث قوي، الجهاد لابن المبارك (٤٨)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (١١٠٧).

(٣) سنن الترمذي (١٩٥٩)، سنن أبي داود (٤٨٦٨) وحسنه الألباني.

(٤) صحيح البخاري (١٥٥).

جميعًا»[١]، قال الزبيدي: «أراد أنه لا يسارق النظر، وقيل: أراد لا يلوي عنقه يمنة ويسرة إذا نظر إلى الشيء، وإنما يفعل ذلك الطائشُ الخفيف، ولكن كان يقبل جميعًا ويدبر جميعًا»[٢] اهـ، وأورد الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث: «كان إذا مشى لم يلتفت» وقال: صحيح بشواهده، وذكر منها: عن ابن عباس مرفوعا به وزاد: «وإذا مشى مشى مجتمعًا ليس فيه كسل»، وعن عوف قال: «كان لا يضحك إلا تبسّمًا ولا يلتفِتُ إلا جميعًا» وإسناده مرسل صحيح[٣].

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي ﵁: «أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم؛ فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر، فقال: أتصلي للناس فأقيم؟، قال: نعم، فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ: أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر ﵁ يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى، فلما انصرف قال: (**يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**) فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (**ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيقَ؟! من رابَهُ شيءٌ في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح التُفِتَ إليه، وإنما التصفيق للنساء**)[٤].

وفي كلام الحكماء والبلغاء أمثلة كثيرة لمعاني وتعبيرات الالتفات: فالرجل يمشي في الطريق ويلتفت: خائفٌ أو سارق أو غريبٌ ابن سبيل، ونحو ذلك، وفي ذلك ملحظٌ أمنيٌّ للأخ المجاهد فليتنبّه له! على الأخ المجاهد حيث سارَ ألا يكثر الالتفات؛ فإن احتاج إلى النظر عن جانبه أو عن خلفه، فليتخذ لذلك حيلةً، وهذا شيء ينبغي تعلّمه، وتختصّ به دورات الأمن، وهو مشروح في مذكراتها، وعلى الإخوة المجاهدين أن يتداولوا ويتناقلوا فيه الخبراتِ والمعلومات، فهو من العلم النافع لأنه من آلة الجهاد والحرب فهو جانب من جوانب الإعداد، والله الموفق.

وتقدم في الحديث: (**إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفتَ فهي أمانةٌ**)؛ وجهه أنه وقعت منه الإشارة

---

(١) مسند أحمد (٦٨٤) وحسنه الأرنؤوط، الأدب المفرد (١٣١٥) وحسنه الألباني.

(٢) تاج العروس (٥ / ٧٨).

(٣) السلسلة الصحيحة (٢٠٨٦).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٤).

إلى كراهيته أن يسمع كلامه هذا أحدٌ غير الذي يتحدث إليه؛ فكان في قوة التصريح بالائتمان.

وكان بعضُ كبراء وأشراف العرب وغيرهم يأنفون أن يلتفت الرجل إذا مشى في طريق، أو كلمه أحدٌ من خلفه، وهذا الأخيرُ مظهَرٌ من مظاهر الكبر والتعالي والعياذ بالله، وإن كان أصله ملاحظة معنى صحيح وهو المضي في الأمر وعدم التراجع ومنافرة هيئة الخائف المتردد الضعيف، لكن هؤلاء المتكبرين غلوْا في هذا المعنى، ونحن أهل الإسلام نقيّده بقيد الشرعِ، فنردّ منه ما كان لا لفائدة معتبرةٍ إلا مجرد الترفّع والتميّز، فهو كبرٌ نعوذُ بالله منه، ونقرّ منه ما كان حزمًا واستقامة أو ترهيبًا لعدوّ في موطنه، ومشية وحركة المتكبر أو المتبختر يكرهها الله إلا في «هذا الموطن» أعني موطن لقاءِ العدو لإرهابِ العدوّ، والله أعلم.

مثال ذلك: من كره الالتفات في سيره؛ لأن الالتفات يوهم أنه خائف وفيه ريبة وإزراء بالنفس، وانشغال عن مقصوده، وتعرّض للأذى بالنظر إلى ما يكره، ونحو ذلك، فهذا صحيح معتبر، وهذا محسِنٌ. ومن ترك الالتفات وكرهه مع وجود الداعي الشرعيّ للالتفات، كأن يناديه إنسان ويكلمه ويدعوه إلى خير، أو يستغيث به ملهوف، ونحو ذلك فلا يلتفت بل يمضي في طريقه، فهذا مسيءٌ، سيئ الخلق، وهو مظنة الكبر والتعالي؛ فإن كان عن كبر في نفسه فهو الكبر الذي هو كبيرة من الكبائر، عافانا الله وإياكم منه.

وكره العلماءُ كثرة الالتفات في الطريق وعدوه من خوارم المروءة، أو من صفاتِ الحمقى؛ في «الآداب الشرعية» لابن مفلح: «وقال عمر بن عبد العزيز: خصلتان لا تعدمك من الأحمق -أو قال من الجاهل-: كثرةُ الالتفاتِ وسرعةُ الجواب»[1]، وفيها وفي «بهجة المجالس» لابن عبد البر: «قال إبراهيم النخعي: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق»[2].

(يتبع إن شاء الله)[3]



---

(١) الآداب الشرعية (٢ / ٢١٢).

(٢) الآداب الشرعية (٢ / ٢٢٠)، بهجة المجالس (١ / ١٣٩).

(٣) كانت هذه هي الحلقة الأخيرة التي نُشرت قبل استشهاد الشيخ ﷺ بمدة يسيرة، وظاهرٌ أن الحديث لم يتمَّ شرحه بعد، ولا ندري هل أتم الشيخُ الشرح ولكنه لم يُنشر؟ أم أنه لم يُتمَّ الشرح أصلًا؟ نسأل الله أن تكون الأولى. [الناشر]





«الأمريكان» المجرمون

يتخبطون ويمارسون حربًا قـذرة

تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز الفجر للإعلام»

ذو القعدة

١٤٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

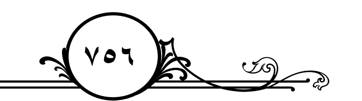
ليس بغريب عليهم، ولا هو بالمفاجئ لنا، والشيءُ من معدنه لا يستغرب، ولسنا نجهلهم ولا يخفى علينا حالهم من أول يومٍ؛ حثالة البشرية؛ لا دين ولا تقوى لله ولا أخلاق ولا قيم على الحقيقة، إلا ما يتشدّقون به -ولا بد- من شعارات وعبارات جوفاء كاذبة إنما تنطلي على الفارغين من معاني الفضيلة والدين الحق.

إنهم الأمريكان، الذين يقودون البشرية اليوم..! المجرمون الفجرة.. معلِّمو الفجور والقذارة، المفسدون في الأرض، أهل الجريمة والشذوذ والمُجون والانحلال وعبادة الشهوات والشيطان، أهل التجبر والتكبر والغطرسة والظلم والعدوان على الشعوب، أهل التخمة والأنانية والشحّ والجشع والطباع البهيمية، الكافرون بالله العظيم وشريعته وحقه في الحكم والأمر والنهي، المستكبرون عن عبادته سبحانه.! المكذبون لرسل الله ورسالاته، والسابّون لرسل الله والمستهزئون بهم.

أليسوا الذين سبُّوا محمدًا ﷺ، ووقفوا مع من سبّه واستهزأ به، وحمَوْه؟ أليس رئيس أمريكا -وسائرُهم كذلك- يعتقد أن رسولَ الله محمدًا ﷺ كاذبٌ؛ يكذِب على البشرية ويقول إنه نبيّ أرسله الله للناس كافةً، وليس هو كذلك ولا أرسله الله ولا أوحى إليه؟! وأن هذا القرآنَ الذي جاء به محمدٌ ﷺ كذِبٌ وافتراءٌ مِن وضعِهِ هو -محمدﷺ -؟! ويعتقد زمرةُ الأمريكان أن هذا القرآن كتابٌ متخلفٌ يدعو إلى التخلف وإلى ما يسمونه «عنفًا» و«إرهابًا»، يذمّونه أشد الذمّ، وأنه يؤسس لانتهاك حقوق الإنسان والمرأة...؟! ويح البشرية إذ يقودها أمثالُ هؤلاء، وويلٌ لها إن لم تثر عليهم وترجع إلى ربها وتسلم قيادها لخيارها أتباعِ رسل الله وأوليائه المتبعين لهُداه وكتبه ورسالته.!

في غفلة بل نومه عميقة من أهل الحق -أمة الإسلام- استلم هؤلاء وأسلافُهم زمامَ القيادة في الأرض، وقد أسسوا حضارة مادية شهوانية مبناها على الكفر بالدين وباليوم الآخر والإغراق في المتعة والترف، ورؤية الدنيا كلها فرصة للمتعة بأيةِ وسيلةٍ كانت وعلى حساب أيٍ كان، بلا وازعٍ ولا قيدٍ من دين أو خوف من الإله الخالق الكبير المتعال.

ولم يكن لهم بدٌّ وهم يخوضون عالم السياسة ويزاحمون الحضارات ويحاولون التصدّر لقيادة العالم أن يزخرفوا حضارتهم وثقافتهم هذه الشهوانية الفاسدة الخبيثة بزخارف من القيم الإنسانية والأخلاقية، ومواضعاتٍ اجتماعية تتظاهر بالفضيلة، مع شيءٍ من بقايا ضمير إنسانيّ لا يُنكر، وإرادةٍ



طبيعية لهذا الكائن الإنساني أن يطمئِنَ نفسه دائمًا بالدعاوى الغرورة، وتلاؤُم اجتماعي لا بد أن ينشأ عنه زخارفُ لا تغني من الحق شيئًا، وفتاتٌ من الحق والحقيقة لا تساوي شيئا بإزاءِ ما يقابلها من الضلال والانحراف -عن سبيل الله الحق - والكفر والإلحاد والفساد.

وقد اقتبسوا - منكِرين مستكبرين غيرَ معترفين- قبسًا من أشعة أنوار رسالات الله، ولا سيما رسالة الإسلام ونبيّ الإسلام الخاتم محمدٍ ﷺ، فأخذوا بعض ما يوافق أهواءهم واستناروا في الفكر والبحث وصناعة العقل وأصول المعرفة والنظر والقانون والإدارة والتدبير والأخذ بالأسباب..! وتفرغوا لهذه الدنيا، وهم أهلُها وعبيدُها، وهي قصارى غاياتهم ومنتهى إراداتهم، ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[الروم] فكانت نهضتهم الدنيوية الصناعية والتقنية، وكانت الحضارة الخرقاء الجوفاء المزيّفة، وكانت الحريات المزعومة، ودعاوى العدالة والحقوق للإنسان والحيوان وغيرها، وشعارات الإنسانية والأخلاقية، ونظام الحكم الخبيث الخادع الذي غروا به الكثيرين من غوغاء البشرية (الديمقراطية) وكثير من أنظمة الاجتماع والاقتصاد وأمثال هذه القيم.. فكانوا فتنة على البشرية، وبلاءً؛ في غيبةٍ مؤقتةٍ لأهل الحق الأخيار أتباع دين الله ورسالاته وعبادِه الصالحين العابدين له حقا..!

وإلا فما في حضارتهم شيءٌ حَسَنٌ إلا وفي هُدى الله الذي جاء به رسوله ﷺ خيرٌ منه وأحسن وأبرك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولما دار الزمان دورته، كما هي سنة الله ﷻ وعادته في خلقه، ولاحت بوارق وعدِ الله لعباده الصالحين، قيَّض الله من هذه الأمة الإسلامية، من أهل التوحيد (عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له)، أهل التقوى والأمانة والعفافِ والصدق والعزم والغيرة والتضحية، مَن نهضوا لتزييف هذه الحضارة الفاجرة وتحطيمها وإزالتها عن كرسي قيادة البشرية، ونوّر قلوبهم بمعرفته والإيمان به وبوعدِه الحق، وهداهم إلى الطريق الصحيح، فقاموا مشمّرين عن ساعد الجدّ، وتجشّموا -على بصيرةٍ- قسوةَ الغربةِ والقلةِ والضعف ومرارةَ اللَّوْمِ، مستعينين بربهم ومولاهم ﷻ، ومعهم جمهورٌ مبارَكٌ من أمتهم الخيّرة، يجاهدون هذه الدولة الكافرة الفاجرة التي هي رأسُ حربة أعداء الله وقلبُ هذه الحضارة الخبيثة الضالة في هذا الوقت.

فتصايح دهاقنتهم وأحبارهم من كل صوبٍ: أن هؤلاء «الإرهابيين» يريدون تغيير قيمنا ونمطَ عيشنا، وصدقَ الكاذبون! والله إننا لنريد أن نغير قيمكم الفاسدة وننسفها نسفًا، والأمرُ لله ﷻ وحده أولا وآخرًا على كل حال.. وكان أول الأمر أن استهانت بهم هذه الدولة الفاجرة، كما هي العادة في

التاريخ أيضا، مع أنها جرَّت الجيوش الجرارة لحربهم وجنّدت لها من اللقطاء والأنذال أجنادًا كثيرة خوفًا وطمعًا، إلا أنها كانت تتظاهر بشيء من الفضيلة والنزاهةِ والأخلاق.

فلما حميت رحى الحرب وطال عمرها واستحرت فيهم أهوالها وذاقوا نماذج متكررة مما كانوا أذاقوه أمتنا وكثيرًا من الأمم الأخرى من طعوم الموت والقتل والجراح والحرمان والمآسي، ونزفت مع دمائهم خزائنُ أموالهم، واستشعروا المهانة وشارفوا اليأس، كشفوا عن سوءاتهم وأماطوا براقع الخُدَع عن وجوههم الكالحة، وآلوا إلى حقيقة حضارتهم المنتنة، يتخبّطون تخبّط المصروع بين دواعي نفوسهم الخبيثة الشريرة ودعاوي «تحضرهم وإنسانيتهم» الكاذبة وما يقتضيه منصبهم في العالم من التمظهر بالفضائل، ولجؤوا مؤخرًا إلى ممارسة القذارة التي هي شأنهم وهم أهلها.!

مع أنهم مارسوا هذه القذارة في أفغانستان في أول هذه الحرب، إلا أنهم عادوا يتمظهرون بالتحضر، حتى عادوا الآن من جديد يمارسون حربًا قذرةً؛ يقصدون المدنيين الضعفاء الذين لا شأن لهم بالحرب، ويقصفون البيوت على ساكنيها لمجرد التهمة والظنة والشبهة، ويقتلون مع واحدٍ مظنونٍ الكثيرَ من الضعفاء من النساء والأطفال والشيوخ؛ بل يتقصّدون المدنيين في أعراسهم وعزاءاتهم ومدارسهم؛ فيقتلون العشرات، ويجرحون العشرات، تنفيرًا للناس وإرعابًا وإرهابًا، في قرى أفغانستان وفي بلدات وزيرستان، وأكثر ذلك لا تطاله وسائل الإعلام العالمية، وينجح المجرمون الأفاكون في إخفائه.

فمن هرات وهلمند ثم قندهار إلى نورستان وكُنَر وجلال آباد وسروبي وكابل ثم خوست وغيرها.. قصفٌ للمنازل والتجمعات بعضها أعراسٌ وبعضها عزاءاتٌ، ولمدارس ومساجد في بعض الأحيان، تخويفًا للناس وإرهاقًا، مما سمع العالم ببعضه، وإنما يسمع الناس بالحوادث الأكبر والأقرب إلى مراكز المدن ووسائل الإعلام، أما ما دونها مما يمارسه الأمريكان من قذارةٍ ووحشية يوميًا فلا يكاد يدركه سمعُ العالَمِ وبصرهُ! لأن أعداء الله يمارسون عملية تعتيم شديدة، وفي مناطق الحدود والقبائل البشتونية قصفوا مدارس دينية عدة مراتٍ، في باجاور وغيرها، قتلوا فيها تلاميذ بالعشرات عامّتهم ممن لم يبلغوا، وقصفوا في أواخر شهر شوال (يوافق أواخر أكتوبر) من هذا العام بيتًا كان فيه عزاءٌ، وقصفوا عزاءً آخر قبله في بلدة ميران شاه عاصمة إقليم وزيرستان الشمالي، وقصفوا سيارة في مدة مقاربة لمجرد الاشتباه، وقصفوا بيوتًا عديدة لم يكن فيها في الغالب إلا الأطفال والنساء وبعض الرجال من عوامّ الشعب، وتوغّلوا -قادمين من أفغانستان- متسللين إلى قرية جبلية داخل حدود باكستان في منطقة وزيرستان الجنوبية مقابلة لمنطقة أرغون الأفغانية قبل رمضان الماضي فحاصروا بيتًا لبعض

السكان، ممن لا علاقة له بالمجاهدين، إنما هم فلاحون مساكين، فأخرجوا أهل البيت كلهم بما فيهم النساء والأطفال مع الرجال، وأوقفوهم في عرصة البيت وقتلوهم بدمٍ باردٍ رشًّا بالرصاص وخرّبوا البيت وهربوا..! وبلغنا أنهم عملوا إنزالًا في منطقة أخرى ليس فيها مجاهدون داخل الحدود الباكستانية تقابل مدينة خوست الأفغانية فقتلوا أهل بيتٍ مساكين من ضَعَفةِ الناس فيهم عجائز وأطفالٌ.

فهذا قليلٌ من وصفِ وخبرِ جرائمهم، وهو مظهرُ حضارتهم الفاجرة، وسنة أسلافهم من «المستعمرين» الانكليز والفرنسيين والطليان وغيرهم. وإننا نتوقع منهم الشر..!

فيا عبادَ اللهِ.. مَن يعذرنا بعدَ ذلك إذا عاملناهم بالمثل، وتوجّهنا إلى مدنهم ومدنييهم، واللهُ قد أعطانا هذا الحق، وفي قرآن ربنا -الذي يكفرُ به رئيسُ أمريكا وزمرتُهُ الأمريكان-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[الشورى]، ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[البقرة]، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[النحل]، ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾﴾[الحج].. مَن يعذرنا بعد ذلك -إن لم يرعووا ويكفّوا عنا قذارتهم- إذا توجّهنا إليهم وفرغنا لهم، وقلنا: لن نتلهّى كثيرًا بجنودكم وكلابكم، بل لنقصدنّ بيوتكم ونساءكم وأطفالكم وأسواقكم وشوارعكم ومجتمعاتكم الضخمة...!

ولِمَ نتعِبُ أنفسنا مع أهل القذارةِ قليلي الشرف، وهم لم يقابلونا ولم نرهم إلا في حالاتٍ قليلة إذا فاجأناهم في مخابئهم أو ترصّدنا لهم الطريق في عناءٍ شديدٍ فلما صادفونا هربوا وجاءت الطائرات لتقصف كل ما حولها بوحشيةٍ لا تميز مقاتلا من غيره..!

أيها المسلمون: إن الحربَ أهوالٌ، وإنا إن شاء الله لصُبُرٌ على أهوالها، وإنّا لأهلُ صدقٍ وعفّةٍ، يكثر عديدُنا عند الفزع ويقلُّ عند الطمع، ننشد الحقَّ والعدل ونبغي الخيرَ والإحسان ونرحم الخلقَ ونؤثِرُ الآخرة، ولكن إذا لم يكن إلا الأسنة مركبًا.. فما حيلة المضطر إلا ركوبها، وإذا كان مَن نواجهه قذرًا خسيسًا.. فما حيلتنا معه، والباديُ أظلم كما نطقتْ به كلماتُ الله أعلاه..

لقد كان مما أصابنا بالهمِّ والغم خوفُ أن تفوز امرأةُ «كلينتون» بالرئاسةِ حين نافست على الترشح لها، فوالله ما ندري لو حصلَ ذلك كيف يكون حالنا -واللهُ جاعِلٌ مخرجًا لا محالةَ- حتى دعا بعضُ

الإخوة اللهَ ﷺ ألا يُنجِحها -وإن كان المختارُ عندنا في الدعاء في مثل هذا هو سؤالَ الله ﷺ أن يبرم للمسلمين أمرَ رشدٍ- وقالوا: كيف سيكون موقف الشيخ أسامة وهو يواجِهُ امرأةً؟! وماذا عساه يقول؟! إننا الآن -على الأقل- نواجهُ رجلا ذكرًا، نسبّه ونشتمه ونهدده ونحاربه ويحاربنا.! فيا قومُ من لي بعدوٍّ شريفٍ منصفٍ..!

وبإذن الله لن تروا من المجاهدين إلا الاستقامة والقيام بالحق إن شاء الله، ولكن الحرب شديدة، والعدوّ غاشم باغٍ وقِح، فأعينوا إخوانكم بالدعاء، واجأروا إلى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا، وأن يفرِّج كرب الأمة عامّة، وأن ينصر أولياءَه وعبيدَه وجندَه المجاهدين في سبيله.

والله لن تنجح أمريكا ولن تَسْلَم، بل سيهزمها الله ويكسرها شرَّ كسرةٍ ويقصم ظهرها كما قصم من قبلُ الجبابرة والمتكبّرين، كيف وما من لحظةٍ إلا وأكفُّ الضراعة من الضعفاء والعجائز والصالحين مرفوعة إلى السماء تدعو الملكَ الجبارَ عليها أن يهلكها وينتقمَ منها.

إن أمريكا إنما تحاربُ الله ودينه، واللهُ لها بالمرصاد، وله الحكمة التامّة والحجة البالغة على خلقه، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۝٤﴾[محمد]، ولو كنا نحن مَن يحاربُها معتمدين على أنفسنا وقدراتنا -مثلَها- لكنّا انتهينا منذ زمن، وإنما نحن ستارٌ لقدرِ الله، ننفذ أمر الله طاعةً له وإرضاءً ورجاءَ موعوده، متوكلين عليه مستعينين به، ولولا ذلك ما صبَر الصابرون ولا جاهد المجاهدون، ولذلك فإن المجاهدين وأنصارهم في أفغانستان وغيرها لا يزدادون على البلاء والمِحَن إلا قوة وصلابة وتمسكًا بالحق وصبرًا وثباتًا ومضاءً.

وإن هذه القذارة وهذا التخبط الأمريكي هو علامة فشلهم، وهو إيذانٌ بانهيارهم القريب إن شاء الله، وهم لن يستطيعوا أن يواصلوا حربًا طويلة، فهذه سنة الله في أمثالهم، وليستنطقوا التاريخ.

ونحن بفضل الله لهم صامدون وعلى حربهم صابرون ولهم مصابرون، وبالله مستعصمون، وهم مستنزَفون مستهلَكون، ودولارٌ عندنا -ببركةِ الله- يغلبُ مليارًا في أيديهم لأن الله يمحقها ويجعلها عليهم حسرةً وعذابًا، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾[آل عمران]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء]، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه: **أبو عبد الرحمن عطية الله**

غرة ذي القعدة ١٤٢٩هـ / ٢ نوفمبر ٢٠٠٨م



امـرأة ..

وقـائـد ..



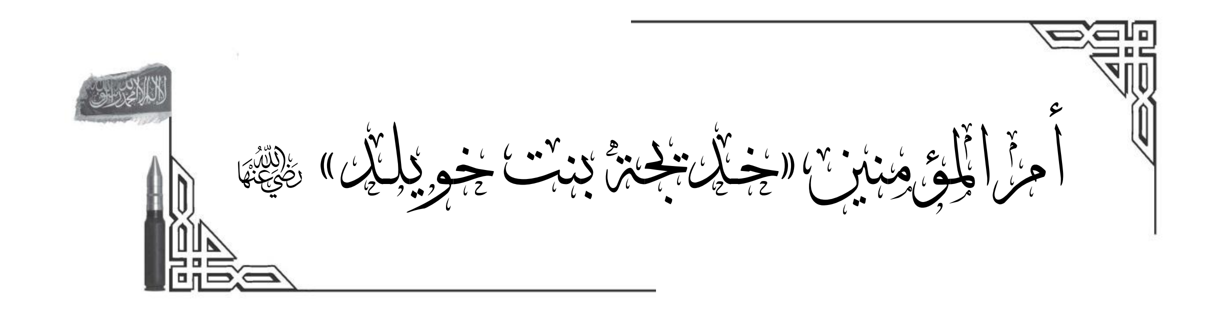




- أم المؤمنين: «**أم سلمة**» رضي الله عنها.

تم نشر هذه المقالات في مجلة «طلائع خراسان»..
العدد الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر

محرم - صفر
١٤٣٠



أم المؤمنين «خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

يقولون: «وراء كل رجلٍ عظيم امرأة»، والمعنى أنه في الغالب يكون وراء الرجال العظماء نساءٌ عظيماتٌ أيضا، إما على معنى أنهنَّ هنَ السببَ المباشر أو أحد العوامل الرئيسية في عظمتهم بالتربية والتنشئة على أسباب العظمة، أو على معنى أنه في الغالب أيضا يكون مع الرجل العظيم في مسيرته نساءٌ عظيمات بمواقفهنّ في نصره وتأييده؛ فتكون المرأة عظيمة بدورها مع هذا الرجل العظيم..

والمقصود أن للمرأة دورًا كبيرًا مع الرجل، وإنما يظهر هذا في حال العظماء، وسواءٌ كانت هذه المرأة زوجةً أو أمًّا أو غيرها.

وفي حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فوجه العبارة -إن كان ولا بد- هو أن المرأة وراءَ النبيّ بالتأييد والنصر والوقوف معه المواقف العظيمة، لا بمعنى أنها هي التي جعلته عظيمًا وأعطته العظمة ولا أنها أنشأته.. الخ، كما هو واضحٌ، فالرسول: الله اختاره واصطفاه واجتباه وجعله رسولا نبيا ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٤] وجعله عظيمًا، سواءٌ كانت المرأة أو لم تكن، لكن الله سبحانه أجرى خلقه وأقداره على سننٍ وأسباب، وأسبل فضله على منْ شاء مِن خلقه.

خديجة وما أدراك ما خديجة؛ العظيمة الكاملة، أم المؤمنين رضي الله عنها، بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية، أول من آمن برسول الله ﷺ، آمنت به وصدّقته لأول وهلةٍ، وأيدته وقفت معه.. أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها [ومني]، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» متفق عليه(١).

كان النبي ﷺ يحبها حبا بالغا؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على

---

(١) صحيح البخاري (١٧٩٢، ٣٨٢٠، ٧٤٩٧)، صحيح مسلم (٢٤٣٣).

خديجة قط، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق[(١)] خديجة، وربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة»، فيقول: (**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**) متفق عليه[(٢)]، وفي رواية قالت: «استأذنت هالةُ بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة؛ فارتاع لذلك، فقال: (**اللّهم هالة بنت خويلد**) فغرت؛ فقلت: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراءِ الشدقين هلكتْ في الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها»[(٣)]، وفي رواية: «وكان إذا ذبح الشاة يقول: (**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**) قالت: فأغضبتُه يومًا فقلت: «خديجة عجوز»، فقال: (**إني رُزِقتُ حبَّها**)»[(٤)]، وفي رواية لمسلم قالت: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لكثرة ذكره إياها، وما رأيتها قط» وقالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت»[(٥)]، وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن: «لما قالت عائشة ﷺ: قد أبدلك الله خيرًا منها؛ قال: (**ما أبدلني الله ﷻ خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ ولدها إذ حرمني أولاد النساء**)»[(٦)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**) أخرجه الترمذي[(٧)].

تلك هي العظمة حقا والكمال.! وما ذاك إلا لما هيأها الله له وما كان فيها من صفاتٍ جليلة وفضائل نبيلة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال أهل السير: «إنها كانت تُدعى قبل البعثة بالطاهرة»، عرفت الخيرَ وأهله بكمال عقلها وقوة استعدادها وجمالِ فضائلها، قال ابن حجر ﷺ في «الإصابة»: «ومن مزايا خديجة أنها ما زالت تعظّم النبي ﷺ، وتصدق حديثه قبل البعثة وبعدها، وقالت له لما أرادت أن يتوجّه في تجارتها: «إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك»، ذكره ابن إسحاق، وذكر

---

(١) يعني صديقات. [المؤلف]

(٢) صحيح البخاري (٣٨١٨)، صحيح مسلم (٢٤٣٥) لكن بلفظ: (إني رُزقت حُبَّها).

(٣) صحيح البخاري (٣٨٢١)، صحيح مسلم (٢٤٣٧).

(٤) لم أعثر على هذا الحديث بتمامه في أحد كتب السنة، لكن ذكره صاحب: جامع الأصول (٦٦٦٨).

(٥) صحيح مسلم (٢٤٣٥).

(٦) مسند أحمد (٢٤٨٤٦) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا سند حسن.

(٧) سنن الترمذي (٣٨٧٨) وقال: صحيح.

أيضا أنها قالت لما خطبها: «إني قد رغبت فيك لحسن خلقك، وصدق حديثك» اهـ.

فتزوجتِ النبي ﷺ وعمرها حين ذاك أربعون سنة، وكان سنّه ﷺ خمسًا وعشرين سنة، لما أراد الله لها من السعادة وهيأها له من الكرامة.

قال ابن حجر: «ومن طواعيتها له قبل البعثة أنها رأت ميله إلى زيد بن حارثة بعد أن صار في ملكها، فوهبته له ﷺ، فكانت هي السبب فيما امتاز به زيدٌ من السبق إلى الإسلام، حتى قيل: إنه أول من أسلم مطلقا»(١) اهـ، وقال ابن إسحاق: «كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به؛ فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ، لا يسمع شيئًا يكرهه من الرد عليه فيرجع إليها إلا تثبته وتهون عليه أمر الناس»(٢) اهـ.

وفي حديث بدء الوحي الطويل الذي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «فرجع بها ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: **(زملوني زملوني)** فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: **(يا خديجة، ما لي؟)** وأخبرها الخبر، وقال: **(قد خشيت على نفسي)** فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَقْرِي الضيفَ، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل..»(٣) الحديث.

قال ابن القيم في زاد المعاد: «وبادر إلى الاستجابة له ﷺ صديقة النساء: خديجة بنت خويلد، وقامت بأعباء الصديقية وقال لها: **(لقد خشيت على نفسي)**؛ فقالت له: «أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا» ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا؛ فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه، ولا تناسب الخزي والخذلان، وإنما يناسبه أضدادها؛ فمن ركبه الله على أحسن الصفات، وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه، ومن ركبه على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها، وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسل إليها ربها بالسلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد ﷺ»(٤) اهـ.

توفيت رضي الله عنها وأرضاها، وحزن عليها رسول الله ﷺ حزنًا بان عليه؛ روى ابن سعدٍ بسنده عن أبي

(١) الإصابة (٨ / ١٠٢).
(٢) السير والمغازي لابن إسحاق (ص ١٣٢).
(٣) صحيح البخاري (٤٩٥٣)، صحيح مسلم (١٦٠).
(٤) زاد المعاد (٣ / ١٧).

سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قالا: «جاءت خولة بنت حكيم فقالت: يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، قال: (**أجل، كانت أمّ العيال وربّة البيت**..) الحديث، قال ابن حجر: وسنده قوي مع إرساله[١]، وروى بسنده أيضا عن حميد الطويل، عن عبد الله بن عمير، قال: «وجد رسول الله ﷺ على خديجة حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة ﵂»[٢].

لا جرم؛ قال النبي ﷺ: (**خيرُ نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**) متفق عليه[٣].. فأكرم بهذه العظمة وتلك الخيرية وذلك الكمال.

قال ابن حجر: «ويفسر المراد به ما أخرجه ابن عبد البرّ في ترجمة فاطمة عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ عاد فاطمة، وهي وجعة، فقال: (**كيف تجدينك يا بنيّة؟**) قالت: إني لوجعة، وإنه ليزيد ما بي ما لي طعام آكله، فقال: (**يا بنيّة، ألا ترضين أنّك سيدة نساء العالمين؟**) قالت: يا أبت، فأين مريم بنت عمران؟ قال: «**تلك سيدة نساء عالمها**».. فعلى هذا: مريم خير نساء الأمة الماضية، وخديجة خير نساء الأمة الكائنة، ويحمل قصة فاطمة إن ثبتت على أحد أمرين: إما التفرقة بين السيادة والخيرية، وإما أن يكون ذلك بالنسبة إلى من وجد من النساء حين ذكر قصة فاطمة»[٤] اهـ.

قال ابن إسحاق: «كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عامٍ واحد وكانت خديجة وزيدٌ صدقًا على الإسلام وكان يسكن إليها» وقال غيره: «ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح وقيل: بأربع وقيل بخمس»، وقالت عائشة ﵂: «ماتت قبل أن تفرض الصلاة؛ يعني قبل أن يعرج بالنبي ﷺ»، ويقال: كان موتها في رمضان؛ كذا في «الإصابة»[٥].

اللّهم إنا نشهدك أنا نحب أمَّنا خديجة بحبك وحبِّ رسولك ﷺ لها، فاللهم اجعلنا من أحبابك وأوليائك.

---

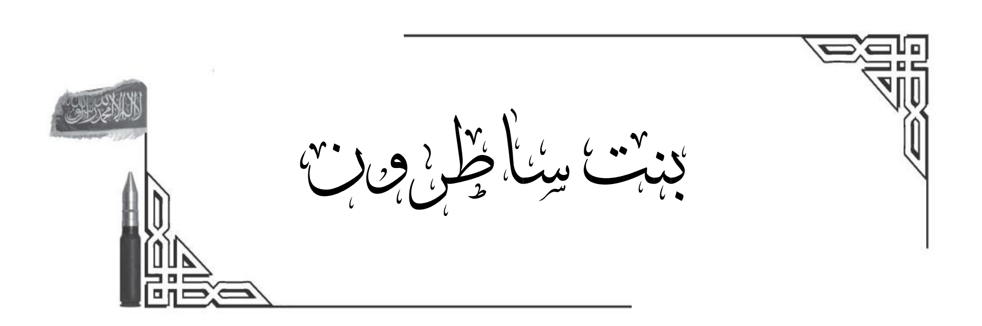
(١) الطبقات الكبرى (٨ / ٧٥)، الإصابة (٨ / ١٠٢).

(٢) الطبقات الكبرى (٨ / ٥٩)، الإصابة (٨ / ١٠٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٤٣٢)، صحيح مسلم (٢٤٣٠).

(٤) الإصابة (٨ / ١٠٢، ١٠٣).

(٥) الإصابة (٨ / ١٠٣).



بنت ساطرون

قصةُ هذا العدد هي من الوجه الآخر للنفس البشرية، من الجانب السلبيّ لها، إنها قصةُ الضعف البشري والأنثويّ، هي قصة من العصر الجاهليّ والمُلك الفارسيّ في بلاد العرب، لكنها قصةٌ للنفس البشرية حين تضعُفُ وتخون وتبيع الأصيل بالعَرَض الزائل القريب، وتنسى العهود، وتغلبها المتعة الحاضرة على القيم النبيلة والمعاني الفاضلة.!

وقائع هذه القصة القصيرة حدثت في آخر عصر ملوك الطوائف في المملكة الفارسية في مرحلة ما قبل الإسلام.

كان هناك مَلِكٌ اسمه «شاه بور»، والعربُ تنطقه: سابور، (قال بعضُ علماء السيرة كابن إسحاق وتبعَه ابن هشام: إنه هو الذي عُرِف عند العربِ بذي الأكتاف، ولكنِ الصحيحُ أنه سابورُ بن أزدشير، كما حققه السُّهيلي) قد آل إليه -بعد أبيه- في مرحلة ما معظمُ السيطرة على ملوك الطوائف ومُلك فارس، فكان في حربِه لتكميل ما بدأهُ أبوهُ من توحيد مملكة فارس غزا ملكًا اسمه ساطرون، وكان هذا أقوى ملوك الطوائف، كان له حصن حصينٌ مشهورٌ اسمه (الحَضْر) كان مطلًا على شاطئ الفرات، والفتاةُ صاحبةُ قصتنا هي ابنته.

قال ابن هشام ﷺ في السيرة النبوية -مع تصرف يسير وزيادات للتوضيح-: وكان كسرى سابور غزا ساطرون ملكَ الحضر فحصره سنتين، فأشرفت بنتُ ساطرون يومًا فنظرت إلى سابور وعليه ثيابُ ديباجٍ وعلى رأسه تاجٌ من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلًا، فدسّتْ إليه[1]: أتتزوجُني إن فتحتُ لك بابَ الحضر؟ فقال نعم، فلما أمسى ساطرون[2] شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكرانَ، فأخذت مفاتيحَ باب الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولىً لها ففتح الباب،

(١) أي أرسلتْ إليه خفيةً تقول. [المؤلف]

(٢) أي أبوها، صاحبُ الحصن. [المؤلف]

فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه، وسار بها معه فتزوجها، فبينا هي[1] نائمةٌ على فراشها إذا جعلت تتململ لا تنام[2] فدعا لها بشمعٍ[3] ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آسٍ [نوعٌ من الشجر معروف بطِيبه] فقال لها سابور: أهذا الذي أسهَرَكِ؟ قالت نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخَّ ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاءُ أبيك ما صنعتِ به؟ أنتِ إليَّ بذلك أسرع، ثم أمَرَ بها فرُبطتْ قرونُ رأسها بذَنَبِ فرسٍ، ثم رَكَضَ الفرسَ حتى قتلها[4].

انتهتِ القصة ووقعتِ العبرة.!

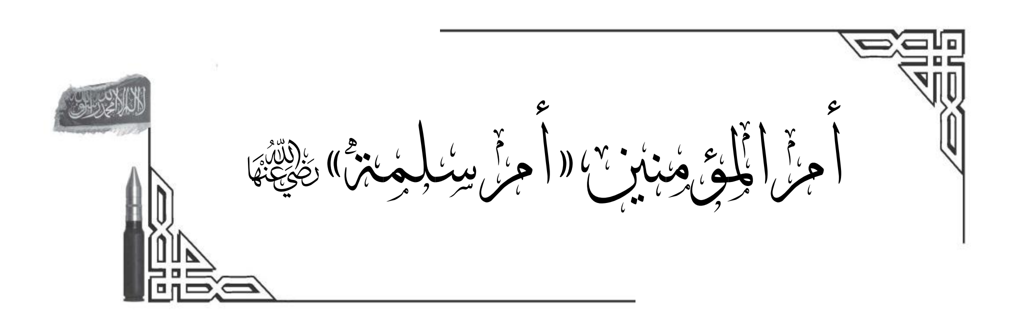


(١) ذاتَ ليلةٍ. [المؤلف]

(٢) لا يجيئُها النومُ. [المؤلف]

(٣) أي جيئَ لها بالإضاءة والإنارة ليُرى هل ثمَّ شيءٌ على فراشها أرّقها ومنعها من النوم. [المؤلف]

(٤) سيرة ابن هشام (١ / ٧١، ٧٢).



أُمُّنا المكرَّمة العالية القدر، أكرِمْ بها وأعظِمْ من عَلَمٍ للهجرة والجهاد والصبرِ والتضحية والتفاني واليقين والاحتسابِ وكرمِ الأخلاق..

اسمها: هندُ بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، أسلمَتْ بمكة من أوائل من أسلم، مع زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة المخزومي رضي الله عنه، وهو ابن عمها، وكانت معه أولَ من هاجرَ من المسلمين إلى الحبشة؛ ولذلك فأم سلمة رضي الله عنها من أهل الهجرتين، وقيل: إنها كانت أولَ امرأةٍ هاجرت من مكة إلى المدينة.

توفِّي زوجها (ابنُ عمها أبو سلمة) رضي الله عنه في جُمادى الآخرة سنة أربع للهجرة، بعد غزوة أحدٍ، فإنه كان جُرِحَ يومَ أحدٍ ثم انتقض عليه جرحُهُ فمات رضي الله عنه، وهو أحد السابقين الأولين من المهاجرين والمؤمنين بالنبي ﷺ وأخوه من الرضاعة (رضع هو وحمزة والنبي ﷺ من ثويبة مولاة أبي لهب)، ولأم سلمة من الأولاد: سلمةُ؛ ولد قبل الهجرة، ثم عُمر ودرة وزينب؛ وُلدوا في المدينة، وكلهم من أبي سلمة؛ فلما تُوفي أبو سلمة رضي الله عنه تزوَّجها النبيُّ ﷺ.

تقول في قصة هجرتها إلى المدينة: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَل لي بعيره ثم حملني وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رآه رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟! قالت: فنزعوا خطامَ البعير من يده وأخذوني منه؛ قالت: فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهطُ أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة[١] عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي، فكنت أخرج كلّ غداة فأجلسُ في الأبطَح، فما أزال أبكي حتى أمسى، سنةً أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمّي أحدُ بني المغيرة، فرأى ما بي

(١) رهطُها هي. [المؤلف]

فرحمني؛ فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟!
فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: فردَّ عليّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحدٌ من خلق اللَّه، حتى إذا كنتُ بالتّنعيم لقيتُ عثمانَ بنَ طلحة أخا بني عبد الدّار، فقال: إلى أين يا بنت أبي أميّة؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: أو ما معك أحد؟ فقلت: ما معي أحد إلا اللَّه وابني هذا، فقال: واللَّه ما لك من مَتْرَكٍ! فأخذ بخطام البعير؛ فانطلق معي يهوي بي، فواللَّه ما صحبت رجلًا من العرب أراه كان أكرمَ منه؛ كان إذا بلغ المنزلَ أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري فحطَّ عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواحُ قام إلى بعيري فقدّمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذ ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنعُ ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرِو بنِ عوفٍ بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلًا، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة» اهـ.، والقصة رواها ابن إسحاق بسند صحيح[(١)]، فالله أكبر يا لها من عبرةٍ للمعتبرين والمعتبرات.

وأسلمَ عثمان بن طلحة هذا بعد الحديبية، وهاجر مع خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهما، وهو الذي دفع إليه رسولُ الله ﷺ يومَ الفتح وإلى ابن عمه شيبة مفاتيحَ الكعبةِ؛ أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية.

قصة زواجها برسول الله ﷺ: في صحيح مسلم عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله:** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة]، **اللّهم آجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها؛ إلا أخلف الله له خيرا منها**)، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: «أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ»، قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطبَ بن أبي بلتعة رضي الله عنه يخطبني له؛ فقلت: «إن لي بنتًا[(٢)] وأنا غيورٌ»، فقال: (**أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**)[(٣)].

قال الحافظ في «الإصابة»: «وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي

(١) البداية والنهاية (٤ / ٤٢٤).

(٢) تعني رضيعة. [المؤلف]

(٣) صحيح مسلم (٩١٨).

الصّائب، وإشارتها على النّبيّ ﷺ يوم الحديبيّة تدلّ على وفور عقلها وصواب رأيها»[(١)] اهـ.

عن أم الحسين أنها: «كانت عند أم سلمة ﵂، فأتى مساكينُ فجعلوا يلحُّون وفيهم نساء، فقلت: اخرجوا أو اخرجن، فقالت أم سلمة: ما بهذا أمرنا يا جارية، رُدِّي كل واحدٍ أو واحدةٍ ولو بتمرةٍ تضعينها في يدها»[(٢)].

وشهدت أم سلمةَ من المغازي مع رسول الله ﷺ غزوةَ خيبرَ، وقالت: «سمعتُ وقعَ السيف في أسنان مرحب» -تعني اليهوديَّ-.

وأُمُّنا أمُّ سلمة هي آخر أمهات المؤمنين وفاةً؛ فقد ثبت في صحيح مسلم: أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية فسألا عن الجيش الذي يُخسف به، وكان ذلك حين جهَّز يزيدُ بن معاوية: مسلمَ بن عقبةَ بعسكر الشام إلى المدينة، فكانت وقعةُ الحَرَّةِ سنة ثلاثٍ وستين. قاله ابن حجر[(٣)].

رضي الله عن أم سلمة وأرضاها، اللّهم إنا نشهدُك أننا نحبها وسائرَ أمهات المؤمنين وصحابة نبيك ﷺ؛ فاللهم احشرنا في زمرتهم وألحقنا بهم في دارِ كرامتك.



---

(١) الإصابة (٨ / ٤٠٦).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٩٤٠).

(٣) صحيح مسلم (١٥٤٧)، الإصابة (٨ / ٤٠٧).





التعليق على كتاب:

«جهاد بلا قائد»

لكاتبه: مارك سيجمان




قرأ الكتاب:

الأخ/ جعفر صادق

حفظه الله

وعلق عليه:

الشيخ/ عطية الله رحمه الله

[وضعنا تعليقات الشيخ بين قوسين معكوفين، وما لم يكن بينهما فهو من كلام الأخ «جعفر صادق»]

تم نشر هذا المقال في مجلة «طلائع خراسان».. العدد الرابع عشر

جمادى الآخرة

١٤٣٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تعليق: بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا للأخ جعفر على قراءة الكتاب، أسأل الله أن يجزيه خيرًا، وتقبل الله سعيكم، وسأعلق على بعض ما يهمّ من الفقرات والمعاني، والله الموفق.. قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[آل عمران]، **وقال** ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾[الرعد]].

❋ ❋ ❋

مؤلف الكتاب «مارك سيجمان» كما عُرِّف به في الكتاب طبيب نفساني اجتماعي، يعمل مستشارًا حكوميا في مجال مكافحة «الإرهاب» وهو أستاذ جامعي، وله مركز بحثيٌّ مستقل، يبيع خدماته أيضًا لمن يشتري.!

بنى المؤلفُ كتابه كله على نظرية سماها «Radicalization» أي تحويل الشخص إلى متطرف من بعد كونه شخصا عاديا.. تحدث عن كون هذه العملية عملية اجتماعية عاطفية أكثر من كونها دينية أو عقلية برهانية، على حد قوله، وتحدث عن آلياتها، وأن ما يدعو الناس ليصبحوا إرهابيين هو أنهم -ببساطة- يعرفون إرهابيين آخرين استطاعوا نقل هذه الأفكار لهم.

فذكر أولا تعريفه لعملية التحويل «Radicalization» وأنها: «عملية تحويل الأفراد من أشخاص عاديين ذوي بدايات عادية لينتهوا كإرهابيين لديهم الاستعداد لاستخدام العنف لمآرب سياسية»، **وهذه العملية لها أربعة روافد كما يقول، -وهي ليس مترتبًا بعضُها على بعض-:**

الأول: الإحساس بالغضب الأخلاقي أو بالغضب بسبب الامتهان الذي يتعرض له المسلمون في كل مكان -كما يظن ذلك الإرهابيون-.!!

الثاني: هو تفسير هذه الامتهان ووضعه في سياق حرب متخيلة ضد الإسلام.

أما الثالث: فهو الصدى الذي يلاقيه هذان الرافدان مترددا مع الخبرة الذاتية للتمييز العنصري الذي يشعر به الفرد موضع (التحول).

والرابع: هو التحرك نحو العمل في شبكة يجتمع أفرادها وجهًا لوجه أو على الإنترنت.

الكتاب فيه مقدمة وثمان فصول؛ المقدمة يتناول فيها قصة «أحمد عمر شيخ سعيد» المتهم باختطاف وقتل أحد الصحفيين البريطانيين، الفصل الأول تكلم فيه عن المنهج العلمي لدراسة

الإرهاب، وهو فصل حصر العلم فيه في الإحصاء!

[تعليق: الإحصاء والحصر والاستقراء هي من دلائل العلم وطرقه، وليس العلم منحصرًا فيها، والكثير من إحصائيات الكاتب جيدة، ولكن الأرقام صماء وكل يفسرها على هواه، وهذا ما وقع فيه الكاتب نوعا ما، ولا عجبَ فهم أهل الأهواءِ؛ يعبدون أهواءَهم.!]

❋ ❋ ❋

في الفصل الثاني والثالث: تكلم عن الخلفيات الدينية والتاريخية والاجتماعية – الاقتصادية لهذه العملية التحولية، وهو فصل يوضح اطلاعه على الكثير من أدبيات الجهاد بدءا من «الفريضة الغائبة» و«معالم في الطريق» مرورا بـ«رجال تحت راية الرسول» و«دعوة المقاومة العالمية الإسلامية» وانتهاءً بكلمات الشيخ أبي مصعب الزرقاوي ﷺ.

ذكر في هذا الفصل الكثير من المعلومات، ولكن وظف بعضها توظيفا دنيئا، كقصة مقتل الشيخ: «عبد الله عزام» تقبله الله وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرا، وزعمه تورط الشيخ «أسامة» – حَفِظَهُ اللهُ ونصره– فيها.

[تعليق: هذا من فهومهم الخاطئة المنحرفة بطبيعة الحال، بسبب انعدام التقوى وسيطرة الهوى عليهم؛ فهم عبدة الهوى كما قلنا، وهو شيءٌ من خبثهم الذي ينفثونه عند أدنى مناسبة، وبطبيعة الأشياء هم لا يتصوّرون أدنى دورٍ للإيمان ولا يتصورون معنى التقوى ودوافعها ودوافع اليقين في الثواب والعقاب الأخروي...! وبالتالي يتعاملون مع الاحتمالات العقلية تعاملا ميكانيكيًا، ثم ترجّح لهم أهواؤهم بعضَها على بعض، وهنا يظهر تهافتهم وتفاهتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ويظهر انعكاس أحوالهم النفسية الّتي حاصلها أنهم يعيشون في قفصِ كفرهم، محكومون به مقيّدون عن الانطلاق إلى الآفاق.!]

❋ ❋ ❋

في الفصل الرابع: تحدث بالتفصيل عن روافد عملية التحول التي أشرتُ إليها سابقًا.

وفي الفصل الخامس: تحدث عن الفرق في عملية التحول بين أوروبا وأمريكا وكيف استطاعت الأخيرة أن تقلل هذه العملية أو أسبابها بشكل ناجح حسبَ زعمه.

وفي الفصل السادس: تحدث عن دور الإنترنت في هذه العملية.



وفي الفصل السابع: تحدث عن عملية انضمام الجماعات المحلية الصغيرة إلى حركة العنف الاجتماعية العالمية ارتباطا افتراضيا عن طريق الإنترنت، مما تسبب في نشوء شبكات إرهابية مرنة وسلسة، تتكيف بسرعة مع الظروف حولها، وتصعب إزالتها وهي ما أسماه بـ«جهاد بلا قائد».

وفي الفصل الثامن: قدّم ستة حلول عملية لمواجهة هذا الخطر، كما قال.

وفيما يلي بعض المقتطفات من الكتاب وأختمها بذكر الحلول الستة التي ذكرها:

ذكر في صفحة ٥٨: أن نسبة ٦٢٪ من الإرهابيين في عينته دخلوا الجامعة!! وهي نسبة تفوق -كما ذكر- نسبة المنتسبين إلى الجامعات في بلادهم، بل وتفوق نسبة الذين دخلوا الجامعة من المجتمع الأمريكي (٥٠٪ +- ٥).

ذكر في صفحة ٦٠: أن الإرهابيين لم يتلقوا تعليميا دينيا؛ فليس التعليم الديني هو السبب في كونهم إرهابيين، بل إن التعليم الديني -يقول- سببٌ في إثناء الكثير عن الإرهاب لأن الإرهاب هو مجرد تفسير متطرف حالم للدين الإسلامي، وأوصى أن يتم تعليمنا المزيد من الدين!!

[تعليق: هذا سببُهُ أن التعليم الديني في تصوره منحصر في نمطيات معينة كالدراسة في الجامعات الدينية (الإسلامية) ونحوها، ثم هو يشير إلى شيءٍ من الحقيقة الموجودة عندنا -في أمتنا-مع الأسف وهي: نوعُ انفصالٍ بين العلم والعمل؛ فنحن نعلم أنه بالتأكيد معظمٍ خريجي الجامعات والمعاهد الدينية في بلاد المسلمين ليسوا مجاهدين لا فكراً ومنهجًا ولا سلوكا وعملا، وخذ مثلا خريجي وطلاب «جامعة الأزهر» في مصر باعتبارها أكبر جامعة «إسلامية» في العالم، وقس عليها الكثير، ونعلم أن المجاهدين هم من شرائح شتى من الأمة، لا يمثل طلبة المدارس الدينية (المتخصصون في الدراسات الدينية الشرعية) فيهم إلا نسبة محدودة، وعلى كلٍ هو يلامِس مشكلة عندنا نحن المسلمين (الأمة)، والكلام فيها عندنا يطول وهو ذو شجون، وجهادُنا الذي نمارسه من مهامه ومقاصده تصحيح هذا الخلل وكل خلل إن شاء الله، فهذا لا يهمّه هو (الكاتب) إنما يعنّي نفسه المسكين!! وهو لفقد الإيمان والتوحيد لا يستطيع -كعادتهم- أن يفهم الأمور أو أن يضعها في نصابها.. نحن عالمَان مختلفان تمامًا، كل ما هنالك هو تقاطعات، بحكم الاشتراك في كوننا خلقَ الله وبشرا من بني آدم، ولكن الفرق هائل وهو الفرق بين الإيمان والكفر وما يتفرع عن كل منهما].

❋ ❋ ❋

ذكر في صفحة ٦٤: أن الإرهابيين يتمتعون بصحة عقلية تفوق كل سكان العالم، حيث يعاني أقل من ١٪ منهم من أمراض عقلية، بينما ٣٪ هي النسبة العالمية.

[تعليق: الحمد لله، هذا واضحٌ، ونزيده أن «الإرهابيين» بفضل الله يتمتعون بأحسن صحة

نفسية، وأن فيهم أقل نسبة اكتئاب في العالم وأقل نسبة أمراض نفسية وعصبية، وأعلى نسبة أخوّة وتحابب وتكافل وتراحم في العالم، وأقل نسبة شجار على الدنيا، وأقل نسبة جريمة في العالم، وأقل نسبة شرب مسكرٍ في العالم، وأقل -إلى حد الانعدام بفضل الله- نسبة ارتكاب الفواحش في العالم... وعددًا كبيرًا من الأرقام القياسية، إن كانت تنفعه، ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس]].

❁ ❁ ❁

ذكر في صفحة ٦٥: أننا تربينا تربية كان آباؤنا فيها يحموننا أكثر من المطلوب مما جعلنا معزولين عن الواقع القاسي حولنا وحالمين مثاليين.

[تعليق: **تخرصاتهم لا تنتهي ولا يمكن تتبعها؛ لأن هذا تفنى الأعمارُ في الجدل فيه، وأي واحدٍ يستطيع أن يقول أشياء من هذه التحليلات ويخلط وقد يكون معه شيء صحيحٌ، مع أشياء عظيمة من الباطل تغطي على ما معه من الحق، وهو لا يبصر، ويظن نفسه على شيء**].

❁ ❁ ❁

في صفحة ٨٦-٨٧: ذكر واقعنا الخاطئ بحسب قوله! ومما فاه به أننا مجموعة تخلت عن الحاجات والأفكار ذات الأمد القريب إلى أفكار وحاجات بعيدة المدى، واكتفوا بالمنح الروحية بدلا عن المنح المادية، وأصبحت اهتماماتهم متعلقة بالأمة وليست فردية لدرجة أنهم مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل الأمة والرفاق، وأصبحت الشهادة غاية أمانيهم.

[تعليق: **هو يشبه الذي قال: (الدخ)، وقد خبأ له النبي ﷺ الدخان، فقال له: اخسأ فلن تعدوَ قدرك، فهو يخلط ويُلبَّس عليه الأمر.. وهو يحاول تلمّس فكرة وفلسفة العلاقة بين الدنيا والآخرة عندنا نحن المسلمين أهل الإيمان والحمد لله، وفكرة وفلسفة غاية الوجود عندنا وفي تصورنا؛ فيتراءى شيئًا من طيفها كالخيال باهتًا ويصيبُه من بعيدٍ بعضُ إشعاعها لكن يعشى بصرُه عن إبصارها للأسباب التي أشرنا إليها مرارًا،** ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف] **فهو لا يستطيع أن يستوعبها بسبب كفره وصدوده عن الإيمان وإبائه عن التسليم لله تعالى والاعتراف بعبوديته لربه ﷻ، وبالتالي محدودية حركته الفكرية، إنما يستطيع أن يستوعب هذه الأمور فقط إذا قامَ مقام العبودية لله تعالى الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر، ولجأ إليه طالبًا الهداية، أما دون ذلك فلا وكلا.!!**



إن الفكرة التي لم يستوعبها هذا الكافر وأمثاله هي -إذا اجتهدنا في محاولة إيجاد تعبير مختصر عنها-: (نفسي نفسي) يعني أن العبد المؤمن يعمَل لنفسه أولا وقبل كل شيء لتنجح في الامتحان وتنال الفوز في الآخرة، و(إيثار الباقي على الفاني) أي الآخرة على الدنيا العاجلة، وأن الدنيا هي دار عبور وممرّ ودارُ امتحانٍ واختبارٍ وابتلاء، وإن الآخرة هي دارُ القرار، دار البقاء الأبديّ، والفوز فيها هو الفوز، وإنما وجدنا في هذه الدنيا لنُختبَر ونمتَحن فمن نجح في الامتحان فاز وصعِد إلى الجنة ومن فشل في الامتحان فلا يلومنّ إلا نفسه، فسعيُ المؤمن المجاهد هو في الحقيقة لنفسِهِ لينجوَ ويُفلح ويفوزَ، وذلك ينتظمُ أعمالا وفِعالا يصعُب على الكفرة تصوّرها وتحيّرُهم جداً ولا يعرفون لها تفسيرًا، إلا مثل هذه المحاولات التصويرية من غير المتأهِّل لها ومثل التخليطات التي ترون، فمساكينٌ هم!!]

✵ ✵ ✵

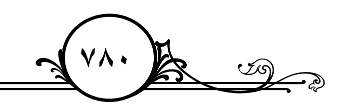
ذكر في صفحة ٩٤: أن الحرب ضد الإرهاب.. ليست حرب أيديولوجيات في الدرجة الأولى؛ بل هي حرب عقول وقلوب، لا ينبغي التركيز فيها على تقديم تفسير منا (يقصد أنفسهم النصارى أو الكفار عموما) للإسلام، بل من خلال التفسيرات المعتدلة للإسلام، وينبغي أن تسلب جاذبية الإرهاب وأن يُظهَر كشيء منفر مكروه.

[تعليق: **ما يسمونه الأيديولوجيا هو عندنا: العقيدة والإيمان ومجموعة المعايير والقيم والمفاهيم الدينية التي جاء بها الإسلام، ويحملها المسلم الذي رضي بالله ربًّا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا وبالإسلام دينًا، عن الوجود والحياة والدنيا والآخرة، وعن كل شيء، وعن العلاقة بين الأشياء، هذا لا يمكن أن ينفصل عما يسمونه (عقول وقلوب) لأنه مستولٍ على القلوب والعقول؛ فهي محاولات منهم كعادتهم، يحاولون في كل شيء!! لكن فاتهم التيار.. فمن محاولاتهم: «التفسير المعتدل للإسلام بألسنة وأقلام مسلمين معتدلين» زعموا!! وهذا إشارة إلى حاجتهم الكبرى إلى الاستعانة بعلماء السوء وأهل الضلالة وأهل الأهواء والزيغ من المنتسبين إلى ملة الإسلام، وهذا شيء معروف ومكرور، والحربُ ماضية، و﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[النساء]،﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾** [الأنفال]، **يعني: لا جديد!**

لكن نحن دعنا نسأل الكاتب سؤالا بسيطًا: لماذا لا تكون أنت مسلمًا عبدًا لله تعالى موحّدًا خاضعًا لربك الذي خلقك وأنعم عليك وأرسل لك الرسل وأنزل لك الكتب؟ لماذا تجعل همّك في كل «وجودِك» أن تحارب الإرهاب... إلخ؟ ألا فكرتَ في شيءٍ آخر؟ ماذا عن نفسك أنت؟ قف وانظر وتفكّر، أنت تفني نفسك في سبيل ماذا؟ «في الحقيقة: في سبيل قومك وملتك وأمتك الكافرة الطاغية التي أنت أسيرٌ مغلوبٌ في نسيجها العضويّ» ولكن ماذا عن نفسك؟ هل أنت ناجٍ في نهاية المطاف؟!].

✵ ✵ ✵

ذكر في صفحة ٩٦: أن الحلم الأمريكي المبني على كون أمريكا أرض الفرص وليست أرض الحريات كما يظن البعض خطأ، هو سبب في انخفاض الغضب الأخلاقي عند مسلمي أمريكا، بينما



العنصرية عند الأوربيين سبب للعكس، وغير هذا من أسباب ذلك في أمريكا كونها تتبنى سياسات فعالة لتوعية المجتمع ومد الجسور والتكامل مع القطاع المسلم في أمريكا وإن كان ذلك ليس بالشكل المطلوب -كما ذكر- والفردية والتطوعية كذلك.

في صفحة ٩٨: ذكر أن غياب معاداة الأمركة «Anti-Americanism» بين المسلمين الأمريكيين سبب في ضعف انجذابهم للخطاب التحريضي الإسلامي المتطرف العالمي.

أكد في صفحة ١٠٦: أنه ليست هناك خلايا نائمة في أمريكا، ثم ذكر في الصفحة التي تليها سبب كون الحدود المكسيكية آمنة ضد تسرب المتطرفين لأمريكا وهو كون المهربين هناك هم من سيبلغون السلطات الأمريكية عن تسرب أي أحد للحفاظ على عملهم.

[تعليق: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]].

❃ ❃ ❃

ذكر في صفحة ١١٨: أن القادة الحقيقيين للإرهاب العالمي هم متصفحو الإنترنت في المواقع الجهادية، وذلك أن شبكات منهم تنشأ وتنتسب للقاعدة فتعمل بعض الأعمال التي تقررها وتديرها هي «الشبكات» ثم ينسب الفضل فيها للقاعدة.

ذكر في صفحة ١٢٣: أنه بفضل الإنترنت فإن الإرهاب الإسلامي الدولي قد يخبو، ولكنه لن يموت أبدا (هذا بعد أن ذكر أن تراثا كاملا قد بُني على الإنترنت يسمح بقيام الإرهاب في أي مكان في أي مقر).

ذكر في صفحة ١٢٦: أن المسلمين عالميا لم يبدوا اعتراضا على غزو أفغانستان بشكل يتناسب مع العمليات وأعداد المسلمين عالميا، بعكس العراق حيث كانت السبب أو الزناد الذي قُدح ليشعل الغضب الإسلامي على أمريكا.

ذكر في الصفحات ١٤٠-١٤٢: صفات الموجة الثالثة (يعني من «الإرهابيين» كما يسميهم) والفروق بينها وبين الموجة الأولى والثانية، وأن الفرق الرئيسي هو كون هذه الموجة الثالثة تريد الموت بأي ثمن كان.

ذكر في صفحتي ١٤٤-١٤٦: نقاط ضعف مجموعات «الجهاد بلا قائد» وهي -بحسبه-: افتقارها لوجهة واضحة ولأهداف سياسية، وأنها معرضة لفقدان جاذبيتها بسهولة بين الشباب المسلمين، وأنها

لا تستطيع أن تفرض سلطتها على المنتسبين إليها لافتقادها بنية الأوامر من فوق إلى تحت (أي من الرئيس للمرؤوسين) بينما أعظم نقطة ضعف فيها -بحسبه أيضًا- هي كون أحلام المجد التي تراود منتسبيها قد تتبدل لأمجاد أخرى غير إسلامية في أية لحظة -كما يزعم-!.

[تعليق: على كلٍ، تصوراتهم هي هي، نفس الثغرات والخلل والركاكة، لنفس الأسباب التي أشرنا إليها، ويلاحظون أشياء ناقصة ويدركون بعضًا وتغيب عنهم أشياء أخرى، ولا نريد أن نخوض معهم في تفاصيل، بل نتركهم في أوهامهم وقصورهم يتخبّطون، وأيضًا يمنّون أنفسهم كما في آخر هذه الفقرة، ونحن نقول: الحربُ سجالٌ، والجهادُ ماضٍ، وكل شيء وارد في الصراعات البشرية؛ خيانات، سقوط، تعثّر أو انتكاسات والعياذ بالله، أي شيءٍ، إنما العاقبة للمتقين، والحمد لله].

❃ ❃ ❃

ذكر في صفحة ١٤٥: أن فقدان الحركات الجهادية للشيخ أسامة والشيخ أيمن -حفظهما الله- لن يؤثر فيها أبدا.

ذكر في صفحة ١٤٩: أن «القاعدة» المركزية (أو التنظيم المركزي) لم ينجحوا إلا في صناعة الأعداء لهم حول العالم.

[تعليق: هذا بحسب فهمه هو لأنه في مفهومه تمثل «الدولة» كل شيء، فعندما يرانا نحن عادينا أكثر دول العالم، وهذا واقع، فيقول: صنعوا الأعداء لهم حول العالم، لكن نحن ننظر من خارج عالَمه هو، ومن أعلى منه بحمد الله، وبالتالي ببساطة: نحن لا نخضع لمعاييرهم ولا نعترف بها، ومفهوم القلة والكثرة والعدد والعُدة، ومفاهيم النصر والهزيمة والكسب والخسارة، وغيرها من المفهومات، فضلا عن مفهوم «الأمة» ومفاهيمهم الأخرى مثل «العولمة» و«القرية الواحدة» عندنا عنها شيءٌ مختلف كثيرًا عما عندهم.. فهو يقول: صنعتم الأعداء، نقول: انظر ببساطة إلى المدّ الجهادي في الأمة اليوم وقارنه بما قبل عشرة سنين وعشرين سنة، سيصيبك الغمُّ والكمَد!! بفضل الله، فأمتنا الإسلامية وأجيالها في نهوض لمحاربتكم وللوقوف الكامل بإذن الله قريبًا في وجوهكم صفاً واحداً، فنحن ماضون في طريق صحيح، وما نحصّله نحن المسلمين والمجاهدين من علوم ومعارف وفُهُوم صحيحة مستقيمة مما نكتسبُه من ديننا وكتاب ربنا وكلام نبينا ﷺ ومن سائر ما في ديننا الحق، في المدة اليسيرة ومع التجربة القليلة، يفوق أضعافا ما تحصّلونه أنتم في المدد المتطاولة ومع الشقاء والتعب، وهو أزكى وأنقى بما لا يُقارَن مع ما عندكم من التخاليط والضياع، والحمد لله رب العالمين، ولم نستحق هذا لأننا بيضٌ أو سودٌ أو عربٌ أو عجم، ولا لكوننا شرقيين ولا غربيين ولا غير ذلك من الاعتبارات، إنما نلناه بفضل الله تعالى بهذا الإسلام الذي هدانا الله إليه وأعزنا به، لا يمكن أن يشاركنا ويكون مثلنا إلا من أسلَم مثلنا].



كرر في صفحة ١٥٠ مقولة: أن الحرب هي حرب عقول وقلوب المسلمين، مضيفًا في صفحة: ١٥٧ أنها ليست بخصوص كيف يفهمون الأمور، بل كيف يشعرون تجاهها، وزعم أنهم متفوقون في ذلك علينا.

ذكر حلوله المقترحة وتوصياته للقضاء على الإرهاب صفحة ١٧٧ وهي:

١- من المهم أن يُزال المجد من الإرهاب عبر نقل مجال الحرب من المجال العسكري إلى غيره إلا في العمليات التي يتطلبها عدم بقاء ملجأ للإرهابيين، ويتم ذلك (إزالة المجد) عن طريق مساواة الإرهابيين بالمجرمين العاديين.

٢- تخفيض الغضب الأخلاقي عن طريق الانسحاب من العراق وعن طريق الإجراءات المدروسة بعد ذلك واتخاذ الإجراءات الصحيحة في التعامل مع العمليات الإرهابية بحيث لا تتسبب في المزيد من الغضب.

٣- لا بد من الترويج للأبطال المسالمين بين المسلمين الشباب لكسب معركة القلوب والعقول.

٤- لا بد أن ينضم المسلمون المعارضون للإرهاب إلى الحملة عن طريق مواجهة المتعاطفين مع الإرهاب.

٥- لا بد للإعلام العالمي من إعطاء المزيد من الاهتمام لقادة المسلمين الذين يعارضون الإرهاب.

٦- لا بد أن تكون الرؤية العامة للناس أن الإرهاب أصبح موضة بالية ولا بد من نبذه.

ثم ذكر أن إزالة التمييز ورفع المستوى الأخلاقي لهم هم هو أمر ضروري لتقليل جاذبية الإرهاب، ثم تكلم عن أهمية الدراسة العالمية للإرهاب وجعلها أساسًا لأي خطة للقضاء عليه.

[تعليق: **يحاولون كما قلنا في كل شيء، وما غيبوا جُهداً، أخزاهم الله..**

لكن بكل بساطة، وبكل ثقة واطمئنان بحمد الله: لا يستطيعون!! ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾[غافر]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾[الأنفال] **وكل هذه المحاولات وهذا الكيد والمكر الكبّار وهذا الخبث، هو أشياء مكررة، لكن الواحد منهم كهذا الكاتب وجماعته من أهل راند يظنون أنهم ابتكروا أفكاراً إبداعية وفاقوا عصرهم وأتوا بما لم تأتِ به الأوائل؛ فهذا مستواهم هم، لكن نحن كلُّ هذا نعرفه جيداً، أخبرنا عنه ربنا ﷻ في كتابه العزيز المطهر الذي أنزله إلينا؛ كله في القرآن، ما خرج قِيد أنملة عما في القرآن مما عارض وحارب به الأقوامُ الكافرون المكذبون رسلَ الله تعالى، وعما حكاه الله لنا من مكر الكافرين وكيدهم بجميع أصنافهم، فبالنسبة لنا الأمرُ عاديٌّ**

جدًا، ولا جديد، نحن نعرف طريقنا جيدًا، ونعرف بحمد الله عدوّنا بالمحدِّدات الكاملة العميقة الواضحة وبالتفصيل الكافي، الذي الزيادةُ عليه تضييعُ وقتٍ وجهدٍ وغبنٌ!؟ وليس معنى ذلك أن المجاهدين نائمون راكنون إلى أن كلَّ شيء معروف وكل شيءٍ على ما يُرام، بل هم بحمد الله يقظون حازمون آخذون بالأسباب قدر اجتهادهم ووسعهم باذلون كل المستطاع، فهذه حربٌ شرسة، المجاهدون فيها أولياءُ الله وأنصارُه، وخصمهم عدوٌّ لله وحربٌ عليه، والله مع المتقين.. ومن العجب أن الكاتب يدعو قومه إلى رفع مستواهم الأخلاقي، وهذا تناقض فشلوا هم في إدراكه؛ وكيف يستطيعون رفع مستواهم الأخلاقي وهم يكفرون بالله ورسوله ودينه، ويحاربونه ويحاربون أولياءه، إنه يعيش في حالة خيال عالية الوتيرة جدًا.!! لكن الحل الوحيد لهم أن يعترفوا بأنهم إنما يمارسون عملية دَجَل لا منتهية وعمليات تزويق وتجميل، بلا شك أنها ستنطلي على بعض الناس، وتستهوي بعضَ مَن يخذله الله، وما أكثرهم أيضًا! لكن ثم ماذا، وإلى أين تذهبون؟! والحرب مستمرة بين الفئة القليلة المحقة وقوى الباطل والطغيان المختارة للدنيا العاجلة الفانية المفتونة بزخارفها ناسيةً غايةَ وجودها، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴿٤﴾﴾ [محمد].. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

انتهت التعليقات].







في ظلال آية



﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾

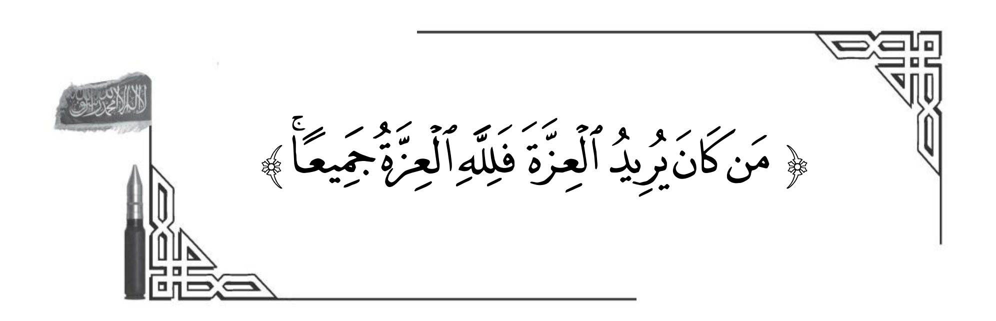
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

تم نشر هذين المقالين في مجلة «طلائع خراسان»..

العدد الخامس عشر، والتاسع عشر

شعبان - رمضان

١٤٣٠



﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾

لم يزل طلب العزة دأبَ البشر؛ لا جرم أن الإنسان معترفٌ في قرارته بحقيقة حقارته، وفقره وعجزه وحاجته.

فمن الناس من ابتغاها في الأموال والمِلك، ومنهم من ابتغاها في الرياسة والمُلك، ومنهم من ابتغاها في الأنصار والأولاد والعشيرة: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾[الكهف: ٣٤]، ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[العنكبوت: ٢٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾[النساء]، ومنهم من ابتغاها في شركاء من دون الله يعبدهم ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١﴾[مريم]، فكان كما قال الله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾[العنكبوت].

الكل باحثٌ عن العزة طالبٌ لها، وأكثرهم فاسقون وعن الصراط ناكبون: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾[الملك]، فهدى الله أهلَ الإيمان به واتباع رسوله ﷺ إلى مصدر العزة ومنبعها وسبيلها وطريق تحصيلها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[فاطر: ١٠]، «و﴿مَنۡ﴾ اسم شرط وما بعده فعل الشرط، والجمع بين ﴿كان﴾ و﴿يريد﴾ للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها، وجملة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ دليلُ الجواب، ولا يصح أن يُجعلَ جوابًا للشرط من حيث الصناعة النحويّة لخلوه عن ضمير يعود على ﴿مَن﴾، وقد قالوا: لا بدّ أن يكون في جملة الجواب ضمير يعود على اسم الشرط إذا لم يكن ظرفا، والتقدير: من كان يريد العزة فليطلبها من الله تعالى فلله وحده لا لغيره العزة فهو سبحانه يتصرف فيها كما يريد؛ فوضع السبب موضع المسبَّب لأن الطلب ممن هي له وفي ملكه جميعها مسبَّبٌ عنه، وتعريف العزة للاستغراق بقرينة ﴿جَمِيعًا﴾ وانتصابُهُ على الحال، والمراد:

عزة الدنيا والآخرة، وتقديم الخبر على المبتدأ للاختصاص»[(١)].

وبيّن ربنا ﷻ غلط الغالطين في طلب العزة من غير محلها: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء] «وقد علم الله ﷻ أنهم كانوا يريدون الاعتزاز، لأن الإنسان مجبولٌ على طلب العزة؛ فمخطئٌ أو مصيبٌ، فمعنى الآية والله أعلم: بلغ هؤلاء المتخذين الكافرين أولياء من دون الله ابتغاءَ العزة بهم؛ أنهم قد أخطأوا في مواضعها وطلبوها في غير مطلبها؛ فإن كانوا يصدقون أنفسهم في طلبها، فليوالوا الله ﷻ وليوالوا من والاه»[(٢)].

فيا من تريد العزة وتطلب العزة، وتتحاشى عن الذلة: عليك بربك العزيز المجيد الكبير المتعال؛ فإن العزة جميعَهَا له وعنده وبيده، يؤتيها من يشاءُ ويمتعها من يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران].

ويا من تريد عز الدنيا والآخرة: عليك بطاعة مولاك العزيز الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، المتصرف في خلقه كما يشاء، الفعّال لما يريد، الذي لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه، وهو العزيز الحكيم الذي العزةُ إزارُهُ والكبرياءُ رداؤُهُ؛ فالزم طاعته وخدمته، وكن أبدًا في صفه وجانبه، وَحِّدْه، وتذلل إليه واخضع، وانكسر وتواضع، يرفعْك ويعزّك، ولا تكن من المخالفين المحادّين فتذل؛ فإن العزة في طاعته والذل والخسران في معصيته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[المجادلة]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون].

نعم؛ المنافقون لا يعلمون!، لا يعلمون أن العزة لله ولمَن والى الله وكان في صفِّ الله، فراحوا يطلبونها من غير محلها وعندَ من لا يملكُها، يتعزّزون بالأولياء من دون الله: ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾[النساء: ١٣٩]، المنافقون لا يعلمون هذه المعاني ولا تكاد تستقرُّ في قلوبهم، وإن طافت بها أحيانًا كالخيال!!

أما أهل الإيمان فقد وُفقوا وسُدّدوا واستبانت لهم الطريق وأبصروا بما آتاهم الله من النور سبيلَ العزة في الدنيا والآخرة، وشكروا نعمةَ الله أن أعزهم بهذا الدين؛ كما قال أحدُ قدواتهم العظام –سيدنا

---

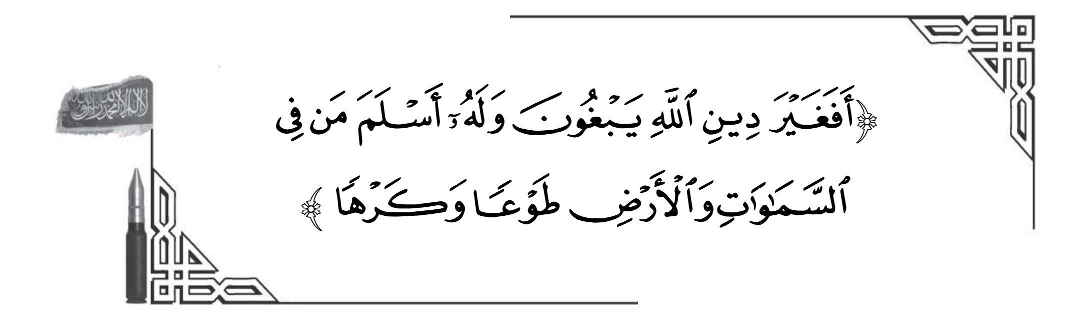
(١) روح المعاني للألوسي (١١ / ٣٤٦)، بتصرف يسير. [المؤلف؛ دون العزو، ودون: روح المعاني]

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ١٣١). [المؤلف؛ دون العزو، ودون: البرهان في علوم القرآن]

عمر رضي الله عنه-: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»[١]، فاستجابوا لله العزيز وصدّقوا وأيقنوا وأذعنوا وانقادوا لأمره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[الأنفال: ٢٤] فطوبى لهم وكرامة وسيادة وسعادة، وحسن خاتمة..

---

(١) ورد بألفاظ مقاربة لهذا اللفظ -المشهور- في: جزء سعدان (٦) بلفظ: «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ وَأَحْقَرَ النَّاسِ، وَأَقَلَّ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمْ»، وفي: تاريخ دمشق (٥ / ٤٤)، البداية والنهاية (٩ / ٦٦٦).



﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾

عجيبٌ أمر هؤلاء البشر عندما يَضِلُّون عن طريق الله، وعجيبٌ شأن هذا القرآن العزيز حين يحاصر ضمائرهم الحائرة بأجنادِ الأدلة والبراهين، وحين يكشفُ شرودهم التائه، وينعى عليهم هروبهم من مواجهة الحقيقة والواقع، بل وحين ينادي عليهم بفضيحة الجهل والغباوة: أين تذهبون؟! وماذا تطلبون؟ وقد كفاكم الله وأرشدكم وهداكم وأرسل إليكم الرسل وأنزل إليكم الكتب، ونصَبَ لكم من الدلائل على وحدانيته وتفرّده سبحانه باستحقاق العبادة ما يبهر العقولَ وتخضع له الأعناق، وجعل الكون كلّه مسبَحا بحمده معترفًا بربوبيته، شاهدًا بأنه الإله الحق، ناطقا بالدلالة عليه ﷻ.

هذه الآية الكريمة تتضمن حجةً من حجج الله تعالى التي جادل بها أهل الكفر، ودمغ بها باطلهم وزيّف بها ضلالهم.. وسواءٌ كان المخاطب بها أهلَ الكتاب وذلك على قراءة ﴿تبغون﴾ و﴿تُرجَعون﴾ بالتاء، أو كان السياق التفاتًا إلى خطاب المؤمنين تعجيبًا لهم من حال أهل الكتاب وعموم الكفارِ في انصرافهم عن دين الله وطلبهم غيره، والحلُ أنه قد أسلم لله تعالى كل مَن في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا، وأنهم -في النهاية- راجعون إليه سبحانه.

ومعنى الآية على وجه التقريب: عجيبٌ أمرهم ومنكرٌ صنيعُهم؛ يطلبون دينًا غير دين الله الإسلام، وقد انقاد وخضَعَ واستسلَمَ له كل مَن في السماوات والأرض، فمن لم يُسلِم مختارًا طائعًا فإنه لا محالة قد استسلم وخضع مكرهًا مجبورًا منقادًا إذ لا يمكنه الخروج عن قدرة الله ومشيئته وقضائه وتدبيره سبحانه، بل هو عبدٌ ذليل مسخَّرٌ، والكل -كل المخلوقات- هي كذلك، ثم مما يزيد العجب ويزيد من نكارة تصرفهم وسوء صنيعهم في جموحهم بعيدًا عن دين الله وطلبهم غيره أنهم في نهاية الأمر راجعون إلى الله حتمًا وغصبًا ورغمًا، لا يستطيعون فِرارًا منه ولا يمكنهم أن يعجزوه هربًا، بل يأتون إلى ميعاده فرادى خاضعين خاشعين من الذل؛ يأتيه المخلوقات حقيرُها وكبيرُها.

ولو حبس الله بولَهُ عن الخروج بعضَ الوقت لتوجَّع وتأوه وتألم ولما أمكنه أن يتمتع بشيء من لذائذ دنياه وسلطانه، ولكان مستعدًا لبيع كل ما يملك ليشتري صحته وعافيته.!

إن في هذا لعبرةً ودليلًا لمن كان عاقلًا وتفكر وتأمل وتدبر، وحسم أمرَه، قبل أن يفوتَ الأوان..

ويا سعادة أهل الإيمان والطاعة لله والاتباع لرسُله، ويا شقاوة الشاردين عن دين الله الجاهلين بحقيقة أنفسهم وبما حولَهم وبعواقِب الأمور.!

وهل سعدتِ البشرية إلا في ظل دين الله، وهل شقيتْ -حين تشقى- إلا بالبُعدِ عنه وابتغاء الشفاء والسعادة في الانسلاخ عنه، تظن أنه قيدٌ لحريتها وأنه كبحٌ لشهوتها، وغفلتْ عن أنه منهج الرب الأول الآخر الظاهر الباطن اللطيف الخبير الذي يعلم ما خلق، والذي هو بكل شيء عليمٌ، الرحمن الرحيم الودود البرّ الكريم الذي هو أرحم بهم من أنفسهم وأبرُّ وأرأفُ، الذي يدعوا عباده إلى الخيرِ والصلاح والسعادة.

فإلى دين الله يا عباد الله.. وإلى شريعة الله وأحكامِهِ وقوانينه الحقة السامية النزيهة يا من أسلمتم باللسان، وادَّعيتُمُ الإيمان.. وإياكم أن تغتروا بمن ضلُّوا من قومنا واتبعوا سبيلَ الكفار قديمًا وحديثًا، وجَرَوْا وراء السراب وتوهموا السعادةَ والنجاحَ والقوةَ في البُعدِ عن دين الله.! بل ائسفوا عليهم وتوجعوا لحالهم، واعلموا أن لضلالهم أسبابًا كثيرةً تتضح لمن بحث وتأمل.. ومن أهمها انبهارُهُم بالغربِ الكافر واغترارُهم بإنجازاتهم الظاهرية المادية، مع أن هذه فتنةٌ، وعلاجُها والجوابُ عليها وطريق النجاح في امتحانها واضحٌ غاية الوضوح في القرآن الكريم بيّنه الله لنا أحسن وأجمل بيان تطمئن به القلوب وتشفى به الصدور، لكن المشكلة في البُعد عن هداية القرآن.

إياكم أن تغتروا بهم وبزخارفهم وجدلهم؛ فقد بان لكم السبيل وأنارتْ لكم الطريقُ فاسلكوها بشجاعةٍ وصحةِ اختيار وقوة عزيمة فتلك سعادة الدنيا والآخرة..

وأختم بكلماتِ الشهيد «سيد قطب» رحمه الله «في ظلال القرآن»:

«ولا مناص للإنسان حين يبتغي سعادته وراحته وطمأنينة باله وصلاح حاله، من الرجوع إلى منهج الله في ذات نفسه، وفي نظام حياته، وفي منهج مجتمعه، ليتناسق مع النظام الكوني كله. فلا ينفرد بمنهج من صنع نفسه، لا يتناسق مع ذلك النظام الكوني من صنع بارئه، في حين أنه مضطر أن يعيش في إطار هذا الكون، وأن يتعامل بجملته مع النظام الكوني.. والتناسق بين نظامه هو في تصوره وشعوره، وفي واقعه وارتباطاته، وفي عمله ونشاطه، مع النظام الكوني هو وحده الذي يكفل له التعاون مع القوى الكونية الهائلة بدلا من التصادم معها. وهو حين يصطدم بها يتمزق وينسحق أو لا يؤدي- على كل حال- وظيفة الخلافة في الأرض كما وهبها الله له.

وحين يتناسق ويتفاهم مع نواميس الكون التي تحكمه وتحكم سائر الأحياء فيه، يملك معرفة أسرارها، وتسخيرها، والانتفاع بها على وجه يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة، ويعفيه من الخوف

والقلق والتناحر.. الانتفاع بها لا ليحترق بنار الكون، ولكن ليطبخ بها ويستدفئ ويستضيء! والفطرة البشرية في أصلها متناسقة مع ناموس الكون، مسلمة لربها إسلام كل شيء وكل حي.

فحين يخرج الإنسان بنظام حياته عن ذلك الناموس لا يصطدم مع الكون فحسب، إنما يصطدم أولا بفطرته التي بين جنبيه، فيشقى ويتمزق، ويحتار ويقلق. ويحيا كما تحيا البشرية الضالة النكدة اليوم في عذاب من هذا الجانب- على الرغم من جميع الانتصارات العلمية، وجميع التسهيلات الحضارية المادية! إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير. خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها.. حقيقة الإيمان.. وخواء حياتها من المنهج الإلهي؛ هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون الذي تعيش فيه.

إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيدًا عن ذلك الظل الوارف الندي. ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيدا عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق! ومن ثم تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب وتحس الخواء والجوع والحرمان وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام! وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسورة والفراغ الكثير.. لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتزايد كلما تزايد الرخاء المادي والإنتاج الحضاري واليسر في وسائل الحياة ومرافقها.

إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف. يطاردها فتهرب منه. ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير! وما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية في الأرض حتى يكون الانطباع الأول في حسه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم. هاربون من ذوات أنفسهم.. وسرعان ما يتكشف الرخاء المادي والمتاع الحسي الذي يصل إلى حد التمرغ في الوحل، عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمسكرات والمخدرات والجريمة. وفراغ الحياة من كل تصور كريم! إنهم لا يجدون أنفسهم لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الحقيقية.. إنهم لا يجدون سعادتهم لأنهم لا يجدون المنهج الإلهي الذي ينسق بين حركتهم وحركة الكون، وبين نظامهم وناموس الوجود.. إنهم لا يجدون طمأنينتهم لأنهم لا يعرفون الله الذي إليه يرجعون..»[1] اهـ.

❋ ❋ ❋

(١) في ظلال القرآن (١ / ٤٢١، ٤٢٢).





النصح والإشفاق.. في الكلام على

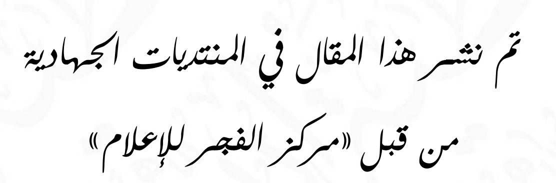
«تفجيرات الأسواق»

[سؤال وجواب حول تفجيرات أسواق بيشاور]



تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز الفجر للإعلام»



١٤٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

إلى أهل العلم والدين حفظهم الله ورعاهم وسدد على طريق الحق خطاهم..

هل يجوز الفرح والسرور بمثل هذه التفجيرات التي وقعت في سوق بيشاور -أواخر شهر أكتوبر من هذا العام ٢٠٠٩م- وإظهار الشماتة بالمتضررين بها من المتسوّقين والتجّار وعموم الناس، على أساسِ أنهم مفرّطون في أمرِ الدين مهتمون بشأن دنياهم وعَيشهم فقط وتاركون للجهاد وخاذلون للمجاهدين ومقيمون تحت سلطان الحكومة المرتدة لا يبالون بشيء من ذلك؟

بيّنوا لنا وجهَ الحق في هذه المسألة

وفقكم الله وأثابكم وجزاكم عنا وعن المسلمين خَير الجزاء.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه..

وبعد: فإنه لا يجوز الفرحُ والسرورُ بمثلِ هذه التفجيرات -كالمذكورة التي وقعت في سوق بيشاور-، ولا يجوز إظهارُ الشماتة بالناس المتضررين بها والواقعةِ فيهم وفي بلدهم وسوقهم، بل يجبُ الإنكارُ عليها واعتقادُ أنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروج عن الشريعة الإسلامية المطهرة، وأنه لا يفعلُها من يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلا عن مجاهدٍ في سبيل الله، بل إن كان ثمتَ شيء مشروعٌ نحوها من المشاعر والأحاسيس فهو أن يحزَنَ المسلمُ من ذلك ويهتمَّ -يصيبَهُ الهمُّ- ويأسَفَ لها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

شرح هذا الجواب وبالله التوفيق:

أما عدمُ جوازِ الفرحِ والسرورِ بها؛ فلأنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام كما قلنا، ومعلومٌ بطريق القطع أنه لا يجوز للمسلم أن يفرَحَ ويُسر بشيء هذا وصفُهُ الشرعيّ.

فإن المسلم يحب ما يحبُّهُ الله ورسوله ﷺ، ويفرَحُ ويسر بذلك، وهو الخيرُ والصلاحُ والبرُّ والعدلُ والإحسانُ والهُدى والحقُّ والمعروفُ، ويكرَهُ أضدادَ ذلك من الشر والفسادِ والظلمِ والعدوانِ والضلال والباطل والمنكر، ولا يكون الإنسانُ مؤمنًا إلا بذلك، هذا شرطُ الإيمان الشرعيّ، وإلا كان منافقًا كافرًا في الباطن، والعياذ بالله.

والقرآن والسنة مملوءان بالدلالات على ذلك نصًّا ومعنى، ودينُ الإسلام قائم على ذلك، فإن الإسلام هو الاستسلام لله ﷻ باطنًا وظاهرًا، وهو العبودية التامة للبارئ ﷻ؛ التي مبناها على كمال الحب له ﷻ مع كمال الذل والخضوع، الموجب للانقياد لأوامره سبحانه، ومتابعة رسوله ﷺ.

فمن فرح بشيء وأحبَّهُ ورضيَهُ، وهو يعلمُ أن الله لا يحبه ولا يرضاه؛ بل يمقُتُهُ ويُبْغِضُهُ ويكرهُهُ ويسخَطُهُ، فقد عصى الله، وناقض «مبدأ الاستسلام» له ﷻ، وخرج عن عبوديته، وهذا الخروج فيه تفصيل؛ فقد يكون معصيةً (غيرَ كفرٍ) وقد يكون كفرًا ونفاقًا، ويحتاج هذا إلى بسطٍ لا يسعه هذا الجواب، لكن نشير إلى شيء منه. وهكذا من كرِه وسَخِطَ ما يحبه اللهُ ويرضاه ويأمُرُ به.

لكن قد يجتمع في الإنسان أنه يكرهُ الشيءَ لأنه يعلم أن الله يكرهه، فهو موافق لربه في ذلك مستسلمٌ له من هذا الوجه، ثم هو (الإنسان نفسه) يفعل ذلك الشيءَ ويلتذُّ به، وهذا درجات متفاوتة بحسب قوة ثبوت كون الشيء مكروهًا لله ﷻ، فإن كان قطعيا فهو درجةٌ، وإن كان غير قطعيّ فيحسبِ غلبة الظن في ثبوته.

وهو في كل ذلك بحسب حكم الله ﷻ فيه، إن كان الله ﷻ حكم في شريعته بأن هذا الفعلَ (سواءٌ كان فعلًا قلبيًّا أو من أفعال الجوارح) كفرٌ، أو حَكَم بأنه معصيةٌ غيرُ كفرٍ، ويعرف ذلك من الأدلة الشرعية التفصيلية.

ومثالُ الأولِ: المسلم الذي يشرب الخمر أو يزني، وهو يعلَمُ أن شربَ الخمرِ والزنى حرامٌ يبغضه الله ﷻ ويسخطه وينهى عنه ولا يرضاه، وهو يفعل هذا الفعلَ القبيحَ وهو يعرف قُبْحَهُ ونَكارَتَه، ولكنه يريدُهُ ويلتذ به ويحبه محبة غريزية «حيوانية» غيرَ شرعية، وغلبته شهوتُهُ فيه، فانفكت المحبة في حقه، فنجا من الكفر، لكنه على خطر عظيم (مرتكبٌ لكبيرة)، وهذا هو الذي قال النبي ﷺ: (**لا يزني**

الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)(١)؛ فنفى عنه حينَ الفعل وصف الإيمان، لكنه ليس كافرًا بهذا الفعل بإجماع أهل السنة خلافا للخوارج المارقين، بل هو فاسِقٌ بذلك ما لم يتب، وهذا من سَعَةِ رحمة الله ﷻ ولطفه أن لم يحكُمِ اللهُ ﷻ بأن مرتكب هذه الأفعال كافرٌ خارج عن دينه (الإسلام)، ولو شاء لفعل.. فاللهم لك الحمد والثناء والحسن على سعة رحمتك وعظيم فضلك.

ومثال الثاني: مرتكب الصغيرة من الصغائر مما هو من باب الشهوات، كمن يشربُ الدخانَ (السيجارة) أو يستمع إلى الألحان المطربة المحرمة (الموسيقى) ويلتذُّ بها؛ وهو عارف بحرمتها، أو هو متردد في الاقتناع بحرمتها لوجود شبهةٍ في ذلك عنده مثلًا.. وقس على هذا.

ومثالُ ما حكم الله بأنه كفرٌ: أن يُحِبَّ الإنسانُ أعداءَ الله من الكفَّارِ كاليهود والنصارى والهندوسِ والبوذيين وما شابههم ممن كفرُهُم معلومٌ، أو شأْنُهُ أن يكون معلومًا من مثله، يحب دينهم وما هم عليه، ويرضى به، أو يكرَهَ ويُبغِضَ شريعَةَ الله على وجه الإجمالِ، أو شيئا منها معلومًا كونُهُ من شريعة الله وحكمِه، فإن هذا الإنسان يكفر بذلك؛ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾ [محمد]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾ [محمد].

وقد يقع لبعضِ الناس تأويلٌ في المحابِّ والمباغِض (ما يُحِبُّ وما يُبْغِضُ)، كمن يظن أن فلانًا المسلم المعيَّن يستحق القتل فَيَفرحُ ويُسر بموته لاعتقاده أنه فاسقٌ فاجرٌ مستحق للقتل، وقد يكون كذلك في نفس الأمر (في الحقيقة) وقد لا يكون، فهذا في الشخص المعيَّن، لكنَّ هذا غيرُ متصوَّرٍ في عموم المسلمين وجملتهم من مستوري الحال وجماعاتهم بما فيهم ذراريهم (أطفالهم) ونساؤهم وشيوخهم وفضلاؤهم وجميعُ مستوياتهم، فلا يمكنُ أن يفرَح وُيسر مؤمن بقتلهم وهلاكهم وتدميرهم جملةً.! وقد أخبر الله عن حال المنافقين بأنهم: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠﴾ [التوبة]؛ فهذه صفة المنافقين: يفرحون بما يصيب

(١) صحيح البخاري (٦٧٨٢)، صحيح مسلم (٥٧).

النبيَّ ﷺ والمسلمين من الآلام والشدائد، ويستاؤون ويغتمون لما ينالُ المسلمين من الخير.

❑❑❑

فصلٌ؛ في أن المشاعر والأحاسيس والوجدانات كثيرٌ منها داخلٌ تحت التكليف

فهي أفعالٌ قلبية من أفعال المكلفين التي يتعلق بها خطاب الله ﷻ بالطلب، إلا ما كان منها جِبلّيًّا طبيعيًّا، لا يقدر الإنسانُ على التحكم فيه، ولا طاقة له به، كالميل الطبيعي في محبة الأهل والولدِ ونحوه، كما قال النبي ﷺ في حديث القَسْم بين الأزواج: (**اللّهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملِك**)[1].

وقد قال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، وقال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾[البقرة: ٢٨٦].. فالفرح والسرور وما قاربها، وأضدادها من الهم والحزن والأسف والوجد، وغير ذلك -إلا ما استثني من القِسْم الطبيعي- أفعالٌ قلبية ينبغي أن تخضع لحكم الله ﷻ، وهي في جملتها راجعةٌ إلى قاعدة جامعة هي: الحب والبغض.

فعلى المسلم أن تكون مشاعره وأحاسيسه خاضعة للشرع منضبطة به، يحب ما يحبه الله ويفرح ويسر به ويأنس ويرتاح إليه، ويكره ما يكرهه الله ويحزن منه ويأسف ويهتم.. وهكذا.

لكن في كل ذلك تفاصيل دلت عليها الأدلة الشرعية تُنظر في مواضعها من كتب أهل العلم، وإنما أشير إلى شيء منها:

فأما الفرح والسرور: فقد أمر الله ﷻ عباده بأن يفرحوا بفضله ورحمته؛ قال الله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾[يونس]، فكل ما هو من فضلِ الله ورحمته وإحسانه ولطفه وهدايته وتوفيقه من النعم والمنن والأفضال الربانية الدينية والأخروية. فهو مما ينبغي أن يفرح به العبدُ، ومعنى الفرح هنا سرورُ القلبِ بها المقتضي لشكر الله عليها بأركان الشكر؛ القلبي واللساني وبالجوارح.

قال العلماء: أغلبُ ما ورد لفظُ الفرح وفي لسان الشرع وفي لغة الكتاب العزيز في سياق الذم؛

---

(١) سنن أبي داود (٢١٣٤) وضعفه الألباني، مسند أحمد (٢٥١١١) بلفظ مقارب قال فيه الأرنؤوط: إسناد رجاله ثقات، مسند الدارمي (٢٢٥٣) وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

كقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الأنعام]، وقوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾[التوبة]، وقوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص]، وقوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾[التوبة]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[هود]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾[الرعد]، وقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[الحديد].

وهو في عامة الآيات الكريمات ونحوها: الفرحُ المطغي المؤدي إلى العُجْب والغرور والكِبر، أو الفرح بما لا ينبغي أن يفرَحَ به المؤمنُ.

ومن الفرح المحمود: الفرحُ بنصر الله عبادَه المؤمنين على الكافرين، أو نصرِهِ الأقلَّ شرا والأقرب إلى المسلمين من الكفار على غيرهم ممن هو أشَدُّ بُعْدًا وأكثرُ شرًّا؛ كقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الروم]، وقال النبي ﷺ: **(من سرته حسنته، ومن ساءته سيئتُهُ؛ فهو المؤمن)** رواه الترمذي وغيره[1].

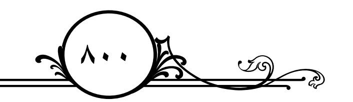
وأما الحزن والأسى ومثله الأسف؛ فإنه أكثر ما وردَ في القرآن مسلطًا عليه النهيُ أو النفي وشبهه، وليس في الكتاب والسنة أمرٌ به في حالٍ من الأحوال، وإنما غايتُهُ أن يكون مباحًا مأذونًا فيه لطفًا من الله وتخفيفًا وتيسيرًا، ومما يكون من النوع الطبيعي الجِبليِّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونهى الله ﷻ رسوله ﷺ والمؤمنين عن الحزن في مواضع عديدة من القرآن؛ فقال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل]، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الحجر]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران].

وأخبر ﷻ أن الشيطان يُريد أن يُحزِن الذين آمنوا؛ كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ

---

(١) سنن الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني.



ءَامَنُواْ﴾[المجادلة: ١٠]، وكذا في الرؤيا: قال النبي ﷺ في بعض أقسامها: **(ورؤيا تحزينٌ من الشيطان)** والحديث في صحيح مسلم[1]، وقد كان النبي ﷺ يُكثِرُ من الاستعاذة من الهم والحزن ويُرْشِدُ إلى أسباب ذهاب الهم وجلائِه، والأحاديث في ذلك معروفة مشهورة.

والذي يدل على جوازه وإباحته، كحالةٍ بشرية طبيعيةٍ سويّةٍ، أدلةٌ منها قولُ وفعلُ النبيِّ ﷺ في قصة وفاة ولده إبراهيم ؑ؛ في الصحيحين والسنن -واللفظ للبخاري- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظِئرًا لإبراهيم ؑ، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم؛ فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يَجودُ بنفسه، فجعلت عينا رسولِ الله ﷺ تذرِفانِ، فقال له عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسولَ الله؟ فقال: **(يا ابن عوف إنها رحمةٌ)**، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: **(إن العين تدمَعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقول إلا ما يرضى ربَّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون)**»[2].

ومنها: ما ذكره الله ﷻ من قصة يعقوب ؑ وحزنه على يوسف؛ قال ﷻ: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾[يوسف]، وقال سبحانه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٦﴾[يوسف]، ومنها ما ذكره الله ﷻ عن نبيه ﷺ عن بعض أصحابه رضي الله عنهم أنهم حزنوا، وسكت النص القرآني عنه؛ كقوله ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ٣٣﴾[الأنعام]، وقوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩٣﴾[التوبة].

ويُحتَمَلُ إثبات قسمٍ مستحب من الحزن؛ كالحزن والأسف لفوات طاعةٍ، ويحتمل أن يؤخذ هذا

---

(١) برقم (٢٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري (١٣٠٣) وقد تقدم.

من الآية السابقة، وكحزن النَّدم والمعصية وهو توبةٌ، وهذا موضع يدِقُّ التعبير عنه، ولا يبعُدُ استحباب إظهارِ قدرٍ من الحزنِ في مثل هذه الأحوال، وفيما يصيب المسلمين من مصائبَ وشدائد وكروبٍ؛ فإن هذا أقربُ إلى هدي النبي ﷺ وسَمْتِهِ، وأشبه بكمال النفس واستقامتها، وأدنى للمواساةِ، والمواساةُ من مكارم الأخلاق، والله أعلم.

فائدة: للعلماء توجيهاتٌ لحزن سيدنا يعقوب عليه السلام، ذكرها القرطبي فقال: «قال النحاس: فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب عليه السلام؛ **فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة**: منها أن يعقوب عليه السلام لما علم أن يوسف عليه السلام حي خاف على دينه، فاشتد حزنه لذلك[1]، وقيل: إنما حزن لأنه سلمه إليهم صغيرا، فندم على ذلك، والجواب الثالث- وهو أبينها- هو أن الحزن ليس بمحظور[2]، وإنما المحظور الولولة وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي، وقال النبي ﷺ: **(تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب)** [ابن ماجه وحسنه الألباني]، وقد بين الله جل وعز ذلك بقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه، ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه»[3].

فائدة أخرى؛ في توجيه النهي عن الحزن:

المتحصل من كلام العلماء في النهي عن الحزن أنه لوجهين:

الأول: أنه متوجه إلى ما زاد عن القسم الطبيعي الجبلِّي منه، وهو ما كان للإنسان طاقةٌ بضبطه والتحكم فيه، وذلك لأنه سببٌ لمفاسدَ كثيرةٍ من تركِ عملٍ صالح كترك الدعاء أو الجهاد، أو فعل محرم، كالنياحة واللطم وشق الجيوب وما شابهه مما نهت عنه الشريعة من مظاهر الجَزَع والتسخط المنافية للصبرِ الواجبِ؛ فيُؤمرُ المكلَّفُ بأن يكُفَّ نفسه عن الحزنِ وأن يجاهِدَه، ويستعيذ بالله منه.

الثاني: أن النهي عن الحزنِ نهيٌ عن أسبابه الجالبة له؛ قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]: «والوهَنُ والحزنُ حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلامُ وتركُ المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد»[4] اهـ.

---

(١) أي: فحُزنُه راجعٌ إلى الدين، فهو حزنٌ على الدين ولأجله، أي وذلك محمودٌ، لما يتضمنه من تعطَفٍ على الدين وولاء له، ولأنه سبب دافع إلى خيرٍ وغيرةٍ للدين!. [المؤلف]

(٢) أي كله جملةً، والتفصيل بالتفريق بين الطبيعيّ وغيره أولى. [المؤلف]

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٤٨، ٢٤٩).

(٤) التحرير والتنوير (٤ / ٩٨).

والأسى قريب من الحزن أو بمعناه؛ نهى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين عنه، وعلل بنفيه (أي بنفي الأسى) بعض أفعاله وأحكامه ﷻ.. قال ﷻ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[المائدة]، وقال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

❑❑❑

فصلٌ؛ وأما أن مثل هذه التفجيرات في أسواق المسلمين باطلٌ وفسادٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شـريعة الإسلام

فظاهر جدًّا، ومعلومٌ عند جميع العلماءِ بل عند جميع المسلمين؛ فإنها تستهدفُ المسلمين المعصومين، وتسفِك دماءَهم التي حرمها الله، وقد وقعَ بها قتلُ العشرات منهم وجَرحُ العشرات كذلك، وتدميرُ شيءٍ كبيرٍ من أملاك المسلمين وأضرارٌ وأذىً غيرُ خافٍ.

ومعلومٌ من دين الإسلام بالضرورة تحريمُ دم المسلم، ومعروفٌ تشديد الشريعة المطهرة فيه، وتعظيمها لأمره، وأنه من أكبر الكبائر، بعد الإشراك بالله تعالى؛ فإن الله ﷻ نهى عن قتل النفس إلا بالحق بصريح العبارات ومحكمها وبأنواع الدلالات ومتعدِّدها، وأبدأ في ذلك وأعاد، في كتابه العزيز، وقرن قتل النفس -بغير الحق- بالإشراك به تعالى في مواضع في النهي والذم، وبين أنه فعلُ العصاة الجبارين والفجرة المتمردين الممقوتين من رب العالمين، وأخبر أن النفس لا يجوز أن تقتل إلا بالحق وهو الموجب الشرعيّ والحكم الإلهي باستحقاقها للقتل، وأخبر أن من قتل نفسًا بغير حق فإنه بمنزلة من قتل الناس جميعا في جرمه وفجوره وشناعة ما أتى، أو في جرأته على الرب ﷻ، وفي تمرده وإفساده: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة: ٣٢]، وأخبر أن المؤمن لا يُتصوَّرُ منه أن يقتُلَ مؤمنًا، لا يكون هذا أبدًا، إلا على وجه الخطأ، بيانًا لشدة منافاة هذه الشناعة للإيمان: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾[النساء: ٩٢]، وأخبر أن من قتل مؤمنًا متعمدًا فإنه مستحق لأشد السخط والعذاب من الملك القهار: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[النساء] نسأل الله السلامة والعافية، والصوابُ الذي لا شك فيه في معنى الخلود المذكور في الآية أنه ليس كخلود الكفار والمشركين في النار، وإنما هو دون ذلك قطعًا للأدلة من الكتاب والسنة

أن الموحدين لا يخلدون في النار، ولكنه تعبير عن شدة وطول عذابهم في جهنم والعياذ بالله، وفي هذا كفاية للمتّعظين، ومزدَجَرٌ للمتهورين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي السنة المطهرة في ذلك شيء يصعب حصره؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (**اجتنبوا السبع الموبقات**)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**)[(١)]، وفيهما من حديث ابن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ: (**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**)[(٢)] وذلك تعبيرٌ عن عِظم شأنها عند الله، وفي البخاري من حديث عبد الله بن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما**)[(٣)]، وقال عبد الله بن عمر ﵄: «إن من ورطات الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله»[(٤)]؛ فاللهم إنا نسألك العافية والمعافاة الدائمة يا رب العالمين، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: (**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**)[(٥)]، وفيها كذلك: (**كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدا، أو الرجل يموت كافرا**)[(٦)]، ويكفي المسلم أن يراجع كتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري في بابِ: «الترهيب من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق»[(٧)] ليطلع على ما تُرعَبُ منه القلوب وتقشعر منه الجلود في ذلك.

وللمجاهدين خصوصًا في قصتي أسامةَ بن زيد والمقداد بن عمرو ﵄ عبرَةٌ ودروسٌ لمن أراد الله واليوم الآخر وكان مجاهدا حقا في سبيل الله، من الذين قال الله فيهم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٦٦، ٦٨٥٧)، صحيح مسلم (٨٩).

(٢) صحيح البخاري (٦٨٦٤)، صحيح مسلم (١٦٧٨).

(٣) صحيح البخاري (٦٨٦٢).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٦٣).

(٥) سنن الترمذي (١٣٩٥)، سنن النسائي (٣٩٨٧) لكن زاد: (بغير حق) وهي زيادة مهمة، سنن ابن ماجه (٢٦١٩) وصححه الألباني.

(٦) سنن أبي داود (٤٢٧٠)، سنن النسائي (٣٩٨٤) وصححه الألباني.

(٧) الترغيب والترهيب (٣ / ٢٠٠).

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة].

وأنا أذكرُ القصتين هنا للتذكير، وليُراجِعْهُما القارئُ في كتب الشروح ليعرِفَ ما فيهما من الفقه وما استنبط العلماءُ منها من العلم..

◄ قصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: فما زال يكررها علي؛ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[1].

◄ قصة المقداد بن عمرو رضي الله عنه:

روى البخاري ومسلم عن المقداد بن عمرو الكندي، وكان شهد بدرًا مع النبي ﷺ أنه قال: «يا رسول الله؛ أرأيت إن لقيت كافرًا فاقتتلنا، فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذَ مني بشجرةٍ، وقال: أسلمت لله، آقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتله**» قال: يا رسول الله، فإنه طرح إحدى يديَّ، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، آقتله؟ قال: «**لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**»[2] انتهى الحديث.

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء] وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ قال ابن عباس: «كان رجلٌ في غُنَيْمَةٍ له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَته؛ فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: تلك الغنيمة»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٧٢)، صحيح مسلم (٩٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٠١٩، ٦٨٥٦)، صحيح مسلم (٩٥).

(٣) صحيح البخاري (٤٥٩١)، صحيح مسلم (٣٠٢٥).



وكذلك تحريم أموال المسلمين وأملاكهم وعصمتُها، وهو شيءٌ معلومٌ عند المسلمين كافة، وقد جمع ذلك كله قولُ النبي ﷺ: (**كل المسلم على المسلم حرام: دمه ومالُه وعرضُه**) رواه مسلم وغيره[1].

وتحريم أذيتهم والإضرار بهم كذلك، بل وتحريم ترويعِهم وهو تخويفُهم وإدخالُ الرَّوْعِ عليهم وهو الفَزَعُ بغير حق؛ أي بغير إذنٍ من الشريعة المطهرة.

كل ذلك معروفٌ مشهورٌ تحريمه، وما ورد في منعه والنهي عنه من التحذير والترهيب منه في الشريعة، ولا نطيل بذكر الأدلة التفصيلية على ذلك لشهرتها وظهورها، والحمد لله.

❑❑❑

فصلٌ؛ ولْيُعلَم أن الناس في هذه المسائل -كما هو الشأن في سائر المسائل غالبا- طرفان ووسط:

فطرفٌ استخف بهذه الحرمة الكبيرة وبهذه النصوص المتضمنة لأعظم الوعيد والتهديد؛ فأراقوا دماء المسلمين واستهانوا بها، ولم يعرفوا لها حرمةً ولا خافوا الله فيها ولم يرجوا لله وقارًا، وهؤلاء منهم الطواغيت أئمة الكفر الفراعنة لعنهم الله، ومنهم الزنادقة، ومنهم الفُجّار الجبابرة، ومنهم الفسقة المنحلون من أهل الدنيا وأهل اللصوصية وقطاع الطرق وأهل جاهلية العشائر والقبائل في بعض البلاد ونحوهم، ويلحَق بهم مارقو الخوارج كما حدث في بعض البلاد.

وهؤلاء هالكون والعياذ بالله، إلا من تداركه الله برحمته.

وطرفٌ آخرُ صدّتْهُ هذه النصوص وحملَهُ تعظيم هذا الوعيد على تركِ القتال والقتل حيث أذن اللهُ فيه بل وأوجبه؛ فصدّته عن الجهادِ الواجب؛ جهاد المرتدين وجيوشهم والطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام الظاهرة، بحجة الخوف من إراقة الدماء واحترام أملاك وأموال المسلمين وتحريم إذايتهم وترويعهم.

وهؤلاء منهم قومٌ من مخنثي العزائم؛ ممن يرون القتلَ والموتَ في الحروب سُبَّةً، لم يعرفوا النزال ولا الطعان، ولا مصاولة الفرسان، رقَّت أجسادُهم ونعُمت جلودهم من رغد العيش وترفِ المقام ولذيذ الراحة والهناءة في أوطانهم ومشاريعهم الرخوة المبنية على ثقافة معايشة الكفار و«الولاء الطبيعي» -زعموا- وتعظيم حب الأوطان واختيار الحياة الدنيا وحبِّ السلامةِ والسلام والأمن

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

والأمان والاستقرار ولو على حساب ذهابِ الدين وانتقاضِ عُراه؛ فما أشبههم بمن قال الله فيهم: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾[الزخرف]، وهؤلاء الذين كتب بعضُ غلاة الزائغين منهم في أحد أشهر مواقعهم على شبكة المعلومات أن الأمن مقدَّمٌ على التوحيد وأهم منه؛ مستدلا – قاتله الله– بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾[إبراهيم]فزعم الكاذِبُ على الله أن تقديم إبراهيم سُؤالَ الله ﷻ أن يجعل هذا البلد آمنًا على سؤاله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام دالٌّ على ذلك.!

فهؤلاء وأمثالهم منَ الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (**فَإِذَا رأيتُم الذين يَتَّبِعُونَ ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فَاحْذَرُوهُمْ**) رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[آل عمران][(١)].

ومنهم أقوامٌ أهل أهواء مختلفة غير ذلك.. فنعوذ بالله من سوء حالهم جميعا.

وهدى الله أهل الجهاد في سبيل الله على علمٍ وبصيرةٍ وفقهٍ لِما اختلف الناسُ فيه من الحق بإذنه ﷻ؛ فحققوا الحق وأعطوا كل مقامٍ حقه، فحققوا الولاء والبراء وأقاموا الدين كله وأحاطوا به من كل جوانبه حسبَ استطاعتهم باذلين وسعهم مستعينين بمولاهم، وقاموا بواجبِ الوقت وهو التصدِّي لفتنة الردة الكبرى الطاغية المعاصرة؛ كما جاهدوا أعداء الله الكفار الأصليين الغزاة من الصليبيين واليهود والهندوس وغيرهم، واجتهدوا في حفظ دماء وأموال المسلمين وتعظيمها واحترامها والتحرز من إصابتها جُهْدَهُم، مع الاستمرار في الجهاد الواجب؛ فالله مولاهم، وعليه ﷻ أجرهم ونصرُهُم.

❑❑❑

فصلٌ؛ فبهذا يُعْلَمُ أن مثل هذه التفجيرات ليستْ من عمل المجاهدين

وأنه لا يفعلها إلا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يفعلها بالأصالة إلا المجرمون أعداءُ الله تعالى، وهذا الذي نعتقده؛ أنها من فعلِ الأعداء الكفارِ مباشرةً؛ إما بواسطة مؤسساتهم الأمنية الإجرامية مثل «بلاك ووتر» وما شابهها، وقد كثرت في باكستان في هذه المدة، وعَرَف الناس أخبارها وتناقلوها، وانتشرت قصصها.. نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم، أو عبرَ عملائهم الاستخباريين

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٤٧)، صحيح مسلم (٢٦٦٥).

الآخرين، أو بواسطة مجموعات قذرةٍ تابعة للاستخبارات الباكستانية «الآي إس آي»، أو تابعة لبعض جنرالات الجيش الخبثاء المجرمين.

وهذا شيءٌ غيرُ مستَغربٍ في الحروب؛ ومتوقَّعٌ، وقد فعله الأعداءُ كثيرًا في أفغانستان والعراق والجزائر وغيرها، ومَن يطلبُ عليه دليلًا يقينًا فيوشك ألا يجده؛ لأن الأعداء يتقنون فن إخفاء الأثر، وهي عمليات استخباراتية متخصصة، لكن علاماتُهُ وأماراتُهُ واضحةٌ للعارفين بشؤون الحرب ومَن يعيشونها.

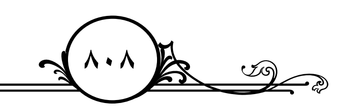
ولذلك.. فإن على المسلمين أن يتنبَّهوا لهذا، وعلى المجاهدين أن يوضحوا هذا الأمر، ويحذروا الناس ويُوعّوهم، وعلينا أن نعرف أن هذا من الفتنة التي يبتلي الله ﷻ بها عبادَه ويمتحنهم ويختبرهم، ليعلم اللهُ من ينصرُه ورسله بالغيب، ومن الذي ينصر دينه، ويقف مع الحق وأهله، ولا ينصدُّ بسبب مثل هذه الفتن عن الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته وتحكيم شريعته، ولا عن الكون مع المجاهدين ونصرتهم بما يستطيعُ، ولا يكون في صف أعداء الله، والعياذُ بالله، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[الأعراف]؛ فالمؤمن القويُّ الواعي الفاهم لدينه المجاهدُ بحسب وسعه؛ يحقق الحق، ويعطي كل شيء حقه، يعرف المعروف ويحبه وينصره، ويبغض المنكر وينكره بحسب قدرته.

فهذا الواضح عندنا جدًّا أن هذه التفجيرات من تدبير وفعل أعداء الله الكفرة؛ يريدون بذلك نسبتها إلى المجاهدين لتنفير المسلمين منهم، والتفريق بين المجاهدين والشعب المسلم الذي يناصرهم ويحتضنهم، وتشويه صورة المجاهدين في باكستان والعالم، وتخويف أمة الإسلام من الجهاد، وإنهاك عزائمهم بالمآسي وتيئيسهم من نتيجة هذا الجهاد..!

هذه مقاصدهم ولا تخفى على عاقل؛ وكما قال الشيخ «مصطفى أبو اليزيد» حَفِظَهُ اللهُ ووفقه:

«فليعلم جميعُ المسلمين أنه من المستحيل أن يقوم المجاهدون بمثل هذا العمل الدنيء، وهم الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن دين وأرض وعرض ودماء المسلمين التي يسفكها الصليبيون والمرتدون ويستبيحونها.. إننا نعتقد أن مثل هذه التفجيرات هي من فعل أعداء الله الصليبيين وأوليائهم في الحكومة والاستخبارات، وهي جزءٌ من الحرب القذرة التي يمارسونها، كيف لا وهم الذين لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة، ولا يراعون حُرْمةً، ولا تساوي دماءُ المسلمين عندهم شيئًا.

والجميع يعرف اليوم ماذا تفعل بلاك ووتر والمجموعات الإجرامية التي استباحت باكستان بتأييد من هذه الحكومة الفاسدة المجرمة وأجهزتها الأمنية، فهم يرتكبون هذه الأفعال البشعة ثم يتهمون بها



المجاهدين عبر أبواقهم الإعلامية لتشويه صورة المسلمين.

وإن مما يبين لكم أن هذه التفجيرات هي من فعلهم، هذه المؤشرات الواضحة:

أ) أن هذه السياسة تكررت في العراق وأفغانستان وهاهم الأمريكان الأنذال ينقلونها إلى باكستان، وقد صرّحوا مرارًا أنهم ينقلون تجاربهم كما رأيتم.

ب) أن هذه التفجيرات الإجرامية تتزامن مع زيارات لمسئولين أمريكان لباكستان، وذلك حتى يصرحوا في مؤتمراتهم الصحفية أن المسئول عن هذه الأعمال هم الإرهابيون الذين نقوم بقصف مخابئهم في منطقة القبائل كما يقولون، ويدّعوا أن هدف أمريكا هو مساعدة الحكومة والشعب الباكستاني للقضاء عليهم.

ج) أنه قد تمّ بالفعل -وقد نقلت الصحافة ذلك- ضبطُ أسلحةٍ ومتفجرات مع عناصر بلاك ووتر ومع دبلوماسيين غربيين في باكستان، وأن هذا الأمر تم بالمصادفة، وأقفل هذا الملف بسرعة، والحقيقة أن ما خفي كان أعظم، وأن لديهم -أخزاهم الله- خططًا لاغتيال وقتل المناصرين والمتعاطفين مع المجاهدين من العلماء والدعاة وشرفاء أهل العلم والرأي والكُتّاب والصحفيين وغيرهم.

د) أن هذه التفجيرات تتم بسيارات مفخخة يتم ركنها في الأسواق، وهذه طرق اشتهرت بها المخابرات في العالم أجمع، وكم قد فعلوها في العراق وغيرها.

إخواني المسلمين، إن الذي يقف وراء مثل هذه الجرائم هو نفسه الذي يقصف قرى ومساكن ومساجد المسلمين في مناطق القبائل وفي أفغانستان بالقنابل التي تزن الأطنان»[1] اهـ.

وأزيدُ: أن الذي يقف وراءَ مثل هذه الجرائم هو وأولياؤه الذين هدموا المسجد الأحمر على الطلبة والطالبات الأطهار المصلين التالين لكتاب الله، وهو الذي قصف المدنيين القرويين الضعفاء وأباد قراهم في سوات وفي وزيرستان، وهو الذي قتل حوالي مائتين من الفقراء الأبرياء تجمعوا حول صهريج وقودٍ في قندوز، وقتل المئات في هيرات وغزني وغيرها..

والحاصلُ أن المجاهدين في الجماعات الجهادية المعروفة الموثوقة لا يفعلون مثل ذلك وحاشاهم، ونسأل الله أن يعصمهم ويحفظهم ويسددهم، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن.. وإننا والمجاهدين جميعًا نعتقد أنه -لا قدر الله- لو قامت جماعةٌ بمثل هذه الأعمال الإجرامية؛ تعَمُّدًا

---

(١) من كلمةٍ للشيخ «مصطفى» نشرتها «مؤسسة السحاب الإعلامية». [المؤلف، وهذه الكلمة بعنوان «بلاك وتر وتفجيرات بيشاور»].

وقصدًا، فإنها لا تسمى جماعة مجاهدة، بل ستكون جماعة منحرفة ضالّة زائغة، نسأل الله العفو والعافية والسلامة، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وسخطه.

ولهذ فإنه كان ثمتَ احتمالٌ أن يكون مَن قَام بهذه التفجيرات قومٌ ممن ينتسبون للإسلام وإلى الشريعة وإلى الجهاد؛ فإننا نَشهَدُ أنه إن فعلَ ذلك فاعلٌ متعمّدًا قاصدًا فهو منحرفٌ ضالٌّ زائغ مارقٌ، وأنه ليس مجاهدًا بل هو مفسدٌ مجرمٌ، يجب الأخذ على يديه ومعاقبته بالعقوبة الشرعية، وإلا عم الجميعَ غضبُ الله ونقمتُه وعقابُه.. وهذا احتمال ضعيفٌ في الواقع، والحمد لله، وحاشى المجاهدين من ذلك، وإنما أشرت إليه لتقرير الحكم والموقف الشرعيّ، ونسألُ الله أن يعصمنا وجميع المجاهدين من مضلات الفتن، وأن يقي ساحات الجهاد جميعَ تلك الضلالات.. آمين.

❑❑❑

تنبيهٌ؛ فإن قيل: هل يُحتَمَلُ أن يكون التفجير حصل بفعل بعض المجاهدين على وجه الخطأ؟

فأقول: احتمال وقوع مثل هذه الحوادث بفعل المجاهدين من أهل الاستقامة والجهاد الحق والالتزام بالشريعة؛ لكن على وجه الخطأ المحض، هو احتمالٌ نادرٌ جدًا مُستبْعَدٌ، وقد يحدث شيء من هذا في الحروب وفي كل عملٍ بشري، لكنه قليل الوقوع جدًا، كأن تكون السيارة المفخخة المحملة بالمتفجرات كانت منطلقةً إلى الهدف فحصل أن انفجرت في خطإٍ بشري عارضٍ وأمرٍ غير مقصود، فهذا قد يقع مثلُهُ في الحروبِ، وهو من المصائب والابتلاءات كسائر المحن والكوارث والجوائح التي تصيب الناس، وإما بأن تجري على أيدي البشر وبمباشرتهم، أو بدون ذلك بل بمحض القدر (الجوائح السماوية)، وكلها بتقدير الله ﷻ، وله سبحانه في كل قضائه الحكمة التامة والحجة البالغة.

ونحن بمعرفتنا بالمجاهدين ننفي هذا عنهم لمعرفتنا بديانتهم واحتياطهم والحمد لله، وأما البعيدُ الذي لم يعرفِ المجاهدين؛ فعليه بالإنصافِ وحُسْن الظن بالمجاهدين في سبيل الله وأهلِ الشريعةِ والدعاةِ إلى الله، وعليه أن يعرف أنهم مرمى سهامِ العدو الكافر الظالم الكاذبِ المفتري ووسائل إعلامه المجرمة، وعليه أن يتأمل الأوجه المتقدمة وغيرها، ويتدبر في الربط بين هذه الحوادثِ وتكررها وبين ما هو معروفٌ مسطورٌ من سياساتِ العدوّ واستراتيجياته الهادفة إلى فصل المجاهدين عن قاعدتهم الشعبية الحاضنة؛ كما يصرّحون به باستمرار، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فكيف يُعْقَلُ أن يقوم

المجاهدون بمثل هذه الأعمال التي تنفّر الناسَ وتصدهم عن دعوة الإسلام وعن الجهاد وتبغّضُهم في أهله، ومعَ من؟! مع شعبهم وقبائلهم وأهلهم الذين هم محضَنُهم وبيئتُهم، فهل يصدُرُ هذا من عاقلٍ أصلا؟! نعوذ بالله من الخذلان، والله الموفق للصواب، ومن يستَعن بالله يُعِنْهُ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران].

❑❑❑

فصلٌ، وقد تبرأ المجاهدون من هذا التفجير ومن أمثاله مرارًا وتكرارًا

وأصدروا البيانات في النهي عما هو أقل من ذلك، مما يُحتَملُ أن له وجهًا أحيانًا، وهو النهي عن رمي الكفار والمرتدين وقيادات جيشهم وأمنهم في الأماكن العامة؛ كالأسواق والشوارع العامة، وفي المساجد ونحوها؛ لأن ذلك يؤدي إلى قتل بعض المسلمين، ونحن إن أخذنا بتجويز مسألة «التترس» في بعض صورها تبعًا لعلمائنا، والمسألة مقررة بأدلتها في مواطنها؛ فإن ذلك له ضوابطه وشرائطه البيّنة، والحمد لله رب العالمين.

والمجاهدون بحمد الله منضبطون بالشرع، لا يقاتلون ولا يقتلون إلا من جوّز الشرع قتاله وقتله، ويسيرون على وَفق الفقه والأدلة الشرعية، ويفرقون بين الدم المباح والدم الحرام، بحزمٍ وعلى بصيرة، ويستعملون الورع والاحتياط، وقد بين المجاهدون من «طالبان باكستان» و«اتحاد شورى المجاهدين» و«القاعدة» وغيرهم في مرات عديدة أنهم إنما يستهدفون في باكستان قوات الأمن وجيوش الدولة المرتدة واستخباراتها وشرطتها وكل قواتها العسكرية وشبهها القائمة على حمايتها وحراستها والتي بها -بشكل مباشر- تقومُ الدولةُ، كما يستهدفون من رجالِ الدولة السياسيين الكفرة المحاربين لله ودينه وشريعته، ويتثبتون في كل ذلك ويحتاطون، ويتركونَ ما اشتبه أمرُهُ.

فإن المجاهدين يدركون ما ابتُليت به أمة الإسلام من اختلاط الحابل بالنابل واختلاط مجتمعاتها صالحهم بطالحهم، وما في الناس من الشبهات والترددات، وما يستدعيه ذلك من شديد الاحتياط والتحرز، واستعمال العذر والرأفة والتسمُّحِ، والشفقة على الناس ورحمتهم، ويفهمون أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، فضلًا عن إدراكهم أن هؤلاء الناس هم قومهُم وأهاليهم وحاضنوهم؛ فسبحان الله.! فنسأل الله أن يوفقهم ويسدد خطاهم، وأن يمدهم بمددٍ من عنده، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.



قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور].

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمدٍ وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان

كتبه: **عطية الله**

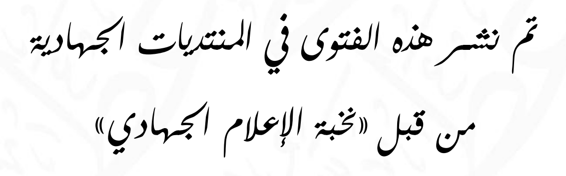
ذو القعدة ١٤٣٠هـ / نوفمبر ٢٠٠٩ م

❋ ❋ ❋





أجوبةٌ في حكم النفير وشرطُ المُتصدِي للتكفير



تم نشر هذه الفتوى في المنتديات الجهادية

من قبل «نخبة الإعلام الجهادي»

جمادى الأولى

١٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

〚الكلام عن فرض الجهاد كفايةً وتعينًا، وضابط ذلك، وحاجة المجاهدين إلى الكوادر〛

❁ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ شيخنا الكريم، والله إني لأحبك في الله..

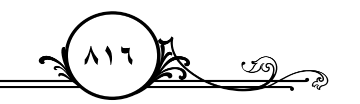
شيخنا الفاضل؛ هناك عندي بعض الإشكاليات: كنت أناقش أحد الإخوة عن الذهاب للجهاد -وهو ممن جاهد في الأفغان بعد سبتمبر- وحكمه؛ فذكرت له أنه فرض عين، قال: هل المجاهدون محتاجون لك كشخص؟ الذي أعلمه أنهم محتاجون للمال أكثر من الأشخاص!.. بل بالعكس قبل أسبوع كنت على اتصال مع أحد الإخوة، فذكر أنه بعد الانتهاء من التدريب بقي قرابة ٦ أشهر بدون النزول للمعارك خُير بين عملية استشهادية فلم يرغب، ولم ينزل للساحة. انتهى نقله.

هل كلامه صحيح؟ إن كان كذلك فهل يتعين أو يكون كفائيا؟ إذا كان كلامه غير صحيح فهل الحكم فرض عين؟ وهل أستأذن والديّ أم لا أستأذنهم؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه..

وبعد: نعم المجاهدون بالنسبة لساحة أفغانستان وباكستان لا يحتاجون في هذه المرحلة (وأؤكد على كلمة «في هذه المرحلة» لأن هذا التقرير قد يتغير من حين إلى آخر) إلى أعداد كثيرة من المجاهدين المقاتلين، فالحمد لله الأعداد المتاحة الموجودة من مهاجرين وأنصار (أهل البلد) كثيرة جدًا، لكن هذا إنما هو بسبب قدرة الساحة ونظامها الجهادي (الجماعة أو الجماعات الجهادية الموجودة هناك) على استيعاب الناس من جهة تسليحهم وتدريبهم وتعليمهم وتفقيههم وترقيتهم نفسيا ووعيًا... إلخ بل حتى استيعابهم من جهة المعيشة: تسكينهم (يعني الإقامة) وإعاشتهم بمعنى مصاريف أكلهم وشربهم.. إلخ، فالمجاهدون سواء إمارة أفغانستان الإسلامية (الطالبان) أو القاعدة أو غيرها ليس عندهم القدرة على استيعاب أعداد كبيرة جدًا لهذا السبب أي بسبب عدم القدرة المالية وما شابهها، وحتى القدرة المتعلقة بالوضع الجيوغرافي، ولذلك فنرى أننا في مرحلة انتقاء واختيار؛ فندعو الكوادر المتخصصة التي يحتاجها الجهاد بالدرجة الأولى، ثم المقاتلون العاديون بحسب الحاجة بحسب ما يقرر قيادات الجهاد وأولو أمره، فنقبل الأعداد شيئًا فشيئًا وبالاختيار والتزكية، وبالله التوفيق..

هذا بالنسبة لساحتنا هنا، والساحات الأخرى كلٌّ بحسبه، وقد تكون ساحةٌ من الساحات محتاجةً إلى أعداد في وقتٍ تكون فيه ساحةٌ أخرى غيرَ محتاجة، وهكذا، لكن: هل هذا يجعلنا نقول إن الجهاد



اليوم فرضُ كفاية؟ في رأيي أن هذا غيرُ دقيقٍ، وأنا لا أستطيع إطلاق القول بأن الجهاد الآن فرض كفاية، لأن الكفاية غير حاصلة في الواقع، لأن معنى الكفاية كما وضّحه العلماء هو حصولُ دفعِ العدوّ، أو حصولُ العدد الذي يندفع بهم العدوّ بحيث يكون بصدد أن يندفع فلا يُحتاجُ إلى أكثر منهم، وهذا في الحقيقة غير حاصلٍ، وإنما كفايتنا هذه التي تحدثتُ عنها راجعة إلى عدم قدرتنا على استيعاب أعداد كبيرة، وهو راجع في جزء كبير منه إلى تقصير أهل المال في الأمة، وتقصير الكفاءات العلمية والقيادية والكوادر المتخصصة الراقية التي أنعم الله عليها بنعمة التميّز في المهارات، وإلا فهاتِ لي الأموال وهات الكوادر وترى ماذا نفتح لك من جبهات ومعسكرات، وما نصنع في أعداء الله بعون الله، والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل، ثم لأن هذه الكفاية مؤقتة فأنا قد أقول لك: لا نحتاج اليوم إلى أعداد، لكن بعد أيام ربما أنادي وأقول: هلمّوا يا شباب الإسلام، نحن محتاجون إلى أعداد أكثر من المقاتلين، لأن هذه حربٌ، والحرب تأكل الرجال، والله المولى، وكذلك الجبهات تُفتَحُ بحسب القدرة وبحسب الحكمة والمصلحة، فهذا لا بد من الانتباه له.

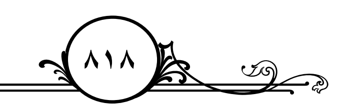
ثم شيءٌ آخر نبهتُ إليه بتقييدي الكلام بساحتنا وما شابهها من الساحات، لكن ما الأمرُ فيما وراء ذلك من أرض الإسلام بل ومن الدنيا كلها، أما الأولى (أرض الإسلام) فلا شك أن كثيرًا من أراضي المسلمين محتلّة مستولىً عليها من قبل الكفار وبعضها من قرون، والله المستعان، من الأندلس غربًا وأطراف أوروبا الجنوبية ووسط أسيا والبلقان والقوقاز وما قاربها، إلى تركستان الشرقية في الصين إلى الكثير من بلدان جنوب شرقي آسيا، سنغافورة والفلبين والتايلاند وغيرها بل والهند أو أجزاء كبيرة منها وغيرها، كلها كانت في وقت من الأوقات بلاد إسلام ودار إسلام ثم أخذها العدو الكافر؛ فيجب على المسلمين استعادتها وتخليصها من يد الكفار، ثم سائر بلاد الإسلام من بلاد العرب والعجم تحت سلطة حكومات كافرة مرتدة من بني جلدتنا، وهؤلاء يجب قتالهم وجهادهم، يجب على كل قادر القيام في ذلك، وقتالهم شرعًا مقدّمٌ على طلب الكفار الأصليين في بلادهم، في الأصل، إنما حصل التقدّم للكفار الأصليين الآن (أمريكا وأحلافها) لعارضٍ رجّح تقديمهم، فمن يقوم بجهاد هؤلاءِ؟ وكيف نقول إن الجهاد فرضُ كفاية؟! إنا إذًا لجُرآءُ!

وأما الثاني (وهو قولي ومن الدنيا كلها) فلأن سائر الدنيا تنتظر منا أن نفتحها بالإسلام بأن نغزو بلاد الكفار ونفتحها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ولا تكون للكفر سلطة غالبة قاهرة تمنع الناس من الإسلام، هذا واجبٌ كفائي في الأصل على أمة الإسلام، وأنت ترى أنه مهدَرٌ غير مَقومٍ به،

فقد تعرّض الجميعُ للمؤاخذة إذًا إلا من أعذر إلى الله بأن عمل المقدور عليه بالنسبة له، ويمكن أن نضيف أوجهًا أخرى كتخليص الأسرى فإنه واجبٌ كفائيّ على الأمة بكل طريق مشروعٍ من مفاداة بمالٍ أو بالقوة والحرب والسلاح، أوبالتلصص والحيلة، ووجوب السعي لإقامة خليفة للمسلمين ودولةٍ للإسلام جامعة ما أمكن، وغير ذلك..

ولذلك نقول في تحرير معنى كون الجهاد فرضَ عين علينا الآن إنه يجب على كل مسلم القيام فيه بما يستطيع وبما يناسبه وبما يكون مطلوبًا منه، وخلاصتُهُ كما قلتُهُ مرارًا هي كلمة الشيخ عبد الله عزام ﷺ: «الْحَقْ بالقافلة» فمن لحق بقافلة الجهاد والمجاهدين بأن بذل نفسه واستعدّ وقال بلسان حاله قبل مقاله: ها أنا ذا سهمٌ من سهامِ المسلمين فلترمِ بي قيادة المسلمين حيث شاءت؛ فيقال: أنت يا فلان اذهب إلى الشيشان فهم محتاجون لمثلك ولأن الذهاب إليها متيسر لك مثلا، وأنت يا فلان اذهب إلى المكان الفلاني، وأنت يا فلان ابقَ في مكانك واعمل بكذا وكذا من اقتصادٍ ومالٍ وتجارةٍ أو كتابةٍ وكلمة ودعوة وإعلامٍ أو طلب علمٍ، وأنت يا فلان كذا وكذا.. فمن أمكنه أن يتواصل مع قيادات الجهاد فيعرف ما هو المناسب في حقه والمطلوب منه، بتجرّد وصدق وإخلاص، فهذا واضحٌ، ومَن لم يستطع، وهم أكثر الناس، فهذا يسير مع الخطط العامة المعروفة، ويبذل جهده ما استطاع، ويتقي الله، ويتشاور مع الأقرب فالأقرب دينا وعلمًا من أهل العلم والجهاد الصالحين الأمناء، والله يوفقه ويسدده، وهو بذلك قد أدّى الذي عليه وبرِأت ذمته إن شاء الله، والله يتقبل من المتقين، ولذلك فالحق أنه لا يلزم استئذان الوالدين في الجهاد في أيامنا، والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما أن الأخ المشار إليه بقي ينتظر ستة أشهر أو أكثر أو أقل قبل أن تتاح له فرصة عمل عسكري (المشاركة في العمليات) فهذا عاديٌّ شائعُ الحدوث، بحسب الموسم الذي صادفه، أو بحسب عوامل متعددة، وليس العيش في أفغانستان والقبائل كله عمليات وكله قتلٌ ونحرٌ لأعداء الله، بل هو حياةٌ كاملة، فيها التدريب، وفيها القتال بحسب وقته ومناسباته ولياقة الشخص له والحاجة إليه فيه، وهكذا، وفيها الأعمال الأخرى المكملة للجهاد والتي لا بد منها كالأعمال اللوجستية والإدارية وباقي التخصصات المتنوعة الكثيرة، لكن في الغالب أن كل أحدٍ تتاح له فرصة المشاركة في القتال (العمليات القتالية الحربية) مقلٌّ ومستكثر، بل لا بد أن يعطى الفرصة، إنما «يبغالها شوية صبر» أحيانًا، والتوفيق بيد الله ﷻ وحده، فعلى الأخ إذا جاء إلى ساحات الجهاد أن يضع هذا نصب عينيه ويجهّز نفسه ويوطّنها على الصبر والانتظار والكون حيث يؤمَر أن يكون ولا يستعجل في شيء، وحياة الجهاد كلها خيرٌ وبركةٌ وأجرٌ ومليئة بالأعمال الصالحة، والإخوة في «تنظيم قاعدة الجهاد» عندهم ورقة يعطونها



للأخ الذي ينفر إلى الجهاد يقرأها قبل نفيره؛ فيها تذكير بأشياء وتوضيح لأشياء مهمة، نرى أن هذه مهمٌّ جدًا الاطلاع عليها قبل النفير والبحث عنها، ويمكن أن تطلب من الإخوة في «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»، وأسأل الله لي ولك ولكل أحبابنا الهدى والسداد والإعانة.

〚هل الأفضل لطالب العلم أن ينفر للجهاد مباشرة؟ أم ينتظر حتى يتم قدرا كافيا منه ثم ينفر؟ وما النية في الطلب؟ وما الكتب المنصوح به كزاد إيماني للمجاهد〛

❁ وما الأفضل لشخص يطلب العلم وهو في بداية طريق الطلب ووجد الطريق للجهاد أينفر أم يكمل طلب العلم ويتمكن منه ثم ينفر؟؟ أيضا بم تنصحون من كتب للزاد الإيماني للمجاهد..

الجواب: هذا يختلف من شخص إلى شخص وحالٍ إلى حالٍ، ولا يقالُ فيه شيءٌ واحدٌ للجميع وفي جميع الأحوال؛ فيستشير من يثق فيه ممن يمكنه من أهل العلم والرأي والنصح الموثوقين الأمناء، ويتوكل على الله، لكن على الجملة من باب الإعانة لك في تقدير الموقف: فإن كان هذا الطالب ممن فتح عليه في العلم ويرجَى أن يكون من أهله ويترقّى فيه ويحصّل، ولا يخشى على نفسه فتنةً وتغيّرًا إلى سوءٍ والعياذ بالله، فالأحسن أن يتمّ دراسته وطلبه وهو على نيّة الجهادِ والنفير متى ما كان النفيرُ هو المطلوبُ منه حقًا، هذه النيّة شرطٌ، وبدونها لا تبرأ ذمته، وضابطها أن يكون بحيث لو تبيّن أن النفير هو المطلوب منه شرعًا الآن في اللحظة لنفر وترك الدراسة وترك كل شيء.

وأما الكتب التي أنصح بها فمنها: «مشارع الأشواق» لابن النحاس، ومنها رسالة بعنوان: «كشف شبهات المخذلين عن الجهاد» جمع حارث المصري[1]، تجدها على النت وفي المكتبة الشاملة الالكترونية، ومنها كتاب: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» و«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، كلاهما لابن القيم، وكتاب «حصوننا مهددة من داخلها» لمحمد محمد حسين، والكتب الطيبة كثيرة جدًا، والحمد لله، والله الموفق.

---

(١) صدرت طبعته الثانية باسم: «قالوا فقل.. كشف شبهات المخذلين والمرجفين عن الجهاد»، لمؤلفه الشيخ: محمد وائل حلواني، المعروف بـ: «ميسرة الغريب» ﷀ، وفيه تنقيحات وزيادات.

〚شرط المتصدي للتكفير، وكيفية التحقق من شروط التكفير وموانعه في فاعل الكفر〛

❁ هناك شروط وموانع وضعها العلماء لتكفير المعين؛ فهل هذه الشروط لا بد من توفرها وانتفاء الموانع في الشخص بالاستفسار منه مباشرة أم يكفي حاله العام، مثلا في بلاد الحرمين الذين يستهزؤون بالدين في المسلسلات هم درسوا التوحيد وعلموا أن الاستهزاء بالدين كفر فلا أظن أنهم لا يعلمون الحكم وغيره فهل يحكم عليهم بالحالة العامة أم لا بد من معرفتها بالتثبت؟.

الجـــواب: المعيَّن لا يُحكَم عليه بالكفر إلا إذا علمنا وجود شروط انطباق الحكم عليه وانتفاء موانعه، وهذا يعرفه العلماء، وأما العامَّة ومَن لا مدخل لهم في العلم؛ فيُنهَوْن عن الخوض في تكفير أحدٍ ممن تكفيرُهم اجتهاديّ استدلاليّ؛ بل هو عملُ أهل العلم، والعاميّ غير المتخصص في العلم يقول: لا أعلم اسألوا العلماء، هذا واجبه، مع إيمانه الإجمالي بالله ﷻ ودينه ورسله.. إلخ، وكفره الإجماليّ بالطاغوت، إنما هنالك من كفر الكافرين ما يستوي في علمه العاميّ مع العالِم، مثل كفر الكفار الأصليين وهم غير المنتسبين إلى الإسلام أصلا، ومثل: المرتد الصريح الذي أعلن بالخروج من ملة الإسلام والانتقال عنها والعياذ بالله، ونحو ذلك.

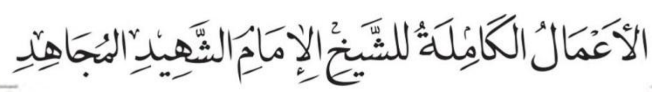
ومنه: سابُّ الله ﷻ ورسوله ودينه والمستهزئ بالله ﷻ وبدينه وآياته وبرسوله، لكن بشرط أن يكون السبّ أو الاستهزاء صريحًا لا يُختَلفُ فيه، أما ما كان محتملًا، بحيثُ يقال: هل هذا من السبّ والاستهزاء أو لا؟ فهذا يُترَك للعلماء، وبالجملة فالاحتياط في هذا الباب متأكد جدًا بل واجبٌ، وإلا هلك الإنسان، نسأل الله السلامة والعافية؛ فهذا بابُ خطرٍ لا زال علماء الملة يهابونه ويحذِّرون من الخوض فيه بغير حق وبغير قوة داعٍ.. وعليه فالمسؤول عنهم ممن قلتَ إنهم في بلاد الحرمين يستهزؤون في المسلسلات بالدين، فيُرجَع في تحقيق ذلك إلى مَن اطلع على حالهم ويعرف أمرَهم من أهل العلم هناك، وبالله التوفيق.. وجزاك الله خيرًا ووفقك الله لكل خيرٍ، وللجهاد في سبيله على هدىً وتقوى من الله، وثبّتني الله وإياك على صراطه المستقيم، ورزقني وإياك الشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين موقنين صادقين حنفاء، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله صحبه أجمعين..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك: **عطية الله أبو عبد الرحمن**

منتصف شهر جمادى الأولى من سنة ١٤٣١هـ









لكنهم يجاهدون

تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»

ذو الحجة

١٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أهلِ العزائم الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

إلى إخواني الكرام أمراء المجاهدين حفظهم الله وسددهم..

إلى الأخ المكرم: [.................................].

من أخيكم/ «**عطية الله**» عفا الله عنه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهُ تعالى المرجوّ أن تكونوا بخيرِ حالٍ، وفي ازديادٍ من التوفيق للبرّ والتزوّد من التقوى.. وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

أذكر نفسي وأخي بما مَنَّ الله به علينا أن استعملنا ﷻ في طاعته، وجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله، القائمين بنصر دينه وإعلاء كلمته؛ في هذا الوقت الذي غلبتْ فيه الدنيا وفتنتُها على أكثر الخلق، وغلبتْ الأهواءُ وعبادة الطواغيت الحيّة والميّتة؛ فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة، ونسأله تعالى أن يوزعنا شكرها ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

ثم أذكرُّ بما ابتلانا الله وإياكم به من هذا التكليف، وأنها أمانة كما أخبر النبي ﷺ، وأنها يومَ القيامة خزيٌ وندامة، إلَّا لمن أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها، ولا والله لا يستطيع عبدٌ أن يقوم بها إلا أن يعينه الله ويوفقه فيهديَه رشده ويسدده ويرزقه تقواه وخشيته في الغيب والشهادة ويرزقه اليقين والقوة، ويعينه على اتخاذ هذه الولاية والمسؤولية عبادة له ﷻ وقُربةً، وطريقُ ذلك الاجتهاد في تحقيق العبودية له سبحانه والافتقار إليه والانكسار بين يديه والتضرّع له والاستقامة على طاعته ظاهرًا وباطنًا قدر الطاقة، مع التواضع وهضم النفس واتهامها والخوف من مساوئها، ومما يعين على ذلك كثرة الذكر والدعاء وقيام الليل وصيام النفل ومجالسة الصالحين والعلماء الطيبين وتقريبهم واتخاذ أهل الآخرة

بطانةً وأصحابًا وأعوانًا، ومجافاة أهل الدنيا والفخر والرياء والخيلاء وأهل الجفاء وقليلي الديانة، والبُعدِ عنهم.

أخي الكريم.. أكتب لكم هذه الأسطر، سعيًا في القيام بما أمرنا الله به من التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتعاون على البر والتقوى، والنصح للمسلمين وأولي أمرهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهادِ في سبيل الله تعالى، وقيامًا بزكاة العلم وما أنعم الله به من المعرفة والتجربة للأمور.

ولا شك أننا جميعًا في سفينة واحدةٍ؛ كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه والترمذي في سننه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**مَثَلُ القائمِ على حدود الله والواقعِ فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نُؤذِ مَنْ فوقنا؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجوا جميعًا**)[1].

ولَا ريب أن مسيرةَ أمتنا الجهادية تحتاجُ منا دائمًا إلى بذل الجهود في القيام على ترشيدها وتسديدها؛ فإن سبُلَ الانحراف كثيرةٌ، وليس أحدٌ بمنجاةٍ منها إلا مَن واظَبَ على اللياذ بالربّ الجليل ﷻ، والاعتصام به ظاهرًا وباطنًا وسرًا وإعلانا؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران]، فلا عصمة إلا بالله وحده، ولا ينجو من الفتن إلا مَن اعتصم بالله و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، ولا يفلحُ إلا مَن اعتصم بالله وكان دائمًا في صفّ الله وليًّا له ﷻ، قائمًا بأمره محققًا العبودية له سبحانه وتعالى.

وهذا هو الذي ينتصِرُ حقًا، وهو الذي يوفّق ويُسدَّد وتكون له العاقبة، وهو الذي لا يخشى الخسران، والذي يرجو تجارةً لن تبور.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر].

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٩٣) واللفظ له، سنن الترمذي (٢١٧٣).

أخي العزيز: لنتفكّر دائمًا في شيءٍ مهم.. ماذا استفدنا إذا انتصرنا على الأعداء وقهرناهم ودمّرناهم وانتقمنا منهم.. وأقمنا الدولة التي نريد -دولة الإسلام- وكنا نحن المنتصرين في هذه الحرب وهذا الصراع، لكن كان الله ساخطًا علينا بسبب معاصينا وذنوبنا الظاهرة والباطنة، ثم كان عاقبتنا في الآخرة أن ندخل النار والعياذ بالله؟!!

ألم يقل النبي ﷺ: (**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**)(1)؟.

فالخلاصة المهمة والوصية والنصيحة الدائمة الواجبة هي: أن نكون مستقيمين على دين الله وشريعته وأحكامه ظاهرًا وباطنًا، في أنفسنا؛ سرائرنا وعلانياتنا، ثم في مَن تحت ولايتنا من أهلٍ وأتباعٍ ورعايا وشؤونٍ، قائمين فيهم جميعًا بأمر الله؛ نعطي لله ونمنع لله، ونحب لله ونبغض في الله، ونوالي ونقرّب لله ونعادي ونُبعِد لله، ونرضى لله ونغضبُ لله ﷻ.

أخي العزيز: أمور مهمةٌ توشك أن تكون واجباتٍ علينا:

منها: أنه لا بد لنا جميعًا أن نكثّف من نشر الفقه والعلم الصحيح النافع والوعي والثقافة الإسلامية في أتباعنا وأفراد جماعاتنا، بإنشاء المدارس وإقامة الدورات التعليمية الشرعية وحلقات العلم، وبإرسال الطلبة للتعليم ليكونوا علماء في المستقبل، وبإقامة الدروس في مساجدنا ومصلياتنا ومجتمعاتنا، وبنشر الكتب والاهتمام بالقراءة وتحصيل العلم، وبأن نقرِّب أهل العلم الصالحين الأمناء ونقدّمهم.

فهذا على وجه العموم؛ فإن العلم النافع وكثرة العلماء والمتعلمين، هو صِمامُ أمانٍ للجماعة وللأمة.

ثم على سبيل الخصوص لنا نحن المجاهدين فإن من أهم ما يتعيّن علينا من العلم أن نَعْلَمَهُ وننشرَه في أتباعنا وأفراد جماعاتنا المجاهدين هو: العلمُ بأحكام الجهاد (القتال والقتل)؛ مَن يُباح لنا قتالُهُ وقتله ومَن لا يباحُ لنا، وما يُباحُ لنا أخذه من المالِ وما لا يباحُ، وما يجوز من التصرفات وما لا يجوز في جهادِنا كله وفي علاقاتنا.. وهنالك أصولٌ عامة مجملةٌ ينبغي للمجاهدين أن يتمسكوا بها، ثم تكون التفاصيل عند علمائهم، فإن عوامَّ المجاهدين لا يمكن أن يحصّلوا كل ولا أكثر التفاصيل.

ولا شك أن المسيرة الجهادية كلما طالتْ دخل فيها مَن ليسَ أصيلًا في الجهادِ، وصارتْ أكثر احتياجًا إلى الترشيد والتصحيح والمحاسبة والمراقبة، وفي هذه المرحلة التي نحن فيها؛ فإننا نلاحظ كثرة الأخطاء والتجاوزات من المجاهدين، بسبب الجهلِ أو بسبب دخول أقوامٍ وفئاتٍ من الناس في

(1) صحيح البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، صحيح مسلم (١١١).

صفوف المجاهدين، ممّن لم يتربَّ التربية الإسلامية الصحيحة، وممن فيهم جاهليةٌ وفسادُ أخلاقٍ ورقةُ دينٍ، وبتعبيرِ أهل العلم فإنهم فجّارٌ لكنهم يجاهدون!! فلا غروَ أننا صرنا نخاف على الحركة الجهادية من الانحراف والفساد والهلكة، نسأل الله السلامة والعافية، فلذلك لا بد أن نركز وندخل في التفاصيل فنقول: إن من جزئيات العلم الواجب علينا معرفتها ونشرها بين المجاهدين وتحويلها إلى فقه حقيقي لديهم وبصيرة جازمة والتزامٍ كامل: العلمُ بعِظم حرمة دماء المسلمين، وتعظيم أمرها وتفخيمه في النفوس؛ فإن قتل النفس المؤمنة هو من أكبر الكبائر، ولعله -بحسب ما تعطيه أدلة الشريعة- أكبر الكبائر بعد الكفر والشرك بالله تعالى، فإن الوعيد عليها في الكتاب والسنة من أعظم الوعيد، ومن ذلك أن المتورّط فيها لا يكاد يفلح كما قال النبي ﷺ: (**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**) رواه البخاري[1].

ولا يُقال إن كلَّ المجاهدين عارفين بذلك؛ فإن الواقع لا يصدقه، ولا سيما في القبائل وأغلب بلاد أفغانستان وقبائل باكستان؛ فإن القبائل تغلب عليهم ثقافة القتل والانتقام والتهاون في الدماء وسهولة الإقدام عليها عند التخاصم وحصول الإحن، ولا يُغلّب أمرَ الله ويلتزم به حقًا وصدقًا إلا أهلُ الديانة المتينة والتحقيق للتوحيد، وهم الأقلونَ.

والخلاصة: أنه يجب علينا أن ننشر هذا العلم (العلم بتعظيم حرمة دم المسلم، وتعظيم حق المسلم دمه وماله وعرضه) بشكلٍ عمليّ في صفوف المجاهدين، بكل وسائل نشر العلم، ويجب علينا كأمراء ومسؤولين أن نأخذ على أيدي الأتباع ونحاسبهم ونقيم الشريعة على أنفسنا، بالالتزام بأحكام الله والاستقامة على طاعته، وبتطبيق العقوبات بعد ذلك لمن خالَفَ.

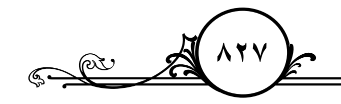
وإن لم نفعل ذلك وتهاونّا وركنّا إلى مواضعاتنا الاجتماعية وجامل بعضُنا بعضًا وضعُفَ الأمراءُ عن محاسبةِ الأتباع وأمرهم ونهيهم وحملهم على طاعة الله والاستقامة على الشريعة؛ فإننا فاشلون مفرّطون، ومصيرنا إلى الهلاك، والعياذ بالله.. اللّٰهم إنا نعوذ بك من سخطك..

وإنني أشهدكم أنني وقيادتي وإخواني نبرأ من كل مخالفةٍ للشريعةِ، وأننا نحب ونوالي ونقرّب ونرضى مَن يكون وليًّا لله تعالى مطيعًا له قانتًا أوّاهًا منيبًا شكّارًا ذكّارًا، ونبغضُ ونُباعِد ونجانِبُ مَن هو بضدِّ ذلك مهما كان.

ومنها مما هو قريبٌ من ذلك: أن نعتني بشرح فقه العلميات الاستشهادية والعمليات التي يقع فيها

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٦٢).



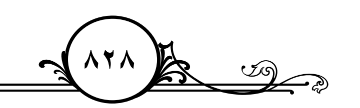
ما يسميه الفقهاء بالتترس، وحدود ذلك، وضوابطه، نشرحُهُ لأفرادنا، ونشرحُهُ على وجه الخصوص لصنفين من أفرادنا: للقيادات العسكرية التنفيذية (المسؤولين عن التخطيط والإجراء للعمليات) وللمنفّذين من المجاهدين وهم «الفدائيون» (الاستشهاديون)، فقد رأينا في بعضِ المرات تهاونًا من الفدائيين وجهلًا وقلة مبالاة بالناس، وقد يكون الفدائيُّ شابًا صغيرًا لم يتلق شيئا ذا بالٍ من العلم والمعرفة والتربية الدينية، والأخطر أنه ربما يكون أحيانًا قد لُقّنَ -والعياذ بالله- شيئا من الانحراف الدينيّ؛ فيتلقاه وينطلق به، وذلك كأنْ يلقّنه بعضُ الناس من المجاهدين أن هؤلاء الناس (العوامّ) في الشارعِ منافقون ساكتون عن الحق ونصرة المجاهدين وأنهم مع «الطاغوت» ومع المرتدين، راضون بهم.. إلخ!! وعليه؛ فلا تبالِ بمَن يُقتَل منهم، وما عليك من دمائهم من شيء!!

ولا شك أن هذا بإطلاقٍ خطأ عظيم وضلالٌ مبينٌ وسبيلُ فسادٍ عريض؛ فإن العوامَّ في الشوارع وفي الأسواق وعموم البلاد الإسلامية التي يحكمها المرتدون، محكومٌ بإسلامهم في الجملة والأصل، ثم هم أخلاطٌ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك.. ونعم قد يُوجد في خلالهم من هو كافرٌ مرتدٌّ؛ فذلك حيثُ عرِف بعينه فهو حلال الدم، ولكن في الجملة فإن العوامَّ في بلادنا وعامة بلاد المسلمين محكومٌ بإسلامهم قطعًا، بأدلة الكتاب السنة والبيّنة والفقه المعروف في مذاهب المسلمين، ومجالُ تفصيل هذه المسألة مواضعُهُا من الكتب والأبحاث، ومَن قال غير ذلك فقد غلا وضلَّ وخالَفَ أهل العلم قاطبةً.

فالعوامُّ مسلمون على ما هنالك من فسقٍ أو فجورٍ أو تقصيرٍ أو قعودٍ عن جهادٍ أو غير ذلك، فمن أشرع فيهم القتل عمدًا وقصدًا غيرَ مبالٍ بهم بزعم أنهم كذا وكذا مما تقدم حكايته، فهو ضالٌّ خارجٌ عن حدود العلم والفقه، مرتكبٌ لحرامٍ، ومتعرّضٌ لسخط الله وغضبه وعقابه، وقمينٌ أن يسلّط الله عليه الفشل ويمكّن منه الأعداءَ.!

أخي الكريم: إن كان شيءٌ من ذلك تطرّق إلى بعض المجاهدين ممن يسمعون لكم فأرجوكم أن تتداركوه بالمعالجة العلمية الشرعية؛ فإن هذا واجبٌ مضيّقٌ لا بد من القيام به فورًا، وأن تأخذوا على أيديهم بأسرع وقتٍ، وإلا فإني أنذرُكم مغبةَ ذلك وسوءَ عاقبته، فبادروا بالإصلاح فورًا، واجعلوه هو الأولوية لكم، يصلْح الله شأنكم وينصرْكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

ثم إنه بمقاييس الدين والدنيا، كيف ينجح مشروعٌ سياسيّ ثوريٌّ تغييريٌّ لا يعمَلُ أصحابه وأولو أمرِهِ على كسبِ الناس (العوامّ، والجمهورِ، والشعبِ) واستمالتهم واصطناعهم واحتوائهم، وكيف يرجون لمشروعهم وثورتهم أن تنجح إذا كانتِ الناسُ تكرههم وتنفضُّ كل يومٍ عنهم، ولسانُ حالهم: «وجدناهم اخبُرْ تَقْلُهْ»، كيف ينجح مشروعُ إنسانٍ يعتقدُ الناسُ فيه ويقولون له: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا



﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٩﴾ [القصص] إذا كثُرَ قائلُو ذلك وفشا هذا الاعتقاد في الناس، وصدّقته أفعالُ هذا الإنسان، ولم يُرَ منه إقلاعٌ عن خطإ ولا شفقةٌ ولا رحمةٌ ولا إحسانٌ.!

كيف وهذا رسول الله ﷺ وأكرمُ الخلق على الله يقول الله ﷻ له: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لا غروَ أنه على قيادات المجاهدين أن يعلّموا أتباعهم ويربّوهم -وقبل ذلك أن يكونوا هم متصفين بهذا- يربّوهم على أن يكونوا مشفقين على الناس رحماءَ بهم ميسّرين عليهم، صابرين على نقصهم وأخطائهم وما لديهم من خلل، ساعين في إصلاحهم بالهوينى والرفق وبالتدريج، غيرَ مسارعين في عقوبتهم، بلهَ القتلَ والانتقامَ، وقد كان رسول الله ﷺ لا يكاد يبعث بعثًا أو يؤمّر أميرًا على سريّةٍ أو جيش إلا كان من وصيته -كما جاء ذلك في أحاديث متكاثرة-: (**يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا**)[1]؛ فهل تدبّرنا ذلك وعرفنا فقهه وعملنا به؟!

ومنها: أنه يجب علينا صيانة المجاهدين من أن يتطرق إليهم الغلوّ في الدين، وخاصة في مسألة الحكم على الناس بالكفر (مسألة التكفير) فإن الغلوّ فيها مصيبةٌ عظيمة، وهي من أخبث الأدواء التي يمكن أن يتعرض لها المجاهدون ويُبتَلوا بها، وفي التجارب من ذلك شيءٌ يذكر للمعتبرين.. والغلوّ بعامةٍ هو داءٌ فتاكٌ ومرض خطيرٌ في كل الدين كما قال النبي ﷺ: (**إياكم والغلوّ في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**) رواه أحمد والنسائي وغيرهما[2]، وقال: (**هلك المتنطعون**) قالها ثلاثًا؛ رواه مسلم[3]. فهذا في الغلوّ في الدين مطلقًا، فإذا كان الغلوّ وقعَ في «الحكم بتكفير المسلمين» والتجرءِ على ذلك والاستهانة بخطره، كان أشدَّ فتكًا وأعظمَ ضررًا وإهلاكًا.. أعاذنا الله وإياكم وجميع إخواننا منه.

وقد بدأنا نسمع من بعض المجاهدين مَن يتجرأ على تكفير مجاهدين آخرين أو تكفير العوامّ كما تقدم، فعلينا أن نحترز من ذلك جدًا ونسعى بكل قوة في تربية المجاهدين على المنهج الصحيح في ذلك، وإني قد جربتُ الأمور، **وأدلكم على جُمَلةٍ من ذلك نافعة بإذن الله، وهي:**

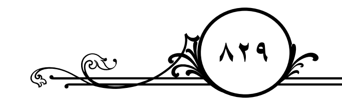
- تربية إخواننا على التركيز على عيوبِ النفس والانشغال بإصلاحها وتزكية النفسِ، والبُعد عن النظر في عيوب الناس، وتربيتهم على طلب العافية وطلب السلامة في الدين، وتعظيم خطر الفتيا في

---

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وأيضا: صحيح البخاري (٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. **وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**).

(٢) مسند أحمد (٣٢٤٨) وصحح إسناده الأرنؤوط وأحمد شاكر، سنن النسائي (٣٠٧٥)، سنن ابن ماجه (٣٠٢٩) وصححه الألباني.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٧٠)، مسند أحمد (٣٦٥٥)، سنن أبي داود (٤٦٨٠).



الدين بغير علمٍ، ومن أشدّها الإقدامُ على تكفير مسلمٍ بغير علمٍ مؤهِّلٍ لذلك وبدون موجِبٍ، وأن يكلوا ذلك إلى العلماء الفقهاء المتأهّلين المعروفين بحُسن الديانة والورع، فيُمنَع العوامّ (غير العلماء) من الخوض في هذه المسائل مطلقًا، وعلى الأمراء أن يغضبوا إذا سمعوا عوامّ المجاهدين يتكلمون في تكفير فلان أو فلانٍ من الناس، ممن تكفيرُهم اجتهاديٌّ، ويمنعوهم من الكلام فيه.

فإذا فعلنا ذلك فأبشروا بالنجاح إن شاء الله.

- لقنوا المجاهدين معنى الحديث المرويّ عن النبي ﷺ: **(طوبى لمن شغله عيبُهُ عن عيوب الناس)** قال ابن حجر في بلوغ المرام: أخرجه البزار بسندٍ حسن[(١)]، وقوله ﷺ: **(المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده)** رواه البخاري ومسلمٌ[(٢)]، وقوله: **(المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله)**[(٣)]، **(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)**[(٤)]، وحديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: (غزوتُ مع نبيّ الله ﷺ غزوةَ كذا وكذا فضيق الناسُ المنازلَ وقطعوا الطريقَ، فبعث نبيُّ الله ﷺ مناديًا ينادي في الناس أنَّ **مَنْ ضيّقَ منزلًا أو قَطَعَ طريقا فلا جهادَ له)** رواه أبو داود وأحمد وغيرهما، وورد في بعض ألفاظ هذا الحديث في بعض المصادر (... **أو آذى مؤمنًا فلا جهادَ له)**[(٥)].

ومنها: أنه يجب على قيادات المجاهدين أن يعملوا جاهدين جادّين مثابرين على صيانةِ أنفسهم وأتباعهم من سائر الآفات والأمراض التي تعرِض لهم، وهي كثيرةٌ ومنها: العُجبُ والغرورُ والكبرُ والتعالي على الخلق وظلمهم؛ فإن هذه من الأمراض المفسدة للإيمان والموجبة للهلاك والعياذ بالله.

والسبب أن المجاهد إن لم يكن متدرّعًا بفقه النفس والمعارف النافعة فإنه مع طول الطريق ووحشته ومع ما يمارسُهُ ويُعالجُهُ من أمور القوة والغلبةِ والظهور، ومع ما قد يلاقيه من خذلان الناسِ له ممن يُفتَرَضُ أن يعينوه من أبناء الأمة، ومع ما يتعرض له من كثرةِ الخصومات والعداوات المناوأة بسبب سيره في طريق الجهادِ فإنه يتطرّق إليه هذه الأمراضُ ويسهّل الشيطانُ وُلوجَها عليه بأنواع الحيلِ والجدلِ فيتلقّفها ويجدِ فيها بعض السلوى عن غُربته وقلة حيلته، فيقع في شرٍّ عظيم، فينجح الشيطان

---

(١) بلوغ المرام (١٥٢٤)، لكن ضعف كل أسانيده وطرقه العراقي في: تخريج الإحياء (ص ١٠٤١)، وقال الألباني في: ضعيف الجامع الصغير (٣٦٤٤): «ضعيف جدا»، وقال مثله الحويني في: النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة (١/ ٧٤).

(٢) صحيح البخاري (١١، ٦٨٠٦)، صحيح مسلم (٤٠).

(٣) سنن الترمذي (١٦١٢) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٣٩٦٦) وقال: حديث صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٦٨٠٦، ٦٤٨٤).

(٥) سنن أبي داود -باللفظ الأول- (٢٦٢٩) وحسنه الألباني، مسند أحمد -بلفظه الثاني- (١٥٨٨٨).

في أن يفسدَ عليه جهادَه، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الشيطان قعَدَ لابن آدم في طريقه إلى الله أيما قعودٍ يحاول أن يفسِد عليه دينه وهجرته وجهادَه، فقال ﷺ: (**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطْرُقِهِ؛ فقعد له بطريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَلِ؛ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جَهْد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد؛ فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقًا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله ﷻ أن يدخله الجنة**) رواه أحمد والنسائي وغيرهما[1].

والسببُ كما قلتُ: قلةُ الفقه في الدين؛ فالعلاجُ إذن هو الفقه في الدين والوعي والتربية الإسلامية الصحيحة، والاعتناءُ بالتزكية، ثم تولية الأمناء الصالحين من الأمراء أهل الورع واعتدال الأمزجة واعتدال الأخلاق، أهل الصبر والسماحة والبذل، الباذلين لله لا يرجون من غيره جزاءً ولا شكورًا، المشفقين على أقوامهم والراحمين للخلق الذين يرحمهم الرحمن.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٥-١٨].

ففي هذه الآيات الكريمات حصر الله تعالى صفة الإيمان في الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يحصل منهم ارتيابٌ وجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى وحدَه، ثم لامَ ووبّخَ المتحدَّثَ عنهم في هذه الآيات -وهم جماعةٌ من الأعراب- على تبجّحهم في دعواهم وإخبارهم بأنهم آمنوا في حين أنهم لم يتصفوا بالصفات المتقدمة، وعابَ عليهم أنهم يمنّون على الرسول والمؤمنين بإسلامهم، وأمرَ رسوله الكريم ﷺ أن ينهاهم عن المنّ بإسلامهم، وأخبرهم أن المنة لله تعالى وحده.

وفي عَيْبِ التبجح بالدعاوى وذمّ المنّ والمانّين بعد ذكر صفة المؤمنين حقًا إيماءٌ إلى خطرِ هذا المرضِ ومنافاته للإيمان وإخلاله بصفة المؤمِنِ.. والله أعلم.

ومنها: أن على قيادات المجاهدين أن يعملوا على رصّ صفوف المجاهدين والتأليف بين قلوبهم

---

(١) سنن النسائي (٣١٣٤) وصححه الألباني.

وجمع كلمتهم وتحبيب بعضهم إلى بعضٍ بأنواع الوسائل المشروعة من القول والفعل، وجعلهم كما قال النبي ﷺ: (**مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمَّى والسَّهر**) رواه البخاري ومسلم(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف]؛ فالله يحب ذلك ويرضاه ويأمُرُ به، فيجب علينا السعي في تحقيقه، وذلك ببثّ أسباب التحابُبِ بين المؤمنين وقطع أضدادها من أسباب الخلاف والفُرْقة والشقاق والتباغض والتباعُدِ والتدابُر.

وقد دلّت الشريعة المطهرةُ على جملةٍ متكاثرة من تفاصيل أسباب التحابب وحذرتْ من جميع أسبابِ التقاطع والتدابُر والعداوة البغضاء بين المؤمنين، على سبيل التفصيل أو على سبيل العموم والإجمالِ، وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية الكريمة الربانية، والبسط فيها يطول جدًا؛ فلتنظر في مواطنها من كتب أهل العلم ككتب السلوك والأخلاق والفضائل وكتب الحديث وشروحه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكم والظنَّ فإن الظن أكذبُ الحديث، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا كما أمركم، المسلمُ أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هٰهنا التقوى هٰهنا التقوى هٰهنا، وأشار إلى صدره، بحسْبِ امرئٍ منَ الشرِّ أن يحقر أخاه المسلمَ، كلُّ المسلمِ على المسلم حرامٌ؛ دمُهُ وعرضه وماله**) رواه مالك والبخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي، كما في الترغيب والترهيب للمنذري(٢).

والحاصلُ أن هذا من أهمِّ ما ينبغي الاعتناءُ به من قيادات المجاهدين.

ولا بأس في هذه المقام أن نذكر بعض صور الأخطاء التي نشاهدها في المجاهدين في هذا الجانب، لكي يتم التنبّه لها بعينها ومعالجتها، ولنكون عمليين، فإن العلمَ إنما يُرادُ للعمل، فمن ذلك:

- أن بعضَ الأمراء يَرضَوْن بأن يلوك أتباعهم وجنودهم أعراضَ غيرهم من الأمراء والمجاهدين، ولا ينهونهم، بل ربما حرّضوهم وشجعوهم على ذلك، لخصومةٍ أو شحناءَ مع أميرٍ آخرَ أو إرادةِ غلبةٍ عليه وإزراءٍ به، وهذا مرضٌ على الإنسان علاجُهُ في نفسه ويجب على الأمراء الكبار مراقبة مَن دونهم ممن هم تحت ولايتهم في هذا ومعالجتهم وإرشادهم وتأديبهم. والواجب على الأمير إذا سمع من أتباعه كلامًا في غيرهم من المجاهدين أو أمراء الجهادِ أن ينهاهم وينهرَهم عن الغيبة

(١) صحيح البخاري (٦٠١١)، صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(٢) موطأ مالك (١٥)، صحيح البخاري (٥١٣٤، ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، صحيح مسلم (٢٥٦٣)، سنن أبي داود (٤٨٨٢)، سنن الترمذي (١٩٢٧)، وينظر: الترغيب والترهيب (٤٣٧٥).

والنميمة والاستطالة في عرض المسلم وسائر آفاتِ اللسان وفضوله، وكيف يفعل ذلك من دون أن يكون هو متفقهًا في دينه عارفا بالله تقيًّا مراقبًا لله تعالى مخلصًا له؟!

- يكثُرُ في مجموعات المجاهدين وفئاتهم أن كل طائفة تمدح نفسها وأمراءَها وأعمالها وتتفاخَرُ بها، وتزدري مَن سواها وتطعن فيهم بالقول: إنهم لا يشتغلون وإنهم لم يعملوا شيئًا، ونحن فعلنا وفعلنا من البطولات والعمليات!! وهذا يتضمّن التلبّس بعددٍ من الأمراض القلبية، نسأل الله العافية والسلامة، والواجب على أمراءِ الجهادِ إصلاحُ كل ذلك ببث خلق التواضع والإخلاص والخوف من سوء الخاتمة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
- سوء الظن، وما أدراكم ما سوء الظن، فإنه كثيرٌ جدًا بين المجاهدين، ويؤدي إلى طعن بعضهم في بعضٍ واتهامِ بعضهم بعضًا، فهذا يرمي هذا بأنه يريد كذا وكذا، وهذا يفسّر فعلا أو قولًا لأخيه على وجهٍ دنيويّ مدارُهُ على الصراع على القيادة والغلبة والظهور والجاه والسلطان، وهذا يتهم هذا بأنه عميلٌ لاستخبارات العدوّ، وأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى. وهذا خطرٌ عظيم، والواجب على أمراء الجهادِ أن يكونوا قدوةً للناس في حسن ظن المسلم بأخيه المسلم ويعلّموا هذا الخلقَ الرفيعَ والشعيرة العظيمة لأتباعهم وجنودهم.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم الإيمان الكامل وأن يوفقنا للعمل الصالح، وأن يحفظ علينا جهادنا وهجرتنا وأن يكمّلها لنا بفضله ومنّه وكرمه سبحانه، إنه وليّ الفضل والنعمة لا إله غيره ولا رب سواه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ذو الحجة ١٤٣١هـ



الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

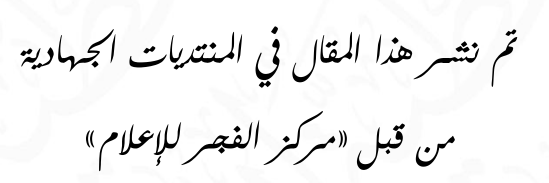


«ثَوْرَةُ الشُّعُوبِ»

وسقوط النظام العربي الفاسد..

كسر صنم الاستقرار والانطلاقة الجديدة




تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز الفجر للإعلام»

جمادى الأولى

١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تابعنا مع شعوبنا العربية وكل شعوب العالم؛ مجريات ثورتي تونس ومصر، في حماسةٍ وحرارةٍ، وكان يخيَّلُ إلي أنني أسمع صوت تكسر عظام نظام الفرعون العجوز المتهاوي حسني اللامبارك، وأسمع معها -كقرع الطبول- دقاتِ قلوب اليهود على مرمى حجر وهي تضطرب في خفقٍ رهيب من الرعبِ والذعر الذي ألقاه الله عليهم بهذا الحادث الجلل.!

كنا على مر الأيام نتابعُ الأخبار وندعو الله للمسلمين أن يبرم لهم أمرَ رشدٍ، وأن يخلص الله أهل تونس من الطاغية الجبان، وأن يخلّص مصر وشعبها المسلم من هذا الطاغوت ونظامه الخبيث الفاسد الظالم العاتي العتلّ الجواظ، وأن يبرم للمسلمين في مصر أمر رشدٍ، ويجعل هذه الثورة خيرًا للإسلام والمسلمين، صحيحٌ أنها ليستْ الكمال الذي نتمناه، ولكنّ زوال بعض الشر أو كثيرٍ منه شيءٌ يسر المرء، مع ما نرجو من كون هذه الخطوة مقدمةً لخيرٍ آتٍ وفاتحة لأبوابٍ بإذن الله.

ولذلك فإن شعوبنا العربية والإسلامية في تونس ومصر والجزائر وليبيا والأردن واليمن وغيرها محتاجة لمن يذكرها بالله في هذه الأيام، ويذكرها بأيام الله وسننه، وينبّههم بلطفٍ إلى مواقع العبر والحِكَم المستفادة من هذه الدروس الكونية، وهذا دورٌ مهمّ للدعاة إلى الله وطلبة العلم والحركات الإسلامية.

لم تكن هذه الثورات وخاصة ثورة مصر ثورة على النظام المصريّ والنظام العربي الفاسد الخبيث، فحسبْ، بل إن أبعادها أشمل وأعمق؛ فهي نقطة فاصلة ونقطة تحول بارزة في تاريخ المنطقة وعلاقاتها الاجتماعية، ولم يكن حسني اللامبارك ونظامه هو الساقط في ثورة مصر فحسبْ، بل سقطت معه أيضا فكرة «الاستقرار» الذي جعلوه صنمًا عبده الطواغيت الأنذال وعبّدوا الناس له، استقرار المنطقة، الذي ليس معناه إلا توافر كل عوامل الطمأنينة لهم والأمن من أي منغّصٍ ينغص عليهم أحوالهم الباذخة الناعمة الفارهة أو يهدد مُلكهم وسيطرتهم المطلقة على البلاد ومقدراتها وانفرادَهم وعائلاتهم بالحظ الأوفر والنصيب الفائض من ثرواتها وخيراتها، بما يستلزمه ذلك من حراسة حدود دويلة إسرائيل البائرة وضمان أمنها وحمايتها من أي توجه جهادي.!

سقط النظام المصري، وقبله التونسي، ولعله يلحقه اليمني والأردني وربما الليبي والجزائري والمغربي، بإذن الله ﷻ.

وساعة إرادتي إرسال هذا المقال للنشر، جاءت الأخبار ببدء تحرّك أهلنا في ليبيا وثورتهم على الطاغوت المخبول المشؤوم وعائلته الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد وجعلوها ملكًا لهم ولكلابهم، فنسأل الله أن يخلّص الناس منهم، وأن يبرم للمسلمين في ليبيا أمرَ رشدٍ يعزّ فيه أهلُ طاعته سبحانه ويذلُّ فيه أهلُ معصيته.

وهكذا ضرب الله للناس الأمثال واستطاع جيلُ الشباب أن يثبت فاعليته في عالمنا الجديد رغم كل المساعي التي بذلها النظام العربي الفاسد لإفساد الشباب على جميع المستويات وتنويمهم، ولكنه كان نظامًا غبيًا غير واعٍ أشبه بالشهوانيّ لا غير، وكان لا بد للثورة أن تأتي مهما طال الزمن فهذه سنن كونية نعرفها من التاريخ والمعارف البشرية والتجارب ومن حسابات علوم النفس والاجتماع البسيطة، فإن تراكم الفساد بالطريقة الحاصلة في أمتنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية لا يمكن أن يستمر طويلًا جدًا حتى يؤدي إلى الانفجار، يوقِد فتيله ما يقدره الله ومَن يهيئُهُ الله، ويجمع بارودَهُ جهودٌ متظافرةٌ لا تحصى تتظافر لمقابلة ذلك الفساد المتراكم، منها الصالح ومنها دون ذلك، والله أعلمُ بما يعمل الخلق وما ينوون ويريدون، وفيهم المفلح الفائز في الآخرة وفيهم الذي إذا أفضى إلى الآخرة لم يجد شيئًا إلا الخسران والعياذ بالله، ولكن تلك الجهود تجتمع كلها على مقاومة النظام الطاغي. وتذكرتُ هنا ما قال الشاعر أحمد مطر: «أعلمُ أن القافيةْ.. لا تستطيعُ وحدَها إسقاطَ عرشِ الطاغيةْ.. لكنني أدبغُ جلدَهُ بها دَبْغَ جلودِ الماشيةْ.. حتى إذا ما حانتِ الساعةُ وانقضّتْ عليه القاضيةْ.. واستلمتْهُ من يدي أيدي الجموعِ الحافيةْ.. يكونُ جلدًا جاهزًا تصنَعُ منه الأحذيةْ» اهـ.

ومع ذلك لم أكن ككثيرين من الناس نتوقعها بهذه السرعة، على نحو ما حصل في تونس الخضراء الأبية، ولا أظن أن الأعداء توقعوها أيضا، وهذا ما تدل عليه تصرفات فرنسا الركيكة الغبية، وحتى الأمريكان، مع أنهم كانوا أحسن حالًا من الفرنسيين، ولا سيما في مصر؛ واستفادوا من التجربة وأدركوا أن التغيير قادمٌ لا محالة.!

لقد ظننا مع كثيرين أن الشعوب ماتت أو خُدّرت إلى أمدٍ غلب على الظن أنه طويل، بسبب ما فعله الطواغيت المجرمون بها، لكن ثورة تونس وما بعدها أثبتتْ أن الشعوبَ يمكن أن تثور في الوقت الذي يظن المراقبون أنها ماتت أو غابت عن الوعي!

لكنني أسجّل مع ذلك موقفين:

الموقف الأول: أننا قرأنا قبل مدة من اندلاع الثورة في تونس، أي في أيام الطاغية بن علي، مقالًا في



الانترنت أظنه للأخ الشيخ «أبي مسلم الجزائري» توقع فيه انهيارَ النظام التونسي قريبًا وانفجار ثورة ونحو ذلك، وكان لافتًا، وحمدتُ الله حين استذكرتُهُ بأن في شبابنا من يُحسن التأمل والاستشفاف والاعتبار والتوقع، وأن فينا طاقات واعية، نسأل الله أن يبارك فيها.

والموقف الثاني: الرسالة التي انتشرت على الانترنت من أختٍ تونسية وجهتها إلى تنظيم القاعدة وقيادته الشيخ «أسامة بن لادن» وغيره، تستغيثُ فيها وتحكي مأساة الإسلام والمسلمين والإخوة والأخوات الملتزمين بالدين في تونس، وكانت الرسالة - بغضّ النظر عن التوثق الكامل من صحتها وواقعيتها- مؤثرة ومحزنة ومثيرة للمزيد من الغضب والحنق والغيظ على أولئك الطواغيت الملاعين أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء الفضيلة والطّهر، الذين عاثوا هم وأحزابُهم وأنظمتهم في الأرض فسادًا قل نظيره، ولم يكن باليد كبير حيلة، وكان الإنسان في حالةٍ يكاد ينفجرُ، لولا أن يربط الله على القلوب، وما كنا نملك إلا شيئين كما قلتُ لبعض إخواني ساعتها: أن نجأرَ إلى الله بالدعاء ونجتهد فيه مع إخواننا وأخواتنا المستضعفين، وأن نستمر في جهادنا.

إن الثبات والاستمرار في الجهاد هو من أهم ما أعطانا الله ﷻ من الفرصة لأن نقدم من خلاله خدمةً لديننا وأمتنا وإخواننا وأخواتنا المقهورين المضطهدين، وبهذه المناسبة فإنني أحبُّ أن أوضّح لإخواني وأخواتي في كل مكانٍ شيئًا -مع اعتزازنا بثقة المسلمين ومحبتهم-: إن «القاعدة» ليستْ لديها عصا سحرية كما يُقال، وليست القصة أيها الإخوة والأخوات الفضلاء الأحباب هي قصة «المعتصم وعمورية» ولا قصة تحريك جندٍ وتجيش جيوش لا يُعرف أولها من آخرها، فالقاعدة جزء بسيطٌ من جهودِ الأمة المجاهدة، فلا تظنوا بها فوق قدرها، ولنكن عارفين بأقدارنا جميعًا، ولنجتهد في التعاون على البر والتقوى والجهاد في سبيل الله، كلٌّ من موقعه وبما يستطيعُهُ وبما يكون المناسبَ في حقه، والله يفتح وينزّل الفرَجَ والنصر بصدق الصادقين وإخلاص المخلصين ودعاء الضعفاء المغلوبين.

ولكأن رسالة الأخت من تونس كانت حقًا الإشارةَ الأخيرةَ لنهاية نظام الطاغوت ابن علي، وتفريج الكرب بإذن الله، وتلك عبرةٌ للمتأملين، وأتمنى من هذه الأخت الآن أن تكتب رسالة أخرى عن الوضع الجديد الذي ليس هو بالتحديد ما نحلم به جميعًا ونريده، ولكنه بالتأكيد تفريج لكثيرٍ من الكروب، والمأمول إن شاء الله أن يكون في غضونه كثيرٌ من الخير والرحمة.

وإن على المصلحين من أبناء الأمة اليوم، والمجاهدين والدعاة إلى الله أن يغتنموا هذه الفرصة التاريخية، وينطلقوا في عمل دعوي وتربوي وإصلاحي وإحيائي دؤوب في ظل ما تتيحه أوضاع ما بعد هذه الثورة من حريات وفُرَص، وبعد زوال كثيرٍ من الآصار وتحطم الكثير من القيود.

وفي الجملة.. ندعو الشباب إلى حسن الفهم للأمور، والبُعد عن «ضيق الأفق» والتشنج والاستعجالِ، ولا ينبغي أن يدخلوا في خلافاتٍ مع الطوائف المختلفة معهم في الحركة الإسلامية، كإخوة «النهضة» في تونس مثلًا أو غيرهم، بل ينطلقوا في العمل البنّاء الإعداديّ، وهكذا الإخوة في مصر وسيناء ورفح وغيرها، ولتكن الدعوة بالرفق والتزام الآداب الكريمة وسعة الصدر للناس واختلاف أفهامهم هي السائدة، وليستحضروا أن أمتنا تعيش مراحل صعبة ومعقدة وأنها للتوّ بدأت تحاول النهوض والخروج من حال الانحطاط التي ارتكست فيها عقودًا بل قرونًا! فليكن الشباب على مستوى الوعي المطلوب، وكل ذلك لا يتعارض مع الحماسة في البذل للدين والغيرة والحمية له والصدع بالحق البيّن، ووضوح المنهج، إنما ضُمّوا إليه ما أشرنا إليه من الفضائل: الرفق وكمال الأدب وتغليب الشفقة والرحمة والإحسان في التعامل مع كل المسلمين، بل مع كل الناس. اجعلوا قاعدتكم هي: بإمكاني أن أعمل الخيرَ وأقول الحق، ولكن بكل أدبٍ وكياسةٍ وتجنّبٍ للمشاكل المفسِدةِ المُعيقة. واعرفوا -بارك الله فيكم- أن الحق درجاتٌ، منه ما لا يُترَكُ قوله وفعله بحالٍ، ومنه ما يُترَكُ لمعارضٍ أو مانعٍ (عذرٍ)، فتفقهوا في هذا، وافتحوا قلوبكم لفهم العلوم النافعة والرقي بمستوى الوعي والفقه.

لقد كشفت هذه الثورة العربية في تونس ومصر وما نرتقبه بعدهما من بلدانٍ، كشفت عن مجموعة هائلة من الحقائق وأظهرتها للعيان، وذلك من الخيرِ الكثير، ومن رحمة الله بالمسلمين، وقد بدأ الناس يكتبون في ذلك ولا بد أنه سيكتب الكثير والكثير؛ فإن هذا حدثٌ تاريخيّ كبير، **وإنما أحببتُ أن أذكّر ببعض ذلك:**

فمنها: هشاشة هذه الأنظمة البوليسية الاستبدادية الشمولية الطاغية رغم انتفاشها في أعين الناظرين، ولكنها خواء، يملؤها الجُبنُ والخَوَرُ، متعفّنة من الداخل، متهاوية، ما أن تتحرك الشعوب وتثور عليها حتى تنهار ويهرب رؤوسها إلى الخارج لا يؤويهم في البلدِ جُحْرُ ضبٍ! وأدرك كثيرٌ من الناس أن الحكام الكفرة الطغاة لا قيمة لهم في ذواتهم من فضلِ صلاحٍ أو نفعٍ، وإنما صنعوا لأنفسهم قيمة بالسلطان وقوة الشرط والأعوان والطبقات المنتفعة بهم المرتبط مصيرها بمصيرهم.

ومنها: ما بانَ للناسِ من أن الغرب الكافر لا تهمّه مصالحُ شعوبنا الإسلامية في شيءٍ أبدًا، ولا يبكي علينا إلا دموع التماسيح حين يبكي، وإنما يركض ويلهث وراء مصلحته الشخصية والتي تقتضي «استقرار» المنطقة ودوام هذه الأنظمة الحلوب، رغم عَسْفها وظلمها وقهرها لشعوبها وكبتها لحريتها، ورغم فسادها الكبير الذي يعرفه الغربُ جيدًا، ورغم انعدام أبسط حقوق الإنسان في ظلها.. رغم كل

ما يعرفه الغرب جيدًا من مآسي شعوبنا وما تعانيه من الحرمان والظلم؛ فإنما يهم الغرب فقط هو استمرار الأحوال على ما هي عليه لضمان استمرار تحقق مصالحه الاقتصادية وتدفّق خيراتِ بلادنا وشعوبنا على أسواقه ومصانعه؛ بان هذا للناس في أوضح صوره في موقف فرنسا من ثورة تونس، وموقف أمريكا وغيرها، فمن لم يبصر هذه الحقائق فلن يبصر شيئًا!.

ومنها ومن أهمها: اتضاح الارتباط الوثيق بين هذا النظام العربي المرتد وبين اليهود (إسرائيل) وكيف أن مصر حسني اللامبارك هي بمنزلة الحارس الأمين اليقظ لليهود، فقد رأى الناسُ مدى تشبّث اليهود بحسني ونظامه، ومدى خوفهم ورعبهم من سقوطه، وعرف كثيرٌ من الناس اليوم أنه لولا هذه الأنظمة الكافرة الخائنة (مصر والأردن وسوريا وباقي دويلات النظام العربي الخبيث) لما بقيتْ دويلة إسرائيل في الوجود إلا ريثما تتم المعركة السريعة مع أمتنا وتنتهي بانتصار أمتنا، والله أكبر، وإن ذلك لقريبٌ آتٍ إن شاء الله.

ومنها: ما يتعلق بالنظام السعودي المنافق، فإن خائن الحرمين الشريفين ملك آل سعود وقف بكل ما أوتي من قوة خائرة مع حسني اللامبارك واستماتَ - على وَشْكِ موتِهِ - في نصرته، حتى خالف الأمريكان في موقفهم، ولعله لأول مرةٍ يشاكسهم في شيء.. رأى الناسُ في جزيرة العرب وغيرها كيف وقف عبد الله آل سعود مع حسني وحاول مجتهدًا أن يمنع سقوطه، متجاهلًا مطالب الشعب المصري وإرادته وثورته العارمة، غيرَ ملتفتٍ إلى فظاعة هذا النظام وظلمه وفساده العظيم.

ونحن نطرح على العقلاء في «السعودية» هنا أسئلة بسيطة فإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار:

لماذا يناصر عبد الله آل سعود حسني العلماني العميل لإسرائيل الوليّ للأمريكان حبيب اليهود؟ ألا يعلم عبد الله آل سعود بحال حسني وبحال نظامه المحارب للدين، البلطجيّ المنتفخ البطون من السحت؟ هل هذا الموقف من عبد الله آل سعود نابعٌ من الدين و«العقيدة السمحة» ومن الحرص على خيرِ الأمة؟ هل نَصر عبدُ الله حسني لله ومن أجل الله والدين؟ هل يلتفتُ عبدُ الله آل سعود إلى الدين وإلى اليوم الآخر؟!

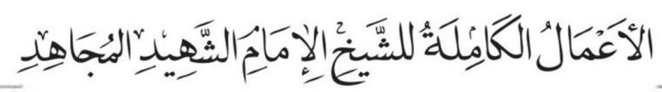
أسئلة تنتظر إجابات في نفس كل حرٍّ يلومُ نفسه ويراجعها ويحاول أن يتّعظ قبل أن يطبع الله على القلـــــوب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال] وقبل الطوفان، وقبل فواتِ الأوان.

وأما الإخوة المجاهدون في اليمن، فلا أنسى أن أذكرهم بأن نظام علي عبد الله صالح في أضعف حالاته، وأن الثورة عليه ماضية، وأنه منهارٌ، فلا أظنني بحاجة إلى التذكير بأنها فرصة كبيرة: سياسية

وأمنية وثقافية، وكم في الحروب وفي مراحل التحوّل من فرصةٍ لفعل الخيرِ لمن وفقه الله وسدده وآتاه تقواه.

وإلى موعدٍ إن شاء الله للتواصلِ مع أهلنا وشعوبنا المتحررة، مع شعوبٍ مسلمةٍ متطلعةٍ بجدّية تامة إلى التمسك بالإسلام دين الله ﷻ وهُداه الذي فيه الخيرُ والأمنُ العزة والكرامة والطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه].

❋ ❋ ❋





ما ليس عنه انفكاك..

في أجوبة المجاهدين الأتراك

تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»

شعبان

١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

[نص السؤال]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

إلى شيوخنا الكرام وفقهم الله..

نعرفكم أن الجماعات في تركيا في مسألة التكفير قد انقسموا:

❖ فبعضهم مالوا إلى التكفير خاصة بعد انتشار أقوال وكتب الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز والشيخ أبي محمد المقدسي وفقهما الله.

❖ وبعضهم إلى الآن يشاركون في الانتخابات ولا يمتنعون عن الخدمة في الجيش.

❖ وآخرون بين ذلك.

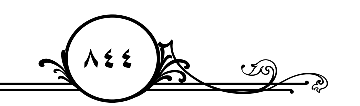
وفي بلدنا يظن بعض الناسِ أن منهج التنظيم (قاعدة الجهاد) هو كمنهج أولئك الذين مالوا إلى التكفير، وبعضهم يظنون أن في منهج التنظيم إرجاءً.. ونحن نريد أن تزيلوا الإشكال وسوءَ الفهم بأجوبتكم على الأسئلة الآتية:

- **ما هي عقيدة التنظيم؟**
- **ما قولكم في مسألة التكفير؟**
- **كيف تنظرون إلى شعب تركيا؟**
- **بمَ تنصحون العلماء والشعب في تركيا؟**
- **ما رأيكم في قول الشيخ أبي محمد المقدسي حفظه الله في كتابه «الرسالة الثلاثينية» في التحذير من الغلو في التكفير، في فرع تكفير عموم المشاركين في الانتخابات دون تفصيل: «ولذلك فلا تحل المبادرة إلى تكفير أمثاله إلا بعد إقامة الحجة وتعريفه بحقيقة عمل النواب المشرعين، وما يرتكبونه من مكفرات تناقض دين الإسلام وتوحيد رب العالمين، فإن أصرّ على انتخابهم مع ذلك كفر» اهـ؟**

وجزاكم الله خيرًا.

كتبه: أبو صالح التركي

❐❐❐



الجواب وبالله التوفيق:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المصطفى، وآله وصحبه ومن لنهجهم قفا..
أما بعد:

فاعلموا إخواني أن الهداية والتوفيق إلى الإيمان والسداد والتقوى والعمل الصالح مِلكٌ محض لله ﷻ؛ يهبه سبحانه لمن يشاء بمنّه وكرمه وفضله، ويحرمه مَن يشاء، كما قال جل وعلا لنبيه محمد ﷺ وهو أكرم الخلق عليه وأحبهم عنده: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص]، وقال: ﴿ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ [الروم: ٢٩] وقال: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل: ٣٧] ﴿ يُهْدَى ﴾ بالبناء للمفعول في قراءة نافعٍ وغيره، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٧] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٩ - ١٠٠] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة: ١٣].. وهذا كثيرٌ في القرآن.

فهذا من أول ما ينبغي اعتقاده والاعتراف به لله ﷻ واطمئنانُ القلبِ به، فإذا حصل من العبدِ ذلك اقتضى منه أن يتوجه إلى مولاه ويلجأ إليه طالبًا الهداية ملحًّا في طلبها بحرص شديدٍ وطرق دائمٍ للبابِ، خائفًا وجِلًا متواضعًا مستشعرًا عجزه وفقره وضعفه وجهله وظلمه وحيف نفسه، مستحضرًا قول الله تعالى في الحديث القدسي: **(يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا مَن هديتُهُ، فاستهدوني أهدِكم)**[1]، ولسان حاله قبل مقاله: اللّهم إن لم تهدني فمن يهديني، اللّهم إن لم تتداركني برحمتك وتشملني بفضلك وترزقني الهداية ضللتُ وهلكتُ.

ثم ليعلم العبدُ المؤمن الذي هداه الله إلى أوائل مقامات الهداية، أن الهداية درجاتٌ ومقامات تسمو، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد] ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ ﴾ [مريم: ٧٦]، ولهذا أوجب الله ﷻ علينا أن نسأله الهداية كل يومٍ عددًا من المراتِ، وذلك هو

---

(١) صحيح مسلم (٦٧٣٧).

الدعاءُ الواجبُ على كل مسلمٍ وذلك حين أوجب الله علينا قراءة الفاتحة في صلواتنا وفيها هذه الآية: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة] وهي لبُّ فاتحة الكتاب، إذ ما قبلها مقدمة وتوطئة لها بحمد الله والثناء عليه وتمجيده ثم التوسل إليه، وما بعدها تكميل للدعاء بإظهار معنى الصراط المستقيم وإدماج التحدث بنعمة الله تعالى على عباده المصطفين الأخيار الذين هداهم الله ومنّ عليهم وأنجحهم.

وإن لتحصيل الهداية وتكميلها أسبابًا؛ فمن أهمّ أسبابها -بعد توفيق الله وما ذكرتُهُ من اللجوء إليه ودعائه سبحانه- هو أن يطلب العبدُ العلمَ النافع ويتفقه في الدين، على طريق صحيحٍ وقصدٍ مليح، ويحرص على الخيرِ ويطلب الفضل (يطلب أن يكون أفضلَ دائمًا)، وأن يحسن الظن بالله الجليل ويعتقد أن الله تعالى سهّل الأمرَ ويسّره لنا كما قال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧﴾ [القمر] ودل اعتبارُ مجموع فروع دينه وشريعته سبحانه على أنها يسرٌ. وسهلةٌ لا تعقيد فيها ولا تعنيتَ، ولا تشديد ولا تنطُّع، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠] أي لأوقعكم في العنتِ، وهو المشقة والضيق، أي ولكنه لم يفعل ﷻ رحمة بكم، بل يسّر عليكم وسهّلَ ووسّع. وكما قال النبي ﷺ **(هلَكَ المتنطِّعون)** قالها ثلاثًا رواه مسلم وغيره[1]، وهم المتعمقون المبالغون المجاوزون للحدود في الأقوال والأفعال المتكلِّفون البحثَ عن دقائق المسائل على طريقة أهل الكلام، فليوقن العبدُ أن الدين والعقيدة بحمد الله سهلة ميسورة، لا كما أرادها وصوّرها أصحابُ علم الكلامِ والفلسفات الفاسدة الحائدين عن سنن الشرع قديمًا وحديثًا.!

فما يجب علينا معرفته واعتقاده في حق الله تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه، وفي حق ملائكته، وفي حق رسله، وفي حق كتبه ودينه وشرائعه، وفي حق سائر المغيبات الماضية والحاضرة والآجلة الأخروية)، وفي حق سائر الخلق وأطوارهم، من مطيعين وعاصين، وفيما يتعلق بقضائه وقدَرِه سبحانه؛ فكله قد بيّنه الكتاب والسنة على الإجمال وعلى التفصيل.

فمن حصَّل الإجمالَ وحَصَل منه التسليمُ فهو بحمد الله ناجٍ مفلحٌ.

ومَنْ منَّ الله عليه بالتفاصيل فهو أزكى، ومعرفة المكلفين بالتفاصيل بحسب ما يفتح الله عليهم من العلم والمعرفة والانقياد والتوفيق.

ثم ما هو حد تفاصيل الاعتقادات -فروع ومسائل العقيدة- التي يجب على العبدِ طلبُ معرفتها والسعي إلى أن يعلمها، هذا مجالٌ يدقّ فيه المسلك ويصعب ضبطه بعبارة يسيرة محكمة، فالله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٠)، مسند أحمد (٣٦٥٥)، سنن أبي داود (٤٦٨٠).

إلا أننا يمكن أن نذكر خطوطًا عريضة تعين على فهم المطلوب هنا فنقول:

- معلومٌ أن العلمَ النافع بإطلاقٍ منه ما يجب تعلّمُه على كل أحدٍ فهو فرضُ عينٍ، ومنه ما هو فرضُ كفاية، وقد فصّل العلماءُ ﷺ ذلك، وضابطُ ما يجب على المرءِ تعلّمُه: أن يكون مما لا يصح الإسلامُ والإيمانُ إلا به، وما يتوقّف عليه تأدية الواجبات وتصحيحُ ما يعمَلُه من الأعمال، وفي الجملة قد أمر الشرعُ بالتفقّه في الدين وحثّ عليه ورغّبَ فيه، ومن أهمه وأعلاه رتبة علم العقيدة والإيمان والتوحيد.. والنفوس الكاملة متطلعة إلى العِلم أشدّ تطلع ولا سيما علمُ العقيدة، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحثُ عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبرَ مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر»[(١)] اهـ.

- لا ريبَ أن هنالك مسائل من العقائد يجب على كل مسلمٍ العلمُ بها، ويجب على الجاهِلِ تعلّمُها وبها يحصُلُ الإيمانُ الجمليّ وتحصُل النجاةُ من النفاق، كما أشرتُ، كما ألّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتاب الأصول الثلاثة وقال فيه: «اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم هذه الثلاث مسائل، والعمل بهن...» اهـ ثم ذكرها، وقال: «فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ» اهـ[(٢)]. والمقصود: المعرفة الإجمالية، وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].

- إن تعلّم المرء لجميعِ ما يقوّي إيمانه ويزيدُهُ ويصححه ويجعله في مأمنٍ من الوقوع في الآفات والأخطاء والانحرافات والضلالات في جانب توحيد الباري ﷻ وتعظيمه وتقديسه.. مطلوبٌ في الجملة ودائرٌ بين الاستحباب والوجوب.

فالمسلم إذن يدرس «علم» التوحيد والعقيدة والإيمان لمقاصِدَ: لتصحيح عقيدته التي بها تصح الأعمالُ ويصح الإيمان ويزيد، وليحقق التوحيد بمعنى الإتيان بكل كمالاته الواجبة والمستحبة، وليأمَنَ من الوقوع في الضلالات أو الشرك والكفرِ والعياذ بالله.. ولذلك نصّ كثيرٌ من العلماء على أن علوم

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٨).

(٢) الأصول الثلاثة -مطبوعا ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- (١/ ١٨٦ - ١٨٧).

«التوحيد» و «العقيدة» و «مسائل الإيمان»، أي من حيثُ هي فنونٌ علمية، من أشرف العلوم وأعلاها رُتبةً، وهذا صحيحٌ ظاهرٌ؛ فتعلّم مسائل وفروع علم العقيدة والتوحيد إذن منه ما هو واجبٌ ومنه ما هو مستحبٌّ.

- لا ريبَ أنه لا يجوز اعتقادُ الباطلِ، وأنه يجب إزالةُ المنكرِ بحسب الإمكان، وأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والبيئات، فمن تلطخ بالشّبهات غيرُ من كان في العافية، ومن تهيّأ للمراتب العالية وتصدّر للعلم والتعليم والدعوة والقيادة ونحوها غير من ليس كذلك من العوامّ.

ونسأل الله تعالى أن يلهمنا وسائر إخواننا الهُدى والسداد، وأن يجنبنا مضلات الفتن.

فائدة: قال الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية ﵀ في جواب من سأله أن يرشده إلى ما ينفعه من الكتب: «وقد أوعبت الأمةُ في كل فن من فنون العلم إيعابا؛ فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرةُ الكتب إلا حيرةً وضلالا، كما قال النبي ﷺ للبيد الأنصاري: (**أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟**)[1] فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب»[2] اهـ.

وبعد هذه المقدمة التي أرجو أن تكون معينة على الحق.. أدرج إلى الجواب على السؤال؛ فأقول وبالله أستعين:

الإخوة المجتمعون في «جماعة قاعدة الجهاد» اجتمعوا بحمد الله تعالى على دين الإسلام وعقيدته ومنهجه، وهي الإيمانُ بما جاء به محمدٌ ﷺ، واتّباعُهُ محبةً وإجلالًا وتعظيمًا، والانقيادُ لحُكمه والكون معه ومِن أوليائه؛ وهي الإسلام والإيمان، وقد بني الإسلام على خمس؛ شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت مَنِ استطاع إليه سبيلا، والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما في التفاصيل التي يسأل عنها الناسُ، وأظن السائل يقصدها، إذ قد وقع في أمة الإسلامِ الاختلافُ والتنازُع والتفرق في الدين كما حصل في الأمم قبلهم، مصداقَ ما أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ في حديث افتراق الأمة وهو حديث صحيحٌ ثابتٌ وله طرق وألفاظ في السنن، ومنها قوله:

(١) سنن الترمذي (٢٦٥٣) وصححه الألباني.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٥).

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني(١).

فإننا بحمد الله نرجو ونسعى ونجتهد أن نكون من الفرقة الناجية، التي جاء وصفها في الحديث المتقدم بأنها هي الجماعةُ، والمقصود بها الجماعة الأولى والجماعة قبل أن تفسد؛ كما قال بعض علماء الصحابة وهو ابن مسعود ﵁ للتابعيّ المخضرم عمرو بن ميمون ﵀: «يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية؛ تدري ما الجماعة؟ قلت لا، قال: إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك». وفي رواية: فقال ابن مسعود -وضرب على فخذي-: «ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى». قال نعيم بن حماد: «يعني: إذا فسدت الجماعةُ فعليك بما كانت عليه الجماعةُ قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ». ذكره أبو شامه في «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وقال: أخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي ﵀ تعالى في كتاب «المدخل»(٢).

وجاء وصفها أيضا بأنها «على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه» وهو مطابق للوصف السابق؛ كما في رواية الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ مرفوعًا: **(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوَ النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمَّهُ علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي)**؛ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وصححه الشيخ الألباني وغيره(٣).

ونرجو ونسعى ونجتهد أن نكون من الطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في الحديث المتواتر المرويّ بألفاظٍ متنوعةٍ، في الصحيحين والسنن وغيرها من دواوين الحديث، ومنها ما في صحيح مسلم من حديث ثوبان ﵁ مرفوعًا: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من**

---

(١) سنن ابن ماجه (٣٩٩٢) وصححه الألباني.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٢)، وينظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٦٤).

(٣) سنن الترمذي (٢٦٤١).

خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[١] ومن حديث جابرٍ ﵁ مرفوعًا: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة).

وأما تفاصيل مجمل الاعتقاد على الأبواب كما فرّعه الناسُ وكتبوا فيه؛ فإننا على مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث النبوي الشريف المتبعين سنة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وسنة أصحابه المرضيين وخلفائه الراشدين المهديين، فما بان في نصوص الكتاب والسنة وأجمعوا عليه فهو ذاك ولا محيد عنه، وما احتمل ووقع فيه الاختلافُ بين العلماء رجّحنا بحسب الدليل والحجة والبرهان على طريقة أهل العلم ﵃.. والحمد لله رب العالمين.

هذا وينبغي أن يُعلَمَ أن تصحيحَ الاعتقادِ واجبٌ، كما سبقَ، لكنه لا يُغني عن تصحيحِ أعمال القلوبِ، فكمْ قد رأينا في الناسِ من هو عارفٌ باعتقادات أهل السنة حافظٌ لها نظريًّا، مناظِرٌ عنها، وهو مع ذلك رقيق الدين قليلُ الأمانة قاعدٌ عن أداءِ الواجبات المتحتّمات من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة الحق وإقامة الدين، مرتمٍ في أحضان السلاطين الزنادقة الطغاة، والغٌ في موائدهم متضلّعٌ من صِلاتهم وزقّومهم، منافِحٌ عنهم وهو يعرِف حالهم، حبًّا في الدنيا وزُخرفها من المكاسب من مالٍ وجاهٍ، فلم ينتفع حقَّ الانتفاع.. فمعرفته بعقائد أهل السنة والجماعة نظريًا والانتساب إليها وحفظِ ألفاظها وكُتبها. والسبب في ذلك هو إيثار الدنيا واللَّذة العاجلة الكدِرة الفانية على الآخرة الباقية الكاملة، وذلك لضعفِ ما في القلبِ من الإرادة وقلةِ اليقين وقلة الصبرِ، وبالجملة فإن ذلك من خذلان الله تعالى له وتخلّيه عنه وعدم توفيقه إياه.. نسأل الله السترَ والعافية.

ولذلك فالواجبُ أن يكون تصحيح الاعتقادِ وأن تكون دراسةُ العقيدة مؤديةً إلى صحة القلبِ وحياته وعِمارته بحقائق الإيمان من معرفة الله تعالى وإجلاله وتقديره حق قدره، وتعظيمه تعالى وتعظيم أمره ونهيه وتعظيم شعائره، والخوف منه والرهبة له وخشيته ﷻ ومراقبته، ومحبته تعالى ورجائه وتعلّق القلب به، والذلة له والخضوع والتسليم والانقياد باطنا لحكمه، وشكره وذكره جل وعلا، والصبر على طاعته وعن معصيته والصبر على أقداره، والتوبة والأوبة إليه والإنابة، والتوكل والاعتماد عليه والثقة به، وحسن الظن به ﷻ، والتفويض والتسليم له، والرضا بقسمته وقضائه وقدره، والتصديق الجازم لخبره ووعده ووعيده وكل ما جاء به نبيّه ﷺ، والإخلاص في عبادته وتمحيض القصد والتوجه إليه سبحانه، وغير ذلك من أعمال القلوب التي هي قاعدة التقوى والأمانة

(١) صحيح مسلم (٥٥٠٩).

وصلاح السريرة والباطن الذي يتبعه صلاح الظاهر، فإن التقوى هي كما قال التابعيّ طلق بن حبيب رحمه الله: «العملُ بطاعة الله على نورٍ من الله رجاءَ ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافةَ عذاب الله»[(١)].

إن مقصد الشرائع وتعلّمها والعمل بها هو تحصيل التقوى، ليكون العبدُ من المتقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة] وقال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ [الأعراف]، وأخبر أن الجنة التي عرضها السموات والأرض ﴿أُعِدَّتْ للمُتَّقين﴾ وقال: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران]، ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ [الزخرف] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور] وأخبر أنه ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وأنه ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل] وهذه هي المعيّة الخاصة التي معناها النُّصرة والتأييد والإمداد والعون والتوفيق، وهي تتضمّن أو تستلزم المحبة والرضا.

وأصل التقوى ومركزُها في القلبِ؛ فإذا عُمِّرَ بها القلبُ صلُحَ، وإذا صَلُح القلبُ صلحت الأعمال وحصلت الاستقامة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي في صحيح مسلم وغيره: (**التقوى هٰهنا، التقوى هٰهنا، التقوى هٰهنا) وأشار إلى صدره** ﷺ[(٢)]، وكما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ: (**ألا وإن في الجسدِ مضغةً إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسدُ كله، ألا وهي القلب**)[(٣)].

ومن أهم الأسباب المعينة على ذلك باختصارٍ:

- عبادة التفكّر، وهي من أجلّ العباداتِ التي أمر الله بها وحث عليها، وأكثرُ الناسِ عنها غافلون وفيها مقصّرون.
- الاهتمام بقراءة كتب الرقائق والتربية والتزكية، التي تعتني بأحوال القلب والنفس ومعالجة

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣٥٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

أمراضها، وكيفية تقويمها وتحليتها بالأخلاق الحسنة والفضائل والآداب الطيبة.

- أخذ النفس بحظٍ من العبادةِ، بالاهتمام بالفرائض والواجبات ثم الاجتهاد في الإكثار من النوافل والقُرُبات، والاجتهاد في أن يكون للإنسان عبادةٌ أو عبادات في السرّ.
- معرفة أحوال الصالحين من سلفنا وأئمتنا وأخيار الأمة، بقراءة سِيَرهم وتراجمهم وأخبارهم، ليحصل الاقتداء والتشبّه بهم.
- الاهتمام بمعرفة أسماء الله الحسنى وحفظها ومعرفة معانيها والتأثر بها، وذلك بطلب هذا العلم والقراءة فيه، وفيه كتبٌ مصنفة قديمًا وحديثا، ومن أحسنها للمعاصرين كتاب «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة» للقحطاني[1]، مع ما في كتب التفسير وشروح الحديث وغيرها من ذلك وهو كثيرٌ جدًّا.
- عَمَلُ الإنسان بما يعلَمُ؛ فمهما علِم من العلم النافع من الفقه ومن الأخلاق ومن سنن المصطفى ﷺ ولو كان قليلًا -بعد أن يتثبّت منه ويتلقاه صحيحًا- فإنه يعمَلُ به ليفتح الله عليه مزيدًا من العلمِ والعمل.

فإذا اتضح للسائلين ما تقدم من عقيدتنا -عقيدة التنظيم- فقد تبيّن أننا نعتقد ما هو من أصول أهل السنة والجماعة من أن «الدينَ والإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ قولُ القلبِ واللسانِ، وعملُ القلبِ واللسانِ والجوارحِ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»، **وإننا نبرأ من الإرجاء بجميع أنواعه وصوره.**

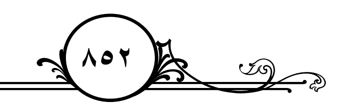
والحق أن الإرجاءَ مفهومٌ خبيثُ يتلوّن في صورٍ وقوالبَ شتّى ويتخذ أشكالًا وعبارات مزوّقةً، يظهر منها في الأعصُر والبيئات نماذج متعددة، متفاوتة الخطورة، ولكنْ من عرفَ الحقَّ الذي جاء به القرآن والسنة وما كان عليه السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ، وفقُه في الدين، فإنه يكون في حِرزٍ منه إن شاء الله.

وإذن فأنواع الإرجاء وأقسامُهُ وصوره كثيرةٌ قد بيّنها علماؤنا قديمًا وحديثًا وحذروا منها وهي درجاتٌ في القُبْح والفسادِ، فأنا أذكُرُ منها ما تيسّر الإحاطة به تبيينًا لها لتحذر وتنكر:

فمنها -وهو أخبثها وأكثرها غلوًّا-: القولُ بأن الإيمان هو المعرفة فقط، أي المعرفة بالقلبِ، أي أن من عرفَ الله بقلبه؛ حتى لو لم يحصل عنده تصديقٌ (مع أنه من الصعبِ جدًا إن لم يكن مستحيلا

---

(١) يعتبر هذا الكتاب من أحسن كتب شرح أسماء الله الحسنى، حيث شرح فيه تسعة وتسعين اسما مع ذكر أدلتها، وقسم كتابه إلى خمسة عشر مبحثًا آخرها في شرح هذه الأسماء؛ وبلغت عدد صفحاته قرابة ٢٦٠، في طبعة مؤسسة الجريسي بالرياض.



التفريق بين المعرفة والتصديق)، فهو المؤمنُ. فعندهم أن التصديقَ الجازِمَ والإقرار والنطق بشعارِ الإسلام والإيمان والأعمال، كلها لا تدخل في مسمّى الإيمان.. وهذا هو قول الجهمية، ومعنى هذا أن مَن وُجِدت منه هذه المعرفة فهو مؤمن بغضّ النظر عما يظهر بلسانه أو جوارحه، فحتى لو أظهر الكفرَ بلسانه فما دام قد عرفَ أن الله هو الإله الحق فهو مؤمن، ولازم مذهبهم أن الشيطانَ وفرعون وقارون وهامان وأبا جهل وأمثالهم مؤمنون.. نعوذ بالله من الكفر والضلالة.

فهذا المذهب كفرٌ وخروج من ملة الإسلام ومضادّة صريحةٌ بيّنةٌ للقرآن ولما جاء به محمدٌ ﷺ.

ومنها: القولُ بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، فمَن أقرّ بلسانه بالإيمان فهو مؤمنٌ، بغضّ النظر عما في قلبه والعياذ بالله؛ وهذا هو قول قومٍ عُرفوا بالكرّامية (نسبة إلى شخصٍ اسمه: محمد بن كرام السجستاني).. وعند هؤلاء أن المنافقين مؤمنون كاملو الإيمان في الدنيا لأنهم يقرون بالإيمان بألسنتهم، ولكنهم مخلّدون في النارِ في الآخرة.

نسأل الله العافية والسلامة، ولا شك أن هذا المذهب فاسِدٌ متناقضٌ وأنه خلافُ الحق الذي جاء به الكتابُ والسنة، ولا شك أن المنافقين كفّارٌ في الباطن غيرُ مؤمنين، وإن كانوا معدودين مسلمين في الظاهرِ تجري عليهم أحكام الإسلام، فهم مسلمون عند مَن لم يتبيّن له نفاقُهُم (كفرُهم في الباطن) بالدليل القاطع. وهذا من المواضع التي يظهر فيها الفرقُ بين الإسلام والإيمان.

ومنها: القولُ بأن الإيمان هو التصديق بالقلبِ فقط. أي وليس منه الإقرارُ باللسان ولا عملُ الجوارح، وهو قول كثيرٍ من المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية.

وهؤلاء احتاجوا إلى أن يقولوا: إن الإقرار باللسان شرطٌ لإجراء أحكام الإسلام في الدنيا فقط، وليس هو من حقيقة الإيمان.

ولا شك في بطلان هذا أيضا ومخالفته الصريحة لأدلة القرآن والسنة وإجماع السلف.

وكل هؤلاء الطوائف يقولون: لا يضرّ مع الإيمان ذنبٌ، وينكرون أن الإيمان يزيد وينقصُ، نعوذ بالله من الضلالة.

ومنها: القولُ بأن الإيمان هو الاعتقادُ (أي التصديق) بالجنان (أي بالقلبِ) والإقرارُ باللسان، فقط، وليست الأعمالُ (أعمال الجوارح) داخلةً في حقيقة الإيمان (في مسمى الإيمان)، ولكن قالوا: إن أعمال الجوارح لازمة للإيمان.

وهذا هو ما عُرِف عند علمائنا بإرجاء الفقهاء، ونُسِبَ القولُ به إلى الإمام أبي حنيفة ﵀ وشيخه

حمّاد بن أبي سليمان ، وغيرهما.

ولا شك أنه خطأٌ ومخالفٌ لما دلتْ عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماعُ السلف أيضا قبلهم.. ولكن مخالفته للحق أخفّ من كل ما قبله، حتى قال جماعةٌ من علماء أهل السنة إن الخلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة خلافٌ صوريّ لفظيّ(١).

ومن صور الإرجاء وألوانه الخبيثة المتجددة التي هي مظهرٌ لتلك الاعتقادات الرديّة للمرجئة الجهمية وأضرابهم مما ذكرتُه أعلاه، والتي تم إحياؤها وبثُها وتزيينها هو ما ظهر به علينا أقوامٌ من المبتدعة أهلِ الأهواء في هذه الأزمان، وغالبُهم من المتزلفين للطواغيت من السلاطين، وأصحابِ دين الملوك كما عبّر بعض السلف عن الإرجاء قديمًا بأنه دينٌ تحبه الملوك.

ومن ذلك قولهم:

- لا كفر إلا بالجحود.
- لا كفر إلا كفر التكذيب؛ أي أن الكفر منحصرٌ في هذا النوع فقط (كفر التكذيب).
- لا كفر إلا مع الاستحلال (استحلال العمل الذي هو كفرٌ بنص القرآن أو السنة أو بالإجماع).
- لا كفرَ إلا بالاعتقادِ؛ وإن الكفرَ محصورٌ في الاعتقاد فقط، وليس شيءٌ من أعمال الجوارحِ كفرًا أكبر مخرجًا من الملة بنفسه، إلا أن يكون معه الاعتقاد، والاعتقاد الذي يكون معه هو: تكذيبٌ وجحود، أو استحلال الكفر.
- لا كفرَ إلا أن يقصد الإنسانُ الكفرَ، أي يقصد ويريد أن يَصِيرَ كافرًا، وحتى يُعلَمَ انشراحُ صدره بالكفر.
- أنه ليس شيءٌ من الأعمالِ كفرًا أكبرَ بنفسه، بل حيثُ ثبتَ الدليلُ الشرعيّ على أنه كفرٌ أكبر فمعناه أنه دليلٌ على كفرِ القلبِ.!

فهذه كلها من صورِ وألوان الإرجاء الخبيثة التي نبرأ إلى الله منها.

---

(١) كتب جملة من العلماء في باب الإرجاء، وبيان أقوال الناس فيه ونقض كلامهم تفصيلا، وممن كتب في ذلك من المعاصرين: سفر الحوالي في كتابه: «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»، وأبي معاوية علي أحمد سزف في كتابه «التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان»، والكثيري في «براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة»، والشثري في رسالته المختصرة: «حقيقة الإيمان وبدع المرجئة في القديم والحديث»، وأبو عبد الله التونسي في رسالته: «مجمل أقوال السلف في ذم الإرجاء وأهله»، وقد نقض أهل العلم الإرجاء المعاصر في عدد من الرسائل من أهمها: «حول مرجئة العصر» لأبي قتادة الفلسطيني، و«إمتاع النظر في كشف شبه مرجئة العصر» لأبي محمد المقدسي، و«تأسيس النظر في رد شبه مرجئة العصر حول الحاكمية والجهاد» لأبي عبيدة عبد الكريم الشاذلي.. الخ.

وأما أهل السنة والجماعة نصرَهم الله وأعزّهم وكثَّر سوادهم فإنهم يعتقدون ويقولون كما سبق: إن الإيمان هو قول وعمل ونيّةٌ، يزيد وينقص، وإن ضدّه وهو الكفرُ يكون: بالاعتقاد، والشكّ، والقول، والفعلِ، والتَّرْكِ، فيكون كفرَ تكذيبٍ، أو كفرَ جحودٍ، أو كفرَ شكٍّ، أو كفرَ إباءٍ واستكبارٍ، أو كفرَ إعراضٍ، أو كفرَ جهلٍ. ويقولون: إن ما ثبتَ بالدليل الشرعيّ أنه كفرٌ مخرجٌ من الملة فهو كفرٌ يقال هو كفرٌ، ويُقالُ: من فعله فهو كافرٌ، ثم الشخص المعيّنُ (الفاعل) يُحكَمُ بكفرِه إذا توفّرت شروطُ الحكم وانتفتْ موانِعُهُ. ولا يُقالُ فيه (أي فيما ثبتَ بالدليل الشرعيّ أنه كفرٌ): لا، حتى ننظر إلى الفاعلِ هل اعتقدَ الكفرَ أو لا، أو ننظر هل استحلّ فعلَ هذا الكفر أو لا، أو ننظر هل هو مكذّب وجاحدٌ أو لا.

نسأل الله أن يثبّتنا على الهُدى وأن يعيذنا من مضلات الفتن.

تنبيه مهم: مما ينبغي أن يُعرَف أن بعض العلماء من أهل السنة قد يقول قولًا يوافق بعضَ ما تقدّم من الأقوال التي فيها إرجاءٌ، من الدرجات الخفية والأقل وضوحًا، وهو في الجملة على عقيدة أهل السنة والجماعة، لكن أخطأ وأداه اجتهادُهُ إلى قولٍ ظنّه الحقَّ وافقَ قولًا للمرجئة، فمثل هذا لا نسارع بوصفه بالإرجاءِ، فإن كان لا بد من الكلام عليه لبيان زلته والتحذير منها فيقال مثلا: أخطأ ووافق المرجئة في كذا، وقال قولًا مؤدَّاه إلى قول المرجئة وهو كذا وكذا. وإنما ينسَبُ الإنسانُ إلى أظهر وأكثر ما عنده. وبالجملة يجب التثبّت والاحتياط والورع في نعتِ أحدٍ بالبدعةِ، ولا سيما العلماء ومن ظهرَ فضلُهُ وكثُرَ صوابُهُ وخيرُهُ وعُرِفَ التزامه بالسنة منهم، وظهر حرصه عليها وذبُّه عنها، وشدَّة تحرِّيه في اتِّباعها.

وأما قول السائل: وما قولكم في مسألة التكفير؟

فالجواب بحمد الله تعالى: أن مسألة التكفير هي فرعٌ عن مسألة الإسلام والإيمان؛ إذِ الكفرُ ضدُّ الإيمان، ومن الكفرِ الشركُ بالله وهو ضد التوحيد. ونحن بحمد الله تعالى على مذهب أهل السنة والجماعة كما ذكرنا في كل الأبواب، ومنها مسألة الإيمان حدّه ومسمّاه ومعرفة ما يناقضه ويضادّه، ومعرفة التوحيد لله رب العالمين في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته سبحانه، ومعرفة ما ينقض ذلك ويفسده، ومعرفة ما يدخل به الكافر في الإسلام فيصير مسلمًا، وما يخرج به المسلم من الإسلام فيصير كافرًا مرتدًا والعياذ بالله.

في كل ذلك نحن على مذهبِ علمائنا وأئمتنا من أهل السنة والجماعة.

ومسألة التكفير والكلام فيها يؤخذ من مجموع كلام العلماء في كتب العقائد والإيمان والتوحيد،

وكتب الفقه في الأبواب التي يعقدها الفقهاء للردّة -أعاذنا الله وإياكم منها- وأحكامها وأحكام المرتد.. ولهذا ننبّه دائماً على خطأ من يعتمد في فهم أحكام مسألة التكفير على ما في كتب التوحيد والعقيدة فقط، يشدو منها طرفًا ثم يظل يطلق الأحكامَ بدونِ معرفة بـ «الفقه» وأقوال الفقهاء وطرائقهم وشروحهم.

وفي عصرنا كُتِبت عدة مؤلفات في هذه المسألة وفي بيان نواقض الإسلام القولية والعملية وغيرها، منها الجيّد ومنها دون ذلك، وطالبُ العلم يستفيد منها، ويسترشِدُ العلماء الأمناء ويراجعهم في مواطن الإشكال، ويتذكر الفائدة التي مرت عن شيخ الإسلام ابن تيمية في كثرة الكتب[1]، ويكثِرُ من الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به في افتتاح صلاته من الليل: (**اللّٰهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم**)[2]، والتوفيق بيد الله وحده.

وأذكر هنا جملا مفيدة في هذه المسألة (مسألة التكفير):

أولا: التكفير هو الحكمُ بكفرِ الشخص.. هذا هو الاستعمالُ الأكثر، وقد يستعمَلُ لتكفير «الفعل» ومعناه حينها الحكمُ بأن الفعل الفلاني من أفعال المكلفين -فعلٌ أو تركٌ، أو قول، أو اعتقادٌ ومنه الشك- محكومٌ عليه في ديننا وشريعتنا بأنه كفرٌ وخروجٌ من دائرة الإسلام، وهو التكفير المطلق في الاصطلاح.

ثانيًا: التكفير سواءٌ كان مطلقًا -وهو الحكم بأن الفعل أو الترك، أو القول أو الاعتقاد ومنه الشك، كفرٌ-، أو كان معيّنًا -وهو الحكم بأن الشخص المعيّن الفلاني قد انطبق عليه الكفرُ فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام، غيرُ مسلمٍ- هو حكمٌ شرعيّ، ككل الأحكام الشرعية؛ لا يجوز القول به إلا ببرهانٍ من الله ﷻ، بمعنى أن تدل الشريعة المطهرة عليه دلالة بيّنة.

فما صح الدليل من القرآن والسنة وما في معناهما على أنه كفرٌ فنقول هو كفرٌ.

ونطلِقُ فنقولُ: مَن فعل كذا فهو كافرٌ؛ لبيان الحُكمِ وللتخويف والزجر والردع.

ثم الشخص المعيّن، أي فلان بن فلان الذي وقع منه هذا الفعلُ نحكُمُ عليه بأنه كافرٌ إذا توفرت شروط التكفير ولم توجدْ موانِعُ تمنَع من إيقاع الكفرِ عليه، وهذا هو: تكفيرُ المعيّن.

---

(١) يعني قول شيخ الإسلام المتقدم قبل وُرَيْقات: «وقد أوعبت الأمةُ في كل فن من فنون العلم إيعابا؛ فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرةُ الكتب إلا حيرةً وضلالا».

(٢) سنن أبي داود (٧٦٧)، سنن الترمذي (٣٤٢٠)، سنن النسائي (١٦٢٥)، وصححه الألباني.

ثالثًا: إذا عرفنا أنه حكمٌ شرعيّ فسبيلُهُ سبيل سائر الأحكام الشرعية من حيث درجةُ ثبوتِه، فمنه ما هو مستيقن مقطوعٌ به، مثالُهُ: كون اليهود والنصارى كفارًا وكذا الوثنيون عبّاد الأصنام والأوثان كما كان عليه حالُ مشركي العرب الذين بُعث رسول الله ﷺ فيهم، وكما عليه حالُ عبّاد البقر من الهندوس في الهند حاليًا وكذا عبّاد بوذا «البوذيون»، وأشكالهم من كلّ أصحاب الأديان والمللِ غير ملة الإسلام، ومن لم يدخل في الإسلام ولا انتسبَ إليه في وقت من الأوقات، نعوذ بالله من حالهم.

فهؤلاء كفرُهُم -أي كونهم كفارًا- مقطوعٌ به وهو معلوم من الدين بالضرورة، ويجب على كل مسلم عرفهم أن يعتقد أنهم كفارٌ.

ومنه ما هو ملحقٌ بذلك كالمرتد الذي صرّح وأعلن بالانتقال إلى ملة أخرى غير ملة الإسلام، كمن يتنصّرون والعياذ بالله ويُعلنون كفرهم بدين الإسلام ورفضه والانتقال إلى دين النصارى.

وقريبٌ منه كفرُ مَن اتبع مدّعي نبوّةٍ كأتباع مسيلمة الكذاب لعنه الله، وأتباع الدجاجلة المتنبّئين الكذابين، ثم قريبٌ منه -وهذا كله في المرتد- من يجاهِر بالكفر الصريحِ ويسبّ الدين ويستهزئ به بشكلٍ واضح لا لبْسَ فيه، ولا سيما مع التكرر، ومن هؤلاء من يكون كفره أعظم وأوضح من كفر اليهود والنصارى.. وهكذا.

ومنه ما هو دون ذلك؛ حكمٌ اجتهاديّ يحكم به الفقيه المؤهّلُ كالحكم على حاكمٍ بأنه كفرَ لأنه لم يحكم بالشريعة، فإن ذلك درجاتٌ تتفاوتُ: كمن نبذها رأسًا ولم يحكم بشيء منها، أو من حكم ببعضها دون بعضٍ بحيث يمكن أن يدّعي أو يُدّعى له أن له عذرًا وتأوّلًا فيما لم يحكم به، ومن هو متصوّرٌ فيه شبهةٌ وتأويلٌ، ومَنْ لا، وغير ذلك من الأمثلة وهو كثيرٌ جدًا.

وكمن كفر بفعلٍ مكفّر وقع الخلاف بين العلماء في التكفير به، وترجّح عند البعضِ التكفيرُ به، كلبْس الصليب، وكترك الصلاة تركًا تامًّا بالكلية.. وهكذا.

قال الشيخ محمد أنور كشميري: «مأخذ التكفير أي دليله الذي أخذ منه وبُني عليه قد يكون ظنيًا، ونظيره العمل بالظن في حالة الجهاد إذا تردد في شخص أهو مسلم أم لا، ولا ينبغي أن يظن أن التكفيرَ ونفيه ينبغي أن يدرك قطعًا في كل مقام؛ بل التكفير حكمٌ شرعي، يرجع إلى إباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار؛ فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية؛ فتارةً يُدرَكُ بيقينٍ، وتارةً بظنٍّ غالبٍ، وتارةً يُتَرَدَّدُ فيه، ومهما حصل ترددٌ فالوقف فيه عن التكفير أولى» اهـ، من «إكفار الملحدين في

ضروريات الدين»، مستفيدًا من الغزالي في «التفرقة»[١].

رابعًا: وكما يقع الاختلافُ من الفقهاء المُفتين، ويقعُ الترددُ من الفقيه الواحد في الحكم بأن شيئًا من أفعالِ المكلّفين كفرٌ أو لا، كذلك يقع الاختلافُ والترددُ في إيقاع الكفر على الفاعلِ، أي تكفير المعيّن، بسبب الاختلاف في النظر في الشروط والموانع وتطبيقها.

خامسًا: وبناءً على ما سبق؛ فإنه لا يجوز الإقدامُ على تكفير أحدٍ من أهلِ الإسلام، أي ممن سبق أن حُكِم بإسلامه وثبتَ له عقدُ الإسلام، إلا ببرهانٍ من شريعة الله تعالى، ولأن الحكم بالتكفير حكم شرعيّ تتفاوت درجاتُ وضوحه وثبوته كما أشرنا:

- فإن الواضحَ منه جدًا يعرفُهُ المسلمون أو أكثرُهم ومتوسّطوهم، وربما استوى العالِمِ والعامّيُّ في معرفته، كبعض الأمثلة المبيّنة أعلاه، وكمن يسبّ الله ﷻ وتبارك وتعالى وتقدس، ويسبّ دينه، ويستهزئ به بشكل صريح واضحٍ لا لبسَ فيه، ولا سيما مع التكرر مثلا؛ فإن هذا لا يحتاجُ إلى أن يُفتِي فيه عالِمٌ لأن كل الناسِ علماءُ بأن هذا العمل كفرٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام، فمَن رأى من يفعل ذلك ولم يكن مُكرَهًا -كأن يكون طاغيةٌ يُكرِهُهُ على فعل ذلك في سجنٍ ويعذبه مثلا-، ولا كان مجنونًا -فإن المجنون المسلمَ محكومٌ بإسلامه ولا تصحُّ ردّتُهُ- فإنه يحكم بكفره.

- أما غيرُ الواضح جدًا، مما قد يقع الخلاف بين أهل العلم فيه من الأعمال هل هو كفرٌ أو لا، أو يقع الخلافُ والتردد في تكفير فاعِلِهِ بناءً على: هل له عذرٌ أو لا، أي هل توفرت في حقه الشروط وانتفت الموانع للحكم عليه بالكفرِ أو لا.. فهذا يجبُ أن يُترَكَ للعلماء ولا يتكلم فيه مَن ليس من أهل العلم؛ لأنه مظنة الخطأ، والخطأ في هذا البابِ على وجه الخصوص خطيرٌ وأمرُه صعبٌ، لما ورد في الشريعة من التحذيرِ من الإقدام على تكفيرِ مسلمٍ بغير حق والمبادرةِ إليه، والوعيد على ذلك، فيخشى المؤمنُ الحريصُ على دينه والنجاة في آخرته أن يكفّر مَن لا يستحق التكفير فيبوء بالوعيد الشديد.!

والله أعلم، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا وإخواننا الهدى والسداد..

وأما الكلام على تركيا وواقعها؛ فيحتاجُ إلى تفصيل، ولا بد من النظر إلى كل مسألة نظرًا خاصًا.

وعلى ضوءِ ما ذكرتُ فيما سبقَ فإن الواجبَ على عمومِ الإخوة أن يسألوا العلماء ولا يتسرّعوا في تكفيرِ الناس، بمجرد ما يقرأون ويفهمون من عبارات المؤلفين في الكتب، فإن هذا من أسباب الغلط الفاحشِ؛ لأن الأخ «العامّيّ» يطبّق ما يفهمُهُ من تلك الكتب، فربما أخطأ في الفهم، وربما أخطأ في

---

(١) إكفار الملحدين في ضروريات الدين (ص ١١٦، ١١٧).

التطبيق، وربما أخطأ في كليهما، فيحصل فسادٌ كبير.!

ولذلك نكرر ونوصي بأن تُترك مسائل التكفير للعلماء، وعلى الشباب أن يعلموا أنها -أكثرها- مسائل اجتهادٍ يُحتمل فيها الاختلافُ، فلا يتعصّب أحدٌ لقولٍ ولا لشيخٍ ولا لجماعةٍ، ولا ينصبوا العداء من بعضهم لبعضٍ بسبب الاختلاف في تكفير شخصٍ أو أناسٍ أو طائفة، ممن سبيلُ تكفيرهم الاجتهاد، بل من بانَ له الحق بنفسه وبحثه ونظره من طلبةِ العلم فاطمأن له فليعمل به، ومن لم يتبيّن له فليحتطْ، وليعذر كلُّ أحدٍ مَن خالفه في شيءٍ من ذلك.

هذا هو السبيل الصحيحُ، وإلا فلن يكون هناك صلاحٌ ولا إصلاحٌ وقد يُفسِد الشبابُ وينفِّرون عن الدين ويصدّون عن سبيل الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وأنهم ينصرون دين الله؛ فيكونون معرّضين للوعيد الشديد.. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ [النحل] قال ابن كثير رحمه الله: «حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلًا أي خديعة ومكرًا، لئلا تَزل قدم بعد ثبوتها، مَثَلٌ لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزلَّ عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله، لأن الكافرَ إذا رأى أن المؤمنَ قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصدَّ بسببه عن الدخول في الإسلام» اهـ. فإذا كان هذا الصدّ عن سبيل الله وهذا الوعيد الشديدُ عليه يقع بسبب التلاعب بالأيمان واتخاذها للخديعة والمكر، فإن ما يقعُ من التنفيرِ عن دين الله والصدّ عنه بسبب «التلاعب» بأحكام التكفير والتصرف فيها بجهلٍ وغلوّ وتعصّبٍ واستعجالٍ، أكبر من ذلك بكثيرٍ، كما هو معروفٌ، فليحذر الشباب المجاهدون والدعاة إلى الله من ذلك أشدّ الحذر. والله وليّ التوفيق.

بقي أن أشير إلى أشياء:

- **فأما كتب الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز** المشار إليها، فهي تتمثل في كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» وقد بيّنا من قبلُ وبيّن غيرُنا بعض ما في هذا الكتاب من أخطاء منهجية وجزئية، فلتُراجع، وأنا أنصح الإخوة الأتراك على وجه الخصوص باجتنابِ هذا الكتاب، فإنه (الكتاب) على فائدته لا يكاد يستفيد منه الاستفادة المأمونة من الخطل والشطط إلا طالبُ علمٍ درس العلوم ونهل منها وأسس لنفسه قاعدةً جيدة فيها. وأما من لم يكن من طلبة العلم فالكتاب مضرّ له وخطِر في حقه.

وقد بلغني أن بعض الإخوة الأتراك يريدون ترجمته إلى التركية، وأنا أحذّرُهم من ذلك لسببين: الأول هو ما تقدم، ولأن الكتاب لا يستفيدُ منه إلا طالبُ علمٍ درس فنون العلم وتمرّس، وطالبُ

العلم هذا إذا وُجِد فالأفضلُ أن يقرأ الكتابَ بالعربية كما هو، أي بدونِ ترجمةٍ. والسبب الثاني: أن ترجمة كتابٍ كهذا غايةٌ في الصعوبة، فإن الترجمة علمٌ وفنّ له أهله ومؤهّلاته، وترجمة كتابٍ كهذا تحتاجُ إلى عالمٍ باللغة العربية وبالفقه والشريعة متضلّعًا منهما، ويندر وجود هذا، وأما أن يُقدِم بعضُ الإخوة ممن عرفَ شيئا قليلا أو متوسّطًا من العربية ولا إلمامَ له جيّدٌ بالفقه وعلوم الدين فيترجمه فإنه يضلّ ويفسِدُ من حيثُ يظن أنه يُحسِنُ، فلا يجوزُ الإقدامُ على هذا بدون التأهّل اللازمِ الذي يضمَن صحة الترجمة ودقتها وسلامةَ وكمالَ نقلها للمعنى إلى اللغة المعنيّة، والغالبُ أن يحتاجَ مثلُ هذا إلى مترجمين ومراجعين قادرين متعددين.. ثم في كتب الدعوة والعقائد والفقه والتربية ما هو أجدَرُ وأولى بالترجمة وبأن يُنشَرَ بين الناس ويوفّر لهم بأسعارٍ هيّنة، والحمد لله.

- وأما الإشارة إلى كتب الشيخ أبي محمد المقدسي، فلا أدري أيّ كتابٍ المقصود، ولكن من أحسن كتب الشيخ أبي محمد المتأخرة، في هذا الباب كتابُ: «الرسالة الثلاثينية»؛ فأنصح بقراءتها.
- وأما المشاركة في الانتخابات فالأصلُ أنها لا تجوزُ، لأنها: دعمٌ وتقوية للتطبيق لما يسمى بالنظام «الديمقراطي»، بل هي -ولو في الصورة- تطبيقٌ لهذا النظام الكفريّ، ولأنها في الغالبِ أو في كل الأحوال في الواقع التركي وما شابهه تستلزم تأييد حزبٍ من الأحزاب الكافرة، أو ترشيح رئيسٍ أو عضوِ برلمانٍ كافرٍ، وإذا كان الانتخابُ لأعضاء البرلمان فإن ذلك اختيارٌ ودعمٌ وتأييدٌ لمن يشاركُ في المجلس الشركيّ الذي يشرّع ما لم يأذن به الله، وذلك كفرٌ.. فلا تجوزُ المشاركة في الانتخابات.

وقد طرح بعض العلماء المعاصرين مسألة للبحث وهي: أن يكون هناك تنافُسٌ بين مرشّح للرئاسةِ منتمٍ للإسلامِ (إلى ما يسمى ويزعم أنه حزب إسلاميّ مثلا)، أو حزبٍ وطنيّ لا يظهِرُ عداوة للدين أو عداوته غير شديدةٍ، ويلايِنُ أهل الدين، ومرشّح آخر شيوعيّ علمانيّ بيّن الكفر والعداوة للإسلام والشريعة شديد الولاء للكفّارِ من اليهود والنصارى.. وهكذا أيضا في حالِ الأقليات المسلمة في بلاد الكفر، فيقال: هل للمسلمين أن يعطوا أصواتهم للأقل ضررًا على الإسلامِ وأهله، دفعًا للضرر، مع علمِهم أن جميع أولئك المرشحين كفارٌ ولن يحكموا بما أنزل الله وأنهم لا يرضونهم ولا يقبلونهم للحكم، وإنما صوّتوا للأخف ضررًا دفعًا للضرر الأكبرِ.؟

والذي نراه أقوى وأقرب للصوابِ: أنه لا يجوز لهم التصويتُ، لأننا إذا قررنا أن التصويت للكافر هو دعمٌ له وتأييدٌ لبرنامجه الحزبي الكفريّ، وأن ذلك كفرٌ لو قصده القاصدُ؛ فإنه لا يجوز الإقدامُ على الكفر لمثل ما ذكر من إرادة دفعِ الضرر.. ولأن ما قيل من أن هذا لدفع الضرر الأكبر غيرُ مسلّمٍ، بل

هو محل شكّ، فما يدرينا أن ضرر نجاح مدّعي الإسلام المنتسب إلى حزب يزعم أنه إسلامي.. أن ضرره أكبر، وأن نجاح المرشح الأكثر والأوضح كفرًا وعداء للإسلام وأهله مرحليًا قد يكون خيرًا في العاقبة للإسلام وأهله بتهيئة الناس للتحدّي والاستعداد للدخول في الصراع، وإتاحة الفرصة للدعاة والمجاهدين لتعبية الشعب وتوطّد أحوال الناس للجهاد في سبيل الله.

لكن بكل حالٍ لا يكفّر من تلبّس بهذا التأويل وهذه الشبهة، وهذا هو المقصود من ذكر هذه المسألة.. فعلى الشباب المجاهدين أن يحذروا من تكفير مثل هذا، فإنهم إن فعلوا ارتكبوا إثمًا وأفسدوا وفشِلوا وصدّوا عن سبيل الله. إنما من علِم وتفقّه في الدين عليه أن يبيّن للناسِ الحق ويدعوهم إلى الصوابِ ويشرح لهم، وبالله التوفيق.

- **وأما دخول الجيش في تركيا وما شابهها من دول الكفر والردة**؛ فلا يجوز، لأنه جيش الدولة المرتدة، فمن شارك في هذا الجيش وكان جنديًا فيه فهو جنديّ من جنود الكفارِ مُعَدٌّ لهم مكثِّرٌ لسوادهم محضَرٌ لنُصرَةِ وحماية دولتهم ونظامهم ودستورهم، ولأنه في الغالبِ يتضمّن الدخول إلى هذه الجيوش ارتكابَ بعض أمور الكفر الأخرى سوى مناصرة القوانين الوضعية، ويؤدي إلى الوقوع في الكثير من المعاصي والذنوب والمخالفات الشرعية، فيسمع الجندي كلامَ الكفر، وربما أرغم على قولِ أو عمل الكفر كتعظيم الطواغيت الكفار كأتاتورك اللعين وكتعظيم دولة تركيا ودستورها وعَلَمِها والإقسام على حمايتها والموت من أجلها، وغير ذلك.

فدخول هذه الجيوش غيرُ جائز.. بل الأصلُ أنه كفرٌ، والعياذ بالله.

لكن هل نكفّر كل من دخل الجيش؟ الجواب: أما في حال العافية والسعةِ فلا، بل حتى ننظر في حاله، ثم نحكم عليه على وَفق ما هو مقررٌ في باب الردة ومسألة التكفير، كما تقدم الإشارة إلى أصولها؛ لأنه يُتصَوّر أن يكون للناس أعذارٌ تمنع تكفيرهم في دخولهم الجيش، كالتأول وظن أنه جيش البلد بغض النظر عن الدولة والسلطة الحاكمة، مع زعم الداخل أنه يحفظ دينه ولا يشارك في الكفر ولا في المعصية. أو كمن دخل وهو عارفٌ بأنه جيش الدولة المرتدة، ولكن دخل مريدًا العمل للانقلاب على السلطة بواسطة الترقي في مراتب الجيش، أو للوصول إلى غرضٍ جهاديّ، بغضّ النظر عن الكلام في



هذه المسألة وهل هذا الفعل جائزٌ أو غيرُ جائز. أو كمن كان معذورًا بالإجبار (الإكراه المعتبر شرعًا)، أو تأوّل هو أنه مكرَهٌ الإكراه المعتبَرَ شرعًا. والله أعلم.

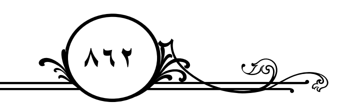
أما عند القتالِ، في حال دخلنا في حربٍ وقتالٍ مع دولةٍ من دول الردة، فإننا نقاتِلُ جيشها قتالَ المرتدين والممتنعين عن شرائع الإسلام.. فالأفرادُ مَن لم نعلَم أن له عذرًا ينجّيه من الحكم عليه بالكفر، اعتبرناه كافرًا وعاملناه معاملة الكافر في أحكام القتال وأخذ المالِ. إذن فالأصلُ حينئذٍ معاملة جنودهم معاملة المرتدين، باستثناءِ مَن عرفنا حاله وأنه معذورٌ في الكون معهم، وهذا قليلٌ كما هو مجرّبٌ معروف.

هذا مع أننا ننبه هنا إلى أن هذه المسألة مما كثُر فيها الكلام، وتعددت صور طرحها ومناقشتها، وأثيرت فيها جزئيات وتفصيلات بعضها مفيدٌ مؤثّرٌ في الحكم، وبعضُها قد يكون ضربًا من ضروب الجَدل، وبابًا من أبواب الانشغالِ بالقولِ عن العملِ، ونحنُ نعلمُ ما يطرح غالبًا بين شباب المجاهدين ويخوضون فيه خوضًا مستمرًا: **هل هؤلاء طائفة مرتدة على العموم أم هو مرتدون على التعيين؟** وبما أن كلامنا هنا مرتبط بأحكام الجهادِ، فلا نرى كبيرَ فائدة تتعلق بهذا التفصيل والاستفسار سواء قيل بهذا أو ذاك، فعلى كلا الحالتين فهم يعاملون معاملة المرتدين في القتال وأخذ المالِ، وهذا ما يقتضيه المقام هنا من الاختصار.. والله أعلم.

- **وأما السؤال: كيف تنظرون إلى شعب تركيا؟**

فنحن ننظر إلى الشعب التركي كشعبٍ مسلم في الجملة، فنطلق في كلامنا عبارة: الشعب التركي المسلم، ونحوها، وهم كسائر شعوبنا المسلمة.. وذلك بناءً على الأصلِ والغالبِ، فأما الأصل فلا يخفى أن الأصل في شعبِ تركيا أنهم مسلمون أبناءُ مسلمين وينطقون بالإسلام (بالشهادتين) منذ نشأة الناشئ منهم، ومع الدوام، ودعواهم الإسلامُ.

وأما الغالب فلأننا نظن أن غالبَ الشعب بحمد الله مسلمٌ حقًّا، فإنه مهما كان هناك في شعب تركيا من الكفار الأصليين من نصارى (من الأرمن وغيرهم) ويهودٍ وزنادقةٍ مرتدين من العلمانيين والإباحيين المنسلخين عن الدين بالكلية ومن الفرقِ الكافرة المنتسبة للإسلام كالنصيرية وكغلاة الصوفية عُبَّاد القبور والملحدين وأمثالهم، فإنه تبقى الأغلبية من عوامّ الشعب التركي في المدنِ والقرى



ودواخل البلاد وأطرافها وأعماقها يبقون هم الأكثرية وهم أهل العافية الباقون على الإسلام في جملتهم وأغلبيتهم، والله أعلم.

ولو قُدّر أنهم ليسوا بأغلبيةٍ؛ فليس من الحكمة ولا من الحصافة أن ندقّق في الإحصاءِ حتى نخرج بنتيجةٍ تغلّب حجم وعدد الكفّارِ، بل نكتفي بالظاهر الذي ذكرناه من تغليب الأصل والغالب معًا، مع تغليبِ الفأل والميلِ إليه.

على أن عبارة «الشعب المسلم» حتى في أسوأ الاحتمالات يمكن حملها على «اعتبارِ ما كان»، فلا يُعتَرَضُ في «الأدب» والسياسة عليها.

والله أعلم وأحكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- **وأما قولكم: بمَ تنصحون العلماء والشعب في تركيا؟**

فإننا ننصح العلماءَ ونذكرُهم بالقيام بواجبهم كما أمرهم الله في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ونحذرهم من أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة]، وأنْ يعلموا أن الناس تنظر إليهم؛ فإن استقاموا استقام الناسُ وإن فسدوا فسدَ الناسُ.. وهذه أمانة جسيمة؛ فعليهم أن يجاهدوا في سبيل الله بالعلم والدعوة واللسان والكلمة والقلم، وينصروا الحق وأهله، ولا يخافوا في الله لومة لائم.

ولْيعلَم كلُّ منتسِبٍ إلى العلم أن العلماء أصنافٌ كما دلّت عليه دلائل الشرع والاعتبار:

- **علماء دينٍ وآخرة**، يؤثرون ما عند الله، ألجمتْهم الخشية من الله، وقادهم العلمُ إلى القيام بحق الله، وهم الفائزون المفلحون، المتعلّقون بالله الناصرون لله الراجون ما عنده.

- **وعلماءُ دنيا**، همّتُهم أن يطلبوا بعِلمهم هذه الدنيا وحُطامَها، يستخدمون العلم والدين لأغراضهم العاجلة من تحصيل الأموالِ والتمتّع بملذاتِ المآكل والمشارب والمساكن والمناظر وغيرها، أو تحصيل المناصبِ والعلوّ في الأرض.



ومن هذا القسم الثاني: علماءُ جُمهورٍ، همّهم إرضاءُ الناسِ ونيلُ الوجاهةِ عندهم والشهرة والمكانة الاجتماعية.

فعليهم أن يختاروا أن يكونوا من القسم الأول المفلحين، ويؤثروا ما عند الله على ما يفنى.

وأما ما ننصح به الشعب في تركيا، فهو أن نذكّرهم أن الله لم يخلقهم عبثًا ولا همَلًا، وأنهم مسؤولون أيضًا ومكلّفون؛ فعليهم أن يحققوا العبودية لله وحده ويستقيموا على طاعة الله ﷻ، ويعلموا أنهم لن ينفعهم يوم القيامة حين تبلى السرائر ويوم يأتي كلُّ عبدٍ ربَّه فردًا وحيدًا.. لن ينفعهم ولن ينفعَ أحدًا أن يقول إنني أَطَعْتُ فلانًا أو عِلّانًا من الكبراء والسادات والزعامات أو الأشياخ أو الآباء والأجداد، إذا ضلّ وغوى وحاد عن طريق الحق وسلك طريق الردى؛ فإن الله أقام الحجة على الناسِ بهذا الرسول والدين والقرآن وأعذَرَ ﷺ إلى خلقه أجمعين.. فليتعلّموا العلم الدينيّ، وليختاروا أهل الصدق والصلاح المستمسِكين بالكتاب والسنة وليكونوا معهم، وليسألوا عن مراد الله تعالى وأحكامِه ويطلبوا معرفتها وفقهها.. وليكونوا أنصارًا لله ولدينه ولأوليائه.

وإن الشعب التركيّ أمّةٌ عظيمة أعزها الله بالإسلام حين دخلت فيه وبارك الله عليها بسببه، ولن يكون لهم عزّ بين الأمم إلّا بالعودة من جديد إلى الإسلام والتمسّك به، لا بالارتماء في أحضان الغرب ولا الشرق، ولا باتّباع مناهج الكفار من الديمقراطية والعلمانية وغيرها، فذلكَ كلّهُ في شقّ والإسلامُ دينُ الله دينُ الحرية والعزة والكرامة والمجد والسعادة في الدنيا والفوز في الآخر في شقّ آخر.

والله يهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

- **وأما قولكم: ما رأيكم في قول أبي محمد المقدسي** حَفِظَهُ اللهُ **في كتابه «الرسالة الثلاثينية» في التحذير من الغلو في التكفير**، في التحذير من تكفير عموم المشاركين في الانتخابات دون تفصيل: «ولذلك فلا تحل المبادرة إلى تكفير أمثاله إلا بعد إقامة الحجة وتعريفه بحقيقة عمل النواب المشرعين، وما يرتكبونه من مكفرات تناقض دين الإسلام وتوحيد رب العالمين، فإن أصرّ على انتخابهم مع ذلك كفر» اهـ؟

نقول: إننا نتفق مع هذا القول ونراه صوابًا، وهذا على العموم والإجمال، أما من يقيم الحجة على هذا المنتخِب، ومتى يقال بأنها قامت عليه وزالت شبهته، وهل مثله أصلا يفقه ويدرك ما يقال له

حولها؛ فهذه أمور لا بد من مراعاتها تمام المراعاة، ولا يكتفى بمجرد الزعم بأن فلانا أو فلانا قد أقيمت عليه الحجة، وصار مصرا مستكبرا كأن لم يسمعها، ثم يُبادَر إلى تكفيرِه فإن هذا مجازفة واندفاع لا سيما في مثل هذه المسألة الدقيقة والتي يفتي كثيرٌ من العلماء بجواز أو وجوب انتخاب «الأصلح» كما هو معلوم مشهورٌ، والحمد لله.. ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وسائر إخواننا لكل خيرٍ وأن يبرم للمسلمين أمرَ رشدٍ يعزُّ فيه أهلُ طاعته ويَذِلُّ فيه أهل معصيته ويؤمَرُ فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

كتبه: **عطية الله** | شعبان ١٤٣٢هـ

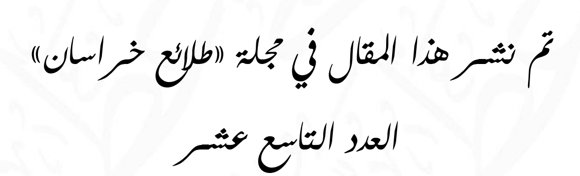
الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



«الثورات العربية»

..:.. وموسم الحصاد ..:..





تم نشر هذا المقال في مجلة «طلائع خراسان»

العدد التاسع عشر

رمضان

١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مع اقتراب «ربيع الشعوب العربية» كما يحلو لأهل الصحافة أن يسموه من الانتهاء في بعض الجهات، رغم أنه لا يزال جاريا في بعضها، وذلك بحسب اختلافِ الأجواء حرارة وبرودة وجرْيًا على سَنن السراية الطبيعية الاجتماعية، وغير ذلك من عوامل.. شرع الكثيرون في عملية حصاد وجرد للأرباح أو للخسائر؛ فمن ربح شيئًا فهو يسعى لتطوير أرباحه وإنتاجه وتوسيع مجالات كسبه والاحتياط لشأنه وللمفاجآت.

والمستفيدون بطبيعة الحال درجات، والخاسرون أصناف؛ منهم من خرج بالكلية من الحلبة وانتهى إلى غير رجعة: منهم جماعات ومنهم أفراد، كالأنظمة المخلوعة ورجالاتها وعوائلها وأحزابها الفاشلة الخبيثة الذاهبين إلى مزبلة التاريخ يلعنُهُمُ العالَمون، ومنهم من يضمّد جراحه ويداوي كلومه ويحصي أخطاءه ويراجع نفسه، يتلمس أسباب الكَرّة بعد الفرَّة، ويعيد صناعة أنواع من الكيد والمكر؛ كما هو حال الغرب الكافر وعلى رأسه ام الخبائث الدولة الفاجرة أمريكا.. نسأل الله أن يكفينا شرهم.. والكل متيقّظٌ والجميعُ يسعى، و﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾[الليل]، والأطراف على تفاوتٍ كبير لا يحصيها إلا الله.

ولكن الذي لا شك فيه قِيد أنملة أن أمة الإسلام هي أكبرُ المستفيدين إن شاء الله من هذه الانتفاضات الشعبية والحركات الاجتماعية، وأهلُ الصدق والإخلاص من المجاهدين والدعاة إلى الله هم في طليعتها وأوّل الداخلين في جملة أبنائها المستفيدين، وأهل الجهادِ أخصّ بذلك وأدخل فيه ولله الحمد، والكلام في ذلك يحتاجُ إلى تطويلٍ في المقال، وعليّ أن أخلُصَ إلى بعض ما هدفتُ إليه:

❖ مسلاة البساط:

كان من اللافت للنظر منذ وقتٍ مبكر من عُمر الثورات العربية وبالتحديد مباشرة بعد نجاح الانتفاضة الشعبية المصرية في الإطاحة بالطاغية حسني الـ «لا مبارك»..

تلك الأحدوثة التي تقول إن هذه الثورات سحبتِ البساط من تحت أقدام القاعدة، وكان من أهم مطلقي هذه الفكرة ومن تولى كبَرها العجوزُ النصراني «روبرت فيسك» الذي أفنى عمرَهُ يجوب أقاصي الأرض، ويدون لحروب البشر وجَمَع من الأخبار وحكايات الناس وأوعى وتَخَصّصَ في شأن الشرق الأوسط؛ ولكنه للأسف لم يهتدِ إلى أهم شيءٍ وأشرفه وأغلاه وأعزه في الشرق الأوسط وهو

دينُ الله ورسالته الخاتمة وشريعة الله الناسخة للشرائع السماوية التي سبقتها.

دين الله الذي هو التوحيد الذي لا يقبل الله تعالى دينا سواه، ومن لم يدخله ويأتِ به يومَ القيامة فهو هالكٌ معذَبٌ خاسر الخسرانَ العظيم الدائم.

دين الله الذي هو عبادةُ الله وحده لا شريك له واتباعُ رسوله محمدٍ خاتم الرسل ﷺ، وبه ينتظم الإيمان برسل الله الكرام أجمعين؛ لم يهتدِ روبرت لهذه القيمة العظيمة ولا رفعَ بها رأسًا، ولا يزال متخلّفًا سادرًا في متابعة دين قومه وجاريًا مع تيارهم الخاطئ الجامح في ضلالته، ولم يملك -للأسف- الشجاعة- التي قد يبدو لبعض من يقرأ له أنه يتصف بها- لكي يتخذ قرارَ تحقيق غاية وجوده وإنجاءِ نفسه وتحديد مصيره الأخروي بنجاح!! وإن لم تدركه رحمة الله ويهدِهِ الله ليندمنَّ ندامةً لا فسحةَ بعدها ولا مردّ، وليكونن مصيرُه بعد هذا التطواف في العالم وبعد تلك الكتابات الرائقة والمقالات الشاقة والتصويرات البديعة والتشبيهات البليغة أن يردَّ النارَ الحامية والعذابَ الأبديّ مع الكافرين المكذِّبين لله ورسله.!

وتلقف تلك الأحدوثة بعده صحفيّون ومتحدثون آخرون ممن يسمون بـ «المحللين» وتلقاها منهم بألسنتهم بعضُ الصحفيين والمذيعين في قنوات فضائية وغيرها ممن هم أقربُ إلى السطحية وأبعدُ عن التحقيق، وممن يتلقون الفكرة المزوّقة ويفرحون بها ويظلّون يرددونها، بالإضافة إلى أناس آخرين ممن يسمون بـ «الإسلاميين» كأن الأحدوثة وقعت منهم موقعًا مستلذًّا!

وعقد الإعلامي «محمد كريشان» في «قناة الجزيرة» حلقة خاصة للترويج للفكرة، واستضاف ثلاثةً ممن أيدوا الفكرة تحصيلَ حاصلٍ، منهم النصراني خاوي الوفاض: «جهاد الخازن»؛ فبالله عليكم ما دخلُ النصرانيّ المثلِّثِ في أن يفتي في شأن التغيير الإسلاميّ والجهادِ.. ويحكم هل سُحب البساط من تحت القاعدة أو لم يُسحب؟! وقد ظهر في الحلقة تهافته وسخافة تصوره وسطحية نظره وضحالة إلمامه وتخبّطه وضعفُ معلوماته!، وثانيهم ولعله أمثلُهم طريقة في المسألة؛ الأستاذ الكاتب: «فهمي هويدي»؛ فإنه أنصف بعض الإنصاف واعترف بدورٍ للقاعدة والمجاهدين في المشاركة في التأسيس لهذه الثورات من خلال إحياء روح التحدي والجهاد والمقاومة للطغيان، وثالثهم الأستاذ: «محمد الأحمري»؛ الذي وافق على ما سموه «موت فكر القاعدة»! ودعاة السّلم والسلمية واللاعنف من المفكرين الإسلاميين وممجدو مذهب غاندي وفلسفات مالك بن نبي ومذهب ابن آدم الأول وخزعبلات جودت سعيد والمخذول خالص جلبي وغيرهم.

معروفون معروفةٌ أفكارهم وهي قديمة، ونقدُهم والرد عليهم قد أخذ مجاله وتجاوزتهم الحركة

الجهادية وراءها منذ مراحل، إنما قد يتجدد للفكر المتأثر بهم بهذه الثورات نبتٌ غيرَ أنه لا يلبثُ أن يذبُلَ إن شاء الله لأن مصادمته للشرع والقدر مصادمة كلية، وبالمناسبة وللحق؛ فالأستاذ «الأحمري» له نقدٌ في السابق لبعض هذه الفلسفات من دعاة الخيال المسمى اللاعنف أجاد فيه، وليس هو من دعاة هذا المذهب بإطلاق؛ إنما قد يوافقهم بعض الموافقة، ووافق قولُهُ -على خجلٍ- رأيَ التيار في هذه الأحدوثة المطروحة، وحريٌّ به أن يتأمل المقام وينصف.

وقد تجنى المذيعُ «محمد كريشان» وأجحف وما أنصف، خلع عن نفسه ثيابَ الموضوعية حين زعم زورًا وبهتانًا أن القاعدة لم تدعُ يومًا إلى إزالة هذه الحكومات والإطاحة بها ولا تحدثت عن فسادها، غافلًا في زيغةِ حاله وانبهارِه بما حصل عن حقيقة دعوة المجاهدين وأدبياتهم المتكاثرة؛ بل ومحاولاتهم المتضافرة في محاربة هذه الأنظمة الطاغوتية وكشف فسادها وظلمها وتجبرها وتبيين خروجها عن دين الله وخيانتها وعمالتها وإجرامها، ودعوة الأمة إلى الخروج عليها ونبذها ومنابذتها وتغييرها بالطرق المشروعة.. غفل كريشان وغيرُه كثير عن أن هذا هو بمثابة الركن في فكر القاعدة وعموم المجاهدين، كيف وهم أعداء هذه الأنظمة «رقم واحد»، وهم الثوار الأوائل والأواخر عليها؟! فسبحان الله ما أصعب توضيح الواضحات.!

هل سبب كلام هؤلاء هو ظن ظنّوه ورأي ارتأوه مبنيّ على أساس من التفكير صحيح؟ أو هو قولٌ وفكرةٌ انقدحتْ لهم للطعن في منهج القاعدة منهج الجهاد غذَّاها هوىً قديم وميلٌ متعدد الاتجاهات؟ الله أعلم، ولا نريد أن يقولوا -وما أسرع أن يقولوا-: إننا ندخل في النيات؛ ولو فقهوا لعلموا أن النوايا إذا كان عليها علامات وأمارات ظاهرة أمكن التكلم فيها بحسب ما يظهر من الأمارة والدلالة، وأحوال المتحدثين بهذا الكلام لا تخفى؛ وما الظن بكافرٍ نصرانيّ يتحدث عن المجاهدين وعن القاعدة؟! والأهواء مسيطرة فيما دون ذلك، وانظر إلى الحلقة كيف أنه لم يذكر الله ﷻ فيها ولا اليوم الآخر إلا قليلا!

وغالبُ ظني أن كثيرًا من المتحدثين بهذه الفكرة وجدوا فيها مَسْلاةً لهم ولضمائرهم عمّا غمّهم زمنًا طويلًا من حجج منهج الجهاد وقوة منطقه ووضوح رايته ونصاعة مطلبه وغايته، فهي أقربُ إلى أن تكون حركة نفسية تمظهرت في فكرة وتحليل -زعموا-.

❖ رجم الفكرة الغاوية:

وهذه الفكرة خاطئة بشكل قطعيّ لعدة أسباب، وأهم ذلك أنها مبنية على مقدمات خاطئة فكانت النتيجة خاطئة بالضرورة، فالفكرة مبنية على مقدمتين أساسيتين:

المقدمة الأولى المغالِطة: أن هذه الثورات هي ثورات سلمية محضة.

والمقدمة الثانية الخاطئة: أن هدف هذه الثورات هو نفسه ما كانت تسعى إليه القاعدة ولم تستطع تحقيقه؛ أي فجاءت هذه الثورات بِسلميّتها ونعومتها وحققته بكل سهولة وسلام!!

فأما الكلام على المقدمة الأولى: فنحن لا نسلّم أن هذه الثورات كانت ثوراتٍ سلمية بالمعنى الكامل، وإن كانت ترفع شعار «السلمية» وعدم استخدام العنف؛ فذلك أشبه بالتكتيك ولكن العبرة بالواقع وحقيقة الحال، فهذه الثورات -على تفاوتٍ بين نماذجها- استخدمت في مراحل منها العنف بشكل واضح، من اقتحامٍ وحرقٍ لمقرات الشرطة والأمن وضربٍ وتحطيم وتدميرٍ بل ونسفٍ في بعض الأحوال، واستعمال لقنابل المولوتوف الحارقة، واشتبك المتظاهرون في حالات كثيرة مع رجال الأمن واستعملوا الحجارة والعصي والأسلحة البيضاء، ووقع قتل لبعض رجال الأمن في بعض الحالات؛ فالعنفُ ثابتٌ وليس لأحدٍ أن يدفع ذلك.. لكنِ الحقُّ أن الأغلب عليها هو الطابع السلمي المعتمد في قوته على كثرة العدد؛ أي على الجمهور والقوة البشرية التي عوّضت قوة السلاح والعنف، مع عدم اعتمادها ابتداءً على السلاح والقوة، ولأجل ذلك فلها من وصفِ السلمية نصيبٌ لا ننكره أيضا، إنما المقصود أنها احتاجت للعنف واستعملته ولو بشكل محدود في حالات كثيرة من مراحل تفاعلها، فهذا وجهٌ.

ثم إن الثورة في ليبيا قصمت ظهر فكرة سلمية الثورة و«اللاعنف» فإنها منذ أيامها الأولى تقريبًا -إذا ما صحَّ أن نستثني يومًا أو يومين- كانت عنيفة وتحوّلت إلى السلاح، إذ هاجمت الجماهير في شرق ليبيا (بنغازي، درنة، البيضاء، طبرق، وإجدابيا، وغيرها) مقرات الشرطة والأمن وكتائب القذافي وأخذت الأسلحة والذخائر وانطلقت بها، والسبب واضحٌ أنه لا مجال للتظاهر والاحتجاج السلمي مع نظام الطاغوت القذافي، والشعب في ليبيا يدرك هذا جيدًا ولا يمكن أن يخدعه عن هذا خادعٌ مهما زوَّق، يدركون أنه لا يمكن الثورة على القذافي إلا بالسلاح والقوة، وهو الذي حصل، ومع كل ذلك كاد القذافي أن يغلبهم ويستأصلهم.. حتى احتاجوا واضطروا إلى طلب مساعدة الغرب الكافر وحلف الناتو وحصلتِ الورطة التي نرجو من الله أن يخرجوا منها قريبا. فالشاهد أن ليبيا دليلٌ دامغٌ ومثال لا يمكن تجاوزه لإبطال فكرة السلمية الدائمة واللاعنف أبدا!! وهكذا الحال في اليمن سواءً.

والحق أن القاعدة والمجاهدين لا يمنعون من العمل السلميّ بإطلاق، ولن يجدَ أحدٌ في كلامهم ودعوتهم هذا أبدًا.. بل يدعون إلى مقاومة الكفر والطغيان والظلم والأنظمة المتصفة بها بجميع الوسائل المشروعة بحسب القدرة، وعلى رأسها وأساسها الجهاد، وإنما الذي ينكره المجاهدون هو أن

يُجعَلَ المنهج السلميّ بديلا بإطلاق عن منهج الجهاد الذي هو إعدادُ العُدة والقتالُ في سبيل الله بالسلاح والضرب والقتل والتفجير، أما حيث يكون التحرك السلميّ متاحًا ومحققا للمطلوب أو بعضه مرحليا، ولم يخرج في كيفيته عن حدود الشرع، فلم يمنع المجاهدون ذلك، بل هم يؤيدون ويدعون إليه، وكم دعا قادة القاعدة الشعوب إلى التحرك الشعبي والتظاهر والاعتصام في مناسباته.

وأما الكلام على المقدمة الخاطئة الثانية: فإن القاعدة لا تسعى لأي تغيير مهما كان، اللّهم إلا أن يكون جزئيًّا مرحليًّا تكتيكيًا، وهي تعلم أنه جزئيٌّ مرحليٌّ؛ حيث لا يتسنى التغيير الكامل المنشود.

إنما تسعى القاعدة إلى تغيير جذريّ وثوريّ حقيقيّ تكون نتيجتُهُ وضعًا: تكون فيه كلمة الله هي العليا وشريعة الله هي الحاكمة الوحيدة المهيمنة، وتتحقق فيه حريةُ الأمة وعزُّها وكرامتها تحت حكم الرب الجليل وحده ﷻ، وهو معنى أن يكون الدين كله لله، والحكم لله، وهو معنى الدولة الإسلامية التي تنشدها القاعدة وجميع المجاهدين.

أما الأوضاع التي آلت إليها هذه الثورات في تونس ومصر وحتى ليبيا فليست هي غاية القاعدة، إذ ليست غاية القاعدة تحقيق نظام «ديمقراطي» ولا غاية القاعدة مجرد استبدال نظام كفري بآخر مثله لا يلتزم بدين الله ولا يحكم بشريعته -معاذ الله-، وإذا أيدت القاعدة ثورات الشعوب هذه فإنها تؤيدها مقيدةً بشكل واضح معبَّرٍ عنه بأبين تعبير، لا لبس فيه ولا غموض، إنها خيرٌ مقيَّد محدودٌ من جهة كونها: كسرا من شعوبنا المسكينة المقهورة لحاجز الخوف من تلك الأنظمة اللعينة الطاغية التي سيطرت على الناس بالخيال والتخويف والإرهاب والقهر، وأنها مرقاة إلى تغييرات أخرى، وإتاحةٌ للفرصة للدعوة إلى الله وإلى انطلاق الأمة في اختياراتها التي نرجو ونسعى لأن تكون صحيحة مسددة، ولما فيها من التخفيف على الناس بزوال الأنظمة البوليسية القمعية المتجبّرة الظالمة، وما فيها من رفع للظلم عنهم، وإطلاق سراح المسجونين، وزال الخوف والرعب من قلوب الناس من أنظمة الحكم، وتحقق قدر كبير من الحرية، وغير ذلك من الخيرِ ولكنه نسبيّ، فبإزائه شرٌّ أيضًا.

الثورات في مصر وفي تونس وليبيا لم تحقق حتى ما يريده الثوار وشباب الثورة؛ فهي وإن أسقطت النظام، وبتعبير أدق: رأس النظام، وهو الطاغية الذي أُرعِبَ وخاف وانهار تحت ضغط كل الشعب وتبعًا لضغط الشعب ضغوط كل القوى الداخلية والخارجية.

إلا أن فلول تلك الأنظمة البائدة ما زالت لها اليدُ الطولى في حكم البلد وإدارة شؤونه، وما زالت تمارس الثورة المضادة وتعوق تحقيق أهداف الثوار، وما زال الثوار يعانون ويكافحون ويجددون التظاهر حتى كاد يملّهم الناس، وذلك مقصِدٌ للفلول المهزومة من النظام البائد.!

فهذا حال الثورات في تونس ومصر: لم تحقق ما تريده هي إن صحت لها إرادة فضلا عن أن تحقق ما تصبوا إليه القاعدة، بل غاية ما هنالك أن تكون ساعدت في تحقيقه إن شاء الله، وساهمتْ في وضع لبنة في الطريق وسهّلتْ، كما أن القاعدة ساهمتْ وساعدت على التأسيس لهذه الثورات وتهيئة الأرضية لها بالعمل على تكسير حاجز الخوف لدى جماهير وأجيال الأمة، ومن خلال بث روح التحدي والمحافظة على قوة الرفض والإباء للظلم والظالمين لا تموت، ومن خلال معانٍ ووسائل كثيرة لو أردنا الحديث عنها، ثم من خلال عاملٍ مهم جدًّا وهو: تحييد أمريكا وإخراجها من دائرة التأثير المباشر والتسلط الامبراطوريّ، فلولا ما من الله به على الأمة من هذه الفئة المجاهدة -المجاهدين- ولولا بلاؤهم الحسن -جزاهم الله خيرًا ونصرهم وأعزّهم- في النكاية في أمريكا وحلفائها في العراق وأفغانستان وسائر أنحاء العالم إلى أن جعلوها تستكين وتركع وتذل وتتطامنُ وتهابُ وتخشى أن تدخل في مشاكل أخرى وحروبٍ وصراعات ونفقاتٍ إضافية لما وقفت أمريكا موقف المتفرج من أول يوم ولتدخلت بالقوة العسكرية في تونس أو مصر.

لقد جعل المجاهدون -بفضل الله- أمريكا ولأول مرةٍ بعد أن عرفتِ الغطرسة والتفرعن والنزعة الامبراطورية تقول بلسان حالها: «العين بصيرة واليد قصيرة»، كما كانت أمتنا تقولها أزمانًا؛ فلله الحمد، وهذا فضلٌ وإنجازٌ للمجاهدين عظيمٌ لمن أنصف واعترف بالحق.

أرجع وأقول: نحن إذ نؤيد هذه الثورات لما فيها من الخير الذي أشرتُ إلى جُملٍ منه، ولما هي مرحلة نرجو أن يعقبَها خيرٌ أكثر، ولهذا السبب فإن القاعدة هي من أسعدِ الناس بهذه الثورات وأفيدِهَا منها بحمد الله ومنِّه وكرمه، فليمت الشامتون بغيظهم! ولهذا أيّدتها من لحظاتها الأولى وسارت بها وشاركت الأمة في السرور بها على ما فيها من دَخَنٍ ودخَلٍ! لسنا غافلين عنه ولكن متغابين، لأن القاعدة تسعى لخير الأمة ورحمتها وإزالة الضر والضير عنها ما استطاعت؛ لهذا قامت القاعدة، فأي خير يتحقق فالقاعدة معه وتفرح به ولا تعارضه، إن القاعدة لا تشترط أن يجري الخيرُ على يديها حتى يكون خيرًا وحتى يُقبَل، وهذا دليلُ عمَلِها لله تعالى -فيما نحسبُ- ومعاذ الله أن نكون مثلَ اليهود الذين اشترطوا للإيمان بالرسول أن يكون منهم وإلا لم يؤمنوا به، ولا يُقرّون بالحق إلا أن يكون منهم ومن طائفتهم، مع معرفتهم أنه حق، وقال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴿٩١﴾﴾[البقرة]، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، بل مقصود القاعدة أن يتحقق الخيرُ والصلاح ويسود الحقُّ والعدل والرحمة والإحسان، وذلك لا يكون بشكله الكامل إلا في ظل تحكيم شريعة الله تعالى، وفي

ظل «دولة الإسلام» التي ننشدها في بلداننا جميعا، وإن كره الكافرون.! وحيث لم يمكن في مرحلة من المراحل تحقيق أكثر الخيرِ المطلوب فنسعى لنحقّق بعضه بحسب الإمكان، إن القاعدة وهي تسعى هذا السعي تمارسُ عبادة لله تعالى وتؤمنُ بأنها تؤدي واجبًا وفرضًا فرضه الله على جميع الأمة، فازت القاعدة وغيرُها من المجاهدين بالقيام به، وربما سدَّت المسدّ في بعض الأحيان وربما أسقطت الفرضَ عن سائر الأمة في أحيانٍ ومواقعَ، ونالتِ الفضل والأجر من المولى الكريم.

على أن من أهم الأهداف التي قامت القاعدة من أجلها كان وما زال هو طرد الغزاة الكفرة والاحتلال الأجنبي من بلاد المسلمين وفي مقدمة ذلك احتلال اليهود لفلسطين، وذلك مبرّرٌ مستمر لوجود القاعدة واستمرار عملها إلى أن يتحقق الهدف، والقاعدة تنظر إلى ثورات شعوبنا العربية ولا سيما في مصر ثم ما ننتظره ونرجوه في الشام المباركة بإذن الله الواحد الأحد: على أنه تكميلٌ لجهودها ودعمٌ لها وتقويةٌ وإسنادٌ، فما أسعد القاعدة بثورات شعوبنا العربية والإسلامية، والتي نرجو أن يكون منها قريبًا بعون الله ومدده تحرك شعبنا المسلم في باكستان، وما ذلك على الله بعزيز: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾[الحديد].

❖ لنحذر مغالطات العدو ومكره:

إن أجهزة المكر للعدوّ وخدمَهُ المندسين في أمتنا يحاولون أن يوجهوا الثورة ويتحكموا في بوصلتها بكل ما أمكنهم من وسائل المكر الخفيّ والمكشوف الجليّ، ومن هذا أنهم يكررون عبر أبواقهم الإعلامية عباراتٍ ويطرحون أفكارًا ومسائل ويكبّرون ما يشاؤون، ويصغرون ويقللون من شأن ما يشاؤون، ويمدحون ويذمون بأهوائهم ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾.

ومن ذلك على سبيل المثال: تكرارهم لعبارة «المظاهرات المطالبة بالديمقراطية»، و«الاحتجاجات السلمية المطالبة بالديمقراطية»؛ فيموّهون ويخدعون بجعل مطلب الشعب هو الديمقراطية، في حين أن أغلب شعوبنا لا تعرف الديمقراطية ولا ترضاها لو عرفتها على حقيقتها، وإنما قد يستعمل أكثر الناس هذا اللفظ للتعبير عن معانٍ وصورٍ للحرية ومضادة الديكتاتورية والاستبداد، وحكم الشورى ومحاسبة الحكام وحرية ونزاهة القضاء وشفافية أجهزة الدولة ونحو ذلك، فعلى دعاة الإسلام أن يتنبهوا لهذا ويبذلوا جهودهم المكافئة، والله المستعان.

كما على المجاهدين أن يحذروا من خُدع العدو ومكره باستدراجهم إلى ظهورٍ مبكرٍ غير مدروس، أو الدخول في أعمال ومواجهات غير أصلية تكشفهم وتستنزف طاقتهم، كما سمعنا عن تصرفاتٍ لبعضِ الإخوة استعراضية في بعض النواحي لا تخدم هدفًا صحيحًا ومضرتها أكثر لما تهيج من الأعداء



وتستفز وتنبّه، مع ما قد يكون فيها من تنفير للناس؛ بل الواجب أن نخدع العدو ونعمِّي عنه قوتنا وإمكاناتنا حتى نبغته بإذن الله في الوقت المناسب، وليكن عمل المجاهدين في هدوءٍ وصمتٍ وبُعدٍ عن الظهور ما أمكن، وكذلك في الثورات المستمرة القائمة فإن الجيِّد هو فسحُ المجال للتحرك الشعبي، مع الدعم والاستعداد بكل ممكنٍ، ومع دعم الثورة الشعبية حيث كان الدعم الجهاديّ مناسبًا كما فعل إخوة العريش حيث فجَّروا خط أنبوب الغاز الذاهب إلى إسرائيل أثناء الثورة؛ فكان دعمًا للثورة كبيرًا.

❖ مقارنة:

ولْنُنْهِ المقال الذي طال بعقد مقارنة تقريبية بسيطة بين حال وموقف أمريكا من ثورات شعوبنا العربية، وبين موقف المجاهدين منها:

المجاهـــدون: وقفوا من قبلُ (قبل هذه الثورات) ضد تلك الأنظمة الظالمة الغاشمة الفاسدة الكافرة وحاربوها وثاروا عليها وبذلوا دماءهم وأرواحهم وأموالهم في ذلك وضربوا المُثُل، ودعوا إلى الثورة عليها بكل الوسائل المشروعة وحرَّضوا الأمة على منابذتها والسعي في انتزاع حريتها وحقوقها المسلوبة منها.

أمريكـا والغـرب: وقفت طوال عقودٍ مع هذه الأنظمة الفاسدة العقيمة، بل في الحقيقة هي التي رعتْ وسندتْ وأقامتْ هذه الأنظمة على رغم إرادة الشعوب، أنانية منها (أمريكا والغرب) ومحافظةً على مصالحها غيرَ مباليةٍ بمصالح شعوبنا ولا باكيةً على فقرهم وجوعهم وما يصيبهم من الألم والاضطهاد والعذاب.

المجاهـدون: فرحوا بهذه الثورات وأيَدوها واعتبروها متكاملة مع عملهم ومسيرهم.

أمريكـا والغـرب: اغتمّت وارتبكت ووقعت في ورطة موحِلَة، وكرهَتْ هذه الثورات وخشيت على مستقبل أذنابها وخدمها من الأنظمة الطاغوتية في بلادنا ومن ثَمَّ خافت على أمنها ومصالحها التي تضمنها وتحميها تلك الأنظمة، ولو أمكنها أن تسعى في إنهاء هذه الثورات وقمعها من البادية لفعلتْ، كما همَّت فرنسا بذلك في تونس، وورطة أمريكا والغرب أنهم إن سمحوا بحكومات حرة مستقلة تختارها الشعوب وتستجيب هي لمطالب الشعوب وتحقق غايات الشعوب؛ فسوف تتضارب مصالح تلك الحكومات الجديد «الشعبية» مع مصالح أمريكا والغرب، ثم تخرج الأمور عن سيطرة الغرب فيما بعد، وإن هم قمعوا الثورات ووقفوا مع الأنظمة الدكتاتورية القمعية الظالمة الفاشلة الفاسدة: فقدوا ما تبقى لهم من مصداقيتهم المضمحلّة، هذا مع أنهم شعروا وأدركوا أنه لا مستقبل لتلك الأنظمة وأنها زائلة لا محالة وأن الشعوب قد ثارت حقا وصممتْ، فكان دعمهم (الغرب) للثورة إجباريًّا وهم

كارهون، ثم يبدأ المكر الجديد، وكذا إن سمحوا مثلا بانقلابات عسكرية على هذه الثورات وحرَّكوا العساكر الموالية لهم؛ فإنهم يفقدون البقية الباقية من مصداقيتهم ويصطدمون بالشعوب اصطدامًا كبيرًا مباشرا، أو يؤدي تصرفهم إلى وقوع حربٍ أهليةٍ ثم حروبِ عصاباتٍ وجهادٍ تُعَكِّر بل تفسد عليهم مصالحهم لا سيما في المناطق الحساسة القريبة من مجالِ ما يُسمَّى بأمنهم القومي مثل الشام ومصر، ولهذا فهم في ورطات متتابعة لا يدرون ما يفعلون.

المجاهـــــدون: يدعون إلى استمرار هذه الثورات وانتشارها وعمومها لكل العالم العربي والإسلاميّ.

أمريكـا والغـرب: تحاول تحجيم وتضييق دائرة الثورة ومنع انتشارها وانتقالها، ودعم الثورات المضادة، وتساندُ ما يسمّى بالإصلاحات وهي الترقيعات الخادعة التي يحاول على عجلٍ أن يقوم بها طواغيت آخرون ينتظرون أن تنتقل الثورة الشعبية إليهم وتنالهم أيدي الشعوب المقهورة، في مثل: الأردن والمغرب وغيرها، كما هللت فرنسا وغنتْ وطبلتْ وزمَّرت لما عُبّر عنه بإصلاحات مِلك المغرب.!

المجاهدون: يحاولون الالتحام بالجماهير والشعوب وترشيدها في مطالبها ومسيرتها لنيل حقوقها وتكميل حريتها وكرامتها وأن تنطبق على بركة الله متوكلة على الله ملتزمة بأحكام الله، تناضل وتجاهد لتصل إلى تحقيق أهدافها الدينية والدنيوية التي تضمن لها سعادة الدنيا والآخرة.

أمريكا والغرب: منهمِكون إلى أقصى الحدود في إيجاد حلول للخروج من ورطاتهم المشار إليها، والهيمنة على الحكومات الجديدة بعد الثورة وتخويفها وإرهابها وتقييدها وإخضاعها؛ بأساليب الترغيب والترهيب والدسائس والعملاء والخونة وغيرها..

والصراع بين الحق والباطل مستمرٌّ

والعاقبة للمتقين..



الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



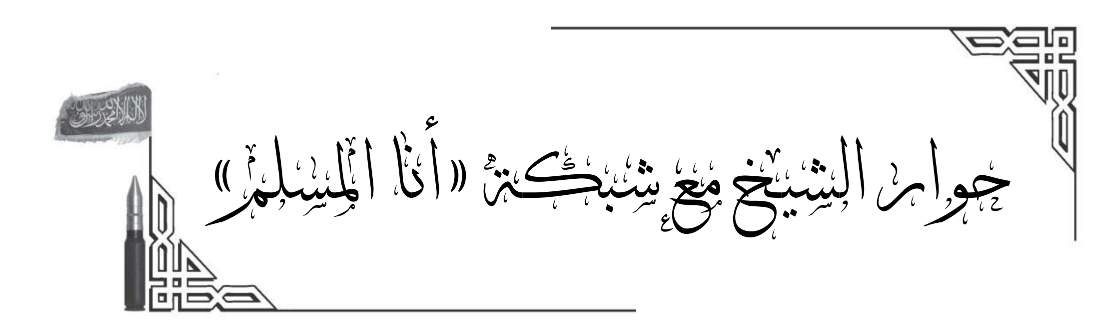
فتاوى الشيخ وأجوبته على أسئلة متفرقة

- باستثناء لقاء الشيخ مع «شبكة الحسبة»، ومع «مركز اليقين» -





- ❖ **حوارٌ مع الشيخ رحمه الله في «شبكة أنا المسلم»**
- ❖ **إجابات أسئلة موجهة من اللجنة الشرعية للقاعدة في أحد الأفرع**
- ❖ **إجاباتٌ على بعض التساؤلات من مجاهدي «قطاع غزة»**
- ❖ **الأسئلة الصومالية**
- ❖ **أسئلة خاصة من الأخ «أبي مصعب الكردي»**
- ❖ **جوابٌ في القَسم بين الأزواج**
- ❖ **جوابٌ في البدعة**
- ❖ **جوابٌ على رسالة مناصحةٍ من السلفيين الباكستانيين**



[حوارٌ متوسط نسبيا أجراه الشيخ رحمه الله مع شبكة «أنا المسلم للحوار الإسلامي»، أجاب فيه الشيخ عن عددٍ من الأسئلة الشرعية والفقهية والمنهجية المهمة، وكانت محاور اللقاء منوعة، وغير منتظمة في الأصل، وقد غيرنا في نص الأسئلة لتوافق منهجية عملنا في المجموع، وقدمنا أحيانا سؤالًا على آخر وربما أخرنا في ترتيب الأسئلة؛ لتنظيم المادة؛ حيث ناسبنا الأسئلة والأجوبة مع بعضها، وقد أُجري هذا الحوار بتاريخ: ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٥م]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلاما على عباده الذين اصطفى.. وبعد.

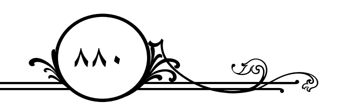
[*السؤال الأول*: **شيءٌ من سيرة الشيخ عطية الله الذاتية**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: نعرف بعض ظروف الشيخ عطية الله..
ولا نريد أن نثقل عليه في الأخبار عن شخصه وشيء من سيرته الذاتية، إذ نعلم أيضًا أن الشيخ من أكثر من عاملته من أهل العلم تواضعا وقد طلب ألا نخاطبه بلفظ الشيخ، ولكنني وجدت أناملي تعصيني حين أكتب «الأخ».. لذلك نطلب من الشيخ عطية الله أن يعطينا طرفًا من سيرته الذاتية بالقدر الذي يستطيعه ويطيقه..
جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم وحفظكم من كيد أعداء الدين.

الشيخ عطية الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

جزاكم الله خيرا أيها الإخوة على ما أوليتموني من الثقة على رغم الجهالة، وما أكرمتموني من



المحبة وحسن الظن على القلة، بل الضحالة، وأسأل الله الكريم أن يسترني وإياكم بستره الجميل، وأن يجعلنا إخوة متحابين فيه وجلاله، ويظلنا بظله يوم لا ظل إلا ظله.

رأيت تقديمكم أخي الشيخ رضا، والسؤال الأول، وسأكتب جوابه الآن إن شاء الله:

أخوكم عطية الله من بلاد «المغرب العربي البربري الإسلامي الكبير»، العمر: سبع وثلاثون سنة -لستُ كبيرا كما تظنون-، متزوج ولي أربعة أولاد ولله الحمد، النشأة في أسرة متوسطة محافظة متدينة، الدراسة في أصلها كانت دراسة «علمية» كما يسمونها وهي تسمية مغالطة، والمعنى أنها ليست أدبية وليست دينية، في المرحلة الثانوية في أوائل الثمانينات كان التعرف على الحركة الإسلامية والانخراط في السلك الدعوي والنضالي من أجل الدين، بعد الثانوية درست الهندسة في الجامعة ولم ييسر الله الإكمال، بسبب الظروف السياسية وغيرها، ومنّ الله بالذهاب إلى أفغانستان في أواخر التسعينات، فلحقناها مع انسحاب الروس، وبعد فتح كابل وجميع أفغانستان بيد المجاهدين، ووقوع الفتنة غادرنا إلى بلادنا، متجهين إلى طلب العلم إذ قد عظمت الرغبة فيه، وتحققنا الحاجة إليه أكثر وأكثر؛ فيسّر الله من ذلك بعض التحصيل في عامة الفنون، وخاصة مدة معيّنة -ثلاث سنوات تقريبا- في بلاد شنقيط كانت هي معظم المحصلة لأنها كانت مركزة وعلى مشايخ متقنين، وقبل ذلك وبعده سواء في بلادنا أو بلاد العجم كان هناك أيضا نوع من التحصيل العلمي المتفرق، وكانت هناك تجارب، ولله الحمد على نعمه.

ونحن الآن قاعدون، نرجو رحمة الله وفرجه لأمة محمدٍ ﷺ؛ نعمل في كسب رزقنا ونعبد ربنا وندعو لإخواننا، والله المسؤول أن يحسن ختامنا وختامكم وسائر أحبابنا أجمعين، جزاكم الله خيرا وبارك فيكم وسدد..

❑❑❑

[*السؤال الثاني*: **هل للظرف الاجتماعي تأثيرٌ في الفرد المسلم؟ وهل له أثرٌ في الجبن والشجاعة مثلا**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: هل تظنون أن محيط الأسرة والمجتمع له أثر في التركيبة النفسية؛ التي قد يكون لها أثر في صياغة التوجه الديني، وما يستتبعه من اختيار الفصيل



الإسلامي الأقرب؛ توافقا مع ميوله ونفسيته -التي كان في علم الله وتقديره وخلقه أنه ستكون كذلك-؟

وبناء عليه؛ هل ترون أن الحالة الاجتماعية في كل بلد إسلامي له دور في تحديد نوعية الجماعات العاملة للدين؟

وفي ظنكم أن الظرف الاجتماعي هو الذي يولد المعتقد أم أن المعتقد هو الذي يولد الظرف الاجتماعي.

فمثلا: هل الفقير يحب المذهب الجبري لأنه فقير أم أن جبريته ستؤدي به إلى الفقر؟ وهل الجبان سيحب الإرجاء لأنه جبان أم أن اختياره للإرجاء سيؤدي به إلى الجبن؟ حبذا لو كانت الإجابة بناء على رؤاك وتجاربك في المغرب العربي ثم في أفغانستان، وبناء على تحليلكم لمن لقيتموهم من القادة والأتباع.

الشيخ عطية الله:

هذا سؤال فلسفي كبير أخي الشيخ رضا.. نسأل الله الإعانة والله، أنا ما رأيت كلمة أجمع في هذا الباب وأحسن من قول نبينا ﷺ: **(كلٌّ ميسّر لما خُلِق له)**[1].

ومعلوم أن الله خلق كل شيء فقدره تقديرا، وكل شيء عنده بمقدار، وأنه قد جعل لكل شيء قدرًا، وأنه تعالى إذا قدر شيئا وأراده وتعلقت به مشيئته أنه يجريه بحكمته ولطفه على مقتضى عادته ﷻ في خلقه -سنة الله-، وهي الأسباب والمسببات التي يلاحظها العقل في الجملة يدرك من أجزائها ما يدرك ويفوته الأكثر..

فلا شك عندي أن التربية والنشأة الأسرية والمجتمعية لها تأثير في اختيارات الإنسان وتوجهاته العامة في حياته، وأن الملكات الفطرية والميولات عند الشخص لها تأثير في اختياراته كذلك؛ هي من جملة الأسباب، ويقابلها سبب العقل والفهم والتأثيرات الأخرى من قدوة أو نحوها.

فهذه الأسباب إما تتوافق وتتوارد على مدلول معين أو تختلف وتتدافع فتكون الغلبة لبعضها.

والتوفيق بيد الله ﷻ وحده.

ومن ذلك اختيار الإنسان للاتجاه الإسلامي أو السياسي الذي يعمل فيه ومعه.

ونحن نلاحظ تأثير التاريخ مثلا على الشعوب والأمم، وفي منطقتنا في المغرب العربي على سبيل المثال؛ تاريخ الجزائر وليبيا الجهادي القريب: حروب التحرير ضد الاستعمار الصليبي، الأمير عبد

---

(١) صحيح البخاري (٧٥٥١).

القادر وبوعمامة وثورة الأربعة وخمسين في الجزائر، وعمر المختار والباروني والسويحلي وغيرهم في ليبيا، هذا له تأثير على الأجيال المعاصرة لا تخطئه عين المتأمل، هناك شعوب تميل إلى الجهاد والثورة وتتعطش إلى الحرية وتتلمّض تحت سلطة قاهريها وتتململ، وتختار سبيل الجهاد والنفير والقوة والعزة متى ما أتيحت لها فرصة وبرقت لها بارقة..

وهذا موجود في معظم الشعوب الأخرى أيضا والحمد لله، لكن تلاحظ فروقا من مكان إلى مكان، حتى في البلد الواحد.

في الجزائر؛ المناطق التي كانت معاقل الجهاد ضد فرنسا في ثورة نوفمبر هي هي نفسها كانت معاقل الجهاد الحديث في السنين الماضية ضد الحكومة، وفي ليبيا أشياء قريبة من ذلك.. والله أعلم.

وهل الحالة الاجتماعية في كل بلد إسلامي لها دور في تحديد نوعية الجماعات العاملة للدين؟

أظنك تقصد من حيث كونها جهادية أو سلمية، صداميّة أو تصالحية كما يعبّرون إلى غير ذلك، وعلاقتها بالمنظومة الاجتماعية في بيئتها.

هناك تأثير إلى حد ما كما سبق القول، لكن هو أحد المؤثرات كما سبق أيضا.

وهل «الظرف الاجتماعي هو الذي يولد المعتقد أم أن المعتقد هو الذي يولد الظرف الاجتماعي»؟

أظنكم تقصدون بالمعتقد مجمل الأفكار حول مجمل القضايا والتي هي في غالب مفرداتها اجتهادية مستنبطة.

في ظني أن هناك تداخلا في التأثير والتأثّر، وليس مهمًا معرفة أيها الأسبق.

وبصفة عامة على مستوى عمر الجيل -العمر الافتراضي العملي لشخص واحد-؛ فإن الأوضاع الاجتماعية لها تأثير على أفكار الشخص أكثر من تأثير الأفكار على تلك الأوضاع، إلا في النادر فيما يتعلق بالنوابغ والموهوبين النوادر الأفذاذ في الأمم والذين يوفّقون لإحداث التغييرات الكبيرة، والله أعلم.

وأما هل الفقير يحب ويختار المذهب الجبري، والجبان يختار الإرجاء؟

فظني أن العلاقة هنا ضعيفة.!

بالنسبة للجبن وضده الشجاعة هي أخلاق، وهي صفات وهيئات راسخة في النفس فقد تجد المرجئ من الناحية العلمية النظرية، شجاعًا في غاية الشجاعة وقد تجد العكس.

ونحن على سبيل المثال نعرف أن كثيرًا جدا من شجعان أمتنا وأبطالها في عصورها الوسطى كانوا من الناحية العلمية النظرية على مذهب الإرجاء في العقيدة، ويمكن إلى حدّ ما التمثيل بالأفغان هنا

أيضا، وحتى بأبطال الجهاد ضد الاستعمار في القرن الماضي كما أشرنا للأمير عبد القادر وغيره.

بالتأكيد أن المذهب العلمي الاعتقادي له تأثير على أخلاق الإنسان والأخلاق تكتسب.

وإن كان أفضلها ما جبل اللهُ الإنسانَ عليه.

ولكن التأثير المعاكس هنا -تأثير الإرجاء على خلق الشجاعة- أضعف بالجملة في تأملي وملاحظتي أن تأثير الخُلُق و«الميولات» على اختيار الإنسان قويّ؛ كالجبان يميل إلى الاختيارات السهلة والراحة وينفر بادي الرأي مما يشق ويصعب ونحو ذلك، والله أعلم..

وأهم شيء أن لا ننسى أن هذه الأشياء هي من جملة الأسباب كما قدمتُ وأنها بين النقم والنعم، والعافية والبلاء، وفضل الله وعدله، وأن التوفيق في النهاية بيد الله وحده لا شريك له.

نسأل الله لنا ولكم ولسائر أحبابنا التوفيق والسداد، جزاكم الله خيرا..

❑❑❑

[السؤال الثالث: ما مكانة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن عبد الوهاب عند الشيخ عطية؟ وبمن تأثر من الأهل والأصدقاء والمعاصرين؟]

شبكة أنا المسلم: كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والأستاذ سيد قطب.. ما مكانتها عندكم وتأثيرها عليكم؟ وهل هناك علماء آخرون أثروا فيكم؟

وفي سياق ذلك، بمن تأثرت: من الأسرة، من الأصدقاء، من عامة الناس، من المجاهدين من الملتزمين، من الجماعات الإسلامية الأخر..؟ وفقكم الله.

الشيخ عطية الله:

بارك الله فيكم أشرتُ إلى أن الأسرة ولله الحمد محافظة متدينة، وكان الأثر الأول للوالد أسعده الله في الدارين؛ فإنه من أهل الخير والتقوى أحسبه كذلك، رغم أنه في فترة لاحقة بعد أن صار لي نشاط في الدعوة وقف معارضا لي إلى حد ما في بعض الطريق، وذلك لأننا كنا دخلنا في بدايات نشاطنا الدعوي في صراعات مع طوائف من الناس كالصوفية القبوريين وغيرهم من أهل الفساد بالإضافة إلى التوجهات السياسية؛ فتسبب ذلك في مشاكل اجتماعية سببت ضغوطا على الوالد، وهو بحمد الله معافىً من فتنة القبوريين والصوفية، والله يعفو عنا وعنه، ونحن طبعا كانت لنا أخطاء وقلة مبالاة

بالخلق وخلافهم أكثر من الحد ربما، وضعف في التجربة بلا شك، واندفاع وحماس الشباب الذي عرف دينه وطالع الكتاب والسنة وفقه الدليل ونبذ التعصب وتنوّر بأفكار أئمة الدعوة وعلماء الإسلام، وقيادات الصحوة المعاصرة، وفتح عينيه في مجتمع منكوس بالفعل؛ المنكر فيه معروف والمعروف فيه منكر إلا ما ندر..! فهذه كانت مرحلة طبيعية، وبعدها صرنا إلى الاعتدال إن شاء الله ومنه التوفيق.

قبل الانخراط في سلك الدعوة كانت معظم مطالعاتي في اللغة والأدب والتاريخ بسبب أن المكتبة في بيتنا كانت تحتوي شيئا أكثر من غيره من الكتب في هذه الفنون، بالإضافة إلى بعض الكتب الدينية الميسرة ككتاب «رياض الصالحين»، ثم حبب إلى قراءة التفسير وكان عندنا نسخة من «تفسير القرطبي». وأما **أول كتاب قرأته في فقه الدليل** وفتح عينيّ على الكيفية الصحيحة لتلقي الشريعة والدين الحق كما جاء به النبي ﷺ فهو كتاب «حجاب المرأة المسلمة» للشيخ الألباني ﵀ رحمة واسعة وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا، وهو أول كتاب قرأته للشيخ الألباني قبل أن نعرف «صفة الصلاة» وغيرها من كتبه، وكانت طبعة قديمة من الكتاب لعلها أول طبعاته، فلما قرأته شغفت به وبمنهجه وأحدث عندي تحولا في الفهم كبيرا.

بعدها بدأ البحث عن الكتب من هذا النوع.. في أثناء ذلك انخرطت في النشاط الدعوي والحلقات وطلب العلم النافع، والنقاشات والمعارك أيضا..!

بالنسبة للكتب التي تأثرت بها في بداياتي تلك؛ فبالعموم كتب ابن القيم، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كـ«كتاب التوحيد» و«كشف الشبهات»، ومن أهم الكتب التي قرأناها واعتمدنا عليها في تلك الفترة كتاب «مجموعة التوحيد» التي تضم رسائل لأئمة الدعوة النجدية ولشيخ الإسلام وغيرهم، ثم كتب سيد قطب كـ«الظلال» «ومعالم في الطريق».

ولا أنسى «المحلى» لابن حزم؛ فإنه سحرني في فترة البداية لقوة محاجته، ولقوة الشغف بالدليل ونبذ التقليد التي تكونت لدينا أنا وبعض الأصدقاء، وحيث أننا لم نكن نملك نسخة منه، فإننا كنا نذهب إلى المكتبة العمومية في المدينة ونجلس فيها الساعات نقرأ في المحلى، كان بالنسبة لنا شيئا مبهرًا وعجبًا، وهو كذلك في الحقيقة؛ على هناته وظاهريته، والله يعفو عنا وعنه وعن سائر المسلمين.

من ناحية الشخصيات العامة التي تأثرت بها؛ فكان هناك بالتأكيد الشيخ الألباني، ثم الشيخ عبد الله عزام -رحم الله الجميع- من خلال أشرطته، بالإضافة إلى بعض مشايخنا والدعاة في بلدنا ذكرهم الله بجميل الذكر، ورحم الله أمواتهم وتقبلهم.

فهذا بعض ما حضرني ذكره من حيث التأثر في بدايات التكوين الدعوي والفكري والعلمي.

وأما على العموم؛ فإن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وفقهه وطريقته ربما تأتي في المرتبة الأولى من حيث تأثري بها، وكل ما سبق ذكره من الكتب والشخصيات لا تزال كما هي من حيث قيمتها عندي، وانضاف إليها غيرها الكثير، ولله الحمد والمنة.

ونسأل الله أن يفتح علينا وعليكم ويرزقنا الهدى والسداد، جزاكم الله خيرا..

❑❑❑

[*السؤال الرابع*: **نقطة التحول من المعارك الكلامية إلى الجهاد عمليًا**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: ما هي نقطة التحول.. من مجرد الدعوة، والمعارك الكلامية مع القبوريين؛ إلى فكرة الجهاد؟ من بلاد المغرب العربي إلى أفغانستان؟ وفقكم الله..

الشيخ عطية الله:

في الحقيقة بالنسبة لي وللكثيرين من أقراني من أهل بلدي؛ لم تكن هناك نقطة تحول في مسألة الجهاد بالمعنى الكامل، وذلك لأن التزامنا وانخراطنا في سلك الدعوة والحركة الإسلامية من بدايته كان على فكر سلفي تغييري قريب من الجهاد، وذلك راجع إلى مسألة كفر الحاكم والنظام الذي يحكم البلد، فهذه المسألة كانت عندنا مسألة متجاوَزة ومفروغ منها من البداية لقوة وضوح أمر الحاكم والنظام وعدائه وحربه للدين ولكون الجميع من علمائنا ومشايخنا لا يختلفون فيه؛ فمن البداية كان الالتزام والانخراط في الحركة الإسلامية يعني بالنسبة للشخص منا: الاصطدام مع الحكومة في يوم من الأيام والسجن والملاحقة وما شابه ذلك، كانت هذه الأمور واضحة تمامًا، ومع ذلك فإن النشأة الأولى بلا شك كانت سلمية دعوية تتفادى قدر الإمكان الاصطدام، وكان الذهاب إلى أفغانستان متاحًا وكان الناس يذهبون من عندنا وكنت من طائفة من الإخوة ترى أن البقاء في البلاد أولى وأفضل للدعوة والتغيير، إلى أن حصلت أمور وأمور وجاءت ظروف وساق الله لنا الذهاب إلى أرض الجهاد.

بلا شك؛ الإنسان ربيب بيئته ولا يمكن أن ينفصل عن زمانه بالكلية، وقد كان هناك أحداث في العالم من حولنا في أول الثمانينات كان لها أثر فينا بلا شك نحن ذلك الجيل، فهناك مقتل «السادات» عام واحد وثمانين، و«الغزو الإسرائيلي للبنان» عام اثنين وثمانين، وعملية «سناء محيدلي»، وغيرها، وكانت هناك أحداث محليّة ومحاولات جهادية لها تأثير خاص ومهم.. كلها أسهمت في صياغة التوجه أو تأكيده، وكانت أشرطة «الجهاد الأفغاني» والشيخ «عبد الله عزام» وغيرها، لها دور كبير في

التحريض والتأثير.

والله المسؤول أن يتقبل منا ومنكم صالح العمل وأن يعفو عن السيئات، إنه جواد كريم، برّ رؤوف رحيم.

❑❑❑

[*السؤال الخامس*: **الجهاد في الجزائر، وخاصة جهاد الليبيين فيها**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: لو تكلمتَ لنا بارك الله فيك عن الجهاد في الجزائر، وبشكل خاص عن الإخوة الليبيين الذين ذهبوا للجهاد مع إخوانهم في الجزائر..

الشيخ عطية الله:

الجواب عن هذا السؤال بابه واسع والكلام يطول فيه، وأنا قد تكلمت عن الجزائر في مناسبات كثيرة، والتكرار والله صعب، وهنا لي مجموعة مشاركات عن الجزائر، ولي موضوع بعنوان «توضيحات في المسألة الجزائرية وقضية الجهاد»؛ فلتراجع ففيها شيء لا بأس به من الفائدة.

وبالنسبة للإخوة الليبيين الذي ذهبوا للجهاد مع إخوانهم في الجزائر -كانوا مجموعة من الإخوة من الخبرات العسكرية-؛ فإنهم كانوا محترَمين موقّرين غاية التوقير من عموم الإخوة المجاهدين، وأما القيادة متمثّلة في «جمال زيتوني» ومجلس شوراه وبعض أمراء المناطق، فكان منهم المحترم لهم والمقدّر لجهودهم والعارف لهم قدرهم كـ«أبي طلحة الجنوبي الأغواطي» و«حسن حطاب»، ومنهم دون ذلك، ومنهم المتضايق منهم كـ«أبي بصير ماكادور» الذي كان مسؤول العلاقات الخارجية عندهم، وعنتر زوابري الذي كان مستشارًا ومساعدًا عسكريا لزيتوني، وهذان الاثنان من أجهل خلق الله وأفسد من رأينا ممن ينتسب إلى الجهاد في الوجود؛ نسأل الله العافية، فأما «عنتر» فقد عرفتم ما آل إليه حاله، وأما «ماكادور» فقد قتلوه وتخلّصوا منه -قتله «عنتر» وأصحابه بعد أن تولى «عنتر» قيادة «الجيا» المنحرفة-. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام].

وبلا شك كانت فترة عصيبة جدًا ومليئة بالأخطار، ولكن الله وقى شرها والحمد لله رب العالمين.

كانت العلاقة بين الإخوة الليبيين وقيادات الجماعة في تصاعد نحو التوتر إلى أن قتلت الجماعة الشيخَ «محمد السعيد» وصاحبه «عبد الرزاق الرجام» رحمهما الله، وادعوا أنهما وقعا في كمين للعدو وقتلا،

وظلوا يظهرون الترحم عليهم، تمثيلًا وتمويهًا.

استمر هذا قرابة الشهرين، ثم بسبب الضغوط من داخل الصف الجهادي ومن الشعب ومن الخارج، مع تسرّب بعض الشائعات أن الجماعة قتلتهم ومع تزايد الشكوك ووجود اللوث -الشبهة المسبقة من الشحناء والعداء والبغض للرجلين- وعدم وجود أي دلائل على وقوع كمين في ذلك الوقت وذلك الزمان المدعى، وغير ذلك.. لم تستطع الجماعة -بقيادة زيتوني- أن تستمر على نفيها قتلهما وادعائها أنهما سقطا في كمين للعدو، فصرّحت وأعلنت أنها قتلتهما وأصدرت بيانها المشهور بـ«الصواعق الحارقة على الجزأرة المارقة» أو كما سمّوه.

ولم يكتفوا بذلك، بل أعلنوا عن تبنّي مشروع كبير لما أسموه تطهير الصف من المبتدعة وأهل الأهواء، وبدأوا حملات اعتقال في صفوف إخوانهم المجاهدين، ووقعت مآسي ومصائب وكوارث يندى لها جبين التاريخ، وتذوب القلوب حسرة من مجرد تذكرها، نسأل الله أن يعافينا وإياكم.

في تلك الأيام كان الإخوة الليبيين قسمان: قسم استأذن «زيتوني» فأذن لهم في الذهاب إلى شرق البلاد، بعد أن عرفوا أن هناك بعض الأمراء الجيدين وبعض معارفهم القدماء في أفغانستان، وذهبوا بالفعل، ولم نعلم مصيرهم بعد ذلك، نسأل الله أن يرحم حيهم وميتهم.

وقسم فرّوا إلى بعض الكتائب التي خرجت على الجماعة بعد إعلانها وتبنّيها قتل الشيخ «محمد السعيد» ولم يبق إلا شخص واحد هو الأخ «صخر» رحمه الله؛ فاستدعاه «زيتوني» على خلفية فرار أصحابه، وحقق معه ثم أطلقه، وكان يقدّره نوعًا ما، واستأذنه في اللحاق بأصحابه الذين ذهبوا إلى الشرق فأذن له، وتوجّه بالفعل، وهو في الطريق جاءت الأخبار بمقتل «زيتوني» -قتل على يد بعض الكتائب الخارجة عن الجماعة المنابذة لها وهي كتيبة «المدية»- وجاءت الأخبار بأن «عنتر» قد تولى قيادة الجماعة، فعلّق «صخر» على الخبر، وقال ما معناه: إن عنتر جاهل ولا يصلح للإمارة، فنقلها بعض الإمّعات المفسدين المتقرّبين للأمراء فاستدعاه «عنتر» من منتصف الطريق، ثم قتله، بعد أن نكلوا به وعذبوه عذابًا على غرار ما نسمع به في سجون طواغيت مصر وأضرابهم، نسأل الله أن يرفع درجته ويعلي قدره في عليين، وحاولوا أن يسجّلوا له شريطا يعترف فيه بشيء يخدمهم، فلم يظفروا منه بكلمة ولله الحمد، فاكتفوا بإشاعة أنه كان جاسوسًا خطيرًا وأن «القذافي» بعثه لإثارة الفتنة في «الجماعة الإسلامية المسلحة».!

أعاذنا الله وكل أحبابنا من الفتن، ولعنة الله على الظالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

❑❑❑

[السؤال السادس: **الغموض الذي يكتنف بعض الشخصيات الجهادية المعاصرة، وعن لقاء الشيخ عطية الله ببعض قادات المجاهدين**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: توجد بعض الشخصيات البارزة على الساحة؛ هناك من يشكك فيها وربما حتى في وجودها على الواقع أصلا، وهذا قد حصل مع الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي؛ حيث أثير منذ فترة أنه مجرد أسطورة خيالية لا وجود لها ولا حقيقة، وأن أمريكا تبرر وجودها في العراق بمثل هذه الإشاعات والأسباب.

وسؤالنا لفضيلتكم: هل سبق لكم وأن التقيتم أو عرفتم عن قرب هذه الشخصيات الشهيرة؟ أسامة بن لادن، أبو مصعب الزرقاوي، أبو الفرج الليبي، أبو مصعب السوري، أبو قتادة الفلسطيني، محمد الحسن بن الددو، أبو بصير الطرطوسي.. وجزاكم الله خيرا.

الشيخ عطية الله:

بخصوص الغموض الذي يكتنف بعض الشخصيات الجهادية المشهورة، من حيث فكرها وفهمها ورأيها في الكثير من القضايا المهمة:

في البداية: أقول إنني اقتصرت في الجواب على قدر السؤال ولم أردْ أن أتوسّع، إرجاء لكثير من الكلام لما يأتي من الأسئلة عن «النزعة التكفيرية» وغيرها، ولذلك تكلمت على من ينفي أو يتشكك في وجود بعض تلك الشخصيات كـ«الزرقاوي» مثلا.

وأما ما دمتم قد سألتم عن «الغموض» والتشكيك في فكر وعقلية الشخصية من تلك الشخصيات؛ فسنتكلم على ذلك بما يفتح الله ﷻ.

فاللهم اشرح لي صدري يسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واهدني وسددني.

قال الأخ: «فالتشكيك في بعض الشخصيات الجهادية ليس من حيث وجودها أصلا، ولكن الاختفاء الذي يفرضه الواقع، ثم صدور بيانات لهؤلاء القادة المختفين تحدث عزلة للجهاد والتيار الجهادي بما يجعل الإنسان منا يقف حائرا أو قل متشككا؛ فيتحدث الناس عن الجهاد والجهاديين والنزعة التكفيرية التي عندهم.. فيأتي بيان من أحد القادة، ، ينفي هذه التهمة ثم يقرر أنه لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ثم تلمح -بوضوح- في بيانه تأصيل النزعة التكفيرية..

يتحدث الناس عن قتل المجاهدين للأبرياء في العراق.. فيأتيك بيان لقائد مختفٍ ليؤصل لهذه

المسألة تحت بند مسألة التترس.

يتحدث الناس عن بغض التيار الجهادي الجديد للعلماء وسلاطتهم عليهم وتضليلهم لهم..» الخ.

فأقول وبالله أستعين:

كلام الأخ منطقي جدًا ومحترم، بارك الله فيه.

وسأحاول توضيح الصورة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب:

هذا الكلام لا ينطبق على المعروفين المشهورين مثل الشيخ أسامة نصره الله وواضح أن المقصود به على الخصوص الأخ «الزرقاوي» وفقه الله.

نعم الاختفاء الذي يفرضه الواقع مع عدم اشتهار الشخصية المعنيّة في السابق، بحيث يعرف أفكارها ومذهبها ورأيها في جمهور المسائل والقضايا، وينضم إلى ذلك بعض الأشياء التي تثري تلك المخاوف ككون الزرقاوي -وهو مثالنا- تلميذا أو صديقا حميمًا للشيخ «المقدسي»، والشيخ «المقدسي» عُرف بتشدده، ومتّهم بنوعِ غلوٍّ في مسائل التكفير وفي موقفه من العلماء، وينضم إليه أيضا كلمات تصدر في بيانات «الزرقاوي» تعطي للناس فكرة أنه يسارع في إطلاق الكفر ويستهين بمسألة التكفير، ويتكلم في أهل العلم بقسوة ونحو ذلك.

فهذه كما ترى مجموعة من العوامل اجتمعت لترسّخ تلك المخاوف عند الناس.

بالنسبة للذي يعرف الأخ «الزرقاوي» وأخلاقه ودينه وأصوله النظرية، فهو أكثر اطمئنانًا ولله الحمد إلى أن هذه الأشياء هي عارضة وليست بالعمق الذي قد يتصوره من لا يعرفه.

فأنا لا أملك إلا أن أطمئن إخواني ومن يعرفني أنه ليس هناك تكفير بالمعنى المذموم الذي عرفناه عند جماعات التكفير، وأن الأخ «الزرقاوي» بحمد الله بعيد جدًا عن ذلك، ولا خوف من بدعة الخوارج أو التلبس بضلالتهم إن شاء الله.

وأن تلك الأشياء التي ترون إنما هي مجموعة أخطاء واتفاقات على درجات متفاوتة، وهي فتنة، قدرها الله؛ فالموفق في تجاوزها من تريّث وتثبّت وأنصف واستعان بالله واعتصم به، فلا يتسرّع في رمي المجاهدين والتنفير منهم، بل يتثبت ويتمهّل، وإن كان لا بد فليقل: إني أخشى كذا وليقل خيرا أو ليصمت.

وأما من يتسرّع ويبدي الاحتمالات السيئة ويظهر الأوهام والتحليلات المخيفة ويجعلها كالعلوم النافعة ويظل يتحدّث عن العمالة للاستخبارات الفلانية والحكومة الكافرة العلانية، ويبرز تلك الشكوك ويكررها، فهذا قد جانب الصواب فعلا وأتى منكرًا، ولم يصنع شيئا في إصلاح ولا دعوة إلى

خير.! وإني أحذّر إخواني من ذلك، وأذكّرهم الله تعالى في المجاهدين وحرمتهم، وحرمة الجهاد الذي يقومون به.. نسأل الله لنا ولكم الصلاح والتسديد.

ومما يدلّكم على صحة ما قلت لكم: أنكم تعلمون وتسمعون تصريح الأخ «الزرقاوي» وإخوانه في التنظيم في بياناتهم بتعظيم دماء المسلمين، والإقرار بأن الشعوب العربية والإسلامية شعوب مسلمة، وأنهم يتوجعون لأحوال المسلمين في كل مكان، ويهبّون لنجدة امرأة مسلمةٍ اغتصبت واعتدى عليها العلج أو الرافضي، ويقدّمون أنفسهم فداء لها، وغير ذلك كثير، وهم بحمد الله يعيشون مع الشعب العراقي ومع باقي الجماعات المجاهدة، ولا يكفرونهم ولا يفسّقونهم ولا شيء من ذلك؛ فكيف يصح أن يظن الإنسان بهم أنهم «تكفيريّون» مع هذا كله..!

ومسألة «التترس» التي تكلم فيها الأخ الزرقاوي واعتذر بها عن إصابة -مقتل- بعض المسلمين أحيانا، مهما خالفته أو وافقته فيها فهي في حد ذاتها دلالة على هذا الأصل العظيم وهو أن شعوبنا مسلمة ولله الحمد، ودماؤهم معصومة محترمة كل الاحترام، ما في ذلك شك.

وعلينا أن نبلّغ إخواننا في «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» وأميرهم الأخ «الزرقاوي» وفقهم الله، أن يبتعدوا عن إطلاق الكفر في المسائل التي لم تتحرّر ولم يكن فيها فتاوى معروفة من علماء مجتهدين، وأن يخاطبوا الناس بما يعرفون، ومعنى ما يعرفون: المسائل المشتهرة والواضحة التي تعقلها وتستوعبها قلوب الناس، ولا تحدثُ لهم فتنةً، وذلك يتضمن الابتعاد عن المسائل المشتبهة والصعبة على الناس والتي قد تسبب لهم فتنة وتشويشًا، وهذا من أصول الحكمة ولا سيما لمن يتصدى للقيادة وسياسة الخلق.. ومن ذلك الكلام في أهل العلم؛ فليكن بأدب كامل وتلطّف واحترام مهما اختلفنا معهم ومهما رأينا العالِم وقف ضدنا فإنه إن كان من الأهل الصلاح -وهو فرضنا هنا- فإن ما يصدر منه محمول على أنه ما أداه إليه.

وبالنسبة للأخ الشيخ أبي بصير الطرطوسي؛ فلم يسبق لي أن التقيت به، ولم أقرأ له إلا مقالاتٍ على الانترنت، ومن آخرها مقال له بعنوان «هؤلاء أخافهم على الجهاد» أو نحو ذلك، وهو مقال جيد، نصح فيه وأجاد، جزاه الله خيرا.

وبقية الأسماء الستة المذكورة للسادة القادة النبلاء والمشايخ الفضلاء والمفكرين والعلماء؛ فقد شرُفتُ بلقائهم ومعرفتهم ولله الحمد، وبعضهم عرفته أكثر من بعض، على تفاوت درجاتهم وتنوّع مواهبهم، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، وغفر الله لنا ولهم جميعا، ووفقهم الله وثبّتهم وفرج كرب المكروبين منهم، وجمعنا بهم في خير حال وأهنئِ بال، في هذه الدار وفي دار القرار.. آمين.

وكون البعض يشكك في بعض الشخصيات المشتهرة منهم ومن غيرهم، فهذا يحصل بسبب عدم الاطلاع، ولكن قد ينضاف إليه عند البعض سيطرة فكرة «المؤامرة» على تكوينه الثقافي، وقد ينضاف إليه عند آخرين غرض نفسيّ وهوىً ومؤثرات أخرى؛ الله أعلم بها.

والذي لا يعرف له عذره إذا اقتصر على نفي علمه وتشكك في الأمر، ونحن لا حيلة لنا كبيرة معه، وماذا نفعل..؟!

ونقول لهم: اسألوا وابحثوا وتبيّنوا، سافروا وارحلوا إلى بلد الرجل واستخرجوا حقيقته؛ فبلده معروف، وأسرته وقبيلته وبيته، ومسجده ومدرسته وزملاؤه، إن كان يهمكم أمره.

وغالبًا مع مرور الوقت تتبين الأمور للناس وتشتهر.

وأظن في أكثر الأحوال أن من ينكر وجود الزرقاوي مثلا ليسوا هم من الناس المهمين والمؤثرين في الأمة الفاعلين على ساحة التغيير فيها؛ فإن وجد من ذلك أحدٌ فهو قليل، ويكون الأمر عارضًا مؤقتا يزول بقليل من البحث والسؤال والتحقيق، والله أعلم.

فالأمور تتبين للمطلعين والباحثين المتابعين المهتمين.. ولله الحمد رب العالمين.

وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه.

❑❑❑

[*السؤال السابع*: **بخصوص سعي طالبان للانضمام لـ«هيئة لأمم المتحدة»**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: شيخنا الكريم؛ هل عندكم معلومات بخصوص سعى «إمارة طالبان» للانضمام لـ«هيئة الأمم المتحدة»؛ فقد تحدثت عن هذا وسائل الإعلام قديما!.

الشيخ عطية الله:

فيما يتعلق بسعي «طالبان» للحصول على مقعد في «الأمم المتحدة»؛ فقد رأيت جوابًا للأخ «المضري» في إحدى مشاركاته على قصرها تفي بمعظم الغرض، قال جزاه الله خيرا: «طالبان كانت تسعى لهذا الأمر في بداياتها، وكانت تعلل الأمر برغبتها في إيصال صوتها للعالم عن طريق كرسي الأمم المتحدة، ولكن الأخوة في القاعدة قاموا بحملات تثقيفية واسعة في أفغانستان ضد هذه القضية انتهت باقتناع قيادات طالبان بشكل نهائي ومن ثم أصدرت قرار سحب طلبها من الهيئة.. راجع مذكرات أبي مصعب السوري حول تلك الفترة» اهـ.

وقوله «الإخوة في القاعدة قاموا بحملات تثقيفية»؛ ليس الإخوة في القاعدة فقط، ولكن كل العرب، وكل الجماعات الجهادية التي كان لها تواجد هناك، والمستقلون، والجماعات غير العربية أيضا كالتركستانيين وغيرهم، والأخ أبو مصعب السوري الذي أحال المضري على مذكراته، موثوق وهو ممن عاشوا القضية بعمق، **وأزيد بعض التوضيحات في نقطتين:**

- **النقطة الأولى**: أن طالبان في بداية الأمر لم يكونوا يعرفون تفاصيل كثيرة عن ماهية الكون عضوًا في الأمم المتحدة، وتصوّرهم كان في غاية البساطة: أنت دولة، فعلى العالم أي الدول الأخرى أن تعترف بك، ولك الحق في تمثيل نفسك وأخذ مقعدك في الأمم المتحدة التي هي مجلس عالمي لكل الدول.. تقريبا هذا هو تصورهم ببساطة دون إدراك كثير من التفاصيل، ولا تستغربوا هذا فطالبان كانوا بسطاء ولا يعرفون كثيرا من الأشياء، ولكنهم تطوروا مع السنين، ونظنهم الآن صاروا أكثر ثقافة عما كانوا عليه من قبل بكثير، وكان للإخوة العرب أثر كبير في ذلك..

ومن الطريف الذي يذكر هنا ما حدثنا به أكثر من واحد من الإخوة الثقات عن الشيخ مولوي «إحسان الله إحسان» وهو من مؤسسي الحركة مع «الملا محمد عمر»، وكان يعتبر الرجل الثاني بعده، وقتل ﵀ في مذبحة «مزار شريف» على يدي قوات الطاغية «دستم»، وكان «إحسان الله» هذا من الربانيين نحسبه كذلك بحسب ما بلغنا عنه، أقول من الطريف أنه قيل له من قبل بعض الإخوة العرب في موضوع الأمم المتحدة، فقال: «هم فسّاق، نرسلُ لهم واحدًا فاسقًا مثلهم يجلس معهم».!

طبعا، طالبان عندهم تورّع مبالغ فيه في مسألة التكفير؛ فتراهم في كثير من الأحيان يكتفون بإطلاق لفظ الفسق لأنهم يستعظمون التكفير.. أعاد الله ملكهم وأعزّهم الله ونصرهم.

وهو أطلق عليهم لفظ «الفسق» بالنظر إلى أن فيهم عربًا ومسلمين، لكنْ الكفار الأصليون طبعا لا يتردد الطالبان أبدا في تكفيرهم والبراءة منهم كأوضح ما يكون، ولله الحمد.

وبعض من أخبرني بهذه القصة قالوا إنه قالها على وجه المزح، ولكن قالوا لي أيضا -وهو مستقربٌ- إنه وإن كان مزحًا من الشيخ إحسان، ولكنه في الحقيقة يعبّر عن عفوية وبساطة الفكرة عندهم: نرسل لهم واحدًا فاسقا مثلهم من فسّاقنا «الأفغان» يجلس معهم!!

وكأن المسألة هي مجرد جلوس، يمشي يأخذ له مقعد ويجلس معهم، المهم أنه يجلس هناك فقط.

ولكن ما داموا فسقة مجرمين؛ فنحن أهل الدين لا نرضى أن نجلس معهم، فإن كان لا بد بعثنا لهم فاسقًا من فسّاق الأفغان.!!

هذه بساطة الأفغان والطالبان، والذي عرفهم لا يستغرب هذا.



- **النقطة الثانية**: أن طالبان كتنظيم كان فيه جناح غير جناح «الملا محمد عمر»، وإن كان هذا الجناح لم يكن قويًا بالدرجة الكافية ولله الحمد، وكان مغلوبًا، لكنه كان موجودًا.

هذا الجناح يتكون من بعض الأفراد ممن يحمل فكرًا منفتحًا -وهذه اللفظة مجملة- وتشرّب شيئا من الثقافة المعاصرة، وزاد انفتاحهم حينما أتيحت لهم بعض الفرص للسفر للخارج وحضور مؤتمرات والسكن في بعض الدول والإقامة في فنادقهم ورؤية بعض الترف بأنواعه، وتكوين علاقات شخصية مع السياسيين في دول عربية وإسلامية أخرى وحتى دول غربية؛ فكانوا يحاولون بعض التغيير في حركة طالبان في اتجاه «الانفتاح» على العالم، والتحوّل إلى «الدولة» -يمكن القول إن طالبان لم تكن دولة بالمعنى الكامل، هي في مرحلة أشبه بالبين بين، بين الحركة والدولة، لكنها أقرب إلى الدولة ولمّا تصرْ دولة بالمعنى الكامل-، وكان من أهم رجالات هذا الجناح: «وكيل أحمد متوكل» الذي كان وزير الشؤون الخارجية في وقت من الأوقات -سلم نفسه الآن للقوات الأمريكية، وتعرّض للإهانة، هداه الله وأصلحه- وغيره، وبالعموم كانت «وزارة الخارجية» هي معقل هذا الجناح.

فهؤلاء النفر أو قل التيار كانوا هم من يحرص على الحصول على مقعد أفغانستان في الأمم المتحدة، وفي التمثيليات الدولية المختلفة، ويحرصون على إيجاد علاقات ديبلوماسية مع كثير من الدول، حتى إنهم حاولوا جاهدين عمل علاقات ديبلوماسية مع القذافي! ويحرصون على إيجاد مظاهر الدولة الحديثة وغير ذلك.

لكن كان الأمر كله متوقفًا على الأمر النهائي من أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ ونصره.. فهم كانوا يحاولون ويشتغلون.. لكن في النهاية الأمر ليس لهم.

والإخوة العرب والأنصار عمومًا جزاهم الله خيرا، كانوا مستوعبين لهذه الأمور، وكانوا يمارسون دورًا مهمًا جدًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على الخير والإعانة على سبل الرشاد؛ فكانوا يتكلمون مع «وزارة الخارجية» وينصحون مشافهة وكتابة وغير ذلك، وكانوا يرفعون كثيرا من هذه الأمور والنصائح إلى «الملا» أمير المؤمنين مباشرة، إما عن طريق اللقاء به أو عن طريق مكتبه وسكرتاريته في قندهار.

فهذا مهم في فهم المسألة والاعتذار عن طالبان فيها.. والله الموفق.

اللّهم انصر عبادك المجاهدين من طالبان وإخوانهم يا رب العالمين يا خير الناصرين.

❑❑❑

[*السؤال الثامن*: **علاقة القاعدة بالعمليات في الدول الإسلامية وأوروبا، وأثر قادة الجهاد في الرد على فكر التكفير والهجرة، والرد على مقولة أن المجاهدين مطية لتحقيق أهداف الغرب، وسبب اتساع الفجوة بين العلماء والمجاهدين**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: **السؤال الأول**: ما يقوم به الشباب المتحمس للجهاد في بلاد الحرمين أوفي غيرها من الدول الإسلامية أو حتى أوروبا.. هل هو بتخطيط مباشر من قادة «القاعدة» أم باجتهادات فردية من الشباب على ضوء التوجه العام للقاعدة؟ ما يعني اقتصار دور القادة على الأبوة الروحية لهذه العمليات ثم مباركتها في النهاية؟

السؤال الثاني: لا يخفى خلط ساحات الجهاد في أفغانستان -أقصد ضد الروس- الحابل بالنابل والغث بالسمين والمبتدع بالمتبع، والسؤال هل كان للقادة -بصراحة- دور إيجابي في مواجهة جماعة التكفير والهجرة -ومن تأثر بهم أو غيرهم من المبتدعة- أو على الأقل عزلهم أو عزل الشباب عنهم؟ أم لا؟.

السؤال الثالث: ما ردكم على مقولة شرّق بها المنافقون وغرّبوا: «أنكم كنتم مطيّة لتحقيق أهداف أمريكا ضد روسيا»؟.

السؤال الرابع: المنخرطون في سلك التيار الجهادي -أقصد المتحمسين أكثر من غيرهم لقضايا الجهاد والمجاهدين- نلاحظ أن هناك فجوة تتسع يوماً بعد يوم بينهم وبين العلماء، حتى وصل الأمر -عندهم- إلى اختزال العلماء الصادقين فيما لا يتعدى أصابع اليدين وربما اليد الواحدة عند البعض، والسؤال: هل تلاحظون معي هذه الفجوة؟ وإن كانت الإجابة بنعم؛ فمن المتسبب؟ وما رأيكم فيمن يعتبر هذه الفجوة إحدى مفرزات الجهاد الأفغاني ضد الروس؟ والسبب قد يكون أيدي مبتدعة أو السبب نظرة الاستعلاء من قبل المجاهدين ونظرة دونية لمن لم يجاهد وربما الزج -بتلابيبه- إلى خندق المنافقين أو المداهنين؟.

الشيخ عطية الله:

جواب هذه الأسئلة مكون من أربعة أشطر:

١ - **ما يقوم به الشباب المتحمس للجهاد في بلاد الحرمين..** الخ!

والله يا أخي أكذب عليك لو قلت لك إنني أعرف..! فالله أعلم.

لكن إنما أتكلم بالظن والتوقّع على ضوء ما نعرف سابقا؛ فظني القويّ والله أعلم أنه لم يكن هناك

تخطيط من قيادة القاعدة -إذا كان المقصود بهم الشيخ أسامة ومن معهم-، وأن الشباب المنتمين للقاعدة والمؤيدين وجدوا أنفسهم مضطرين؛ بسبب سياسات الحكومة المستفزة والظالمة، للمواجهة والدخول في حرب، والحربُ إذا نشبتْ فهي الحربُ!! تتطور وتتغذى من أشلاء أهلها وتنضج بأحقادها وثاراتها وتأتي على ما لا يشتهي العقلاء في كثير من شأنها، ونسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا للإسلام وأهله.

الذي أعرفه ولا أشك فيه أن القاعدة متمثّلة في الشيخ أسامة كانت لا ترى الدخول في حرب ومواجهات مع الحكومات العربية وحكومات بلدان العالم الإسلامي عامة، ومنها والسعودية بل هي أشد وأولى في ذلك، وكان رأي الشيخ تجنّب الصدام مع الحكومات المحليّة، وينهى عن إعلان حرب معها في أي بلد، ويستدل بتجارب الجزائر ومصر وغيرها، وأنا أعلم أنه نصح بذلك الإخوة المغاربة وحتى الإخوة الليبيين، ويأمر بتوجيه كل الجهود لضرب الأمريكان واليهود.

وهذا ما يحملني على القول إن الذي حصل في السعودية كان مما خرج عن الاستراتيجية الموضوعة مسبقًا.. والله أعلم.

٢ - هل كان للقادة دور إيجابي في مواجهة جماعة التكفير والهجرة ومن تأثر بهم أو غيرهم من المبتدعة؟ أو على الأقل عزلهم؟ أو عزل الشباب عنهم؟ أم لا؟

أخي الكريم، نعم؛ الاختلاط حاصل، لكن ليس بالقدر الذي قد تفهمه عبارتك، فبحمد الله الخير كان هو الغالب والأظهر والأقوى، وذلك من فضل الله.. ونعم كان للقادة دور إيجابي وفعّال، وللمشايخ وطلبة العلم وعقلاء الناس في مواجهة مجموعات التكفير والهجرة التي كانت تنبت لهم نوابتُ بين الحين والحين، وغيرهم من المبتدعة أيضا.

كانت المساعي تشمل الدعوة والتفهيم وممارسة شتى أنواع التوعية لهم والنصح والإرشاد والمجادلة والتقويم، ثم الهجر والعزل والأخذ على أيديهم والتحذير منهم ومحاربة شرهم وضلالهم بنور العلم وبالقوة أيضا، وأنا أعلم من طريق صحيحة أن الإخوة في القاعدة أهدروا دم بعضهم -كان بعض الليبيين ممن انحرف وصاروا تكفيريين خوارج- وطلبوهم، وهذا شيء يعرفه الإخوة الذين عاشوا تلك المرحلة.

وبالجملة؛ فهؤلاء الضلال المنحرفون مما كانت تبتلى بهم ساحات الجهاد كما يبتلى بهم ساحات كثيرة من ساحات الدعوة والعمل الإسلامي في أماكن كثيرة، وكان عامة المجاهدين وقياداتهم العلمية والعملية يعرفون خطرهم ويتصدّون لهم، والله الموفق.

٣ – ما ردكم على مقولة: «أنكم كنتم مطيّة لتحقيق أهداف أمريكا ضد روسيا»؟.

أشكر لأخي أنه نسب هذه المقولة الفاجرة للمنافقين أخزاهم الله؛ فهي مقولة لا تصدر إلا من فاجر منافق مخاصم بالباطل، أو في بعض الحالات القليلة من جاهلٍ ضعيف العقل.!

فإن المجاهدين أفغانهم وعربهم لم يكونوا مطية لتحقيق أهداف أمريكا، وإن استفادت أمريكا من ضربهم لروسيا وتحطيمهم للاتحاد السوفييتي بفضل الله، فهذا مما تتقاطع فيه المصالح، ومما يقع اتفاقًا -أي دون تخطيط وإرادة- أو مما لا بد منه؛ فإن الحرب كانت مع روسيا باعتبارها هي المحتل لأفغانستان، وكانت أمريكا عدوًا لعدوّنا فدعّمت الجهاد نوعَ دعم -وليس بالحجم الذي يضخّمه بعض المغرضين-، وكان دعمها أيضا على وجه الفتنة ومحاولة تحقيق أكبر قدر من مصلحتها وضرب أكثر ما يمكن من العصافير؛ فكانت تدعم بعض الجهات الميدانية دون بعض وتحاول شراء بعض الذمم من الأفغان، مستغلة ومجذّرةً الاختلاف بين الأفغان وأحزابهم، لأنها في الوقت الذي كانت تعمل جاهدة لتدمير عدوها الأول في ذلك الوقت وهو الاتحاد السوفييتي كانت أيضا تتحسّب من انتصار المجاهدين المسلمين وهم عدوّ متوقّع عندهم من زمان.. وكان دعم أمريكا غالبه عن طريق الدولة الباكستانية جيشها ومخابراتها، بالسلاح والمعلومات والأجهزة ونحوها، أو عن طريق التجّار، تجار السلاح وسماسرته ولا سيما وأن المنطقة كان فيها ولازال نوع حرية وانفلات في مناطق القبائل الحدودية.

وأما المجاهدون العرب، سواء القاعدة أو غيرها؛ فلا أعلم أنهم تلقوا شيئا من أمريكا أو وقع بينهم تعاون في أي مرحلة من المراحل، هذا لم يكن.

وبالجملة، فالذي حصل كان بمثابة ضرب المسلمين في صدر الإسلام للروم فتستفيد فارس، أو العكس.. وهكذا عندما يضرب المسلمون اليوم أمريكا فتستفيد الصين، وربما سعتْ «الصين» لدعم كل من يضرب أمريكا ويثخن فيها الجراح ويورّطها ويضعفها، ولو أن المجاهدين من طالبان والقاعدة مثلا تعاونوا الآن مع الصين مثلًا وحصلوا على دعم منهما بالصواريخ والخرائط والمعلومات والأجهزة وما شابه؛ فإن هذا من الحرب مما أباحه الله إن شاء الله لا يخالف شريعة الرحمن، والأمر فيه راجع إلى تقدير المجاهدين للنفع والضرّ.. والمجاهدون لو فعلوا فإنهم يدركون أن هذه مرحلة وأن الصين هي أيضا عدوّ -هذا هو الأصل والمتوقّع-، لكنها الآن عدوّ بعيد غير مباشر، وهم -المجاهدون- لا ينسون ثارات الإسلام والمسلمين في تركستان الشرقية وغيرها، وربما لا نبالغ إذا قلنا إن الأصل أن عداء الصينيين الوثنيين للإسلام أشد وأعمق وآصلُ من عداوة أمريكا التي هي أهل كتاب، وإنما هو

اختلاف أحوال العلاقات بحسب الظروف.

وبحمد الله؛ المجاهدون من أفهم الناس لهذه المسائل وأكثرهم إدراكًا لها، وإنما يجهلهم من لا يعرفهم ولم يخالطهم، وعندما أقول «المجاهدون»؛ فإني أعني قياداتهم ومشايخهم وطلبة العلم فيهم وعقلاءهم وساداتهم؛ فإن لكل قومٍ ساداتٍ وفيهم دون ذلك، واعتبر بما جاء في حديث الأنصار: **(قال: ما حديث بلغني عنكم؟)** فقال له فقهاؤهم: «أما ذوو رأينا فلم يقولوا شيئًا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!»[1].

وبحمد الله الطائفة المجاهدة من أكثر الطوائف احتواء على الخير والكمال.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤ - ما رأيكم فيمن يعتبر سوء العلاقة بين المجاهدين والعلماء إحدى مفرزات الجهاد الأفغاني؟

الحمد لله، اللّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

أخي الكريم، إن الذين عبّرت عنهم بالمنخرطين في التيار الجهادي هم كما تعرف ليسوا شيئا واحدًا ولا هم شيء منضبط بحدّ تمام الانضباط، وهم درجات متفاوتة لا يعلمها إلا الله، وبالتالي فإن المحاسبة لهذا التيار كسائر أمثاله من الطوائف والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية في أي أمة أمرٌ ليس باليسير، وتكتنفه مخاطر من عدم الدقة وتضييع العدل الواجب، وغالب الأخطاء في هذا الباب كما هو معروف تأتي من قبل التعميم والإطلاق، بالإضافة لشيء ربما هو خاص بأهل الجهاد وهو طبيعة عملهم في كثير من الأحيان والأحوال التي تستوجب السرّيّة والكتمان وما شابه ذلك.

هذه مقدمة لا بد منها.

أخي الكريم، إن إشكالية الفجوة بين أهل العلم وأهل الجهاد هي إشكالية حقيقية وموجودة، وهي واقعة بحق وبباطل، وعلى تفاوت أيضا بين ناحية وناحية، ولكن محاولة حصر المتسبب فيها في طرف واحدٍ ليست -في نظري- صائبة، والبدء في تناول القضية على هذا النحو يزيد في حجم المشكلة ولا يعالجها.

والذي تحصّل عندي أن الأسباب متعددة، وهي راجعة في معظمها إلى تراكم أخطاء من الطرفين.

وهي قضية من جملة الفتن التي ابتلانا الله تعالى بها في وقتنا هذا، ولله ﷻ الحكمة البالغة، وإلى الله ترجع الأمور.. هناك أخطاء واقعة من أهل الجهاد وهناك أخطاء واقعة من أهل العلم.

---

(١) صحيح البخاري (٣١٤٧)، صحيح مسلم (١٠٥٩).

وإن تتبع ذلك وحصر أفراده -الأخطاء- ليس مهمًا في نظري، ولا يوصل إلى نتيجة مفيدة ولا إلى إصلاح، كما إن محاولة البحث عن الطرف البادئ بالخطأ هي أيضًا ليست ذات فائدة كبيرة، مع صعوبتها، ومع ما تسببه من إيغار الصدور ونبش المدفون، وليس شيء كالستر والعفو.

ومحاولة إلقاء اللوم على طرف دون آخر هو في كثير من الأحيان مزلةٌ، والكلام فيه لا يخلو غالبًا من نوع من التعصب أو الميل إلى طرفٍ، بحسب كل إنسان وما يعيشه من المؤثرات.

وإنني أقول لإخواني كلمة، باعتبار أني عرفت طوائف عديدة من المجاهدين والتيار الجهادي: إنني بإذن الله لا يذكر لي أحد خطأ للمجاهدين إلا ذكرتُ له خطأ مقابلًا له للطرف الآخر، مثله أو مقاربٌ له أو أكبر منه.!

وهكذا إذا قال قائل من يمثّل الطرف الفلاني فيقال له: ومن يمثّل الطرف الآخر؟!

وإذا كان لا بد من ذكر أمثلة من الأخطاء من الطرفين؛ فإن ذلك لضرورة تفهيم المسألة وأن المسؤولية موزّعة بينهما، وإذن فنحن إذا ذكرنا شيئا من تلك الأخطاء فإنما نذكر منها ما نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، ولن نبحث في: **من البادئ؟**

وسننطلق إلى المطلوب الأعظم والمقصود الأهم وهو: إصلاح ذات بين المسلمين، وإيجاد التلاحم والترابط والتعاطف والتراحم والتوادد والتحابب والتعاون والتضامن والتكافل، والشعور بالجسد الواحد، والبنيان المرصوص بين أهم طائفتين مأمولتين لتحقيق عز الأمة واستعادة مجدها وكرامتها وصيانة شرفها ورفعتها وهما: أهل العلم وأهل الجهاد.

وأما اعتبار «هذه الفجوة إحدى مفرزات الجهاد الأفغاني ضد الروس» فهو خطأ! وهي مقولة فيها غموض، وأخشى أنها تشير إلى نوع فساد في التصوّر.!

فإن جملة «إحدى مفرزات» يفهم منها أن للجهاد الأفغاني مفرزات أخرى، ولعل بعضها أسوأ من هذه -عند ذلك القائل-، وكلمة مفرزات هي في عرفنا مستعملة على الأكثر في السيّء والذي لا يحبّذ؛ فأخشى أن قائل ذلك هو أصلا ممن يرون الجهاد الأفغاني كان مفسدة على الأمة برمّته.!!

نسأل الله السلامة، ونعوذ به من الضلالة.

بل الجهاد الأفغاني شامة في جبين الأمة، وصفحة مضيئة في تاريخنا المظلم في العصور المتأخرة، ونقطة تحوّل في طريق نهضة أمتنا، أحيا به الله تعالى مواتًا شاسعًا من جسد أمتنا، وفتح به طرقًا للخير والعزة والكرامة والتجربة، وهو كان مدرسة عُليا للجيل بل لأجيال قادمة، وأظهر للأمة مكنونات قوتها، وأنار دربَها بالأمل بعد اليأس، فالأمة اليوم بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا الجهاد المبارك أقوى

عودًا وأصلبُ وأعزّ وأكرم، وأكثر استعدادًا لنيل المكرمات، ولا خوف عليها إن شاء الله من عدوّ خارجيّ، وهذا ما فهمه قادات الجهاد وكثير من أهل العلم ولله الحمد.

فبارك الله في هذا الجهاد وفي أهله، وأرغم الله أعداء الجهاد.

وفي الحقيقة، مدة الجهاد الأفغاني للروس ثم للحكومة الشيوعية المرتدة في كابل، كانت مرحلة تواؤم وتعاون وتلاحم بين الطائفتين -أهل العلم وأهل الجهاد- وكان العلماء الصالحون الموثوقون من قبل جماهير أهل الحركة الإسلامية كلهم مع الجهاد تقريبا إلا ما شذّ، وكان الاحترام المتبادل والتحابب والتعاون والتشاور بين الطائفتين غالبًا ظاهرًا..

نعم وجدتْ منغّصات واستثناءات.! وجد نوع افتقاد للعلماء في ساحات الجهاد يقودون ويعلّمون ويرشدون، وقد كانت الفرصة متاحةً أيما إتاحة، ووجد من أهل العلم من أساء إلى المجاهدين وقصّر، وما عرف كيف يدعو ولا يقود شباب الأمة الصاحي الملتهب المتوقّد حماسًا المتوثّب للبذل والتضحية والفداء في سبيل هذا الدين وشرف هذه الأمة.

كما وجد من المجاهدين من ينظر باستعلاء لمن لم يجاهد من أهل العلم، ويصفهم بالقعود والركون إلى الدنيا والخلود إلى الأرض واختيار الترف ونحو ذلك.!

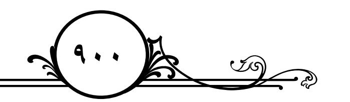
ووجد من يغالي في نقدهم بأنواع المؤاخذات، ويسيء الظن والأدب.

ولكن كل ذلك كان هو الشذوذ والاستثناء، وكان الخير غالبا كما ذكرتُ، بحمد الله تعالى.

وهذا لا يخدم مقولة ذلك القائل إن المشكلة هي من «إفرازات الجهاد الأفغاني» لأن أي جهاد وقع في الأمة في أي مرحلة من مراحلها -حاشا الصدر الأول- كان يمكن أن يكون فيه كل ما ذكرناه، بل كان فيه بالفعل فهو شيء طبيعيّ؛ أخطاء من الناس من هنا وهناك.

لا إفرازات الجهاد الأفغاني ولا غيره.. ولو لم يكن الجهاد الأفغاني لكانت في غيره ما دام هناك جهاد وهناك صراعات وهناك احتكاك بين الناس في أي مجال في دعوة أو علمٍ أو جهادٍ، وما دامت هناك فتن ومحكات وابتلاءات وامتحانات.

وهذه الأخطاء المشار إليها تراكمت ونفخ فيها المبطلون والمنافقون والأعداء، وازدادت الفجوة بعد الحادي عشر من سبتمبر باعتبار أن تنظيم القاعدة يتزعم الحركة الجهادية العالمية، وقد وقع من التنظيم نوع انفراد بالأمر -ضربات ١١ سبتمبر-، وفاجأ العالم، وشعر كثير من أهل العلم أنهم لم يستشاروا وأن «القاعدة» استبدت بالأمر وافتأتت على الأمة وأدخلتها في حرب هي لم تستعد لها، ثم كان من تداعيات الحدث وقوع انقسامات بين العلماء أنفسهم وبين قسم منهم وبين أهل الجهاد،



ووقوع ضغوط على أهل العلم ومخاوف وإرهاب من طرف الحكومات وأمريكا، ووقوع فتن وتمييز واختبارات صعبة، أدت في بعض ما أدت إلى أن اختار بعض أهل العلم المقاربة أكثر وأكثر مع بعض الحكومات التي هي عدوّ للمجاهدين اجتهادًا منهم وإرادةً للتخفيف مما رأوه حملةً شرسة تتهدّد الأمة والحركة الإسلامية، بل اختار بعضهم نوعًا من المداهنة والملاينة للغرب، واختط بعضهم لأنفسهم خطًّا يدعو إلى التسامح والتعايش مع أعداء الله من الصليبيين، وصدرت من بعضهم أقوال ومواقف غير مرضيّة، ووقعت أشياء وفتن.. وكان ذلك كله يؤثر في أهل الجهاد وجماهير المتعاطفين والمناصرين والمحبين لهم وقواعدهم الشبابية في أوساط الأمة وعمقها الذين هم وقود الحرب، كان يؤثر فيهم سلبًا ويصيبهم بالإحباط ويزيدهم نفرة من الكثيرين من أهل العلم الذين كانت تربطهم بهم علاقة جيدة في الماضي؛ فربما تكلموا فيهم وربما اتهموهم وربما نبذوهم وأهملوهم.. وهكذا اتسعت الشقة بين الفريقين، وتباعدت المسافة بين الطائفتين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وله الأمر من قبل ومن بعد.

ويظهر هذا الأمر أكثر ما يظهر في السعودية، وأما في غيرها من بلاد العالم فالكثيرون من أهل العلم ما زالوا على ما كانوا عليه من مواقف، المحب والمؤيد محب ومؤيد، والمتارك المشتغل بنفسه كما هو، وما دون ذلك، أغلبهم لم يتغير موقفه شيئا كبيرًا؛ بل في بعض البلدان ازداد أهل العلم تقاربًا مع المجاهدين ومحبةً لهم وتعاونًا معهم كما هو الحال في باكستان وغيرها.. لكن الانقسام الحاصل إنما يظهر بصفة خاصة في بلاد الحرمين.

وازداد الطين بلة بوقوع الحرب بين طائفة من المجاهدين والحكومة السعودية وما جرى فيها من بعض الأحداث.

نسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا للإسلام وأهله، وأن ينصر أهل الحق ويفرج كربهم، وأن يبرم للأمة أمر رشدٍ..

وبحسب ما أعرف فإن المجاهدين لم يختصروا العلماء الصادقين في عدد قليل، هذا تقرير غير دقيق، وهذا الظانّ لذلك لعله انحصر نظره في بلاد الحرمين فقط، فلو سلّمنا أن ذلك حصل من الإخوة المنتسبين إلى الجهاد والقاعدة في بلاد الحرمين، فليس هو كذلك بلا ريب في سائر البقاع والساحات.

والمسألة لها تصويران:

فمن حيث المبدأ: فإن المجاهدين يسلّمون بحق العلماء ودورهم وعظم منزلتهم وشرفهم في الأمة، وأنهم المرجع في الفتوى ومعرفة الحلال والحرام وسائر أحكام الشريعة، ويستفتونهم في نوازلهم

ويقرّون أنهم لا يخرجون عن إجماعهم، ولا يستغنون عن دلالتهم وعلمهم والنور الذي آتاهم الله..

ومن حيث التطبيق والحاصل في الواقع: فإن المجاهدين لا يلجؤون في الاستفتاء والمشاورة ونحوها إلا لمن وثقوا فيه، وعرفوا حسن ديانته وورعه، ومعرفته بالواقع الذي يعيشونه أو شبيهه.

وهذا حق لهم، لا مطعن فيه إن شاء الله ولا لوم عليهم فيه.

أما الثقة وحسن الديانة والورع، فمن أكبر ضوابطها: البُعد عن الطواغيت، والبراءة من الانغماس في موائدهم والافتتان بفتنتهم والتلبس بمصاحبتهم ومودتهم والثقة فيهم..!

وأما المعرفة بالواقع فهي معروفة، وأمرها أخف من سابقه، ومجالها أيضا مخصوص بما كان من غير الأمور الشرعية المحضة، وبما دقّ من مسائل السياسية والحرب والإدارة ونحوها.

وهذا كما ترى، فيه شرح لقولي في الأعلى: «وهي واقعة بحق وبباطل».

وأنت تعلم أخي الكريم أن المجاهدين لا يمكن أن يأتوا إلى عالم يثني على الحكام الطواغيت -الواضحين، حتى نخرج من الخلاف في البعض- ويدعو لهم في كل مناسبة، ويدخل عليهم ويقبل مننهم وأفضالهم ويثني عليهم الخير، ويراهم أئمة شرعيين ويأمر الناس بطاعتهم وموالاتهم، ويعلن ولاءه لهم واستعداده لمحاربة من يحاربهم، وما شابه ذلك وقاربه..!

وكذلك أيضا لا تتوقع من المجاهدين في أي مكان في شرق الأرض وغربها أن يأتوا إلى شيخ يزعم أننا علينا أن نضع أيدينا في أيدي الحكومات ونحافظ على الأمن في بلادنا ونفوّت الفرصة على الغرب المتربّص ويتكلّم عن التعايش السلمي الأممي، وأن الإسلام دين الرحمة!! -وهو كذلك، لكنه أيضا دين تكفير الكافرين والبراءة منهم وحربهم والغلظة عليهم- ودين التسامح! وأننا في العراق مثلا يجب أن نحافظ على الوحدة الوطنية، ونبتعد عن «الأحلام» يعني السعيَ لتحقيق دولة تحكم بالإسلام، وأنه لو سلّم بدور للمجاهدين هناك فإن دورهم يقتصر عنده على طرد المحتل فقط، وعلينا أن نتحد مع الشيعة -الروافض-، ويطلق القول بتحريم قتل العراقيّ لأخيه العراقيّ مهما كان، والجزائريّ -في الجزائر- لأخيه الجزائريّ..!!

لا تتوقع أخي الكريم أن يأتي المجاهدون لشيخ مثل هذا ويستفتونه ويستشيرونه؛ هذا مستحيل..!

وليس من الإنصاف أن نطلب منهم ذلك، وإنما كل ما نطلبه هو أن يعذروا أمثال هؤلاء، ويلتمسوا لهم العذر في التأوّل والاجتهاد وإرادة الخير، ويحسنوا الظن بمن عُرف صدقه منهم وسابقته وحسن بلائه في الإسلام والدعوة إلى الخير ونصحه للأمة، ويقولوا: غفر الله له وعفا الله عنه، وهو أخونا رغم هذا كله وشيخنا، وهذه زلّة نجتنب قوله فيها، ولا نبخسه حقه، بل نعرف له فضله، وندعو له

بالصلاح والغفران.

مثال: فمثلًا ليس من الإنصاف إذا رأت قيادات المجاهدين الذين مارسوا العمل الجهادي -وهو عمل سياسي اجتماعي- وهم أهل الحرب والسلاح إذا رأوا مثلا أن يدعوا الشباب للنفير إلى العراق مثلًا، أن يعارضهم أحدٌ بقول العالم الفلاني، الذي يقول لا تذهبوا إنها محرقة وما شابه ذلك من التعليلات..!

هذا خروج عن الاختصاص أيضا، وتجاوز للحدود في ظني، وقصاراه عند المنصفين أن يكون رأيًا لصاحبه يحترم حقّه في إبدائه والنصح به، لكن لا يحقّ للبعض أن يجعل كلام هذا العالِم كالحجة، ثم يعيبُ المجاهدين بأنهم لا يسمعون كلام العلماء!! هذا، والله أعلم.

يبقى تنبيه: وهو أنه عندما تأتي للتطبيق على أرض الواقع تجد أن هذا مما يختلف فيه المجاهدون من ناحية إلى ناحية، ومن جماعة إلى جماعة، وتجد من المجاهدين مَن يميل إلى الشدّة ومَن يميل إلى اللين، ومنهم من يخطئ في تقويم المواقف وفهمها وتفسيرها والحكم عليها ويتسرّع ويسيء الظن، وهناك المسدّد الحكيم المنصف، وهكذا، وهو شيء طبيعي في البشر، والله وليّ التوفيق.

وهنا أختصر وأذكر بأمور:

- أنني اختصرتُ وأجملتُ، ورأيي أن الغوص في تفاصيل الأخطاء ليس من الحكمة.

- أن الفجوة بين أهل العلم وأهل الجهاد، لم تصل إلى حدّ الانقطاع النهائي ولله الحمد، بل هي نفرة بين الإخوة والأحباب نرجو أنها تعود إن شاء ألفة وتراحما عما قريب.

- أن تلك الفجوة والانفصام إنما هو نسبيّ في كل بلد وناحية بحسبها كما تقدت الإشارة.

- أن القول بأن المجاهدين اختصروا العلماء في أنفارٍ معدودين لا يتعدّون أصابع اليدين غير صحيح، بل الذي أعرفه وأؤكده أن مجاهدي القاعدة ومن قاربهم -أفغانستان ووزيرستان، والعراق وغيرها- مازالوا مستعدين لمشاورة كثير من العلماء والأخذ منهم وقبول قولهم واستفتائهم، وإنما الظروف الصعبة الراهنة تعوق دون أكثر ذلك، وهم يحفظون للعلماء الأخيار الصالحين الناصحين حقهم وفضلهم وإن اختلفوا معهم في قليل أو كثير.

- أن الأمور الآن فيها كثير من الاختلاط والصعوبات الأمنية وصعوبات الاتصال، ومن الصعب جدًا أن يحدد الإنسان الجهة التي تمثل المجاهدين الفلانيين والتي لا تمثلهم؛ فينبغي التثبّت والاحتياط وعدم التسرّع، وكذا العلماء عليهم من الضغوط ما هو معلومٌ وكثير منهم يسكت أو يورّي.

- أن لكل واحدةٍ من الطائفتين اختصاصها وما هي أولى به من غيرها.

- أن كل الذي يجري إنما هو من جملة الابتلاءات والفتن والمحن، فلا يغيبنّ عنا ذلك ونحن في خضم الأحداث، ولنكن منه على ذكر، ولنعلم أننا عبيد لله تعالى في النصر والهزيمة والسراء والضراء وفي كل حال وحين.

- وأن هذه الكربة والغربة عما قليل إن شاء الله تزول وتنفرج، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

فأوصي نفسي وإخواني بالتؤدة وعدم الاستعجال، والتشبث بالولاء الإيماني، والنظر إلى اليوم الآخر؛ فهو رأس المال ومن فاز فيه فقد فاز.

- أن المقصود الأهم والمطلب الواجب علينا السعي فيه بكل قوة الآن هو إصلاح ذات البين، وبذل كل الجهود للاتصال بالعلماء من جهة وبالمجاهدين من جهة أخرى للإصلاح والتبيين والتوضيح ورأب الصدع ووصل حبل المودّة، واستعمال كل الوسائل المشروعة في ذلك، ومنها حتى الكذب للإصلاح، على الحدّ الذي رخّص لنا فيه الشرعُ، وقبل ذلك وأولى منه استعمال الستر والتعافي والتراحم والكف عن تكرار ذكر المعايب من الطرفين، بل إشاعة المحاسن وحسن الظن والرجاء في الخير.

أيها الإخوة الكرام، لقد مرّت أمتنا عبر مراحل تاريخها بمشكلات اجتماعية وثقافية كبيرة أكبر من هذه وأشد تعقيدًا؛ لقد سيطرت على الأمة بكاملها تقريبا على مدى عدة قرون الفُرقة والتناحر والتدابر بين أهل المذاهب الفقهية الأربعة، ولا سيما بين الأحناف والشافعية، ثم بين الشافعية والحنابلة في بغداد والشام ومصر وغيرها، ومرّت عليها مشكلة التناحر العقدي الكلامي ولازالت آثاره وبقاياه ولن تنتهي، ومرّت عليها مشكلة إغلاق باب الاجتهاد، ومرت عليها مشاكل وفتن اجتماعية وسياسية لا تعدّ ولا تحصى..!

كان أسعد الناس في كل تلك المراحل وأنجاهم من الفتنة أهلُ البصيرة المتمسّكون بالحق على هَونٍ، الباحثون عن الحكمة حيثما وجدوها أخذوا بها، الساعون في الإصلاح، والغاضون عن بعض ما يرون مما لا يرضون ترجيحا لخير الخيرين ودفعا لشر الشرين، والآخذون بالرفق واللين مع إخوانهم.

أكتفي بهذا القدر.. وأستغفر الله العظيم من كل ذنب.

ونسأل الله أن يصلح ذات بيننا ويفرج كربنا ويسددنا للخير والبر والتقى، وأن يبرم لأمتنا أمر رشد وعزّ ورفع.

❑❑❑

[السؤال التاسع: ذكر بعض المفاسد التي تجعل بعض الدعاة يدعو إلى عدم الذهاب للجهاد في العراق وأفغانستان.. ومناقشتهم]

❁ **شبكة أنا المسلم**: إن لكل عمل مصالح ومفاسد؛ فما هي «المفاسد» الطاغية على المصالح التي تجعل كثيرا من الدعاة - ممن عرف بصدقهم ونصحهم للأمة - ينصحون الشباب بعدم الذهاب للجهاد بالعراق حالياً وقبله إلى أفغانستان؟

الشيخ عطية الله:

الحمد لله..

في البداية لا يخفى عليكم أن الكلام هنا من الرأي والاجتهاد، والعلماء والدعاة وكذلك المجاهدون جزاهم الله خيرا جميعا، كلهم بذلوا النصح للشباب وللأمة بحسب ما رأوا أنه الأفضل والخير، وقد تختلف الآراء هذا شيء عاديّ.

وما فهمته من كلام بعض هؤلاء المشايخ الدعاة الأفاضل المشار إليهم أشياء:

- **منها**: الخوف على شباب الإسلام من أن يستحرّ فيهم القتل بسبب عدم تكافؤ القوى بيننا وبين العدو -أمريكا- ولا سيما بالنظر إلى قوة أمريكا الجوية؛ فيخافون أن تحصل مقاتل عظيمة بالجملة للشباب المسلم عن طريق القصف بالطيران كما حصل شيء من ذلك في أفغانستان، وأن ذلك لو حصل فإنه يكون قد حصل من دون مقابلٍ من منفعة راجحة معتبرة، وهو قول -في رأيي- لا يخلو من وجاهة واعتبار، مع تعديل سأذكره إن شاء الله.

- **ومنها**: الخوف من أنه لو فتح الباب على مصراعيه للشباب للذهاب هناك، وذهبوا بالفعل وكثروا قد يكون لهم دورٌ سيء في الساحة هناك -العراق- بالنظر إلى تعدد مشارب شبابنا بحسب بيئاتهم وثقافاتهم ومدارسهم الدعوية والفكرية وغيرها، ويقولون إن هذا قد يسبب بلبلةً في الساحة هناك ويؤدي إلى فتن أو مرج فكري وما شابه ذلك! وهذا الملحظ ضعيفٌ لا يعوّل عليه.!

- **ومنها**: الخوف من التكفير؛ يعني أن الشباب إذا ذهبوا هناك يخشى عليهم أن يتشرّبوا ما يطلقون عليه «التكفير» والغلو، وهم -أي هؤلاء الفضلاء المشار إليهم- يرون أن ساحات الجهاد هي من أكثر الساحات التي ينشأ فيها وينمو فكر التكفير، وهو -أي هذه الجزئية الأخيرة- كلام فيه شيء من الصحة، لكن الاحتجاج به لمسألتنا غير صحيح كما سأوضح.

- **ومنها**: الخوف من أن الشباب لو ذهبوا هناك فإنهم يرجعون بعد فترة -كما حصل مع العرب الأفغان كما يسمونهم- وقد تدربوا وتعلموا فنون الحرب والقتال والشجاعة والإقدام واكتسبوا خبرات، ويُخشى من أنهم يقدمون على أفعال وإشعال حروب وصراعات في بلدانهم المختلفة في غير وقتها ومن غير دراسةٍ ومن غير إذنٍ من أهل العلم، ونحو ذلك، وأن ذلك لو حصل فإنه مفسدٌ للمشاريع الدعوية والإصلاحية التي يتبنّاها كثيرٌ من أولئك الفضلاء ويرعونها.

- **ومنها أشياء دون ذلك**.. وما ذكرته هو الأهم مما عرفناه من رأيهم.

وقد توجد أشياء ودواعي نفسية قد تغلب على بعض مشايخنا أحيانًا ويقوى اعتبارها في تصوّره بسبب كثرة لهجه وانشغاله بها، بل وتماهيه معها أحيانا؛ كمن تغلب عليه مخاوف فساد مشاريعه الدعوية والتربوية والإصلاحية أو كمن يتبنّى منهجًا معينًا تحت شعار معيّن كالتصفية والتربية ونحوها فيؤثر في قراراته ويقع تحت تأثير مشروعه وبرنامجه وتكون قراراته وآراؤه تفتقد إلى حرية في النظر والاختيار إلى حد ما، بل أسيرة فكرة معينة وبرنامج مخصوص، وهذا واقع لمن عرفه وتأمله.. والإنسان مهما كان عرضة للمؤثرات.

وكذا المجاهد المولع بالجهاد هو عرضة لمثل ذلك، وربما أشد، وقد رأينا من هذا أشياء؛ فإن بعض أهل الجهاد يتحول الجهاد عنده إلى ما يشبه روحه ومهجته ويختلط حبّه والتعلق به والشغف بميادينه بدمه ولحمه وشحمه، فيكون مأسورًا له، وتكون اختياراته فيها ميل مسبّق إلى الحرب والقوة والسلاح والغلب والنزال وصهوات الخيل وما ناسب.!

فهذا في الطائفتين، وهو ليس بحثًا في النوايا أو تنقيبا عن القلوب.

بل هو مما يعرف من معاشرة الناس، مع سبر مواقفهم وآرائهم واعتبارها.

وليس هو عمدةً في المحاجّة.. بل الحجة في الدليل على كل حال.

وإنما فائدة معرفة ذلك الاعتذار للناس على اختلاف مشاربهم، ومعرفة أقدارهم وتعليل اختياراتهم لمن وقف على ذلك.

وشرط الاستفادة من ذلك: عدم التسرّع في الحكم على الناس به، أو تصنيفهم على أساسه، ولا اعتباره هو العمدةَ؛ بل العمدة كما قلتُ هي الدليل والبرهان.

وليس شيء كالعدل والإنصاف والسعي لتحقيق الحق في كل أمرٍ بالبحث والتشاور والاستعانة بالله، والتوفيق بيد الله تعالى وحده.

طبعا نحن -للتذكير- نتكلم عن العلماء والدعاة الخيّرين الصالحين المعروفين بنصحهم للأمة

وحسن بلائهم في الإسلام، ولسنا نتكلم عن المنافقين أو من باعوا دينهم بعرض قليلٍ وهم معروفون.

كما أننا عندما نتكلم عن المجاهدين نعني أهل الصدق منهم المعروفين بالاستقامة والعدالة والخير والنصح للأمة والشفقة عليها.

والذي أراه، والله أعلم، وأظنه الوسط العدل، وهو ما تحصّل لي على ضوء المعلومات المتاحة:

أن المجاهدين يحتاجون إلى نوعيات معينة الآن وليسوا محتاجين للأفراد المقاتلين لمجرد القتال، فعندهم من ذلك البركة إن شاء الله، فهم محتاجون لأصناف منها:

- طلبة العلم والمشايخ والعلماء والدعاة والمربّون.
- مهندسون وخبرات عسكرية، ولا سيما في المتفجرات والاتصالات ونحوها.
- خبرات سياسية وعسكرية وقيادية تعينهم.
- في وقت سابق قالوا إنهم بحاجة إلى «استشهاديين» أي من يريد أن ينفذ عملية استشهادية واستعد لذلك واطمأنت نفسه لها، والآن لا أدري هل لا تزال الحاجة قائمة، محتمل.
- بالإمكان أن يكون هناك حاجات أخرى مثل الأطباء وغيرهم، لكن هذا ما عرفته.

فهذه النوعيات المشار إليها وما شابهها مما يقول قيادات المجاهدين إنهم يحتاجونها؛ فنحن ندعوها للذهاب ونحثّها عليه، بل نرى أنه قد يتعين على الواحد منهم إذا لم تحصل الكفاية في بابه ولم يكن له عذر معتبرٌ يمنعه من الذهاب.

وهذا القول هو قول بعض علمائنا، وهو ما أعرفه من رأي عامة الجماعات الجهادية في مثله.

يضاف إليه أنه قد يوجد عند بعض المسلمين سبب خاص؛ فيؤمر بالذهاب للجهاد، كمن فرّ من ملاحقة عدوّ ظالم وطاغوت كافرٍ وضاقت عليه الأرض، ففي سوح الجهاد ملجأ له وتفريج لهمه وإذهاب لغمّه، ونحو ذلك.

وخلاصة القول: أن هذه المسألة المرجع فيها إلى تقدير قيادات الجهاد وأهل شأن الحرب في الميدان، بحيث يقال لهم:

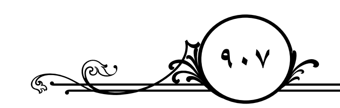
هل أنتم محتاجون للمسلمين (للرجال المقاتلين منهم) أن يأتوا إليكم ويساعدوكم؟

أم حصلت عندكم الكفاية لقتال عدوّكم؟

أم ماذا تريدون وتطلبون من إخوانكم المسلمين البعيدين عنكم؟

فما يقوله قيادات الجهاد وأولو أمره هناك فهو المعتبر، وعلى أساسه يكون الحكم.

توضيح الرأي: وهذا مبناه على أصل واضح معلوم وهو: أن العدو الكافر الصائل إذا قصد بلاد



الإسلام أو دخلها فإنه يجب على أهل تلك البلاد ومن أمكنه الدفع معهم ممن قاربهم أن يدفعوه بما استطاعوا؛ فإن عجزوا أو قصّروا اتسعت دائرة الوجوب إلى من حولهم ثم من حولهم إلى أن يعمّ الفرضُ الدنيا كلها إن لم يقم به من يكفي.

وهذا أصل محكم وإجماع ثابت لا مطعن فيه؛ فهو حكم الشريعة وحكم الله لا مرية فيه.

فهو الأصل، وإنما ننتقل عنه حين يقول لنا من وقع عليهم الاعتداء -أهل الثغر- وأولو الأمر من المجاهدين في ذلك الثغر إننا الآن حصلت لنا الكفاية إما مطلقا، أو في الجانب الفلاني والجانب الفلاني.

فإذا علمنا أن المسلمين المعتدى عليهم، والمجاهدين القائمين بالدفع وقتال العدوّ الصائل، يقولون لنا: نحن نحتاج إليكم ويطلبون منا المساعدة بالمقاتِلة؛ فهذا معناه وجوب النفير حتى تُسَدّ خلّتهم وتقضى حاجتهم، وإذا علمنا منهم أنهم لا يحتاجون إلى المزيد، وأنهم اكتفوا، بل إن الزيادة ربما تثقلهم وتعيقهم ولا تنفعهم، فعندها نقول للناس: مكانكم، لا يذهب أحدٌ.

وهكذا، إذا قالوا لنا: نحتاج كذا وكذا من الناس، كان بحسبه.

فهذا إن شاء الله هو الصواب في المسألة.

وإما إطلاق النهي عن الذهاب، فليس بصواب.

وكذلك إطلاق القول بوجوب النفير على الناس كلهم ليس بصواب، والله أعلم.

فإذا تقرر هذا؛ فإن أكثر استدلالات المشايخ الكرام المشار إليها، مما لا يسلّم ولا يُوافقون عليه.

بيانه: أن المخاوف المذكورة إنما هي «مخاوف» وهي كالوهم لا اعتبار له هنا في مقابل الحكم الشرعي المذكور -الإجماع-، وفي مقابل المصلحة الراجحة العظيمة المرجوّة بنفير المسلمين لمساعدة إخوانهم، مع العلم بأن دور الإخوة النافرين للجهاد من البلاد العربية المختلفة ولا سيما منهم المجاهدون السابقون وأهل الخبرة والبأس والشجاعة وأهل الرأي والحكمة دورٌ عظيم جدًا، وربما أتكلم عليه بعدُ.

فالخشية من استحرار القتل في النافرين، يمكن تفاديه بتنظيم الأمر وحسن ترتيبه، فلا يرتقي إلى أن يكون مانعا من النفير.

والخشية من التكفير أيضًا، لا ترقى للمنع، ولا يصح في الفقه -والله أعلم- أن تجعل دليلا يعارض به أصل وجوب النفير، بل نحن نقول: لو كان المقاتلون في العراق خوارج ومبتدعة من مبتدعة أهل القبلة لوجب إعانتهم على عدو الله وعدوهم والنفير لنصرتهم وهم يقاتلون عدوّا صائلا صليبيا يفسد

الدين والدنيا.

أما الواقع فإن المجاهدين هناك بفضل الله تعالى بعيدون عن التكفير والغلوّ وصفة الخوارج والابتداع؛ فلو قُدّر أن أحدًا بقيت لديه مخاوف من جماعة معيّنة فعنده مندوحة في جماعات أخرى، بل عنده حتى بقايا البعثيين فليأمر الناس بمساعدتهم، والفضلاء المشار إليهم لا يكفرونهم -بقايا البعثيين والوطنيين المقاومين-، وهو حق.

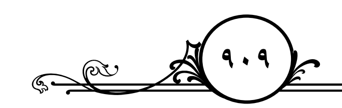
وأما الخشية من حدوث مرج فكري.. الخ؛ فهذا ليس من عمدة استدلالهم وإنما يسوقونه وما شابهه للاعتضاد والاستئناس وللتقوية، وهو ظاهر الضعف، وأما المخاوف من أن يرجع الشباب بعد ذلك فيحصل منهم أخطاء من قبيل افتتاح صراعات وإشعال حروب داخل بلدانهم العربية وغيرها، فهذا أيضا لا يرقى للمنع ومعارضة الواجب المقرر بالبرهان.

بل نحن نقول لعلمائنا: فليكن منكم أنتم اقتحام الميدان وتوجيه الشباب، ولتقودوا المسيرة ولتضعوا الحدود وتبينوا الأحكام، فهذا هو العلاج الصحيح لكل تلك المخاوف، أما أن تمنعوا الشباب من النفير -ولن يمتنعوا- بحجة الخشية من أنهم عندما ينتهون من العراق.. الخ؛ فهذا غير منطقي! وما الخوف أصلًا وما المشكلة في أن يرجع الشباب وقد استعدوا لقتال أعداء الله المرتدين في بلادنا؟ أليس هذا حكما شرعيا واجبًا علينا معلّقا في رقابنا، متى ما قدرنا عليه وقع الوجوب علينا؟ أوليس الإعداد له وتحصيل القدرة عليه وتكميل النقص فيه واجبًا علينا؟ فكيف تجعلونه محذورًا وتحرّمون لأجله -بل لمجرد الخوف من وقوعه- على الشباب النفير لنصر إخوانهم المسلمين في الثغر المهيض؟ الحل ليس في إصدار الفتاوى بالمنع أيها الفضلاء.: بل في اقتحام الميدان ومعالجة الأخطار وتفصيل الأحكام بوضوح للشباب، وفي أن يكون أهل العلم وأهل الجهاد يدًا واحدة.

الحل هو بيان حدود ما أنزل الله على رسوله، ونهوضكم أنتم بالأمر والتحامكم مع إخوانكم المجاهدين.

لماذا لا نقول للشباب: نعم، اذهبوا للعراق وانصروا إخوانكم هناك وانفروا خفافا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، وإذا سهل الله أمركم ومنّ عليكم بالنصر والفتح، فعليكم بكذا وكذا، وانتبهوا لكذا وكذا، ويجوز لكم كذا وواجب عليكم كذا ويحرم عليكم كذا.. التفاصيل لكل شيء، ومنها كيف نتعامل مع حكام بلادنا المختلفة، ومتى نخرج، ومتى نلزم الصبر والانتظار..!

هذا دور العلماء أعزهم الله ووفقهم، وهم أدرى به، وإنما أذكر إخواني هنا:



ولا بد من ذكر شيء من الواقع المؤلم:

وهو أن فتاوى بعض الفضلاء المشار إليها مما يزيد الفجوة بين أهل الجهاد وأهل العلم، ويوسّع الشقة بين مدرستي الجهاديين والإصلاحيين.! بدل أن يكونا متعاونين متوازيين متعاضدين.

وأن الواقع الأكيد الذي نعرفه ونحن على اطلاع منه وتجربة، والله رأيناها وجرّبناها وهي عندنا يقين، أنه لا يكاد يكون هناك تأثير يذكر لمثل هذه الفتاوى..!

أعني التأثير على الكمية المطلوب تدفقها للجهاد.

بل بالعكس لعلها من حكمة الله تعالى ورحمته أن يوجد هذا الخلاف وأن تصدر هذه الآراء من بعض علمائنا، حتى لا يرتفع مستوى التدفق فوق الحد الممكن استيعابه، ولا يفيض سيل النفير عن المجرى، ويبقى الأمر معدلًا ميسورا ضبطه والتحكم فيه للقيادات على الأرض.

وهذا شيء عجيب لمن تأمّله.!

النسبة الأغلب ممن يريدون الذهاب للجهاد ويتحرّقون عليه ويبكي الواحد منهم للبعد عنه وشوقا إليه، ويرتكب الأخطار ويقتحم الأسفار ويبيع كتبه وحتى ملابسه الزائدة وذهبيات أهله، من شباب المسلمين في أنحاء الأرض من لن ترده فتوى أحد أو رأي أحدٍ يقول: لا تذهبوا، لأن هناك مثله من يقول: اذهبوا؛ فله في من يقول اذهبوا كفاية ومندوحة، ولأن مؤثرات الواقع وحقائقه أقوى أثرًا، ولأن الحق أوضح من أن يخفى، وكيف يستمع إلى كلام من يقول له لا تذهب فتقتل وهو عن ذلك يبحث، وذاك الذي يتمنّى؟!

هذه الفتاوى قد تحدث بعض البلبلة في بعض الأوساط، وتتسبب في خلخلة الصف الإسلامي، وتعمّق انفصال العلماء عن الشباب، وتمنع ذهاب الكثيرين ممن لا ينشطون للذهاب أصلًا، وإنما قد يتحرّجون من الحكم الشرعي -واجب النفير-؛ حينما يتذكرونه أو يُذكّرون به، فتنزل هذه الفتاوى على قلوبهم بردًا.!

أما الوقود الحقيقي والأصلي للجهاد، وهم الشباب المتحرق المتحمّس الذين هم بالفعل الجنود والفاعلون الأساسيون في المعركة؛ فلن يرعوا سمعا لتلك الفتاوى والآراء.!

أنا أظن أن معرفة هذا وما شابهه مهم جدًا، ويا ليته يوصل بكل صدق وأمانة للعلماء الكرام والدعاة الأفاضل، وليته يزداد حجم الحوار والتباحث والتشاور بين المجاهدين وأهل العلم والفكر، حتى يخرج الرأي سبيكة من حكمة وعلم وتجربة الفريقين، فتتنوّر به الأمة وتهتدي وتجتمع على الخير.

والعالِم الرباني هو من يجمع «العلم والحلم والعقل»، ويعرف كيف يربي الناس بالعلم، ويسوسهم

بشريعة ربهم، ويأخذهم إلى طرق الهداية بالمسايسة والتلطّف، والمجاهد الزعيم القائد الموفق من يجمع بعد توفيق الله بين خصال الرفق والمشاورة ثم العزم في شجاعة.. والله أعلم.

وجزى الله علماءنا ومشايخنا ودعاتنا خيرا؛ فإن شفقتهم على الأمة ظاهرة، ونصحهم لها لا يخفى، فبارك الله فيهم وزادهم هدى وسدادا وحفظهم الله لنا هداةً مهديين.

وبارك الله في مجاهدينا، وسددهم ونصرهم وأعانهم، فهم السادات الأغيار والذائدون عن حمانا والرافعون رؤوسنا، وهم حماة التوحيد.

ونسأل الله أن يعفو عنا وعن سائر إخواننا ومشايخنا وأحبابنا وأن ينصر المجاهدين في كل مكان.

إنه خير الناصرين وهو رب المستضعفين.

وأذكر كلمة مختصرة حول دور المهاجرين في الجهاد، وهم النافرون من أقطار الأرض لنصرة إخوانهم في الثغور وأرض الجهاد:

اعلموا -يا إخواني- أن المهاجرين القادمين للجهاد من شتى البلاد أثرهم كبير وخطرهم جسيم وفائدتهم كبيرة للجهاد؛ يرفع الله بهم الهمم ويجلو بهم عزائم أهل الثغر، ويصقل بهم مواهبهم ويجري على أيديهم وبسببهم الخير العميم لطوائف لا تحصى من أهل البلد الأصليين، وذلك أن أهل البلد إذا رأوا هؤلاء المهاجرين النافرين لنصرتهم والجهاد معهم وما بذلوه للوصول إليهم لا لشيء إلا لنصرتهم في الدين وجهاد عدو الله معهم، ونفعهم والوقوف معهم والحمية لهم، أعظموا ذلك وأحدث في نفوسهم بالغ الأثر، وشحذ عزائمهم ونافسوهم واقتدوا بهم، ورجعوا إلى أنفسهم بالذم واللوم على التقصير في الجهاد والبذل والتضحية، ولا سيما حين يكون أولئك المهاجرون من النوع الموفّق الذي آتاه الله نورًا وعلمًا وعقلًا وحسن خلق.

ثم إنه من صنع الله تعالى ولطفه بأهل تلك البلد أن كل شخص من المهاجرين يكون بإزائه عدة أشخاص يُعدّون بالعشرات بل المئات بل أكثر، ممن يؤوونه ويخدمونه ويحفظونه ويعينونه ويقضون له حوائجه ويلتقون به ويحبون رؤيته؛ لأنه غريب، ويساعدونه ويعرضون عليه أنواع الخدمة، ويزورونه ويُزيرونه، ويمشون معه في هذا الطريق أو ذاك وفي هذه المهمة أو الحاجة أو تلك، ويتحدّثون عنه، ويسمعون له درسًا إذا كان من أهل الدروس، وينصتون إلى أحاديثه حين يتكلم، وقد يزوّجونه كما قد حصل كثيرًا، وقد رأينا من أهل البلاد الأصليين من يتطوع فرحًا مسرورًا مغتبطًا بتزويج كريماته

للمجاهدين المهاجرين حبًّا لهم وإعظامًا، وذلك من أعلى درجات الامتزاج، إلى غير ذلك..

فيحصل لأولئك العدد الكبير من أهل البلد الملابسين لهذا المهاجر انتفاع عجيب في الدين والفضائل، ومن جرّب عرف؛ فتجد المجاهد المهاجر يؤثر في الفئام من الناس، وفي القبيلة الكبيرة، وفي مجموعة عوائل، ويحيي الله به ما شاء ﷻ من مواتهم، ويجري على يديه الخير الكثير، فإذا استشهد فيهم فتلك الغاية في التأثير، وإن شئت فقل هي السقيا للمجدِبين والبشرى للممحِلين، فسبحان المحيي المميت!!

ثم إن المهاجرين يفتحون لأهل البلد آفاقًا من الترابط والتآخي والتآلف مع سائر المسلمين ويذكرونهم بالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، ويفتحون لهم أبوابًا للتواصل مع سائر أهل البلاد الأخرى التي جاؤوا منها وذلك ينطوي على منافع دنيوية وأخروية لا تنكر.

هذا غير ما ينقلونه من خبرات وتجارب وما يحصل في غضون ذلك من تلاقح في الفكر والثقافات وتمازج حسنٍ طيب، لأن الجميع في ظل الشريعة وعلى أساسها تعارفوا والتقوا وتآخوا.

وبالجملة؛ فإن نفع الإخوة المهاجرين لأي جهاد هو نفع عظيم، يشدّ الله بهم أزر الجهاد فيقوى ويعتزّ ويصلب عوده على المحن ويستعصي بإذن الله على كيد الكائدين ومكر الماكرين.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]؛ فسبحان الله الذي أتقن بحكمته كل شيء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❑❑❑

[*السؤال العاشر*: آثار هجمات ١١ سبتمبر على الحركة الجهادية، والعلاقة بين أمريكا وإيران، وكيفية تعامل الأمريكان مع مأزقهم بالعراق]

۞ **شبكة أنا المسلم**: برأيك.. آثار هجمات ١١ سبتمبر على التيار الجهادي بالخصوص:

١- هل زادته قوة وانتشاراً؟ أم كانت نتائجه كارثية على رموزه وكوادره و شعبيته؟

٢- هل التهديدات الأمريكية لسوريا وإيران جدية؟ وهل ستقدم أمريكا على مغامرة أخرى كمغامرتهم بالعراق، وأين؟

٣- بظنك كيف سيتعامل الأمريكان مع مأزقهم بالعراق، وماذا سيفعلون؟

الشيخ عطية الله:

بالله نستعين:

بالنسبة لآثار هجمات ١١ سبتمبر على الحركة الجهادية:

في البداية لا بد من الاعتراف بصعوبة التقييم، والخروج بنتيجة؛ لأن ذلك يتطلب مسحًا جيدًا ودراسة يشترك فيها أهل الجهاد وغيرهم.. ولكن ممكن أبدي رأيي بعد هذه المقدمة، ففي ظني أن الحركة الجهادية تعرّضت من جراء تلك الهجمات إلى ضربات شديدة جدًا نتجت عنها خسائر كبيرة للغاية وأصابتها ثلمةٌ، بالنظر إلى القدر الكبير من القتلى والأسرى وفقدان القواعد و«دولة الإمارة الإسلامية» في أفغانستان، وانقطاع السبل والاتصالات، وتمزق أوصال الجماعات وتفرقهم في البلاد، وانقطاع مصادر عديدة لا تحصى للدعم والإمداد.. إلى غير ذلك.!

هذا فيما يتعلق بالحركة الجهادية متمثّلة في الجماعات الجهادية في أنحاء العالم وما يتبعها من قواعدها البشرية والمادية.

وأما على مستوى أوسع: على مستوى المشروع الإسلامي بالعموم، والحركة الجهادية جزء منه، وعلى المدى البعيد، فأنا ممن يرى أنها كانت خيرًا -وأنا أُجمل هنا- ومهما كان في نتائجها القريبة من السوء والفقدان والخسائر والبلاء؛ فإنها على المدى البعيد وعلى مستوى الإسلام والمسلمين كأمة، خيرها أكبر وأعظم إن شاء الله.

ولذا فنحن صابرون ولربنا حامدون إن شاء الله، ونرجو فرج الله ونَفَسَه ﷻ.

وأملنا أن الحركة الجهادية، والحركة الإسلامية عمومًا، ستستعيد قوتها وعافيتها من تلك الضربات بالتدريج، وستعود أقوى وأصلب إن شاء الله، وأنا متفائل حقًا.

لأنه في الوقت الذي ضُربنا فيه نحن المسلمين؛ فإن العدوّ أيضا ضُرب وخسر وانكسر وانجر إلى معارك على الأرض هي ليست في صالحه على المدى البعيد، وانبعثت في أمتنا روحٌ جديدة، وبدأ في الظهور جيل جديد.. الخ.

والآن بعد انفتاح جبهة العراق، وما منَّ الله على المسلمين فيها من انتصارات واضحة نسأله تعالى أن يتمّها ويزيدنا من فضله؛ فنحن أكثر رجاء وأملا في الخير.



وأوصي إخواني جميعا؛ المجاهدين والمحبين والدعاة والعلماء وكل المسلمين: أن لا يستعجلوا في إبداء آرائهم، وأن يبدي الإنسان رأيه -إن كان فاعلًا- بالهوينى وبعيدا عن التشدد والجزم والمصادرة، وعلى الوجه الذي يخدم الأمة ومصلحتها.

ولنتعامل مع الواقع الآن، ولا نترك أنفسنا رهينة للماضي وخلافاته.

ولنأخذ العبرة من طالبان جزاهم الله خيرا ونصرهم، والملا محمد عمر حَفِظَهُ اللهُ؛ فإنهم وإن كانوا لم يأذنوا للشيخ أسامة في ذلك العمل، ولا هم راضون بفعله من حيث الأصل، ومع فقدهم لدولتهم وملكهم، إلا أنهم علموا بما آتاهم الله من عقل وفقه؛ بعد وقوع الأمر، فالشأن الآن شأنُ الموالاة الإيمانية والأُخُوّة الإسلامية، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه..!

مع استمرار التشاور في ما يُستقبل، والتعاون والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وهذا كله لا ينفي أيضًا مطلوبية مراجعة الماضي والتاريخ في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، لنأخذ منها الدرس والعبرة، ونرصد الخلل ونتجنبه ونصحح المسيرة، ونحن في حالة حربٍ، والعقلاء والحكماء في الدنيا كلها يمنعون كثيرا من النقاشات في حال الحرب، وإنما يكون ذلك بقدْرٍ وعلى وجه مخصوص.. فلو مشت الأمور على هذا النحو في تصوّري لكنا أحسن حالًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليعلم كل إخواني المسلمين أن أكثر من تضرروا بعمليات «سبتمبر» هم طالبان، والمجاهدون المهاجرون في أقطار الأرض والمنتمون للحركات الجهادية، مع معارضة أكثرهم لها من حيث الأصل، ومع هذا فإني رأيتهم بفضل الله تعالى من أصبر الناس وأحسنهم مقالًا،؛فجزاهم الله خيرا وثبّتهم الله وفرج كربنا وكربهم وكروب المسلمين.

وأما عن التهديدات الأمريكية لسوريا وإيران؛ فغالب ظني أنها مجرد تهديدات في الوقت الراهن والقريب، وستقتصر أمريكا على الاستمرار في التهديدات والتخويف كعملية ضغط مستمرة لتحقيق أكبر قدر من الأهداف والتجاوب من البلدين، لكن ليس من المرجح أن تغامر أمريكا بدخول حرب أخرى مع أي من البلدين المذكورين ولا غيرهما.. هذا مستبعد جدًا بالنظر لخسائرها في العراق وأفغانستان ولتفاقم مشاكلها السياسية والدعائية في العالم ومشاكلها الاقتصادية أيضًا، بالإضافة إلى الرأي العام الداخلي في أمريكا.

وحتى الضربات المحدودة أنا أستبعدها في الوقت الحالي؛ أعني مثلا ضرب المفاعلات النووية في إيران.. ولو تمّت هذه فطبعا المتوقع أنها تكون عن طريق اليهود «إسرائيل».. والعلم عند الله.

وفي نظري فإن أي ضربة أمريكية لسوريا أو إيران سيكون في صالح الحركة الجهادية، وبالتالي في

صالح المسلمين، مهما كان فيها من خسائر، وإن كنا لا نتمنّى إلا الخير والعافية لأهل الإسلام.

وأما كيف سيتعامل الأمريكان مع مأزقهم بالعراق وماذا سيفعلون؟

فأظن أن أمريكا ستركز في هذه الفترة على أمور:

- المماطلة والمصابرة إلى أقصى ما يمكن، أملا في انفتاح ثغرات -لصالحها- في جسم الحركة الجهادية وحركة المقاومة في العراق.

- السعي الحثيث لإعمال معاول التفرقة، وشق صف المجاهدين، وبدأت هذه العملية بالمحادثات التي أعلن عنها في الشهر الماضي مع أطراف من المقاومة أو ممن يدّعي أنه يمثل المقاومة.

- مع الاستمرار -على يأس وفتور وتذمّرٍ- في السياسات السابقة -تعسوا وخابوا وخسروا-: تأسيس قوة أمنية عراقية قادرة على «محاربة الإرهاب»، ودعم وترقية العملية السياسية بزعمهم، ومحاولة توريط أكثر عدد ممكن من الدول وخصوصا الدول العربية ودول الجوار في ذلك، كما فعلوا مع مصر حين أرسلت سفيرًا، ثم باءت بحمد الله بالفشل.. الخ.

نسأل الله تعالى برحمته ولطفه أن يثبّت المجاهدين وأن يوحّد صفّهم ويجمع كلمتهم ويؤلف بين قلوبهم ويسددهم ويوفقهم لكل خير، ويزيدهم هدىً، وينوّر أفكارهم ويصوّب آراءهم، ويمدهم بمدد من عنده، إنه هو الوليّ الحميد.

فعلى المجاهدين أن يكونوا في غاية الانتباه لهذه المرحلة الخطرة سياسيًا.

ويتفطنوا -وهم كذلك بفضل الله- للمكر الواضح في المفاوضات وما شابهه، وهذا لا يحتاج إلى كبير توصية، وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوا الله.

والعاقبة للتقوى، والعاقبة للمتقين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥﴾ [محمد] وفي قراءة نافع: ﴿قَاتَلُوا﴾.

ومع الصبر والمصابرة إن شاء الله تعالى.. فإن أمريكا ليس أمامها إلا الانسحاب مخذولة مذمومة منكوسة خائبة مكبوتة لعنها الله.!

وحينها ستبدأ مرحلة جديدة، وسيتغيّر الكثير، وتلك مرحلة تحتاج إلى استعداد من الآن ومدارسة من أهل الشأن وتشاور وتذاكر.. والمتوقع أن تكون أكثر تمحيصا وفتنًا، ونسأل الله أن يأتي بالخير، ونسأله تعالى الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد.

اللّهم إنا نسألك ما قضيتَ لنا من أمر أن تجعل عاقبته لنا رشدًا، والحمد لله.

❑❑❑

[السؤال العاشر: الحفظ عند الشناقطة]

❁ **شبكة أنا المسلم**: لو حدثتنا عن الحفظ عند الشناقطة، بارك الله فيكم.

الشيخ عطية الله:

نعم يتمتع الشناقطة -وهم أهل الديار الموريتانية- بمقدرة على الحفظ ظاهرة، تفوق ما عرف عن غيرهم في عصورنا هذه، وقد رأينا من ذلك الكثير ورآه غيرنا من الطلبة، والقصة التي أشار إليها أخي مشهورة وهي تحكى عن الشيخ «سيديّا» رحمه الله، وهو من أقطاب المدرسة الموريتانية، وهم يحفظون المتون العلمية والشروح نظمًا ونثرًا، وأكثر محفوظهم النظم، فتجد الواحد من أهل العلم يحفظ آلاف بل ربما عشرات الآلاف من الأبيات نظمًا في سائر الفنون؛ لأنهم ينظمون المسائل لكي يحفظوها، فتجد الطالب يحفظ المتن الأصلي في الفن كألفية ابن مالك في النحو، أو متن خليل في الفقه ويحفظ تحت كل جملة من جمله ومسألة من مسائله الأبيات العديدة التي تنظم أقوال العلماء في المسألة وصورها وشروطها وقيودها ونحو ذلك، وقد رأينا من هذا الكثير، ولا سيما في اللغة والفقه.

وكان شيخنا «محمد فال ول آبنِ» حَفِظَهُ اللهُ وختم لنا وله بالحسنى يحفظ شيئا كثيرا يُتعجّب منه، كان يحفظ على سبيل المثال مقامات الحريري وشرحها، ويسردها سردًا كالسورة من القرآن بلا تلعثم! ولو سألته عن كلمة من غريبها -وما أكثره- يذكر معناها في اللغة ويأتيك بدلائل الشعر والنثر والقرآن والحديث، ومع أن المشايخ هناك اهتمامهم بالحديث وعلومه قليل، كان شيخنا المذكور إذا قال: هذا الحديث في البخاري أو ليس فيه، لم يكد يخطئ، وبعد البحث نجده كما قال، فكنا نقول له: يا شيخ تحفظ البخاري، فيقول لا: «إلا طالعتو وتوفْ» يعني طالعته فقط، وهكذا يحفظ الكثير جدا ويسرد بلا تلعثم؛ فإذا سألناه: حفظت الكتاب الفلاني، يقول لا، إنما طالعته فقط!! وكنتُ مرة مع أحد الإخوة الطلبة ذكره الله بالخير وكنا عند الشيخ «محمد السالم ولد عدود» ذكره الله بالخير و حَفِظَهُ اللهُ ، وكان درسنا في الألفية وكانت «دالة» صاحبي -نوبته في الدرس- وكان يقرأ على ما أظن -وقد نسيت قليلا- في باب الإضافة، فذكر الشيخ مسألة، فقال: إن ابن مالك اختار هنا هذا الرأي ولكنه في الكافية رجح الآخر، ثم سرد أبياتًا، ما بين خمسة عشر وعشرين بيتا من الكافية، من دون أي تلعثم أو ركاكةٍ في الاستحضار، ثم كأنه تعجب من نفسه، فقال لنا: هذه الأبيات عهدي بها من زمن البلوغ، لم أراجعها ولا أقرأتها لأحدٍ..! وعمر الشيخ كان يومها حوالي خمسًا وستين سنةً، بارك الله في عمره، وهو ممن يحفظ الكافية، ولكنه حفظها على شيوخه في زمان الصبا، ولم يلتفت إليها بعدُ بسبب أن هذا النظم

«الكافية لابن مالك» تركه أكثر العلماء في محاضر المدرسة الموريتانية ولم يعد أحدٌ يقرأه من أزمانٍ، واستغنوا عنه بما يعرف عندهم بـ«الطرّة»، وهي الاكحلال والاحمرار، وهي التي وضعها لهم علم أعلام المدرسة الموريتانية وصانع أمجادها: الشيخ «المختار بن بونَ» رحمه الله.

والمراد بالاكحلال: نظم ألفية ابن مالك؛ لأنهم كانوا يكتبونه بالأسود، والمراد بالاحمرار ما أضافه «ابن بونَ» من النظم ومزجه مع الألفية، وهو ضعف الألفية -حوالي ألفي بيت- وكانوا يكتبونها بالأحمر تمييزا لها عن أصل نظم ابن مالك فعرفت بالاحمرار، ثم وضع عليها شرحًا، ثم تعاقب عليها الشيوخ الكبار وتلامذتهم كالشيخ «يحظيه بن عبد الودود» وابنه «التاه» والشيخ «ممّو» وغيرهم فأضافوا إلى الشرح أشياء كثيرة من الأنظام البديعة، وعُرف المجموع بالطرة، واسمها الكامل الذي وضعه لها مؤلفها ابن بون: «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من التطويل والخصاصة»[1] إن لم أخطئ قليلا في الاسم، فهو في الحقيقة نظم ما نثره ابن مالك في كتابه التسهيل وأهمله في الخلاصة وهي الألفية، ثم مزجه بالألفية، وفي ظني أنه من أبدع ما ألّف على الإطلاق في علم النحو.

وقد كان الشيخ «محمد بداه بن البوصيري» حفظه الله -وهو مقدّم علماء البلد في هذا الوقت- يحفظ شيئا عجبًا من أقوال العلماء في الشروح، حتى إنه أحيانا يسرد قدر صفحة كاملة من كتابٍ ككتاب الفروق للقرافي أو تفسير ابن العربي في خطبته أو درسه ثم يقول: انتهى، ويمضي سريعا في خطبته أو درسه بدون توقف حتى إن من يسمعه ولا يراه يقول هو يقرأ من كتاب.! ولم أقرأ عليه شيئا لكني حضرت له مجالس وخطبًا، وكان ينثر الخطبة مسجوعة غير متكلفة كأنه قد سهر الليل في إعدادها، ولكنك تعرف بدلائل معينة ومن خلال سيرته وأحاديث من عرفوه أنه لم يفكّر فيها أصلا، وربما لم يعرف موضوعها إلا قبلها بدقائق وإنما يرتجلها ارتجالًا، ويأتي فيها بالعجائب.. وقد أخبرنا بعض الشيوخ أنه كان كثير من علمائهم في السابق يحفظون «القاموس»[2] للفيروز آبادي حفظا كالقرآن.. وسمعت أن بعض حفظته لا يزال حيا إلى وقت قريب.

فهذا بعض ما رأيناه وسمعناه.. وعندهم في ذلك حكايات عجيبة.

وفي ظني أن السبب في ذلك راجع إلى عوامل: منها أنهم كانوا أهل بادية وتنقّل وترحال؛ فكانوا يعتمدون على حفظ العلم لا على كتابته، وكان عزمُ الواحد منهم من أول ما يضع قدمه في طريق طلب

---

(١) اسمه الصحيح: «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة» لابن بونة، وزياداته على قسمين: الزيادات المنظومة، والزيادات المنثورة وهي المعروفة عند الشناقطة بـ «الطرة»، وقد طُبع المتن طبعة جيدة عام ١٤٢٤ أعدها: محمد محفوظ بن أحمد.

(٢) القاموس المحيط: معجم لغوي كبير، يقع في طبعة الرسالة في ١٣٥٧ صفحة من القطع الكبير والخط الصغير!!.

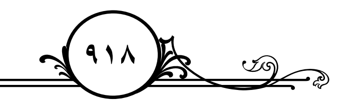
العلم ينعقد على أن يحفظ كل شيء يقرأه، فكانت الهمم من البداية عالية لم يصبها كلل ولا مثنوية ولا تعللات، هكذا بهذا الجزم والوضوح: كل ما يقرأه يحفظه لا فرق بين مسألة صغير وكبيرة، مهمة أو غير مهمة، كل شيء.! أما نحن فنقول: هذه مسألة مهمة ركّز عليها واحفظها، وهذه ليست مهمة، ونتعنّى في الحفظ ونتعب.! وكنت في بعض المرات أتكلف حفظ نظم في مسألة، ثم قلت لنفسي: ما فيه فائدة كبيرة هذا -وهو كذلك عندي- ففاتحت فيه شيخنا «عبد الله ول الفغ» ذكره الله بجميل الذكر وعفا الله عنا وعنه، فقال لي: إنك لا تتقن المهمّ حتى تحفظ الكثير مما لا يهم! فعلمتُ أن ذلك من شأنهم ومفاهيمهم التي ساعدتهم.

ثم تنوقل هذا فيهم من جيل إلى جيل، وصار كالخلق المتوارث والعُرف والعادة الراسخة فيهم، ينشأ ناشؤهم عليها، فكان العلم عندهم مرادفًا للحفظ، لا سيما وهم الغالب عليهم التقليد وعدم الاجتهاد وعامة أعلامهم الكبار ممن صنعوا تلك المدرسة العريقة الكبيرة كانوا على الاعتقاد بانغلاق باب الاجتهاد في الفقه، مع أنهم بلغوا مراتب عالية في امتلاك آلة الاجتهاد، فهذا ثبّت عندهم أن العلم هو الحفظ.. ولم تكن عندهم الكتب والمكتبات كما الآن.. فكان لا بد أن يكون العلم في الرأس.! والاعتماد على الاستحضار لا على الاستحصال.

ومنها أنهم أهل صحراء وطبيعة بسيطة قريبة إلى الفطرة، لم يشبها الكثير من آثار التمدّن، وينشأ الناشئ فيهم في الصحراء ورمالها وآفاقها يرى الشمس تشرق من هنا ثم عندما تغرب تغوص هناك في الرمال!! ويرى النجوم في غسق الليل كما كان يراها العربي القديم فيحفظ أسماءها وأبراجها وفنونها وما قيل فيها من شعر العرب الأوائل وآدابهم وغير ذلك.

بالجملة أظن أن طبيعة الصحراء معينة على الحفظ، والله أعلم.

فائدة: الحفظ موجود عند كثير من أهل العلم في أقطار الأرض، وإنما على العموم الموريتانيون تميزوا فيه عن غيرهم، وقد قرأت في ترجمة كتبها الشيخ الإمام «محمد البشير الإبراهيمي» صاحب الإمام «ابن باديس» وهما من علماء الجزائر ومؤسسا جمعية علماء المسلمين أيام الاحتلال الفرنسي، أقول: قرأت للشيخ الإبراهيمي ترجمةً كتبها لنفسه بطلبٍ من مجمع اللغة العربية في القاهرة حين اختاروه عضوا شرفيا فيه، مما جاء فيها وقد تكلم عن ما أوتيه من مقدرة على الحفظ، يقول ما مثاله بقريب من حروفه: «وقد أوتيت مقدرة على الحفظ يُتعجّب منها، تشهد بصدق ما ورد عن السلف في



ذلك»[١] أي ما ورد عنهم في قوة الحفظ، وأنهم كانوا إذا قرأوا شيئا حفظوه ولم ينسوه، ثم حكى عن نفسه عجائب.. وقد كان أعجوبة بالفعل ﷺ ورضي عنه، وقد حكى عنه الشيخ «علي طنطاوي» ﷺ مرة في إحدى مقالاته أنه لما كان في دمشق معهم كان مرة معه في بعض الطريق في سفر، فظل الشيخ «الإبراهيمي» يسرد الشعر الكثير، قال فتعجّبت من حفظه فقلت له: لو استعملت هذه القدرة على الحفظ في حفظ الأحاديث وكذا وكذا، فقال لي: إنني لم أحفظ شيئا -أي لم أتعنّ ولم أتكلف حفظه- وإنما قرأته فعلِق، أو كما قال[٢]؛ فسبحان الله.!

نسأل الله تعالى أن يفتح علينا وعليكم في العلم والعمل، إنه كريم وهّاب.

❑❑❑

---

(١) قال الإبراهيمي ﷺ محدثًا عن نفسه: «حفظت القرآن حفظًا متقنًا في آخر الثامنة من عمري، وحفظت معه- وأنا في تلك السن- ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح، وما بلغت العاشرة حتى كنت أحفظ عدّة متون علمية مطولة، وما بلغت الرابعة عشرة حتى كنت أحفظ أَلْفِيَتي العراقي في الأثر والسير، ونظم الدول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتابه ريحانة الكتاب، ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس كابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرف ابن أبي عميرة، ومعظم رسائل فحول كتاب المشرق كالصابي والبديع، مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر الرضي وابن الرومي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس، كما استظهرت كثيرًا من شعر الثلاثة جرير والأخطل والفرزدق، وحفظت كثيرًا من كتب اللغة كاملة كالإصلاح والفصيح، ومن كتب الأدب كالكامل والبيان وأدب الكاتب، ولقد حفظت وأنا في تلك السن أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب وأخبارهم وكثيرًا من أشعارهم، إذ كان كتاب نفح الطيب- طبعة بولاق- هو الكتاب الذي تقع عليه عيني في كل لحظة منذ فتحت عينيّ على الكتب، وما زلتُ أذكر إلى الآن مواقع الكلمات من الصفحات وأذكر أرقام الصفحات من تلك الطبعة، **وكنتُ أحفظ عشرات الأبيات من سماع واحد مما يحقق ما نقرأه عن سلفنا من غرائب الحفظ**.. وكان عمّي يشغلني في ساعات النهار بالدروس المرتبة في كتب القواعد وحدي أو مع الطلبة ويمتحنني ساعة من آخر كل يوم في فهم ما قرأت فيطرب لصحة فهمي، فإذا جاء الليل أملى علي من حفظه- وكان وسطًا- أو من كتاب ما يختار لي من الأبيات المفردة أو من المقاطيع حتى أحفظ مائة بيت، فإذا طلبت المزيد انتهرني وقال لي: إن ذهنك يتعب من كثرة المحفوظ كما يتعب بذلك من حمل الأثقال» انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ١٦٥). **قلتُ**: وهذا والله من عجائب الدهر التي يكاد العقل يطيش بتصور حدوثها فضلا عن حصولها عيانا في زمانه؛ فنسأل الله من فضله العظيم.

(٢) قال الشيخ علي الطنطاوي في: ذكرياته (٥/ ٥٢) وهو يتحدث عن الشيخ البشير الإبراهيمي: «قد كنّا يومًا معًا في سيارة واحدة من القدس إلى دمشق، وكنت إلى جنب السائق حيث تعوّدت أن أركب دائمًا (حتى إني إن ركبت داخل السيارة توهّمت أنه دار رأسي وضاق نفَسي). وكنّا نتحدّث، فتعبَت رقبتي من الالتفات إليه لأنني لم أكُن أتلو بيتًا من الشعر إلاّ قال: إنه لفلان الشاعر من قصيدة كذا، وسرد عليّ القصيدة كلها أو جلّها.. فقلت: كيف حفظت هذا كله؟ قال: وأخبرك بأعجب منه، فهل تحبّ أن تسمع؟ قلت: نعم.. فراح يقرأ عليّ مقالات لي كاملة ممّا نُشر في «الرسالة» أو مقاطع كثيرة منها، ما كنت أنا نفسي أحفظها. قلت: يا سيدي، الشعر فهمت لماذا تحفظه، فلماذا حفظت مقالاتي وما هي من روائع القول ولا من نماذج الأدب؟ قال: ما تعمّدت حفظها، ولكني لا أقرأ شيئًا أحبّه وأطرب له إلاّ علق بنفسي فحفظته» اهـ، وهذه آية صدقِ إخباره عن نفسه فيما ذكرناه من قبلُ، نسأل الله التوفيق والفضل.!

[السؤال الحادي عشر: **هل نجحت طريقة المجاهدين في التغيير أم فشلت؟**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: على ما رأيتم في مشواركم الدعوي والجهادي في سبيل نصرة هذا الدين؛ هل ترجحون صرف الهمم وشحذها للسعي في تطبيق شرع الله في بلاد الإسلام عن طريق استخدام القوة والعمليات المسلحة؟ أم ترون أن هذه الطريقة باءت بالفشل والأفضل الاقتصار علي الدعوة فقط؟

الشيخ عطية الله:

الحمد لله وبه أستعين..

لا شك أن هذا موضوع كبير، وقد تفاوتت فيه الاجتهادات والأفهام، وتنوّعت فيه الآراء، وحصلت فيه الانقسامات والاختلافات، وإلى الله ترجع الأمور، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

وسأحاول تلخيص ما عندي في الموضوع في نقاط أساسية:

١- أن مشاكلنا نحن أمة الإسلام كثيرة ومتداخلة، يُجملها قولنا: البُعد عن الدين والتفريط في مصدر عزنا الذي أعزّنا الله به، والتفريط تبعا لذلك ومعه في أسباب القوة والرفعة الروحية والمادية، وانهدام الفضائل.!

٢- أن أكبر مشكلات أمتنا وأهم ركيزة من ركائز الفساد الواقع فيها هي قضية الحكم، أي كون الحكم أي الملك والسلطة في الأمة بأيدي أناس خونة للدين وللأمة ومرتدون عن الإسلام كثيرٌ منهم، نبذوا شريعة الله وحكّموا القوانين والشرائع الوضعية المستوردة من الكفار الصليبيين، وأفسدوا في الأرض ونشروا فيها الرذيلة وثبّتوها وصانوها وحموها ووضعوا لها الحرس والقوانين الحامية، وحاربوا الفضيلة والعفة والطهارة والتقى.. إلى آخر ما تعلمون!

٣- أن الجميع متفقون على أن الحل هو الرجوع إلى ديننا الذي أعزنا الله به، فهو عصمة أمرنا، وهو سبيل فلاحنا ونجاحنا وعزتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، ونشر الفضائل والتخلي عن الرذائل والأخذ بأسباب القوة والرفعة، وكل ذلك يجمعه قولنا: العودة إلى ديننا مصدر عزّنا.

٤- أن المصلحين والدعاة إلى الله تعالى اتخذوا طرقًا شتى تنوّعت واختلفت -حسب اجتهاداتهم- في كيفية تحقيق هذا الحل، وكيفية هذا الرجوع إلى ديننا مصدر عزنا وشرفنا وفلاحنا؛ فوجدت السبل المختلفة التي نعرفها جميعا: الدعوة بأنماطها واختلاف كيفياتها ومدارسها، والجهاد بالسلاح لأولئك الكفار الحاكمين على بلادنا، وغير ذلك.

٥- والذي ترجّح لي، وعليه محققون من علمائنا، أن كل بلد وكل ناحية من جسم الأمة وكل شعب ودولة يناسب فيها طريقة معينة، من اكتفاء بالدعوة اللسانية السلمية، أو إعلان جهاد وحرب على الحكومات الكافرة، بحسب ظرف كل بلد وقطر والمعطيات المتوفرة فيه.

فإن كان البلد تهيأت فيه فرصة لجهاد الطواغيت ووجدت أسباب النصر ومقومات النجاح لمشروع جهادي تغييري من جمهور جيّد، وقوة مادية وتنظيم قادر وكوادر واتفاق من جماعة مقتدرة من أهل البلد على الأمر، وضعف العدو نتيجة ظروفه السياسية والاقتصادية ومشاكله المتراكمة، ونقمة الشعب عليه بطوائفه وشرائحه، ونحو ذلك من الأسباب؛ فإن الجهاد يكون هو المناسب، لأنه واجب متى ما قدرنا وظننا النصر.

وإن كانت ظروف البلد وأهله والمعطيات الميدانية فيه لا يمكن أن ينجح معها عمل عسكري جهادي في حكم العادة، بحيث لا تتوفر الأسباب التي أشرنا إليها وما شابهها، فإن الأفضل والأنسب، وقد يكون هو الواجب، تركُ الجهاد والاستمرار في الدعوة إلى الله، والصبر والانتظار حتى يأذن الله بتهيّئ الأسباب وإتاحة الفرصة، مع التنبيه هنا إلى وجوب العمل لإعداد القوة والقدرة التي نتمكن بها من إزالة هؤلاء الطواغيت في يوم من الأيام، فإن هذا واجب لا يسقطه شيء ما دام أولئك الكفرة جاثمين على صدر البلاد والعباد.! إلا العجز، وإذا سقط للعجز بقي واجب الإعداد بمعانيه.

٦- **وعليه**؛ فإن على المسلمين أن يتراحموا ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر، ويتعاذروا فيما بينهم، وتتسع صدور بعضهم لاجتهادات بعض، ويتناصحوا ويتعاونوا فيما يمكن.. ويحترموا التخصص واختلاف أنواع المواهب والقدرات لدى الخلق.

٧- وهنا مسألة مهمة تتعلق بالتخصص واختلاف المواهب والقدرات.. وهي أنه لا حرج على إنسان أن يقول: أنا أتخصص في العلم والتأليف وإصلاح المكتبة الإسلامية وتنقيتها مما شابها من فساد التصورات والفكر، وأربّي الناس عليه «التصفية والتربية»، وهذا الذي أقدر عليه والذي فُتِح لي فيه، وآخر يقول: أنا أتخصص في الدعوة إلى الله في المساجد وغيرها والدعوة إلى الالتزام بالدين على العموم والرجوع إلى المسجد والصلاة وكذا وكذا -الدعوة والتبليغ مثلا- وأترك الآن الدخول في مسائل سياسية ومشاكل اجتماعية عميقة وصعبة ولا نقدر على معاناتها، وآخر يقول: أنا أتخصص في إصلاح الفكر السياسي والاجتماعي ويترخّص في الدخول في بعض المضايق الشرعية كدخول البرلمانات في دولنا الطاغوتية ونحو ذلك -على التسليم باجتهاده-، وآخر يقول: أنا أتخصص في كذا وكذا.. فهذه التخصصات لا بأس بها حين تكون من اختلاف التنوع، وأن يختار الإنسان منها ما يقدر

عليه ويُحسِنه منها، وما فُتِح عليه فيه، لأنه هو الذي يقدر على عمله وإجادته وهو العمل الذي يُحسنه، وما أداه إليه اجتهاده أنه الأنسب للإصلاح.. هذا الحد جيد لا بأس به.

وعليه -من تمام ذلك- أن يُسلّم للناس فيما يحسنون هم أيضا وفيما يجتهدون، وفيما يقدرون عليه وما فتح عليهم فيه من أبواب الخير.

لكن هذه التخصصات والاختلافات تكون شرّا وفسادًا عندما تكون من اختلاف التضادّ.

بمعنى أن أهلها لا يقبلون اجتماعها، بل كل أهل اختصاص وطريقة يرون أن الحق هو طريقتهم وما يحسنونهم هم ويفعلونه، وينصبون العداء للآخرين الذين لم يختاروا طريقتهم، ولا يسلّمون لأحدٍ، إلا من اتبع طريقتهم فقط!! وقد يصل الحال ببعضهم إلى أن ينحاز إلى العدوّ -الحاكم الكافر المرتد مثلا- ضدًّا لإخوانه بسبب اختلافه معهم ومحبّته لانتصار طريقته وسلامته وسلامة مشاريعه! وهذا والعياذ بالله من أنواع الخذلان والضلال المبين، وهذا من أشد ما رأيت من الزلات والفتن لأصحاب الدعوات، نسأل الله برحمته أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

فهذا هو الشرّ والوبال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والخلاصة: أن الواجب على أهل الإسلام أن يتكاملوا ويتعاونوا ويتعاضدوا وتتظافر جهودهم وأعمالهم على تحقيق الخير لهم في الدارين، فهذا مجاهد في ميدان الجهاد أي القتال، وهذا مرابط في ميدان العلم والتدريس والدعوة والتربية، وهذا وهذا.. والكل إخوة متحابون متعاونون محافظون على الحقوق والإخاء.

وحيث يوجد الاختلاف في الرأي والاختيار في المكان الواحد والوقت الواحد، فليكن الحرصُ على ائتلاف المسلمين ووحدة صفّهم وإن على الرأي المرجوح، ليكن هو السبيل، والبُعد عن الخلاف فإنه شرّ، ثم إن وقع ما هو أشدّ من قضاء الله فليكن التمسّك بثوابت الدين ومحكماته نصب أعين الجميع: الولاء الإيمانيّ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه، وتحقيق العدل والقسط، مع استمرار التباحث والتناصح والتذاكر بين المسلمين في شأنهم.. والموفق من وفّقه الله.

وليعلم الجميع أن الله تعالى ابتلانا بهذا الاختلاف، وأنه مرادٌ لله تعالى قضاءً وقدرًا لحكمٍ بالغةٍ، أهمها الابتلاء والاختبار، وإظهار درجات الناس في المجاهدة والبحث عن الحق واتباعه في مخالفة أهواءهم، وتمايز درجات العباد في ذلك، والتفريق بينهم على أساس الدين في الدارين.. إلى غير ذلك من الحكم العظيمة لمن تأملها، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وهذا المعنى كثير

في القرآن والسنة.

والعصمة في الالتجاء إلى الله وحده، والتوكل عليه، وتحقيق التوحيد له ﷻ، والعدل والإحسان، وأن يكون هوى الإنسان تبعا للشرع المطهر، والنظر إلى اليوم الآخر وجعله هو رأسَ المال، وذلك هو الزهد واليقين، وتقديم مصلحة اجتماع المسلمين وائتلافهم، والتشاور وردّ الأمر إلى أهله في كل شيء بحسبه، واجتناب الشذوذ والفُرقة حيث كان الأمر من موارد الاجتهاد، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]، والله أعلم.

والموضوع كما قلت كبير وواسع، وفيه فروع وتفاصيل تطول.

وأما القول بأن طريق القوة واستخدام الجهاد المسلح باءت بالفشل -يعني ضدّ الحكومات المرتدة المسيطرة على كثير من بلاد المسلمين- فإن هذا ليس على إطلاقه، ولا ينبغي هذا الإطلاق!! بل هو مزلّة وخطأ، لأنه يشبه المعارضة لحكم الشرع؛ فإن الخروج على الحاكم إذا كفر كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، ومنابذته بالسلاح والقوة هو حكم شرعيّ متقرر مجمع عليه، وإنما يحصل الاختلاف بين الناس في تقدير الواقع وتحقيق المناط، وهل امتلكنا القدرة على ذلك في البلد المعيّن أو لا؟ ونحو ذلك..

صحيحٌ أن الكثير من التجارب في التاريخ فشلتْ، بل أكثر تجارب الخروج على الدول ومحاولات التغيير المسلح والثورات في تاريخ الأمم كلها كافرها ومسلمها فاشلة، والقليلُ منها هو الذي نجح، فإن الدول راسخة كما قال علماء التاريخ والاجتماع، ومن الصعوبة بمكانٍ نقضها وإزالتها، ولكن هذا لا يقتضي إطلاق القول بأن طريق الخروج المسلح فاشل، والتنفير مطلقا من هذا الطريق أو تحريمه والمنع منه؛ بل ما يقتضيه ذلك هو مزيد الاحتياط والحذر في التقدير والتثبّت في الأمر وعدم التسرّع، ومعرفة أن الأمر ليس بالهيّن السهل، وأنه يتطلب من الاستعدادات ما يناسبه، وهذا مهمّ للعقلاء والسادة النبلاء.!

والحق دائما في العدل والقسط وهو وسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

والله أعلم وأحكم، وهو وحده ولي التوفيق، لا إله غيره ولا ربّ سواه.

❑❑❑

[*السؤال الثاني عشر*: **الفجوة بين العلماء والمجاهدين، وما سبب تضخيم أخطاء العلماء القاعدين، وتهوين أخطاء علماء المجاهدين**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: جاءت عدة أسئلة تتحدث عن العلاقة بين أهل العلم والجهاد، وأن العلاقة بينهما قد ازدادت سوءًا، وأن الإعذار الذي يلتمسه المجاهدون لعلمائهم -الذين ينظرون لفكر الجهاد- يمكن أن يُلتمس مثله لغيرهم من علماء الأمة؛ فلم لا يكون ذلك؟ ولماذا تُهون أخطاء علماء الجهاد وتضخم أخطاء غيرهم من العلماء؟

الشيخ عطية الله:

أنا لا أريد أن أهوّن من الأخطاء، والأخطاء متفاوتة، وواجب عند التحقيق أن نعطي كلًا حقه وننصفه، وإنما الذي وقع مني هو شبيه إلى حد ما بقولنا للمريض أو المبتلى: بسيطة إن شاء الله! وأنا أرى يا أخي أن الأخطاء وقعت من الطرفين، الله أعلم هل هذا أكثر أو هذا؟ ذلك لا أريد أن أركز عليه، ولا أراه مدخلا للإصلاح، وكذلك «من البادي؟» كما ذكرت.

وأرجو ألا يضطرني أخي إلى الغوص في ذكر تفاصيل الأخطاء والمعايب والتقصير، ولا والله لا أهدد أحدًا، وإنما:

أولا: لأنه حينئذ سيكون «من مخسوري»، و«سأربح أنا العيب» لأنني سأبدو في صورة العائب لأهل العلم والطاعن فيهم.! وهذا ليس موقف نَصَفٍ، وأنا أحاذر الوقوع فيه، ولو كنت الآن في الأنبار أو القائم أو الموصل أو في تورا بورا أو زابل أو باكتيا لربما كنت في حصن حصين!. فإني رأيت المتكلم في العلماء محارَبًا، وإن تكلم بحق، أما المجاهدون فلا حرمة لهم عند الأكثرين كما للعلماء، وهم عند أكثر الناس حمىً مستباحًا.!

ويا أخي الحبيب؛ صحيح أن العالم يقضي السنين الطويلة في الكد والجد والاجتهاد والسهر والصبر حتى يصير عالمًا، ولكن ما ذكرته عن المجاهدين إنما ينطبق على الجنود وقواعد المجاهدين، وأما الزعماء فهم صنوُ العلماء، فليس من السهل أن تصير زعيمًا قائدًا كبيرا في الأمة تقول الكلمة فيسمع لها ألوف وربما ملايين ويطيعونك وتحمى لها منهم الأنوف!! هذا يسمّى الرياسة والشرف والزعامة والقيادة والمُلك، والله يؤتي ملكه من يشاء، وحينما يكون الملك عادلًا صالحًا فإن له مقامًا وحقوقًا في ديننا وفي كل عرفٍ، وهذا كما تعلم يحتاج أيضا لسنوات وسنوات وجهد لا يقل عن جهد العلماء.!

فلا يوجد زعيم للجهاد نال مثل هذه المكانة المشار إليها في أيام!

وإنما هو الميدان الذي ينجب القادة كما يقال؛ الصبر وحسن الديانة واستيعاب الناس والجد والاجتهاد وملكات فطرية ومواهب.. وقبل ذلك كله توفيق الله.

والحاصل أن أهل العلم درجات، منهم الكبراء، ومنهم دون ذلك، وكذلك أهل الجهاد..

وثانيا: لأنني لا أحب التعمق في ذكر المعايب والأخطاء، ولا أراه سبيلا للإصلاح كما قد ذكرته. وأنا يا أخي قلت إنني عندما أذكر المجاهدين فإنما أركز على قياداتهم وساداتهم، فلا عبرة بما يصدر عن الكثيرين ممن ينتسبون للجهاد من غير السادات وفقهاء القوم، وما وقع من هؤلاء السادات يمكن علاجه وإصلاحه وفهم بعضه على وجه حسنٍ، ورد بعضه وإنكاره، وأخطاؤهم هي الأخطاء التي نتكلم عنها، وفي النهاية هو محصورٌ، وهو مقصودنا بالمعالجة والإصلاح؛ فمثلا: عندما يقول الدكتور أيمن مثل هذا القول الذي ذكرته أنت عنه من أنه «لمز فيه الذين يتشدقون بالتربية وينشغلون بها والكفار يحتلون في كل يوم بلدا ويقتلون مسلما ويأسرون آخر».

فإننا نقول له: **يا دكتور بارك الله فيك هذا خطأ من وجهين**:

الوجه الأول: أن الناس مشارب ومواهب وتخصصات وكل ميسّر لما خلق له، وكل يعمل في جانب؛ فلنتكامل بدل أن نتدابر ونتناحر، وكما أن المجاهدين على ثغر عظيم فإن العلماء والدعاة في كل البلاد كذلك، فلا تعارض، بل تنوّع وتكامل.

الوجه الثاني: من جهة السياسة، فهب أن كلامك صحيح في نفس الأمر، وأن من وصفتهم بالتشدق بالتربية والانشغال بها.. هم كما تراهم: مقصّرون تاركون للواجب المتعيّن عليهم من الجهاد، أو حتى مسيؤون للجهاد وأهله، هب أنهم كذلك؛ فإن السياسة والحكمة في تألف الناس واحتوائهم وأصل التبشير وعدم التنفير يقتضي منك أشد الاقتضاء أن تعرض عن هذا الكلام ولا تقوله، بل تلين العبارة وتلطف الخطاب وتثني على الناس بما فيهم من خير وتغضي عن النقص والضعف، وتأخذ العفو، ما داموا بحمد الله لم ينصبوا أنفسهم لحربك وعداوتك.

هذا هو الذي نريد أن نقوله للمجاهدين، ونوصله إليهم..

ينبغي أن نكون قد نضجنا، وصقلتنا التجارب، وصارت هذه عندنا من الواضحات.

إنه من القبيح جدًا أن تظل هذه الأخطاء تتكرر..

والحق أن قيادات المجاهدين صاروا أكثر إدراكًا لهذه المسألة، فلله الحمد.

وهذا يعرفه من عرفهم من سنوات ويتابع ما يصدر عنهم الآن.

ووالله يا إخوة إنني أعرف التغير واضحًا في هذا الباب، وسأحدّثكم بمثالٍ تستدلّون به على ما وراءه وهو أن الدكتور أيمن حَفِظَهُ اللهُ قد تأسّف على تأليفه كتاب «الحصاد المرّ»، وصرّح بهذا لبعض الإخوة الثقات ونقلوه لي، وقال لو استقبلت من أمري ما استدبرتُ ما كتبته، ورآه لا يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين العامة، وليس من الحكمة.. وهناك أشياء غير ذلك.

وهذا الكلام من الدكتور أيمن حَفِظَهُ اللهُ قاله في وقت العزّ وكامل الحريّة والتمكّن، في وقت طالبان عام ألفين أو قبلها.

وهكذا على الجانب الآخر؛ فنحن نريد أن نوصل لمشايخنا ودعاتنا وعلمائنا في كل مكان أن لا يتسرّعوا ولا يخذلوا إخوانهم وإن أخطأوا وجهلوا؛ فهؤلاء أبناؤكم وإخوانكم لهم عليكم حق كبير، فضلا عن حرمتهم كمجاهدين، وعظم مكانهم في الأمة وحسن بلائهم، و﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ ﴾ [النساء: ٩٥] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ .. ﴾ [التوبة: ١٩] وغيرها من الآيات تنبئك.!

فيا علماءنا ومشايخنا ودعاتنا: الكلمة الطيبة الكلمة الطيبة، يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا، ولا تستعجلوا، وعليكم بالسكوت إن غم الأمرُ، وحاولوا أن تفهموا أكثر وأكثر إخوانكم وأبناءكم المجاهدين..!

أخي الكريم؛ هناك ترسّبات كثيرة وأسباب عديدة وتراكمات معقدة أدت إلى الفجوة بين أهل العلم وأهل الجهاد، وهناك أحيانا مشاحنات وخصومات وعداوات، ونحن نعرف هذا، وهناك أشياء مؤسفة والله..!

لكن، هذا كله لم يصدّ الكثيرين من أهل الخير وأهل الحق والإنصاف في الطرفين أن يعرفوا لكل ذي حق حقه، ولم يغرّهم، ولم يثنهم عن العمل للإصلاح وتأليف القلوب.

وهو ليس أمرًا خاصًا بهاتين الطائفتين فقط، فأنت تعرف المشاكل والعداوات بين طوائف السلفية والإخوان، وبين الإخوان والجهاديين، وبين التحريريين وكذا، وبين التبليغ وغيرهم.. الخ.

وفي كل بلد من ذلك، ما شاء الله وقدّر.!

إنه جزء من اختلاف الأمة الأوسع، ونحن مبتلون به، والمفلح من حقق الحقّ، ولم يتّبع هواه، وكان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

ملاحظة عابرة: أخي الكريم؛ وأما ما ذكرته من أنك تظن أن الدكتور أيمن هو الرجل الأول والمحرك للقاعدة، فإن كان يهمك رأيي فاسمح لي أن أقول لك وللقراء إن هذا بعيد عن الواقع، وإنما يظنه كذلك من لا يعرف الشيخ أسامة، بل الحق أن الرجل الأول والمحرك هو الشيخ أسامة، وهم في

حقيقتهم كما هم في ترتيبهم المعلن.

وإن للشيخ أسامة من قوة الشخصية وموسوعية المعرفة والحزم في الرأي وعلو الهمة وغيرها من الفضائل حظًا وافرًا؛ فليس من السهل أن يقوده أحد أو يؤثر فيه بسهولة، صحيح أن الإنسان بطبعه يؤثر ويتأثر، وكل قرين بالمقارن يقتدي، لكن من الصحيح أيضا أن الأعلى والأفضل قد يتأثر بالأدنى والأقل، ويبقى هو الأعلى.. والله أعلم.

وأنا من أشد الناس كرها للخوض في هذه الأمور، وإنما ذكرتها لأنها قيلت ومن قبل كررها بعض الناس، وبارك الله فيكم.

ونسعد بمذاكراتكم الطيبة، والكمال لله وحده، وإنما نحن عبيده نتعاون على طاعته.

نسأل الله أن يعفو عنا جميعا.

❑❑❑

[*السؤال الثالث عشر*: **التناصح بين العلماء والمجاهدين، وهل الحل في السكوت؟**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: لماذا لا يكون هناك المخلصون الناصحون من الطرفين ممن يجرؤ على ذكر أخطاء الفريقين ومناصحة الفريقين؟ وهل تظن أن التساكت طريقة شرعية للإصلاح؟ أنا لا أعني الكلام عن الأخطاء على الملأ كما يفعله الحمقى ممن يريدون تصفية الحسابات، بل أقصد تقرير الأخطاء دون ذكر الأسماء؛ كأن نقول: من المجاهدين من يفعلون كذا، من الجهاديين من يقولون بكذا، من العلماء من يفعل كذا، ونقرر الخطأ بالدليل، وبالأسلوب المؤدب المهذب.

الشيخ عطية الله:

أنا لا أقول بأننا نسكت عن الأخطاء جملةً! بل الأخطاء يذكر منها ما يحسن ذكره لغرض التنبيه عليه والتحذير منه ومن تكرره ولتصحيح الموقف فيه؛ فهي دروس مستمرة ودائمة لا تتوقف..

وكل ذلك بحسب المناسبات، وبحسب الدروس.

فلو أنا عندي درس لإخواني اليوم في «فقه الجهاد وأحكامه» فإنني سأجد نفسي مضطرًا لذكر بعض الأخطاء التي تقع في هذه الأبواب، وسأستحسن التمثيل بها للتفهيم أولا لأن المثال مهم جدا في التعليم والتفهيم، وثانيا للتحذير منه والنهي عنه ومحاولة إيصال الكلام فيه إلى أصحابه ومن ماثلهم



ممن يمكن أن يقعوا فيه ويجهلوه، ونحو ذلك من الأغراض والمقاصد المشروعة.

وهكذا لو كان درسي في التوحيد، فإنني سأذكر أمثلة لما أراه من أخطاء واقعة في أبواب التكفير والحُكم وغيرها.. وهكذا.

فهذا مورد من موارد ذكر الأخطاء..

والذي ينبغي حينئذ أن تذكر الأخطاء مجردة عن أسماء أصحابها، مهما أمكن ذلك، هذا الأصل.

لكن قد يكون في ذكر الاسم أحيانا فائدة وغرض صحيح فيقدر بقدره، وهذا معروف في مواضعه.

كما أن من الأخطاء ما يحسُنُ أن نناقشه على الملأ وفي المنتديات والمجالس العامة، ومنها ما الواجب فيه الإسرار بالنصيحة، والكتمان عن العامّة، وهذا كله ولله الحمد معروف للغالبية من عقلاء الإخوة والناصحين وطلبة العلم.

وكذلك عند التناقش والمناظرة بين الناس بالحق، تذكر الأخطاء وتبيّن بشروطها من العلم والعدل وحسن القصد والأدب.

وأفضل مواطن ذكر الأخطاء: هو موطن النصح مباشرة لأهله ثم لمن يمكن أن يغترّوا به من الناس ممن يتعلق بهم ذلك الخطأ في العمل.. كما يحصل عندما نكتب موضوعا ننكر فيه خطأ وقع من المجاهدين أو تصرفًا سياسيًا معينًا نراه خطأً، ونحذرهم منه وننصحهم بتجنبه، أو عندما ننقد فتوى نراها خطأ من عالمٍ أو ننتقد موقفا له أو كلاما في بيان أو موقفا سياسيّا ونحو ذلك.

وأنا -عن شخصي- أمارس هذا، ولي من النقد لهذا أمثلة هنا وفي غير هذا المكان، ولله الحمد.

فالمقصد الشرعي هنا مركّب من مجموع أمرين مهمّين: النصح لصاحبه، وتبيين الصواب للآخرين حتى لا يغترّوا بالزلة.

مع ما يتبع ذلك من تعليم الناس طرائق للاعتذار عن العلماء والمجاهدين وأهل الفضل، وطرائق التعامل مع مثل هذه الزلات والأخطاء، وغير ذلك.

لأننا لو لم ننكر نحن طلبة العلم ولم نمارس حق النقد والمناقشة، لأوشك أن يتولّى ذلك من لا يحسنه ومن هو أقل مرتبة في العلم وغيره، ولفاتت مصالح كبيرة للمسلمين، وهذا معروف مجرب.

ولا يخفى مكانة النقد والمناقشة والتباحث لحماية بيضة الدين من تطرق الخلل.

والحاصل أنني لا أدعو إلى التساكت، ولا أتوهم أن هذا ممكن، أبدا والله.!

أعرف أنه ليس واقعيا..

وعندما نبّهتُ إلى كراهتي الغوص في ذكر المعايب والأخطاء -لاحظ كلمة «الغوص» والبحث في

«مَن البادئ»، كان هذا في مقام تأكيد أن المقصود الأعظم والهدف الأسمى هو إصلاح ذات البين؛ فلا يكون تَعداد العيوب والحرص على تعيين البادئ بالظلم عائقا عن الوصول إلى ذلك الهدف.

ولا بد عند التواصل بين الناس من وضع جملة من الأخطاء المهمة الرئيسية على بساط النظر، وتصحيحها وبيان الحق فيها والواجب والاتفاق عليه، وهذا يسير على من يسّره الله عليه، والمطلوب التوكل على الله والصدق وحسن النية فقط، وما توفيقنا إلا بالله وما النصر إلا من عند الله، ولينصرنّ الله من ينصره.

وعليه فأنا أدعو إلى أن نضع نصب أعيننا هذه الأمور:

❖ أن الأخطاء كثيرة ومتراكبة ومتراكمة ومنذ أزمان، منذ الجهاد الأفغاني وقبله.

❖ أن الأخطاء متقاربة من الطرفين.

❖ وأن الواجب أن نصلح ذات البين، ونقرّب بين الطرفين، ونزيل الوحشة، هذا هو الهدف.

❖ وأن يدعو كلٌّ منا من يستطيع الاتصال به من هؤلاء وهؤلاء إلى ذلك بشتى الطرق الممكنة ويسعى في تفهيم المواقف وتغليب العذر وحسن الظن، وليستعمل حتى الكذب لأجل ذلك، بلهَ الستر والتعافي.

ومع كل ذلك.. فإننا واقعيون، ولا يظنن بنا ظان أننا سنخرج من هذا اللقاء وقد قضينا على كل المشاكل! وإنما هي دعوة لمن يبلغه، لعل الله يبارك فيها، ويسخّر لها من يكملها ويقوم بها حق القيام، من المخلصين الناصحين من الطرفين ومن سائر المسلمين.

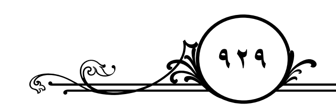
وهناك ملاحظة أخرى دقيقة أرجو أن أوفق لحسن التعبير عنها، وبالله أستعين:

وهي أن الكلام في الأخطاء العلمية النظرية، وهو ما يقع في العادة من أهل العلم حين يقع، يختلف في شيء دقيق عن الكلام في الأخطاء العملية التي تقع في العادة والأكثر من المجاهدين حين تقع.

وهذا الفرق هو: أننا عندما نتكلم في نقد رأي أو تصرف للمجاهدين في الميدان نكون أكثر حذرًا، لماذا؟ لأننا نخشى الفتّ في العضد، ونخشى توهين العزائم، ووقوع التثبيط والتخذيل من دون أن نشعر، ونخشى أن نضعف موقف المجاهدين الذين هم في أمسّ الحاجة الآن وهم في ساحة الحرب يقفون أمام جيوش الأعداء الجرارة ويجودون بأرواحهم؛ في أمس الحاجة إلى كل دعمٍ منا وكل كلمة طيبة ودعاء ونصرٍ وذبّ عنهم وسكوت حتى عن أخطائهم الواضحة فضلا عن المحتملة..!

فمراعاة هذا، والشعور بهذه المسؤولية شيء في غاية الأهمية.

وهذا -في الغالب- هو بخلاف ما إذا انتقدنا رأي العالم وناقشناه، فإنه ليس فيه هذه المحاذير في



الغالب، وأقول في الغالب، لأنه في بعض الحالات يكون كذلك أيضا.

فهذا في نظري مهم جدا أن يتنبّه له إخواني طلبة العلم وأهل الرأي والنصيحة.

فأرجو من إخواني أن يتأملوه جيدًا..

وقد نبّهت إخواني فيما سبق إلى أن من الحكمة ومن أخلاق الحرب عند الأمم كلها السكوتُ عن ذكر الأخطاء أثناء المعارك والمواجهات مع العدو، حتى تضع الحرب أوزارها، ثم يمكننا أن نناقش الأخطاء ونحاسب المخطئين وما شابه.

صحيح أننا في أحوال من الحرب لا تكاد تنتهي، لكن كل شيء يقدر بقدره، وحالةٌ دون حالةٍ، وهناك دائما فُرص لقول الكلمة الطيبة وللتصحيح لمن تأنى وتخلّق بالحلم والأناة، والله أعلم.

وجزاكم الله خيرا وبارك في جهودكم.

ونسأل الله أن يتولانا ويتولاكم برعايته وتوفيقه، إنه لطيف بعباده برّ رؤوف رحيم.

❑❑❑

[*السؤال الرابع عشر*: **عن الشعوب الكافرة، وحكم القرضاوي والبوطي وأمثالهما**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: سؤال عن الشعوب الكافرة، وما حكم القرضاوي والبوطي وأمثالهما؟ وهل يجوز تكفيرهما؟

الشيخ عطية الله:

بالنسبة للسؤال عن الشعوب -وأظن المقصد شعوب بلاد الكفر الأصلية، بلاد الغرب-، وعن «القرضاوي» و«البوطي».

فإنني أرشدُ فقط إلى الرجوع للعلماء وسؤالهم حول هذه المسائل، ارجع إلى من تثق فيه من العلماء واستفتهم، وبإمكانك أن تستفتي أكثر من واحدٍ من العلماء لو أتيح لك من أجل التأكد.

وأنا بالطبع عندي اختياري وقناعتي الخاصة، ولكن ليس لي أن أفتي الناس، والعلماء موجودون.

وممكن أن أنبه فقط فيما يتعلق بسؤالك الثاني إلى أنه قد توجد بعض المزالق للمشار إليهم أو غيرهم نحكم عليها بأنها كفر، لكن تبقى مسألة تكفير الشخص المعين مسألة أخرى، وهذا شيء بلا شك معلوم عندكم وعند عموم الإخوة لكن نحب دائما التذكير به، والتذكير بأن الحكم بالتكفير خطرٌ ولا نعدل بالسلامة والعافية شيئا.

وتنبيه آخر: وهو أنني في مثل هذه المسائل أستحب لإخواني المجاهدين وغيرهم من سائر المسلمين أن يكتفوا بالحكم على الأفعال، ولا يتعنّتوا ويصرّوا على الحكم على الأشخاص، ولا سيما من عافانا الله من مقاربته وملابسته في الواقع والميدان.

وأن يكتفوا أيضًا بالحد الأدنى من الحكم المستيقَن، وأعني به أنك يكفيك أن تعرف أن الشخص الفلاني منحرف عن الدين، ضالٌ، عنده ضلالات كبيرة وكثيرة، وأنه يُخشى عليه من الكفر.!

وبالتالي تجتنبه وتحذر منه.. فهذا القدر كافٍ وبركة ولله الحمد.

أما الإصرار على الجزم بكفر فلان أو علان (من أهل القبلة وممن ينتسب إلى الدين والدعوة ممن وقعت منهم أخطاء تحتمل تكفيرهم) فإن هذا من الخطر العظيم ومما لا نفتأ نحذر منه؛ لأن هذه المسائل هي في الأصل من باب القضاء لا الفتوى، ومهما يكن فهي تحتاج إلى تثبّت في معرفة حال الشخص وإثباتات وبينات لما صدر منه، بعد معرفة حكم ما صدر منه في الشرع.

ولا شك أن الأشخاص والأحوال والصور مختلفة، وليست في درجة واحدة.

فقد يكون كفر بعض الأشخاص مما عُرف واتضح حتى للعوام.

ومنها ما يكون أقل ظهورا وأكثر التباسا واحتمالا فليترك لأهل العلم، وهكذا..

وهذا -عند العقلاء الحريصين على دينهم وأخراهم- موجبٌ لتمام الحذر والتأني وعدم التسرع، وطلب السلامة.!

فمَن كان من أهل النظر وتبيّن له كفرُ الشخص المعيّن ساغَ له القول به، ومَنْ لا فليعرف قدر نفسه وليلزم السكوت والاكتفاء بالحد االمستيقَن كما أشرتُ إليه.

وأشد منه خطأ بل هو الانحراف الخطير والضلال المبين والعياذ بالله أن تُجعل مثل هذه المسائل أعني تكفير فلان أو علان -مما يُحتمَلُ- كالمسائل القطعية المحكمة في دين الله تعالى، ويُمتَحن بها الناس، ويصنّفون على أساسها، ويعقد عليها الولاءُ والبراء، وتوقد من أجلها نيران الحروب.!!

فهذا وباء خطير ومرض فتّاك حين تبتلى به ساحات الدعوة والجهاد، لا بد من التحذير منه وتحصين شبابنا وأجيالنا منه، والله وليّ التوفيق.

وإلى الوقت الذي يتسنّى لكم فيه الرجوع إلى أهل العلم؛ عليكم بالحلم والأناة، وترك الطيش والعجلة، وليتذاكر مع الأمثل فالأمثل، مع معرفة أنها مسألة قابلة للبحث أكثر ولتغير رأيه فيها.

❑❑❑

[*السؤال الخامس عشر*: **فتوى الشيخ «العقلا» في الذب عن المجاهدين**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: هل غطت فتوى الشيخ العُقلا كل الشبه المثارة على المجاهدين؟

الشيخ عطية الله:

بخصوص هذا السؤال؛ فيمكن ألا تكون غطت كل الشبه المثارة، والشبه لا تنتهي! لكن أهميتها أنها فتوى وتأصيل وتأييد من عالم معتبر.

واعلم أخي الكريم أن الخلاف في تأصيل هذه المسائل من الناحية الشرعية هو أسهل المطالب بإذن الله، فإنها مسائل مبحوثة مطروقة قد طُبخت ونضجت واستوت من قديم الزمان على أيدي فقهاء الإسلام ﷺ، والنوازل فيها لا تكاد توجد من الناحية الشرعية المحضة، وإنما المطلب الصعب الذي هو محور خلاف المختلفين هو في النظر السياسي الشرعي.. والله الهادي إلى سواء السبيل، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

❑❑❑

[*السؤال السادس عشر*: **عمل الشيخ مع «إمارة أفغانستان الإسلامية»**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: هل اشتغلت شيخنا في إمارة أفغانستان الإسلامية مع «طالبان» في أي مجال من مجالات الدولة الوليدة الفقيدة؟

الشيخ عطية الله:

بالنسبة لهذا السؤال؛ فلا أدري إن كان فيه فائدة يغفر الله لنا ولك، لكن ما دمت قد سألت فإن العبد الفقير اشتغل معهم في «وزارة المعارف» في إعداد المناهج، وكان العمل هو ترشيد وتصحيح منهج اللغة العربية لكافة السنوات من الابتدائية والإعدادية، مع فريق عمل من المولوية وأهل العلم الصالحين نحسبهم كذلك، نسأل الله أن يحفظهم ويختم لنا ولهم بالحسنى، والحمد لله تم إنجاز العمل كاملا تقريبا وقدمتْ أوائله لمطبعة الدولة، حتى كان الحادث الذي تعلمون، ولله الأمر من قبل ومن بعد. كما كانت هناك بعض الأعمال الأخرى الإعلامية والدعوية وغيرها، نسأل الله أن يمن بالقبول والعفو، ونسأله تعالى أن يعيد دولة الإسلام في أفغانستان وفي سائر البلاد أفضل وأقوى وأعز وأكرم.. آمين، وجزاكم الله خيرًا.

❑❑❑

[*السؤال السابع عشر*: **العمل الجماعي، وهل يصح الجهاد بدونه؟**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: ما رأيكم في العمل الجماعي؟ وهل يصح الجهاد بدونه؟

الشيخ عطية الله:

العمل الجماعي هو من باب الوسائل؛ لأنه وسيلة للجهاد، والوسائل لها حكم الغايات إذا تعيّنت، وما لا يتم المأمور به إلا به فهو مأمور به، بحسبه.. هذا أصلٌ في المسألة.

ولا بد من حسن فهمه؛ فالعمل الجماعي وسيلة، لأننا نعلم أن الجهاد لا يمكن أن يتم إلا بجماعةٍ، وليس هو عمل الآحاد، فلا يجب على الواحد إذا نكل الناسُ كلهم، وإنما قصاراه حينئذٍ أنه قد يستحب له كما قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤]؛ فمن وجب عليهم الجهاد سواء لعدوّ كافر أصليّ محتلٍ معتدٍ صائل، أو لعدوّ محليّ كافر مرتدٍ.. فإنه يجب عليهم أن يؤمّروا عليهم أحدهم ويجاهدوا تحت إمرته، وهذه هي الجماعة والعمل الجماعي، والذي يحصل في العادة أن الناس إذا عزموا على التغيير والجهاد يحتاجون إلى زمنٍ للإعداد، فينظمون أنفسهم في جماعة من أجل ذلك، فهذا مشروعٌ لما ذكرتُهُ ولأدلة أخرى، كما أن العمل الجماعي وتعاهد الناس وتبايعهم على القيام بأعمال الخير، والتعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك، كله مشروع بحمد الله، وأدلته مبسوطة في مواضعها من كتب أهل العلم، وهي بيعات وعهود مبنيّة على التخيير والتوسعة لا على التحريج، بمعنى أن الداخل فيها إنما يدخل مختارًا لا إلزامًا أصليًّا عليه في الشرع ما لم تتعيّن في بعض الحالات، بخلاف بيعة الإمام الأعظم، ثم هي تنقل المباح أو المستحب إلى الوجوب، وتؤكد الواجب وتقوّيه، وغير ذلك مما هو معروف في مباحثه.

وقد يكون في بعض الأحوال وفي حق بعض الأشخاص عدم الانضواء في جماعة معينة بل البقاء مستقلا في بعض هذه الأزمنة هو الأنفع للعمل الإسلامي أي للجهاد والدعوة وللمجاهدين وللمشروع الإسلامي، وهذا في غير «الجبهة» -غير حال مباشرة القتال-، فإنه في حال مباشرة القتال لا يسعُ أحدًا إلا أن يكون تحت إمرة أمير الحرب، وإنما الكلام عن الدخول في بيعة أمير وجماعة في غير حال مباشرة القتال بل للإعداد وللعمل الطويل النفس السياسي والعسكري أو الدعوي؛ فإذا تحقق الشخص المعيّن أن بقاءه مستقلا أفيد للإسلام والمسلمين، لأنه يعطي أكثر، ويكون بعيدا عن كذا وكذا مما يُحذر، ويكون تأثيره أكبر على الناس مثلا، لا سيما إن كان طالب علمٍ، لأنه غير محسوب على أي طرف أو نحو تلك الأسباب التي ترجح هذا الخيار فإنه إن شاء الله لا حرج عليه ولعله يكون في حقه

هو الأفضل، وهذا ما اختاره بعض أهل العلم ممن عرفنا.. والله أعلم.

والحاصل:

- من وجب عليهم الجهاد -القتال- فإنه يجب عليهم أن يكونوا جماعةً واحدةً ويشرعوا في الإعداد لتحصيل القدرة عليه؛ فإن تحصيل القدرة هنا واجبٌ بخلاف تحصيل القدرة على الحجّ فإنها ليستْ بواجبة، لأن الحجّ إنما وجب بشرط القدرة، كما هو معروف في الفقه والأصول، كما قال سِيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم رحمه الله:

وما وجوبُهُ بهِ لم يجبِ   في قولِ مالكٍ وكلِّ مذهبِ[1]

- قد يخرج عن هذا بعض الحالات للمصلحة الراجحة، لأن الجماعة وسيلة وليست مطلوبة لذاتها، فإذا عُلِم أنها في حق الشخص المعيّن ليست وسيلةً بل غيرها أفضل فينبغي فعل الأفضل.

- أما في ساحة القتال وفي حال مباشرة الحرب، فإن الجميع يجب أن يكون تحت إمرة أمير الحرب، سواء كان من جماعته أو كان طارئا.

والله أعلم وأحكم، نسأل الله لنا ولكم الهدى والسداد.

❑❑❑

[*السؤال الثامن عشر*: **التعليق على الكتب المؤيدة للنظام الجزائري**]

❁ شبكة أنا المسلم: تعلمون شيخنا أن هناك حملة علمية ومنهجية ضد كل من خرج على شرعية النظام الجزائري، وقد استوعب الشيخ «عبد المالك رمضاني» -وفقه الله- هذه الحملة في كتب أهمها «مدارك النظر» وكتابه في «الرد على أبي قتادة الفلسطيني»، فالرجاء منكم أن تكتبوا لنا تعليقًا يناسب مواضيع هذه الكتب؟

الشيخ عطية الله:

أما كتاب «رمضاني» وردوده فلم أقرأها، ولكني طالعت فصلا أو فصلين من كتابه «مدارك النظر منذ زمن وكان يرد على المشايخ «سلمان» و«سفر» وإخوانهم وفقهم الله، وينعى عليهم اشتغالهم بالسياسة كما يقول، والقدر الذي طالعته منه لم أر فيها علمًا نافعا ولا إنصافًا، وليس بشيء.!

---

(١) انظر: منظومة مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود (بيت رقم: ٢٨٧).

وأما الذين يسعون لدفع الكفر عن النظام الجزائري، فهم هؤلاء «رمضاني» وأمثاله ممن يتسمون بالسلفية وهم بعيدون عن حال السلف، ويدّعون أنهم على منهج المشايخ الكبار: «الألباني» و«ابن باز» و«ابن عثيمين» رحمهم الله جميعا.. وهي دعوى لا تسلم لهم فإنهم يخالفون المشايخ المذكورين في أصول في المنهج!

ويطلق عليهم إخواننا في الجزائر تسميات متعددة تنفيرا منهم ومن حالهم، مثل الخلوف، والتلفية، ولا كولون، والمدخلية، وغيرها.

وهؤلاء يجعلون «بوتفليقة» وقبله «زروال» و«علي كافي» وأمثالهم أولياء أمور المسلمين حكامًا شرعيين يجب لهم السمع والطاعة في المعروف في المنشط والمكره وأثرة علينا، ويحرّمون الخروج عن طاعتهم، بله منابذتهم، ويقولون: إننا لم نر الكفر البواحَ الذي عندنا فيه من الله برهان -ولن يروه!-، ويوالون هؤلاء الحكام ضدًا لإخواننا المجاهدين وسائر الدعاة المكفرين للحكام المتبرئين منهم، ويتعاونون مع هؤلاء الحكام ويظاهرونهم ويبدون استعدادهم لحرب المجاهدين معهم -ولن يفعلوا فقد عرفناهم من أجبن خلق الله- ويدعون إلى ذلك، وعندهم أن المجاهدين كلهم جملة وتفصيلا خوارج مارقون من الدين، ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون.!!

نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من الخذلان.

وأما أحوالهم مع الناس وفيما بينهم فإنها على أسوأ ما يوصَف!

وهذا حال أمثالهم في كل مكانٍ، تنافسٌ وتكالبٌ على الفانية ومتاع الغرور، وتناحرٌ وتدابرٌ.

وهم قومٌ مفتونون متنطّعون هالكون، متشدّدون **(ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه)**[1]، غالون، جعلوا الدين كلماتٍ وشعاراتٍ وحزبًا ورسومًا ووسومًا وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وعقدوا عليها الولاء والبراء.

وأما فسادهم في المعتقد فإن الإرجاء ضاربٌ أطنابه فيهم.!

وأما الفساد الأخلاقي والتربوي فيعرفهم من قاربهم وابتلي بهم، نسأل الله الستر والسلامة.

وأما فتور الدين وضعف الالتزام والاستقامة، وانعدام الغيرة والنجدة، وموت القلوب، وتمكن الوهْن، فحدّث ولا حرج.!!

وقد أجملتُ.. وما عبّرتُ إلا عن شيء يسير مما رأيته وعلمته منهم ومن أمثالهم.

---

(١) صحيح البخاري (٣٩)، سنن النسائي (٥٠٣٤).

عافانا الله وسائر إخواننا من شرهم ومن شر كل ذي شر.

ونسأل الله لمن فيه خيرٌ منهم أن يهديه وينقذه، ومن كان من أهل الشرّ أن يهلكه ويريح المسلمين من شره.. آمين.

❑❑❑

[*السؤال التاسع عشر*: **التعريف ببعض أزلام النظام الجزائري المجرم**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: هناك من يدفع الكفر عن النظام الجزائري ويقر بشرعيته، وأنه لم يصدر منه أي كفر بواح.. نرجو منكم أن تكتبوا كلمة تعريفية بخصوص رجالات هذا النظام، منهم: اللواء خالد نزار، العماري، رضا مالك، خاليدة مسعودي، بوتفليقة.

الشيخ عطية الله:

اشتهر على ألسنة الخبراء بالشأن الجزائري أن الجزائر يحكمها العسكر.

وهي عبارة صحيحة في الجملة.

وعند التحقيق؛ فإن **الجزائر يحكمها طائفتان:**

- طبقة سياسية.

- عسكر.

وكلا الطبقتين يدور في فلكهما منظومات أمنية واقتصادية وقوى اجتماعية.

كما أن بينهما تداخلًا كبيرًا، ومعظم رؤساء الجزائر كانوا من العسكر.

والعلاقة بينهما مرة هكذا ومرة هكذا، أي مرة على وئامٍ وانسجام ومرة على توتّر وتجاذبٍ، وتكون الغلبة عند التدافع للعسكر كما وقع في كل أو معظم الحالات، حتى نستطيع القول إن المؤسسة العسكرية في الجزائر -بما يتبعها من استخبارات- هي السلطة الحقيقية والفعلية في البلد، وهي التي تعيّن الرؤساء أو تطيح بهم متى شاءت، وكثيرا ما تضع لهم خطوطًا حمراء لا يتجاوزونها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومشهورة.!

والطبقة السياسية لها نفوذها واستقطاباتها في العسكر والاستخبارات، وكذلك العسكر وقيادات الاستخبارات لهم نفوذهم في الأحزاب والمكوّنات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

هذا باختصار..

فإذا نظرنا للطبقة السياسية فإن الغلبة فيها والمكنة الحقيقية للعلمانيين اللائكيين -اللادينيين- الفرانكفونيين أحباب فرنسا وربائبها.

والأحزابُ الإسلامية أو الوطنية المعتدلة والتي لها شيء من الشرف والكرامة أقل تمكنًا ونفوذًا في الدولة.

فالقوة الحقيقية والتمكن والنفوذ إنما هو للقوى السياسية اللائكية المتحالفة مع جنرالات العسكر والاستخبارات، مثل: رضا مالك وحزبه «التحالف الجمهوري»، وسعيد سعدي وحزبه البربري «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية»، وحزب آية أحمد وإن كان بنسبة أقل، وحزب زروال وأويحيى «التجمع الوطني الديمقراطي»، وحزب بوكروح المتلبّس بنوع من السمة الإسلامية زعم، وما شابهها، بالإضافة إلى القوة الكبرى المتمثلة في «الاتحاد العام للعمّال الجزائريِّين» الذي كان يرأسه الهالك عبد الحق بن حمودة الحليف الأول لزروال في عهده، وبعض القوى المدنية الاجتماعية والاقتصادية الأخرى.. وأما حزب «جبهة التحرير الوطني» -الحزب الوحيد الحاكم سابقا-؛ فهو أعرق الأحزاب وأكثرها نفوذًا إلى وقت قريب لكن صار يتآكل في السنين الأخيرة، وهو حزب علماني أيضًا، وفيه بعض الشرفاء الوطنيين مع ذلك.

وبالنسبة لبوتفليقة؛ فإنه من رجال الحزب الوحيد الحاكم سابقا، ومن رجال الجيش أيضًا فهو ضابط سابق، ووزَر لهواري بومدين في السبعينات، وهو علماني فرانكفوني يميل إلى اليسار والاشتراكية على الطريقة البومدينية، لكنه سياسيّ ذكيّ وفيه نوعُ تلطّفٍ ومسايسة بالمقارنة بكثيرين غيره.!

وإذا نظرنا إلى العسكر وما يتبعهم من استخبارات فإن قياداتهم بلا استثناء ذي بالٍ من اللادينيين أيضًا المحاربين للدين ممن تربوا في فرنسا وتكونوا أكثرهم في الجيش الفرنسي، وهم المعروفون بالجنرالات، أمثال: خالد نزار -القائد السابق للعسكر- ومحمد العماري -القائد الحالي للعسكر- وعلي كافي، والجنرال توفيق «محمد مدين» وهو رئيس الاستخبارات العسكرية، وعبّاس غزيل، ولامين زروال، وصاحبه ومستشاره محمد بتشين، ومحمد تواتي، ومحمد حردي -قتله المجاهدون على ما أظن-، وسليم سعدي، وطيب دراجي، وخليفة رحيم، والعربي بلخير، وعبد المالك غنايزية، وعبد الحميد جوادي، وقاصدي مرباح -قتله المجاهدون- وغيرهم.

وبالجملة؛ فإن الجزائر يحكمها مجموعة كفار مرتدون عن دين الإسلام، لا شك ولا مرية.

هم المسيطرون عليها وأصحاب السلطة والتمكن فيها.

وإنما ينكر ذلك ويستعظمه من لا يعرف حقيقة حالهم ولا خبرَ واقعهم، لا سيما ممن يعيش في بيئات

محافظة ولم يعرف مثل هذه النماذج!

والذي ننصح به من كان بعيدًا إن لم يسلّم بتكفير هؤلاء فعلى الأقل فليسكت وليقل لا أعرفهم.

وقد رأيت بعض أهل العلم من السعودية يُسأل مرة عن حكام الجزائر فقال إننا لا نستطيع أن نكفرهم، وقرر أنهم مسلمون على الأصل!

وهذا ليس بسديد من هذا العالِم الفاضل، لأنه لا يعرفهم ولا يعرف أحوالهم ومذاهبهم وما يفعلون، فكان عليه أن يقول: لا أعرفهم، ولا أتكلم فيما لا أعرفه.

وبالمناسبة فإن هذه الفتاوى لبعض العلماء من بعيد تسبب نفورا عنهم من قِبَل المجاهدين وكثير من المسلمين حتى العاديين، وقد رأينا هذا عيانًا.

وكأني بمعترضٍ متسرّع هنا يقول لي: أنتم تريدون من العلماء أن يمشوا على أهوائكم!!

وهذا باطل، نحن لا نقوله ولا نطلبه، معاذ الله.!

بل نقرّ ونؤمن أن واجب العالِم أن يقول الحق الذي عرفه، وما أداه إليه اجتهاده، ويصدع بما أمره الله به، غير ملتفتٍ إلى هوى أحدٍ، وأن يتقي الله ما استطاع.

ولكن إنما خطّأتُ قول العالم المشار إليه من وجهين:

الأول: أنه عندي خطأ في نفس الأمر لا شك فيه.

الثاني: أنه كما قلتُ؛ كان ينبغي أن يقول إنه لا يعرفهم، ولا يتكلم فيهم وهو لا يعرفهم.

فإن قيل: هو جرى على الأصل، والأصل فيهم الإسلام، فلا لومَ عليه.

قيل: لا يصلح هذا هنا.

لأن هذا العالم يعرف أنه قد قيل بتكفيرهم، وأنهم متّهمون بالكفر والزندقة والخروج من الدين ومحاربته، وأن هناك جماعة من المسلمين كبيرة ترى كفرهم وتقاتلهم، وفيها مشايخ ويؤيدهم بعض العلماء، ثم هو يعلم أن الكفرَ والخروج من الإسلام قد عمّت به البلوى في بلداننا في طبقة الحكام فكيف يتسرّع ويحكم لهم بالإسلام بمجرد استصحاب الأصل، ما أضعف هذا! هذا مع ظهور كفرياتهم القولية منها والعملية وموالاتهم للغرب وتحكيمهم لغير شريعة الله، وحربهم للدين وأهله.. الخ. ثم عليه أن يعلم أن فتواه هذه ستصل إلى الآلاف من المجاهدين لذلك الحاكم والنظام الكافر؛ فماذا ينتظر منهم أن تكون ردة فعلهم على فتواه إلا مزيدًا من النفور والاتهام للعلماء بأنهم في وادٍ والناسُ في وادٍ، فكان عليه أن يراعي ذلك كله، ويتلطّف ويحسن دعوة الخلق، وأفضل سبيل إلى ذلك -ما دام هو لم يعرف ردّتهم- أن يقول: لا أعرفهم ولا أتكلم فيما لا أعرفه، ويُحتاج إلى النظر في أحوالهم

وبحث قضيتهم جيدا، ويُحيل إلى علماء ذلك البلد ومن قاربهم ممن عرفه وعرف أهله جيدًا، أو ممن اطلع جيدا على حالهم ودرسه وأحاط به.

هذا أفضل جواب في حقه وحق من كان مثله بعيدًا، وهذا هو الأفق للمصلحة والأقرب لأصول العلم، والله أعلم..

وهذا النقاش وهذه الملاحظات مما نحرص أن نوصله إلى علمائنا ومشايخنا وفقهم الله وسددهم.

وأما النظام؛ أعني منظومة الفكر والقيم والدستور والقوانين والأحكام والعلاقات التي تحكم البلد فهي محتوية على الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان.!

فإن قوانين البلد مستوردة أصلا من القوانين الأوروبية، وهي تنصّ على الكثير من المسائل المصادمة لنصوص الشريعة ولإجماع المسلمين، في العديد من المسائل في المعاملات والأقضية.. وتفاصيل ذلك تطول.

ودستور الدولة يجعل الشريعة الإسلامية المطهرة واحدًا من مصادر التشريع كغيرها من المصادر، يعني يؤخذ منها ويستفاد، بل ويمكن لرجل القانون أن يلجأ إليها في الحكم -كأحد المصادر- في حالة وجود ثغرة قانونية مثلا، ولكن من دون التزام بالحكم بها وعدم تجويز الخروج عنها.!

وأما ولاؤهم للغرب وكفرهم الاعتقادي العلماني والقومي وغيره، وحربهم للدين ولأهله واستهزاؤهم به؛ فهذا يعرفه كل من عرفهم، ولا يخفى على متابع عارف بزمانه.

والله المستعان وإليه المشتكى.

ونسأل الله أن يعجّل بزوالهم ويريح المسلمين من شرهم.

وأن ينصر المجاهدين عليهم بمنه وكرمه إنه وليّ حميد.

❑❑❑

[*السؤال العشرون*: **الرأي بكتاب «ثمرات الجهاد» للشيخ أبي محمد المقدسي**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: فضيلة الشيخ؛ ما رأيكم بكتاب «ثمرات الجهاد» للشيخ أبي محمد المقدسي وفقه الله، وسلمه من كيد الأعداء.. آمين.

الشيخ عطية الله:

إذا كان المقصود مقالات الشيخ «أبي محمد المقدسي» وفقه الله التي عنوانها «وقفات مع ثمرات الجهاد»؛ فرأيي أنها مقالات طيبة ومفيدة نصح فيها الشيخ وأجاد بارك الله فيه.

وإن كانت هناك بعض الملاحظات فهي في الأمثلة التي يسوقها الشيخ؛ فبعضها غير مسلّم دخوله فيما أدخله فيه وهي محلّ اجتهاد، كما أنه ينوّع الأمثلة من هنا وهناك فيتوهّم القارئ في بعض فقراته أنه يقصد العراق مثلا أو «القاعدة»، ولكنه إنما يعني في كثير من أمثلته مجموعة من الشباب حاولوا القيام ببعض التفجيرات في «عمّان»!! لأن الشيخ يقصد إلى المعاني المجردة بقطع النظر عن الفاعل.

وليته وضح مراده أكثر في بعض الأمثلة.

وهو تكلم عن «القاعدة» على أساس أنهم متقنون محترفون..

كما أن بعض تنبيهات الشيخ ووصاياه تحتاج إلى تقييدات أدق، وعلى سبيل المثال: كلامه عن التهديد والوعيد متى يحسن وفقه ذلك، ومجمل ما قاله صحيح متفق عليه، لكن يحتاج إلى بعض إضافات وتقييدات؛ كالقول مثلا بأنه قد يحسن التهديد في حالات خاصة حتى من فاقد القدرة على الفعل والضرب، بشرط أن يعلم أن عدوّه يجهل أنه فاقد للقدرة على الضرب، بحيث أنه وصل بعد دراسة وبحث إلى أن التهديد سيجعل خصمه يتوقف عن بعض الشر ويندفع إلى ارتكاب أعمال معينة مرادةٍ لنا نريده أن يسقط فيها، أو يخاف وينقمع ويرتدع وينزجر، أو يخسر خسائر مادية كبيرة أو نحو ذلك.

وكذلك الكلام عن الاشتغال ببعض الجبهات وقتال الشيعة، يحتاج إلى تفصيل وإلى رجوع إلى أهل الميدان.!

وكلامه في «الوقفة الرابعة» عن الانتفاش والغرور والظهور بصورة أكبر من الحقيقة وعن التهديد والوعيد قد يفهم منه أنه يقصد «القاعدة» أو «الزرقاوي».. لا أدري!

وعلى كلٍ؛ كلامه على التجريد جيد لا أظنه يخالفه فيه الكثيرون، ولكن عند النزول للواقع والميدان الحقيقي، وتحقيق ما إذا كان الذين قصدهم هم كذلك أو لا؟ فهذا مجالٌ آخر، وقد يتبيّن أن حظ الشيخ «أبي محمد» ليس بأكثر من حظ من ينتقدهم من فقه المسألة والتوفيق فيها، وأنه لو وضع مكانهم لما عمل أفضل منهم، فإن ممارسة السياسة في الواقع غير الكتابة عنها، والتوفيق بيد الله وحده، والله أعلم.

نسأل الله أن يلهمنا وجميع أحبابنا الصواب ويرزقنا السداد.

ونسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان.

❑❑❑

[السؤال الحادي والعشرون: الرد على الأخ «أبي طواري» المعترض على الشيخ «عطية الله» وعلى الحركة الجهادية]

❁ **شبكة أنا المسلم**: دار في الصفحات كلام طويل للأخ «أبي طواري»، يعترض فيه على الشيخ «عطية الله»، وعلى الحركة الجهادية، وذكر فيه عدة مسائل ناقش فيها الشيخ؛ فما جواب الشيخ على كلامه؟ وحبذا لو أفرد لهذا الموضوع شيئا من التفصيل؟

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، توكلت على الله، اللّٰهم يسّر وأعن..

قد وقع لي مع الأخ «أبو طواري» عدة نقاشات سابقة، ويبدو أننا لم نصل لتحرير محل النزاع جيدا، وتحديد نقاط الخلاف بدقة، وصعُب علينا أن يفهم بعضنا بعضا فهما حسنًا بسبب ضعف قناة التواصل؛ فالكتابة لا تفي بالمقصود كاملا في مثل هذه الأمور.. والأخ «أبو طواري» عنده أفكار كثيرة جيدة وأنا وجدت نفسي متفقا معه في الكثير، لكن أيضا هناك بعض الأفكار الرئيسية هو يؤمن بها لا أراها إلا مجانبة للصواب.!

وقد رأيت أن أجمل بعض ما فهمتُ من أفكار الأخ الكريم، لأن اعتراضه هو جزء من فكرة شاملة، تختلف كثيرًا مع فكر الجهاديين.. وله أن يردّ في صفحة التعقيب أو في أي موضع يشاء، ومرحبا بالمناقشة معه ومع كل إخواننا على قاعدة المودة والمحبة والإخاء والاحترام.

فأخونا أحيانا يريد العلماء أن يقودوا الجهاد.. قلنا له: إن العلماء لن يقودوا الجهاد، ولن يستطيعوا، فلا تطمع في هذا، وإن العلم والسياسة -ومنه العمل الجهادي اليوم- انفصلا منذ ما بعد عصر الصحابة إلا ما شذّ.! وقسط كبير من اللوم واقع في هذا على العلماء أنفسهم، وإنه قد كانت الفرصة سانحة للعلماء في وقتٍ من الأوقات فقصّروا إلا من شاء الله؛ فتكون في ساحة العمل الإسلامي والجهاد قيادات أخرى غيرهم غالبهم ليسوا متخصصين في العلوم الشرعية، لكن هذا في حد ذاته ليس عيبا؛ فهم رجال سياسة وحربٍ، وعليهم أن يسألوا العلماء عما جهلوه من أحكام الشرع التي يحتاجون إليها، ويشاوروا أهل العلم والفكر والرأي.. الخ.

ما تكلمنا فيه كثيرا، ومع هذا فالفرصة مازالت -ولن تزال إن شاء الله- متاحة للعلماء أن يقتحموا ساحة الجهاد مع إخوانهم ويقودوا المسيرة، القيادة العملية أو العلمية أو هما معًا، والله يرفع من يشاء

ويفتح على من يشاء ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت].

ومرة يريد الأخ أبو طواري من القاعدة أن تترك الأمر وتنزع القميص الذي ألبسها الله إياه، وتأتي منكسرة معترفة بخطئها وتعتذر عن افتئاتها على الأمة -كذا!-، وعدم مشاورتها للعلماء وإدخالها الأمة في حربٍ ليست متكافئة وهي لم تستعد لها.. الخ.

وهذه الأخيرة هي فكرة جزئية تحتاج إلى بحث ومناقشة أيضا، وتقول للعلماء -الذين يُحددهم «أبو طواري»- أنا بين أيديكم قولي لي ماذا أفعل..! وقد ينصحها أولئك العلماء بحل نفسها وتسليم كل أفرادها أنفسهم لوليّ الأمر!! وإنما قلت: «العلماء الذين يحددهم أبو طواري»؛ لأن أخانا «أبا طواري» لا يقنعه أن تشاور القاعدة بعض العلماء في شرق الأرض أو غربها، ولو نفرًا قليلا منهم، ولو سرًّا لضرورة الواقع المعروفة، ولمحاربة أولياء الأمور للقاعدة وللمجاهدين حيث كانوا، لا يقنعه ذلك حتى تستشير جماعة مخصوصة معروفة مشهورة، هم الجمهور الذين يدور عليهم الأمر عنده..!

ومرة يقول إنه مع الجهاد ومع المجاهدين، ولا ندري مع أي الجهاد والمجاهدين هو؛ لأن الجهاد هو واقع في الميدان، فهو إذا أخرج القاعدة ومن قاربها ووالاها من الجماعات في أنحاء الأرض اليوم، فلن يبقى معه -كما ترون في كلامه- إلا حماس والجهاد في فلسطين على ما فيهم، بارك الله فيهم، ثم لا يجد ما يمدح به هاتين الجماعتين المجاهدتين إلا أنهم لم يكفروا عرفات وأبو مازن ولم يتبرأوا منهما ومن السلطة الفلسطينية الكفرية -لم يستعدوا حتى العلمانيين المصرّحين بعلمانيتهم-! فهو يجعل هذا الشيء الذي قصاراه أن يكون إخواننا في حماس والجهاد الإسلامي معذورين فيه يجعله من أكبر مناقبهم ويمدحهم به يقول إنهم هم المجاهدون حقا من أجله..!

وفهمتُ أن «أبو طواري» يعتقد أن الأمة الآن ضعيفة لا تقوى على محاربة عدوّ، ويقول: إن نسبة الملتزمين في الأمة لا تتجاوز عشرين في المائة، ويظن أنهم لذلك لا يقدرون على ما تدعوهم إليه القاعدة من جهاد وتغيير..!

وغفل عن قوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقول نبينا ﷺ: (**ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**)[1]، وأن هؤلاء العشرين في المائة هم من يحرك المليارات وراءهم وأن هذه هي سنة الله في خلقه منذ أول تاريخ البشرية وصراعات أممها وحروبهم، الغالبية الساحقة من البشر يُساقون سوقًا ويحرّكهم ويقودهم أفراد قليلون، ولم يدرك «أبو طواري» أن الملتزمين أكثرهم لا

---

(١) سنن أبي داود (٢٦١١)، سنن الترمذي (١٥٥٥) وصححه الألباني.

يجاهدون، وإنما يجاهد عند الفزعة والهيعة وعندما يحصص الحق المسلمون العاديون البسطاء الذين لا ندخلهم اليوم في دائرة الملتزمين ولا يشملهم إحصاء «أبو طواري»، أولئك المسلمون الذين لم تتلوث أفكارهم بالوساوس ولم تذبل عزائمهم بالحسابات المعقدة، والذين هم ذخيرة الإسلام، شبابًا وشيبا، ونحن رأينا هذا وعشناه؛ فاسأل به خبيرًا، ولله الحمد والمنة!

ويعتقد أبو طواري أن ما يسمّيه بـ«الصحوة» المباركة ولا ندري ما هي حدودها عنده؟ هي ثمرة جهود مجموعات من العلماء والدعاة وأنه علينا أن نترك لهم الأمر حتى يكملوا هم المسيرة والقيادة، وهذا القول باطلٌ، ولعلي أناقشه في فرصة أخرى، ويكفي على الجملة أن يقال في ردّه: إن الصحوة الإسلامية وهذه النهضة واليقظة التي شهدتها أمتنا في عقودها الأخيرة هي نتيجة تراكمية لجهود وأعمال وجهاد الكثيرين من العلماء والدعاة والمجاهدين وقوّالي الحق والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأهل التضحية والفداء والابتلاء في أنحاء الأرض، وليست نتيجة عمل فرد أو مجموعة أفراد محصورين معينين حتى يحاجُّونا بأن نترك لهم الزمام، بل إن أولئك الذين يشير إليهم «أبو طواري» ليسوا إلا ثمرة من ثمرات دعوة وجهود من قبلهم ومن سبقهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم هو لا يستطيع أن يعيّن ويحدد من هم هؤلاء الأشخاص الذين يريدنا أن نترك لهم الزمام، لن يستطيع!! ثم هم مختلفون بينهم اختلافات كثيرة، ثم هذا باطل لأنه يصادم قاعدة أن الحق هو المتبَع لا الأشخاص، فلو قال لك قائل: أنا أرى أن هؤلاء الذين تشير إليهم أخطأوا وأساءوا –مع كثرة خيرهم أيضا ولا نبخس أحدًا حقه– فكيف تأمرني أن أترك لهم القيادة وهم ليسوا أهلا لها وقد وُجد من هو أفضل منهم وأولى؟ وهل نستمر على أخطائهم وزلاتهم وقصورهم أو نصحح ونتبع الحق؟ ثم لو جئنا نحدد من هم هؤلاء الذين بنوا الصحوة كما يقول لربما وجدنا «جماعة الإخوان المسلمين» –وهذا من الإنصاف لهم– هم من أوفر الناس حظًا في بعث الخير في الأمة في قرنها الأخير بارك الله فيهم وتقبّل الله منهم وعفا عنهم، حتى إن جماعة من علمائهم لما قوي هذا المعنى عندهم واستولى على فكرتهم قالوا بأن «جماعة الإخوان المسلمين» هي الجماعة التي مَن خرج عليها فقد خرج على الجماعة وخلع ربقة الإسلام من عنقه! –وهو قول باطل بلا شك– وسمّوها «الجماعة الأم» و«جماعة المسلمين» وغير ذلك، أو نقول: دعوة وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأصحابه النجديين، وأنت ترى أن من تشير إليهم اليوم مخالفون للشيخ محمد بن عبد الوهاب في الكثير.!! –حتى إن أحد كبار الطائفة التي يشير إليها «أبو طواري» ينصح الآن بترك الاشتغال بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، أو التقليل منها، ويرى فيها غلوًا، ونسأل الله الستر والعافية–؛ فكيف يخالفون هم من سبقهم ولا يريدون

لمن بعدهم أن يخالفهم، هذا ليس عدلا! وتكفي هذه الإشارات.

ويدندن أبو طواري كثيرًا حول السنّ والخبرة وما قاربها من المعاني، وهذا شيء لا نخالفه فيه بل نوافقه في أهمية كبر السن والتجربة في الحياة وفي مداولة المسائل وطول الزمن في دراسة العلم والفكر، وحديث (**حدثاء الأسنان**..)[1] يُرعبُ قلب كل مؤمن، ولكن أيضا نحن نعرف أن العمر لا اعتبار له في إصابة الحق، وأن الحق أحق أن يتبع، ولا نظر في العلم إلى كبير أو صغير، ونعرف أن زعيم علماء الأمة الذي روي أنه يأتي أمام العلماء بكذا يوم القيامة وهو معاذ بن جبل توفّي وله بضعة وثلاثون عامًا من العمر في الدنيا، وشيخ الإسلام ابن تيمية كان إماما مفتيا وجلس لدروس التفسير يحضر له العلماء وعمره إحدى وعشرون سنة، وذلك كثير جدًا في العلماء وفي القادة العسكريين والسياسيين، وحتى بعض من يشير إليهم «أبو طواري» تصدّروا وصاروا مدرسةً في الحركة الإسلامية وهم في الثلاثينات من أعمارهم.!

صحيح أننا نوصي أنفسنا ونوصي إخواننا الطلبة بمعرفة قدر أنفسهم وأن لا يتقدموا من هم أعلم وأعرف وأكبر منهم سنًا.. الخ، وهذه من أصول تربيتنا، ولكن أيضا من الحق الذي نؤمن به وندعو إليه أن الحق إنما يعرف بدليله وبرهانه لا بقائله؛ فكبر السن أو صغره والشهرة أو الخمول ونحوها لا يعارض بها البرهان عند البحث والمناظرة، إنما المقارعة بالبرهان وحده.!

وأما ادعاء الإجماع فخطأ واضح اجتنبه الأخ «أبو طواري» واستعاض عنه بمسألة الكون مع الجمهور الأعلم والأعرف والأكبر سنًا وخبرة وتجربة والقول باحتمال الخطأ والتراجع من طالب العلم... الخ.

ونحن نقول له: إن احتمال الخطأ والتراجع من الجميع وارد وإن زاد هذا على هذا، وإذا كان من أسباب ذلك لدى الشابّ صغر سنه فعند كبار السن أسبابٌ أخرى تقاربه أو تربو عليه! وبكل حالٍ فهذه مسألة تربويةٌ ينصح بها الإنسان نفسه وإخوانه ويعتني بها مريد الخير في خاصة شأنه، لكن -كما قدمت- لا تُعارض بها البراهين عند البحث والتحقيق.

ثم مسألة الخبرة التي يتكلم عنها تحتاج إلى ضبط؛ فكم رأينا شابًا في العشرينات والثلاثينات عنده من الخبرة في الحياة وإدارة شؤون البشر وسياستهم ما يفوق أصحاب الستين، لأنه خاض التجارب وخالط وتخصص وقرأ في هذا المجال واعتنى به، وأولئك لم يخالطوا ولم يجربوا ولا اعتنوا فمن أين تأتي

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٧، ٣٦١١) وزاد: (سفهاء الأحلام).

الخبرة؟ أمن مجرد الجلوس وإن لطلب العلم؟ فقد يقول لك قائل الآن على سبيل المثال إنه يعتقد أن يوسف العييري رحمه الله ورضي عنه أعظم خبرة وأوثق في الرأي من كثير من كبار العلماء بالشريعة الذين تشير أنت إليهم.!!

وهذا الكلام إنما نقوله للاضطرار إليه في المناقشة، وإلا فهو ليس نهائيا وما كان أغنانا عنه! ويحتاج إلى تدقيق أكثر.. والمقصود هنا الحث على المراجعة والتأمل.

وأما الإلزام بالأخذ بقول الجمهور فهو باطلٌ، إذا ظهر الدليل ولاح البرهان، وفي المسألة تفاصيل. ولعلي أزيده إيضاحًا فيما يأتي إن شاء الله، أو في فرصة أخرى.

وقلت لأخي «أبو طواري» في مرة سابقة إن قول الجمهور في مسألة الخروج -على الحكومة- قوي في الاعتبار، لأنها مسألة راجعة إلى تقدير المصالح والمفاسد والنظر للإسلام والمسلمين؛ فالرأي فيها رأي الجماعة، وترك الشذوذ والتفرّد هنا مؤكد أيما تأكيد.. لكن لا يمكن أن تحتج على معتقد كفر فلان أو علان برأي الجمهور، ما دام قد ظهر له الحق واتضح لديه.

والله أعلم، وهو وليّ التوفيق.

والآن نأتي لبعض التفصيل:

قوله غفر الله له: «المشكلة أن الشيخ ينطلق من أصل يسلّم به وهو تكفير الحكام -بدون استثناء- وهو ما يخالف به كبار العلماء السلفيين: -ابن ابراهيم، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني وغيرهم- وهؤلاء العلماء فضلا عن فارق العلم والتأصيل والسن والخبرة والتجربة والحكمة والاطلاع والاختصاص وشهادة القريب والبعيد لهم، والقبول فهم أيضا أقرب إلى حكام الجزيرة، وأكثر اطلاعا بأضعاف ما عليه الأخ الكريم» اهـ.

التعليق: أولًا لا أريد أن أنجر إلى الكلام في الحكومة الفلانية لأن هذا ليس موضعه ولن أكون في موضع نَصَفٍ في نقاشه، وأحتفظ برأيي فيها.

ولكن قوله «تكفير الحكام بدون استثناء«، هذا غلطٌ عليّ، ولن يجد «أبو طواري» تصريحا لي بذلك أبدًا؛ فأنا لا أعرف أنني قلت في حياتي ربما: كل الحكام، وإنما عبارتي دائما هي أكثرهم وأغلبهم ونحو ذلك، وذلك للاحتراز ممن لم أعرفهم، وممن وقع الخلاف فيهم، واقتداء بالكتاب العزيز كما في قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ [التوبة] ونحوها، وفي ذلك بركة وكفاية.

وذكر الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله هنا هو مجرّد تهويل لا غير!! فالشيخ رحمه الله متوفى منذ ما يقارب الثلاثة عقود؛ فكيف يقال إنني خالفته، وهل حضر الشيخ حرب أفغانستان والعراق و«مؤتمر مكافحة

الإرهاب»؟ الشيخ ﷺ إنما رأي في وقته بعض الانحراف وبداياته وكان ذلك من خلال قوانين «الغرفة التجارية»، فتكلم فيها ونصح ونصّ على أن بعض تلك المخالفات كفر مخرج من الملة؛ لم يكفر الأشخاص.. نعم، لكن هل عدم تكفير الأشخاص يستمر إلى ما لا نهاية؟ ثم كيف لو رأى اليوم ما آلت إليه «الغرفة التجارية» من تطورات، وقوانين النشر والإعلام، وصروح الربا المصرّحة بناء على قوانين «الغرفة التجارية»، وكيف لو رأى الموالاة والمظاهرة في أظهر صورها للصليبيين على أهل الإسلام، وكيف لو رأى المودة المكشوفة، وغيرها وغيرها..؟!

إن كانت الظنون تنفع؛ فظني أنه لو كان بيننا لكان رأيه أقرب إلى رأي عبد الله الرشود!

والشيخان ابن باز وابن عثيمين والشيخ الألباني ﷺ لم يشهدوا أيضا ما بعد «احداش سبتمبر»، ولهم آراء واعتذارات معروفة عن القوم، ليس من شرط المؤمن أن يوافقهم عليها، وإلا فانظر إلى كلام ابن باز ﷺ مجردًا في مسألة الإعانة والمظاهرة؛ فهو من أقوى كلام تجده في كتب أهل العلم على الإطلاق، وأما عند التطبيق على الواقع فيقع الاختلاف.

وما على المؤمن -عالم أو طالب علم أو عاميّ- أن يخالفهم في اعتقاد كفر فلان أو عدم كفره حين يرى الحق ويتضح له البرهان؟

ولكني أنصفك أخي الكريم، أنا أترك لعلماء السعودية وأهل الرأي فيها الكلام في حكومتهم ولا أتكلم فيها.

والتخلص من السؤال عنها أمرٌ سهل ميسّر، بالقول إنني لا أعرفها جيدًا، وبعيد عنها، ولم أبحث أمرها جيدا لأنني لست مبتلىً بها، وأحيل إلى علماء البلد وأهل الرأي فيه؛ إذا كان ذلك يقرب بيننا وبين إخواننا وأحبابنا.

وهل رأيتني أفتتح المواضيع وأدعو إلى اعتقاد كفرها؟ أبدًا ما فعلتُ هذا لا في هذا المنتدى ولا غيره، ولا أراه مما يهم جدًا، والخروج عليها لو شووِرتُ فيه لما أمرتُ به، وإنما لما وقع فأنا لا أنصر ظالمًا اختلف الناس في كفره وخروجه من ملة الإسلام وبحثوا في أمره -على الأقل- على شباب الإسلام أهل الدعوة والجهاد؟ هذا خلاف ديني، معاذ الله!! فإما أن أسكت وأعتزل، وإما إن اضطررتُ للكلام أن أنصف أهل الحق وأدعو لهم وأنصرهم بكلمة حق وإنصاف.

والذين وقفوا مع الحكومة التي ذلك وصفُها ضدًا للشباب بحجة أن الشباب فجروا وقتلوا بعض المسلمين في حربهم مع الحكومة -وقد قَتل عبد العزيز بن سعود أضعاف أضعاف ما قتلوا- فقد صرّحتُ بأني أراه خطأ، وأنا أعتقد أن ما يحمل الكثيرين منهم على ذلك هو الخوف على مشاريعهم

وعلى أنفسهم وعلى أمنهم وراحتهم، هذا ظني للأسف وأرجو أن أكون مخطئا، لكن ماذا نفعل في هذه الأزمان أزمان الفتنة؟!

وقد أرى في الحوارات في هذا «المنتدى» أو غيره من يدعو إلى حسن الظن بأولئك الحكام ويثني عليهم ويحاول تحسين صورتهم؛ فأرى حقا عليّ ودينًا لله تعالى وتقىً أن أقول كلمة حقّ وأردّ ذلك الباطل وأبيّن أن هؤلاء الحكام هم أولياء للذين كفروا، وقد حسموا أمرهم واختاروا خيارهم وهو الوقوف مع النظام العالمي تحت قيادة العاهرة أمريكا، ولا يرجى منهم خيرٌ ولا صلاح ولا إصلاح، نصحًا للأمة ودفعًا لغشّ الغاشّين لها.! وإنما هي كلمة حق نقولها لعلها تهدي إلى هدىً أو تردّ عن ردىً، وقد ينتفع بها واحدٌ من مئات القارئين، والهداية من الله وحده: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:٩].

وقد كنت مشرفا في أحد المنتديات وكانت عندي كل الفرصة لأكتب في تكفير الحكومة الفلانية أو غيرها، وما كتبتُ شيئا، لأني لم أرَ ذلك صلاحًا ولا زيادة فضلٍ، لا سيما مع أناس عندهم من التكفير ما يكفي ويُخشى عليهم من الزيادة، وهم أحوج إلى من يعينهم على الاعتدال والتوسّط والتريّث.. وكنت عندما أكتب في «منتدى الأنصار» ونحوه من المنتديات التي يغلب عليها نصرة المجاهدين ويكثر فيها الميل إلى التكفير واستعمال ألفاظه أتشدد أكثر في النهي عن التكفير وإحراج من يطلق ألفاظه بالأسئلة والتدقيقات لكبح جماحهم عن بعض الغلو والمبالغة، وذلك مما أراه من الفقه ولله الحمد، وكنت في بعض الأزمنة مع المجاهدين في الجبال؛ فكانوا يبالغون في أشياء منها لبس العمامة حتى يجعلونها كأنها واجبٌ ينكرون على من تركها، فكنت أتعمد تركها وحسر الرأس أو لبسَ شيء آخر قلنسوة أو نحوها لأجل معادلة تشددهم وتنطعهم، وردّهم إلى شيء من الاعتدال، وقد لاقيت أنا وقلة من أمثالي من العنت والقهر في ذلك ولله الحمد..

وكان هذا من فقه السلف ﷺ: كان أيوب السختياني يرسل ثوبه إلى حدِّ الكعبين فقيل له فيه؛ فقال: «إن الشهرة اليوم في التقصير»(١)، واشتهر استعمال هذا الفقه عن الإمام مالك ﷺ، حتى انتقد عليه بعض الفقهاء مبالغته فيه وأنه عارض به النص في بعض المسائل.

والحاصل أن الاشتغال ببيان كفر بعض الناس من حكام أو غيرهم ممن ارتكبوا الكفر هو ككثير من الأحكام والبيان، يكون بحسب الحال والأشخاص وما يناسب أن يعطى لهم من البيان والهدى

---

(١) قال ابن الجوزي في: صيد الخاطر (ص ٢٦٤): «وقد كان أيوب السختياني يطول قميصه حتى يقع على قدميه، ويقول: كانت الشهرة في التطويل، واليوم الشهرة في التقصير».

ويربّون عليه.. وبالله التوفيق.

والمشكلة يا «أبا طواري» ليست في تكفير الحكومة السعودية أو عدم تكفيرها، لنترك هذه وسلّمنا أنها مسألة خلاف والأمر فيها ليس واضحا وضوحه في غيرها، وسلّمنا لعلماء السعودية اجتهادهم وهم أهل الأمر هناك، لكن ما قولكم في القذافي، وحسني، وزين تونس، وحكام الجزائر، والمغرب، وبرويز مشرف وأمثالهم؟!

وهذه حكومة الكويت جارتكم وأمثالها.. ما قولكم فيها؟

هل ترى أن أقوال العلماء في أمثال هؤلاء تشجّع على قبول قولهم في حكام السعودية؟!

المشكلة أيضًا يا أخي «أبا طواري» أنك تحصر نفسك وتحصر العالم كله معك في «السعودية» وأولياء أمورها.!! وسّع أفقك يا أخي وانظر إلى أرض الله الواسعة.

حقا بلاد الجزيرة وأرض الحرمين مهد الإسلام ومأرزه وبيضته، ولا نهمل غيرها، والزمان مراحل والأيام دول، وقد تكون فترة من التاريخ يتحول قطب رحى السياسة والملك إلى حيث شاء الله.

ثم اتركنا من تكفير أعيان الحكام المشار إليهم، لكن لنتكلم في المطلق -عن الفعل-؛ هل وقع منهم الكفر البواح؟! لا أريد نقاشها هنا، ولكني أكتفي بالتنبيه بالسؤال.

قوله: «ولذا تجد الشيخ يعتذر دائما عن المقدسي مع ما قاله المقدسي من ألفاظ غريبة جدًا يعتذر له لأن المقدسي له جهود!! طيّب؛ القرضاوي له جهود، والطنطاوي له جهود؛ فهل قاس تلك الاعتذارات عليهم!! ولكن لأن الأصل لدى الشيخ هو تكفير الحكام -مطلقا-.. فلا خلاف في الفروع إذًا» اهـ.

التعليق: ينعى عليّ الاعتذار عن الشيخ المقدسي، ويلزمني بالاعتذار عن الطنطاوي وغيره.! فسبحان الله! ويخرّج اعتذاري عن المقدسي على موافقتي له في تكفير الحكام!

وهذا خطأ عليّ أيضًا.. ولا حولا ولا قوة إلا بالله.

فأنا أعتذر كثيرا أيضا للشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي وغيرهم، وأعتذر عن الشيوخ ابن باز وابن عثيمين والألباني كل علمائنا فيما أخطأوا فيه؛ فأين تكفير الحكام؟ سامحك الله، هذا ظلم.

المقدسي رجل توحيد وعقيدة وإيمان نحسبه كذلك، ورجل دعوة إلى الخير وصدع بالحق وجهاد به، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.. لا ينكر هذا ويغمطه حقه إلا جاهل أو مكابر رقيق الدين.!

وهو من أحق من يعتّذر له في أخطائه، وخطؤه في سبّ بعض العلماء والطعن فيهم بعبارات شديدة قاسية خطّأناه فيه وأنكرناه عليه، ثم اعتذرنا له بحسن بلائه في الدعوة إلى التوحيد ومجاهدة الطواغيت

وكشف باطلهم، وأنه ما دفعه إلى تلك العبارات القاسية إلا الغيرة على الدين والحمية له لا نشك في ذلك، واعتبرنا ما صدر منه من جنس قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «ولكنك منافق تجادل عن المنافقين»[1]، وقلنا إن الشيخ صار يجتنب هذا والحمد لله وصار أكثر اتزانا في عباراته، وفقه الله.

فأين هذا من القرضاوي والطنطاوي؟ ؟ سامحك الله.!

ثم إنني مع هذا كله أعتذر عن القرضاوي في كثير من أخطائه.

وأما الطنطاوي فهو عندي خارج الدائرة ولا شأن لي به.

قوله: «المشكلة التي تدمي القلب هي ربط الجهاد بأشخاص معينين.. وعزل العلماء عن الجهاد! وهذا خلاف الواقع؛ فالمجاهدون لا يكفرون، بل لا يشتغلون بذلك عما هم عليه ويستشيرون العلماء، والعلماء مع الجهاد في أفغانستان والبوسنة والشيشان، والصومال، والآن في العراق وأفغانستان، هم مع الجهاد وبحكمة كحكمة الإخوة المجاهدين في فلسطين، حيث لم يستعدوا حتى الذي يصرح بالعلمانية -عرفات- لأنهم يعرفون الأهم والمهم.. كان هذا الوضع هو السائد -وما زال كثير من المجاهدين على هذا الحال نسأل الله له النصر والثبات-، ولكن هناك مجموعة من المجاهدين يشغلون أنفسهم بمسائل التكفير وهم ليسوا أهلا لتناول تلك المسائل -علميا ومعرفيا- وهذا ما حاد بهم عن الجادة، وترى بعينيك وتسمع أذنيك نتائج تلك الحيدة وسياسة الاستعداء وآثارها السلبية حتى على المجاهدين أنفسهم» اهـ.

التعليق: هذا كلام عجيب، فيه خلط وفيه ما هو باطل.

فلقائل أن يقول لك: المشكلة التي تدمي القلب هي ربط العلم والحكمة بأشخاص معيّنين!! ومحاولة عزل أهل الخير والجهاد في سبيل الله عن الأمة!!

ولا أدري كيف يريد أخونا الجهاد؟ جهاد بدون أشخاص؟

هو الجهاد عبارة عن ناس من بني آدم مسلمون يقاتلون أعداء الله في سبيل الله..! وفي كل عصر وزمان مجاهدون شئت أم أبيتَ هم الظاهرون الأعلونَ، وسأوضحه أكثر إن شاء الله.

وقوله: «المجاهدون لا يكفرون» هذ كلام باطل، ولا ينبغي إطلاقه وليس هو من كلام العلماء ولا طلبة العلم، بل هو أشبه بكلام الجهلة والعلمانيين -اللادينيين- وحاشا أخي غفر الله له!

فالذي لا يكفر ليس بمسلمٍ أصلًا..!

---

(١) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (ص ٣٢٨)، تاريخ الطبري (٢ / ٦١٤)، البداية والنهاية (٦ / ١٩٧).

دين الإسلام قائم على تكفير الكفر وأهله.

والمقصود: بيان فحش الخطأ في هذه العبارة وما شاكلها من إطلاقات.

ولا ينبغي أن ينجرّ إليها العقلاء المصلحون.

وإن كان مقصود الأخ «أبو طواري» هو تكفير مخصوص، وهو التكفير المذموم الواقع بغير حق.

لكن ما هو التكفير المذموم هذا؟ هذا هو ما يختلف فيه الناس، و«أبو طواري» عنده أن تكفير الحكام -ما حدود ذلك؟- من التكفير المذموم، وأن اشتغال المجاهدين بذلك هو فسادٌ.! ولا بد أن يكون عنده تفصيل لكن هو يتجنب التفاصيل هنا ويطلق.

وإذا كان القصد أن تُترك تلك المسائل للعلماء المؤهلين للبتِّ فيها؛ فهذا كلام صحيح.

وهو ما ننصح به ونوصي دائما.

والحمد لله غالب الواقع من تكفير الحكام واقع على هذا السَّنن، إن لم نقل كله.

فلن تجد المجاهدين -شرحت مرارًا من أقصد بالمجاهدين- يكفّرون أحدًا إلا عن قولِ عالمٍ، عرفته أنتَ أو جهلته.!

والخلل الواقع في هذا الباب لا يخرج المجاهدين عن كونهم مجاهدين أهل خير وصدق وحسن بلاء في الإسلام، بل هم من أولى الناس دخولا اليوم في الطائفة الظاهرة المنصورة بلا شك، لله درهم وعلى الله نصرهم!!

فإن التكفير الواقع خطًا عن اجتهادٍ -من أهله ولو واحدًا- وغيرةٍ للدين صاحبُه معذورٌ بل مأجور..!

وإنما المَفتونُ هو الذي تفتنه هذه الهناتُ والأخطاء -على التسليم أنها أخطاء أو بعضها- فيظلم المجاهدين في الحكم وربما عاداهم ونصب نفسه ضدًا لهم وخصمًا وسعى في تشويه صورتهم؛ نعوذ بالله من الخذلان.! ونسأله تعالى لنا ولإخواننا جميعا الهدى والسداد.

و«أبو طواري» يريد من المجاهدين أن يكونوا جنودًا مثل عسكر الحكومة يقاتلون حيث قيل لهم اذهبوا وقاتلوا، ثم يرجعون إلى قواعدهم سالمين ويرحم الله موتاهم، ولا يشتغلوا بتكفير أحدٍ ولا بشيء!! ليس لهم دخل في تلك الأمور، وليس لهم أن يسوسوا الأمة ولا أن يتطلعوا إلى حكمٍ أو يعلنوا حربا أو سلمًا مع أي أحدٍ، إنما هم عسكر فقط.! وليس لهم أن يطمحوا أو يحلّموا بإقامة دولة إسلامية أو ما شابه، هذا أيضا ليس لهم.!

يريد «أبو طواري» للمجاهدين أن يطردوا المحتل، ويقاتلوا أمريكا هناك بعيدًا إن شاءوا في

أفغانستان ونحوها، ثم يتركوا الأمر لغيرهم.!

هذا تصوّر خاطئ جدًا، ولن يلتقي صاحبه مع المجاهدين أبدًا.

بل سيصطدم معهم في بعض الطريق قريبا.!

المجاهدون الآن هم حماة الأمة وهم طليعتها وهم من ساداتها، وهم مكوّن كبير وأساسي فيها، وهم الساعون لاستعادة مجدها، ولهم استقلالهم ولهم رأيهم في كل شيء، إنهم رقم صعب في زمن العولمة لا يمكن تجاوزه!

المجاهدون ليسوا عسكرًا لدولة، لأنه ببساطة ليس للإسلام اليوم دولة للأسف، وما وُجد المجاهدون إلا للعمل على إيجاد هذه الدولة.

إن المجاهدين هم دولة بذاتها إن شئتَ..!

وقوله: «إن العلماء مع الجهاد»؛ أي كانوا مع الجهاد في أفغانستان وغيرها، نعم أكثرهم كانوا كذلك، وكانت العافية غالبة والحمد لله، والآن جاء من التمحيص والمحكات ما محّص الناس وميّزهم، سنةَ الله.. والناس ليسوا كلهم سواء، منهم من هو مجاهد ومنهم من هو مع الحكومات الخائنة ورضي بالدون ومنهم دون ذلك وهم درجات، والمجاهدون يميزون بين الناس علمائهم وعامتهم، ولا لوم على المجاهدين إذا لم يثقوا في بعض الناس وخافوهم أو تركوا استشارتهم لأنهم رأوهم ليسوا جديرين بذلك بسبب مقاربتهم للسلاطين الخونة ونحو ذلك من الأسباب، أنت تلومهم على ماذا؟!

أنا لا ألومهم، وإنما أدعوهم إلى احترام المحترمين منهم وأهل الخير مهما اختلفنا، ولا نبخسهم حقهم ونحاول أن نتألفهم، وندعو إلى حسن الظن والتفاهم ما استطعنا، ونستمر في إيجاد الثقة المتبادلة.. الخ ما كررناه مرارًا.

ثم قوله «إن العلماء مع المجاهدين» نحن لا نريدهم مع المجاهدين فقط، نحن نريدهم أن يكونوا هم المجاهدين، ما رأيك يا «أبا طواري»؟

ومدحه للإخوة المجاهدين في فلسطين تقدمت الإشارة إليه، وأنه لن يستطيع -إن شاء الله- أن يمدحهم بشيء حقيقي من الخير إلا وهو موجود في مجاهدي القاعدة وأوضح وأوفر منه، وأنه لن يهرب من شيء من مجاهدي القاعدة إلا ويقع فيما هو أشد منه عند غيرهم!

وهذه عبارة فيها إجمالٌ فتأملها، وإن شئتَ شرحتها في موضع آخر..!

الكلام عن التكفير فيه تفصيل، فيه حق وباطل.. وقد حصل النقاش فيه كثيرا.

وكذا الكلام عن ما عبّر عنه بـ«الاستعداء»، فيه تفصيل منه ما نوافقه عليه ومنه ما لا، وفي آخر المطاف هي أمور لا تخرج المجاهدين عن كونهم مجاهدين أهل حق واجبٌ علينا جميعا نصرتهم والنصح لهم.

قوله: «عندما تخيّرني بين قول الشيخ ابن باز ﵀ والمشايخ الكبار ممن نعرف علمهم وفهمهم وسلفيتهم وجهودهم وتجربتهم وتقواهم وورعهم وصدقهم -والله حسيبهم- في عدم كفر شخص هم قريبون جدا منه، وبين قول بعض الأخوة في تلك المسألة الحساسة والكبيرة والخطيرة، وهم أقل علما وقربا بمراحل.. لا أظنك تتوقع مني الحيرة في الاختيار.. فضلا عن وضوح أجوبة العلماء.. وغموض أدلة الآخرين، وكما يقال «الشك يفسر لصالح المتهم»، ولأن أخطي في عدم التكفير خير لي من الخطأ في التكفير، وقد اطلعت على أقوال الطرفين.. فلم أشك في خطأ القول بالتكفير، وأنه فتنة يجب التحذير منها -ومن آثارهم تعرفونهم-.. ولكن المشكلة في تقصير كبار العلماء وطلبة العلم في مناقشة تلك الأفكار خلال مثل هذه المنتديات ولا حول ولا قوة إلا بالله.. هذه المشكلة التي تحتاج إلى مراجعة وتأصيل، وليت الشيخ يراجع بها كبار العلماء» اهـ.

التعليق: قوله: «عندما تخيرني..» الخ؛ هذا موقف المقلد المحض، وأنا لا ألوم من كان مقلّدًا أن يقلد الشيخ ابن باز وأمثاله من العلماء الكبار وأكرم بهم.. بل قد آمره بذلك.

لكن من ارتفع درجةً عن هذه المرتبة من طلبة العلم -المتبعين- أو من كان من العلماء المجتهدين، والاجتهاد يتجزأ على الصحيح، فلا يصلح له ذلك، بل عليه أن يعمل بما ترجح عنده بالدليل والبرهان.. وإنما يلجأ إلى تقليد الأعلم والأورع إذا عجز عن معرفة الحق بدليله ولم يستطع الاجتهاد هنا لفقد الآلة أو ضيق الوقت ونحو ذلك، فحينئذ هو كالعاميّ، فواجبه التقليد.

وهذا أظنه من الوضوح لطلبة العلم بحيث لا يحتاج إلى تطويل.

وأما قول أخي إنه «اطلع على أقوال الطرفين فلم يشك في خطأ القول بالتكفير وأنه فتنة يجب التحذير منها» فنقول له: فغيرك من طلبة العلم اطلع ورأى القول بالتكفير أقوى وأصوب وأسعد بالدليل، فما قولك؟!

هل تأمره باتباع ما ظهر له أنه الحق بالبرهان والدليل أو تأمره بترك ما بانَ عنده صحته بالبرهان واتباع قول العلماء؟ ما جوابك؟

إذا قلت بالثاني فأنت مبطل قائل بقول لم يقل به أحدٌ من علماء الإسلام!

ومخالف لأدلة الكتاب والسنة والإجماع.

وإن قلت: بل يتبع ما ظهر له صحته وأنه الحق بالدليل والبرهان بعد أن يكون قد استفرغ وسعه في طلب الحق، فقد حُججتَ.!

ولا ينفعك شيئا القولُ مثلا: أشكُ في قدرة طالب العلم على الترجيح.. ونحو ذلك؛ فهذا يساوي صفرًا في البحث والمناظرة!

تشك أنت أو لا تشك هذا شأنك، وإنما كلامنا على الواجب في نفس الأمر، وكلّ امرئ حسيبُ نفسه.

وأنت لك أن تحذّر ممن شئتَ ما رأيت ذلك دينًا وتقىً لله تعالى، ولكن قبل ذلك اسأل نفسك هل أنت تفعل ذلك على بصيرة من الله؟ أم تقليدًا وتعصّبا وتعظيما لمن تقلّده؟ واستحضر أن العالم المجتهد هو بين الأجر والأجرين، لأنه باحث عن الحق ناصر له قائلٌ به حيث ظهر له، ولكن مقلّده ليس كذلك بالضرورة.! فإن الغالب على المقلدين نصرُ قولِ مشايخهم الذين يحبّونهم ويعظمونهم لمجرد أنه قول مشايخهم.!

لكن قل لي يا أخي، لماذا الاطلاع على أقوال الطرفين وأنت قد حسمتَ أمرك وقررتَ ابتداء لزوم الأخذ بقول المشايخ؟! هل هو للتنفل ولمجرد الاستزادة من المعرفة؟

ثم قولك «وأنه فتنة يجب التحذير منها» أخشى أن يكون في هذا إشارة إلى نوع ميل خفيّ؛ فأرجو أن تتأملها يا أخي.. فإن التكفير إذا صحّ فلا يقال في معارضته: فتنةٌ..!

بل يكون الواجب هو الصدع بالحق، أو السكوت إلى حين أن يفتح الله، والمواراة واستعمال المعاريض، والصبر على تبعات الحق وتكاليف الجهاد، ولا يقال: فتنة فتنة!!

فإن من الناس من تستولي عليه فكرة الخوف من الفتنة دائما حتى يترك كثيرًا من الحق، ويهرب من تحمل التكاليف، والدين إنما هو تكليفٌ.. والله المستعان.

وقول أخي: «ولكن المشكلة في تقصير كبار العلماء وطلبة العلم في مناقشة تلك الأفكار خلال مثل هذه المنتديات» اهـ؛ هذا من الحق.. ولكن أليس من حق العقلاء أن يتساءلوا عن أسباب ذلك؟!

وقد دعي الكثيرون للمناظرة والمناقشة حول هذه المسألة فلم يجيبوا، ألا يدعو هذا للريبة؟

إن الكثيرين من الشباب يقولون: إن المشايخ هربوا من مناظرة المجاهدين لأنهم يعلمون ضعف حجتهم وأنهم لو ناقشوهم أمام الناس لبان ارتباكهم وتلعثمهم في مقابل ظهور حجج المكفّرين للحكومة.! وسيبدون فقط في موقع المرقّع المعتذر في كل أمره.!

وستظهر في المناقشة كثير من الحقائق..

وهذا ليس عندي دليلا على بطلان قول المشايخ، فلامتناعهم أسبابٌ واعتبارات أخرى معروفة، ولكنه يثير شكًا حول قوة قولهم.

وقوله: «وليت الشيخ يراجع بها كبار العلماء»؛ أنا مستعد لذلك، محتاج إليه حقا.. فهل لك في مساعدتي؟!

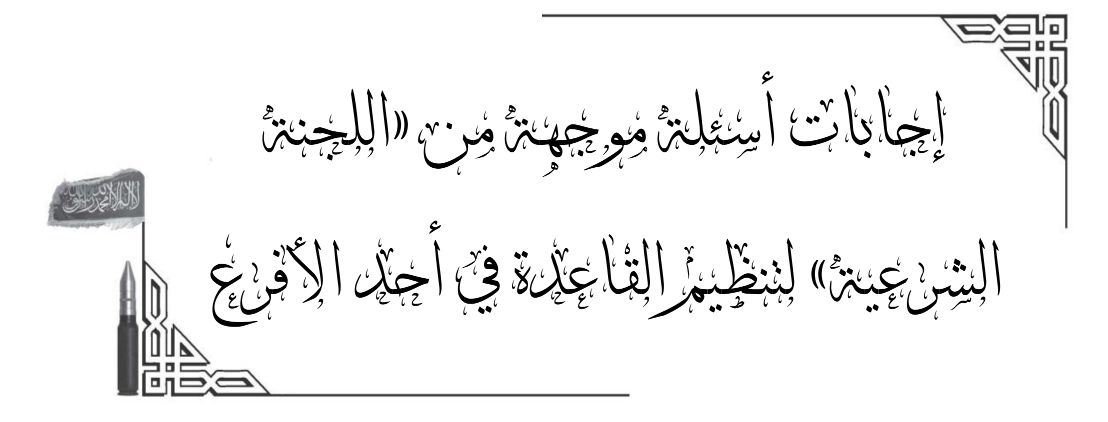
وأقول قولي هذا وأستغفر الله..

ونسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه..

ويغفر الله لي ولأخي ولسائر المسلمين..

اللّهم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم..

والحمد لله رب العالمين



إجابات أسئلة موجهة من «اللجنة الشرعية» لتنظيم القاعدة في أحد الأفرع

[هذه الأسئلة خاصة لم تُنشر على الشبكة، وصلتنا من «اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة» في أحد الأفرع، وفيها أسئلة وُجهت للجنة الشرعية المركزية، وقد أجابهم عنها الشيخ رحمه الله، وهي مسائل في السياسة الشرعية وفقه الجهاد ونوازل في الدماء، وغير ذلك، وقد قُمنا بوضع أجوبة الشيخ بالخط المعتاد، والأسئلة بين معكوفين بخط مميز؛ فليُنتبه لهذا، وقد كُتبت هذه الرسالة وما تضمنته من أجوبة بتاريخ: ٢٢/١٢/٢٠٠٩م].

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/ [......................] حفظكم الله ورعاكم وسدد خطاكم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فالله المسؤول أن يمتعكم جميعًا بالصحة الطيبة والعافية التامة والقوة، وأن يفتح علينا وعليكم ويسددنا جميعا لكل خير.

❖ أحوالنا وأخبارنا على الجملة؛ لا بأس بها، لكننا فقدنا خلال الأسبوعين الماضيين أخوين عزيزين هما: الشيخ أبو صالح الصومالي، ثم الشيخ عبد الله سعيد «الليبي» رحمهما الله، وهما من قياداتنا، وأعضاء الشورى، والله المسؤول أن يتقبلهما في الشهداء، ويلحقنا بهم في الفائزين المقبولين، وأن يعوضنا والمسلمين خيرًا منهم، استشهدا في حادثين منفصلين، بقصف جوي جاسوسيّ، والله المستعان.. وعظم الله أجرنا وأجركم فيهم، والله المحمود على كل حال سبحانه وتعالى.

الحملة الجاسوسية شرسة جدًا، ونحن ما زلنا نقصر في الاحتياط، والله المستعان.

باقي أمورنا جيدة، والحمد لله.. و﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

❖ مرفق لكم رسالة من أبي يحيى فيها جواب ومشورة فيما يتعلق بموضوع الإخوة الليبيين.

وقد قرأت جوابه جزاه الله خيرا وتقريبا نحن متفقون في عامة ما ذكره، لكن بالنسبة لموضوع التكتلات؛ فأنا شخصيًا لا أرى مانعًا أن يكون الرجل مع قومه وأهل بلده أو ناحيته أو قبيلته وعشيرته في شبه «تكتّل» مثل سرية أو كتيبة أو نحوها، إذا كان الكل على أساس أنهم في الجماعة وتحتها وجنودٌ لها، وأعضاء فيها، ويكون هذا حينها من «يجب أن يقاتل الرجل تحت راية قومه»، ونحن في الواقع والتجربة عندنا هذا الشيء في ساحتنا، فعندنا في الجماعة -القاعدة- في ساحتنا إخوة من جنسيات معينة موجودون معًا في الأعمال والمراكز والكتائب وهكذا، باعتبارهم من بلدٍ واحدٍ ولغة واحدة وثقافة واحدة، مثل: الإخوة الأتراك عندنا موجودون في تكتل بل في تكتلين -كتيبتين-، وكذا الإخوة الباكستانيين الذين هم مع التنظيم منظّمون في عدة مجموعات أو كتائب، والإخوة من وسط آسيا وأوروبا الشرقية كذلك، والتركستانيون كذلك، وإخوة آخرون من جنسيات أخرى، لكن ليس على أساس أنهم جماعة أو على أساس أنهم يفكرون في تكوين جماعة أو كيان مستقل، لا، بل على أنهم كتيبة من الجماعة.

وفي تكتلهم مصالح، لا يقابلها من المفسدة أو المضرة ما يرجح عليها، فلا يُمنَع منها.. هذا رأيي.

وعليه.. فأهم شيء هو أن يكون واضحًا أن الذي نراه الحق والصواب وقرارُنا عليه هو: أننا نمنع ولا نسمح بإحداث جماعات جديدة، بلهَ أن تكون هذه الجماعات المراد إنشاؤها نابعة من وسطنا ومن تحتنا ومن بيننا وفينا!!

بل نحن يجب علينا أن نتوحد -أعني الجماعات الموجودة أصلا يجب عليها ذلك- وهي آثمةٌ إن لم تبذل وسعها في تحقيق الوحدة المطلوبة شرعا، إلا إذا كان عندهم أو عند بعضهم عذرٌ شرعيّ ومسوّغ شرعي لعدم الاجتماع، ومانعٌ أعجزَهم عنه، فقط.

فكيف نسمح بوجود جماعات أخرى، بدون مسوّغ ولا داعي.

وليس معنى ذلك أن نتقاتل ونفكر في قتال مَن يخرج، فهذه مسألة أخرى، وهي خطرٌ شديد، والأصل فيها المنع عندنا من استعمال أي قوة.. لكن المقصود المنع الشرعي العلميّ بلا شك.

وفي واقع قضية إخواننا الليبيين التي نحن بصددها لا أرى أي مسوّغ، بل الذي نراه الخير والأفضل، ويوشِك أن يكون هو المتعين لا غير، هو: ما كتبناه لكم من قبل وكتب لكم في الشيخين عبد الله رحمه الله وأبو يحيى أن يجتهد في جمع العمل تحت راية واحدة هي راية «التنظيم»، ونتوسط بحسب القدرة والإمكان والفرصة، ولا نستعجل، ولا ندخل في عمل عسكري تنظيمي شمولي في ليبيا الآن، لعدم قناعتنا بوجود الفرصة والمؤهلات لذلك، لكن لا بأس بل مطلوب القيام بأعمال نوعية تندرج تحت فكرتنا العامة للجهاد العالمي -ضرب الرأس: أمريكا ومَن معها من القوى الكبرى-.. وهكذا.

والله الموفق..

وأرجو أن تبلغوا سلامنا لإخواننا الليبيين، ووالله لوددتُ أنني بينهم أعينهم بالمشورة والرأي والتجربة؛ فهم أولى الناس بذلك مني.

والله يسددهم ويعيننا وإياهم على كل خير.. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم

٢٢/١٢/ ٢٠٠٩م

❑❑❑

۞ نص الأسئلة مع إجاباتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلّ اللهمّ على محمّد وآله وصحبه وسلّم.

أخانا الفاضل وشيخنا الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بادئ ذي بدء وامتثالا لحديث نبينا ﷺ:(من لم يشكر النّاس لم يشكر الله)[1] أتوجه لكم بالشكر الجزيل على جهدكم في إفادتنا بما ترونه صوابا في المسائل التي أرسلناها إلى جنابكم المحترم.

وبناء على كثرة النوازل في ساحة الجهاد مع قلة طلبة العلم كما لا يخفى عليكم نريد هذه المرة طرح بعض المسائل المشكلة والمستعجلة التي داهمتنا، نرجو منكم بيان الصواب فيها كما ترون، والله لا يضيع أجر المحسنين؛ فالمسائل الواقعة التي نحن في حاجة إليها هي كالآتي:

---

(١) سنن الترمذي (١٩٥٥) وقال الألباني: صحيح لغيره.

السؤال الأول: حدثت في بعض الكتائب أنّه تمّ ضبط مجاهد يريد تسليم نفسه للطاغوت وآخر يصرح أنّه تعب ويريد ترك الجهاد ولازم ذلك الذهاب إلى الطاغوت ويعرف أسرارا يضر إعطاؤها للطاغوت بالمجاهدين والأنصار.

وآخر ذهب ولكن ألقي عليه القبض من طرف المجاهدين قبل أن يسلم نفسه وهو الآن معتقل فما الحكم الشرعي في هذه النازلة؟!

الشيخ عطية الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يعلم الله تعالى أننا نحب خدمتكم ونصرتكم بما يمكننا، ونتمنى أن يكون عندنا كل ما تحبّون حتى نعطيكم ونخدمكم، غير أن بعض المسائل والنوازل، والله إنها لصعبة جدا، وكما يقال: لو عرضت على عمر بن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر؛ فكيف بنا بالله عليكم؟! ووالله لقد قرأت أسئلة الإخوة في اللجنة الشرعية أول ما وصلتني وتألّمت لفقد العلماء وقلة النصير منهم ألـمًا متجددًا، وحسرة مكبوتة وإنا لله وإنا إليه راجعون، ورأيت النازلة المشار إليها، وعلى الفور في نفس اليوم حوّلت الرسالة -الأسئلة- إلى الشيخ «أبي يحيى»، والحمد لله الإخوة استلموا البريد أمس؛ فأتوقع أن الرسالة بلغت للشيخ «أبي يحيى» واللجنة الشرعية اليوم، وطلبت منهم الإسراع قدر المستطاع في الإجابة عليها، وطلبت منه أيضا عرضها أيضا على الشيخ «أبي الوليد»، رغم أنه -حسب ما أبلغوني- مشغول هذه المدة في أموره اجتماعية وعائلية وغيرها، نسأل الله أن ييسر جميع أمورنا وأمور إخواننا.

ثم جاءني استدراك واستعجال الأخ «أبي محمد» اليوم؛ فاستخرتُ الله تعالى، وعزمت على كتابة ما عندي في المسألة معترفا بالعجز والنقص والتقصير، فهذا الجهد ولكم غنمه وعلى صاحبه غرمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونكون مع ذلك في انتظار جواب الشيخين «أبي يحيى» ومَن معهما هناك، أرجو من الله أن يوفق الجميع.

ولعلي -أقول لعلي- أرسل بالأسئلة أو بعضها إلى بعض المشايخ ممن نتصل بهم.

لكن الذي يثبّطني عن عرض مثل هذه النوازل عليهم هو علمي بأنهم لا يتصورون الواقع جيدًا، فبعد انتظار سيكتب لك الشيخ العالِم سطرين قد لا يكون فيها مقنع!!

ومع هذا سنفكر ونحاول في عرض بعض الأسئلة على الأقل على بعضهم.. والله المستعان.

وإلى المسألة وعلى الله وحده الاتكال:

الجواب وبالله التوفيق:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه.

لا إشكال أن مثل هذا الشخص الذي يصرّح أنه سيسلّم نفسه للمرتدين أنه ويحاول ذلك، بل يصرح -كما ذكر لي أبو محمد في استدراكه- أنه سيعطي كل المعلومات التي يعرفها عن المجاهدين وأنصارهم للطاغوت المرتد، بل قد حاول بالفعل -كما فعل الشخص الآخر- ولكن الإخوة المجاهدين أمسكوه ومنعوه وحجزوه، أقول: لا شك أنه إذا فعل ذلك ونزل بالفعل وسلم ننسه للطاغوت أنه ضرر كبير وخطر عظيم لما يترتب عليه في حكم العادة المستيقن من: سجن وتشريد وربما قتل لبعض المسلمين من المجاهدين وأنصارهم، وإفساد لبرامج وخطط للمجاهدين، وكشف لأسرارهم وعيوبهم ونقاط ضعفهم وثغراتهم وطرقهم، وإضرار بالمسلمين -المجاهدين- ماديّا وماليًا من خلال تغيير بيوتهم ومآويهم ومراكزهم ومناطقهم، وغير ذلك من الأضرار التي لا تخفى.. بالإضافة إلى فتح باب الاستسلام للطاغوت، في حال التهاون مع هذه الحالات، وما في ضمن ذلك ولا سيما لو تكرر مِن تخويف للناس وتثبيط لهم عن معاونة المجاهدين، وتشكيك لهم، وغير ذلك مما لا يخفى أيضا.

وهذه كلها مضارّ عظيمة تضرّ بالجهاد والمجاهدين.. ويجب السعي في منعها.

لكن هل يصل ذلك إلى تجويز قتل هذا الشخص، لأجل هذا الضرر المرتقب المَخوف؟

هذا محل البحث.

ثم إن هذا الشخص أو الشخصين المسؤول عنهما في السؤال، ومن شابههما لا يخلو حالهما:

إما أن يكونا وصلا إلى حدّ الكفر الصريح، كمن يصرّح أنه سينضمّ للطاغوت المرتد، وسيسعى في إهلاك المجاهدين وتدميرهم، ونصرة الطاغوت عليهم بما يستطيع، ونحو ذلك..!!

فهذا إن كان في كامل أهليته الشرعية، بمعنى أنه ليس مجنونًا أو ما يقاربه ممن غُلِب على عقله وأهليته.. ولم يكن قال هذا الكلام وصرّح به في حالة غضب شديد وإغلاق، بل قالها وهو في كامل اعتدال حاله مختارًا مريدًا على حسب ما يظهر.. فإنه كافرٌ مرتد..!

وإما أن يكون هذا الشخص يقول إنه سينزل لمجرد أنه تعب ولا يستطيع الصبر، ولا يقدر على

المواصلة، ولكنه لن يضر المجاهدين ما استطاع إلى ذلك سبيلا.. فهذا يختلف عن الأول، وهذا ليس لنا إلى تكفيره سبيل، وهذا أظنه واضحًا إن شاء الله للإخوة ولا يحتاج إلى بسط.

فالذي أراه أن الأول: بعد التأكد جيدًا من حاله، وثبوت عزمه بظاهر أقواله وتصريحاته البيّنة، فإنه يستتاب ويُعطى فرصة ثلاثة أيامٍ أو أكثر إذا أمكنَ، وهو فعلا ممكن للمجاهدين في الغالب، وفي الأمر سعة في تطويل مدة الاستتابة إن شاء الله متى ما رجى الإخوة توبته وعودته عن كفره، فإن تاب وإلا حل دمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهذا الأول إذن جاز قتله للردة أولا، مع ما انضاف إليها من إفساده في الأرض وإضراره العظيم بالمسلمين، وهو ضرر مرتقبٌ لكنه مستيقنٌ أو مظنونٌ ظنًا غالبًا جدا.

وأما الثاني؛ فالذي يظهر لي أن ينبغي أن يُنظر في حاله أكثر ويفصّل في أمره:

فإن كان بدا للمجاهدين أنه صادق محاوِل لأن لا يضرّ المجاهدين، لما يعرفون من صدقه ومحبته ولكنه انهار عزمه وضعُف وقل صبره، فلا أرى ما يُجيز قتله، ولا يحلّ دمه بمجرد ذلك، والله أعلم.

هذا الذي نقف عنده، ولا أستطيع أن أقول غيره.

لكن لهم أن يحبسوه، وعليهم أن يعظوه، ويسعون في إصلاحه قدر المستطاع لعل الله يصلحه.. هذا هو الأصل.

والأضرار المتوقعة نعتبرها بلاء وجائحة حلت بالمسلمين ونصبر لها ونحاول دفعها ورفعها بما يمكن من الأسباب الأخرى، وندفع قدر الله بقدر الله.

لكن قد يحصل حالة غير الحالين المذكورين، بل هي مختلفة عنهما، وهي:

أن الشخص لا يصرح بما يجعله كافرًا مرتدًا -كما في المثال الأول-، ولا هو ممن نظن فيه الصدق ومحبة المجاهدين وبغض الطاغوت بحيث نعرف أنه يبذل جهده في ألا يضرّ المجاهدين لو هو سلم نفسه، بل يكون مرتبة أخرى وهي:

أنه شخص يقول إنه لن يضر المجاهدين، ولكننا نعرف من حاله وسيرته أنه لو سئل الفتنة لأعطاها، وأنه بمجرد أن ينزل ويكون في كنف الطاغوت فإنه لا يبالي بإضرار المجاهدين، بل ربما سعى جاهدا في الإضرار بهم، لما نعرفه من سيرته وحاله من خلال المعاشرة والمعرفة به أنه لا يحب

المجاهدين ويحمل عليهم غلا وحقدًا مثلا، ونحو ذلك، مع قلة دينه وعدم مبالاته بالله تعالى وباليوم الآخر، وحسبنا الله ونعم الوكيل.!

فهذا هو لعله موضع السؤال حقا.. فهل يحل قتله؟

سنتكلم عليه إن شاء الله بعد مقدمة بسيطة:

معلومٌ أن المسلم معصوم الدم والمال والعرض، وهذا قطعيّ.

ومعلومٌ ما على قاتل المسلم بغير حق من الوعيد العظيم في الشريعة، نسأل الله العافية والسلامة.

ومعلومٌ أنه لا يباح دم المسلم إلا بسبب شرعيّ بيّن موجبٍ لذلك.

وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**) لفظ مسلم[(١)].

وللعلماء ﷺ كلام في الإشكال الواقع حول هذا الحديث النبوي العظيم، والذي حاصله أن الحصر في هذه الثلاث هل هو محكمٌ، وكيف الجمع بينه وبين أسبابٍ أخرى ثبتت في الشرع لقتل المسلم، **ولهم في الجواب على هذا الإشكال طريقان مشهوران:**

إما إرجاع كل أسباب القتل إلى الثلاثة المذكورة، فقتل اللوطي راجع إلى الثيب الزاني، وقتل الخوارج والروافض ومَن في حكمهم راجع إلى التارك لدينه المفارق للجماعة، وكذا قتل الداعي إلى البدعة، وقتل الصائل أيضا، مع شيء من العسر في هذا الإلحاق، قال النووي: «واعلم أن هذا [أي ما في الحديث] عام يخص منه الصائل ونحوه؛ فيباح قتله في الدفع، وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد: لا يحل تعمد قتله قصدا إلا في هذه الثلاثة. والله أعلم»[(٢)] اهـ.

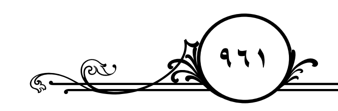
وكذا قتل شارب الخمر في الرابعة عند من يقول بعدم نسخه راجع إلى ذلك، وفيه تكلّف لا يخفى، وكذا قتل الساحر عند مَن يقول بقتله، وفيه كلام يطول، وكذا قتل الجاسوس المسلم، وغيرهم.

أو القول بأن الحصر وقع باعتبار معيّن، إما زمانيّ أو غيره، وأن للقتل أسبابا أخرى صحّت بها أدلة

---

(١) صحيح مسلم (١٦٧٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٥).



الشرع؛ فما ثبت بدليل صحيح من الكتاب والسنة فهو شرعٌ وحكمٌ زائدٌ ثابتٌ يُصارُ إليه، ونعمل بالجميع.

وهذه المسألة لها أشباه ونظائر أيضا واقعة في الشريعة مثل ما وقع من الاختلاف في الجمع بين قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، وبين الآيات والأحاديث المحرّمة لغير المذكورات في هذه الآية، ومن مثل الآيات التي فيها حصرٌ ورد في غيرها من الآيات والأحاديث حصر في غيره في نفس القضية؛ كقوله تعالى في عدة آيات: ومن أظلم من كذا، وكقول النبي ﷺ: خيركم كذا، وخير الناس كذا، وشر الناس كذا وشر الخلق ونحوها، وهو مبحث مشهور.

ومن مراجع المسألة المهمة:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر.

- شرح النووي على مسلم.

- وسائر شروح الحديث.

- جامع العلوم والحكم لابن رجب، فقد شرح الحديث ثَمَ[(١)].

- أحكام القرآن لابن العربي، أظنه عند آيات المائدة، وقد اختار القول الثاني وأوصل أسباب القتل إلى عشرة فيما أذكر؛ فليراجع للفائدة[(٢)].

والحاصل أن أسباب جواز قتل المسلم عند الفقهاء أوصلها بعضهم إلى عشرٍ، وفي بعضها خلاف، والحق الحقيق بالقبول هو التشدد في هذا الباب غاية التشدد وتضييقه.

فلا يُقدَم على قتل مسلم إلا ببرهان واضح كالشمس.!!

ونرجع إلى الحالة المفترضة فنقول:

فقتل هذا محتمل، وهو راجعٌ إلى مسألة التعزير بالقتل.

والصحيح في هذه المسألة جواز أن يصل التعزير إلى القتل، لكن بشرطين:

الشرط الأول: أن تكون المفسدة المضرة الواقعة من الجاني كبيرة عظيمة لها شمول وعمومٌ، بمعنى

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣١٠).

(٢) أحاكم القرآن لابن العربي (١/ ٤٩٤) قال: «وَقَدْ بَلَغَ الْعُلَمَاءُ الْأَسْبَابَ الْمُبِيحَةَ لِلدَّمِ إِلَى عَشَرَةٍ».

أنها ضررٌ كبير يتعلق بالمسلمين، كمسألتنا هذه، فإن ضررها كبير جدا على المجاهدين.

والشرط الثاني: أن يكون هو -أي القتل- آخر حلّ، بمعنى أن لا يمكن دفع فساده إلا بالقتل، فإن أمكن بما هو دونه لم يجز.

وهذه المسألة يسمّيها بعض علماء الحنفية وغيرهم: القتل سياسةً.

ولهم فيها تفاصيل اشتهرت عنهم متعلق بكثرة التكرر وغيرها.

وهذه التسمية لا نفضّلها، لما فيها من إيهام معنىً غير جيد..!

فهذا للفائدة.

وسَأُلحق بهذا الجواب فصلًا من كتاب الشيخ أبي يحيى «منة الخبير»، وهو الفصل المتعلق بـ«التعزير بالقتل»؛ فقد بحثَ هذه المسألة بحثًا وافيًا، لا مزيد لي عليه، جزاه الله خيرا، وهذا يغنينا عن التطويل في تحرير المسألة.

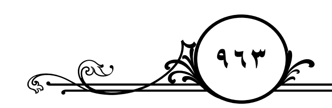
وعليه؛ فالخلاصة في مسألتكم إن شاء الله، وما أراه لكم من النصح فيها، هو ما يلي:

- أن يشكل الإخوة لجنة من أعلم الإخوة وأعقلهم وأخبرهم بشؤون النفس والاجتماع، والأفضل أن يكونوا من كبار السن، ولا بأس أن يكون فيهم مع ذلك شبابٌ من أهل العلم والنبوغ، تكون مهمة هذه اللجنة تحديد وتقييم حجم الضرر المتوقع من هؤلاء الأشخاص الذين يريدون تسليم أنفسهم، وقوة هذا التوقّع، هل هو مستيقن، أو ما يقارب المستيقن، أو هو مجرد ظن ضعيف ووهم.

وينظرون في أمرٍ آخر وهو: أنه لا حلّ مع هذا الشخص أو الأشخاص إلا القتل، بمعنى أنه لم يعدْ يجدي محاولة إصلاحهم ووعظهم وإقناعهم، ولا تخويفهم بالله تعالى ولا بغيره، ولا يجدي تعزيرٌ بما دون القتل.

ثم يعطون تقييمهم بكل أمانة وتجرد، والله حسيبهم..

. فإذا قرروا بالإجماع أو بالأغلبية أن الضرر كبير جدا وعظيم وعامٌ بمعنى أنه لا يتعلق بشخص واحدٍ فقط مثلا أو عدد محدود قليل في العُرف وفي نظر سائر الناس -كعائلة فقط مثلا-؛ بل يتعلق بالمجاهدين وأنصارهم و«اتصالاتهم» وعملهم ومشروعهم -الجهاد-، وأن هذا الضرر متوقع بقوة -ظنّ غالبٌ- تصل إلى ما يقاربُ اليقين.



إذا قرروا ذلك؛ فإن اللجنة الشرعية أو الجهة المختصة في الجماعة أو الأمير عليه أن يتخذ قرارًا بقتل هذا الشخص أو الأشخاص تعزيرًا وقياسًا على قتل الجاسوس والصائل والداعي إلى البدعة ونحوها، وتصدّق على القرار اللجنة الشرعية -يُتخذ قرارها بالإجماع أو بالأغلبية-، ولو أمكن أيضا أن يصدّق عليه مجلس الأعيان أو الشورى -بحسب حالكم- لكي يكون القرار متخذا عن نظر أهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور العظيمة، وصادرًا عن النظر للإسلام والمسلمين على قاعدة التقوى، لا غير، فنقطع الطريق على أي فتنة محتملة ووسوسة شيطانية وتوهّمات مِمَّن في قلبه مرض.

وقد صح عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب إلى عماله أن أمر القتل إليه فقط[1].

لكن بقيت مسألة أخرى لا بد من النظر فيها، فإما أن تنظر فيها اللجنة المقترَحة، أو ينظر فيها الأمير بضميمة مجلس الشورى أو مجلس الأعيان، وهي:

أن قتل هذا الشخص أو الأشخاص لا تترتب عليه مفسدة مساوية أو غالبة على المفسدة المرتقبة التي إنما نقتل هذا الشخص أو الأشخاص من أجل منع وقوعها.

بمعنى أنه لا يحصل من تنفيذ هذا الحكم منكرٌ أكبر، ومفسدة أعظم.

فإذا قررت اللجنة أو المجلسُ -بضميمة الأمير ونائبه مثلا- أنه لا خوفَ من ضرر ومنكرٍ أكبر.

فتوكلوا على الله ونفذوا الحكمَ.

والله يتولاكم بلطفه وتأييده ويلهمكم رشدكم ويرزقكم الهدى والسداد.. آمين.

فهذا الذي أراه لكم والله تعالى أعلم، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ **عطية الله**

الثلاثاء ٢٩ذو القعدة ١٤٢٧هـ

الموافق ١٩ديسمبر٢٠٠٦

❑❑❑

---

(١) انظر: الأموال للقاسم بن سلام (١٢٠)، الأموال لابن زنجويه (١٨٠)، تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٩)؛ فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد: «ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب، حتى تراجعني فيه».

السؤال الثاني: خلال اجتماع مجلس شورى الجماعة تناول الإخوة مسألة توجيه نداء استتابة لكل المتورطين في محاربة المجاهدين، وبالطبع يدخل فيه ضمنًا أولئك الذين كانوا في الجبال ثمّ نزلوا وسلموا أنفسهم واستعملهم الطاغوت، نرجو أن تفيدونا في المسألة من جهة شرعيتها ومصالحها ومفاسدها وضوابطها؟

الشيخ عطية الله:

إخواني الكرام، أظن أن جزءًا من هذا السؤال سبق لي شخصيا أن أجبت عليه في جوابي على مسألة الاحتياطيين، فأرجو أن تراجعوه، وأعني بذلك الجزء المتعلق بقبول توبة التائب منهم وممن نزل وسلم نفسه، وخلاصته أن ذلك مبناه على الاطمئنان إلى حسن وصدق توبته، وذلك في العادة يستلزم مرور وقتٍ يُعرَف فيه حسنُ تويه الشخص وصلاحه واستقامته.

وأما توجيه نداء بالتوبة والإنابة لكل المتورطين في محاربة المجاهدين بجميع أصنافهم، فهذا لا شكّ أنه أمرٌ طيبٌ ومطلوبٌ شرعًا وسياسةً وتدبيرًا، فهو من الدعوة إلى الله تعالى والتيسير على الناس وفتح أبواب التوبة لهم والرجوع إلى الله، وهو تدبير وسياسية عاقلة حكيمة تكسر.شوكة عدائهم في أنفسهم وتؤرق ضمائرهم وتزعزع إراداتهم، وهذا معروفٌ لا نشك فيه.

فنحن نشجعكم على هذه السياسية المسددة.. بارك الله فيكم.

فالمصلحة إذن ظاهرة بيّنة في هذا الأمر، ولا مفسدة تقابلها إن شاء الله، بل هي مصلحة شرعية راجحة ظاهرة بينة.

وأما الضوابط: فلا يحضرني إلا أن تتحرّوا بذلك التيسير على الناس كما أمرنا رسول الله ﷺ في جهادنا، وتتحروا من الألفاظ والعبارات ما يؤدي المقصود من وعظ الناس وحثهم على التوبة وفتح أبوابها أمامهم وترغيبهم في الرجوع إلى الحق، ولا يلزم أن يكون في الخطاب إطلاقُ أحكامٍ قد يفهم منها التعسير والتشديد، لأن المقام مقام ترغيب في التوبة وكسر لشوكة العدو وحرده.

والله يوفقكم ويسددكم.

❑❑❑

السؤال الثالث: لا يخفى عليكم حاجة الجهاد للمال، وانعدام موارده المستقرة وشحتها:

أ- مؤخرا يمارس الإخوة اختطاف أصحاب رؤوس الأموال ويفرضون عليهم ضرائب مقابل إطلاق سراحهم وربما يمتنع أحدهم من الدفع لمدة طويلة.. نرجو التوجيه الشرعي والعملي؟

ب- أحيانا يقع في الأسر مرتدون «والي، رئيس بلدية، برلماني..».

هل يجوز مفاداتهم بالمال أو بأسرى المسلمين؟

الشيخ عطية الله:

أ - لا بأس إن شاء الله بأخذ بعض أصحاب رؤوس الأموال وأهل الثراء، ومطالبتهم بدفع أموال للجهاد بحسب حالهم من أجل الحاجة الشديدة التي أنتم فيها، **ومختصر هذه المسألة ما يلي:**

❖ ما داموا مسلمين فالأصل في أموالهم العصمة كما هي دماؤهم وأعراضهم وأبشارهم، ولا يحلّ شيء من أموالهم إلا بطريقين:

إما -وهو الطريق الأول- بطيب نفس منه، وهذا منعدم الآن؛ لأن فرض المسألة أنهم لا يدفعون شيئا ولا يتبرعون بشيء ولا يعطون شيئا للمجاهدين، والحاجة ماسّة لأخذ بعض أموالهم الكثيرة للاستعانة بها على الجهاد؛ بل قد تصل هذه الحاجة إلى الضرورة أو ما يقاربها.

وإما -وهو الطريق الثاني-: بحقٍّ، أي بالشرع، **وهذا الطريق الثاني له صور:**

منها: أخذ الزكاة منه قهرًا وقسرًا وعنوة إذا امتنع من بذلها طوعًا، كما في الحديث الذي في السنن: (**فإنا آخذوها وشطرَ ماله عزمة من عزمات ربنا**)[1]، فأما أخذها منه فمحل اتفاق بين الفقهاء، وأما أخذ شطر ماله فاختلفوا فيه؛ فمنهم من أخذ بظاهره، وجعلوه من باب التعزير بأخذ المال -عقوبة مالية-، ومنهم من قال: إنه منسوخ، وهذا ضعيفٌ، ومنهم من اعتذر عن الأخذ بظاهره بتأويلات لا تخلو من ضعف.

ومنها: أخذ الحقوق الواجبة عليهم مثل النفقات الواجبة عليهم لأزواج أو عيالٍ أو غيرهم.

ومنها: أخذ الديات وأروش الجنايات متى ما وجبت على أحد منهم.. ونحوها.

ومنها: أخذ الضمان في حال استحقاقه على أحد منهم ووجوبه عليه بالقضاء.

ومنها: أخذ الغصوب منهم لو كانوا مغتصبين شيئا؛ فترد إلى أهلها، إن كان مالا عامّا أو خاصّا، ويضمنون قيمتها في حال التلف والاستهلاك.

ومنها: أخذ الضيافة منهم إذا نزل بهم ضيف وأبوا أن يضيّفوه، فيُؤخذ منهم قدرُها لثلاثة أيام.

---

(١) سنن النسائي (٢٤٤٩)، سنن أبي داود (١٥٧٥) وصححه الألباني.

وهل منها أخذ شيء من أموالهم من أجل سدّ حاجة المجاهدين والثغور وتخليص الأسرى وسدّ حاجة المشرفين على التلفِ؟

الجواب: نعم، الصحيح أن ذلك منه، أي مما يجوز ويُشرَعُ، لا شك في هذا.

وقد قرر ذلك الفقهاء، وحاصله: أن الدولة ومثلها الآن في حالنا: الجماعة الجهادية في بلد أو ناحيةٍ ما إذا عجزت -أي عجز بيت المال- عن سدّ هذه الحاجات، وكان الأمر بحيث لو لم نأخذ فضول أموال هؤلاء الأغنياء؛ انسد باب الجهاد أو تعطل أو ضعف المسلمون -أي مجاهدوهم وجيشهم- عن مقاومة العدوّ، وتعرّض للهزيمة والانكسار؛ فإن ذلك يبيح لنا الأخذ من أموالهم ما يسدّ الحاجة، ولا نزيد على قدر الحاجة.

فهذه مسألة صحيحة، وفقه صحيح.

والدليل عليه كثير:

منه: أن هذا موضع ضرورة كما هو واضحٌ، وهي مصلحة ضرورية كلية كما سيأتي إن شاء الله في كلام الغزالي وغيره، تُدفَع بها مفسدة ضرورية أيضا.

ومنه: مسألة وجوب المواساة، وفيها تفصيل يعرَف في محله.

ومنه: وجوب الجهاد بالمال عليهم وعلى الناس جميعا، فإذا قصّروا، كان لولي الأمر أن يستخرجه منهم بالقوة إذا كان متعيّنا عليهم، ومنه ما إذا كان كفائيا وقصّروا ولم يقم به أحدٌ.

ومنه: أن الإجماع منعقد على وجوب بذل فضول الأموال لردّ العدوّ الصائل النازل بالعقر وتخليص الأسرى.. حكاه غير واحد من الأئمة.

كما قال القاضي أبو بكر بن العربي ﵀: «وليس في المال حق سوى الزكاة، وإذا وقع أداء الزكاة ونزلت بعد ذلك حاجة؛ فإنه يجب صرف المال إليها باتفاق من العلماء، وقد قال مالك: يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم، وكذا إذا منع الوالي الزكاة، فهل يجب على الأغنياء إغناء الفقراء؟ مسألة فيها نظر، أصحها عندي وجوب ذلك عليهم»[1] اهـ.

وقوله: «إذا منع الوالي الزكاة» معناه إذا قبضها وامتنع عن صرفها على الفقراء والمستحقين.

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٨٨).

وقال رحمه الله أيضا: «وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾[الأنفال: ٧٢]: فإن ذلك عام في النصرة والميراث؛ فإن من كان مقيما بمكة على إيمانه لم يكن ذلك معتدا له به، ولا مثابا عليه حتى يهاجر، ثم نسخ الله ذلك بفتح مكة والميراث بالقرابة، سواء كان الوارث في دار الحرب أو في دار السلام ؛ لسقوط اعتبار الهجرة بالسنة، إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء.. فإنا لله وإنا إليه راجعون؛ على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد، والقوة والجلد»[(١)] اهـ.

ومنه: قياسه على جواز أخذ قدر الضيافة منهم لو امتنعوا عن بذلها، وفي المسألة نصوص حديثية معروفة، كما في الصحيحين وغيرهما عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم**)[(٢)] اهـ.

وهل هو خاصّ بأهل البوادي، أو عامّ فيهم وفي غيرهم؟ خلافٌ بين العلماء.

قال في عون المعبود: «قال النووي: حمل أحمد والليث الحديث على ظاهره وتأوله الجمهور على وجوه أحدها أنه محمول على المضطرين فإن ضيافتهم واجبة وثانيها أن معناه أن لكم أن تأخذوا من أعراضهم بألسنتكم وتذكروا للناس لومهم قلت: وما أبعد هذا التأويل عن سواء السبيل قال: وثالثها أن هذا التأويل باطل لأن الذي ادعاه المؤول لا يعرف قائله، ورابعها: أنه محمول على من مر بأهل الذمة الذي شرط عليهم ضيافة من يمر بهم من المسلمين، وهذا أيضا ضعيف لأنه إنما صار هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذا في المرقاة. قلت: التأويل الأول أيضا ضعيف لأنه مما لم يقم عليه دليل ولا دعت إليه حاجة، ولبطلان التأويل الثالث وجه آخر وهو أن تخصيص ما شرعه صلى الله عليه وسلم لأمته بزمن من الأزمان أو حال من الأحوال لا يقبل إلا بدليل ولم يقم ها هنا دليل على تخصيص هذا الحكم بزمن

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٤٠).

(٢) صحيح البخاري (٦١٣٧)، صحيح مسلم (١٧٢٧).

النبوة، وليس فيه مخالفة للقواعد الشرعية؛ لأن مؤنة الضيافة بعد شرعتها قد صارت لازمة للمضيف لكل نازل عليه؛ فللنازل المطالبة بهذا الحق الثابت شرعا كالمطالبة بسائر الحقوق فإذا أساء إليه واعتدى عليه بإهمال حقه كان له مكافأته بما أباحه له الشارع في هذا الحديث: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤].

واعلم أن الضيافة ليست بواجبة عند جمهور العلماء، لكن ذهب البعض إلى وجوبها لأمور: الأول إباحة العقوبة بأخذ المال لمن ترك ذلك، وهذا لا يكون في غير واجب، والثاني قوله (**فما سوى ذلك صدقة**)[1] فإنه صريح أن ما قبل ذلك غير صدقة بل واجب شرعا، والثالث قوله ﷺ: (**ليلة الضيف حق**)[2]، وفي رواية: (**ليلة الضيافة واجبة**)[3] فهذا التصريح بالوجوب، والرابع قوله ﷺ: (**فإن نصره حق كل مسلم**)[4]؛ فإن هذا وجوب النصرة وذلك فرع وجوب الضيافة وهذه الدلائل تقوي مذهب ذلك البعض وكانت أحاديث الضيافة مخصصة لأحاديث حرمة الأموال إلا بطيبة الأنفس والتفصيل في النيل»[5] اهـ.

ومنه: فتوى النبي ﷺ أو قضاؤه في قصة هند بنت عتبة وقوله لها: (**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)[6].

ومنه: غير ذلك..!

والمقصود أن هذا أصلٌ متقرر دل عليه الشرع بأدلة كثيرة جدًا.

وفي فتاوى العلماء ذلك معروف غير منكور..

وقصة سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله مع سلاطين المماليك مشهورة.

وقال ابن حزم رحمه الله في المحلى: «مسألة: قال أبو محمد: وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن

---

(١) جامع معمر بن راشد (٢٠٥٨٢)، والحديث هو قوله ﷺ: (**حق الضيافة ثلاثة، وما سوى ذلك صدقة**).

(٢) سنن أبي داود (٣٧٥٠) وصححه الألباني.

(٣) سنن ابن ماجه (٣٦٧٧) وصححه الألباني.

(٤) سنن أبي داود (٣٧٥١)، مسند أحمد (١٧١٩٧) وضعفه الألباني، وضعفه الأرنؤوط.

(٥) عون المعبود (١٠/ ١٥٦).

(٦) صحيح البخاري (٥٣٦٤).

يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين بهم؛ فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر، والصيف، والشمس وعيون المارة، برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦]..»[(١)] إلى آخر كلامه؛ فانظروه في «المحلى» في آخر كتاب الزكاة، فإنه جيّد.

وقال خليل بن إسحاق في مختصره في كتاب الجهاد وأحكام المسابقة: «الجهادُ في أهم جهة كل سنة، وإن خاف محاربا، كزيارة الكعبة، فرضُ كفاية، ولو مع والٍ جائر، على كل حر ذكر مكلف قادر، كالقيام بعلوم الشرع والفتوى، ودفع الضرر عن المسلمين، والقضاء، والشهادة، والإمامة والأمر بالمعروف، والحرف المهمة ورد السلام، وتجهيز الميت، وفك الأسير. وتعين بفجئ العدو، وإن على امرأة، وعلى مَن بقربهم إن عجزوا، وبتعيين الإمام..»[(٢)] الخ.

وانظر كلام الشرّاح على قوله «ودفع الضرر عن المسلمين».

الدسوقي: «أي بإطعام جائع وستر عورة حيث لم تف الصدقات ولا بيت المال بذلك، وبالمعاونة على رد ما أخذه اللص لصاحبه، وبرد الظالم على المظلوم وبغير ذلك»[(٣)] اهـ.

عليش: ««و» القيام بدفع «الضرر عن المسلمين» ونسخة «غ» والدرء مصدر درأ أي الدفع أولى لعدم احتياجها لتقدير، ويلحق بالمسلمين من في حكمهم كأهل الذمة، والدفع بإطعام جائع وستر عورة حيث لم تف الصدقات، ولا بيت المال بذلك»[(٤)] اهـ.

وفي «نهاية المحتاج» للرملي إلى «شرح المنهاج» للنووي عطفا على فروض الكفايات: ««ودفع ضرر» المعصوم من «المسلمين» وأهل الذمة على القادرين، وهم من عنده زيادة على كفاية سنة لهم

---

(١) المحلى بالآثار (٤/ ٢٨١).

(٢) مختصر خليل (ص ٨٨).

(٣) حاشية الدسوقي على مختصر خليل (٢/ ١٧٤).

(٤) منح الجليل شرح مختصر خليل لعليش المالكي (٣/ ١٣٨).

ولممونهم كما في الروضة وإن نازع فيه البلقيني «ككسوة عار» ما يستر عورته أو يقي بدنه مما يضره كما هو ظاهر، وتعبير الروضة بستر العورة مثال: «وإطعام جائع إذا لم يندفع» ذلك الضرر بزكاة و«سهم المصالح» من «بيت المال» لعدم شيء فيه أو لمنع متوليه ولو ظلما ونذر وكفارة ووقف ووصية صيانة للنفوس، ومنه يؤخذ أنه لو سئل قادر في دفع ضرر لم يجز له الامتناع، وإن كان هناك قادر آخر، وهو متجه لئلا يؤدي إلى التواكل، بخلاف المفتى له الامتناع إذا كان ثم غيره، ويفرق بأن النفوس جبلت على محبة العلم وإفادته، فالتواكل فيه بعيد جدا بخلاف المال، وهل المراد بدفع ضرر من ذكر ما يسد الرمق أم الكفاية ؛ قولان أصحهما ثانيهما، فيجب في الكسوة ما يستر كل البدن على حسب ما يليق بالحال من شتاء وصيف، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناهما كأجرة طبيب وثمن دواء وخادم منقطع كما هو واضح، ولا ينافي ما تقرر قوله لا يلزم المالك بذل طعامه لمضطر إلا ببدله لحمل ذلك على غير غنى يلزمه المواساة، ومما يندفع به ضرر المسلمين والذميين فك أسراهم على التفصيل الآتي في الهدنة، وعمارة نحو سور البلد وكفاية القائمين بحفظها فمؤنة ذلك على بيت المال، ثم على القادرين المذكورين، ولو تعذر استيعابهم خص به الوالي من شاء منهم»[(١)] اهـ.

ونصوص العلماء في هذا كثيرة جدا من كل المذاهب.

وقال الغزالي ﷺ في المستصفى في بحث المصالح بعد أن مثّل لكلامه بمسألة التترس، وأطال الكلام فيها، قال: «فإن قيل: فتوظيف الخراج من المصالح فهل إليه سبيل أم لا؟ قلنا: لا سبيل إليه مع كثرة الأموال في أيدي الجنود، أما إذا خلت الأيدي من الأموال ولم يكن من مال المصالح ما يفي بخراجات العسكر ولو تفرق العسكر واشتغلوا بالكسب لخيف دخول الكفار بلاد الإسلام أو خيف ثوران الفتنة من أهل العرامة في بلاد الإسلام، فيجوز للإمام أن يوظف على الأغنياء مقدار كفاية الجند، ثم إن رأى في طريق التوزيع التخصيص بالأراضي فلا حرج؛ لأنا نعلم أنه إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشرع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد منهم قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت خطة الإسلام عن ذي شوكة يحفظ نظام الأمور ويقطع مادة الشرور وكان هذا لا يخلو عن شهادة أصول معينة فإن لولي الطفل عمارة القنوات وإخراج أجرة الفصاد وثمن

---

(١) نهاية المحتاج (٨/ ٤٩).

الأدوية وكل ذلك تنجيز خسران لتوقع ما هو أكثر منه»[(١)] اهـ.

وقال إمام الحرمين ﵀ في الغياثي -غياث الأمم في التياث الظلم-: «فأما الكلام في الفصل الثالث منها، وهو أهمها؛ فالغرض ذكر ما تقتضيه الإيالة الشرعية، والسياسة الدينية فيه، إذا صفرت يد راعي الرعية عن الأموال، والحاجات ماسة.. فليت شعري، كيف الحكم وما وجه القضية؟ فإن ارتقب الإمام حصول أموال في الاستقبال، ضاع رجال القتال، وجر ضياعهم أسوأ الأحوال. وإن استرسل في مد اليد إلى ما يصادفه من مال من غير ضبط أفضى إلى الانحلال، والخروج عن الشرع في الأقوال والأفعال، وقد قدمنا فيما سبق، أنا لا نحدث لتربية الممالك في معرض الاستصواب مسالك، لا يرى لها من شرعة المصطفى ﷺ مدارك. فإن بلي الإمام بذلك فليتئد، ولينعم النظر هنالك فقد دفع إلى خطبين عظيمين: أحدهما: تعريض الخطة للضياع. والثاني: أخذ أموال في غير إسناد استحقاقه إلى مستند معروف مألوف.. والله ولي التوفيق والتيسير، وهو بإسعاف راجيه جدير.. فنقول: إذا خلا بيت المال انقسمت الأحوال، ونحن نرتبها على ثلاثة أقسام، ونأتي في كل قسم منها بما هو مأخذ الأحكام.. وطرح القضايا السياسية بالموجبات الشرعية؛ فلا يخلو الحال، وقد صفر بيت المال من ثلاثة أنحاء: أحدها: أن يطأ الكفار -والعياذ بالله- ديار الإسلام. والثاني: ألا يطئوها، ولكنا نستشعر من جنود الإسلام اختلالا، ونتوقع انحلالا وانفلالا، لو لم نصادف مالا، ثم يترتب على ذلك استجراء الكفار في الأقطار، وتشوفهم إلى وطء أطراف الديار. والثالث: أن يكون جنود الإسلام في الثغور والمراصد على أهب وعتاد، وشوكة واستعداد، لو وقفوا، ولو ندبوا للغزو والجهاد، لاحتاجوا إلى ازدياد في الاستعداد، وفضل استمداد، ولو لم يمدوا لانقطعوا عن الجهاد.. فهذه التقاسيم قاعدة الفصل؛ فلنقل فيها أولا، ولنذكر في كل قسم منها معولا ثم ننظر إلى ما وراءها والله المستعان، على ما نحاوله من البيان. فصلٌ فأما إذا وطئ الكفار..»[(٢)] اهـ، إلخ كلامه فانظروه فإنه في غاية النفاسة والأهمية.

وقال الشاطبي ﵀ في الاعتصام عند كلامه على المصالح المرسَلة، في المثال الخامس من الأمثلة العشرة التي مثّل بها لها: «المثال الخامس: إنا إذا قررنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد الثغور

(١) المستصفى (١/ ١٧٧).

(٢) غياث الأمم (ص ٢٥٨).

وحماية الملك المتسع الأقطار، وخلا بيت المال وارتفعت حاجات الجند إلى ما لا يكفيهم؛ فللإمام إذا كان عدلا أن يوظّف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال إلى أن يظهر مال بيت المال، ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك، كيلا يؤدي تخصيص الناس به إلى إيحاش القلوب، وذلك يقع قليلا من كثير بحيث لا يجحف بأحد ويحصل المقصود، وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم بخلاف زماننا فإن القضية فيه أحرى ووجه المصلحة هنا ظاهر، فإنه لو لم يفعل الإمامُ ذلك النظام بطلت شوكة الإمام وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار، وإنما نظام ذلك كله شوكة الإمام بعدله، فالذين يحذرون من الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها فضلا عن اليسير منها، فإذا عورض هذا الضررُ العظيم بالضرر اللاحق لهم بأخذ البعض من أموالهم فلا يتمارى في ترجيح الثاني عن الأول، وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد، والملائمة الأخرى: أن الأبَ في طفله أو الوصي في يتيمه أو الكافل فيمن يكفله مأمور برعاية الأصلح له، وهو يصرف ماله إلى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج إليها، وكل ما يراه سببا لزيادة ماله أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله، ومصلحة الإسلام عامة لا تتقاصر عن مصلحة طفل ولا نظر إمام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره، ولو وطىء الكفارُ أرضَ الإسلام لوجب القيام بالنصرة وإذا دعاهم الإمام وجبت الإجابة وفيه إتعاب النفوس وتعريضها إلى الهلكة زيادة إلى إنفاق المال، وليس ذلك إلا لحماية الدين ومصلحة المسلمين.. فإذا قدرنا هجومهم واستشعر الإمام في الشوكة ضعفا وجب على الكافة إمدادُهم، كيف والجهادُ في كل سنة واجب على الخلق، وإنما يسقط باشتغال المرتزقة فلا يتمارى في بذل المال لمثل ذلك، وإذا قدرنا انعدام الكفار الذين يخاف من جهتهم، فلا يؤمن من انفتاح باب الفتن بين المسلمين، فالمسألة على حالها كما كانت، وتوقع الفساد عتيد فلا بد من الحراس، فهذه ملاءمة صحيحة إلا أنها في محل ضرورة فتقدر بقدرها، فلا يصح هذا الحكم إلا مع وجودها، والاستقراض في الأزمات إنما يكون حيث يرجى لبيت المال دخلٌ ينتظر أو يرتجى، وأما إذا لم ينتظر شيئا وضعفت وجوه الدخل بحيث لا يغني كبير شيء.. فلا بد من جريان حكم التوظيف. وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع من كتبه وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن له، وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الإمام وإيقاع التصرف

في أخذ المال وإعطائه على الوجه المشروع»[(١)] اهـ.

فهذه بعض النقول عن الفقهاء في هذا الباب، وكلامهم في هذا مشهور كما قلتُ.

ثم في مسألتكم انضاف إلى أصل المسألة شيء آخر وهو:

خطف صاحب المال المراد أخذ شيء من ماله عنوة.

وذلك أذى له، ويقتضيه ترويعه وترويع أهله وذويه.

وانضاف إليها شيء آخر، وهو: الخوف من وقوع مفسدة أكبر ومنكرٍ أعظم، وهو تنفير الناس وصدّهم عن سبيل الله، إذا ظنوا أن المجاهدين يعتدون على أموال الناس..!

فلا بد من النظر في هذه الأشياء، فأقول مستعينا بالله:

الذي أره لإخواني هو الآتي:

يجوز لكم أخذ شيء من أموالهم تسدون بها ضرورتكم، وإذا كان ذلك متوقفا على خطف الشخص وأخذه إلى السجن حتى يدفع المقدار المطلوبَ منه، فلا بأس، ويُغتَفَر ما في ضمن ذلك من بعض الأذى له والترويع له ولأهله، **لكن بشروط**:

- لا تأخذون من كل أحدٍ إلا المقدار الذي لا يُجحف به ولا يذهب بماله، بل تأخذون بالمعروف، وتقسّمون الأخذ على أصحاب رؤوس الأموال بحسب أموالهم، وتنسدّ الحاجة إن شاء الله بدون إجحافٍ بأحدٍ.

-أن يكون الخطفُ آخر حلّ، كالكيّ آخر الدواء، فإن أمكن أن تكلموا الناس وتراسلوهم فيدفعوا ما يكفيكم فلا يجوز الخطف والسجن والأذى.

- جائز في حال تعيّن الخطف طريقا كآخر حلّ أن تسجنوا الشخص مدة وتخوّفوه نوعَ تخويف حتى يدفع ما تقرر عليه من قبلكم، وذلك لضرورة سد حاجة الجهاد والمجاهدين.

- يجب ألا يؤدّي كل ذلك إلى إحداث مفسدة أعظم من مفسدة نقص وانعدام الأموال، بمعنى ألا يؤدي عملكم هذا إلى منكر أكبر؛ فإن أدى إليه منعنا منه، وهذا محل إجماع لا خلاف فيه، أعني شرط ألا يؤدي الأمر والنهي إلى منكر أكبر ومفسدة أعظم.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٢٠).

فعليكم أن تدرسوا الحالات، وتختاروا في كل منطقة ومع كل أناس ما يناسبهم، وليس شرطا أن تعاملوا كل الناس وكل المناطق بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب، بل تتصرفون في كل حالٍ ومع كل أناس بما يناسب، مما يحقق المصلحة ولا يترتب عليه مفسدة أكبر.

وتأخذون القليل الكافي -قدر الحاجة وحتى أقل منه، تيسيرًا على الناس-، وتقسّمون الأخذات على الناس، بحسب أموالهم وثرائهم، وهكذا.

وعاملوا الناس بالمعاملة الحسنة، وعظوهم وأحسنوا إليهم وتألفوهم، وبيّنوا لهم أن هذا واجبٌ نأخذه منكم للضرورة لأنكم لم تدفعوه بسبب من الأسباب إما لعدم ثقتكم فينا لعدم معرفتكم بنا، وإما لشدة حبكم للمال وجمعكم له وتقصيركم في البذل وشكر النعمة، وإما لخوفكم من العدوّ.. الخ.

فنحن نأخذ منكم قدر الحاجة للجهاد ولمصلحة الإسلام والمسلمين، ولا نجحف بكم ولا نعتدي عليكم، ولا نضركم، وما في ضمن هذا العمل من بعض الأذى، فلا بد منهم ونحن مضطرون إليه، ونعمل في ذلك بالشرع وفتوى علماء الإسلام.. إلخ، ونحو ذلك من التفهيم.

وتفهمون الواحد منهم أنه لو دفع لكم في كل سنة أو ستة شهور أو نحوها مبلغا معينا عن طريق الطريق الفلاني، فلا يتعرض لشيء بعدها.. وهكذا.

فإن المال شقيق النفس، ولا تنسوا وصية رسول الله ﷺ لمعاذ: (**واتق كرائم أموالهم**)[1].!

فهذا الأمر -أخذ أموال الناس- سبيلُ تنفير، وسبيلٌ خطِرٌ جدًا..! وإنما جوّزنا ما جوّزنا للضرورة.

وشرطنا ألا يحدث منكر أكبر من مثل تنفير الناس عن الجهاد والمجاهدين وانقلاب الناس عنا وعن نصرتنا وذهابهم إلى صف العدو المرتد الذي يظنون أنه يحفظ أموالهم ويصونهم..!!

فإذن لتتصرفوا في ضوء هذا الفقه، بالمعروف..

والله معكم وهو خيرُ الرازقين ﷻ، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ [طه]، ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ ﴾ [العنكبوت]، **وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ [الذاريات]، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧١) بلفظ: (وَتوقَّ كرائم أموال الناس)، صحيح مسلم (١٩) بلفظ: (وتوق..)، وجاء لفظ الشيخ في: المعجم الكبير للطبراني (١٢٢٠٧).

باء: مسألة مفاداة أسرى المرتدين بأسرى المسلمين أو مبادلتهم بالمال؛ الصحيح فيها عندي الجواز، وهي مسألة جرى فيها البحث كثيرا، والخلاف واقع فيها بين الناس، وقد سألتُ فيها جماعة من أهل العلم ومعظمهم أجازها.

ولعلي أكتب لكم ما عندي فيها في فرصة أخرى إن شاء الله، لضيق الوقت الآن

❑❑❑

السؤال الرابع: حدث أن تقني في الطب «مجاهد» أخطأ في مداواة مجاهد؛ فمات هذا الأخير.. فماذا عليه؟!

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، إذا كان هذا التقنيّ معروفًا بالطب، يعني أنه طبيبٌ يعالج الناس ويداويهم، ولا يلزم أن يكون طبيبًا متخصصا أو عامًّا بالمعنى الاصطلاحي المتداول اليوم، بل المقصود أنه بالنسبة لكم -في واقعكم وحالكم- بمنزلة الطبيب الذي يداوي الإخوة ويعالجهم لكونه أحسن الموجود في باب الطب، وقد أخذ حظا من معرفة علم التطبيب، كما تفيده عبارة «تقني في الطب»، وهو باذل جهده ونصحه، وأظن أن هذا هو المنطبق على مسألتكم.

أقول: إذا كان كذلك فلا يخلو الأمر من صورتين:

- إما أنه داوى المريض وطبّبه -عالجه- علاجًا صحيحًا على مقتضى الاجتهاد في باب الطب، فمات المريض، فهذا لا شيء عليه فيه، وهو -أي الطبي، وهو التقني هنا- مجتهدٌ على أصول صحيحة.

- وإما أنه أخطأ خطأ فاحشًا ظاهرًا مخالفًا لأصول الطب المعروفة عند أهله، وتسوّر وتجرأ على ما لا يحسنه، فأدى خطؤه إلى وفاة المريض، فهذا تلزمه الدية، لأنه قتل خطأ.. والله أعلم.

فإذا قلنا إنه قتلُ خطأ وإن عليه الدية، فإن الدية على عاقلته، وعاقلتُه هنا هي الجند، أي الديوان الذي هو منتمٍ إليه في الجماعة، كذا قاله علماؤنا، وباختصار: ديته على بيت المال.

فإن تيسّرت الآن فتُدفع لأوليائه، وإن لم تكن متيسّرة -كما أظن جدا، كيف وأنتم في حال ضرورةٍ وشدة بالغة- فتؤخّر حتى يفتح الله، ولو طال الزمن، لكنها مستحَقة لأولياء الميت على بيت المال.

والله أعلم.

روى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: (**من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن**)، وحسّنه الشيخ الألباني[١].

قال في عون المعبود: «(**من تطبب**): بتشديد الموحدة الأولى أي تعاطى علم الطب وعالج مريضا، (**ولا يعلم منه طب**): أي معالجة صحيحة غالبة على الخطأ؛ فأخطأ في طبه وأتلف شيئا من المريض، (**فهو ضامن**): لأنه تولد من فعله الهلاك وهو متعد فيه إذ لا يعرف ذلك فتكون جنايته مضمونة على عاقلته. قال الخطابي: لا أعلم خلافا في أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا والمتعاطي علما أو عملا لا يعرفه متعد فإذا تولد من فعله التلف ضمن الدية وسقط القود عنه لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض. وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاقلته. انتهى»[٢] اهـ.

والمسألة عند الفقهاء معروفة مشهورة، ويذكرونها في باب «الضمان» وفي باب «التعزير» أو غيرهما من الأبواب:

قال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره: «باب التعزيز: وعزّر الإمامُ لمعصية الله، أو لحقِّ آدميّ، حبسًا، ولومًا، وبالإقامة، ونزع العمامة، وضربٍ بسوط، أو غيره، وإن زاد على الحد أو أتى على النفس، وضمن ما سرى كطبيبٍ جهل أو قصر أو بلا إذن معتبر ولو إذن عبدٍ، بفصد أو حجامة، أو ختان..»[٣] اهـ، وانظر شروحه..

ومنها ما قاله الشيخ علّيش في منح الجليل: «وسواء سلِم المعزَّرُ «أو أتى» تعزيره «على النفس» بأن مات منه، إن ظن الإمام سلامته «و» إلا «ضمن» الإمامُ «ما سرى» أي ترتب على تعزيره؛ فإن مات ضمن ديته وإن تلفت له منفعة ضمن ديتها. ابن عرفة: الشيخ في المجموعة: الإمام مالك ﷺ: معلمُ الكتاب والصنعة إن ضرب صبيا ما يعلم الأمن منه لأدبه فمات فلا يضمن، وإن جاوز به الأدب ضمن ما أصابه. عج: المسائلُ ثلاثة:

الأولى: أن يفعل مع ظن السلامة وينشأ عنه هلاك أو نقص، وفي هذه الحالة يجوز الإقدام على

(١) سنن أبي داود (٤٥٨٦)، سنن النسائي (٤٨٣٠)، سنن ابن ماجه (٣٤٦٦).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٢١٥).

(٣) مختصر خليل (ص ٢٤٦)، منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٣٥٥)، شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني (٨/ ٢٠٠).

الفعل.. واختلف في ضمانه فقيل لا يضمن سواء قال أهل المعرفة ينشأ عن فعله هلاك أو عيب أو لا، وهذا يفيده ما في النوادر والعتبية، وعزاه الموضح للجمهور.

الثانية: أن يفعل مع ظنه عدم سلامته وينشأ عنه هلاك أو عيب فلا يجوز له الإقدام على الفعل، ويقتص منه سواء قال أهل المعرفة ينشأ هلاك أو عيب أو لا، كما يفيده كلام ابن مرزوق.

الثالثة: أن يفعل مع شكه في سلامته وعدمها، وينشأ عنه هلاك أو عيب، فلا قصاص عليه والدية على عاقلته»(١) اهـ.

وانظر تمام كلامه؛ ففيه فوائد تجمع لك المسألة وفقهها.

❑❑❑

السؤال الخامس: أثناء العملية العسكرية (أكمنة، اغتيال، تفجير) يقتل بعض الشعب حين اختلاطهم بالطاغوت؛ فما الواجب الشرعي من جهة الديّة والكفارة في حالة إمكان الاحتراز وعدمه ومعرفة القاتل وعدمها؟

الشيخ عطية الله:

هذه المسائل، أستعفيكم من الإجابة عليها، والأفضل أن ننتظر جواب المشايخ، لأنها تحتاج إلى تحرير وتدقيق، والله المستعان، وفيها صور متعددة.

❑❑❑

السؤال السادس: بحكم معرفتكم ظروف الساحة الجهادية عندنا.. ما الضوابط التي ترونها للعمليات الاستشهادية؟ وإذا كشف حال الأخ قبل الوصول إلى الهدف؛ هل يجوز له التفجير، وما رأيكم في فتح المجال للنساء في هذا الباب.

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، أما الضوابط للعمليات الاستشهادية؛ فأختصر الكلام وأدلكم على بحث الشيخ «أبي يحيى» حَفِظَهُ اللهُ المسمى «العمليات الاستشهادية في الجهاد المعاصر»؛ فهو جيد في بابه، وهو منشور على الانترنت، وهناك أيضًا فتاوى وبحوث كثيرة لعلماء وطلبة علم منشورة كذلك؛ فراجعوها، فمن مجموعها تعرفون إن شاء الله تعالى ضوابط هذه العمليات، وأهمها:

---

(١) منح الجليل (٩/ ٣٥٨، ٣٦١).

- **الإخلاص**: وأن يكون الدافع هو إعلاء كلمة الله تعالى، لا السأم من الحياة والجزع من الموت أو من الدنيا..!

- تعين هذا الطريق -العملية الاستشهادية- لتحقيق الهدف الذي هو النكاية المعتبرة في العدو التي يحصل بها نصرٌ للمسلمين ودفعٌ للعدو، وتجريء للمسلمين -في بعض الأحوال التي يصل فيها الحال إلى أن نقول: لقد وهَن المسلمون واستكانوا وماتوا بالذل والرعب من الكفار؛ فلا بد من تشجيعهم والنهوض بهم وإحياء مواتهم، والتبيين لهم بأن «فرعون» و«الطاغوت» مخلوق ضعيف نقدر عليه لو توكلنا على الله- ونحو ذلك..!

- ألا تؤدي إلى منكر أكبر؛ كما هو شرط سائر باب الأمر والنهي والجهاد.

وأما إذا كشف العدو حال الأخ قبل وصوله إلى الهدفِ؛ فهل يجوز له أن يفجر نفسه ولو بدون تحقيق الهدف المقصود أصلا، أو تحقيقه جزئيا فقط؟ فهذا موقف لا أدري ما أقول فيه.!!

أرجو أن نحاول مراجعة العلماء فيه إن شاء الله.

والواجب بكل حال: تفادي ذلك الانكشاف من قبل العدوّ، وأن تكون العملية قائمة بضوابطها من التعيّن وحصول النكاية المحققة في العادة.. والله المستعان.

وأما النساء؛ فالأصل أنه لا فرقَ، لا سيما وأننا في جهاد دفعٍ، ولكن قد جاءت الدلائل في الشريعة على وجوب الاحتياط للفروج.!

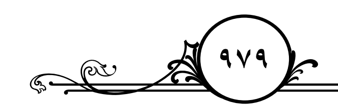
وهذا الاحتياط له محلان:

- الاحتياط بعدم بعث النساء لهذا العمل ونحوه أصلا، والاستغناء بالرجال حيث أمكن.

- إذا اضطررنا لإرسال النساء؛ فيجب الاحتياط في تدبير أمرهن جدًا، أكثر مما نحتاط للرجال، فلا نرسلهن إلا مع كمال الاحتياط ألا يؤسرن مثلا قبل الوصول، وألا يبقين حيّاتٍ بعد التنفيذ فيأخذهن العدوّ كما حصل مع أختنا «ساجدة» فرّج الله عنها بلطفه ورحمته.. آمين.

فإذا كان لا بد من إرسال النساء أحيانا للعمليات الجهادية سواء استشهادية أو غير استشهادية؛ فالواجب هو كمال الاحتياط.

وأصلا؛ لا نلجأ إلى النساء إلا حيث تعذر الرجال، احتياطًا للفروج وللعرض، وحذرًا من شماتة



الأعداء، والله المستعان، فإن النساء لسنَ كالرجال.!! والله أعلم.

❑❑❑

السؤال السابع: لقد فتح الطاغوت الباب للمنصّرين فهم يفتحون بيوتا للتنصير.. ما ترون في طريقة مواجهة هذا البلاء؟

الشيخ عطية الله:

أنتم أدرى بطريقة مواجهة هذا البلاء، والله يفتح عليكم، وأما يتعلق به الحكم الشرعيّ؛ فهؤلاء المنصّرون الذي يسمّون المبشّرين، قاتلهم الله، جائزٌ قتلهم قصدًا، وليسوا هم في حكم الرهبان المعتزلين للتعبد في الصوامع، فأولئك نهينا عن قتلهم، ووقع الاتفاق من الفقهاء على أنهم من أصناف الحربيين المنهيّ عن قتلهم، لكن هؤلاء المسؤول عنهم ليسوا منهم، بل هؤلاء ممن يُقصَدون بالقتل من الحربيين؛ لأنهم رجالة مقاتلة -بالقوة-، ومقاتلون بالكلمة والسعي والمعاونة، والله أعلم.

ويخطر ببالي - رأيي الشخصي - أن ضرب مراكز هؤلاء المجرمين المنصّرين قاتلهم الله: جيدٌ ومفيدٌ حتى ينقلعوا ويخافوا ويرتعبوا فهرب أكثرهم ويخفّ البلاء بهم، فأظن أن عملية عليهم أو عمليتان أو ثلاثة إن شاء الله كافية في إزالة فسادهم بإذن الله وإبطال كيدهم وتدمير ما بنوه من أحلام وآمال، لعنهم الله، فاضربوهم ومَن يشتغل معهم ممن ينتسب إلى المسلمين، لعن الله الجميع..!!

❑❑❑

السؤال الثامن: ما تقولون في حكم أعضاء البرلمان التابعين للأحزاب الإسلامية، وهل يجوز استهدافهم؟

الشيخ عطية الله:

الأصل أن أعضاء البرلمان في نظام كافر نظام ردة ودولة المرتدين، هم كفارٌ؛ لأنهم مشرّعون بالمعنى الذي هو معروف عندهم وعندنا وعند الجميع، وهو التشريع من دون الله تعالى، وما لم يأذن به الله، ولأسبابٍ أخرى مكفرة؛ مثل كونهم أولياء للدولة المرتدة وجزءًا منها مناصرًا ووليّا، لكن إن كان في هؤلاء المسؤول عنهم -من أعضاء الأحزاب الإسلامية كما تسمّى- مَن يُعرفُ بصلاحٍ وتقوى وتحرٍّ للخير في الجملة، لكنه ضلّ في هذه المسألة وتأول الخير وزعم أنه يحاول الإصلاح ونحو ذلك، فهذا لا نحكم بكفره، ولا نرى قتله قصدًا كما نقصد الكفّار بالقتل، والله أعلم.

لكن لعل هذا قليل الوجود أو نادرٌ، أو لعله منعدم، أنتم تعرفون واقعكم، وتتقون الله في النظر..!

هذا من حيث التأصيل.

ثم يبقى مسألة النظر السياسي «السياسة الشرعية»: حتى لو حكمنا بكفر الشخص منهم، واستحق القتل، وهو منتمٍ إلى حزب إسلامي كالإخوان المسلمين مثلا؛ فهل يحسُن أن نقتله؟

فهذه ينظر فيها لا على أساس محض الشرع، بل بضميمة النظر في ما يترتب على ذلك من مفسدة أو عدمها، فهي من جنس: (**لا يقالُ أن محمدًا يقتل أصحابه**)[1]، ونحوها.. والله أعلم.

فائدة بالمناسبة: أنصح بقراءة رسالة «المتأولون وأهل القبلة» للشيخ أبي قتادة الفلسطيني فرج الله عنه؛ فإنها قيمة ونفيسه في بابها، جزاه الله خيرًا.

❑❑❑

السؤال التاسع: هناك من يظن أن المجاهد يصلي صلاة الخوف دوما بغض النظر عن تحقق الخوف أو عدمه.. فنرجو منكم توضيح المسألة.

الشيخ عطية الله:

صلاة الخوف بصورةٍ من الصور الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ إنما تُشرَع في حال الحاجة إليها في حال الخوفِ؛ لا في كل أحوال المجاهد، فإذا كان المجاهد في حالِ أمنٍ في مكانٍ لا خوف فيه من عدوّ ولا سبُعٍ ولا نحوه، ولا هو طالبٌ ولا مطلوبٌ؛ كأن يكون نازلًا أو سائر في أرضه المحررة وفي ناحيته الآمنة؛ فلا يصلي صلاة الخوف، بل يصلّي الصلاة كما أمره الله على الأصل، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٠٣].

ومَن ظن أن المجاهد يصلي صلاة الخوف دومًا وعلى كل حال بغض النظر وجود الخوف أو عدم وجوده؛ فهذا خطأ وجهلٌ.

وليعلم أن صلاة الخوف ليست خاصة بالمجاهد، بل يصليها، بل هي صلاة الخائف طالبًا أو مطلوبًا، سواء كان في جهاد أو غير جهاد.



(١) صحيح البخاري (٤٩٠٥)، صحيح مسلم (٢٥٨٤).

السؤال العاشر: نرجو منكم إفادتنا في تأصيل مسألة «التصوير» تأصيلا يجنبنا شر الخلاف.

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، **مسألة التصوير** أيها الإخوة الأحباب كُتبَ فيها الكثير من قبل أهل العلم، وأصول المسألة معروفة والحمد لله، وصار العلمُ بها منتشرا ذائعا، ولكن ظني أنكم تسألون عن فروع معينة مما تتعرضون له في مسيرتكم وعملكم؛ مثل استعمال صور الفيديو الذي يظهر فيه صورة آدميين من المجاهدين أو من العدو أو من سائر الناس في الإعلام الجهادي، وهكذا عموم استعمال صور ذوات الأرواح في الإعلام الجهادي.

فاعلموا أن هذه المسألة مسألة اجتهادية وقد سئل فيها جماعة من المشايخ وتكلموا فيها، فمنذ أيام الجهاد الأفغاني كان الشيخ عبد الله عزام ﵀ يجيز ذلك سواء في الفيديو أو في المجلات الورقية، وكذا آخرون من العلماء، والشيخ عمر عبد الرحمن فرج الله عنه يجيز الفيديو على الأقل، وإن كانت مجلتهم «المرابطون» أيام زمان كانت تجتنب تصوير ذوات الأرواح، ومن العلماء من منع ذلك ولم يرَ جوازه، والآن أيضا لازال العلماء يختلفون، ومنهم من يجيز ومنهم من لا يرى الجواز، ممن لا يجيز عامة علماء الجزيرة الكبار مثلا.. واختلف النقل عن الشيخ ابن باز في الفيديو؛ فنقل عنه بعض الناس إجازته، ونقل عنه آخرون المنع.

ومنهم من فرق بين الفيديو وبين الصورة على الورق -كمجلة-.. وهذا منقول عن ابن باز، ونقل عن غيره أيضا، أنهم تساهلوا في الفيديو ولم يتساهلوا في الصورة الفوتوغرافية، ذكر هذا الشيخ عبد الكريم الخضير فيما نقله بعض طلبة العلم.

ومن العلماء من أجاز الصورة الفوتوغرافية -وبالأحرى الفيديو- ولم يرُوها أصلا داخلة في المنهي عنه، وعندهم أن المنهي عنه ما رُسِم باليد وخلقه الإنسان مضاهيا به خلق الله أن تصويره، وأما صورة الآلة «الكمرا»؛ فإنها ليس فيها هذا الوصف -العلة-، وأنها أشبه بصورة في المرآة.. الخ كلامهم، ومِن هؤلاء جماعة كثيرون من أهل العلم، مثل الشيخ محمد الحسن ولد الددو وغيره.

والكلام في المسألة من حيث الأصل يطول استدلالا ونقضا..

لكني أحاول هنا إعطاء إخواني ملخصًا لأقوال أهل العلم فيها.

فالذين يقولون: إن هذا التصوير -الفوتو والفيديو- لا يدخل في النصوص الناهية عن التصوير واقتناء الصور؛ فلا إشكال عندهم.

والذين فرقوا بين التصوير وبين الصورة، كالشيخ ابن عثيمين، قال: التصوير -أي بالآلة- لا يدخل في نصوص النهي والوعيد لعدم وجود الوصف المعلق عليه الحكم -العلة-، لكن إذا خرجت الصورة على ورقة فهي صورة داخلة في أحكام «الصور» مثل: **(لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة)** ونحوه.. فهؤلاء لم يجيزوا استخدام الصور إلا لضرورة.

ومثلهم وأحرى الذين حرموا كل ذلك، أعني التصوير والصورة -بالآلة- كما باليد.

هؤلاء كلهم لم يجيزوا إلا في حالات الضرورة ويقتصر عليها وتقدّر بقدرها.

طيب.. في الإعلام الجهادي اليوم؟

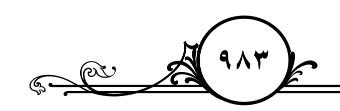
اعلموا أن أكثر الإخوة المجاهدين -في الجماعات الجهادية- ماشين في الإعلام الجهادي على الفتوى باستعمال الصور سواء منها الفيديو أو الفوتو، وذلك:

- إما لعدم تحريم هذا النوع من الصور الآلية؛ لعدم تناول النصوص لها عندهم، كما قلنا إن هذا قول لأهل العلم المعاصرين.

- وإما للضرورة والحاجة الشديدة المقاربة للضرورة المتعلقة بأمر عامّ، وهو أمر الإسلام والمسلمين وصراعهم من الكفار، فإن العصرَ ووسائل العدوّ تفرض علينا الترخّص في ذلك من أجل مكافأة وسائل العدوّ، فلتبيين حالنا وحال العدو، ولا يخفى أهمية الصورة اليوم في الإعلام والحرب.

وممن يقول بهذا القول: جماعة من أهل العلم المعاصرين الموثوقين؛ منهم الشيخ علي الخضير فرج الله عنه، والشيخ ناصر الفهد أيضا فرج الله عنه، رغم تشدده جدا في منع جميع أنواع الصور والتصوير، لكنه يرخّص فيه للجهاد، وجعله الشيخ علي الخضير وغيره من باب: ما يجوز في الجهاد لمصلحة إعلاء كلمة الدين، ولا يجوز في غيره مثل لبس الحرير لمن احتاجه في الحرب، ومثل مشية الخيلاء التي يبغضها الله إلا في هذا الموضع، ونحوها.

وأظن -حسب ما نقل لي- أن الشيخ حمود العقلاء رحمه الله وهو شيخ المذكورَيْن يقول بهذا القول



أيضا، وغيرهم كثير اليوم ممن نعرف من أهل العلم يقول بهذا القول، ويترخّصون في هذه الصور: تصويرا ونشرًا في الجهاد ومن أجل نصر الدين وإعلاء كلمة الله تعالى والأخذ بأسباب الغلبة على الكافرين مما لو لم نفعله لفاتنا سلاح خطير ومهم جدًا، ولأرهقنا العدوّ..!

وإذا تقرر ذلك فيقتصر به على هذا السبيل، والله الموفق.

وهكذا لعلكم ترون أيها الإخوة أن المسألة مسألة اجتهاد، والعلماء فيها بين مشدد ومرخّص، وأن ما كان من أجل الجهاد وإعلاء كلمة الدين؛ فلا بأس به ولا حرج فيه إن شاء الله، لا سيما وأصل المسألة أصلًا مختلفٌ فيه وقابلٌ للنقاش أعني أصل تحريم صور الفوتو والفيديو، والفيديو لا شك أن أمره أخف بكثير لأنه ليس بثابتٍ؛ فهو أشبه بالصورة في المرآة، ولهذا ترخّص فيه بعض مَن لم يترخَص في غيره كما أشرتُ إليه.

من أجل ذلك، فلا أرى أن يتحرج الإخوة في استعمال الصور في الإعلام الجهادي.

وأيضا؛ لا أرى لإخواني أن يتشددوا في المسألة وينصبوا فيها شديد اللوم والمخالفة أو يجعلوا منها سبيلا للشقاق والخلاف، فهي كما ترون من هذا الملخص البسيط مسألة محتملة للنظر واختلاف الأفهام.. والله ﷻ أعلم وأحكم، وأستغفر الله من كل ذنب.

❑❑❑

طلب نصيحة

وفي الأخير نرجو أن تكتبوا لنا رسالة في «أدب الخلاف»، كما نود أن تفيدونا بالنظام الداخلي للهيئة الشرعية من جهة طريقة الفتوى (التقليد واعتماد مذهب مع فقد المجتهد) ومن يرجح عند الخلاف. وهل فتوى الهيئة ملزمة للإمارة فيما يتعلق بالمسائل العامة؟.

كما نود عذرنا وتحمل كثرة مسائلنا وإحالة نسخة منها إلى «اللجنة الشرعية» في «القاعدة»، جزاكم الله خيرا.. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

الشيخ عطية الله:

سأرفق لكم مع هذه الأجوبة مقالًا أو أكثر مما كنتُ كتبته مما يتعلق بأدب الخلاف، وأيضا أضيف أن أدب الخلاف وفقهه قد كُتب فيه الكثير قديما وحديثًا، **ومن أحسن ما يُقرأ في هذا الباب ما يلي:**

- رسالة الإمام ابن تيمية ﷺ: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؛ فهذا أهم كتاب مع لطافته.

- ما كتبه الشيخ الإمام وليّ الله الدهلوي في كتابه «حجة الله البالغة» من فصول تتعلق بهذا، وقد أفردها بعض الناشرين وطبعها في رسالة مستقلة، وهي من أروع ما كتبَ، وهي الفصول التي تكلم فيها عن كيفية تلقي الأمة الشرعَ عن النبي ﷺ فما بعده من فصول في أسباب الخلاف وفقهه ومراتب الناس فيه وأعذارهم.. إلخ، وفيها دُرر ونفائس قل أن توجد عند غيره ﷺ.

- رسالة للشيخ ابن عثيمين بعنوان: «اختلاف العلماء وموقفنا منه»، وهي جيدة جدا.

- رسالة للشيخ الداعية أحمد عبد الرحمن الصويّان بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم»، وهناك غيرها كثير..

لكن هذا أهم ما وقفت عليه وقرأته واستفدت منه، ورأيته أحسن من غيره.

ومعلومٌ أن فقه هذا الباب متناثر في كتب أهل العلم ومصنفاتهم، من حسن مناقشاتهم وأدب اختلافهم ومناظراتهم في العلم، واعتذار بعضهم لبعضٍ، ولطائف ودقائق في احتجاجاتهم واستدلالاتهم واستدلالهم بالنص الواحد على حكمين مختلفين أو أكثر، وخلاف أفهامهم في ذلك، ومَن تتبع ذلك وجمعه حصّل منه شيئا كثيرا جدا، وقد كنت فعلت شيئا من هذا معظمه ضاع مني. والحمد لله رب العالمين.

وأما «النظام الداخلي للهيئة» وما بعده مما أشرتم إليه، فلعل الإخوة يكتبون لكم فيه.

ونسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق.

جزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم، ولا بأس عليكم؛ فنحن نتعاون على القيام بهذا الدين، ونتواصى بالحق وبالصبر كما أمر الله، ونسأل الله الإعانة والتوفيق، وأنتم أيضا تعذرونا دائما على التقصير والقصور، وتلتمسوا لنا العذر فيما بان خطؤه عندكم، والله مولانا ومولاكم، والكافرون لا مولى لهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم

غرة ذي الحجة ١٤٢٧هـ

۞ ملحق: توجيهات تتعلق بالدورات الشرعية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه رسالة كنت كتبتها جوابًا لبعض إخواني في العراق -من أنصار السنة- كانوا طلبوا مني نصائح تتعلق بإقامة الدورات الشرعية، فكتبتُ لهم بعض التوجيهات في ذلك، وهذا نصها:

الدورة الشرعية: توجيهات عامة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم، أعزكم الله..

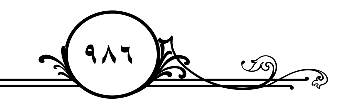
اعلم أن الدورات الشرعية فائدتها عظيمة لمن أحسن تنظيمها وأحسن اختيار المادة لها وأحسن فيها الإعطاء والتربية بالعلم والأدب؛ فهي مدرسة مصغّرة مؤقتة، يحصل فيها دراسة أبواب أو مسائل مختارة ومقدمات مهمة وضرورية من فنون العلم والمعرفة، تكون في العادة مركزة قوية مدققة.. فإذا كان الإشراف جيدا محترما نبيلا، وكان المكان والجو مناسبا والزمان ملائمًا، والنفوس مستعدة للقبول متشوّفة للنهل من العلم والمعرفة، والمدرّسون المعلمون الملقون من النوعية العاقلة أصحاب العلم النافع ولو كان قليلا، وأصحاب الدين والتقوى والسمت الصالح والرأي السديد والتجربة والتربية، فإن الدورة قد ضمنت عوامل نجاحها، وأكرم بها حينئذ من معهدٍ علميّ ومحضن تربويّ..

وقد رأينا بحمد الله ذلك في تجاربنا، ولا نتكلم من مجرد تخيّل وفراغ، فكم أخرجت الدورات الشرعية من طلبة علمٍ كان لهم فيما بعد عطاءٌ ونماءٌ، وكم اكتشفت من مواهب، وكم أيقظت من نيام وشحذت من عزائم، وكم قوّمت وكمّلت وتخرّج منها قيادات في العمل الإسلامي: الدعوة والجهاد.

أما إذا فقدت الدورات الشرعية تلك العوامل أو بعضها فإنها تفقد من أسباب نجاحها، وينالها من الفساد والفشل بحسب ذلك، وقد تكون في بعض الحالات -إذا فقدت كثيرا من تلك العوامل أو جميعها- وبالًا على أصحابها وخرابا ودمارا لعقولهم وإفسادًا..! نسأل الله العافية والسلامة، وقد رأينا هذا الصنف أيضا.

رأينا بعض الدورات التي كانت مجرد دورات تخريبية بمعنى الكلمة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعليه؛ فإنني سأذكر لك هنا أهم ما أوصي به في إقامة الدورة الشرعية ومنهجها.



فأذكر ما يحضرني بدون ترتيبٍ مقصود، وبالله تعالى أستعين:

أولًا: من أهم الأشياء أن يلقّن الطالب المتلقّي في الدورة من البداية وفي الأثناء وعند الانتهاء أن هذه الدورة ليس لتخريج علماء مفتين، وليس المطلوب من الطالب فيها أن يخرج عالمًا ويفتي ويحيط بمسائل العلم، وإنما المطلوب منها أشياء أخرى مهمّة جدًا؛ **منها**: إيقاف الطالب على ساحل بحر العلم، ليعرف أنه بحر كبيرٌ، وأن الخوض فيه يتطلب صبرا وجدًا واجتهادًا وبذلا عظيما وسهرا وتجلدًا وتفرّغا وحبّا، وقبل ذلك توفيقا من الله تعالى؛ فيخرج الطالب من الدورة وقد عرف قيمة العلم والعلماء، وعظم دور العلم والتعلّم والطلب، وفضل هذا الشيء وأهله، وعرف أن العلم بحر كبير عميق وأنه لا يخوض فيه ولا ينبغي أن يخوض فيه إلا من صار من أهله وفقهت نفسه واكتسب الأهلية الجيدة لذلك، وتتسع مداركه وزوايا نظره ويتّسع أفقه، فيصير أكثر معذرة للناس، وأكثر نظرًا لاحتمالات المسائل، وأحسن تصورًا لها وتفريقا بين صورها، وأكثر عمقا وفهما.. ويعرف أنه جاهلٌ، وأنه محتاج للمزيد من التعلم والبذل في سبيل ذلك، ويقف على أهمية العلم والتعلم، وبالجملة يعرف قدر نفسه فلا يتسلّط على المسائل التي ليس هو أهلا لها، بل يكلها لأهلها من العلماء، ولا يتسرع ولا يتهوّر، ولا يغتر بقليل ما عنده من المعرفة.

فلو خرج الطالب من الدورة الشرعية وقد حصّل هذه الفائدة فإنها خيرٌ وبركة.

ثانيا: أن يكون من المقاصد: إعطاء تصوّر للطلبة عن فنون العلم: الفقه، الأصول، النحو والصرف، الحديث وعلومه، القرآن وعلومه، السياسة الشرعية.. وما شابه.

ومعنى إعطاء التصوّر أن نفهّمه مضمون الفن من هذه الفنون، وما فيه من محتويات وموضوعات وأبواب وفروع ومسائل، وما يندرج تحتها، حتى يصير الطالب عارفًا بالفنون والعلوم متصوّرا لها ولأهمية كل علم، ومدركا لترابط العلوم وضرورة المشاركة فيها، وأن العالم لا يصير عالمًا حتى يشارك فيها جميعا ويؤسس في كل فنّ تأسيسًا جيدا.. فهذه فائدة تصوّرية مهمة، ولا تنسوا أنكم من مهامكم في هذه الدورات إخراج قيادات، لا أناس عاديين فقط، فلا بد أن تضعوا في تصوركم أن بعض شبابكم الذي يحضرون الدورات اليوم سيكونوا قيادات للعمل الدعوي والجهادي في وقت ما، وربما يكون منهم من يصير ذا شأنٍ بإذن الله.

ثالثا: فالمقصد الثالث إذن هو هذا: أن نعلم نحن المشرفين على الدورة أننا بصدد تخريج قيادات، ولو بعد حين، لا أقول إننا سنخرِّجهم بعد الدورة مباشرة ليقودوا، ليس هذا بالضرورة هو المقصود، ولكن نضع في حسابنا أن بعض هؤلاء على الأقل سيكونوا قيادات في المستقبل ويتولّون هم أزمّة الأمور، وقد رأينا هذا في تجارب الإخوة، نحن نتمنّى أن يتخرّجوا كلهم قيادات، لكن هذا مستبعدٌ عادة، ولا ينسجم مع سنن الله في الخلق، ولذلك فنقول البعض.. فليكن إذن عملنا على أساس تخريج قيادات، ونعني بالقيادات: الرجال الفاعلين المؤثرين في أمتهم وقومهم وما حولهم من الناس، سواء كانوا قيادة سياسية في المستقبل وجهادية أو قيادة علمية وفكرية وتوجيهية تربوية وهي القيادة الأدبية.

رابعًا: أن يكون من مقاصدنا اكتشاف المواهب لدى الشباب والتعرّف على القدرات والملكات التي لديهم؛ فنهذبها ونوجّههم على أساسها ونشجّعهم على تنميتها، وقد نحتاج بعدها أن نفرّغ بعض شبابنا الذين نكتشف فيهم قدرة على طلب العلم والتقدم فيه للدراسة وقد نرسلهم للدراسة في أماكن أخرى، وهكذا.

خامسًا: المقصد التربوي التوجيهي الأخلاقي، وهذا لا يخفى، نسأل الله لكم التوفيق..

ومما ينبّه عليه فيه من أصول: الجمع بين العلم والعبادة، والتعلّق باليوم الآخر ورجاؤه وجعله هو همّة الإنسان ورأس ماله وهو محطّ نظره وأمله، والتقلل من الدنيا، والزهد واليقين، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا في حدود معتدلة شرعًا وعقلًا وعُرفًا بحسب الحال.. ومعرفة فضل أهل الفضل، وبرّ أهل الصلاح ومحبة المؤمنين، والإيثار وحسن المعاشرة، والبعد عن الخوض في ما لا يحسن الإنسانُ، وترك ما لايعينه، والاشتغال بالأفضل، والحذر من مصائد الشيطان، والحرص على ما ينفع من خيري الدنيا والآخرة، وسؤال الله العافية، والشكر والصبر والخوف والخشية من الله والرجاء والتوكل والإنابة والذكر والتوبة.. إلى آخر أعمال القلوب.

سادسًا: في الغالب يكون من مقاصد مثل هذه الدورات التركيز على مسائل وأبواب مهمة، لمسيس الحاجة إلى معرفة فقهها وأحكامها في وقتنا وحالنا..

مثل: فقه الجهاد بعامة، وفقه مسائل منه خاصة، ومقدّمة في السياسة الشرعية، ومقدمة جيدة في العقيدة والتوحيد، ونحو ذلك، فهذا جيد طيب، وينبغي أن يكون مصاحبًا للمقاصد المذكورة قبله،

وأن يفهّم الطالب أن هذه المسائل إنما نركز عليها الآن لأننا بحاجة إلى معرفة أحكام الشرع فيها، لأننا مبتلون بها، وبصدد العمل بها، ففرضٌ علينا التفقّه فيها ومعرفة حدود ما أنزل الله فيها، لكن ليس ما نقوله هنا هو كل شيء، ولا نستطيع في دورة صغيرة كهذه أن نحيط بها وبتفاصيلها، وإنما نحرص على معرفة المهم والمشهور من المسائل، وما كان من مسائل الخلاف فنعرف الخلاف، ونختار ما نراه الأرجح من أقوال أئمتنا وعلمائنا.. وهكذا.

سادسًا: أخي العزيز؛ ليكن من مقاصد الدورة تربية الشباب على الاعتدال في قوةٍ، واللين في صلابةٍ، والعزةِ في غير غرور ولا تكبرٍ.. علّموهم ولقّنوهم يا أخي أن المجاهد القويّ العزيز الأبيّ المرضيّ عند الله، يجب أن يكون متكامل الصفات جامعا بين اللين والرفق واضعًا كلًا في محله، والعنف والشدة في محليهما، وبين كمال الرحمة وقوة الغضب كلّ في محلة، وهذا جِماعُهُ: الحكمةُ والعدلُ.

الحكمة: وضع الشيء في موضعه.

والعدل: إعطاء كل ذي حقّ حقه.

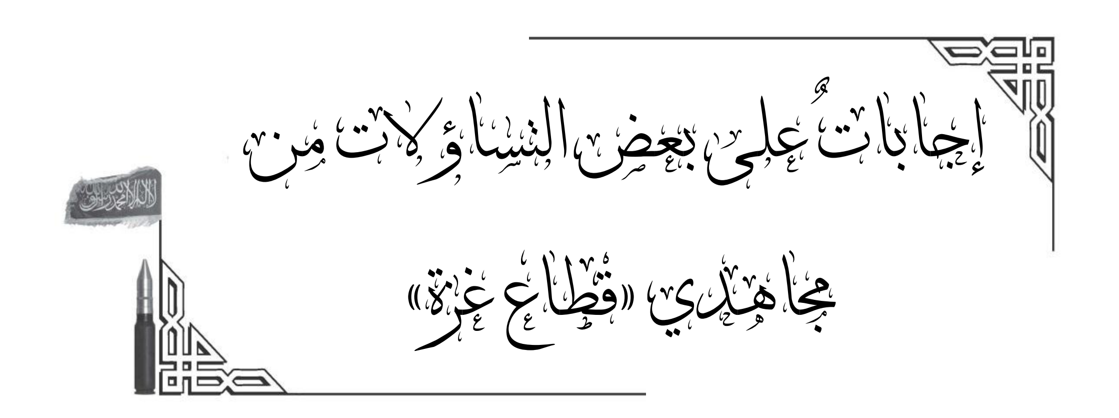
وهذا ما تيسّر جمعه من النصح لإخواني فيما يتعلق بالدورات الشرعية، وحسبُه أن يفتح أبوابًا للتأمل والإثراء وجمع الفوائد وتقييد الفرائد.

والله أعلم وأحكم ﷻ ومنه نستمد التوفيق، ونسأله ﷻ أن يبارك في جهودكم ويفتح عليكم من أبواب رحمته وفضله.. آمين.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم/ عطية الله

[كتبت في سنة ألفين وستة، بطلب من الأخ أبي الدرداء الكردي من جماعة «أنصار السنة في العراق» ﵀ وتقبله في الشهداء].



إجابات على بعض التساؤلات من مجاهدي «قطاع غزة»

[هذه الرسالة قد تم اقتباسها من «وثائق أبوت أباد» التي تم نشرها من قبل «المخابرات الأمريكية» أذلها الله، وتحمل الوثيقة رقم: «SOCOM-2012-0000008Orig»، ومكتوب مطلعها: «الأخ عبد الحميد وفقكم الله، هذه أسئلة من إخوة جيش الإسلام (في غزة) مع إجاباتٍ عليها من الشيخ محمود؛ للاطلاع ربما يفيد»، وكان الأولى أن تُنشر في قسم «الرسائل الخاصة»، لكنْ رأيناها بقسم «الأسئلة والفتاوى الموجهة إلى الشيخ ﵀» ألصق؛ فوضعناها في هذا القسم، وقد كُتِب هذا الجواب في شـوال ١٤٢٧]



الأسئلة:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:

هذه أسئلة نرجو منكم إخواننا عرضها على أهل العلم تيجان رؤوسنا ليفتونا بها إن شاء الله..

السؤال الأول: هل يجوز أخذ المال من التنظيمات الأخرى وذلك بفرض دعم الجهاد عندنا..

مع بيان الآتي:

- حركة «الجهاد الإسلامي»: تتلقى أموال طائلة من الخارج - خاصة إيران - ولدى بعض عناصرها تبني لأفكار التشيع والعياذ بالله، ولكنهم عرضوا علينا التمويل مقابل العمل معهم والاشتراك في العمليات النوعية كنوع من الدعاية والاحتواء إن استطاعوا؛ بحيث نقوم نحن بالعملية بالتمويل عن طريقهم ثم يتم الإعلان باشتراكهم فيها.

- تنظيم (فتح) كذلك قام بعرض المال علينا بغرض يتشابه مع غرض الجهاد، ولكن هنالك سبب آخر هو خوفهم من أن يكونوا هدفا لسيوفنا.

مع العلم بأن الأموال ستذهب مباشرة لشراء وتصنيع الأسلحة ولدعم العمليات التي سنقوم بها

إن شاء الله، ومع الأخذ بعين الاعتبار فرض الحصار الخانق علينا سواء من اليهود لعنهم الله أو من التنظيمات الأخرى أمثال حماس لخوفها من نمو نفوذنا وسيطرتنا.

السؤال الثاني: هل يجوز استثمار الأموال في البورصة وبيع وشراء الأسهم بهدف دعم الجهاد، أو استثمار بعض أموال التبرعات في البورصات والأسهم..؟

السؤال الثالث: هل يجوز ضرب تجار المخدرات والقضاء عليهم وقتلهم؟ أم أن هناك تفصيلا في المسألة؟ وهل يجوز أخذ أموالهم التي اكتسبوها من التجارة بالمخدرات؟

وهل يجوز استغلال المخدرات التي نحصل عليها منهم في:

(١) استدارج العملاء الساقطين المدمنين واستخدامهم كعملاء مزدوجين ضد اليهود.

(٢) بيعها لليهود بهدف الإضرار بهم وأخذ الأموال منهم.

(٣) إسقاط جنود يهود بواسطة المخدرات خصوصا من حرس الحدود.

هذا والله ولي التوفيق..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو مولانا ﷻ وبه نستعين، ونصلي ونسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

جواب السؤال الأول

الذي فهمتُه من السؤال أن الإخوة يسألون عن مشروعية قبول أموال من التنظيمات الأخرى إذا عرضت عليهم ذلك وأعطتهم.

وهذا لا شك أن فيه تفصيلا؛ فهو ينبني أولا على حليّة هذه الأموال أو حرمتها في نفسها، ثم على ما يترتب على هذا الأخذ والقبول من مصلحة شرعية أو مفسدة؛ فلنفصل على هذا الأساس، وبالله التوفيق:

- إذا كان المال حلالا في نفسه؛ بمعنى أنه ليس مالًا حرامًا، فالأصل جواز قبوله ما لم يمنع مانع آخر كما سيأتي.

والمال الحلال هو ما لم نعلم أنه حرامٌ، **والحرام من الأموال نوعان**:

أحدهما: المحرم لذاته كالخمر والخنزير ولحم الميتة ونحوها، فهذا لا يحلّ إلا للمضطر.

والثاني: المحرم لجهة اكتسابه، وهذا فيه تفصيلٌ وخلافٌ بين أهل العلم.. **فإن كان معيّنًا** -أي شيئا بعينه عرفته- اكتسبه مكتسِبه بالحرام، فالصحيح عدم جواز أخذه، كالمسروق والمغصوب، ومثله

المكتسب بعقد فاسدٍ كفوائد الربا، وكالأموال المجنية من تجارة الخمر والمخدرات ونحوها، فلا يجوز الأكل منها ولا قبولها.. بخلاف أثمان الخمر والخنزير من أهل الذمة فيجوز الأخذ منها، كما قال سيدنا عمر ﷺ: «ولُّوهم بيعها وخذوا أثمانها» وهو أثر صحيح[١]، وهو أصل في هذا الباب عند الفقهاء. **وإن كان غير معينٍ**؛ وهي مسألة اختلاط الحلال بالحرام، ففيها أيضا اختلاف كثيرٌ وتفاصيل، والراجح ما سنذكره بعدُ. **وإن كان من كافرٍ**؛ فهل يختلف عما إذا كان من مسلم، لأن النبي ﷺ وأصحابه أكلوا من طعام وهدايا الكفار من اليهود وغيرهم ولم يسألوهم، وكذلك قصة سيدنا إبراهيم الخليل الآتية بعدُ، هذا أيضًا محل اختلف فيه أهل العلم، ويحتاج إلى تفصيل.

وهذا الفرع في حد ذاته يحتاج إلى تفاصيل، أعني معرفة الأموال وما يحل منها أخذه وقبوله وأكله وما لا يحل، من مسلم وكافر، في حال التعيّن وفي حال الاختلاط، والفقهاء يتكلمون في هذه المسائل في أبواب متفرقة في كتب الفقه وفي الفتاوى؛ فمن المواضع التي أدلكم عليها تراجعونها في ذلك، الآتي:

- كتاب الحلال والحرام، وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي ﷺ[٢]، فهو أَصَّلَ في هذه المسألة تأصيلًا لم يسبق إليه فيما أعلم، وإن كان على اختياراته في فروع هذا الباب ملاحظات وتعقبات، وبالغ في مسائل من الورع واعتبار الشبهات..!

- «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»؛ خصوصا المجلد التاسع والعشرين[٣] ففيه عدة فتاوى في هذه المسائل، وفيها تحرير ونفائس لا تكاد توجد عند غيره.

- «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي ﷺ[٤] عند شرح الحديث: **(الحلال بين والحرام بين)**[٥].

---

(١) ثابت عن عمر وهو مذهب الأئمة؛ قال هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٦٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٨٨ - ١٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣) قال -لما سُئِل عن أصحاب الحرف المحرمة-: «إذَا كَانَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ وَحَرَامٌ فَفِي مُعَامَلَتِهِمْ شُبْهَةٌ؛ لَا يُحْكَمُ بِالتَّحْرِيمِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ يُعْطِيهِ مَا يَحْرُمُ إعْطَاؤُهُ. وَلَا يُحْكَمُ بِالتَّحْلِيلِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ مِنْ الْحَلَالِ. فَإِنْ كَانَ الْحَلَالُ هُوَ الْأَغْلَبَ لَمْ يُحْكَمْ بِتَحْرِيمِ الْمُعَامَلَةِ وَإِنْ كَانَ الْحَرَامُ هُوَ الْأَغْلَبَ. قِيلَ بِحِلِّ الْمُعَامَلَةِ. وَقِيلَ: بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ».

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٠٠) قال: «مُعَامَلَةُ مَنْ فِي مَالِهِ حَلَالٌ وَحَرَامٌ مُخْتَلِطٌ، فَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَالِهِ الْحَرَامَ؛ فَقَالَ أَحْمَدُ: يَنْبَغِي أَنْ يَتَجَنَّبَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَيْئًا يَسِيرًا، أَوْ شَيْئًا لَا يُعْرَفُ، وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا: هَلْ هُوَ مَكْرُوهٌ أَوْ مُحَرَّمٌ؟ عَلَى وَجْهَيْنِ. وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَالِهِ الْحَلَالَ، جَازَتْ مُعَامَلَتُهُ وَالْأَكْلُ مِنْ مَالِهِ».

(٥) صحيح البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

- «الفروع» لابن مفلح الحنبلي[١].

- «المجموع» للنووي عند قول صاحب «المهذب»: «ولا يجوز مبايعة من يعلم أن جميع ماله حرام..»[٢].

والحاصل أننا إذا علمنا -مما تقرر في هذه المسألة: مسألة الأموال- أنّ المال المُعطى لا يحل أخذه وأكله، فهذا واضح.. فإن لم نعلم حرمته فإما أن يكون شبهةً فالمسنون فيها الاتقاء، وإما أن يترجح لنا حليّته أو يُتَيقّن فالأمر عندئذ واضح أيضا.

فإذا تبين أن المال في نفسه جائز القبول والأخذ، فبقي علينا النظر في ما يترتب على هذا القبول والأخذ، ويُتصوَّر في ذلك صورٌ كثيرة:

منها: أن يدخل على المسلم ذلةٌ في ذلك ومهانة.

ومنها: أن يدخل على المسلم في ذلك مِنّةٌ من الكافر أو الفاجر تجره إلى مودتهم ومداهنتهم ونحو ذلك.

ومنها: أن يترتب عليه تسلط من فاسقٍ أو كافرٍ -تدخل في الشؤون وإملاءات وشروط ونحو ذلك-.

ومنها: أن يترتب عليه أن يقوى الكافر أو الفاجر ويقوى ويكبر ويزداد نفوذا، يعني: تقوية الكافر أو الفاجر وإعانته.

وقد لا يكون شيءٌ من ذلك.. بل يكون للكافر والفاجر نوعُ مصلحة في العطاء، لا تؤثر كثيرا علينا ولا تضر المسلمين، وقد يكون الكافر يبذل للمسلم المال من أجل القرابة أو الوطن -بدوافع وطنية أو قومية ونحو ذلك- ولا يكون يترتب عليها شيءٌ من المفاسد المعتبرة المذكورة أعلاه.

فهذه بعض أشياء مؤثرة في المسألة.

وأما الأخذ من المسلم العدل الصالح المريد للخير؛ فهذا واضح لا نتكلم فيه وليس هو محل السؤال، بل السؤال عن الأخذ من تنظيمات متهمة في دينها: إما كافرة أو فاجرة متلبسة ببدعةأو فسوق، ومرتكبة للموبقات بل وربما للكفر -بالتأويلات الفاسدة- مع بقاء حكمنا عليها بالإسلام لحد الآن.!

ولا شك أن بعض ما مرّ أعلاه ضرر يشترك فيه الكافر والمسلم الفاجر، فلا بد أن يُعلم أن الفاجر

---

(١) الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ٣٩٦، ٧/ ٨٢).

(٢) المجموع شرح المهذب (٩/ ٣٤٣).

المسلم لا يساوى بالكافر من كل وجهٍ، فمثلًا: الذلة الداخلة علينا من مسلمٍ فاجرٍ لا تساوي الذلة الداخلة علينا من كافر، وتدخل المسلم الفاجر وحصول نوع تسلط منه علينا لا يساوي تسلط الكافر علينا والعياذ بالله، فكل تلك الأشياء ينظر في مقاديرها، وبناءً عليه تحصل الموازنة بين المفاسد والمصالح، والله أعلم.

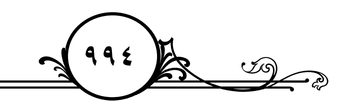
وأما حال الضرورة؛ فالضرورة لها أحكامٌ كما تعلمون، ويقدرها أهلها على مقتضى تقوى الله تعالى، ويُقتصر بها على موضعها «الضروة تقدر بقدرها».

وكذلك حال الحاجة الشديدة التي لم تصل إلى حدّ الضرورة لكنها قريبة منها، فهذه حالةٌ يُترخّص فيها في المكروهات والمشتبهات، والفرق بينها وبين الضرورة أن الضرورة تبيح المحظور الممنوع -أي المحرم-، لكن الحاجة ترفع الكراهة وحكم الاشتباه، وتجلب التيسير في الحكم؛ فترفع عن صاحبها الحرج فيما هو مكروه أو محل شبهة، كدخول بعض الذلة علينا: يمكن أن نحتمله في سبيل تحصيل مصلحة أكبر، ما دمنا محتاجين إلى أخذ المال حاجة شديدة معتبرة.! والله أعلم.

فهذا جواب تحليليّ على سبيل الإجمال، والإخوة يعرفون الأحوال فينزلون عليها ما ذكرناه..

وإلى شيء من التفصيل على حسب ما جاء في السؤال:

واضح أنكم في حاجة شديدة وضيق مالي..! كون أموال حركة الجهاد أصلها من الدعم من الدولة الرافضية (إيران) فلا يضرّ في حد ذاته، أعني أنه يجوز الأكل مما يُعطَى الإنسانُ منه وقبولُه إن شاء الله، فإنها دولة كافرة عندنا، وقبول أموال الدول والملوك الكفرة جائزٌ في ذاته، فإن منع مانع بعد ذلك فبحسبه، **ودليله**: حديث إبراهيم الخليل ﷺ وقبوله هدية الكافر، في قصة سارة عليها السلام حين حاول الملك التعرض لها فمُنع بإذن الله، ثم أعطاها مالا وأخدم وليدة (وهي هاجر عليها السلام) وقبل إبراهيم ذلك وانتفع به، والحديث في الصحيحين وغيرهما. **ولفظه عند البخاري**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (**هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه: أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي، فإني أخبرتهم أنك أختي، والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي، فقالت: اللّهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي، إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر، فغط حتى ركض برجله**)، قال الأعرج: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة، قال: (**قالت: اللّهم إن يمت يقال هي قتلته، فأرسل ثم قام إليها، فقامت توضأ تصلي، وتقول: اللّهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط علي هذا**



الكافر، فغط حتى ركض برجله)، قال عبد الرحمن، قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: **(فقالت: اللَّهم إن يمت فيقال هي قتلته، فأرسل في الثانية، أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إلي إلا شيطانا، ارجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها آجر فرجعت إلى إبراهيم ﷺ، فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة)**[1].

قال الحافظ ابن حجر ﷺ: «وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعاريض والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح؛ وسيأتي نظيره في قصة أصحاب الغار، وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، ويقال: إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة وإنه لم يصل منها إلى شيء، ذكر ذلك في «التيجان» ولفظه: **(فأمر بإدخال إبراهيم وسارة عليه ثم نحى إبراهيم إلى خارج القصر وقام إلى سارة فجعل الله القصر لإبراهيم كالقارورة الصافية فصار يراهما ويسمع كلامهما)**، وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة، وفيه أن الوضوء كان مشروعا للأمم قبلنا وليس مختصا بهذه الأمة ولا بالأنبياء لثبوت ذلك عن سارة، والجمهور على أنها ليست بنبية»[2]. انتهى كلامه وذكرته بطوله للفائدة، ومثله في شرح «العيني»[3] أيضًا.

فهذا أصلٌ في هذا الباب، والأدلة أكثر من ذلك؛ ومنها قبول الصحابة -بعلم النبي ﷺ بالضرورة- هبة الكافر وعطيته وجائزته، وقبول النبي ﷺ هدايا الكفار حيث لم يكن ثمت دخول ذلة عليه، ولذا قبل بعض هدايا الكفار، كما جاء في عدة أحاديث، ورفض بعضها وردها ولم يقبلها وقال: **(إني نهيتُ عن زَبَدِ المشركين)** رواه أحمد وأبو داود والترمذي[4]، ومعنى **(زبد المشركين)**: رفدهم وعطيتهم وهديتهم.. وغير ذلك.

فإذا أنتم لستم قادرين على تمويل أنفسكم اليوم بطريق شرعي سليم خالٍ من الموانع، فقبول أموال من تنظيمات أخرى مثل بعض الحركات الإسلامية -على ما فيها- كحماس أو حركة الجهاد الإسلامي، أو حتى من حركات قومية تشترك معكم في ضرب العدوّ اليهودي؛ من أجل الجهاد بها وضرب اليهود لعله خيرٌ من ترك الجهاد بسبب قلة المال.. بل خذوا إذا لم يكن إلا ذلك، واضربوا اليهود.. وانظروا في هذا أكثر، وأنتم أدرى بواقعكم..! وسددوا وقاربوا.

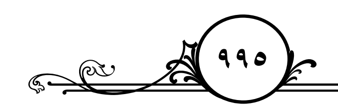
---

(١) صحيح البخاري (٢٢١٧، ٢٦٣٥)، صحيح مسلم (٢٣٧١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٩٤)، عمدة القاري (١٥/ ٢٥٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٢١٧، ٢٦٣٥)، صحيح مسلم (٢٣٧١).

(٤) مسند أحمد (١٧٤٨٢) وصححه الأرنؤط، سنن أبي داود (٣٠٥٧)، سنن الترمذي (١٥٧٧) وقال الألباني: حسن صحيح.



وكون الحركات تلك (الجهاد أو حماس، أو حتى فتح) تستغل تلك الأعمال وتتبناها، هو أقل ضررًا من ترك قتال اليهود، والله أعلم.

حتى إذا فتح الله عليكم وقدرتم على تمويل أنفسكم واستغنيتم عنهم، فاتركوهم واعملوا مستقلين على منهاجكم الذي هداكم الله إليه.. نسأل الله تعالى أن يفتح عليكم ويسددكم ويقويكم من ضعف، ويجعلكم من الهداة المهتدين.. آمين.

جواب السؤال الثاني

هذا أيضًا يختلف حكمه بحسب أحوال وقوانين هذه البورصات، ولا أعلم عن أحوالها وقوانينها شيئا يؤهلني للكلام عليها، كما أن صور البيع فيها كثيرة التعقيد ومليئة بالحيل فلا قدرة لي عليها، والله يقوينا وإياكم، وأنصح بسؤال أهل العلم المتخصصين في هذا المجال بعد تحرير سؤالكم جيدا وتفصيل أحوال وقوانين البورصات عندكم التي يمكنكم المتاجرة عبرها.. وفقكم الله وأعانكم.

جواب السؤال الثالث

الحمد لله..

أما ضرب تجار المخدرات والقضاء عليهم وقتلهم؛ فنعم فيه تفصيل، وذلك بحسب قوة تمكن المجاهدين وسلطتهم، والضابط الذي ينبغي أن تعلموه وتعتصموا به في هذه المسألة هو الآتي:

أن هذا الأمر هو من باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فالضابط في مشروعيته أن لا يؤدي الأمر والنهي إلى منكر أكبر.. هذا هو الضابط فاحفظوه، بارك الله فيكم.

ولذلك: فلو كان المجاهدون في منطقة ما أو إقليم من الأقاليم متمكنين وقادرين على تنفيذ الحدود وإقامة الشرائع أو أكثرها، بمعنى أنهم إذا طبقوها فيحصل المقصود منها شرعًا، ولا يترتب على فعلها ضررٌ أو مفسدة أكبر منها، فهذا لهم، بل قد نقول: هو واجبٌ عليهم حينئذٍ لأن الأصل هو هذا؛ أعني وجوب إقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره باليد، وذلك كما يفعل المجاهدون اليوم في بعض النواحي في العراق وأفغانستان ووزيرستان وغيرها..

أما في مثل حالتكم فالظاهر أنكم لستم بهذه المنزلة الآن، واللهُ يقويكم ويفتح عليكم.

فالذي أراه لكم: هو أن لا تفعلوا، فإني أخشى أن يحصل من ذلك مفاسد كبيرة وتفتحون على أنفسكم أبوابًا لا طاقة لكم بها، وتتكاثر عليكم المشاكل وأنتم ما زلتم ضعفاء.

وهؤلاء العصاة -إذا كانوا من المسلمين- ففيهم تفصيلٌ في جواز قتلهم أو عدمه؛ فالأصل أنهم

معصومون بالإسلام لا يجوز قتلهم، وإنما يجوز في حالات معينة فلا بد من تفصيل آخر من هذا الوجه.

وأما إذا قدرتم على أخذ أموالهم في بعض الحالات بدون أن يترتب على ذلك مفسدةٌ أكبر كما قلنا، فلكم ذلك وتُصرف الأموال في الجهاد في سبيل الله.

وهي -في تصوري- حالاتٌ ضيقة إن وجدت، مثل أن تعثروا على أموالهم، أو تسقط قافلةٌ من قوافلهم -تجار المخدرات- في أيديكم فتأخذون أموالهم -لا المخدرات نفسها- وتصرفونها في الجهاد في سبيل الله؛ لكن تذكروا أن الشرط في ذلك دائما هو: ألا يؤدي ذلك إلى مفسدة أعظم، والله أعلم.

والشق الثاني من السؤال تقصدون به أيضًا السؤال عن قبول عطية وهبة وصدقة تجار المخدرات من المسلمين.. أي هل يجوز قبول الأموال منهم؟ هكذا فهمتُ من سؤالكم.

فإن كان المقصود هو: أخذ الإنسان لنفسه وقبوله منهم لنفسه، كقبول هديتهم وأكل طعامهم؛ فهذا فيه تفصيلٌ وفي بعض فروعه خلافٌ بين أهل العلم أيضًا، كما سبقت الإشارة.

فإن كان مالهم متمحضًا للحرام، يعني أنه كله من الحرام -تجارة المخدرات- فأكثر العلماء -جمهورهم- يقولون بعدم جواز الأخذ منهم والأكل من أموالهم، وبعض أهل العلم يختار الجواز ويقول: إثمهم عليهم، ولا شيء على المُعطى الآخذ، ولكن الأول أرجح، والله أعلم.

وإن كانت أموالهم مختلطة جاز الأكل من أموالهم وقبول عطاياهم، لكن ينبغي أن يقيّد بما لا يزيد على قدر الحلال من أموالهم.

وتحرير هذه المسألة يطول، وتراجع في المظان التي أشرنا إلى بعضها أعلاه.

وأما إذا كان هؤلاء التجار الذين يتاجرون بالحرام كالمخدرات يتصدقون بأموالهم للجهاد في سبيل الله، فالذي يظهر لي -والله أعلم- جواز صرف هذه الأموال في الجهاد في سبيل الله؛ لأن هذه الأموال اكتُسبت من حرام، فوجب على صاحبها التوبة، ومن التوبة التحلل من هذه الأموال وألا يبقيها في ملكه، وطريق ذلك هو وضعها في بيت مال المسلمين؛ فتصرف في مصالح المسلمين، ومنها الجهاد والغزو في سبيل الله، أو التصدق بها.

وبعض العلماء يقولون: يُتلفونها لأنها أموال اكتسبت من حرام؛ وهذا ضعيف جدا لأن الله تعالى لم يأمر بإتلاف الأموال، بل نهى عن تضييعها، وإتلافها في هذه الحالة تضييعٌ لا ينطوي على صلاحٍ، ولأنه لا موجب لإتلافها -لا دليل يوجب ذلك-، بل المصلحة الظاهرة تقتضي صرفها في مصالح الإسلام والمسلمين فتدخل في بيت المال، فتكون من جملة موارد بيت مال المسلمين، كالأموال المأخوذة -المصادرة- من أهل الفساد؛ حيث أجزنا المعاقبة بذلك.

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ كما بسط ذلك في مواضع من فتاويه -في المجلد التاسع والعشرين أكثر من فتوى بسط فيها هذه المسألة، وفي غيرها أيضًا[(١)]-.

وإن كان صاحبها لم يتب، بل هو مستتر في ارتكابه للمعصية، وهي المتاجرة بالحرام؛ فالواجب على المسلمين الحسبة عليه، وواجبٌ على ولي أمر المسلمين الأخذ على يده، وجائزٌ في ذلك مصادرة ماله على أصح أقوال أهل العلم، من قِبَلِ ولي الأمر المسلم.

فالخلاصة: أنه إذا تبرع تجار الخمور والمخدرات بشيء من أموالهم للجهاد في سبيل الله تعالى؛ جاز قبول ذلك منهم وصرفه في الجهاد في سبيل الله، مع وجوب استمرار دعوتهم ودعوة سائر الخلق إلى طاعة الله تعالى والتوبة إليه بترك المنكرات واجتناب المحرمات، فهذا احتراز من معاونتهم على المتاجرة بالحرام، والله أعلم. ولو كان المجاهدون مستغنين عن ذلك؛ فلعل تركه أفضل.

وأما سؤالكم: «وهل يجوز استغلال المخدرات التي نحصل عليها منهم في: (١) استدارج العملاء الساقطين المدمنين واستخدامهم كعملاء مزدوجين ضد اليهود، (٢) بيعها لليهود بهدف الإضرار بهم وأخذ الأموال منهم، (٣) إسقاط جنود يهود بواسطة المخدرات خصوصا من حرس الحدود؟»..

فهذا كله لا يجوز..

أما الأول فواضحٌ؛ لأنها وسيلة محرمة واضحة التحريم: إعطاء المخدرات والخمور للناس وإعانتهم عليها ونشرها فيهم.. فهذا كله مما نهى الله عنه وحرمه، فبأي دليل نجيزه؟! وكون أولئك المقصودين «مدمنين ساقطين» غيرُ مؤثرٍ في الحكم والله أعلم.. فإن كانوا من شباب المسلمين المحكوم لهم بالإسلام لكنهم فُسَّاقٌ بهذه الكبيرة -تعاطي المخدرات- فهذا واضح جدا، وإن كانوا كفارًا فلا يجوز أيضًا استعمال هذه الوسيلة مع الكفار على الصحيح عند عامة العلماء، وإنما رخَّص بعض أهل العلم في مسائل أخرى من هذا الباب مختلفة عن مسألتنا هذه؛ مثل تجويز أبي حنيفة ﵀ التبايع مع أهل الحرب -الكفار الحربيين- في دار الحرب بالربا، كما ذكره أصحابه كما في «بدائع الصنائع»[(٢)] وغيره،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣) قال -لما سُئِل عن أصحاب الحرف المحرمة-: «إِذَا كَانَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ وَحَرَامٌ فَفِي مُعَامَلَتِهِمْ شُبْهَةٌ؛ لَا يُحْكَمُ بِالتَّحْرِيمِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ يُعْطِيهِ مَا يَحْرُمُ إعْطَاؤُهُ. وَلَا يُحْكَمُ بِالتَّحْلِيلِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ مِنْ الْحَلَالِ. فَإِنْ كَانَ الْحَلَالُ هُوَ الْأَغْلَبَ لَمْ يُحْكَمْ بِتَحْرِيمِ الْمُعَامَلَةِ وَإِنْ كَانَ الْحَرَامُ هُوَ الْأَغْلَبَ. قِيلَ بِحِلِّ الْمُعَامَلَةِ. وَقِيلَ: بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ».

(٢) قال الكاساني: «إِذَا دَخَلَ مُسْلِمٌ أَوْ ذِمِّيٌّ دَارَ الْحَرْبِ بِأَمَانٍ؛ فَعَاقَدَ حَرْبِيًّا عَقْدَ الرِّبَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ الْعُقُودِ الْفَاسِدَةِ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ جَازَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمُحَمَّدٍ ﵏، وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِيهِمْ أَوْ أَسْلَمَ فِي دَارِ الْحَرْبِ وَلَمْ يُهَاجِرْ إلَيْنَا؛ فَعَاقَدَ حَرْبِيًّا، وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ فِي دَارِ الْحَرْبِ إلَّا مَا يَجُوزُ لَهُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ». بدائع الصنائع (٧/ ١٣٢)، وانظره في: (٥/ ١٩٢).

وخالفهم في ذلك جمهور أهل العلم، وقول الجمهور هو الصحيح، وهو المنع من ذلك مع الحربي كما هو مع المسلم ومع غير الحربي، وسواء كان في دار الحرب أو في دار الإسلام.

ومثل تجويز سحنون من أئمة المالكية فداء أسرى المسلمين بالخمر والخنزير إذا طلب الكفارُ ذلك؛ قال ابن جزي في «القوانين الفقهية»: «وإن طلب العدو في الفداء خيلا وسلاحا دفعت إليه بخلاف الخمر والخنزير وقد أجاز الفداء بهما سحنون ومنع ابن القاسم ما فيه مضرة على المسلمين ومن فدى أسيرا بخمر وشبهه لم يرجع به ولا بقيمته»[1] اهـ.

ومثل قول «شيخ الإسلام» في «الفتاوى»: إن ترك الكفار من التتر وغيرهم يشربون الخمور ويسكرون خيرٌ من نهيهم عن ذلك؛ لأن الخمر لا يصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة بل يصدهم عن الفسوق والعصيان، ولأنهم إذا صَحَوْا أفسدوا أكثرَ[2]، كما ذكر ذلك في كتاب «الاستقامة» له، فهذا يتعلق بالأمر والنهي، ومقصوده ترك نهيهم عن ذلك لما فيه من الرجحان. والله أعلم.

وأما الثاني (رقم اثنين): فهي مسألة بيع الخمور والمخدرات وما هو محرّم في شريعتنا للكفار بغرض الإضرار بهم.. والصحيح فيها عدم الجواز؛ فكل ذلك محرم؟، مشمول بالنهي عن بيع هذه الأشياء ولا فرق بين بيعها لمسلمٍ أو لكافرٍ، لا في الحرب ولا في السلم، هذا هو الصحيح كما تقدمت الإشارة.

وأما الثالث (رقم ثلاثة): فقد تبين حكمها مما سبق، وهو أيضا المنع وعدم الجواز، هذا هو الأصل: تحريم بيع الخمر ونحوها للكفار الحربيين، وتحريم استعمالها في العطايا لأهل الحرب بغرض التجسس واصطنعا أناس منهم، فهذه كلها وسائل محرمة، لا تجوز.

والأدلة على ذلك:

- عموم أدلة تحريم بيع الخمر ونحوها، وتحريم إعطائها ومناولتها وسقيها لمن يشربها وحملها إليه.. الخ. والأدلة على ذلك كثيرة معروفة، وأعني بالعموم شمولها للبيع للكافر، وللبيع للمسلم.
- لأن فيه إعانة على الإثم والعدوان..
- لأن فيه تشويها لصورة الإسلام ولدعوته الكريمة الطاهرة، وفيه صدّ عن سبيل الله.

اللّهم إلا أن تكون هناك ضرورة، وليس لنا وسيلة غير ذلك في نحو تخليص مسلم من بين أيديهم

---

(١) القوانين الفقهية (ص ١٠٢).

(٢) قال شيخ الإسلام: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم» المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٧).

بمثل هذه الوسيلة، إذا هم طلبوا في تخليصه خمرًا أو مخدراتٍ مثلا، وقد جوز سحنون كما سبق فداء الأسرى بالخمر والخنزير، وهذا يشبه أن يكون محمولًا على الضرورة، ولأن ضرر التشويه فيه يشبه أن يكون مأمونًا في هذه الحالة إذا كان العدو هو طلَبَ ذلك. والله أعلم.

وحيث قررتم أن هناك ضرورة لذلك؛ فيجب أن تقدر بقدرها ويقتصر على قدر الضرورة فقط، ولا يكون الأمر كالمباح بالأصل..! وينبغي الحرص على الستر والكتمان فيه أيضًا، لما في ذلك من خوف انتشار الفاحشة في الذين آمنوا، وخوف تشويه صورة المسلمين وحصول التنفير.

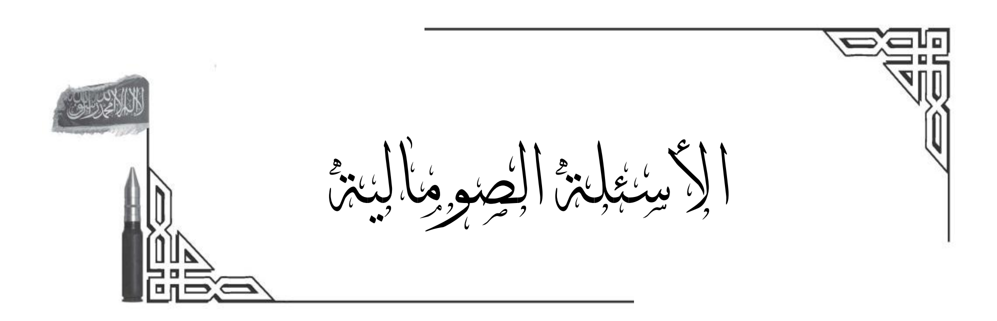
وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله أعلم وأحكم..

والحمد لله أولا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه..

كتبه: **عطية الله**

شوال ١٤٢٧

❋ ❋ ❋



[رسالة نشرها بعض المجاهدين -بشكل غير رسمي- بعد مقتل الشيخ ﵀، تضمنت أسئلة من المجاهدين في الصومال، متعلقة بمسائل جهادية نازلة، أجابهم فيها الشيخ عطية ﵀ مع تقديم بعض النصائح والمقترحات للجهاد الصومالي المبارك، نسأل الله أن يبارك في الإخوة في «الصومال المجاهد» ويقويهم ويعينهم وينصرهم على عدو الله وعدوّهم.. آمين]



الأسئلة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هذه بعض الاسئلة، أريد أن تستفتي لي بها العلماء وبسرعة، وهي حول العمليات الخاصة «الاغتيالات» جزاك الله خيراً.

س ١: أثناء تنفيذ العملية تعرض بعض الحراس القريبين في المكان للإخوة المنفذين للقبض عليهم أو الإصابة بهم، فماذا يعملون؟ وهل لهم أن يقاوموهم وإن أفضى ذلك إلى قتل الحراس؟

س ٢: ثلاثة إخوة ذهبوا لتنفيذ عملية واحد منهم باشر العملية والاثنان حماية له، فالمنفذ قتل الأهداف ووجد «سلبا» فهل يكون هذا السلب خاصا بالمنفذ أم يشترك معه صاحباه؟

س ٣: هناك مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ، المستطلع دل المنفذ هدفا؛ فنفذ المنفذ، فبان أنه ليس هو الهدف، بعد قتله بالخطأ، فما العمل؟ وعلى من تكون الدية؟ وهل هي شبه خطأ أم خطأ محض؟

س ٤: ممتلكات جماعة من سيارات وأسلحة، يقاتل بها شباب مقاتلون؛ فإذا غنموا غنيمة فكيف تكون القسمة بين الجماعة التي تملك الممتلكات، والمقاتلين الذين باشروا العمل ؟

س ٥: أعضاء في حركة.. بعضهم يباشر المعارك، وبعضهم لا يباشر؛ لانشغالهم بمهمات أخرى جماعية، كجمع المعلومات وتجهيز الغزاة وصيانة السيارات والأسلحة؛ فهل يسهم لغير المشاركين أم لا؟

س ٦: عضو من الحركة انفصل منها، ثم رأى بعض شباب الحركة في مكان شبهة «منطقة العدو» فظن أنهم يريدون تنفيذ عملية؛ فأشار إلى العدو أن احذروا، فهل ذلك تجسس منه؟

وجزاك الله خيراً

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله ومن اتبعه بإحسان.. وبعد:

فقد نظرتُ في هذه الأسئلة المرسلة من الإخوة فرأيت أكثرها يدور حول أحكام الغنائم.

فرأيت قبل الشروع في الأجوبة المختصرة أن ألفت النظر إلى أنه وإن كانت أحكام الغنائم وما فيها من أحكام الأسلاب وقانون القسمة وغير ذلك، كله من الشريعة المطهرة والعلمُ به والفقه فيه علمٌ نافعٌ ممدوح، ثم العمل بمقتضى ذلك الفقه عمل صالح وفرضٌ شرعيّ، إلا أننا ينبغي أن ننبه إخواننا إلى أن الاعتناء والاهتمام جدًا وفي هذه المرحلة المبكرة من عمر الجهاد والقتال بأمر الغنيمة والأسلاب ونحوها يُخشى منه بعضُ الضرر الداخل على نيات المجاهدين ومقاصدهم، ولذلك فمن فقه هذا الباب أن يتدبر الإنسان في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال]، وهذه الآية العظيمة هي فاتحة سورة الأنفال، وفيها فقه كبير جدا لمن أعطاها حقها من التدبر، وأن الإجابة على هذا السؤال -السؤال عن الأنفال- جاء في هذه السورة الكريمة -سورة الأنفال- بعد أربعين آية[1].. قال بعضُ أهل العلم: إن في ذلك من الحكمة تعليمَ المؤمنين ترتيب المقاصد وما هو المقصود الأعظم والأهم وما هو دون ذلك وما هو تبع للمقصود ومعينٌ عليه وخادم له، وفيه من الحكمة أيضا تعليم المفتي التريّث في الفتوى والإجابة على سؤال السائل وأنه يحسُن منه اهتبال الفرصة لتعليم الجاهل وتكميل تصوره وتصحيح سؤاله وتقديم ما يحسُن تقديمه من المقدمات والتوطئة، ثم الجواب بعد ذلك على بصيرة وتثبّت. والله أعلم.

ولذلك فإننا ننصح الإخوة أن يكون الغالب عليهم هو التسامح في هذا الباب والبذل وقلة الحرص على النصيب المفروض أو المحتمل من الغنيمة؛ فإن الجهاد في مراحله الأولى في مثل ظروفنا هذه يحتاج منا إلى بذل فضول الأموال لا أن نأخذ منه!.

ولذلك فإن الرأي الراجح عندي وهو ما اختاره بعضُ أهل العلم -والمسألة خلافية-: أن لوليّ الأمر منع الغانمين من الغنيمة إذا رأى -نظرًا لمصلحة الإسلام والمسلمين- أن يمنع قسمتها على الجيش ويصرفها في مصلحة الدين والجهاد.

---

(١) انظر في هذا المعنى اللطيف كتاب الشيخ أبي قتادة: مع صبغة الله الصمد (ص ١٦).

ودليل هذه المسألة الحديث المشهور الثابت في الصحيحين من رواية أنس بن مالك وغيره أن النبي ﷺ أعطى غنائم حنين للمؤلفة قلوبهم من مُسلِمة الفتح ولم يقسمها بين الجند ولم يعط الأنصارَ -وهم معظم الجيش- شيئًا حتى وجدوا في نفوسهم وقالوا كلمتهم المشهورة: «يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويمنعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»(١) القصة المعروفة.

وجه الدلالة: أن الجيش كانوا مستحقين للأربعة أخماس بلا شك.

وقد كانت شريعة الغنائم -الأنفال- قد تقررت قبل ذلك بأعوام، بلا خلاف.

ولكن النبي ﷺ رأى مصلحة عظيمة في منع المقاتِلة منها وصرفها في مصلحة الدين.

وقول مَن قال من العلماء: إنه أعطاهم من الخمس ضعيفٌ جدا، وأضعف منه وأوهى القول بأنه من خمس الخمس.. بل الصحيح الظاهر جدا أنه أعطاهم من أصل الغنيمة، بل الغنيمة كاملة، ولم يعط الأنصار شيئا كما هو نصّهم.. ولا دليل على أنه استرضاهم، بل القصة تدل على خلافه، وكونه وكلهم إلى إيمانهم فليس هذا معنى الاسترضاء في الحقوق.

ومن أدلة هذا الرأي الذي قلتُ إنه الراجح ما ثبت في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قتل رجلٌ من حمير رجلا من العدو فأراد سلبه فمنعه خالد بن الوليد وكان واليا عليهم، فأتى رسولَ الله ﷺ عوفُ بن مالك فأخبره فقال لخالد: ما منعك أن تعطيه سلبه؟ قال: استكثرته يا رسول الله. قال: ادفعه إليه. فمر خالد بعوف فجرّ بردائه ثم قال: هل أنجزتُ لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ؟ فسمعه رسولُ الله ﷺ فاستغضب فقال: **(لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد.. هل أنتم تاركون لي أمرائي؟! إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعي إبلًا أو غنمًا فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم)**(٢) اهـ.

---

(١) صحيح البخاري (٣١٤٧)، وتمام الحديث عن أنس بن مالك، أن ناسا من الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ، حين أفاء الله على رسوله ﷺمن أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشا ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدع معهم أحدا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: «ما كان حديث بلغني عنكم». قال له فقهاؤهم: أما ذوو آرائنا يا رسول الله، فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشا، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أعطي رجالا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض».

(٢) صحيح مسلم (١٧٥٣).

وجه الدلالة: أن الرجل -الحميري اليمني المددي- استحق السلبَ، وأقرّ النبيُّ ﷺ له باستحقاقه السلب، وأمر خالدًا بدفعه إليه، ثم منعه إياه وقال: لا تعطه؛ نظرًا لمصلحة عارضة وهي هنا: التأديب والتعزير والتنكيل.

فهذا فيه دلالة على أشياء:

منها: ما نحن بصدده، أعنى أنه يجوز لوليّ الأمر منع الغنيمة -والسلب غنيمة وفرعٌ لها- عن مستحقها لمصلحة دينية بيّنة.

ومنها: ما يدخل في باب التعزير والتأديب بمنع الحق المالي المستحق.

وقد يقال: هذا خاصّ بالسلب، لولا أن عندنا أصلا اعتضد به العموم في الغنيمة كلها وهو حديث الأنصار المتقدم، مع أنه مجرد احتمال.. وللمسألة بحث أوسع في موضعها.

والمقصود: اتقوا الله أولًا، وأصلحوا ذات بينكم ولا تختلفوا، ولا تجعلوا همّكم الغنيمة؛ فإن الدين والجهاد يحتاج منا في هذه المرحلة إلى بذل وعطاء وسماحةٍ وسخاء، يحتاج منا إلى أن نبذل من أموالنا وننفق.

فإما أن تكون الغنائم ممنوعة عن الجيش في هذه المرحلة إلى أن يشاء الله، ويرى أمراءُ الجهاد وولاة أمر المجاهدين أن يشرعوا في قسمة الغنائم؛ فهذا لهم[(١)].

وإما - إن كانوا مبدئيا ماشين على الرأي الآخر، أو يرون بكل حالٍ أن تُعطى الغنائم لمستحقيها حتى في هذه المرحلة- أن يتولى قَسْم الغنيمة والفصلَ في الأسلابِ وليُّ الأمر الحاضر في ميدان القتال أو الأمير الأعلى، على مقتضى الشرع، ويستعين في ذلك بمن حوله من أهل العلم ليعرّفوه كيفية القسمة.

ونمر الآن على الأسئلة بأجوبة مختصرة، وبالله الاستعانة:

س١/ أثناء تنفيذ العملية تعرض بعض الحراس القريبين في المكان للإخوة المنفذين للقبض عليهم أو الإصابة بهم، فماذا يعملون؟ وهل لهم أن يقاوموهم وإن أفضى ذلك إلى قتل الحراس؟

---

(١) في مسألة وجوب قسمة الغنائم خلاف كبير، ولعل ما اختاره الشيخ ﷺ هو أولى الأقوال هذا الزمان، ولعله أجدر أن يرجح لما دخل على هذه المسألة من مستجدات، وانظر رسالة ابن الفركاح -شيخِ ابن تيمية ﷺ- الموسومة بـ: «الرخصة العميمة في أحكام الغنيمة» حيث قال فيها: «حكم الفيء والغنيمة راجع إلى رأي الإمام يفعل فيه ما يراه مصلحة ويعتقده قربة؛ فإذا فعل الإمام الواجبُ الطاعةَ شيئا من ذلك كان فعله جائزا، وحكمه في ذلك ماضيًا نافذًا، وكان التصرف في تلك الأموال حلالا سائغًا» (ص ٧٢).

أنتم تقاتلون عدوّا كافرا بيّنا إما النصارى الأحباش «الأثيوبيين» الذين هم كفارٌ أصليّون، أو المرتدين من جند الحكومة الصومالية المزعومة المؤقتة، وهؤلاء لا شك في أنهم زنادقة مرتدون كفرة بيقين عندنا؛ فقتالكم قتالٌ شرعيّ واضح جليّ، فعندما تنفذون عملية فمن وقف في صف العدوّ ضدًّا لكم ومانعًا لكم من ضرب العدوّ؛ فهو مهدور الدمِ جائزٌ قتله بلا شك، لا نعلم في هذا خلافا أصلا في ديننا وشريعتنا.

وإنما الحكم على هذا الذي هو في صف العدو -كالحراسة المشار إليها- ممن يمنع المجاهدين من تنفيذ عملياتهم وضرب العدو الكافر.. **الحكم عليه بالكفر هو محل النظر والتفصيل؛ فنقول:**

- إن كان يحرُس النصارى المحتلين ويدافع عنهم ويمنع المجاهدين من قتالهم؛ فهذا كافرٌ، وهذا واضحٌ.
- وإن كان يحرس مؤسسة معينة تابعة للدولة (الحكومة العميلة المؤقتة المرتدة) فهذا لا نسارع بتكفيره لاحتمال أنه يظن أنه يحرس مؤسسة عامة (ملك عام، ملك للأمة، للشعب، للبلد.. بغض النظر عن الحكومة) فهذا نوعٌ من التأويل كثير الوجود في الناس، فنحن لا نكفر أمثال هؤلاء من أجل هذا الظن والتأويل الذي عندهم، إن كانت المؤسسة التي يحرسها غير عسكرية، كمن يحرس مؤسسة اقتصادية أو بنكًا أو مصلحة تابعة لوزارة الكهرباء أو النفط والصناعة والميناء والمطار مثلًا. وهناك تفصيلات أخرى..

والمقصود: القتل شيء، والحكم بالكفر شيء آخر..

لا بد أن يفقه الإخوة هذا الفارق والتمييز، وأنه لا تلازم بين القتل والكفر.

قد نقتل المسلم، وقد نترك الكافر، كل ذلك له تفاصيله في محلها.

فإذن للإخوة في مثل حالة السؤال أن يقتلوا الحارس أو يتركوا قتله بحسب ما يرون وبحسب الحال، وهم مجاهدون محسِنون قائمون بأمر الله.. وفقهم الله وسددهم.

ويحتاطون في أمر الجهّال المساكين من الناس، ويختارون دائما دفع الجهلة والمتأولين بالتي هي أحسن ما استطاعوا ما لم يكن القتل ضروريا أو كان ترك الحارس يؤدي إلى فسادٍ وضررٍ داخلٍ على جهادهم.. والله أعلم.

س٢/ ثلاثة إخوة ذهبوا لتنفيذ عملية واحد منهم باشر العملية والاثنان حماية له؛ فالمنفذ قتل الأهداف ووجد (سلبًا) فهل يكون هذا السلب خاصًا بالمنفذ أم يشترك معه صاحباه؟

السلب للقاتل فقط، لكن السلب له حد، فعليكم أن تعرفوا ما يدخل فيه وما لا، وهذا مبسوط في

كتب الفقه فارجعوا لها، وحيث اختلفتم فليحكم بينكم أهل العلم، وطلبة العلم عندكم وحيث أنتم.

فالسلب يتناول: سلاح القتيل: السيف والرمح (هذا أيام زمان، والآن البندقية والمسدس وما يحمله من سلاح)، ويدخل فيه الدرع (مثلا: سترة واقية)، ويدخل فيه لباسه وحذاؤه وحزامه وكل ما يلبس.

لكن هل يدخل فيه فرسُه؟ - ومثله الآن لو كان يركب مركوبًا-، هذه مسألة خلافية، والظاهر أنه لا يدخل في السلب.

وهل يدخل فيه المال الذي يوجد في جيبه؟ مثلًا: لو وجدنا القتيل واضعا في جيبه ألف يورو، أو عشرة آلاف يورو، هل هي داخلة في السلب؟ الصحيح أيضا أنها ليست من السلب بل تردّ إلى الغنيمة.

فالمنفذ مع الردء -المعاون والحماية والإسناد- كلهم يشتركون في الغنيمة (يستحقونها)، لكن السلب للقاتل.

س٣/ هناك مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ.. المستطلع دل المنفذ هدفًا، فنفذ المنفذ، فبان أنه ليس هو الهدف، بعد قتله بالخطأ، فما العمل؟ وعلى من تكون الدية؟ وهل هي شبه خطأ أم خطأ محض؟

هذا قتل خطأ، وهو واقعٌ في الحرب -الجهاد-، ففيه والله أعلم: الكفارةُ على القاتل -وهي مبيّنة في كتاب الله-، والدية على عاقلته لأولياء المقتول.

وعاقلة القاتل -المجاهد الذي وقع منه القتل خطأ- هنا هي ديوان الجند الذي يتبعه، أي الجماعة، أي على بيت المال.. وليستغفر الله تعالى.

وليلتزموا دائمًا قوة التحري والتثبّت، ولا يتسهينوا، فإن استهانوا بالدماء فإن الله تعالى يعاقبهم ويُذلّهم ويفشّلهم، مع عقوبة الآخرة التي هي أشد وأدهى وأمرّ، والعياذ بالله..

نسأل الله لنا ولكم العافية والسلام.

وأما هل على الدالّ شيءٌ؟ فلا أدري.

ملاحظة: ليس هناك شيء اسمه «شبه خطأ» في الاصطلاح، وإنما هناك: القتل العمد، والقتل الخطأ، والقتل شبه العمد.

وهذا القتل الواقع صورته في السؤال هو من نوع قتل الخطأ.. والله أعلم.

س٤/ ممتلكات جماعة من سيارات وأسلحة، يقاتل بها شباب مقاتلون، فإذا غنموا غنيمة فكيف تكون القسمة بين الجماعة التي تملك الممتلكات والمقاتلين الذين باشروا العمل؟

قدمتُ مقدمة مهمة في مسألة الغنيمة..

وعلى كل حال؛ لو كان اختيار القيادة هو تقسيم الغنائم وإعطاءها لمستحقيها، فيقال: هل السيارة أو الدبابة أو المدرّعة أو الطائرة كذلك، هل هذه الوسائل المركوبة تقوم مقام الفرس في الغنيمة فتستحق سهمي الفرس؟

هذه مسألة محتملة، واختلفت فيها آراء العلماء المعاصرين، فالله أعلم.

هذا لو كان المقاتل يقاتل بسيارته ودبابته.. وهذا يشبه أن يكون غير موجود الآن، بل الدبابات والسيارات والطائرات هي للجماعة أو للدولة، وعليه فليس لها ما للفرس، والله أعلم، ولو كان لها فإنه راجع إلى مالكها وهو هنا الجماعة، فهو تحصيل حاصل.

فإذن ليس للمقاتل إلا سهمه من الغنيمة على حسب القسمة.. والله أعلم.

س٥/ أعضاء في حركة بعضهم يباشر المعارك وبعضهم لا يباشر لانشغالهم بمهمات أخرى جماعية، كجمع المعلومات وتجهيز الغزاة وصيانة السيارات والأسلحة، فهل يسهم لغير المشاركين أم لا؟

يُسهَم لكل من كان في الجيش، ومنه الردء والاستطلاع والحراسة وغيرها، وإذا غنمت السريةُ من الجيش، والجيشُ وراءها بحيث هو لها سندٌ وملجأ تلجأ إليه وتفيء إليه إذا أصابها شيء وتتقوى به، فإن الجيش كله مع السرية شركاء في الأربعة أخماس.

لكن هل الجماعة كلها منزلة الجيش؟ هذا محل نظر ويختلف باختلاف الأحوال ؛ أحوال الجماعات وميادينها.

والغالب في الجماعات الصغيرة التي تمارس حرب عصابات أنها كلها بمنزلة الجيش، فيما يظهر لي، والله أعلم.

س٦/ عضو من الحركة انفصل منها، ثم إنه رأى بعض شباب الحركة في مكان شبهة (منطقة العدو) فظن أنهم يريدون تنفيذ عملية؛ فأشار إلى العدو أن احذروا، فهل يعتبر ذلك تجسسا منه؟

نعم هذا من التجسس للعدو بلا شك، ويستحق صاحبه عقوبة الجاسوس.

وأخشى أن يكون كافرًا أيضًا.. هذا محل بحث!.

والحق أن مسألة الجوسسة ومسألة مظاهرة العدو ومعاونته المعدودة كفرًا أكبر مخرجًا من الملة بينهما بعضُ التداخل، وأحيانا يصعبُ الفصل بينهما، فيُحتاط في ذلك، والله أعلم.

وليس لكون هذا الشخص المشير على العدو عضوا سابقا في الحركة ثم انفصل تأثيرٌ في المسألة، وقد يكون مقصود الإخوة من ذكر هذا في السؤال أنه قرينة على أن هذا الشخص موالٍ للعدو واقفٌ في صف أعداء الله رأسًا، محاربٌ للمجاهدين الذين انفصل عنهم، فهذا محتمل لكنه ليس بقاطع حتى يبينَ ذلك لكم من حاله وأفعاله الثابتة المستيقنة.

والحاصل: أن الذي يظهر أنه إن كان الشخصُ جسّ للعدو مرة واحدة، أو مرتين مثلا أو حتى مرات قليلة على فترات متباعدة لغرضٍ من قرابةٍ أو طمعا في دنيا، ولم يكن في جسّه مظاهرة واضحة للكفار على المسلمين، بل هي من جنس تحذيرهم من المسلمين أو دلالتهم على تحرك للمسلمين في اتجاههم أو نحو ذلك، فهذا جاسوس.

وأما إن كان الشخص يشتغل مع العدوّ عميلا لهم دائما ومستمرًا كعضو الاستخبارات لهم، والعميل الكامل كحال العملاء المعروفين اليوم، فهذا لا نقول إنه جاسوس، بل هذا منهم، كافرٌ مثلهم، موالٍ لهم، وهو مهدَر الدم ولا كرامة.. والله أعلم.

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد واله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه الشيخ/ **عطية الله**

الأربعاء منتصف ربيع الآخر ١٤٢٨هـ

❋ ❋ ❋



[أربعة أسئلة خاصة لم تُنشر من قبل، موجهة من الأخ «أبي مصعب الكردي» للشيخ عطية الله رحمه الله، وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي» حفظه الله ورعاه، وهي مسائل في التوحيد والعلم وفقهه، وأخرى في البيوع، وقد كُتبت في: ربيع الآخر ١٤٣٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

السؤال الأول: هل أجمع العلماء على أن معنى «لا إله إلا الله» لا معبود بحق إلا الله؟

الجواب وبالله المستعان: نعم؛ قد أجمع لا العلماءُ فقط بل كلُّ عقلاء المكلفين ممن بلغتهم هذه الكلمة على ذلك، ولا شك ولا ريب أن هذا هو معنى هذه الكلمة الطيبة كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص، هذا مقطوع به، معلومٌ علمًا يقينيا وضروريًا من الدين ومن بعثة محمدٍ ﷺ ورسالته؛ فإن جميع العقلاء ممن استجابوا لدعوة محمدٍ ﷺ وهم المسلمون المؤمنون، وممن صدوا عنها وكفروا بها ولم يستجيبوا له وهم الكافرون، يعلمون أن معنى «لا إله إلا الله»: لا معبود بحق تنبغي له العبادةُ وحده لا شريك له إلا الله ﷻ، وهو الله رب السموات والأرض ورب كل شيء وخالق الخلق ورازقهم ومحييهم ومميتهم، وجميعُهم يعلمون أن محمدًا ﷺ بُعث بذلك ودعا إليه الخلق وأمرهم به ونهاهم عن ضده؛ فكل الدين والشريعة، والكتاب والسنة وما في معناهما ولغة العرب التي جاء بها هذا الدين وهذا الرسول الخاتم ﷺ دالة على ذلك، لا يفهم منها عاقل سوى ذلك ولا يمكن أن يُفهَم منها إلا هذا.. فهذا أمرٌ من أوضح الواضحات في الوجود، فلا يُحتاج فيه إلى نقل إجماع لفظيّ نصّي، بل إذا تطلب أحدٌ نقل إجماع للعلماء على هذا على طريقة حكاية الإجماعات في كتب الفروع فإن هذا يُعَدّ من القصور في لغة أهل العلم، إذ فيه تهوين وتقليل لهذه المسألة اليقينية الكبرى وقصورٌ عن إيفائها حقَّها، فهذا لا يقال فيه: هل نقل فيه إجماعٌ أو لم ينقل.

وإن كان المراد: أن هذا اللفظ المفسر لهذه الكلمة العظيمة -كلمة التوحيد- وهو المحكي في السؤال؛ هل هو مجمَعٌ عليه، فهذا كذلك لا يُحتاج إليه لأن لفظ الإله واضحٌ معناه في اللغة وضوحَ البديهيات المنقولة بالتواتر من لغة العرب، وأقرب لفظٍ مرادفٍ له يفسّره هو «المعبود».

فالإله معناه المألوه، وهو المعبود، والتألّه هو التعبد والعبادة.

فمعنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»: لا مألوه أي معبود، أي بحقّ -وهو الحقيق والجديرُ بأن يَعبُدَه الخلقُ-، إلا الله تعالى.

وقولنا: «أي بحق» احتيج إلى هذا التفسير للاحتراز من الآلهة الباطلة المدعاة.

فإن أبا جهلٍ وأبا لهبٍ وأمية بن خلف وأشباههم يقولون: «اللات» إلهٌ، وهم يعبدونه، وكذلك «العزى» و«مناة» و«هُبَل» وغيرها.

والهندوس يقولون: هذه البقرة إلهٌ.

وعبدة الشمس والقمر والأشجار والأحجار والأنهار والفروج وغيرها يقول كل واحدٍ في معبوده: إنه إلهٌ.

فكل هذه في الحقيقة وفي نفس الأمر ليست آلهةً، بل هي مخلوقات من مخلوقات الله تعالى، ضعيفة عاجزة فقيرة حقيرة، واللهُ تعالى هو الذي خلقها وأوجدها ومتى ما شاء أماتها وأهلكها؛ فهم كاذبون في زعمهم أنها آلهة وتسميتهم لها آلهةً، خاطئون ضالون، ولهذا جاء في كلام الله تعالى مجادلةً لهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣].

فقولنا «لا إله إلا الله» واضحٌ معناه، وأنه نفي لكل تلك الآلهة المزعومة المدعاة المكذوبة، فهم يقولون: هُبل إله، ونحن نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فكلامنا نص في تكذيبهم ورد قولهم والبراءة من دعواهم ونفي أن يكون شيءٌ إلهًا إلا المستثنى وهو الله، فقط لا غير، سبحانه وتعالى وتقدّس.

أبو جهل يقول: هبل إله. نقول له: لا إله إلا الله وحده.

والهندوسي يقول: البقرة إله. نقول له: لا إله إلا الله وحده.

وهكذا..

ولهذا فهذه الكلمة الطيبة هي نفي وإثباتٌ، كما هو واضح.

فإن «لا» هذه هي التي يسميها علماء النحو لا النافية للجنس، وهي نص في نفي جنس مدخولها إذا بُني معها، وهي عند «سيبويه» ومن وافقه مع مدخولها المفرد المبنيّ -في مثل كلمة التوحيد- في موضع

الرفع على الابتداء، وخبرُها محذوفٌ وهو إما كونٌ عامّ، والتقدير: لا إلهَ كائنٌ أو موجودٌ، أي بحقّ، أو كونٌ خاصٌ والتقدير نحو: لا إلهَ حقٌّ أو بحقٍّ، ثم استثنى لأن المراد هو الإثبات على سبيل الحصر، فقال: إلا الله، فالمستثنى مرفوع على البدل من المستثنى منه لأن الكلام تامٌ منفي.. والله أعلم.

وعلى كل حال؛ عند الشرح لها نحتاج إلى هذا التفسير لمزيد التوضيح، لأنه يقال لنا: قد قيل إن هناك أشياء كثيرة هي آلهة عبدها أقوام كثيرون، فنقول: تلك آلهةٌ باطلة كاذبة مدعاة زورًا، وهي في الحقيقة ليست آلهة.. إلخ.

فنقول: لا إله إلا الله معناها: لا معبودَ -أي بحقٍّ- إلا الله تعالى.

أي: لا إله في الحقيقة وفي نفس الأمر إلا الله تعالى، وكل ما سُمّي إلهًا -سماه قومٌ من الأقوام الضالة- غيرَ الله فهو كذبٌ وزورٌ وضلالٌ.

هذا معناها، وهذا كما قلتُ لك قطعيّ القطعيات ويقينيّ اليقينيات، وليس في الوجود أوضح ولا أبين منه.

وإنما نبّه الفطنون أهلُ الهداية من العلماء على خطإٍ من فسّر من المنتسبين إلى العلم كلمة التوحيد بقوله: لا ربَّ إلا الله.

وبيّنوا أن تفسير الإله بالرب غيرُ صحيحٍ؛ لأنه ليس المقصودُ بكلمة التوحيد نفي الربوبية عن غير الله وإثباتها لله وحده، فإن هذا معنىً صحيحٌ بلا شك، لكنه ليس هو المقصود إذ لم يخالفْ فيه أحدٌ ممن بُعِثَ النبي ﷺ إليهم، لا أبو جهل ولا غيرُه، فإنهم كلهم مقرون أن الله تعالى هو ربهم بمعنى أنه هو الخالق البارئ الرازق المحي والمميت الذي يدبر الأمر ولا يعجزه شيء وهو أكبر وأقوى من كل شيء.. إلخ وهكذا أكثرُ الأمم يقرّون بذلك، إنما خالفوه في عبادة هذا الربِّ وحده لا شريك له، فإنهم إما لم يعبدوه رأسًا وعبدوا غيرَه، أو عبده غيره معه، وهذا الثاني كان الأكثر في مشركي العرب، ولهذا كثر في لسان الشرع تسميتهم بالمشركين.

ثم إن اللفظ لا يعطي المعنى الذي ذكره المخطئون المشار إليهم، كما بيناه أعلاه، فإن معنى الإله هو المألوه أي المعبود، وليس معناه الرب، وفرقٌ بين معنى الرب ومعنى الإله في اللغة.

ولهذا يحتج الله ﷻ على المشركين بالربوبية لإثبات الإلهية (الألوهية) في آيات كثيرة من الكتاب العزيز مثل الآيات التي فيها: ولئن سألتهم من خلق كذا ليقولن الله، فإنه يقررهم بربوبيته تعالى ليتوصل بها إلى إثباته تفرده باستحقاق العبادة سبحانه.

كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ

أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

وغيرها من آيات المحاجة كقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس].

وقوله على لسان عيسى ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران]

والحاصل أن مَن فسَّر «لا إله إلا الله» بقوله: لا رب إلا الله فهو مخطئ، لكن الذي يظهر -والله أعلم- أنهم قسمان:

قسمٌ مخطئون في التفسير للجملة الشريفة، وسبب خطئهم ظنهم أن الرب مرادفٌ للإله، فأرادوا توضيح كلمة الإله بكلمة مرادفة تبيّنها فاختاروا كلمة «رب» فنتج هذا الخطأ، ولو تنبّهوا للفرق لفطنوا وانتبهوا وصححوا اللفظ.

وقسمٌ من الزنادقة المنتسبين للقبلة من غلاة المتصوفة ونحوهم أو من أهل الكلام والفلسفة والإلحاد؛ فهؤلاء مرادُهم أن هذه الكلمة الطيبة معناها اعتقاد أنه لا رب للوجود إلا الله تعالى، وجعلوا ذلك غاية التوحيد، فمن أقرّ به فهو موحّدٌ في زعمهم، بقطع النظر عن قضية: هل عبدَه وحدَه لا شريك له والتزم بذلك أو لا، وهؤلاء -الذين يقولون ذلك ويعتقدونه- كفارٌ ولا كرامة معاندون لما جاء به الرسول ﷺ خارجون عن دينه الذي بعثه به الله ﷻ، نعوذ بالله من سوء حالهم ومقالهم وعاقبتهم.. والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❑ ❑ ❑

السؤال الثاني: قيل «العالم للعامي كالدليل»؛ هل هذا الكلام صحيح بهذا الإطلاق أم فيه تفصيل؟

الجواب: قد قال بعض العلماء إن فتوى المفتي أو العالِم كالنصّ للعاميّ، ومرادُهم أن العاميَّ واجبُه أن يسأل العلماء؛ فإذا أفتوه فإن فتواهم بالنسبة له بمنزلة النص من الشريعة، لأن العاميّ لا يفهم النصوص ومعاني ألفاظها ودلالاتها، أو لا يفهم اللغة مثلا لكونه أعجميًا.

وهذا المعنى صحيحٌ، بشروطه، وهي شروط صحة أي جواز التقليد المبيّنة في مواطنها من كتب

الأصول.

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩].

والله أعلم.

❑ ❑ ❑

السؤال الثالث: هل يجوز بيع وشراء الهاتف الموبايل - السيار -؟ وهل هناك فرق بين الموبايل الذي نستطيع أن نستعمله لأخذ التصاوير وتسجيل الصوت والأفلام وبين الذي لا يوجد فيه هذه الإمكانيات، إلا الاتصال، أقصد بيعه وشراءه في بلدنا؟

الجواب: بيع وشراء الهاتف الموبايل الذي ليس فيه كمرا (آله التصوير) نرجو أنه جائز إن شاء الله، ما لم يُعرَف أن المشتري يستعمله في ما لا يحل، لأن الغالب عليه أنه آلةٌ تستعمل في مباح جائز ومصلحة للخلق وهو الاتصال بين الناس لقضاء مصالحهم.

أما الذي فيه كمرا، فهذا ينبغي الاحتياط في بيعه بشكل أكبر، فلا أرى يُباع إلا لمن عُرف أنه يستعمله في خيرٍ.. والله أعلم.

❑ ❑ ❑

السؤال الرابع: هل أهتم بقراءة الكتب الشرعية أم أهتم بإعادة الدورات التي أخذتها وقراءة الكتب العسكرية الموجودة في المراكز وهي كثيرة جداً، وفي المستقبل أحتاج إلى أيهما أكثر؛ العلم الشرعي ولو قليلا أو العسكري؟

الجواب: الذي يُنصَح به في مثل هذا يختلف من شخص إلى شخص ومن حالٍ إلى حال، وبحسب ما أعرف من حالك فالذي أراه لك -والله الموفق للخير والصواب- هو أن تهتمّ هذه الفترة بأخذ دورات التدريب العسكري المتاحة في ساحتنا وتكمل نفسك فيها وتهتم بها وقتًا ما، هو وقت التدريب والإعداد، وإذا أتيحت فرصة لدخول العمل العسكري الفعلي (القتال لأعداء الله) بحسب ما يتيسّر ويكون فيه طاعة أولي أمر الجهاد؛ فهذا مهمّ جدًا أيضا لتكميل تدريب الإنسان المجاهد وإعداده نفسيًا وتربويًا، بالإضافة إلى ما فيه من الخير العظيم الأخروي والدينيّ والدنيوي أيضًا، ثم بعد مدّة إذا كان الإنسان من أهل الدنيا إن شاء الله تعالى وقد أخذ قسطًا جيدًا من التدريب والإعداد العسكري الحربي والمشاركة الجهادية، يتحوّل إلى التركيز على الشيء الذي يُجدي فيه ويمكنه أن يُحسِنَه وينفع فيه الإسلام والمسلمين في إطار القيام بواجب الجهاد المفروض علينا اليوم، وأنت أرى لك أن تهتم بعدها بالعلم الشرعي، بحسب ما يتاح من طرق تحصيله ومن التفرغ له، لعلك تكون من أهل العلم المجاهدين إن

شاء الله، أسأل الله لنا ولك ولجميع الإخوان التوفيق والسداد.

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وكتبه:

عطية أبو عبد الرحمن

في ربيع الآخر ١٤٣٠هـ



جوابٌ في القسم بين الأزواج

[سؤال من مجاهد مهاجرٍ في «القسْم بين الأزواج» لم يُنشر من قبل، أجاب عنه الشيخ عطية ﷺ، وقد وصلنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي»، كُتب في: ذي القعدة ١٤٣٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

رجل مهاجرٌ متزوج باثنتين، سافرت إحداهما بإذنه وباختيارها ورغبتها إلى بلدِ أهلها، قبل بضعة سنين، ومكثت عند أهلها نحو تسعة أشهر، ثم رجعت، ولم يقضِ لها ما فاتها من القسْم، والآن سافرت الأخرى إلى بلدٍ آخر غيرِ بلدِ أهلها، هو بعثها من أجل العلاج (التطبب) مع أولاده منها؛ فإذا رجعت فهل يقضي لها؟ وإذا قضى لها فإن الأولى تطالب بأن يقضي لها ما فاتها في سفرها المذكور إلى أهلها، فهل لها عليه القضاء؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله وصحبه الطاهرين المهديين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعدُ:

فإنه بعد مراجعة كلام الفقهاء في المذاهب الأربعة وغيرها من أمهات كتبهم، مع جملة من فتاوى أهل العلم في مثل هذه المسائل اتضح لي الآتي:

الأصح من قولي الفقهاء وجوب القضاء على الزوج إذا فوّت على الزوجة قَسْمها بسبب منه..

وهو مذهب الشافعية والحنابلة، خلافًا للحنفية والمالكية الذين لا يرون وجوب القضاء على الزوج إذا فاتَ الزوجةَ قَسْمُها.

وتفريعًا على هذا المذهب الصحيح المختار في المسألة، وبناءً على ما تقرر في الباب من مباني المسألة وضوابطها، أقول:

ما دامتِ الزوجةُ المذكورة أولًا قد سافرتْ باختيارها ورغبتها، مع إذنه لها؛ فإنها لا تستحق

القضاء، يعني أنه لا يجب عليه أن يقضي لها ما فاتها من حظها من القَسْم.

قال الفقهاء في تعليل ذلك: إن المرأةَ إذ قد سافرت باختيارها ولحاجتها وحظِّ نفسِها، وفوّتتْ على الزوج حقَّه في الاستمتاع بها؛ فإنها بذلك أسقطتْ حقها، فلا يُقضى لها، وهذا ظاهرٌ.

وأما إذْنُ الزوج لها في السفر لحاجتها، فقُصاراه أنه مسقِطٌ لحقه في التمكّن منها والاستمتاع بها تلك الأيام والليالي، ولا يُوجِب في ذمّته لها حقًا يقضيه لها.

وأما الأخرى التي سافرت مع أولاده للعلاج، وقال إنه هو بعثها للعلاج مع أولاده منها؛ فإن كانت قد سافرت لحاجتها هي وحظ نفسها، بإذنه، فهي كالأولى وتقدم الكلام فيها.

وإن كانت سافرت لعلاج نفسها، بمعنى أنها هي التي تتطبب وتتعالج، وكان هذا الغرضُ هو الغالبَ والمقصودَ الأعظم من سفرها، فكذلك لا يقضي لها.

وإن كان الغرضُ من سفرها الذي أذن لها فيه وبعثها فيه هو مرافقة الأولاد (الكون معهم ورعايتهم..) لأنه لابدّ أن يبعَث أحدًا من أهله أو غيرهم مع الأولاد الصغار يقوم عليهم ويرعاهم، أو كان هذا هو المقصود الأعظم الأغلب من سفرها.. فهذه يقضي لها. والله أعلم.

وتعليل ذلك حسب ما يتخرج من كلام الفقهاء: أن المرأة في هذه الحالة إنما سافرَتْ لحاجةِ الزوجِ وخدمتِهِ لا لحاجتها هي وحظِّ نفسها، فهي لم تفوِّت عليه شيئا من حقه من عندِ نفسها وبسببٍ منها، بل فاتَه هو حقه في التمكن منها والاستمتاع بها بتفويته هو، لأنه بعثها وأشخصها في حاجته، (وحاجتُهُ في هذه الحالة هي: إرسالُ أحدٍ مع الأولاد الصغار يقوم عليهم ويرعاهم، وهذا واجبٌ عليه، والأولاد أولادُه، فآل الأمرُ إلى حاجةِ نفسِهِ، واختار هو أن يرسِلها هي (أم الأولاد) لأنها أرفقُ بهم وأرعى لهم ولغير ذلك من المرجّحات)، وبقيَ حق المرأة في الإيواءِ والإيناس تلك الليالي التي فاتتها منه، فيقضيه لها. وقولنا: «أو كان هذا هو المقصود الأعظم والأغلب من سفرها» معناه أنه في أكثر الصور والحالات تكون هناك مقاصدُ متعدّدةٌ للسفر، وإنما النَّظَرُ إلى المقصود الأساس الرئيسيّ. فيُعلَّقُ الحكمُ به، ولا تؤثّرُ المقاصدُ الأخرى الثانوية.

والله أعلم أحكم، لا إله غيرُهُ ولا ربَّ سواه، وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان.

وكتب: **أبو عبد الرحمن عطية**

١٠ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ



جوابٌ في «البدعة»

[أسئلة في البدعة وفروعها قاربت الأربعين سؤالًا لم تُنشر من قبل، موجهة من الشيخ المجاهد «أبي زيد خالد الحسينان الكويتي» ﷺ، أجاب عنها الشيخ عطية الله ﷺ، وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي»، وقد أجاب عنها الشيخ بمقدمة تأصيلية مفيدة في البدعة ثم مثل بأجوبة الأسئلة، وقد كُتبت الإجابة في: جمادى الأولى ١٤٣١].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بديع السماوات والأرض ذي الجلال والإكرام الكبير المتعال ذي القوة المتين، وأكمل بنعمته لنا الدين وهدانا صراطه المستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمدٍ النبي الأمي الأمين الذي ما ترك خيرًا إلا دلّنا عليه بصورته وفرعه أو بقاعدته وأصله، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه وأرشدنا إلى سبيل التوقي منه؛ فنصح للأمة وأدى الأمانة كما أمرَهُ ربه ﷻ، وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار أولي الفقه في الدين والجهاد في سبيله صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإلى حضرة الأخ المكرم والشيخ الفاضل «أبي زيد خالد الحسينان».. جعلنا الله وإياه من أهل الإيمان والإحسان وختم لي وله بخاتمة الشهادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

جوابًا على سؤالكم المرفق، المتضمن لمجموعة كبيرة من الأسئلة كلها من جنسٍ واحدٍ؛ فإني رأيتُ أن الجواب عليها واحدًا واحدًا يطول، والأمثلة لا تكاد تنحصر، وإنما الطريقة المثلى ضبط كل هذه الفروع بالأصول والقواعد التي لا تخفى عليكم، وإنما أحلتم على أخيكم المسكين لما رجوتم من مساعدته لكم في تحرير المقام وضبطه، فحق عليَّ تلبيةُ طلبكم محبةً وكرامة ورجاءَ مشاركتكم في الأجر، والله وليّ المؤمنين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسأنظم الكلام في فصلين:

الفصل الأول: مقدمة في أصلٍ ضابطٍ لهذه المسائل -في البدعة- وتحرير الإشكال فيها.

الفصل الثاني: في الجواب على أمثلة منتخبة من أسئلتكم تكون كالتطبيق لما تحرر.

فأقول وبالله أستعين:

الفصل الأول: ذكر أصلٍ ضابط لمسائل البدعة وتحرير الإشكال فيها

فقد تقرر في الشريعة الإسلامية المطهرة بما لا ريبَ فيه ولا جدال: النهيُ عن الابتداع في الدين، والتحذيرُ من البدعة، وذمها وذمُّ أهلها، وهذا محلُّ اتفاقٍ وموضعُ قطعٍ في ديننا الحنيف.

أصلُهُ أن الله تعالى أتم علينا نعمته بأن أكمل لنا الدين، ولم يُتوفَّ رسولُ الله ﷺ خاتمُ النبيين إلا وقد أكمل لنا بيان الدين والشريعة، وذلك منقسمٌ إلا ما هو مبيّن بالنص عليه بعينه، وما هو مشمول بعمومات ألفاظ الشارع أو داخلٌ تحت سائر الدلالات الصحيحة المعتبرَة عند أهل العلم، وخلاصتُها ما هو مبحوث في علم أصول الفقه، والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[الأنعام: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: ٨٩]، قال ابن الجوزي في زاد المسير: «قال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين» اهـ[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾[الشورى]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور].

والمخالفة عن أمر الله تعالى تكون بالنقصان منه أو بالزيادة فيه ما لم يشرعْهُ.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٧٨).

ومن الحديث النبوي الصحيح: حديث جابر بن عبد الله ﭭ عن النبي ﷺ وفيه: (**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**) رواه مسلم(١).

وروى الترمذي وأبو داود واللفظ له وغيرهما من حديث العرباض بن سارية ﭬ عن النبي ﷺ، وفيه: (**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)(٢).

وعن عائشة أم المؤمنين ﭫ أن النبيّ ﷺ قال: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) رواه البخاري ومسلم(٣)، وفي رواية أخرى عند مسلمٍ: (**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**)(٤).

ومعنى الحديث: من أحدث في ديننا ما ليس منه فما أحدثه فهو مردود عليه.

ثم كلام السلف من الصحابة ﭫ فمن بعدهم في التحذير من البدع وذمها كثير جدًا.

وكسائر شأن الدين؛ والشريعة فإن الأمرَ عند جِدّته وطراوته وقوة حلاوته وحسن تلقيه وأخذه بقوة وعزيمة كاملة وتوافر الديانة والطهارة والبُعدِ عن التكلف عند الجيل الأول الجيل الفريد صحابةِ رسول الله ﷺ -ﭫ أجمعين- كان واضحًا على الجملة وضوحًا من القوة بحيث يُستغنى بها عن الخوض في كثير من التعمّق في التفريع، وكان أمر الحياة والمعيشة بسيطًا غير معقّدٍ جدًا، فلم يحصل في جيلهم في أواخره إلا أشياء يسيرة مما وقع البحث فيها عندهم: هل هي مما يشملُهُ وصفُ البدعة والابتداع وذمُّ الشرع لها أو لا، وكالعادة كان ذلك على درجات متفاوتة، كما وقع لهم في مسألة المناخل وهي الغرابيل والدقيق -طحين الحنطة ونحوها- المنخول فوقع البحث والكلام من بعضهم هل هو مما يُذَمُّ ويدخل تحت البدع أو لا، فكرهه بعضهم، وله محملان إما أنهم رأوه بدعة فعلًا، أو كرهوه احتياطًا أي لأنهم خشوا أن يكون مشمولًا بمعنى البدعة ووصفها أي رغم أنهم مترددون فيه غيرُ جازمين، فيكون من الورع. وكما وقع لأبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود ﭭ في الإنكار على

---

(١) صحيح مسلم (٨٦٧).

(٢) سنن أبي داود (٤٦٠٧)، سنن النسائي (١٥٧٨)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٢٦٩٧)، صحيح مسلم (١٧١٨).

(٤) أوردها البخاري معلقة (قبل ح ٧٣٥٠)، صحيح مسلم (١٧١٨).

أصحاب قصة الذكر الجماعي المخطط المبرمج في مسجد رسول الله ﷺ إذا صحت القصةُ[(١)].. وهكذا في أمثلة معدودةٍ.

ولعل من رحمة الله تعالى أن ذلك من الصحابة ﷺ يكون كالمثال الذي ينبني عليه شيءٌ من فقه مَن بعدَهم من الأمة، وهذا لعله جزءٌ من معنى أن اختلافَهم رحمةٌ، وهو بمعنى التوسعة وبمعنى أن مَن بعدَهم يستفيد من طريقتهم في حل المسائل ومعرفة حكمها، كما استفيد مما وقع من اقتتالهم مثلًا في الفتنة؛ ﷺ أجمعين.

ثم إن الحال بعد جيل الصحابة كما هي سنة الله في خلقه صارَ إلى نقصٍ، وهكذا إلى آخر عمُر الدنيا.. ومن هنا كان الفقهاء والأئمة في العلم والدين من أمتنا محتاجين إلى بيان تفصيليّ لكثير من المسائل والأنواع من التصرفات وأفعال المكلفين، هل هو مما يدخل في البدعة أو لا.

وحاصل الأمر:

أولا: أنهم احتاجوا إلى تعريف البدعة وضبطها ضبطا أصوليًا وبيان معناها وما يدخل فيها وما لا يدخُلُ.

وثانيا: تلخّص من النظر في هذا المجهود أن الأمرَ في نهايته على طرفين ووسطٍ:

---

(١) هذه القصة ذكرها ابن وضاح والشاطبي في الاعتصام، وقد رواها الطبراني وعبد الرزاق وأبو نعيم والإمام أحم د في الزهد، ولم نر من ضعفها من أهل العلم، وقد احتج بها الشاطبي وابن دقيق العيد وابن الجوزي، وليس في القصة أنها وردت بالمسجد النبوي، أخرج الدارمي (٢٢٢) أن أبا موسى الأشعري جاء إلى أبي موسى؛ فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته–ولم أر والحمد لله إلا خير– قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: ما رأيت؟ قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك، وانتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟!، ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

❖ طرفٌ لا إشكال في كونه بدعةً، بحيث يكادُ يُجمِع الجميعُ أو يتوافق أكثر أهل العلم من أهل السنة والجماعة على أنه بدعة، لقوة وضوحِ بدعيته (دخوله في معنى ووصف البدعة).

❖ وطرفٌ لا إشكال في سلامته من البدعة (أنه لا يدخل في البدعة)، على عكس الأول.

❖ وطرف وسطٌ هو محل التجاذب والتردد والإشكال.

فلا تخلو المسائل كلها في هذا الباب أن تكون من أحد هذه الأقسام الثلاثة، ولا رابع لها بدليل الحصر.. فسبيل القسمين الأول الثاني واضحٌ، وهو أن ما كان بدعةً فيجب اجتنابُهُ والنهي عنه، وما علمنا أنه ليس ببدعةٍ اعتقدنا مشروعيته والحمد لله.

وسبيل القِسْم الثالثِ هو ما يحتاجُ إلى شيءٍ من التوضيح:

فالمشروع فيه الاحتياطُ في الدين، واستعمالُ الورعِ، والتباعُدُ عما يَضيرُ، فهو من اتقاء الشبهاتِ، ومن طلب السلامة للدين، ومن خشية انخرام الاستقامة، ومن ترك ما يَريبُ، ومن علوّ الهمّة.

لكن هذا المقام يحتاج إلى توضيح أمورٍ:

ما معنى الاحتياط في الدين؟ وما حكم هذا الاحتياط ومتى يكون مطلوبًا؟ ومتى يرجَحُ عليه غيرُهُ أي تركُ الاحتياط؟ وهل يلزم الجميعَ (كلَّ الناس أو جمهورَهم) الأخذُ بالاحتياط؟

فالحاصلُ أن الاحتياط هو كما قيل:

وذو احتياطٍ في أمورِ الدينِ ... من فرَّ من شك إلى يقينِ[1]

فهو أخذ جانب الاطمئنان إلى الحكم الشرعي، ومن صور ذلك مسألة الخروج من الخلاف.

فهو مندوبٌ إليه (مستحبٌّ)، غيرُ فرضٍ، إذ الواجبُ هو ما دل الدليلُ الشرعي الواضحُ على تحتّمِ فعله أو تركه، والاحتياطُ ليس من ذلك بل هو من اتقاء الشبهاتِ المندوب إليه.

لكن هل استحباب الاحتياط مطلقٌ؟ أو يكون تركُ الاحتياط أرجح أو واجبًا في مواطن؟

الجواب: أن الاحتياط ليس مطلوبًا مطلقًا، بل بقيودٍ، منها كما يتحصّل من كلام أهل العلم:

- ألا يعارض دليلًا شرعيًا أقوى.

- وألا يؤدي إلى مشقة خارجةٍ عن المعتادِ، ولا سيما إذا تعلّق بالجمهور (عموم الناس وكثرتهم)

---

(١) ذكره الشنقيطي في: أضواء البيان (١/ ٣٤٩) ولم يعزه، بل قال: قال الناظم.

وصرّحوا أن احتياط الإنسان لنفسه مستحبٌّ، لكن ليس لأحدٍ من سلطانٍ أو مفتٍ أن يحرّج على الناس بحملهم على الاحتياط.

ولذلك نقول رجوعًا إلى مسألتنا: إذا اتضح للناظر المعين (المجتهد، أو من كان في حكمه) بشكل راجح وهو غلبة الظن أو اليقين، أن هذا الأمر هو من أحدِ الطرفين بدعة، أو غير بدعة بل مشروعٌ، فإنه يعمل بما تبين له.

فإن حصل التردد في الأمرِ هل هو بدعةٌ أو لا، ولم يستطع الترجيح لا بنفسه (مجتهد أو متبع) ولا بواسطة غيره (وهي حالة العاميّ المقلد للعلماء الموثوقين عنده) فإنه يحتاطُ، ويترك ذلك الأمر خوف كونه بدعة.

هذا هو الأصل.. إلا إذا كان يقع في حرجٍ بترك ذلك الأمر، وذلك بظهور الحاجة إلى فعله، فحينها لا بأس بالإقدام على الفعل، لأن الحاجة ترفع الكراهة، بمعنى أنها تبيح الإقدام على المكروه، ولا كراهة فيه حينئذٍ للفاعِلِ المحتاج.. والله أعلم.

معنى البدعة: ثم اعلم أن من أحسن من حرر معنى البدعة وبسط الكلام فيها من المتأخرين هو الإمام الشاطبي رحمه الله (توفي سنة ٧٩٠ هـ) في كتابه «الاعتصام»؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وغالبُ من كتبَ بعدَه في الموضوع مستفيدٌ منه، مع تحريرات وتقييدات مفيدة لكثير من العلماء، قبله وبعده، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، وأسأل الله أن يجعل هذه الأسطر مفيدةً نافعةً مبارَكةً مقبولةً عنده تعالى.

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام في تعريف البدعة -بواسطة اختصار الشيخ السقاف- وما بين [المعكوفين] مني: «وأصل مادة «بَدَعَ» للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٧] أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي ما كنت أوَّل من جاءَ بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق. وهذا أمر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، فكأنَّه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه.

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي

البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة [**قلتُ**: ثم الظاهر أنه الغالبُ على الاستعمال]؛ فمن هذا المعنى سُمِّيَ العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة فالبدعة إذن عبارة عن: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه» وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنَّما يخصها بالعبادات، وأمَّا على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»، ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد.. فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد وهو ما رسم للسلوك عليه وإنَّما قُيِّدت بالدين لأنَّها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها، وأيضًا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ما له أصل في الشريعة، ومنها ما ليس له أصل فيها، خُصَّ منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع، إذ البدعة إنَّما خاصَّتها أنَّها خارجة عما رسمه الشارع، وبهذا القيد انفصلت عن كلِّ ما ظهر لبادي الرأْي أنَّه مخترع مما هو متعلق بالدين، كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأُصول الدين، وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنَّها وإن لم توجد في الزمان الأوَّل فأُصولها موجودة في الشرع. [**قلتُ**: يضافُ إليه أنها ليست بنفسها عبادةً ودينًا محضًا، بل فيها الشائبتان].

فإن قيل: فإنَّ تصنيفها على ذلك الوجه مخترع. **فالجواب**: أنَّ له أصلًا في الشرع، ففي الحديث ما يدل عليه، ولو سُلِّم أنَّه ليس في ذلك دليل على الخصوص، فالشرع بجملته يدل على اعتباره، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة، وسيأْتي بسطها بحول الله.

فعلى القول بإثباتها أصلًا شرعيًا لا إشكال في أنَّ كلَّ علم خادم للشريعة داخلٌ تحت أدلته التي ليست بمأْخوذة من جزئي واحد؛ فليست ببدعة ألبتَّة.

وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات، وإذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة، لأنَّ كلَّ بدعة ضلالة من غير إشكال، كما يأتي بيانه إن شاء الله.

ويلزم من ذلك أن يكون كَتْبُ المصحف وجَمْعُ القرآن قبيحًا، وهو باطل بالإجماع فليس إذًا ببدعة.

ويلزم أن يكون [ثمتَ] دليل شرعي، وليس إلا هذا النوع من الاستدلال، وهو المأخوذ من جملة الشريعة.. وإذا ثبت جزئيٌّ في المصالح المرسلة، ثبت مطلق المصالح المرسلة.

فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو علم الأصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة، بدعة أصلًا.

وقوله في الحد «تضاهي الشرعية» يعني: أنَّها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها: وضع الحدود كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، ضاحيًا لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة.

ومنها: التزام الكيفيات والهَيْئَات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي - عيدًا، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وثَمَّ أوجهٌ تضاهي بها البدعةُ الأمورَ المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمورَ المشروعة لم تكن بدعة، لأنَّها تصير من باب الأفعال العادية.

وقوله: «يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى» هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها.. وذلك أنَّ أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]؛ فكأنَّ المبتدع رأى أنَّ المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أنَّ ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ.

وقد تبين بهذا القيد أنَّ البدع لا تدخل في العادات.. فكل ما اختُرِع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية. [وهذا السطر الأخير مشكِلٌ، فندعُهُ الآن، ولا يبعُدُ أن كلمة «في الدين» خطأ، والتحقيق أن القيدين في التعريف: «في الدين» و«يقصد بالسلوك عليها المبالغة.. إلخ» راجعان إلى معنى واحدٍ وهما متلازمان.]»[1] اهـ.

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ٧ - ١٠).

معقد الإشكال في مسألة البدعة:

إن معظم الإشكال -والله أعلم- في باب البدعة يأتي من جهة التداخل في أفعال المكلف بين ما هو تعبّديّ (أي أنه عبادةٌ وقربةٌ ودينٌ بشكل واضح) وما هو عاديّ (أي ليس بعبادةٍ ولا قربة ولا من الدين بمعناه القريب المباشر).

فما كان من الدين والعبادة والقربات فتدخُلُه البدعة، بلا إشكال.

وأما ما كان من الأمور العادية وهي تصرفات الناس الحياتية الدنيوية التي ليست موضوعة بالأساس موضع العبادة والقربة، فليست من «الدين» بمعناه القريب الواضح؛ فهذه قد دلّت أدلة الشريعة على أن الله تعالى وسّع على المكلفين فيها وقال النبي ﷺ: **(أنتم أعلم بأمور دنياكم)**[1]، وإنما سيّجهم بسياجات الحرام البين لا يتعدّونه، وأباح الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، وأمرهم بفعل الخير والأسباب والوسائل المعينة عليه، ونهاهم عن الشر والظلم والبغي والعدوان والأسباب والوسائل المؤدية إليه.

لكن المشكلة أن كثيرًا من تصرفات الخلق (أفعال المكلفين) يكون فيها تداخلٌ بين الوصفين، فهي من جهة «تدينٌ» وعبادة، ومن جهة هي أمرٌ عاديّ مما يتصرّف به الناس في حياتهم «ارتفاقًا» أي انتفاعًا وتيسيرًا، ففيها الشائبتان؛ «شائبة العبادة» و«شائبة العادة»، وقد تغلب هذه الشائبة وتكون الأكثر ظهورًا، وقد تغلب تلك.

ومن هنا بحث الشاطبي: هل للبدعة مدخل في العاديات (وهي الأمور العادية الحياتية غير التعبدية، وضابطها أنها التي لا يقصد بها التعبد لذاتها):

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام -بواسطة اختصاره للشيخ علوي السقاف-: «أفعالُ المكلفين -بحسب النظر الشرعي فيها- على ضربين:

أحدهما: أن تكون من قبيل التعبدات.

والثاني: أن تكون من قبيل العادات.

فأمَّا الأوَّل: فلا نظر فيه ها هنا.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٦٣).

وأمَّا الثاني -وهو العادي-: فظاهر النقل عن السلف الأوَّلين أنَّ المسألة مختلف فيها؛ فمنهم من يُرشد كلامُه إلى أنَّ العاديات كالعباديَّات، فكما أنَّا مأمورون في العبادات بأن لا نحدث فيها، فكذلك العاديات والجنايات كلها عادي، لأنَّ أحكامها معقولة المعنى، ولا بد فيها من التعبد، إذ هي مُقَيَّدة بأُمور شرعية لا خيرة للمكلَّف فيها، وإذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد؛ فإن جاء الابتداع في الأُمور العادية من ذلك الوجه، صح دخوله في العاديَّات كالعباديات، وإلا فلا.

وهذه هي النكتة التي يدور عليها حكم الباب، ويتبين ذلك [بمثال] وضع المكوس في معاملات الناس، فلا يخلو هذا الوضع المُحرَّم أن يكون على قصد حجر التصرفات وقتًا ما، أو في حالة ما، لنيل حطام الدنيا، على هيئة غَصْبِ الغاصب، وسرقة السارق، وقطع القاطع للطريق، وما أشبه ذلك، أو يكون على قصد وضعه على الناس كالدِّين الموضوع والأمر المحتوم عليهم دائمًا، أو في أوقات محدودة، على كيفيات مضروبة، بحيث تضاهي المشروع الدائم الذي يُحمل عليه العامة، ويؤخذون به وتوجه على الممتنع منه العقوبة، كما في أخذ زكاة المواشي والحرث وما أشبه ذلك.

فأمَّا الثاني: فظاهر أنَّه بدعة، إذ هو تشريع زائد، وإلزام للمكلَّفين يضاهي إلزامهم الزكاة المفروضة، والديات المضروبة، بل صار في حقهم كالعبادات المفروضة، واللوازم المحتومة أو ما أشبه ذلك؛ فمن هذه الجهة يصير بدعة بلا شك، لأنَّه شرعٌ مُستدرك، وسَنٌّ في التكليف مَهْيَع فتصير المكوس على هذا الفرض لها نظران: نظر من جهة كونها محرمة على الفاعل أن يفعلها كسائر أنواع الظلم، ونظر من جهة كونها اختراعًا لتشريع يؤخذ به الناس إلى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف، فاجتمع فيها نهيان: نَهْيٌ عن المعصية، ونَهْيٌ عن البدعة.

فالحاصل أنَّ أكثر الحوادث التي أخبر بها النبي ﷺ من أنَّها تقع وتظهر وتنتشر أُمور مبتدعة على مضاهاة التشريع، لكن من جهة التعبد، لا من جهة كونها عادية، وهو الفرق بين المعصية التي هي بدعة، والمعصية التي هي ليست ببدعة.

وإنَّ العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يُتَعبَّد بها أو توضع وضع التعبد تدخلها البدعة، وحصل بذلك اتفاق القولين، وصار المذهبان مذهبًا واحدًا، وباللهِ التوفيق»[1] اهـ.

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ٩٥ - ٩٧).

فهذا السطر الأخير هو الخلاصة: «العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يُتَعبَّد بها أو توضع وضع التعبد تدخلها البدعة».

ويتضح ذلك بمعرفة معنى كلمة (**أمرنا**) في قول النبي ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا**) وقوله (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا**) وقوله: (**محدثات الأمور**)، وقوله: (**وشر الأمور محدثاتها**)[1].

فهذا الأمر أفردَه أحيانا وجمعه أحيانًا، وأضافة تارة إلى ضمير الجمع على معنى أمر المسلمين المنسوب إليهم، وقطعه عن الإضافة تارةً معرفًا تعريفَ العهد الذهني والله أعلم، وهو في كل ذلك معناه: أمر الدين والشريعة التي جاء بها ﷺ من عند ربه ﷻ.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح حديث (**من عمل عملًا..**): «فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره غيرُ مردود، والمراد بأمره هٰهنا دينه وشرعه، كالمراد بقوله في الرواية الأخرى: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**)؛ فالمعنى إذا أن من كان عمله خارجا عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مردود وقوله: (**ليس عليه أمرنا**) إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود»[2] اهـ.

والحاصلُ؛ أن هنها ثلاث مراتب:

الأولى: ما كان من «الدين» ومن أمر الشارع، بلا إشكال.

الثانية: ما ليس من الدين ولا من «أمر الشارع».

الثالثة: ما وُجِد فيه الشائبتان وحصل فيه التداخل؛ فهو من الدين من جهة ومن زاوية وباعتبارٍ، وهو من جهةٍ وزاوية أخرى وباعتبارٍ آخر: من أمور العادات ومن التصرفات الحياتية العادية المباحة للناس أو مما لهم فيه حاجة ومصلحة.

فهذا القسم الثالث: الأمرُ راجع فيه إلى النظر والترجيح، ولذا أمكن أن يختلف فيه المفتون وتتعدد

(١) تقدم تخريج هذه الأحاديث قبل قليل.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٧).

فيه أنظار أهل الفقه.

فما غلب عليه الاعتبار الدينيّ (أي: غلبَ وجهُ كونه من الدين ومن أمر الشريعة) فتدخله البدعة، ولاسيما إن انضاف إلى ذلك: علمُنا بوجود المقتضي في العهد النبوي الشريف مع عدم فعل النبيّ ﷺ وأصحابِهِ له، أو: عدم وجود مصلحة راجحة فيه ولا حاجة ذات بال تدعو إليه.

وما غلبَ عليه الاعتبار العاديّ، فلا مدخلَ للبدعة فيه، لا سيما إذا انضاف إليه: حاجةُ الناس إلى الفعلِ لمصلحةٍ راجحة.. والله أعلم.

وهو ما أشار إليه الشاطبي ﷺ في تعريفه حين أضاف الطريقة إلى الدين، ثم قيّدها بأن تكون مقصودًا بها المبالغة والغلو في التدين والتعبد.

«وفائدة هذا الضابط في تحرير مفهوم البدعة التمييز بينها وبين ما أحدث بعد عهد النبي ﷺ مما لا يراد به التعبد بذاته، قال الإمام الشاطبي: «وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات»[(١)] قلت: ومثال هذا وسائل الركوب والاتصال وكل ما دخل على حياة الناس من وسائل الراحة التي سخرها الله تعالى لنا، بل إن هذا القيد يُخرج من البدعة أيضًا أمورًا حدثت بعد رسول الله ﷺ لا يقصد التعبد لله بذاتها، وإنما هي من الوسائل التي يوجد في أصول الشرع ما يدل على مشروعية اتخاذها لتحقيق مقصود الشرع، وذلك من باب أن الوسائل لها حكم المقاصد وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا دل الشرع على مقصد مشروع -كتسوية الصف في الصلاة- فلا مانع من اتخاذ وسيلة مباحة لتحقيق ذلك، طالما لم يرد التعبد بهذه الوسيلة وإن لم تكن موجودة على عهد النبي ﷺ، ومثال ذلك الخطوط التي ترسم في أرض المسجد؛ فإن هذه لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ، ومع ذلك فإنها لا تعتبر بدعة لأننا لا نتعبد لله بها، وإنما نتعبد لله بتسوية الصف ونتخذ هذه الخطوط وسيلة لضبط ذلك، وكذلك ركوب السيارة إلى المسجد لا يراد منه التعبد بركوب السيارة، وإنما يتعبد لله بالسعي إلى المسجد وتتخذ السيارة وسيلة لتحقيق هذا المقصد المشروع، ومن ذلك أيضًا علوم النحو والإعراب ونقط المصحف وإعجام الحروف، فهي وسائل لحفظ القرآن الكريم ولكننا لا نتعبد لله تعالى بذاتها وإنما نتعبد لله بالمقصد الذي تبلغنا إياه.

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ١٠).

إن تحرير هذا الضابط مفيد جدًا في التمييز ما بين البدع المذمومة والمستحدثات غير المذمومة، ويقطع دابر التشويش الذي يحدثه البعض حين يلبسون على الناس، فيوهمونهم أن دعاة الحق ممن يحاربون البدعة يريدون أن يعودوا بالناس إلى عصر الدواب والحمير والبغال، وهذا التشويش إرجافٌ وتضليلٌ بلا ريب، فدعاة الحق في كل زمان ومكان – نسأل الله أن يجعلنا منهم – ليس لهم همٌّ سوى حمل الناس على متابعة هدي النبوة، ثم ليستمتعوا بما أباحه وسخره الله تعالى لهم في الكون ما شاؤوا، وهل كان ضلال أهل الكتاب إلا عندما فرطوا في هذه المتابعة فأحدثوا في دينهم وحرفوا كتاب ربهم حتى انتهى بهم الحال إلى عبادة العباد ومخالفة صراط رب العباد» اهـ[(١)].

فائدة مكملة لكلام الشاطبي المتقدم في ضابط البدعة:

وهي عن الشيخ ابن عثيمين ﷀ، قال: «كل عبادة يُتعبد اللهُ بِها يجب أن تتحقق فيها المتابعة للرسول ﷺ، **ولا يتحقق فيها ذلك إلا بموافقتها للشريعة في ستة أوصاف؛** فتغيير صفةٍ من هذه الصفات بدعة، وهذه الصفات الست هي:

١- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها، فأيُّ عبادة ليس لها سببٌ ثابتٌ بالشرع مردودة، مثل الاحتفال بمولد النبيِّ ﷺ.

٢- أن تكون موافقة للشريعة في جنسها، فلو ضحى أحدٌ بفرس كان بذلك مخالفًا للشريعة.

٣- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في قدرها، فمَن زاد في الصلاة الظهر مثلًا ركعتين لم يكن موافقًا للشريعة بالعبادة في قدرها.

٤- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في كيفيتها، فمن ابتدأ في وضوئه بغسل الرجلين ثم مسح الرأس لم يكن موافقًا للشريعة في كيفيتها.

٥- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في زمانِها، فلا تصح صلاة الظهر قبل الزوال.

٦- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في مكانِها، فلا يصح في اليوم التاسع من ذي الحجة الوقوفُ بغير عرفة»[(٢)].

---

(١) من كلام الدكتور وسيم فتح الله، من رسالته بعنوان: «البدع وأثرها السيء في الأمة» [المؤلف].

(٢) ذكرها الشيخ في عدد من المواضع بألفظ متقاربة مع شرحها أحيانًا، لعلَّ أجمعها في: فتاوى نور على الدرب – قسم البدعة.

نماذج من تصرفات العلماء في نحو هذه المسائل:

❖ **في «فيض الباري شرح صحيح البخاري للعلامة أنور الكشميري**: باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة»: «يريد أن مثل هذه التعيينات لا تعد بدعة، والبدعة عندي ما لا تكون مستندة إلى الشرع، وتكون ملتبسة بالدين، ولذا يقال إن الرسوم التي جرت في المصائب بدعة دون التي في مواضع السرور، كالأنكحة وغيرها، فإن الأولى تُعَدّ كأنها من الدين فتلتبس به بخلاف الثانية. والسر فيه أن رسوم المسرات أكثرها تكون من باب اللهو واللعب فلا تلتبس بالدين عند سليم الفطرة، بخلاف رسوم نحو الموت فإن غالبها يكون من جنس العبادات فيتحقق فيها الالتباس»[1] اهـ، وهو نفيسٌ.

❖ **ومن كلام الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الدرر السنية**: «وإنما ننهى عن البدع، المتخذة دينًا وقربة؛ وأما مالا يتخذ دينًا وقربة، كالقهوة، وإنشاء قصائد الغزل، ومدح الملوك، فلا ننهى عنه، ما لم يخلط بغيره إما ذكر أو اعتكاف في مسجد، ويعتقد أنه قربة؛ لأن حسان رد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وقال: قد أنشدته بين يدي من هو خير منك، فقبل عمر[2]، ويحل كل لعب مباح، لأن النبي ﷺ أقر الحبشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ﷺ[3] ويحل الرجز والحداء في نحو العمارة، والتدريب على الحرب بأنواعه، وما يورث الحماسة فيه، كطبل الحرب، دون آلات الملاهي، فإنها محرمة، والفرق ظاهر، ولا بأس بدف العرس، وقد قال ﷺ: **(بعثت بالحنيفية السمحة)**[4] وقال: **(لتعلم يهود أن في ديننا فسحة)**[5]»[6] اهـ.

❖ **الشيخ ابن عثيمين في خطوط تسوية الصفوف في المساجد:**

قال ﷺ في شرح نظم الورقات للعمريطي: «وهنا يرد السؤال وهو: هل الوسائل تعتبر كالمقاصد

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري (١/ ٢٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٢١٢)، صحيح مسلم (٢٤٨٥) وقد تقدم.

(٣) صحيح البخاري (٤٥٤، ٢٩٠١)، صحيح مسلم (٨٩٢).

(٤) مسند أحمد (٢٢٢٩١)، المعجم الكبير (٧٨٦٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٩٢٤).

(٥) مسند أحمد (٢٤٨٥٥، ٢٥٩٦٢) وقال الأرنؤوط: حديث قوي وهذا إسناد حسن، وقال مرة: إسناده حسن.

(٦) الدرر السنية (١/ ٢٣٩).

والغايات بحيث لا نأتي بوسيلة إلا إذا ثبتت بعينها عن الشارع أو نقول: إن الوسائل أوسع من الغايات فكل ما كان وسيلة لشيء فله حكم ذلك الشيء؟

الجواب: الأخير دون الأول، لكن يستثني من ذلك أن تكون الوسيلة محرمة بعينها، فهذه لا يجوز أن تستخدم، كما لو قال قائل: أنا أدعو هؤلاء الكفار بالضرب على الربابة والعود وبإسماعهم من الأغاني الخليعة، قيل له: لم يا أخي؟ قال حتى يدخلوا في الإسلام، فهذا لا يجوز. إذن فانتبهوا لهذه النقطة، لأن بعض الناس الآن يشتبه عليهم الأمر، ويظنون أن الوسائل غايات، ويقولون لابد أن تثبت الوسيلة بعينها، عن النبي ﷺ، وإلا فلا نقبلها، ونقول: أنت مبتدعٌ، ولهذا يبدعون الفقهاء في تقسيمهم العبادات إلى واجبات وأركان وشروط.

وعليه فنحن نقول: الشرع مقاصد ووسائل، المقاصد غايات لا يمكن أن نغير فيها، ولا أن نستبدلها بغيرها، والوسائل لها أحكام الغايات، مالم تكن محرمة بعينها، فإن كانت محرمة بعينها كانت حراما، وعليه فإن جعل الخط في المسجد لا يمكن أن يقال إنه بدعة وذلك لأنه ليس عبادة، وإنما هو وسيلة إلى عبادة، وهي استواء الصفوف، فإنه كما ترون لا يتم استواء الصفوف إلا بهذه الخطوط، وليست هذه الوسيلة محرمة بعينها.

فإن قال قائل: هذا السبب الذي جعلته مناط الحكم موجود في عهد النبي ﷺ، فلماذا لم يفعل، فترك النبي ﷺ الشيءَ مع وجود سببه سنة، كما أن فعله سنة.

فالجواب عن ذلك أن يقال: إن هذه القاعدة إنما هي في حق العبادات، فالمراد أن العبادات إذا وجد سببها في عهد النبي ﷺ فلم يحدث لها أمرًا، فإن مَن أحدث لها أمرًا فإحداثه مردود عليه»[1] اهـ.

❖ **جواب للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه الله-، من فتاوى واستشارات «موقع الإسلام اليوم»:**

السؤال: هل يجوز نشر الاقتراح التالي بين الناس إذا قامت الحرب؛ نحث المسلمين بالالتزام بالصيام طوال أيام الحرب، وذلك تعبيرا عمليا على رفض الشعوب للحرب وللاستفادة من الصيام في الدعاء عند الإفطار على المعتدين الأمريكيين واليهود، وهل هذا الاقتراح يدخل في البدع؟

---

(١) شرح نظم الورقات لابن عثيمين (ص ٧٣) طبعة الأنصار المصرية.

الجواب: الحمد لله، لقد جاءت شريعة الإسلام التي بعث الله بها محمدًا ﷺ بكل ما فيه الخير والسعادة لمن قبلها وتمسك بها، فقد دل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أنهم أصحاب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فشرع الله لعباده أنواع العبادات التي يتقربون بها إلى الله، ويستجلبون بها فضله سبحانه وتعالى، ومغفرته، ورحمته في الدنيا والآخرة، ويستجلبون بها النصر على الأعداء، وجماع ذلك تقوى الله في السر والعلانية، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، والاستكثار من الأعمال الصالحة التي ندب الله إليها عباده في كتابه، وندب إليها رسوله ﷺ في سنته، ومن أعظم الأسباب التي شرعها الله لجلب المنافع، ودفع المضار الدعاء، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وأخبر عن رسله عليهم السلام بذلك، وأنهم عليهم السلام يدعون الله بكشف ضروراتهم ونصرهم على أعدائهم، وهكذا كان الرسول ﷺ وأصحابه إذا اشتد بهم أمر لجأوا إلى الدعاء، لأن الأمر كله لله، والملك كله له، فبيده الملك، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فعلى المسلمين أن يقتدوا بنبيهم عليه السلام وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ويهتدوا ويقتدوا بهدي الأنبياء، كما أمر الله بذلك نبيه ﷺ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولم يأت في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ الأمر بوجوب أو استحباب الاتفاق على الصيام في أيام الشدائد، من أجل تحري الدعاء عند الإفطار، فالدعوة إلى ذلك دعوة إلى ما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ، **فهو بدعة**، ولكن يغني عن ذلك حثّ الناس على التوبة إلى الله، والاستكثار من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى الخلق، والإكثار من الدعاء، والتضرع إلى الله ﷻ، الذي لا يكشف الضر غيره، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل]، ومن الدعاء المشروع القنوت في النوازل، ولكن إذا كان يترتب على القنوت اختلافات وشقاق فيحسن تركه دفعًا للمفاسد الناشئة عن ذلك، وغاية الأمر أنه ترك لأمر جائز أو مستحب، ومن لم يتأتى أو لم يتيسر له القنوت فأوقات وأحوال الدعاء كثيرة ليست محصورة على هذا الوجه المعروف الذي هو الدعاء في صلاة الفجر، أو غيرها من الصلوات بعد الركوع، كما قنت الرسول ﷺ، انظر: البخاري (٨٠٤) ومسلم (٦٧٥)، فهذا نوع من أنواع الدعاء، فالله ﷻ يسر لعباده طرق العبادة وطرق دعائه؛ فليدع المسلمون جميعًا رجالًا ونساءً برفع الشدة عن المسلمين، ونصرهم على أعداء الدين، وأن يرد

كيد الكافرين والمنافقين، إنه تعالى على كل شيء قدير، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنفال]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر]، ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤]، والله أعلم»[1] اهـ.

❑❑❑

الفصل الثاني: في الجواب على أمثلة منتخبة من أسئلتكم تكون كالتطبيق لما تحرر

س١: في الحديث الصحيح أن (**رسول الله ﷺ كان يستغفر الله في اليوم ١٠٠ مرة**)[2]؛ فهل يجوز الزيادة على هذا العدد في الاستغفار؟ وما الدليل على جواز هذا الأمر؟ وهل يعد هذا الأمر من المخالفة للسنة؛ لأنها زيادة؟.

س٢: وكذلك في الحديث الصحيح: (كان الرسول ﷺ في المجلس الواحد يقول: **رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم** ١٠٠ مرة)[3]؛ فهل يجوز الزيادة على هذا العدد فنستغفر في المجلس الواحد ٢٠٠ مثلا أو ٣٠٠ مرة مثلا؟

ج١، ٢: لا بأس بالزيادة أو النقصان؛ فإن الشريعة لم تُلزِم بهذا العدد كل يوم، ولا في كل مجلس، والأظهر في تأويله أنه خرج مخرج المبالغة يعني التكثير والتقريب، فإن الظاهر أنه ﷺ لم يكن يَعُدُّ استغفاره، هذا بعيدٌ، ولا وكّل أحدًا بالعدّ له، وإنما هو شيءٌ تقريبي، ثم المراد به التكثير، ويؤيده أنه جاء في مثله في أحاديث أخرى سبعين مرة[4]، والله أعلم.

س٣: هل يجوز أن يحفظ المسلم كل يوم ٣ أحاديث وهل هذا يعد من التحديد أم من تنظيم الأمور؟.

ج٣: نعم يجوز، وهو من التنظيم المشروع؛ فلينظم الإنسانُ وقته ونشاطه على حسب ما يناسب،

---

(١) فتاوى واستشارات «موقع الإسلام اليوم» (٤/ ٤٧) بترقيم المكتبة الشاملة آليًّا.

(٢) صحيح مسلم (٢٧٠٢).

(٣) سنن أبي داود (١٥١٦)، سنن الترمذي (٣٤٣٤)، سنن ابن ماجه (٣٨١٤).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة قال ﷺ: (**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**).



والله ولي التوفيق.

س٤: هل يجوز للمسلم أن يقرأ كل يوم قبل النوم صفحة من القرآن؟ وهل هذا يعد من التخصيص؛ حيث خصص قبل النوم، وهل هذا يعد من التحديد حيث حدد وجهًا واحدا من القرآن؟

ج٤: للمسلم أن يلتزم ما استطاع بأن يقرأ كل ليلة شيئا من القرآن؛ فإن جعله قبل النوم من باب تنظيم هذا الأمر واستعانة بذلك على المواظبة على الأمر والمداومة فلا بأس إن شاء الله، وله أن يلزم نفسه ألا تقل قراءته عن صفحة مثلا كذلك، لكن لا يلتزم عدم الزيادة إذا نشِط لقراءة أكثر من صفحة؛ لأن ذلك لا معنى له ومنعٌ لنفسه من الخيرِ، ويوشك أن يكون حينئذ (أي لو التزم ألا يزيد على صفحةٍ حتى لو نشط وأراد فإنه يمتنعُ محافظة على الصفحة الواحدة فقط) بدعةً والعياذ بالله.

ثم ليُعلَم أن مثل هذا الالتزام وإن جاز إلا أن الصحيح أنه مكروه وقد نص العلماءُ على ذلك، وذكروه تحت قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾[التوبة: ٧٥] الآيات من سورة التوبة، وفي مواضع من شروح الحديث كقوله ﷺ: (**مه، عليكم من العمل بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا**)[(١)]، وفي كتب السلوك.. والله الموفق.

س٥: وهل فعل الإمام أحمد بن حنبل يعد من البدع؛ حيث أنه كان يصلي كل يوم ٣٠٠ ركعة كما أخبر بذلك ابنه عبد الله[(٢)]، وبناء على هذا: هل يجوز للمسلم أن يداوم على ١٠٠ ركعة في كل يوم؟

ج٥: للمسلم أن يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة أو أزيد إذا قدر ونشط لذلك وفتح الله عليه، وما يمنعُهُ؟! إنما الكلام في الأفضل في حقه ما هو، هذا الذي ينبغي أن يعتني به كل إنسانٍ فيعرف ما هو الأفضل له من الأعمال والانشغال بأنواع الطاعات، ثم ليجتهد في طاعة الله تعالى.. والله أعلم.

س٦: وهل فعل شيخ الإسلام يعد من البدع حيث أنه كان يقول بين سنة الفجر وصلاة الفجر ٤٠

---

(١) صحيح مسلم (٧٨٥).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٣٨٢) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يُصلي في كلّ يوم وليلة ثلاث مئة رَكعة، فلما مَرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يُصلي كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، وقد كان قُرب من الثمانين.. الخ.

مرة" «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي...»[(١)]؟

ج٦: للإنسان أن يقول ذلك أربعين مرة أو أكثر أو أقل، في هذا الوقت أو غيره، ويكون من الذكر المطلق والدعاء المطلق، هذا لو فعله أحيانا، وحيث عنّ له.. لكن يقال: لو داومَ عليها وجعلها وِردًا له، أو صنّفها في كتابٍ وحث الناس عليها، أعني بهذا العدد وفي هذا الوقت المخصوص، فما تقولون؟ فالظاهر أن ذلك من البدعة، والله أعلم، فليبتعد الإنسانُ عن هذا.

فائدة: الذي نقله ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مدارج السالكين» هو قوله: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول: من واظب على يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيا الله بها قلبه» اهـ؛ فهذا لفظ الذكر الذي ذكره، فيقال: لم نعرف ذلك في حديثٍ ثابتٍ، فلعله اعتمد على أثرٍ ضعيفٍ، أو لعله من باب ما يثبِتُهُ بعضُ العلماء بالتجربة، فيجعلونه أشبه بباب الرقية، ومن أهل العلم من وقع منه توسّعٌ في هذا.. والله أعلم.

س٧: هل يجوز للمسلم أن يفعل له برنامجًا يوميًا للعبادة وطلب العلم من باب المحافظة على الوقت وتنظيم الأمور؛ فيخصص مثلا بعد صلاة الفجر للتفسير، وبعد الظهر للحديث، وبعد العصر للفقه، وبعد المغرب للمراجعة لما سبق من العلم والحفظ.. فهل هذا يعد من البدع حيث أنه خصص لكل عبادة وقت معين؟

ج٧: لا بأس بذلك، هذا ظاهرٌ لا إشكال فيه، كل هذا واسعٌ والحمد لله.

س٨: وهل يجوز لأب الأسرة أن يقوم ببرنامج معين يربي فيه الأسرة على أمور من العبادات والطاعات؛ فيخصص بعض الأوقات وبعض الأوراد ويحاسبهم على هذه الأوراد؟

ج٨: نعم يجوز له ما لم يخالف الشرع، ومنه ألا يبتدع! وتخصيص بعض الأوقات عبارة مجمَلة فيحتاج إلى أن يفصَّل في ذلك، وكذلك تحديد وتعيين بعض العبادات لبعض الأوقات، يفصل فيه

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤٦) قال ابن القيم: «من أدمن يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك حياة القلب والعقل.. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بها جدا، وقال لي يوما: لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم، وسمعته يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث حصلت له حياة القلب، ولم يمت قلبه».

وينظر فيه؛ فلو ألزمهم أن يقوموا من أول الثلث الأخير من الليل وألا يناموا بعده مثلا ويشتغلون بصلاةٍ أو تلاوةٍ أو قراءة كتابٍ، فهذا حسنٌ لا بأس به ولا مانع شرعي منه إن شاء الله، لكن لو ألزمهم كل يوم بصلاة الضحى وبأن يصوموا الخميس والاثنين، أو يصوموا يومًا ويتركوا يومًا، ونحو ذلك، فلا يعجبني ذلك، وأخشى أن يكون زيادة في الشرع وتنطعًا، فإن هذه أمور مستحبة مفضلة سبيلها الترغيب وترك المجال لتنافس المتنافسين واقتداء المقتدين الكاملين.. والله أعلم.

وهكذا ينظر في تفاصيل ذلك، وقد تكون بعض الصور ممنوعة لظهور معنى الابتداع فيها، فيُحتاط باجتناب ذلك، وأبواب الخير كثيرة والحمد لله.

س١٤: هل يجوز للمسلم أن يحيي ما بين العشاءين؛ كما كان الإمام أحمد بن حنبل يفعل[1]، وهل ورد في السنة ذلك؟

ج١٤: نعم يجوز، وهذا محلٌّ للتطوّع والنفل المطلق، ففيه فليتنافس المتنافسون، نسأل الله أن يحيي قلوبنا وقلوبكم بذكره وطاعته.

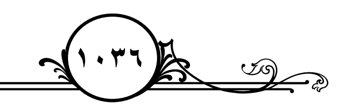
س١٦: هل يجوز أن يقوم بعض مراكز المجاهدين بعد صلاة الفجر بدرس في تصحيح تلاوة القرآن ويداوموا عليه؟ مع أنه لم يثبت عن الرسول ﷺ أنه قام بدرس في القرآن بعد صلاة الفجر بل كان يسأل الصحابة **(من رأى منكم رؤيا)**[2]؟ فهم خصصوا التلاوة بعد الفجر فقط.

ج١٦: هذا جائز إن شاء الله، لا مانع منه ولا حرج فيه، وهو مما للعباد أن يتصرفوا فيه من تنظيم شؤونهم، وهذا من تنظيم دروس العلم، وهو وسيلة إلى مقصود تحصيل العلم، ولا يلزم أن يكون عين هذا العمل ثبت عن النبي ﷺ فعلُهُ، لكن عليهم أن لا يعطلوا موضع الأذكار من الأذكار أعني أذكار الصلاة وأذكار الصباح؛ فإذا أتوا بها أو بما يسّر الله منها، فلهم أن يشرعوا في التعلّم للقرآن أو غيره، وأن يخصص إنسانٌ أو ناسٌ وقتَ ما بعد صلاة الفجر للدرس الفلاني أو الفلاني فهذا لهم بحسب ما يرونه مناسبًا.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٣) قَالَ عَبْدُ اللهِ: «رُبَّمَا سَمِعْتُ أَبِي فِي السَّحَرِ يَدعُو لأَقوامٍ بِأَسمَائِهِم.. وَيُصَلِّي بَيْنَ العِشَاءيْنِ».

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٦)، صحيح مسلم (١٧).



س٢١: ما هو الفرق بين تحديد الوقت وتحديد العدد مثال حدد في العدد أن يقول ١٠٠ مرة «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وحدد في الوقت ٥ دقائق أن يقول «لا حول ولا قوة إلا بالله».. فهل يجوز الأمران أم لا يجوزا؟

ج٢١: للإنسان في نفسه أن يفعل مثل هذا، من باب حمل نفسه على فعل الطاعة المطلقة وتجشيمها هذه العبادات تربية لها وترييضا، لكن لا ينبغي أن يجعلها بمنزلة الشيء الذي فرضه الله؛ فليفعل وليترك، ولا له أن يجعله في أتباعه إن كان له أتباع من أهل وذرية ومن تلاميذ أو نحوهم بمنزلة السنة، فإنه حينئذ يدخل في حدّ البدعة.

س٢٥: هل يجوز للمسلم أن يخصص دعاء معين لكل سجدة؛ مثلا في السجدة الأولى يدعو لأهله وأقاربه، وفي السجدة الثانية للمجاهدين والمسلمين، وهكذا.. حتى يشمل دعاءه كل شيء؟

س ٢٦: هل يجوز أن يخصص دعاء يقوله كلما يسجد مثل: أن يدعو بالشهادة والفردوس الأعلى كلما سجد من باب الإلحاح في الدعاء؟ أو يأخذ على نفسه عهدًا أنه كلما سجد دعا الله ﷻ أن يرزقه الشهادة؟

ج٢٥، ٢٦: كل ذلك واسعٌ إن شاء الله، والله أعلم.

س٣٠: هل يجوز لمجموعة من الشباب أن يتفقوا على صيام الاثنين والخميس، ويكون الإفطار في كل مرة على أحدهم.. فهم قد اجتمعوا على أمر لم يأمر الشرع في صفة الاجتماع عليها؟

ج٣٠: لا يعجبني ذلك، وأحبُّ إليّ أن يجتهدوا في الاقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه وكيف كان حالهم، ولم نعهد منهم ﭫ مثل هذا، بل سبيلهم في مثله: التواصي وأن يحث بعضُهم بعضًا على فعل الخير والاجتهاد في العبادة والتذاكر فيها وتفقّد الأخ لحال أخيه وعبادته: كيف تقوم الليل؟ كيف تقرأ القرآن؟ كيف صيامُك؟ وهكذا، أما اتفاق الناس على ما يشبه التعاهد والتعاقد مضافًا إليها هذه الكيفيات، فابتعدوا عن ذلك بارك الله فيكم.!

س٣١: كان الإمام مالك ﭬ أو غيره من الأئمة قبل أن يحدث بالأحاديث يتوضأ[1].. فهل هذا

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٧/ ١١٠) عَن أبي سلمة الخزاعي قال: «كان مالك ابن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر بِهِ حديث رسول اللَّهِ ﷺ».

الفعل مشروع؟ وهل فعله أحد من الصحابة؟ ولو أن شخصًا قال: أنا لا ألقي محاضرة حتى أتوضأ حيث أنه اتخذ مع نفسه طريقة معينة من العبادة.. فما حكم ذلك؟

ج٣١: نعم قد روى أصحاب الإمام مالك عنه أنه كان لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا على طهارةٍ، تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ، والمقصود -والله أعلم- أنه لا يجلس مجلس التحديث إلا على طهارةٍ؛ فهذا نوعٌ من إلزام النفس بالخيرِ وحملها عليه من غير شائبة «تشريع»، وينبغي على مذهبه وأصله ﵀ ورضي عنه أنه إذا خشي أن يظن الناس أن ذلك سنة ويتخذوه سنةً أن يترك ذلك أحيانًا..

وللإنسان أن يجتهد في أن لا يلقي درسًا أو محاضرةً إلا وهو على طهارة كاملة؛ فإن لم يكن متوضئًا وقد طُلِب منه إلقاءُ محاضرة فليبادر بالوضوء وليتوكل على الله في إلقاء المحاضرة إن كانت خيرًا، فهذا حسنٌ، ما المانع فيه؟! فإن أدلة الشرع دلت على استحباب ملازمة الإنسان للطهارة والمحافظة على الوضوء، فهذا يتأكد في مقام حلقات العلم والدرس واجتماعات المسلمين، فلا يقال حينها إنه اتخذ لنفسه طريقة، لأن هذا مدلول عليه في الشرع مطلوبٌ على وجه الاستحباب.

لكن لو كان مطلوبًا من إنسانٍ في موضع معين ووقت معين أن يتكلم في العلم والنصح للمسلمين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتعليمهم ما يلزمهم فورًا، فامتنع من ذلك بحجة أنه غير متوضئٍ، وقال لا يفعل حتى يتوضأ، واتفق أن محل الوضوء والماء بعيدٌ وأن الوقت سيمرّ ويفوت تعليم الناس العلمَ الواجب في الحال (فورًا).. فإنه آثمٌ بذلك، وهذا جاهلٌ مفرّط متنطع.

س٣٦: هل يجوز للمسلم أن يجعل لنفسه أورادًا يقولها في النهار وأورادا يقولها في الليل، وهذه الأوراد ورد فضلها في السنة ولكن لم ترد على هذه الطريقة؛ كأن يقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ١٠٠ مرة في النهار، و١٠٠ مرة في الليل، وهو لا يقصد أن هذه الطريقة وردت في السنة، أو أنه يتعبد الله بهذا الرقم، وإنما هو من باب استغلال الأوقات وتشجيعها حتى لا تتكاسل؟

ج٣٦: أرجو إن شاء الله أنه لا بأس بذلك، ما دام هو يفعل ذلك بنفسه حملًا لها على الاجتهاد في العبادة، من دون أن يجعله طريقة ثابتة كالشريعة المنزلة، وعليه أن يخشَ أن يظنَّ الناسُ أنها سنة، لا سيما إن كان ممن يقتدى به؛ كشيخ علمٍ وفضلٍ في قومه، ومن كلام الشاطبي في الاعتصام: «وبالجملة فكل عمل أصله ثابت شرعًا إلا أن في إظهار العمل به والمداومة عليه ما يخاف أن يعتقد أنه سنة، فتركه

مطلوب في الجملة أيضًا من باب سد الذرائع»[1] اهـ.

س٣٩: هل يجوز ابتكار طرق جديدة لكسب الثواب؟

مثاله: هل تريد أن يصلي عليك الله في الشهر مائة ألف مرة فعليك بالخطوات التالية:

١- أن تصلي على الرسول ﷺ كل يوم ٢٠٠ مرة فالله يصلي عليك ٢٠٠٠ مرة؛ فيكون المجموع في الشهر ٦٠٠٠٠ مرة.

٢- وتزيد في كل جمعة ألف مرة تصلي على الرسول ﷺ فيصلي الله عليك ١٠٠٠٠ مرة فيكون المجموع في أربع جمع ٤٠٠٠٠ ألف مرة.. فيتحصل المجموع في خلال شهر مائة ألف مرة.

ج٣٩: اللّهم صلى وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.. ليُعلَم أنه ليس ثمت طريق لتحصيل الثواب والأجر من الله تعالى إلا وقد دلنا عليها رسول الله ﷺ، فالخيرُ كل الخير في اتباع طريقه والاقتداء به، وليقل الإنسان: لو كان خيرًا لسبقونا إليه، والله المستعان.

وهذه الكيفيات والطرائق ما أشبهها بالابتداع، وقد عبّرتم بلفظ الابتكار وهو هو!! والذي أراه أنه إن كانت على سبيل الوعظ والتحريض والحث والتحضيض على الإكثار من ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ والترغيب في نيل الثواب وتحفيز همم السامعين إلى التنافس في تحصيل الأجور من العزيز الوهاب، فعسى أنه لا بأس به إن شاء الله، وما عدا ذلك فدعْ، وفيما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم غنيةٌ وكفاية.. والله الموفق للخير والفلاح، لا إله غيرُهُ ولا رب سواه، نسأله سبحانه لنا ولكم ولكل إخواننا التوفيق والإعانة والهدى والسداد.

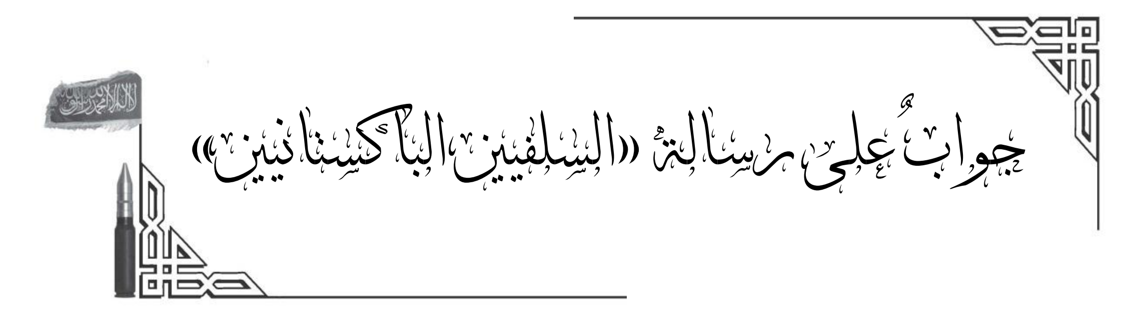
هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

كتبه: **عطية أبو عبد الرحمن**

جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ٧٩).



[أسئلة تضمنت اعتراضات على السكوت عن «حركة طالبان» وما عندها من أخطاء، وذكرٍ لمعتقد «جماعة قاعدة الجهاد» إجمالًا، ومسائل مهمة أخرى، وهي رسالةٌ نفيسةٌ جدا لم تُنشر من قبل، موجهة من علماء باكستانيين، أجاب عنها الشيخ ﵀، وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي» -حفظه الله-، وقد كُتبت الرسالة في: جمادى الأولى ١٤٣١]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت].

وقال رسول الله ﷺ: **(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)** رواه أحمدُ وغيرُه[(١)].

إلى الإخوة الكرام الأفاضل طلاب العلم والخير وخدام الدين والعلماء والمجاهدين، المتصفين بالشجاعة المنتسبين إلى المولى الكريم ﷻ، نسبةً معنوية بلا مثنوية، أما النسبةُ اللفظية فنراها عُجمةً غيرَ مرضيّة فيها نوعُ مجانبةٍ للطريقة الشرعية والعذرُ فيها أنها قضت بها العوائد المحلية والأعراف الزمانية؛ فصار فيها شبهٌ بما يحكى حكايةً، واعتبارُ الأحوال ما منه شكاية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. **وبعد؛؛**

فقد وصلنا كتابُكم الكريم ونصحكم القويم المفعَم بغاية الشفقة واللطف، وفهمتُ ما فيه وعرفتُ فكرتكم ورغبتكم ووجهَ مشورتكم، جزاكم الله خيرَ الجزاء، ونسأل الله تعالى أن يتقبل سعيكم وأن

---

(١) مسند أحمد (١٥٧٨٥، ٢٧١٧٤) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، صحيح ابن حبان (٤٧٠٧، ٥٧٨٦).

يبارك فيكم، كما وصل معه الكتابان المرفَقان: «المهنَّد على المفنَّد» و«الطريق إلى الجماعة الأم».

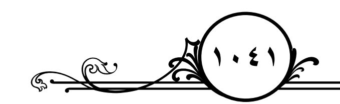
وجوابًا على كتابكم الكريم أقولُ، وبالله أستعين، وعليه توكّلي واعتمادي:

في البدءِ فإنني أؤكد على أننا قابلون لمناقشة ومدارسَةِ كل المسائل مع إخواننا وأحبابنا الناصحين أهل الخيرِ والصلاح، ونحن بلا شك ناقصون غيرُ كاملين، ضعفاء محتاجون، لا نستغني عن نصح أهل العلم والمعرفة والخبرة، توّاقون دائما إلى الكمال وإلى أن نكون أفضل، وأن نفعل أحسنَ ما يمكن مما يرضي ربنا ﷻ، وإننا لقريبون إلى الانتقال عن هذه الدنيا إلى دار الحق، وليس عندنا بفضل الله مانعٌ أبدًا يمنعنا من القولِ بحقٍّ أو إنكارٍ منكرٍ أو الوقوف في الموقف الذي يطلبه منا ربنا ﷻ؛ فإن الله تعالى قد أنعم علينا بنعمة الحرية وكمال الاختيار، والخروج من ربقة الجبابرة الطغاة أو ضغوط أهل الدنيا والشهوات، نسأل الله -جل وعلا- أن يزيدنا وإياكم من فضله، وأن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل هذه النعم علينا وعليكم رحمةً وبركة لا فتنة ولا شقاءً ولا عذابًا.. آمين.

ولذلك فلا تظنوا أننا نستنكف عن مراجعة مسألةٍ أو المذاكرة فيها مع طلاب العلم وأهله، لا والله، بل نحن ساعون أبدًا لنكون من الذين قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، وكما رُوِي عن النبي ﷺ -إن صحّ-: **(الحكمة ضالة المؤمن)** رواه الترمذي وغيره وإسنادُه ضعيفٌ[1]، لكن المعنى صحيحٌ.. فهذا مبدأنا، والحمد لله على ما هدانا.

إخواني الكرام؛ إنكم تعرفون والعالَمُ كله يعرف أن اعتقادنا بحمد الله هو عقيدة أهل السنة والجماعة وهي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابُهُ ﷺ وأرضاهم، جملةً وتفصيلا، نلتزم ذلك ولا نجيز الخروج عليه، ونرى الخروج عنه ضلالة وزيغا نعوذ بالله منه؛ فما كان مجمعًا عليه أو فيه نصوصٌ واضحة من الكتاب والسنة فسبيله واضحٌ وهو أننا نلتزمه بعينه ونقول به، وما كان محتملًا ووقع فيه الخلاف بين الصحابة مثلا أو مَن بعدهم من أئمة الهدى فإننا نرجّح بالدلائل العلمية بين أقوالهم ولا نخرج عنها بإحداثِ قولٍ آخر لم يقولوه.. فهذا هو اعتقادنا الجُمليّ وإليه ندعو الناس، ثم في التفاصيل أننا نعتمِدُ كتبَ السنة التي روى فيها الأئمة الأثباتُ من الحفاظ أقوالَ

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٨)، سنن ابن ماجه (٤١٦٩) وقال الألباني: ضعيف جدا.



واعتقاداتِ السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان التي هي ترجمانٌ للكتاب والسنة، مثل كتب الإمام أحمد وابنه عبد الله وابن أبي عاصم واللالكائي وابن خزيمة والآجرّي ونحوهم رحمهم الله، وتقريرات ابن عبد البر والبغوي وغيرهم، ثم من المتأخرين تحقيقات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم من هذه «المدرسة»، فإننا نراهم أقربَ إلى تمثيل عقيدة وطريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية، وما كان من هَناتٍ أو مجال خطإ من هؤلاء الأئمة المذكورين أو غيرهم فإننا أيضا نردّه بالحق وننقده ونلتزم ما بان وظهر من الصواب، كالملاحظات التي على ابن خزيمة مثلا، وكما يمكن أن ينتقد على شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم من نظرٍ قليلٍ كالقول بفناء النار، مع أن الصحيح أنهما رجعا عنه، ونحو ذلك، ونعلمُ أن كلًا يؤخَذ منه ويُترَك إلا رسولَ الله ﷺ.

فالحاصلُ أننا نجتهد في إصابة الحق قولا وعملا ظاهرًا وباطنا إن شاء الله، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه.

والناس كلهم يعرفون عنا ذلك، أعني ممن شأنه أن يعرف، من أهل العلم وممن يتابعون شؤون العلم والدين ويعرفون أننا نحارب الكفرَ والشرك والطاغوت بكل معانيه وصوره، وأهلَهُ وأولياءَه وعبيدَهُ، وأننا منتسبون إلى السلف الصالح وإلى «أهل السنة والجماعة» في صورتها الأولى، وأننا صادقون في نسبتنا لا ندّعي أو نتظاهر دون تحقيق؛ بل هو انتساب الظاهر والباطن بحمد الله تعالى.

فمن ذلك أن «طالبان أفغانستان» و«إمارة أفغانستان الإسلامية»، و«طالبان باكستان»، وسائر مَن عرفنا في هذه الإقليم يعرِف عنا ذلك ويتحققه.

ثم إنهم مع أنهم يعرفون عنا ذلك؛ فإنهم يعرفون أيضا أننا أهلُ فقهٍ بحمد الله، وأصحابُ أفقٍ واسعٍ، ولدينا «مرونةٌ» و«ديناميكية» كما يقولون، ولا بأس.. فهذه اصطلاحاتٌ وإن كان فيها إجمالٌ وفضفضةٌ لكننا نريد المعنى والقدرَ الصحيح منها الممدوحَ وهو غيرُ خافٍ، فإننا بحمد الله جرّبنا العلمَ وأهلَهُ وخضنا الدعوة بالكلمة واللسان، وبالحربِ والسنان، وعَرَكنا الخلق وعرفنا أنواع النفوس وألوانها، عربًا وعجمًا، وآتانا الله من معرفة سنن الاجتماع وأسباب قيادة الأقوام، ما به نستعين بإذن الله في استجلاب أكثر المصالح الدينية الأخروية والدنيوية ونستدفع أكثر ما يمكن من مفاسدها،

وذلك فضل الله تعالى، وهذا إن شاء الله من التحدث بنعمة الله اقتضاه مقامُ التعريف والتوطئة لبعض الفكرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فكان فمما نراه فقهًا صحيحًا هدانا الله إليه من فضلِهِ بأسباب تحصيل العلم النافع والتجارب أنَّ حالنا نحن اليوم باعتبارنا طائفةً من الأمة متصدية للجهاد في سبيل الله (جهاد أعداء الله الخارجيين من الكفار الأصليين، وأذنابهم من الأعداء المرتدين من الحكومات المستولية على مقاليد الأمور في سائر بلاد المسلمين) وما يتضمنه ذلك من تصرِّفات دعوية وسياسية وقيادية، وباعتبار حالِ أمتنا من الضعفِ والخور والتعاجز وتمكن الأعداء منها الداخليين والخارجيين، وتسليط الوهن عليهم بقدر الله كما أخبر الصادقُ المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الفساد المتراكم فيها في بابي العلم والعمل، مما لا يخفى على عاقلٍ، حتى ضَرَبَ الفسادُ والضلال والانحراف أطنابه في الطبقات المنتسبة للعلم والدين، حتى لا يُبعِد الإنسانُ إذا قال: إن الفساد والضلال والانحراف في هذه الطبقة أشد وأعمق وأخطر مما هو في سواها من سائر طبقات الأمة العوامّ، وباعتبار قِلّتنا نحن أهلَ الدعوة والجهاد وضعفنا، وكثرة أعدائنا، وكثرة ما نواجه من المشكلات غير المنحصرة والعميقة والشديدةِ التعقيدِ والرسوخ.. فإننا باعتبار هذه الأشياء مجتمعةً رأينا بدلائل الشرع والقدر أنه يُشرَعُ لنا بل ربما يجب علينا أن نتلطّف ونأخذ بأسباب الرفق وقوة التحيّل فيه لكي نحق ما استطعنا من الحق، ونبطل ما استطعنا من الباطل، ونتدرّج في ذلك من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ، فما أدركنا في عُمُرنا القصير فذلك فضل الله، وما لا فقد أعذرنا إلى الله ومهّدنا لمن بعدنا طريقًا إلى تحقيق المرام بعون الله، فإن دلائل الشرع مع دلائل العقل والحس والتجربة قاطعة بأنّ كل ذلك الفساد المشار إليه لا يمكن القضاءُ عليه جملةً واحدةً ولا يُظَنُّ أن الله يكلفنا بذلك، فإنه -لو فرض- تكليفٌ بما لا يطاق، مع أنه خالٍ من الحكمة إذ محاولة ذلك لا تحقق المقصود وهو الإصلاح، فلا تأمُرُ الشريعة بمثله، والحمد لله، والله عز وجل أعلم وأحكم.

واعتبرنا في ذلك بطريقة الشريعة المطهّرة، وبسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبسيَرِ المصلحين المشهودِ لهم بالخيرية في هذه الأمة المجددين للأمة دينها؛ فإن طريقة التدرّج والسكوت والإغضاء والتغافل لا تخطئها عينُ الناظر في سيرهم والمتفرّس في مسالكهم، وسيرةُ سيدنا عمرَ بن عبد العزيز ﵁ معروفة مشهورة، ومن آخرهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ فقد ذكروا في ترجمته أنه

كان في بادئ أمره يمرُّ على عباد القبور عند قبر زيد بن الخطاب فيقول: اللهُ خيرٌ من زيدٍ، وبقي على ذلك مدة تمريناً لهم على نفي الشرك وإثارة للبحث والنظر ومراعاةً لمصلحة عدم التنفير[(١)]، ثم انتقل إلى مرتبةٍ أعلى في الإنكار.

ولذلك فإننا نجمَع بين: الصدع بعقيدتنا وبالدعوة إلى التوحيد بكل معناه وتفاصيله وننكر الشرك والكفرَ ونحاربه بقدر الطاقة، وهكذا في عموم منهجنا ومفاهيمنا وفقهنا، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر قدر الإمكان في مرحلتنا، ونستعمل العذرَ مع الناس لما نعرف من قوة تراكم الفساد في أمتنا وما سبق الإشارةُ إليه من الاعتبارات؛ فنميل إلى اللين مع أمتنا وفي علاج أمراضها وتغليب الرحمة والشفقة نظرًا لصعوبة حالها، فنصبر على انحرافهم وعوَجهم وفسادهم ونستأني بهم ساعين في الإصلاح بالتلطف والتدرج، مع قوةٍ في الدين أيضا والحمد لله ووضوحٍ في الراية والمنهج، ونتأمل فيما نقدّمه وما نؤخّرُهُ، وما نعطيه أكثر تركيزنا واهتمامنا وما نقلل من التركيز عليه في كل مرحلةٍ بحسبها، وأيضا نَنْظر فيما هو منوطٌ بنا كمجاهدين وما هو مغطًّى مسدودٌ ثغرُهُ من قِبَل غيرنا من الدعاة والعلماء من سائر طوائف الأمة.

فمثلا: محارَبةُ شرك القبور بالدعوة المقالية والكتابية، لا شك أنه من فروض الكفاياتِ، وقد يتعيّن على آحاد الناس بحسبه؛ ففي الجملة: الحمد لله في الأمة الكثير من أهل الخير من أهل العلم والدعوة ممن يسدون هذا الثغر، ويبذلون فيه غاية البذل، فجزاهم الله خيرًا، وقد انتشر العلم بهذا الباب في الأمة اليوم انتشارًا واسعًا بفضل الله، فنحن مكفيّون بحمد الله، ولنا تخصصٌ آخر ولنا انشغالات أخرى هي أليق بنا وألصق ونحن أهلها، مع مشاركةٍ في كل بابٍ من أبواب الخير، ومعاونةٍ لأهلها وتأييد، مع أننا حيث نكون (كما في أفغانستان، وباكستان: مناطق القبائل منها) فإننا ندعو ونأمر وننهى ونعلّم وننشر بعض الكتب والرسائل وغير ذلك في هذا الباب أيضا ولسنا مهملين له بالكلية لكن نتلطف، والحمد لله؛ لقد أثمرت جهود المجاهدين على اختلاف طبقاتهم وتوجّهاتهم عربًا وعجمًا من لدن الجهاد الأفغاني الأول وإلى اليوم في هذا الباب خيرًا كثيرًا لا ينكره إلا مَن لا يعرف الواقعَ، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر: الدرر السنية (٢/ ٢١١) قاله الشيخ: عبد الرحمن بن حسن ﷺ، حفيد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب ﷺ.

وفي مسألة «مجمَل الاعتقاد» وهو الاعتقاد الكلاميّ المقاليّ كأبواب الصفات للعليّ العزيز ﷻ، والقرآنِ، وأبواب الإيمان، والأسماء والأحكام والوعد والوعيد، والقدَرِ، وأبواب النبوات وما يتعلق برسولنا محمد ﷺ، وأبواب الصحابة، وسائر أبواب العقائد، فإننا كذلك مكفيّون والحمد لله، ومع ذلك؛ فحيثُ يتعيّن أن نتكلم ونبيّن الحق فعلنا واجتهدنا في القيام بالواجب بحسب الإمكان.

لكن في هذا الباب على وجه الخصوص، وحتى في الباب الذي قبله (ما يتعلق بكثير من مسائل توحيد العبودية) بقدرٍ أقل فإننا تواجهنا مشكلاتٌ وصعوبات هي من نوع ما أشرتُ إليه في الفقرة أعلاه، والمثال التطبيقي لذلك هو ما تعرفون من الحال في أفغانستان عمومًا وفي باكستان؛ فإن عموم أهل العلم والقائمين بفرض الجهاد هم من المنتسبين إلى طائفة علماء مدرسة «"ديوبند» الهندية التي هي مزيج من المذهب الحنفيّ في الفروع ومذاهب الماتريدية الأشعرية في العقائد، والصوفية متعددة الطرق، ونحن معهم في جهادٍ لأعداء الله الصليبيين كما كنا معهم في جهاد أعداء الله الشيوعيين الماركسيين السوفييت من قبلُ، وإن الدخول مع إخواننا في مباحثاتٍ ومناقشاتٍ في هذه المسائل غيرُ ممكن الآنَ أبدًا.. هذه هي القناعة التي وصلنا إليها ونحن بها عاملون، وموقنون بأنها هي الصواب وبها يتحقق الصلاح.

فأنتم تعرفون معنا ما في هذه المسائل من التعقيد، وأنها ليست مسائل بسيطة تنحلّ بأبسط بحثٍ ونظرٍ، وأن الدخول فيها مع إخواننا المسلمين -بالضرورة ولاشك- أنه مؤدٍّ إلى جدلٍ وشحناء وفسادٍ، ثم إلى عداوةٍ وبغضاءَ، وتقاطُعٍ وتدابُر، وأن ذلك لو وقع لا قدّره الله؛ فإنه لا يبقى معه قيامٌ بجهادٍ ولا دفعٌ لعدوٍّ وأن الفساد ساعتها سيزداد ويتسع ويعظم ونكون والعياذ بالله كمن يبني قصرًا ويهدِمُ مصرًا، وينطبق علينا ساعتها وصفُ الحماقة والبلاهة والغباوة والعياذ بالله، وكما قلتُ؛ فإننا نعتقد أن الله لا يأمرنا بذلك ولا يحبّه منا، فإن الله يأمُرُ بالصلاح والإصلاح وينهى عن الفساد وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكونُ ذلك سبيلًا إلى الفسادِ ظاهرٌ جليّ بل هو عندي مقطوعٌ به.!

وقواعدُ الشرع ومعرفةُ مقاصده دالةٌ على اعتبار هذا، وهو فقه صحيحٌ معروفٌ عند علمائنا جميعًا.

ومن أجل ذلك فإن طريقتنا في هذه المسائل هو تركُهَا والسكوتُ عنها مع إخواننا في الجملة، وهذا لا ينافي أننا نفتحها للنقاش بتلطفٍ وتأدّبٍ ورفقٍ متى ما واتت الفرصة، كأن يوجَد منا ومن إخواننا

بعض طلبة العلم يفتحون النقاش فيها على أصول أهل العلم في بعض المناسبات، وأنا شخصيًا قد حصل لي هذا أكثر من مرة في أفغانستان أو باكستان، أتناقش مع بعض أهل العلم من «المولوية» في مسائل الاعتقاد مستعملا الرفق واللين والتلطف الكامل؛ قائلًا: إن الذي نراه صوابًا هو طريقةُ الإمام أحمد، وأننا نعتقد أن سائر الأئمة الأربعة بما فيهم الإمامُ الأعظم أبو حنيفة رحمه الله جميعًا على هذه الطريقة وهي: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ وإمرارُه كما جاءَ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، ومن غيرِ تأويل يخرجها عن ظاهرها المعلوم معناه من لسان العرب بغير دليلٍ؛ لأنه حينئذٍ يكون تحريفًا للكلم عن مواضعه، ونعتقد أن هذا هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وتدل عليه ظواهر القرآن والسنة قبل افتراق الفرق وتبلْوُرِ مقالاتها وتدوينها، وقبل غلبةِ الفلسفة والمنطق وعلم الكلام المذموم... إلخ، وهكذا وندخل في بعض التفاصيل، لكنني أتحاشى أن أتلفظ في حق إخواننا بألفاظ البدعة والضلالة ونحو ذلك؛ فإن في ذلك تنفيرًا لا يخفى ولا يفعله عاقلٌ، وأنا شخصيًا من جهة اعتقادي في نفس الأمر أُفصِّلُ في ذلك؛ فما هم عليه من المعتقداتِ منه ما هو حقٌّ نتفق معهم فيه وهو كثير ولله الحمد، ومنه ما هو بدعة وضلالة، ومنه ما هو خطأ غيرُه أصحُّ وأصوبُ منه، لكن بالنسبة لهم هم (الأشخاص المعيّنين) فلا أجترئ على وصفٍ كثيرٍ منهم ممن عرفنا من أهل الخير والصلاح والتقوى والجهاد في سبيل الله بالبدعة والضلالة، لما أعتقد أنهم معذورون، قام بهم العذرُ، وأنهم محسنون باتباع ما ظهر لهم وبان وما غلب على ظنهم أنه حق وصوابٌ، مقلّدون لمدرسة علمية كبيرةٍ مشهورة.. وهكذا لنا تفاصيل في هذه الأحوال وفي الأعيان، والله المستعان.

وكما وصفتم أنتم إخواننا بالجهاد والصلاح؛ فقد أصبتم، فالحمد لله: هم أهل خيرٍ وصلاح وتقوى وجهادٍ، وفيهم صدقٌ وإخلاصٌ، كثيرٌ منهم، نخبتُهم والقوةُ الضاربةُ فيهم، وفيهم دون ذلك كما في سائر الطوائف والأقوام، وما فيهم من النقص باتباع هذه المدرسة العلمية «الديوبندية» فهم في الجملة معذورون فيه، إلا مَن تبين له الحقُ وعانده واستكبر عن الانقياد له، فمن علمناه كذلك عاملناه بما يستحقه شرعًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فنحن عندما نمدح «الطالبان» والملا «محمد عمر» أمير المؤمنين حفظه الله ووفقه؛ نمدحهم باعتبار

ما عندهم من الخيرِ والحسناتِ والعمل الصالح والإحسانِ والجهاد في سبيل الله ونصر الدين والقيامِ بما عرفوا وما أمكنهم القيام به منه.. فهذا لا يتضمن إقرارنا إياهم على أي باطلٍ لا جملةً ولا تفصيلًا، وكونُ بعض الناس قد يتوهَّمُ ذلك من صنيعنا فإننا غيرُ مسؤولين عنه ولا يضرُّنا، ويُوشِك أن توجَد فرصةٌ لإصلاح وهمه في مناسبةٍ من المناسبات فيعرف ويفقه، فلِمَ العجلةُ، ولماذا نترُك الخيرَ في الثناء على أهل الخير أهل الجهاد والوقوف معهم وتأييدهم ونصرهم والتنويه بهم في الأمة، والأمةُ وأجيالها محتاجةٌ إلى ذلك أشدَّ الحاجةِ، بحجةِ أنه قد يتوهّم بعضُ الناسِ أننا نثني على ما عندهم من الباطل؟! هذا ليس من الفقه ولا من الحكمة، والله أعلم، وهو سبحانه الموفق لما فيه الخير والفلاح.

ولذلك أذكّركم - وفقكم الله - بأن لا يغيبَ عنكم أن تصرّفات المجاهدين ملحوظٌ فيها الاعتبارُ السياسيّ؛ فأنتم تقترحون أن نصدر بيانا شافيًا تفصيليًا باعتقاداتنا في سائر المسائل وأن نردّ البدعَ والضلالات كلها، فنقول: إن تبيان عقائدنا حاصِلٌ كما قدّمنا ويحصُلُ بحسب المناسباتِ، وهذه في الحقيقة طريقة القرآن والسنة: العلمُ والحكمة بحسب المناسبات، وأنه يكفي أحيانًا بيانُ الحقِّ والأمرِ الصحيح الصواب عن ذكر الباطل والتصريح به ورَدّه؛ فإن الحق مزهِقٌ للباطل، ونفسُ معرفة الحق ماحقةٌ للباطل، فإذا انضاف إليها ما أشرنا إليه من أننا قد نختارُ بعضَ السكوت للمصلحة الظاهرة الراجحة، وأننا نراعي ما لا يراعي غيرُنا ولكلٍّ مقامُهُ؛ فقد وَضُح الأمرُ، والحمد لله.

والحاصل أننا بحاجةٍ إلى تدبّر عدة مسائل تتعلق بحالنا وتمسُّ الحاجةُ إليها في زماننا وما بُلينا به، مثل مسألة السكوت عن بعض الباطل إلى حين القدرة على الإنكار والتغيير، وأن السكوت يسع ما يسع النطق، وأن القدرة من معناها ضمانُ عدمِ حصولِ منكر أكبر مما نحاولُ إنكارَه، ومسألة ترك التحديث ببعض العلم مخافة مفسدةٍ راجحةٍ، ومَنْ كتم بعضَ العلم من أجل ذلك أحيانًا، وحديث عائشة: **(لولا أن قومَك حديثو عهدٍ بجاهلية)**[1]، وأن من المشروع في بعض الأوقات والأحوال تركُ بعضِ المشروع من مندوبٍ أو واجبٍ لمصلحة تأليف القلوب واتقاءَ الفتنة بين المسلمين، فيكون تركُ السنة حينئذٍ هو السنة؛ لأن مصلحة ائتلاف المسلمين واجتماعهم ووحدة كلمتهم لا سيَّما في مقابل أعداء الله الكافرين الصائلين الغازين النازلين بالعُقر أو المهددين لبلاد الإسلام، ولا سيما والأمرُ على

---

(١) صحيح البخاري (١٥٨٦)، صحيح مسلم (١٣٣٣).

ما وصفنا من حالنا وحال أمتنا، والله المستعان، هي مصلحةٌ كبيرةٌ جدًا تُترَك في معارَضتِها مصالحُ كبيرة ويُتحمَّل من أجلها مفسدةُ وجود واستمرار الكثير من البدَعِ والأخطاء العقدية أو العملية. ونحو ذلك من المسائل.

وأنتم تعرفون ما ذكره علماؤنا في مسائل كهذه وإني لم أشأ أن أكثر من النقل هنا حتى لا تطول الرسالةُ وتُمَلّ، ولكني أستسمحكم في نقل هذه الفقرة من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ وهي ضمن فتاوى قتال التتر؛ قال ﵀:

«فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل؛ فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة، أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه: كان الواجب أيضا قتالُهم دفعا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما؛ فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها. ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: الغزو مع كل بر وفاجر؛ فـ(**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم**)[(١)] كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفعُ الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامةُ جميعها.. فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها؛ بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. وثبت عن النبي ﷺ: (**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم**)[(٢)] فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله ﷺ: (**الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**)[(٣)]، وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: (**لا تزال طائفة**

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، صحيح مسلم (١١١).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٥٢، ٣١١٩)، صحيح مسلم (١٨٧٣).

(٣) سنن أبي داود (٢٥٣٢) بلفظ: (**والجهاد ماضٍ**..)، وضعفه الألباني، لكن قال الأرنؤوط في تخريج أبي داود: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.. وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: «الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر» قال الحافظ في: الفتح (٦/ ٥٦): «سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد؛ لأنه جمع ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسره بالأجر والمغنم، والمغنم المقترن بالأجر

من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة)[1] إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم؛ بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة.. هذا مع إخباره ﷺ بأنه: **(سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض)**[2]؛ فإذا أحاط المرء علما بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم؛ علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض: جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسئول عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم؛ إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديما وحديثًا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقا وإن لم يكونوا أبرارا.. ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل، والله أعلم.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[3] اهـ.

إخواني الأحباب؛ إن هذا الدين دينُ الله تعالى، والله ناصرُهُ ومتمُّه ومظهِرُه على الدين كله ولو كره الكافرون، وإن المستقبَل لهذا الدين لا شك، وإن خوفنا من أن تتكرر بعضُ التجارِب السيّئة لا بأس

إنما يكون من الخيل بالجهاد، ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً، فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر». وكذلك قال ابن عبد البر في: التمهيد (١٤/ ٩٧) وذكر هذا الحديث: «وقد استدل جماعة من العلماء بأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة تحت راية كل بر وفاجر من الأئمة بهذا الحديث، لأنه قال فيه: **(إلى يوم القيامة)** ولا وجه لذلك إلا الجهاد في سبيل الله لأنه قد ورد الذم فيمن ارتبطها واحتبسها رياة وفخراً ونواء لأهل الإسلام» اهـ، ويعني بحديث الذم حديث أبى هريرة عند البخاري (٧٣٥٦)، ومسلم (٩٨٧) وفيه: **(ورجل ربطها فخراً ورياء فهي على ذلك وزر)**. ويشهد لقوله: **(الجهاد ماض)** أيضاً قوله ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، لا يضرهم من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)**.

(١) صحيح مسلم (١٥٦).

(٢) سنن الترمذي (٦١٤، ٢٢٥٩)، سنن النسائي (٤٠٢٧، ٤٢٠٨) وصححه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠٤ فما بعد [المؤلف].

أن يدفعنا إلى احتياطٍ وحسنِ تدبيرٍ وحذر، لكن كلُّ شيءٍ بقدر، والأمرُ لله أولا وآخرًا، فنجمِلُ في الطلب متوكلين على الملك الوهاب ﷻ محسنين الظن به.

فإن كان الزنديق «مجددي» وجدَ له في سابق الأوان فرصةً في بعض الكعكةِ؛ فإنه لم يستطع استدامتَها لا هو ولا أمثالُهُ ولا أولياؤُه، وإن المراحل الحالية والمستقبَلَةَ -فيما نظن والأمر لله من قبلُ ومن بعدُ- لا مجالَ لهم فيها بإذن الله، فالحركة الجهادية في قوة ونضجٍ وتقدّم، وكذا الأمة بعامّة، وقد غبَرَ زمانُ الدراويش.!

ثم هب أن شيئا من ذلك كانَ وابتلانا الله، لا قدّر الله ذلك؛ فإن الجهاد ماضٍ ونحن عبيدُ اللهِ على كل حالٍ، فلمَ الخوف الكبير؟!

إن المؤمن ينبغي له أن يكون قويًا متفائلًا مصمِّمًا على الجهاد والثبات على الحقّ ولو عاش الدهرَ حتى آخر قطرةٍ من دمه وآخر نفسٍ من أنفاسه حتى يلقى الله.

وقلتم في كلامكم النفيس: «فإن أخرنا تبيين هذه الأشياء إلى قيام رياسة الإسلام فهذا ليس بصحيح، بل والله لا تمكن هذه التصفية في ذلك الوقت، بل تكون أصعب، وسينتج عند ذلك مصائب كبرى، وإن نلزم السكوت بعد قيام الدولة الإسلامية كما نسكت أيام الجهاد فماذا نجيب ربنا في الآخرة في غفلتنا هذه» اهـ.

فأما السكوتُ؛ فسواءٌ كان قبلُ أو بعدُ فإنما حكمُهُ منوطٌ بمطلوبيته شرعًا وذلك بحسب الدليل في كل حالةٍ على حدةٍ، فالحمد لله.. هوِّنوا على أنفسكم بارك الله فيكم، فإذا ملّككم اللهُ البلادَ والعبادَ فافعلوا ما تقدرون عليه من الخير وأقيموا ما تقدرون عليه من الدين، ولن تُحصوا! فإن نكلتم عن القيام بالأمانة وتوانيتم عن شكر نعمة الله وركنتم إلى الدنيا وزهرتها وسقطتم في امتحان النصر بعد أن نجحتم في امتحان الهزيمة، فإن ذلك خسرانٌ، نعوذ بالله منه.

وأما أنَّ تأخيرَ تبيين تلك الأشياء إلى قيام دولة الإسلام غيرُ صحيحٍ وأن التصفية والإصلاح في ذلك الوقت يكون غيرَ ممكنٍ؛ فما الذي جعلَهُ غيرَ صحيح وغير ممكنٍ؟! نحن لا نقول ذلك، بل نقول: هو عملٌ دؤوبٌ متواصلٌ، لا ينتهي بقيام رياسة الإسلام ودولته؛ فلكل حالٍ ومرحلة وظائفها، فالدعوة والتصفية والتربية والجهادُ والأمر والنهي والإصلاح بكل الوسائل المشروعة سلسلةُ عملٍ

مستمرة لا تتوقف، بل إن الإصلاحَ بعدَ التمكّن أيسَرُ وأوقعُ بلا شك.

فإن كان المرادُ أن عدم الإصلاحِ الآن على الوجه الذي تتصورونه وتطلبونه مانِعٌ من حصول التمكّن للتوحيد والسنة وأهلها، فقد تبيّن جوابُهُ مما تقدّم، والله وليّ المؤمنين.

إخواني الكرام؛ أما الكتابان المرفَقانِ: فكتاب «الديوبندي»، وهو صاحب «بذل المجهود»، فيه ما فيه مما عَلّمتُم عليه بالتلوين، وغيرُه، على ركاكةٍ في مسائله مضمونًا وشكلًا، تعجّبتُ منها فلعل الترجمة العربية ليست له، وعلى كلٍّ لا أظننا نختلف في تقويمه ونقده، وجزاكم الله خيرا على إرسالِكم الكتاب إليّ لأني أولّ مرةٍ أقف عليه بنفسي وأطالع ما فيه.!

وأما كتاب «الطريق إلى الجماعة الأمّ» فإننا نعرفه وطالعناه في أوان أول صدوره أيام الجهاد الأول –حوالي سنة ١٩٩١م– وكما تفضلتم بالتنبيه؛ فإنه في جملته من «سلفية» السعودية، والرجل لا نعرفه بعينه، وأظن أن الاسم وهميٌّ، والكتابُ وراءه جماعة «جميل الرحمن» رحمه الله، ونحن نفصِّلُ في حالهم ونعرف ما عندهم من حق وخيرٍ، ولنا عليهم مآخذ معروفة في موضعها.

والكتاب جعلَ الرجلُ عمدَتَه وفكرتَه الأساسية الطعن في الشيخ «عبد الله عزام» رحمه الله والغضّ منه، وهذا مريبٌ! فإنه لم يكتفِ بانتقاد «جماعة الإخوان المسلمين» وبيان عوارِهم وضلالهم وفساد فكرهم ومنهجهم؛ فهذا جيدٌ بشرطه وهو أن يكون بعلمٍ وعدلٍ وأدبٍ ونيّة صالحةٍ، لكن بالغ في الطعن والحطِّ على الشيخ «عبد الله» والغمز فيه بما لا يليقُ؛ فإن الشيخ «عبد الله» وإن كان منتميًا إلى «جماعة الإخوان المسلمين» ولم يشأ أن يخرج عنهم ويتركهم إلى أن قُتِل رحمه الله، لما رأى من مصلحة ذلك، وهو اجتهادٌ له، نعتقد أنه مريدٌ للخير فيه؛ فإنه مخالفٌ لهم في مسائل كثيرة من منهجهم وفكرهم.. مخالفاتٍ تصلُ إلى حدّ أن تكون كليَّةً جذريةً أحيانًا، وبقطعِ النظر عن أخطائه أو صوابه في اختياراته الفكرية والفقهية والمنهجية.. فإنه بلا شك كان من أئمة الهدى ربَّانيًا صالحًا مجاهدًا في سبيل الله باذلًا نفسه لله عز وجل فيما نحسبُ، هذا ظننا فيه ولا نزكيه على الله، وكانت له قدمُ صدقٍ في الدعوة وإحياء الأمة وتربية الجيل على معاني الجهاد والعزة والحمية الدينية واختيار الآخرة، ونحن لا نغلو فيه ولا نقدّسُهُ، والله يعفو عنه ويتولاه برحمته ويتقبله في الشهداء الصالحين.. آمين.

إخواني الأحباب؛ نكرر لكم الشكر على هذه المناصحة الطيبة، ونسأل الله أن نستفيد منها، وإنني

أشعُرُ بأنني استفدتُ فعلًا، وبإذن الله سأطلع من أستطيعُ من مشايخنا عليها للتأمل والتدبّر؛ فلئن لم يُؤخَذ الكلامُ كلُّه لاختلاف نظرٍ واجتهادٍ فإن مطلق الاستفادة حاصلةٌ بحمد الله في التنبيه على هذه المسائل والاعتناء بها والتدقيق في كلماتنا ومواقفنا ومراجعتها وتسديدها، فجزاكم الله خيرا كثيرا..

ونتمنّى أن يزداد التواصُلُ والترابط تعاونًا على البر والتقوى كما أمر الله، والله سبحانه المسؤول أن يجعل أعمالنا صالحةً ولوجهه خالصة، وأن لا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا، وأن يصلح أحوال أمتنا ويفرّج الكروب وينصُرَ المجاهدين في سبيله ولإقامة دينه وحُكمِه في كل مكان.. آمين.

﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم/ **أبو عبد الرحمن**

١٥ جمادى الأولى ١٤٣١ هـ


المحتويات
فهرس المجلد الثاني

هذا المجموع

(إن من العلماء العاملين، القدوات الباذلين، الصادقين الصابرين -كما نحسبهم، ولا نزكي على الله أحدا- الشيخ المجاهد القائد الشهيد بإذن الله: «**أبو عبد الرحمن، جمال بن إبراهيم اشتيوي المصراتي الليبي؛ المعروف بعطية الله الليبي**» رحمه الله..

فهو -تقبله الله- علمٌ من أعلام الجهاد في هذا الزمان؛ ذو سيرة عطرة، وعلوم نضرة، أتبع العلمَ العملَ، وصدّق القول بالفعل؛ فحمل السلاح، ورفع راية الجهاد، ذابًا عن أمته، منتصرا لملته، مقيما لشريعة ربه؛ فجدد تاريخ السالفين، وأعاد أمجاد الغابرين، وأحيا -مع إخوانه المجاهدين- ما درس من معالم الجهاد، في أمة الاستشهاد؛ فجزاه الله عنا والمسلمين خيرا..

ولأن كلماته وجهوده المباركة قد تكاثرت، ومنفعتها قد عمت، وانتشر صيتها بين الباذلين أرواحهم في سبيل ربهم من خيار هذه الأمة المجاهدين؛ فقد شددنا العزم على حفظها للأمة، بإعادة ترتيبها وتنضيدها، وبث روح الحياة فيها من جديد؛ فلئن حرمنا التتلمذ على الشيخ في حياته؛ فلن نحرم -بإذن الله- أجر حفظ علمه بعد استشهاده؛ بصيانته من الضياع، وحفظه من التحريف والاندثار، وهذا أقل واجب نقدمه لهذا الشيخ المجاهد، ولإخوانه؛ نصرهم الله..).



